الفتوحات المكية

(في اربع المجلدات)

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
و الدين أبي عبدالله محمّد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه آمين

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

(صلى الله على سيدنا محمد)

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم و عدمه و أوقف وجودها على توجه كلمة لنحقق بذلك سر حدوثها و قدمها من قدمه و نقف عند هذا التحقيق على ما أعلمنا به من صدق قدمه فظهر سبحانه و ظهر و أظهر و ما بطن و لكنه بطن و أبطن و أثبت له الاسم الأول وجود عين العبد و قد كان ثبت و أثبت له الاسم الآخر تقدير الفناء و الفقد و قد كان قبل ذلك ثبت فلولا العصر و المعاصر و الجاهل و الخابر ما عرف أحد معنى اسمه الأول و الآخر و لا الباطن و الظاهر و إن كانت أسماؤه الحسنى على هذا الطريق الأسنى و لكن بينها تباين في المنازل يتبين ذلك عند ما تتخذ وسائل لحلول النوازل فليس عبد الحليم هو عبد الكريم و ليس عبد الغفور هو عبد الشكور فكل عبد له اسم هو ربه و هو جسم ذلك الاسم قلبه فهو العليم سبحانه الذي علم و علم و الحاكم الذي حكم و حكم و القاهر الذي قهر و أقهر و القادر الذي قدر و كسب و لم يقدر الباقي الذي لم تقم به صفة البقاء و المقدس عند المشاهدة عن المواجهة و التلقاء بل العبد في ذلك الموطن الأنزه لا حق بالتنزيه لا أنه سبحانه و تعالى في ذلك المقام الأنزه يلحقه التشبيه فتزول من العبد في تلك الحضرة الجهات و ينعدم عند قيام النظرة به منه الالتفات أحمده حمد من علم أنه سبحانه علا في صفاته و علي و جل في ذاته و جلى و أن حجاب العزة دون سبحانه مسدل و باب الوقوف على معرفة ذاته مقفل إن خاطب عبده فهو المسمع السميع و إن فعل ما أمر بفعله فهو المطاع المطيع و لما حيرتني هذه الحقيقة أنشدت على حكم الطريقة للخليفة

الرب حق و العبد حق	يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت	أو قلت رب أنى يكلف

فهو سبحانه يطيع نفسه إذا شاء يخلقه و ينصف نفسه مما تعين عليه من واجب حقه فليس إلا أشباح خالية على عروشها خاوية و في ترجيع الصدى سر ما أشرنا إليه لمن اهتدى و أشكره شكر من تحقق أن بالتكليف ظهر الاسم المعبود و بوجود حقيقة لا حول و لا قوة إلا بالله ظهرت حقيقة الجود و إلا فإذا جعلت الجنة جزاء لما عملت فأين الجود الإلهي الذي عقلت فأنت عن العلم بأنك لذاتك موهوب و عن العلم بأصل نفسك محجوب فإذا كان ما تطلب به الجزاء ليس لك فكيف ترى عملك فاترك الأشياء و خالقها و المرزوقات و رازقها فهو سبحانه الواهب الذي لا يمل و الملك الذي عز سلطانه و جل اللطيف بعباده الخبير الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و الصلاة على سر العالم و نكتته و مطلب العالم و بغيته السيد الصادق المدلج إلى ربه الطارق المخترق به السبع الطرائق ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات و الحقائق فيما أبدع من الخلائق الذي شاهدته عند إنشائي هذه الخطبة في عالم حقائق المثال في حضرة الجلال مكاشفة قلبيه في حضرة غيبية و لما

شهدته صلى الله عليه و سلم في ذلك العالم سيدا معصوم المقاصد محفوظ المشاهد منصورا مؤيدا و جميع الرسل بين يديه مصطفون و أمته التي هي خير أمة عليه ملتفون و ملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون و الملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون و الصديق على يمينه الأنفس و الفاروق على يساره الأقدس و الختم بين يديه قد حثى يخبره بحديث الأنثى و علي صلى الله عليه و سلم يترجم عن الختم بلسانه و ذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شأنه فالتفت السيد الأعلى و المورد العذب الأحلى و النور الأكشف الأجلى فرآني وراء الختم لاشتراك بيني و بينه في الحكم فقال له السيد هذا عديلك و ابنك و خليلك أنصب له منبر الطرفاء بين يدي ثم أشار إلى أن قم يا محمد عليه فأثن على من أرسلني و علي فإن فيك شعرة مني لا صبر لها عني هي السلطانة في ذاتيتك فلا ترجع إلي إلا بكليتك و لا بد لها من الرجوع إلى اللقاء فإنها ليست من عالم الشقاء فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سعد و كان ممن شكر في الملإ الأعلى و حمد فنصب الختم المنبر في ذلك المشهد الأخطر و على جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر هذا هو المقام المحمدي الأطهر من رقى فيه فقد ورثه و أرسله الحق حافظا لحرمة الشريعة و بعثه و وهبت في ذلك الوقت مواهب الحكم حتى كأني أوتيت جوامع الكلم فشكرت الله عز و جل و صعدت أعلاه و حصلت في موضع وقوفه صلى الله عليه و سلم و مستواه و بسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قميص أبيض فوقفت عليه حتى لا أباشر الموضع الذي باشره صلى الله عليه و سلم بقدميه تنزيها له و تشريفا و تنبيها لنا و تعريفا أن المقام الذي شاهده من ربه لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه و لولا ذلك لكشفنا ما كشف و عرفنا ما عرف ألا ترى من تقفو أثره لتعلم خبره لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه و لا تعرف كيف تخبر بسلب الأوصاف عنه فإنه شاهد مثلا ترابا مستويا لا صفة له فمشى عليه و أنت على أثره لا تشاهد إلا أثر قدميه و هنا سر خفي إن بحثت عليه وصلت إليه و هو من أجل أنه إمام و قد حصل له الإمام لا يشاهد أثرا و لا يعرفه فقد كشفت ما لا يكشفه و هذا المقام قد ظهر في إنكار موسى صلى الله على سيدنا و عليه و على الخضر فلما وقفت ذلك الموقف الأسنى بين يدي من كان من ربه في ليلة إسرائه قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى قمت مقنعا خجلا ثم أيدت بروح القدس فافتتحت مرتجلا

يا منزل الآيات و الأنباء — أنزل على معالم الأسماء

حتى أكون لحمد ذاتك جامعا — بمحامد السراء و الضراء

ثم أشرت إليه صلى الله عليه و سلم

و يكون هذا السيد العلم الذي — جردته من دورة الخلفاء

و جعلته الأصل الكريم و آدم — ما بين طينة خلقه و الماء

و نقلته حتى استدار زمانه — و عطفت آخره على الإبداء

و أقمته عبدا ذليلا خاضعا — دهرا يناجيكم بغار حراء

حتى أتاه مبشرا من عندكم جبريل المخصوص بالأنباء

قال السلام عليك أنت محمد سر العباد و خاتم النباء

يا سيدي حقا أقول فقال لي صدقا نطقت فأنت ظل ردائي

فاحمد و زد في حمد ربك جاهدا فلقد وهبت حقائق الأشياء

و انثر لنا من شأن ربك ما انجلى لفؤادك المحفوظ في الظلماء

من كل حق قائم بحقيقة يأتيك مملوكا بغير شراء

ثم شرعت في الكلام بلسان العلام فقلت و أشرت إليه صلى الله عليه و سلم حمدت من أنزل عليك الكتاب المكنون الذي لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ المنزل بحسن شيمك و تنزيهك عن الآفات و تقديسك فقال في سورة ن (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَ إِنَّ لكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ ثم غمس قلم الإرادة في مداد العلم و خط بيمين القدرة في اللوح المحفوظ المصون كل ما كان و ما هو كائن و سيكون و ما لا يكون مما لو شاء و هو لا يشاء أن يكون لكان كيف يكون من قدره المعلوم الموزون و علمه الكريم المخزون ف سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ذلك الله الواحد الأحد فتعالى عما أشرك به المشركون فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الأسمى دون غيره من الأسماء إني أريد أن أخلق من أجلك يا محمد العالم الذي هو ملكك فأخلق جوهرة الماء فخلقتها دون حجاب العزة الأحمى و أنا على ما كنت عليه و لا شيء معي في عما فخلق الماء سبحانه بردة جامدة كالجوهرة في الاستدارة و البياض و أودع فيها بالقوة ذوات الأجسام و ذوات الأعراض ثم خلق العرش و استوى عليه اسمه الرحمن و نصب الكرسي و تدلت إليه القدمان فنظر بعين الجلال إلى تلك الجوهرة فذابت حياء و تحللت أجزاؤها فسألت ماء وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى ذلك الْماءِ قبل وجود الأرض و السماء و ليس في الوجود إذ ذاك إلا حقائق المستوي عليه و المستوي و الاستواء فأرسل النفس فتموج الماء من زعزعه و أزبد و صوت بحمد الحمد المحمود الحق عند ما ضرب بساحل العرش فاهتز الساق و قال له أنا أحمد فخجل الماء و رجع القهقري يريد ثبجه و ترك زبده بالساحل الذي أنتجه فهو مخضة ذلك الماء الحاوي على أكثر الأشياء فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد الأرض مستديرة النشء مدحية الطول و العرض ثم أنشأ الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها ففتق فيه السموات العلي و جعله محل الأنوار و منازل الملإ الأعلى و قابل بنجومها المزينة لها النيرات ما زين به الأرض من أزهار النبات و تفرد تعالى لآدم و ولديه بذاته جلت عن التشبيه و يديه فأقام نشأة جسدية و سواها تسويتين تسوية انقضاء أمده و قبول أبده و جعل مسكن هذه النشأة نقطة كرة الوجود و أخفى عينها ثم نبه عباده عليها بقوله تعالى بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها فإذا انتقل الإنسان إلى برزخ الدار الحيوان مارت قبة السماء و انشقت فكانت شعلة نار سيال كالدهان فمن فهم حقائق الإضافات عرف ما ذكرنا له من الإشارات فيعلم قطعا إن قبة لا تقوم من غير عمد كما لا يكون والد من غير إن يكون له ولد فالعمد هو المعنى الماسك

فإن لم ترد أن يكون الإنسان فاجعله قدرة المالك فتبين أنه لا بد من ماسك يمسكها و هي مملكة فلا بد لها من مالك يملكها و من مسكت من أجله فهو ماسكها و من وجدت له بسببه فهو مالكها و لما أبصرت حقائق السعداء و الأشقياء عند قبض القدرة عليها بين العدم و الوجود و هي حالة الإنشاء حسن النهاية بعين الموافقة و الهداية و سوء الغاية بعين المخالفة و الغواية سارعت السعيدة إلى الوجود و ظهر من الشقية التثبط و الإباية و لهذا أخبر الحق عن حالة السعداء فقال أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ يشير إلى تلك السرعة و قال في الأشقياء فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ يشير إلى تلك الرجعة فلو لا هبوب تلك النفحات على الأجساد ما ظهر في هذا العالم سالك غي و لا رشاد و لتلك السرعة و التثبط أخبرتنا صلى الله عليك إن رحمة الله سبقت غضبه هكذا نسب الراوي إليك ثم أنشأ سبحانه الحقائق على عدد أسماء حقه و أظهر ملائكة التسخير على عدد خلقه فجعل لكل حقيقة اسما من أسمائه تعبده و تعلمه و جعل لكل سر حقيقة ملكا يخدمه و يلزمه فمن الحقائق من حجبته رؤية نفسه عن اسمه فخرج عن تكليفه و حكمه فكان له من الجاحدين و منهم من ثبت الله أقدامه و اتخذ اسمه أمامه و حقق بينه و بينه العلامة و جعله أمامه فكان له من الساجدين ثم استخرج من الأب الأول أنوار الأقطاب شموسا تسبح في أفلاك المقامات و استخرج أنوار النجباء نجوما تسبح في أفلاك الكرامات و ثبت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان فانحفظ بهم الثقلان فازالوا ميد الأرض و حركتها فسكنت فازينت بحلي أزهارها و حلل نباتها و أخرجت بركتها فتنعمت أبصار الخلق بمنظرها البهي و مشامهم بريحها العطري و أحناكهم بمطعومها الشهي ثم أرسل الأبدال السبعة إرسال حكيم عليم ملوكا على السبعة الأقاليم لكل بدل إقليم و وزر للقطب الإمامين و جعلهما إمامين على الزمامين فلما أنشأ العالم على غاية الإتقان و لم يبق أبدع منه كما قال الإمام أبو حامد في الإمكان و أبرز جسدك صلى الله عليك للعيان أخبر عنك الراوي أنك قلت يوما في مجلسك إن الله كان و لا شيء معه بل هو على ما عليه كان و هكذا هي صلى الله عليك حقائق الأكوان فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق إلا بكونها سابقة و هن لواحق إذ من ليس مع شيء فليس معه شيء و لو خرجت الحقائق على غير ما كانت عليه في العلم لانمازت عن الحقيقة المنزهة بهذا الحكم فالحقائق الآن في الحكم على ما كانت عليه في العلم فلنقل كانت و لا شيء معها في وجودها و هي الآن على ما كانت عليه في علم معبودها فقد شمل هذا الخبر الذي أطلق على الحق جميع الخلق و لا تعترض بتعدد الأسباب و المسببات فإنها ترد عليك بوجود الأسماء و الصفات و إن المعاني التي تدل عليها مختلفات فلو لا ما بين البداية و النهاية سبب رابط و كسب صحيح ضابط ما عرف كل واحد منهما بالآخر و لا قيل على حكم الأول يثبت الآخر و ليس إلا الرب و العبد و كفى و في هذا غنية لمن أراد معرفة نفسه في الوجود و شفا ألا ترى أن الخاتمة عين السابقة و هي كلمة واجبة صادقة فما للإنسان يتجاهل و يعمى و يمشي في دجنة ظلماء حيث لا ظل و لا ما و إن أحق ما سمع من النبإ و أتى به هدهد الفهم من سبا وجود الفلك المحيط الموجود في العالم المركب و البسيط المسمى بالهباء و أشبه شيء به الماء و الهواء و إن كانا من جملة صوره المفتوحة فيه و لما كان هذا الفلك أصل الوجود و تجلى له اسمه النور من حضرة الجود كان الظهور و قبلت صورتك صلى الله عليك من ذلك الفلك أول

فيض ذلك النور فظهرت صورة مثلية مشاهدها عينية و مشاربها غيبية و جنتها عدنية و معارفها قلمية و علومها يمينية و أسرارها مدادية و أرواحها لوحية و طينتها آدمية فأنت أب لنا في الروحانية كما كان و أشرت إلى آدم صلى الله عليه في ذلك الجمع أبا لنا في الجسمية و العناصر له أم و والد كما كانت حقيقة الهباء في الأصل مع الواحد فلا يكون أمر إلا عن أمرين و لا نتيجة إلا عن مقدمتين أ ليس وجودك عن الحق سبحانه و كونه قادرا موقوفا و أحكامك عليه من كونه عالما موصوفا و اختصاصك بأمر دون غيره مع جوازه عليك عليه من كونه مريدا معروفا فلا يصح وجود المعدوم عن وحيد العين فإنه من أين يعقل الأين فلا بد أن تكون ذات الشيء أينا لأمر ما لا يعرفه من أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى و في معرفة الصفة و الموصوف تتبين حقيقة الأين المعروف و إلا فكيف تسأل صلى الله عليك بأين و تقبل من المسئول فاء الظرف ثم تشهد له بالإيمان الصرف و شهادتك حقيقة لا مجاز و وجوب لا جواز فلولا معرفتك صلى الله عليك بحقيقة ما قبلت قولها مع كونها خرساء في السماء ثم بعد أن أوجد العوالم اللطيفة و الكثيفة و مهد المملكة و هيأ المرتبة الشريفة أنزل في أول دورة العذراء الخليفة و لذلك جعل سبحانه مدتنا في الدنيا سبع آلاف سنة و تحل بنا في آخرها حال فناء بين نوم و سنة فننتقل إلى البرزخ الجامع للطرائق و تغلب فيه الحقائق الطيارة على جميع الحقائق فترجع الدولة للأرواح و خليفتها في ذلك الوقت طائر له ستمائة جناح و ترى الأشباح في حكم التبع للأرواح فيتحول الإنسان في أي صورة شاء لحقيقة صحت له عند البعث من القبور في الإنشاء و ذلك موقوف على سوق الجنة سوق اللطائف و المنة فانظروا رحمكم الله و أشرت إلى آدم في الزمردة البيضاء قد أودعها الرحمن في أول الآباء و انظروا إلى النور المبين و أشرت إلى الأب الثاني الذي سمانا مسلمين و انظروا إلى اللجين الأخلص و أشرت إلى من أبرأ الأكمه و الأبرص بإذن الله كما جاء به النص و انظروا إلى جمال حمرة ياقوتة النفس و أشرت إلى من بيع بِثَمَنٍ بَخْسٍ و انظروا إلى حمرة الإبريز و أشرت إلى الخليفة العزيز و انظروا إلى نور الياقوتة الصفراء في الظلام و أشرت إلى من فضل بالكلام فمن سعى إلى هذه الأنوار حتى وصل إلى ما يكشفه لك طريقها من الأسرار فقد عرف المرتبة التي لها وجد و صح له المقام الآلي و له سجد فهو الرب و المربوب و المحب و المحبوب

انظر إلى بدء الوجود و كن به	فطنا تر الجود القديم المحدثا
و الشيء مثل الشيء إلا أنه	أبداه في عين العوالم محدثا
إن أقسم الرائي بأن وجوده	أزلا فبر صادق لن يحنثا
أو أقسم الرائي بأن وجوده	عن فقده أحرى و كان مثلثا

ثم أظهرت أسرارا و قصصت أخبارا لا يسع الوقت إيرادها و لا يعرف أكثر الخلق إيجادها فتركتها موقوفة على رأس مهيعها خوفا من وضع الحكمة في غير موضعها ثم رددت من ذلك المشهد النومي العلي إلى العالم السفلي فجعلت ذلك الحمد المقدس خطبة الكتاب و أخذت في تتميم صدره ثم أشرع بعد ذلك في الكلام على ترتيب الأبواب و الحمد لله الغني الوهاب

هذه رسالة كتبت بها أما بعد فإنه

جسمي و حصل رتبة الأمناء — لما انتهى للكعبة الحسناء
صلى و أثبته من العتقاء — و سعى و طاف و ثم عند مقامها
ذاك المؤمل خاتم النباء — من قال هذا الفعل فرض واجب
قلبي فكان لهم من القرناء — و رأى بها الملأ الكريم و آدما
ضخم الدسيعة أكرم الكرماء — و لآدم ولدا تقيا طائعا
و قد اختفى في الحلة السوداء — و الكل بالبيت المكرم طائف
ذاك التبختر نخوة الخيلاء — يرخي ذلاذل برده ليريك في
يمشي بأضعف مشية الزمناء — و أبي على الملإ الكريم مقدم
فعل الأديب و جبرئيل إزائي — و العبد بين يدي أبيه مطرق
لأبي ليورثها إلى الأبناء — يبدي المعالم و المناسك خدمة
بفساد والدنا و سفك دماء — فعجبت منهم كيف قال جميعهم
عما حوته من سنا الأسماء — إذ كان يحجبهم بظلمة طينة
لكنهم فيه من الشهداء — و بدا بنور ليس فيه غيره
للأولياء معا و للأعداء — إن كان والدنا محلا جامعا
كرها بغير هوى و غير صفاء — و رأى المويهة و النويرة جاءتا
حكموا عليه بغلظة و بذاء — فبنفس ما قامت به أضداده
ما زال يحمدكم صباح مساء — و أتى يقول أنا المسبح و الذي
و أتوا في حق أبي بكل جفاء — و أنا المقدس ذات نور جلالكم
منه يمين القبضة البيضاء — لما رأوا جهة الشمال و لم يروا
و رأوه ربا طالب استيلاء — و رأوا نفوسهم و عبيدا خشعا
خص الحبيب بليلة الإسراء — لحقيقة جمعت له أسماء من
يرنو إليه بمقلة البغضاء — و رأوا منازعة اللعين بجنده

حظ العصاة و شهوتا حواء … و بذات والدنا منافق ذاته
منه بغير تردد و إباء … علموا بأن الحرب حتما واقع
فأعذرهم فهم من الصلحاء … فلذاك ما نطقوا بما نطقوا به
لا يعرفون مواقع الشحناء … فطروا على الخير الأعم جبلة
كان الإمام و هم من الخدماء … و متى رأيت أبي و هم في مجلس
عدلا فأنزلهم إلى الأعداء … و أعاد قولهم عليهم ربنا
لمقالهم في أول الآباء … فحرابة الملإ الكريم عقوبة
و نبينا في نعمة و رخاء … أو ما ترى في يوم بدر حربهم
لإلهه في نصرة الضعفاء … بعريشه متملقا متضرعا
معصومة قلبي من الأهواء … لما رأى هذي الحقائق كلها
يطوي لها بشملة و جناء … نادى فاسمع كل طالب حكمة
فيجوب كل مفازة بيداء … طي الذي يرجو لقاء مراده
نحوي ليلحق رتبة السمراء … يا راحلا يقص المهامه قاصدا
عني مقالة أنصح النصحاء … قل للذي تلقاه من شجرائي
لما جهلت رسالتي و ندائي … و اعلم بأنك خاسر في حيرة
ألفيته بالربوة الخضراء … إن الذي ما زلت أطلب شخصه
الخضرة المزدانة الغراء … البلدة الزهراء بلدة تونس
بحلوله ذي القبلة الزوراء … بمحله الأسنى المقدس تربه
من صفة النجباء و النقباء … في عصبة مختصة مختارة
من هديه بالسنة البيضاء … يمشي بهم في نور علم هداية
فيه من الإمساء للامساء … و الذكر يتلى و المعارف تنجلي
أبدا منور ليلة قمراء … بدرا لأربعة و عشر لا يرى
جلت حقائقه عن الإفشاء … و ابن المرابط فيه واحد شأنه

و بنوه قد حفوا بعرش مكانه   فهو الإمام و هم من البدلاء
فكأنه و كأنهم في مجلس   بدر تحف به نجوم سماء
و إذا أتاك بحكمة علوية   فكأنه ينبي عن العنقاء
فلزمته حتى إذا حلت به   أنثى لها نجل من الغرباء
حبر من الأحبار عاشق نفسه   سر الجبانة سيد الظرفاء
من عصبة النظار و الفقهاء   لكنه فيهم من الفضلاء
وافى و عندي للتنفل نية   في كل وقت من دجى و ضحاء
فتركته و رحلت عنه و عنده   مني تغير غيرة الأدباء
و بدأ يخاطبني بأنك خنتني   في عترتي و صحابتي القدماء
و أخذت تائبنا الذي قامت به   داري و لم تخبر به سجرائي
و الله يعلم نيتي و طويتي   في أمر تائبه و صدق وفائي
فإنا على العهد القديم ملازم   فوداده صاف من الأقذاء
و متى وقعت على مفتش حكمة   مستورة في الغضة الحوراء
متحير متشوف قلنا له   يا طالب الأسرار في الإسراء
أسرع فقد ظفرت يداك بجامع   لحقائق الأموات و الأحياء
نظر الوجود فكان تحت نعاله   من مستواه إلى قرار الماء
ما فوقه من غاية يعنو لها   إلا هو فهو مصرف الأشياء
لبس الرداء تنزها و إزاره   لما أراد تكون الإنشاء
فإذا أراد تمتعا بوجوده   من غير ما نظر إلى الرقباء
شال الرداء فلم يكن متكبرا   و إزار تعظيم على القرناء
فبدا وجود لا تقيده لنا   صفة و لا اسم من الأسماء
إن قيل من هذا و من تعني به   قلنا المحقق آمر الأمراء
شمس الحقيقة قطبها و إمامها   سر العباد و عالم العلماء

نور البصائر خاتم الخلفاء … عبد تسود وجهه من همه
غوث الخلائق أرحم الرحماء … سهل الخلائق طيب عذب الجنى
و بهاء عزته عن النظراء … جلت صفات جلاله و جماله
بين العبيد الصم و الأجراء … يمضي المشيئة في البنين مقسما
محفوظة الأنحاء و الأرجاء … ما زال سائس أمة كانت به
أرى إذا ما جئته لحباء … شري إذا نازعته في ملكه
كالماء يجري من صفا صماء … صلب و لكن لين لعفاته
محيي الولاة و مهلك الأعداء … يغني و يفقر من يشاء فأمره
عنها يقصر أخطب الخطباء … لا أنس إذ قال الإمام مقالة
لذواتنا فإنا بحيث ردائي … كنا بنا و رداء و صلى جامع
مجلوة في اللجة العمياء … فانظر إلى السر المكتم درة
عينا كجبرة عودة الإبداء … حتى يحار الخلق في تكييفها
الشمس تنفي حندس الظلماء … عجبا لها لم تخفها أصدافها
قيل اكتبوا عبدي من الأمناء … فإذا أتى بالسر عبد هكذا
تدري به أرضي فكيف سمائي … إن كان يبدي السر مستورا فما
إذ كان عيي واقفا بجذائي … لما أتيت ببعض وصف جلاله
في الذات و الأوصاف و الأسماء … قالوا لقد ألحقته بإلهنا
سواك خلقا في دجى الأحشاء … فبأي معنى تعرف الحق الذي
من موجد الكون الأعم سوائي … قلنا صدقت و هل عرفت محققا
نفسي فنفسي عين ذات ثنائي … فإذا مدحت فإنما أثنى على
قسمت ما عندي على الغرماء … و إذا أردت تعرفا بوجوده
فظهوره وقف على إخفائي … و عدمت من عيني فكان وجوده
فردا و عيني ظاهر و بقائي … جل الإله الحق أن يبدو لنا

لو كان ذاك لكان فردا طالبا   متجسسا متجسسا لثنائي
هذا محال فليصح وجوده   في غيبتي عن عينه و فنائي
فمتى ظهرت إليكم أخفيته   إخفاء عين الشمس في الأنواء
فالناظرون يرون نصب عيونهم   سحبا تصرفها يد الأهواء
و الشمس خلف الغيم تبدي نورها   للسحب و الأبصار في الظلماء
فيقول قد بخلت علي و إنها   مشغولة بتحلل الأجزاء
لتجود بالمطر الغزير على الثرى   من غير ما نصب و لا إعياء
و كذاك عند شروقها في نورها   تمحو طوالع نجم كل سماء
فإذا مضت بعد الغروب بساعة   ظهرت لعينك أنجم الجوزاء
هذا لميتها و ذاك لحيها   في ذاتها و تقول حسن رآء
فخفاؤه من أجلنا و ظهوره   من أجله و الرمز في الأفياء
كخفائنا من أجله و ظهورنا   من أجلنا فسناه عين ضيائي
ثم التفت بالعكس رمزا ثانيا   جلت عوارفه عن الإحصاء
فكأننا سيان في أعياننا   كصفا الزجاجة في صفا الصهباء
فالعلم يشهد مخلصين تألفا   و العين تعطي واحدا للرائي
فالروح ملتذ بمبدع ذاته   و بذاته من جانب الأكفاء
و الحس ملتذ برؤية ربه   فإن عن الإحساس بالنعماء
فالله أكبر و الكبير ردائي   و النور بدري و الضياء ذكائي
و الشرق غربي و المغارب مشرقي   و البعد قربى و الدنو تنائي
و النار غيبي و الجنان شهادتي   و حقائق الخلق الجديد إمائي
فإذا أردت تنزها في روضتي   أبصرت كل الخلق في مرائي
و إذا انصرفت أنا الإمام و ليس لي   أحد أخلفه يكون ورائي
فالحمد لله الذي أنا جامع   لحقائق المنشئ و الإنشاء

ضاقت مسالكها على الفصحاء | هذا قريضي منبئ بعجائب
و لتشكر أيضا إلى العذراء | فاشكر معي عبد العزيز إلهنا
و لوالديك و أنت عين قضائي | شرعا فإن الله قال اشكر لنا

و بعد حمد الله بحمد الحمد لا بسواه و الصلاة التامة على من أسرى به إلى مستواه فاعلم أيها العاقل الأديب الولي الحبيب أن الحكيم إذا نأت به الدار عن قسيمه و حالت صروف الدهر بينه و بين حميمه لا بد أن يعرفه بكل ما اكتسبه في غيبته و ما حصله من الأمتعة الحكمية في غيبته ليسر وليه بما أسداه إليه البر الرحيم من لطائفه و منحه من عوارفه و أودعه من حكمه و أسمعه من كلمه فكان وليه ما غاب عنه بما عرف منه و إن كان الولي أبقاه الله قد أصاب صفاء وده بعض كدر لعرض و ظهر منه انقباض عند الوداع لإتمام غرض فقد غمض وليه عن ذلك جفن الانتقاد و جعله من الولي أبقاه الله من كريم الاعتقاد إذ لا يهتم منك إلا من يسأل عنك فليهنأ الولي أبقاه الله فإن القلب سليم و الود كما يعلم بين الجوانح مقيم وقد علم الولي أبقاه الله أن الود فيه كان إليا لا غرضيا و لا نفسيا و ثبت هذا عنده قديما عني من غير علة و لا فاقة إليه و لا قلة و لا طلب لمثوبة و لا حذر من عقوبة و ربما كان من الولي حفظه الله تعالى في الرحلة الأولى التي رحلت إليه سنة تسعين وخمسمائة عدم التفات فيها إلى جانبي و نفور عن الجري على مقاصدي و مذاهبي لما لاحظ فيها رضي الله عنه من النقص و عذرته في ذلك فإنه أعطاه ذلك مني ظاهر الحال و شاهد النص فإني سترت عنه و عن بنيه ما كنت عليه في نفسي بما أظهرته إليهم من سوء حالي و شره حسي و ربما كنت ألوح لهم أحيانا على طريق التنبيه فيأبى الله أن يلحظني واحد منهم بعين التنزيه و لقد قرعت أسماعهم يوما في بعض المجالس و الولي أبقاه الله في صدر ذلك المجلس جالس بأبيات أنشدتها و في كتاب الإسراء لنا أودعتها و هي

و روح الروح لا روح الأواني | أنا القرآن و السبع المثاني
يشاهده و عندكم لساني | فؤادي عند معلومي مقيم
وعد عن التنعم بالمغاني | فلا تنظر بطرفك نحو جسمي
عجائب ما تبدت للعيان | و غص في بحر ذات الذات تبصر
مسترة بأرواح المعاني | و أسرار تراءت مبهمات

فو الله ما أنشدت من هذه القطعة بيتا إلا و كأني أسمعه ميتا و سبب ذلك حكمة أبغي رضاها و حاجة في نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها و ما أحس بي من ذلك الجمع المكرم إلا أبو عبد الله بن المرابط كليمهم المبرز المقدم و لكن بعض إحساس و الغالب عليه في أمري الالتباس و أما الشيخ المسن المرحوم جراح فكنت قد تكاشفت معه على نية في حضرة عليه و لم أزل بعد مفارقتي حضرة الولي أبقاه الله له ذاكرا و لأحواله شاكرا و بمناقبه ناطقا و لآدابه عاشقا و ربما سطرت من ذلك في الكتب ما سارت به الركبان و شهر في بعض البلدان و قد وقف الولي عليه و رأى

بعض ما لديه فقد ثبت له الود مني قبل سبب يقتضيه و غرض عاجل أو آجل يشبته في النفس و يمضيه ثم كان الاجتماع بالولي تولاه الله بعد ذلك بأعوام في محله الأسنى و كانت الإقامة معه تسعة أشهر دون أيام في العيش الأرغد الأهنى عيش روح و شبح و قد جاد كل واحد منا بذاته على صفيه و سمح ولي رفيق و له رفيق و كلاهما صديق و صديق فرفيقه شيخ عاقل محصل ضابط يعرف بأبي عبد الله بن المرابط ذو نفس أبية و أخلاق رضية و أعمال زكية و خلال مرضية يقطع الليل تسبيحا و قرآنا و يذكر الله على أكثر أحيانه سرا و إعلانا بطل في ميدان المعاملات فهم لما يرد به صاحب المنازل و المنازلات منصف في حاله مفرق بين حقه و محاله و أما رفيقي فضياء خالص و نور صرف حبشي اسمه عبد الله بدر لا يلحقه خسف يعرف الحق لأهله فيؤديه و يوقفه عليهم و لا يعديه قد نال درجة التمييز و تخلص عند السبك كالذهب الإبريز كلامه حق و وعده صدق فكنا الأربعة الأركان التي قام عليها شخص العالم و الإنسان فافترقنا و نحن على هذه الحال لانحراف قام ببعض هذه المحال فإني كنت نويت الحج و العمرة ثم أسرع إلى مجلسه الكريم الكرة فلما وصلت أم القرى بعد زيارتي الخليل الذي سن القرى و بعد صلاتي بالصخرة و الأقصى و زيارة سيدي سيد ولد آدم ديوان الإحاطة و الإحصاء أقام الله في خاطري أن أعرف الولي أبقاه الله بفنون من المعارف حصلتها في غيبتي و أهدى إليه أكرمه الله من جواهر العلم التي اقتنيتها في غربتي فقيدت له هذه الرسالة اليتيمة التي أوجدها الحق لأعراض الجهل تميمة و لكل صاحب صفي و محقق صوفي و لحبيبنا الولي و أخينا الذكي و ولدنا الرضي عبد الله بدر الحبشي اليمني معتق أبي الغنائم ابن أبي الفتوح الحراني و سميتها رسالة الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية و الملكية إذ كان الأغلب فيما أودعت هذه الرسالة ما فتح الله به علي عند طوافي ببيته المكرم أو قعودي مراقبا له بحرمه الشريف المعظم و جعلتها أبوابا شريفة و أودعتها المعاني اللطيفة فإن الإنسان لا تسهل عليه شدائد البداية إلا إذا عرف شرف الغاية و لا سيما إن ذاق من ذلك عذوبة الجنى و وقع منه بموقع المني فإذا حصر الباب البصر تردد عليه عين بصيرة الحكيم فنظر فاستخرج اللآلي و الدرر و يعطيه الباب عند ذلك ما فيه من حكم روحانية و نكت ربانية على قدر نفوذه و فهمه و قوة عزمه و وهمه و اتساع نفسه من أجل غطسه في أعماق بحار علمه

كنت المراقب لم أكن باللاهي ... لما لزمت قرع باب الله
و إلى هلم لم تكن إلا هي ... حتى بدت للعين سبحة وجهه
في قلبنا علم بغير الله ... فاحطت علما بالوجود فما لنا
لم يسألوك عن الحقائق ما هي ... لو يسلك الخلق الغريب محجتي

فلنقدم قبل الشروع في الكلام على أبواب هذا الكتاب بابا في فهرست أبوابه ثم أتلوه بمقدمة في تمهيد ما يتضمنه هذا الكتاب من العلوم الإلهية الإسرارية و على أثرها يكون الكلام على الأبواب على حسب ترتيبها في باب الفهرست إن شاء الله تعالى وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الأول و الحمد لله يتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى و صلى الله على محمد و على آله الطاهرين

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«باب في فهرست أبواب الكتاب و ليس معدودا في الأبواب و هو على فصول ستة»

«الفصل الأول في المعارف»

(الباب الأول) في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب و ما كان بيني و بينه من الأسرار

(الباب الثاني) في معرفة مراتب الحروف و الحركات من العالم و ما لها من الأسماء الحسنى و معرفة الكلمات التي توهم التشبيه و معرفة العلم و العالم و المعلوم

(الباب الثالث) في تنزيه الحق عما في طي الكلمات التي أطلقت عليه في كتابه و على لسان رسوله ع من التشبيه و التجسيم

(الباب الرابع) في سبب بدء العالم و نشئه و مراتب الأسماء الحسنى في العالم

(الباب الخامس) في معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم من جهة ما لا من جميع وجوهه

(الباب السادس) في معرفة بدء الخلق الروحاني و من هو أول موجود فيه و مم وجد و فيم وجد و على أي مثال وجد و لم وجد و ما غايته و معرفة أفلاك العالم الأكبر و الأصغر

(الباب السابع) في معرفة بدء الجسوم الإنسانية و هو آخر موجود من العالم الأكبر

(الباب الثامن) في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم ع و ما فيها من الغرائب و العجائب و تسمى أرض الحقيقة

(الباب التاسع) في معرفة وجود الأرواح النارية المارجية

(الباب العاشر) في معرفة دورة الملك و أول منفصل فيها عن أول موجود و آخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه و بما ذا عمر الموضع المنفصل عنه منهما و تمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها و ما مرتبة العالم الذي بين عيسى ع و بين محمد صلى الله عليه و سلم

(الباب الحادي عشر) في معرفة آبائنا العلويات و أمهاتنا السفليات

(الباب الثاني عشر) في معرفة دورة سيد العالم محمد صلى الله عليه و سلم و أن الزمان في وقته استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى

(الباب الثالث عشر) في معرفة حملة العرش و هم إسرافيل و آدم و ميكائيل و إبراهيم و جبريل و محمد و رضوان و مالك عليهم السلام

(الباب الرابع عشر) في معرفة أسرار أنباء الأولياء و أقطاب الأمم من آدم إلى محمد عليهما السلام و أن القطب واحد منذ خلقه الله لم يمت و أين مسكنه

(الباب الخامس عشر) في معرفة الأنفاس و معرفة أقطابها المحققين بها و أسرارهم

(الباب السادس عشر) في معرفة المنازل السفلية و العلوم الكونية و مبدأ معرفة الحق تعالى منها و معرفة الأوتاد و الأشخاص السبعة البدلاء

و من تولاهم من الأرواح العلوية و ترتيب أفلاكها

(الباب السابع عشر) في معرفة انتقال العلوم الكونية و نبذ من العلوم الإلهية الممدة الأصلية

(الباب الثامن عشر) في معرفة علم المتهجدين و ما يتعلق به من المسائل و مقداره في مراتب العلوم و ما يظهر منه من العلوم في الوجود الكوني

(الباب التاسع عشر) في سبب نقص العلوم و زيادتها و قوله تعالى وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و قوله ع إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء و لكن يقبضه بقبض العلماء الحديث

(الباب الموفي عشرين) في معرفة العلم العيسوي و من أين جاء و إلى أين ينتهي و كيفيته و هل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما

(الباب الحادي و العشرون) في معرفة ثلاثة علوم كونية و توالج بعضها في بعض

(الباب الثاني و العشرون) في معرفة علم المنزل و المنازل و ترتيب جميع العلوم الكونية

(الباب الثالث و العشرون) في معرفة الأقطاب المصونين و أسرار منازل صونهم

(الباب الرابع و العشرون) في معرفة جاءت عن العلوم الكونية و ما تتضمنه من العجائب و من حصلها من العالم و مراتب أقطابهم و أسرار الاشتراك بين شريعتين و القلوب المتعشقة بالأنفاس و أصلها و إلى كم تنتهي منازلها

(الباب الخامس و العشرون) في معرفة وتد مخصوص معمر و أسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العالم و سر المنزل و المنازل و من دخله من العالم

(الباب السادس و العشرون) في معرفة أقطاب الرموز و تلويحات من أسرارهم و علومهم

(الباب السابع و العشرون) في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك و هو من منازل العالم النوراني و أسرارهم

(الباب الثامن و العشرون) في معرفة أقطاب أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ

(الباب التاسع و العشرون) في معرفة سر سلمان الذي ألحقه بأهل البيت و الأقطاب الذين منهم ورثه و معرفة أسرارهم

(الباب الثلاثون) في معرفة الطبقة الأولى و الثانية من الأقطاب الركبانية

(الباب الحادي و الثلاثون) في معرفة أصول الركبان

(الباب الثاني و الثلاثون) في معرفة الأقطاب المدبرين من الفرقة الثانية الركبانية

(الباب الثالث و الثلاثون) في معرفة الأقطاب النباتيين و أسرارهم و كيفية أصولهم

(الباب الرابع و الثلاثون) في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس فعاين بها أسرارا أذكرها

(الباب الخامس و الثلاثون) في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس و أسراره بعد موته

(الباب السادس و الثلاثون) في معرفة العيسويين و أقطابهم و أصولهم

(الباب السابع و الثلاثون) في معرفة الأقطاب العيسويين و أسرارهم

(الباب الثامن و الثلاثون) في معرفة من اطلع على المقام المحمدي و لم ينله من الأقطاب

(الباب التاسع و الثلاثون) في معرفة المنزل الذي ينحط إليه الولي إذا طرده الحق عافانا الله و إياك و ما يتعلق بهذا المنزل من العجائب و العلوم الإلهية و معرفة أسرار أقطاب هذا المنزل

(الباب الأربعون) في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من علوم الكون و ترتيبه و غرائبه و أقطابه

(الباب الحادي و الأربعون) في معرفة أهل الليل و اختلاف طبقاتهم و تباينهم في مراتبهم و أسرار أقطابهم

(الباب الثاني و الأربعون) في معرفة الفتوة و الفتيان و منازلهم و طبقاتهم و أسرار أقطابهم

(الباب الثالث و الأربعون) في معرفة جماعة من أقطاب الورعين و عامة ذلك المقام

(الباب الرابع و الأربعون) في معرفة البهاليل و أئمتهم في البهللة

(الباب الخامس و الأربعون) في معرفة من عاد بعد ما وصل و من جعله يعود

(الباب السادس و الأربعون) في معرفة العلم القليل و من حصله من الصالحين

(الباب السابع و الأربعون) في معرفة أسرار و وصف المنازل السفلية و مقاماتها و كيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن إليها مع علو مقامه و ما السر الذي يتجلى له حتى يدعوه إلى ذلك

(الباب الثامن و الأربعون) في معرفة إنما كان كذا لكذا

(الباب التاسع و الأربعون) في معرفة إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن و معرفة هذا المنزل و رجاله

(الباب الخمسون) في معرفة رجال الحيرة و العجز

(الباب الحادي و الخمسون) في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن

(الباب الثاني و الخمسون) في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف من حضرة الغيب إلى عالم الشهادة

(الباب الثالث و الخمسون) في معرفة ما يلقي المريد على نفسه من وظائف الأعمال قبل وجود الشيخ

(الباب الرابع و الخمسون) في معرفة الإشارات

(الباب الخامس و الخمسون) في معرفة الخواطر الشيطانية

(الباب السادس و الخمسون) في معرفة الاستقراء و صحته و سقمه

(الباب السابع و الخمسون) في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال و معرفة النفس

(الباب الثامن و الخمسون) في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين و معرفة علم إلهي فاض على القلب ففرق خواطره و شتتها

(الباب التاسع و الخمسون) في معرفة الزمان الموجود و المقدر

(الباب الستون) في معرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي و في أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى و أي روحانية تنظرنا

(الباب الحادي و الستون) في معرفة جهنم و أعظم المخلوقات عذابا فيها و معرفة بعض العالم العلوي

(الباب الثاني و الستون) في معرفة مراتب النار

(الباب الثالث و الستون) في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا و البعث

(الباب الرابع و الستون) في معرفة القيامة و منازلها و كيفية البعث

(الباب الخامس و الستون) في معرفة الجنة و منازلها و درجاتها و ما يتعلق بهذا الباب

(الباب السادس و الستون) في معرفة سر الشريعة ظاهرا و باطنا و أي اسم أوجدها

(الباب السابع و الستون) في معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله

(الباب الثامن و الستون) في معرفة أسرار الطهارة

(الباب التاسع و الستون) في معرفة أسرار الصلاة

(الباب السبعون) في معرفة أسرار الزكاة

(الباب الحادي و السبعون) في معرفة أسرار الصيام

(الباب الثاني و السبعون) في معرفة أسرار الحج و معرفة مناسكه و آيات بيته المكرم و ما أشهدني الحق عند طوافي بالبيت من أسرار الطواف

(الباب الثالث و السبعون) في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة و الانحراف و على كم ينحرف من المقابلة

«الفصل الثاني في المعاملات»

(الباب الرابع و السبعون) في التوبة

(الباب الخامس و السبعون) في ترك التوبة

(الباب السادس و السبعون) في المجاهدة

(الباب السابع و السبعون) في ترك المجاهدة

(الباب الثامن و السبعون) في الخلوة

(الباب التاسع و السبعون) في ترك الخلوة

(الباب الثمانون) في العزلة

(الباب الحادي و الثمانون) في ترك العزلة

(الباب الثاني و الثمانون) في الفرار

(الباب الثالث و الثمانون) في ترك الفرار

(الباب الرابع و الثمانون) في تقوى الله

(الباب الخامس و الثمانون) في تقوى الحجاب و الستر

(الباب السادس و الثمانون) في تقوى الحدود الدنيوية

(الباب السابع و الثمانون) في تقوى النار

(الباب الثامن و الثمانون) في معرفة أسرار أحكام أصول الشرع

(الباب التاسع و الثمانون) في معرفة النوافل على الإطلاق

(الباب التسعون) في معرفة أسرار الفرائض و السنن

(الباب الحادي و التسعون) في معرفة الورع و أسراره

(الباب الثاني و التسعون) في معرفة مقام ترك الورع

(الباب الثالث و التسعون) في معرفة الزهد و أسراره

(الباب الرابع و التسعون) في معرفة مقام ترك الزهد

(الباب الخامس و التسعون) في معرفة أسرار الجود و الكرم و السخاء و الإيثار على الخصاصة و على غير الخصاصة مع طلب العوض و تركه

(الباب السادس و التسعون) في معرفة الصمت و أسراره

(الباب السابع و التسعون) في معرفة مقام الكلام و أسراره

(الباب الثامن و التسعون) في معرفة مقام السهر و أسراره

(الباب التاسع و التسعون) في معرفة مقام النوم و أسراره

(الباب الموفي مائة) في معرفة مقام الخوف و أسراره

(الباب الحادي و مائة) في معرفة مقام ترك الخوف و أسراره

(الباب الثاني و مائة) في معرفة مقام الرجاء و أسراره

(الباب الثالث و مائة) في معرفة مقام ترك الرجاء و أسراره

(الباب الرابع و مائة) في معرفة مقام الحزن و أسراره

(الباب الخامس و مائة) في معرفة مقام ترك الحزن و سببه

(الباب السادس و مائة) في معرفة مقام الجوع و أسراره

(الباب السابع و مائة) في معرفة مقام ترك الجوع و سببه

(الباب الثامن و مائة) في معرفة الفتنة و الشهوة و صحبة الأحداث و النسوان و أخذ الإرفاق منهن و متى يأخذ المريد الإرفاق

(الباب التاسع و مائة) في معرفة الفرق بين الشهوة و الإرادة و بين الشهوة التي لنا في الدنيا و الشهوة التي لنا في الجنة و الفرق بين اللذة و الشهوة و معرفة مقام من يشتهي و من يشتهي و من لا يشتهي و من لا يشتهي و من يشتهي و لا يشتهي و من لا يشتهي و يشتهي

(الباب العاشر و مائة) في معرفة مقام أسرار الخشوع و الخضوع

(الباب الحادي عشر و مائة) في معرفة مقام ترك الخشوع و الخضوع و أسراره

(الباب الثاني عشر و مائة) في معرفة مخالفة النفس و أسرارها

(الباب الثالث عشر و مائة) في معرفة مقام مساعدة النفس في أغراضها و أسراره

(الباب الرابع عشر و مائة) في معرفة مقام الحسد و الغبط و محمودهما و مذمومهما

(الباب الخامس عشر و مائة) في معرفة مقام الغيبة و محمودها من مذمومها

(الباب السادس عشر و مائة) في معرفة مقام القناعة و أسرارها

(الباب السابع عشر و مائة) في معرفة مقام الشرة و الحرص

(الباب الثامن عشر و مائة) في معرفة مقام التوكل و أسراره

(الباب التاسع عشر و مائة) في معرفة مقام ترك التوكل

(الباب الموفي عشرين و مائة) في معرفة مقام الشكر و أسراره

(الباب الحادي و العشرون و مائة) في معرفة مقام ترك الشكر و أسرار ه

(الباب الثاني و العشرون و مائة) في معرفة مقام اليقين و أسرار ه

(الباب الثالث و العشرون و مائة) في معرفة مقام ترك اليقين و أسرار ه

(الباب الرابع و العشرون و مائة) في معرفة مقام الصبر و تفاصيله و أسرار ه

(الباب الخامس و العشرون و مائة) في معرفة مقام ترك الصبر و أسرار ه

(الباب السادس و العشرون و مائة) في المراقبة و أسرارها

(الباب السابع و العشرون و مائة) في ترك المراقبة و مقامها و أسرارها

(الباب الثامن و العشرون و مائة) في الرضي و أسرار ه

(الباب التاسع و العشرون و مائة) في ترك الرضي و أسرار ه

(الباب الثلاثون و مائة) في العبودة و أسرارها

(الباب الحادي و الثلاثون و مائة) في ترك العبودة و أسرار ه

(الباب الثاني و الثلاثون و مائة) في معرفة مقام الاستقامة و أسرار ه

(الباب الثالث و الثلاثون و مائة) في معرفة ترك الاستقامة و أسرار ه

(الباب الرابع و الثلاثون و مائة) في معرفة مقام الإخلاص و أسرار ه

(الباب الخامس و الثلاثون و مائة) في معرفة مقام ترك الإخلاص و أسرار ه

(الباب السادس و الثلاثون و مائة) في معرفة مقام الصدق و أسرار ه

(الباب السابع و الثلاثون و مائة) في معرفة مقام ترك الصدق و أسرار ه

(الباب الثامن و الثلاثون و مائة) في معرفة مقام الحياء و أسرار ه

(الباب التاسع و الثلاثون و مائة) في معرفة مقام ترك الحياء و أسرار ه

(الباب الأربعون و مائة) في معرفة مقام الحرية و أسرار ه

(الباب الحادي و الأربعون و مائة) في معرفة مقام ترك الحرية و أسرار ه

(الباب الثاني و الأربعون و مائة) في معرفة مقام الذكر و أسرار ه

(الباب الثالث و الأربعون و مائة) في معرفة مقام ترك الذكر و أسرار ه

(الباب الرابع و الأربعون و مائة) في معرفة مقام الفكر و أسراره
(الباب الخامس و الأربعون و مائة) في معرفة مقام ترك الفكر و أسراره
(الباب السادس و الأربعون و مائة) في معرفة مقام الفتوة و أسراره
(الباب السابع و الأربعون و مائة) في معرفة مقام ترك الفتوة و أسراره
(الباب الثامن و الأربعون و مائة) في معرفة مقام الفراسة و أسراره
(الباب التاسع و الأربعون و مائة) في معرفة مقام الخلق و أسراره
(الباب الخمسون و مائة) في معرفة مقام الغيرة و أسراره
(الباب الحادي و الخمسون و مائة) في معرفة مقام ترك الغيرة و أسراره
(الباب الثاني و الخمسون و مائة) في معرفة مقام الولاية و أسراره
(الباب الثالث و الخمسون و مائة) في معرفة الولاية البشرية و أسراره التي تتضمن الولاية الإلهية
(الباب الرابع و الخمسون و مائة) في معرفة مقام الولاية الملكية و أسراره
(الباب الخامس و الخمسون و مائة) في معرفة مقام النبوة و أسراره
(الباب السادس و الخمسون و مائة) في معرفة مقام النبوة البشرية و أسراره
(الباب السابع و الخمسون و مائة) في معرفة مقام النبوة الملكية و أسراره
(الباب الثامن و الخمسون و مائة) في معرفة مقام الرسالة و أسراره
(الباب التاسع و الخمسون و مائة) في معرفة مقام الرسالة البشرية و أسراره
(الباب الستون و مائة) في معرفة مقام الرسالة الملكية
(الباب الحادي و الستون و مائة) في معرفة المقام الذي بين النبوة و الصديقية
(الباب الثاني و الستون و مائة) في معرفة مقام الفقر و أسراره
(الباب الثالث و الستون و مائة) في معرفة مقام الغني و أسراره
(الباب الرابع و الستون و مائة) في معرفة مقام التصوف و أسراره
(الباب الخامس و الستون و مائة) في معرفة مقام التحقيق و المحققين
(الباب السادس و الستون و مائة) في معرفة مقام الحكمة و الحكماء

(الباب السابع و الستون و مائة) في معرفة مقام كيمياء السعادة و أسراره

(الباب الثامن و الستون و مائة) في معرفة مقام الأدب و أسراره

(الباب التاسع و الستون و مائة) في معرفة مقام ترك الأدب و أسراره

(الباب السبعون و مائة) في معرفة مقام الصحبة و أسراره

(الباب الحادي و السبعون و مائة) في معرفة مقام ترك الصحبة و أسراره

(الباب الثاني و السبعون و مائة) في معرفة مقام التوحيد و أسراره

(الباب الثالث و السبعون و مائة) في معرفة مقام التثنية و هو الشرك و أسراره

(الباب الرابع و السبعون و مائة) في معرفة مقام السفر و هو السياحة و أسراره

(الباب الخامس و السبعون و مائة) في معرفة مقام ترك السفر و أسراره

(الباب السادس و السبعون و مائة) في معرفة أحوال القوم عند الموت على قدر مقاماتهم

(الباب السابع و السبعون و مائة) في معرفة مقام المعرفة على الاختلاف الذي بين الصوفية فيها و المحققين

(الباب الثامن و السبعون و مائة) في معرفة مقام المحبة و أسرارها

(الباب التاسع و السبعون و مائة) في معرفة مقام الخلة و أسراره

(الباب الثمانون و مائة) في معرفة مقام الشوق و الاشتياق و أسرارهما

(الباب الحادي و الثمانون و مائة) في معرفة مقام احترام الشيوخ و حفظ قلوبهم

(الباب الثاني و الثمانون و مائة) في معرفة مقام السماع و أسراره

(الباب الثالث و الثمانون و مائة) في معرفة مقام ترك السماع و أسراره

(الباب الرابع و الثمانون و مائة) في معرفة مقام الكرامات

(الباب الخامس و الثمانون و مائة) في معرفة مقام ترك الكرامات

(الباب السادس و الثمانون و مائة) في معرفة مقام خرق العادات

(الباب السابع و الثمانون و مائة) في معرفة مقام المعجزة و كيف يكون ذلك الفعل المعجز كرامة لمن كانت له و عليها معجزة لاختلاف الأحوال

(الباب الثامن و الثمانون و مائة) في معرفة مقام الرؤيا و هي المبشرات

(الباب التاسع و الثمانون و مائة) في معرفة صورة السالك

«الفصل الثالث في الأحوال»

(الباب التسعون و مائة) في معرفة المسافر و أحواله

(الباب الحادي و التسعون و مائة) في معرفة السفر و الطريق

(الباب الثاني و التسعون و مائة) في معرفة الحال و أسراره و رجاله

(الباب الثالث و التسعون و مائة) في معرفة المقام و أسراره

(الباب الرابع و التسعون و مائة) في معرفة المكان و أسراره

(الباب الخامس و التسعون و مائة) في معرفة الشطح و أسراره

(الباب السادس و التسعون و مائة) في معرفة الطوالع و أسرارها

(الباب السابع و التسعون و مائة) في معرفة الذهاب و أسراره

(الباب الثامن و التسعون و مائة) في معرفة النفس بفتح الفاء و أسراره

(الباب التاسع و التسعون و مائة) في معرفة السر و أسراره

(الباب الموفي مائتين) في معرفة الوصل و أسراره

(الباب الحادي و مائتان) في معرفة الفصل و أسراره

(الباب الثاني و مائتان) في معرفة الأدب و أسراره

(الباب الثالث و مائتان) في معرفة الرياضة و أسرارها

(الباب الرابع و مائتان) في معرفة التحلي بالحاء المهملة و أسراره

(الباب الخامس و مائتان) في معرفة التخلي بالخاء المعجمة و أسراره

(الباب السادس و مائتان) في معرفة التجلي بالجيم و أسراره

(الباب السابع و مائتان) في معرفة العلة و أسرارها

(الباب الثامن و مائتان) في معرفة الانزعاج و أسراره

(الباب التاسع و مائتان) في معرفة المشاهدة و أسرارها

(الباب العاشر و مائتان) في معرفة المكاشفة و أسرارها

(الباب الحادي عشر و مائتان) في معرفة اللوائح و أسرارها

(الباب الثاني عشر و مائتان) في معرفة التلوين و أسراره

(الباب الثالث عشر و مائتان) في معرفة الغيرة و أسرارها

(الباب الرابع عشر و مائتان) في معرفة الحيرة و أسرارها

(الباب الخامس عشر و مائتان) في معرفة اللطيفة و أسرارها

(الباب السادس عشر و مائتان) في معرفة الفتوح و أسراره

(الباب السابع عشر و مائتان) في معرفة الوسم و الرسم و أسرارهما

(الباب الثامن عشر و مائتان) في معرفة القبض و أسراره

(الباب التاسع عشر و مائتان) في معرفة البسط و أسراره

(الباب الموفي عشرين و مائتان) في معرفة الفناء و أسراره

(الباب الحادي و العشرون و مائتان) في معرفة البقاء و أسراره

(الباب الثاني و العشرون و مائتان) في معرفة الجمع و أسراره

(الباب الثالث و العشرون و مائتان) في معرفة التفرقة و أسرارها

(الباب الرابع و العشرون و مائتان) في معرفة عين التحكيم و أسراره

(الباب الخامس و العشرون و مائتان) في معرفة الزوائد و أسرارها

(الباب السادس و العشرون و مائتان) في معرفة الإرادة و أسرارها

(الباب السابع و العشرون و مائتان) في معرفة حال المراد و سره

(الباب الثامن و العشرون و مائتان) في معرفة المريد و أسراره

(الباب التاسع و العشرون و مائتان) في معرفة الهمة و أسرارها

(الباب الثلاثون و مائتان) في معرفة الغربة و أسرارها

(الباب الحادي و الثلاثون و مائتان) في معرفة المكر و أسراره

(الباب الثاني و الثلاثون و مائتان) في معرفة الاصطلام و أسراره

(الباب الثالث و الثلاثون و مائتان) في معرفة الرغبة و أسرارها

(الباب الرابع و الثلاثون و مائتان) في معرفة الرهبة و أسرارها

(الباب الخامس و الثلاثون و مائتان) في معرفة التواجد و أسراره

(الباب السادس و الثلاثون و مائتان) في معرفة الوجد و أسراره

(الباب السابع و الثلاثون و مائتان) في معرفة الوجود

(الباب الثامن و الثلاثون و مائتان) في معرفة الوقت و أسراره

(الباب التاسع و الثلاثون و مائتان) في معرفة الهيبة و أسرارها

(الباب الأربعون و مائتان) في معرفة الأنس و أسراره

(الباب الحادي و الأربعون و مائتان) في معرفة الجلال و أسراره

(الباب الثاني و الأربعون و مائتان) في معرفة الجمال و أسراره

(الباب الثالث و الأربعون و مائتان) في معرفة الكمال و هو الاعتدال و هو الأعراف و هو أيضا سور الحديد و هو التجريد عن حكم الأوصاف عليه

(الباب الرابع و الأربعون و مائتان) في معرفة الغيبة و أسرارها

(الباب الخامس و الأربعون و مائتان) في معرفة الحضور و أسراره

(الباب السادس و الأربعون و مائتان) في معرفة الشكر و أسراره

(الباب السابع و الأربعون و مائتان) في معرفة الصحو و أسراره

(الباب الثامن و الأربعون و مائتان) في معرفة الذوق و أسراره

(الباب التاسع و الأربعون و مائتان) في معرفة الشرب و أسراره

(الباب الخمسون و مائتان) في معرفة الري و أسراره

(الباب الحادي و الخمسون و مائتان) في معرفة عدم الري لمن شرب و أسراره

(الباب الثاني و الخمسون و مائتان) في معرفة المحو و أسراره

(الباب الثالث و الخمسون و مائتان) في معرفة الإثبات و أسراره

(الباب الرابع و الخمسون و مائتان) في معرفة الستر و أسراره

(الباب الخامس و الخمسون و مائتان) في معرفة المحق و محق المحق

(الباب السادس و الخمسون و مائتان) في معرفة الإبدار و أسراره

(الباب السابع و الخمسون و مائتان) في معرفة المحاضرة و أسرارها

(الباب الثامن و الخمسون و مائتان) في معرفة اللوامع و أسرارها

(الباب التاسع و الخمسون و مائتان) في معرفة الهجوم و البوادة و أسرارهما

(الباب الستون و مائتان) في معرفة القرب و أسراره

(الباب الحادي و الستون و مائتان) في معرفة البعد و أسراره

(الباب الثاني و الستون و مائتان) في معرفة الشريعة

(الباب الثالث و الستون و مائتان) في معرفة الحقيقة

(الباب الرابع و الستون و مائتان) في معرفة الخواطر

(الباب الخامس و الستون و مائتان) في معرفة الوارد

(الباب السادس و الستون و مائتان) في معرفة الشاهد

(الباب السابع و الستون و مائتان) في معرفة النفس بسكون الفاء

(الباب الثامن و الستون و مائتان) في معرفة الروح

(الباب التاسع و الستون و مائتان) في معرفة علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين

«الفصل الرابع في المنازل»

(الباب السبعون و مائتان) في معرفة منزل القطب و الإمامين من المناجاة المحمدية

(الباب الحادي و السبعون و مائتان) في معرفة منزل عند الصباح يحمد القوم السري من المناجاة المحمدية

(الباب الثاني و السبعون و مائتان) في معرفة تنزيه التوحيد منها

(الباب الثالث و السبعون و مائتان) في معرفة منزل الهلاك للهوى و النفس من المقام الموسوي

(الباب الرابع و السبعون و مائتان) في معرفة منزل الأجل المسمى من المقام الموسوي

(الباب الخامس و السبعون و مائتان) في معرفة منزل التبري من الأوثان من المقام الموسوي

(الباب السادس و السبعون و مائتان) في معرفة منزل الحوض و أسراره من المقام المحمدي

(الباب السابع و السبعون و مائتان) في معرفة منزل التكذيب و البخل من المقام الموسوي و أسراره

(الباب الثامن و السبعون و مائتان) في معرفة منزل الألفة و أسراره من المقام الموسوي و المحمدي

(الباب التاسع و السبعون و مائتان) في معرفة منزل الاعتبا ر و أسرا ره من المقام المحمدي

(الباب الثمانون و مائتان) في معرفة منزل مالي و أسرا ره من المقام الموسوي

(الباب الحادي و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل الضم و إقامة الواحد مقام الجمع من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل زيا رة الموتى و أسرا ره من الحضرة الموسوية

(الباب الثالث و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل القواصم و أسرا رها من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل المجا راة الشريفة و أسرا رها من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل مناجاة الجماد و من حصل فيه حصل نصف الحضرة المحمدية و الموسوية

(الباب السادس و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل من قيل له كن فأبى و لم يكن من الحضرة المحمدية

(الباب السابع و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل التجلي الصمداني و أسرا ره من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل التلاوة الأولية من الحضرة الموسوية

(الباب التاسع و الثمانون و مائتان) في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تقدمه علم من الحضرة الموسوية

(الباب التسعون و مائتان) في معرفة منزل تقرير النعم من الحضرة الموسوية

(الباب الحادي و التسعون و مائتان) في معرفة منزل صدر الزمان و هو الفلك الرابع من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و التسعون و مائتان) في معرفة منزل اشتراك عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ من الحضرة الموسوية

(الباب الثالث و التسعون و مائتان) في معرفة منزل وجود سبب عالم الشهادة و سبب ظهور عالم الغيب من الحضرة الموسوية

(الباب الرابع و التسعون و مائتان) في معرفة منزل المحمدي المكي من الحضرة الموسوية

(الباب الخامس و التسعون و مائتان) في معرفة منزل الأعداد المشرفة من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و التسعون و مائتان) في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة إلى أهل الشقاء من الحضرة الموسوية

(الباب السابع و التسعون و مائتان) في معرفة منزل ثناء التسوية الطينية الآدمية في المقام الأعلى من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن و التسعون و مائتان) في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرات المحمدية

(الباب التاسع و التسعون و مائتان) في معرفة منزل عذاب المؤمنين من المقام السرياني في الحضرة المحمدية

(الباب الموفي ثلاثمائة) في معرفة منزل سبب انقسام العالم العلوي في الحضرات المحمدية

(الباب الحادي و ثلاثمائة) في معرفة منزل الكتاب المقسوم بين أهل النعيم و أهل العذاب

(الباب الثاني و ثلاثمائة) في معرفة منزل ذهاب العالم الأعلى و وجود العالم الأسفل

(الباب الثالث و ثلاثمائة) في معرفة منزل العا رف الجبرئيلي من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع و ثلاثمائة) في معرفة منزل إيثا ر الغني على الفقر من المقام الموسوي و إيثا ر الفقر على الغني من الحضرة العيسوية

(الباب الخامس و ثلاثمائة) في معرفة منزل ترادف الأحوال على قلوب الرجال من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و ثلاثمائة) في معرفة منزل اختصام الملإ الأعلى من الحضرة الموسوية

(الباب السابع و ثلاث مائة) في معرفة منزل تنزل الملائكة على المحمدي الموقف من الحضرة الموسوية

(الباب الثامن و ثلاثمائة) في معرفة منزل اختلاط العالم الكلي من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع و ثلاثمائة) في معرفة منزل الملامتية من الحضرة المحمدية

(الباب العاشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل الصلصلة الروحانية من الحضرة الموسوية

(الباب الحادي عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل النواشئ الاختصاصية الغيبية من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل كيفية نزول الوحي على قلوب الأولياء و حفظهم في ذلك من الشيا طين من الحضرة المحمدية

(الباب الثالث عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل البكاء و النوح من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل الفرق بين مدا رج الملائكة و النبيين و الأولياء من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل وجوب العذاب من الغيبة المحمدية

(الباب السادس عشر و ثلاثمائة) في معرفة الصفات القاسمية المنقوشة بالقلم الإلهي في اللوح المحفوظ الإنساني من الحضرة الموسوية

(الباب السابع عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل الابتلاء و بركا ته و هو منزل الإمام الذي على يسا ر القطب و هو منزل أبي مدين الذي كا ن ببجاية رحمه الله

(الباب الثامن عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل نسخ الشريعة المحمدية بالأغراض النفسية عافانا الله و إياك من ذلك

(الباب التاسع عشر و ثلاثمائة) في معرفة منزل سراح النفس من قيد وجه ما من وجوه الشريعة بوجه آخر منها و أن ترك السبب الجالب للرزق من طريق التوكل سبب جالب للرزق و أن المتصف به ما خرج عن رق الأسباب

(الباب الموفي عشرين و ثلاثمائة) في معرفة منزل تسبيح القبضتين و تمييزهما

(الباب الحادي و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل من فرق بين عالم الغيب و عالم الشهادة و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل من باع الحق بالخلق و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثالث و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل بشري مبشر بمبشر به و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل جمع الرجال و النساء في بعض المواطن الإلهية و هو من الحضرة العاصمية

(الباب الخامس و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل القرآن من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التحاور و المنا زعة و هو من الحضرة المحمدية و الموسوية

(الباب السابع و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل المد و النصيف من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل ذهاب المركبات عند السبك إلى البسائط عند السبك و هو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع و العشرون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الآلاء و الفراغ إلى البلاء و هو من الحضرات المحمدية

(الباب الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الحادي و الثلاثون و ثلاث مائة) في معرفة منزل الرؤية و الرؤية و القوة عليها و الترقي و التداني و التلقي و التدلي و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الحراسة الإلهية لأهل المقامات المحمدية و هو من الحضرة الموسوية

(الباب الثالث و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك و هو من الحضرات المحمدية

(الباب الرابع و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل تجديد المعدوم و هو من الحضرات الموسوية

(الباب الخامس و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الأخوة و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل مبايعة النبات للقطب و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السابع و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل محمد صلى الله عليه و سلم مع بعض العالم من الحضرات الموسوية

(الباب الثامن و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل عقبات السويق و أسراره و هو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع و الثلاثون و ثلاثمائة) في معرفة منزل جثث الشريعة بين يدي الحقيقة تطلب الاستمداد من الحضرة المحمدية

(الباب الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة المنزل الذي منه خبا رسول الله صلى الله عليه و سلم ما خبا و هو من الحضرة الموسوية

(الباب الحادي و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التقليد في الأسرار و هو من الحضرة الموسوية

(الباب الثاني و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سرين منفصلين عن ثلاثة أسرار تجمعها حضرة واحدة من حضرات الوحي و هو من الحضرة الموسوية

(الباب الثالث و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سرين في تفصيل الوحي من حضرة حمد الملك كله

(الباب الرابع و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سرين من أسرار المغفرة و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سر الإخلاص في الدين و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سر صدق فيه بعض العارفين فرأى نوره كيف ينبعث من جوانب ذلك المنزل عليه و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السابع و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الصف الأول عند الله تعالى و الشك الإلهي و فتح خيبر و ما تنزل في ذلك اليوم من الأسرار و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سرين من أسرار قلب الجمع و الوجود و هو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع و الأربعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل فتح الأبواب و غلقها و خلق كل أمة و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التجلي الاستفهامي و رفع الغطاء عن المعاني و هو من الحضرة المحمدية من الاسم الرب

(الباب الحادي و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة منزل اشتراك النفوس و الأرواح في الصفات و هو من حضرة الغيرة المحمدية من الاسم الودود

(الباب الثاني و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة ثلاثة أسرار طلسمية مصورة مدبرة من حضرة التنزلات المحمدية

(الباب الثالث و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسمية حكمية تشير إلى معرفة السبب و أداء حقه و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة المنزل الأقصى السرياني و هو من الحضرة الموسوية

(الباب الخامس و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة منزل السبل المولدة و أرض العبادة و اتساعها و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة منزل ثلاثة أسرار مكتمة و السر العربي في الأدب الإلهي و الوحي النفسي من الحضرة المحمدية

(الباب السابع و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة منزل البهائم من الحضرة الإلهية و قهرهم تحت سرين موسويين

(الباب الثامن و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة ثلاثة أسرار مختلفة الأنوار و الفرار و الإنذار و صحيح الأخبار و من هذا المنزل قلت الشعر في خلوة دخلتها نلته فيها و هو من أعجب المنازل و أنوارها

(الباب التاسع و الخمسون و ثلاثمائة) في معرفة منزل إياك أعني فاسمعي يا جارة و هو منزل تفريق الأمر و صورة الكتم في الكشف من الحضرة المحمدية

(الباب الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الظلمات المحمود و الأنوار المشهودة و إلحاق من ليس من أهل البيت بأهل البيت و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الحادي و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل السجدتين سجود الكل و الجزء و هو سجود القلب و الوجه و ما فيه من أسرار و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثالث و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل إحالة العارف من لم يعرفه على من هو دونه ليعلمه ما ليس في وسعه أن يعلمه و تنزيه الباري عن الطرب و الفرح و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع و الستون و ثلاثمائة) في معرفة سرين طلسميين من عرفهما نال الراحة في الدنيا و الآخرة و الغيرة الإلهية و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس و الستون و ثلاثمائة) في معرفة أسرار طلسمية اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه و حاله على الأكوان و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل وزراء المهدي الآتي في آخر الزمان الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السابع و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين لقلة القابلين له و قصور الأفهام عن دركه و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل أتى و لم يأت و حضرة الأمر وحده و صنف عالم ما يوحى إليه على الدوام و ما فيه من الأسرار و هو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع و الستون و ثلاثمائة) في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود و تأثير عالم الشهادة في عالم الغيب عن عالم الغيب و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل المريد و سر و سرين من أسرار الوجود و التبدل و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الحادي و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سر و ثلاثة أسرار لوحية أمية و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سر و سرين و ثنائك عليك بما ليس لك و إجابة الحق لك في ذلك لمعنى و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثالث و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكمي المفصل مركبه على العالم بالعناية و بقاء العالم أبد

الآبدين و إن انتقلت صورته و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الرابع و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الرؤية و الرئية و سوابق الأشياء في الحضرة الربوبية و أن للكفار قدما كما أن للمؤمنين قدما و قدوم كل طائفة على قدمها و آتية بإمامها عدلا و فضلا و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التضاهي الخيالي و عالم الحقائق و الامتزاج و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السادس و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل يجمع بين الأولياء و الأعداء من الحضرة الحكمية و مقارعة عالم الغيب بعضهم مع بعض و هذا المنزل يتضمن ألف مقام و هو من الحضرة المحمدية

(الباب السابع و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل سجود القيومية و الصدق و المجد و اللؤلؤة و الصور و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثامن و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الأمة البهيمية و الإحصاء و الثلاثة الأسرار العلوية و تقدم المتأخر و تأخر المتقدم و هو من الحضرة المحمدية

(الباب التاسع و السبعون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الحل و العقد و الإكرام و الإهانة و نشأة الدعاء في صورة الإخبار و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منزل العلماء و ورثة الأنبياء و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الحادي و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منزل التوحيد و الجمع و هو يحوي على خمسة آلاف مقام رفرفي و أكمل مشاهدة من شاهده في نصف الشهر أو في آخره و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الثاني و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منزل الخواتيم و عدد الأعراس الإلهية و الأسرار الأعجمية و هو من الحضرة الموسوية

(الباب الثالث و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات و هو من الحضرة المحمدية الاختصاصية

«الفصل الخامس في المنازلات»

(الباب الرابع و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة المنازلات الخطابية و هو من سر قوله تعالى وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ و هو من الحضرة المحمدية

(الباب الخامس و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منازلة من حقر غلب و من استهين منع

(الباب السادس و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منازلة حبل الوريد و أبنية المعية

(الباب السابع و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منازلة التواضع الكبريائي

(الباب الثامن و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منازلة مجهولة عند العبد و هو إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق

(الباب التاسع و الثمانون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة إلّي كونك و إلّك كوني

(الباب التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة زمان الشيء وجوده إلا أنا فلا زمان لي و إلا أنت فلا زمان لك فأنت زماني و أنا زمانك

(الباب الحادي و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة المسلك السيال الذي لا يثبت عليه رجال السؤال

(الباب الثاني و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة من رحم رحمناه و من لم يرحم رحمناه ثم غضبنا عليه و نسيناه

(الباب الثالث و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة من توقف عند رؤية ما هاله هلك

(الباب الرابع و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة من تأدب وصل و من وصل لم يرجع و لو كان غير أديب

(الباب الخامس و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة من دخل حضرتي و بقيت عليه حيا ته فعزاؤه علي في موت صاحبه

(الباب السادس و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة من جمع المعا رف و العلوم حجبته عني

(الباب السابع و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

(الباب الثامن و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة من وعظ الناس لم يعرفني و من ذكرهم عرفني

(الباب التاسع و التسعون و ثلاثمائة) في معرفة منا زلة منزل من دخله ضربت عنقه و ما بقي أحد إلا دخله

(الباب الموفي أربعمائة) في معرفة منا زلة من ظهر لي بطنت له و من وقف عند حدي اطلعت عليه

(الباب الحادي و أربعمائة) في منا زلة الميت و الحي ليس لهما إلى رؤيتي سبيل

(الباب الثاني و أربعمائة) في منا زلة من غالبني غلبته و من غالبته غلبني فالجنوح إلى السلم أولى

(الباب الثالث و أربعمائة) في منا زلة لا حجة لي على عبيدي ما قلت لا لواحد منهم لم عملت إلا قال لي أنت عملت و قال الحق و لكن السابقة أسبق و لا تبديل

(الباب الرابع و أربعمائة) في معرفة منا زلة من عنف على رعيته سعى في هلاك ملكه و من رفق بهم بقي مليكا كل سيد قتل عبدا من عبيده فإنما قتل سيادة من سيادته إلا أنا فانظر

(الباب الخامس و أربعمائة) في منا زلة من جعل قلبه بيتي و أخلاه من غيري ما يدري أحد ما أعطيه فلا تشبهوه بالبيت المعمور فإنه بيت ملائكتي لا بيتي و لهذا لم أسكن فيه خليلي بل بيتي قلب عبدي الذي وسعني حين ضاق عني أرضي و سمائي

(الباب السادس و أربعمائة) في منا زلة ما ظهر مني قط شيء لشيء و لا ينبغي أن يظهر

(الباب السابع و أربعمائة) في منا زلة في أسرع من الطرفة تختلس مني إن نظرت إلى غيري لا لضعفي و لكن لضعفك

(الباب الثامن و أربعمائة) في معرفة منا زلة يوم السبت فحل عنك مئزر الجد الذي شددته فقد فرغ العالم مني و فرغت منه

(الباب التاسع و أربعمائة) في منازلة أسمائي حجاب عليك فإن رفعتها وصلت إلى

(الباب العاشر و أربعمائة) في منازلة وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى فاعتزوا بهذا الرب تسعدوا

(الباب الحادي عشر و أربعمائة) في منازلة

فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار من حضرة كاد لا يدخل النار فخافوا الكتاب و لا تخافوني فإني و إياكم سواء

(الباب الثاني عشر و أربعمائة) في منازلة من كان لي لم يذل و لا يخزي أبدا

(الباب الثالث عشر و أربعمائة) في منازلة من سألني فما خرج من قضائي و من لم يسألني فما خرج من قضائي

(الباب الرابع عشر و أربعمائة) في معرفة منازلة لا نرى إلا بحجاب

(الباب الخامس عشر و أربعمائة) في معرفة منازلة من دعاني فقد أدى حق عبوديته و من أنصف نفسه فقد أنصفني

(الباب السادس عشر و أربعمائة) في معرفة منازلة عين القلب

(الباب السابع عشر و أربعمائة) في معرفة منازلة من أَجْرُهُ عَلَى اللهِ

(الباب الثامن عشر و أربعمائة) في منازلة من لا يفهم لا يوصل إليه شيء

(الباب التاسع عشر و أربعمائة) في معرفة منازلة الصكوك

(الباب الموفي عشرين و أربعمائة) في معرفة منازلة التخلص من المقامات

(الباب الحادي و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة من طلب الوصول إلى من جهة الدليل و البرهان لم يصل إلي أبدا فإنه لا يشبهني شيء

(الباب الثاني و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة من رد إلي فعلى فقد أعطاني حقي

(الباب الثالث و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة من غار علي لم يذكرني

(الباب الرابع و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة أحبك للبقاء معي و تحب الرجوع إلى أهلك فقف حتى أتشفي منك و حينئذ تمر عني

(الباب الخامس و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة من طلب العلم صرفت بصره عني

(الباب السادس و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة السر الذي منه قال ع حين استفهم عن رؤيته ربه فقال نور إني أراه

(الباب السابع و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة قاب قَوْسَيْنِ

(الباب الثامن و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة الاستفهام عن الآيتين

(الباب التاسع و العشرون و أربعمائة) في معرفة منازلة من تصاغر لجلالى نزلت إليه و من تعاظم علي تعاظمت عليه

(الباب الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة أن حيرتك أوصلتك إلى

(الباب الحادي و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة من حجبته حجبته

(الباب الثاني و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة ما تردأت بشيء إلا بك فاعرف قدرك و هنا عجب شيء لا يعرف نفسه

(الباب الثالث و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة انظر أي تجل يعدمك فلا تسألنيه فنعطيك إياه فلا أجد من يأخذه

(الباب الرابع و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة لا يحجبنك لو شئت فإني لا أشاء بعد فأثبت

(الباب الخامس و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة أخذت العهد على نفسي فوقتا وفيت و وقتا لم أوف فلا تعترض

(الباب السادس و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة لو كنت عند الناس كما أنت عندي ما عبدوني

(الباب السابع و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة من عرف حظه من شريعتي عرف حظه مني فإنك عندي كما أنا عندك مرتبة واحدة

(الباب الثامن و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة من قرأ كلامي رأى غما متى فيها سرج ملائكتي تنزل عليه و فيه فإذا سكت رحلت عنه و نزلت أنا

(الباب التاسع و الثلاثون و أربعمائة) في معرفة منازلة قاب قَوْسَيْنِ الثاني (الباب الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة اشتد ركن من قوى قلبه بمشاهدتي

(الباب الحادي و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة عيون أفئدة العارفين ناظرة إلى ما عندي لا إلى

(الباب الثاني و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة من رآني و عرف أنه رآني فما رآني

(الباب الثالث و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة واجب الكشف العرفاني (الباب الرابع و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة من كتبت له كتاب العهد الخالص لا يشقى

(الباب الخامس و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة هل عرفت أوليائي الذين أدبتهم بآدابي

(الباب السادس و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة في تعمير نواشئ الليل فوائد الخيرات

(الباب السابع و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة من دخل حضرة التطهير نطق عني

(الباب الثامن و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة من كشفت له شيئا مما عندي بهت فكيف يطلب أن يراني

(الباب التاسع و الأربعون و أربعمائة) في معرفة منازلة ليس عبدي من تعبد عبدي

(الباب الخمسون و أربعمائة) في معرفة منازلة من ثبت لظهوري كان بي لا به سبحاني كان به لا بي و هذا الحقيقة و الأول مجاز

(الباب الحادي و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منازلة في المخارج معرفة المعارج

(الباب الثاني و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منازلة كلامي كله موعظة لعبيدي لو اتعظوا

(الباب الثالث و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منا زلة كرمي ما بذلت لك من الأموال و كرم كرمي ما وهبتك من عفوك عن أخيك عند جنايته عليك

(الباب الرابع و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منا زلة لا يقوى معنا في حضرتنا غريب و إنما المعروف لأولي القربى

(الباب الخامس و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منا زلة من أقبلت عليه بظاهري لا يسعد أبدا و من أقبلت عليه بباطني لا يشقى أبدا و بالعكس

(الباب السادس و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منا زلة من تحرك عند سماع كلامي فقد سمع

(الباب السابع و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منا زلة التكليف المطلق

(الباب الثامن و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منا زلة إدراك السبحات

(الباب التاسع و الخمسون و أربعمائة) في معرفة منا زلة وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ

(الباب الستون و أربعمائة) في معرفة منا زلة الإسلام و الايمان و الإحسان و إحسان الإحسان

(الباب الحادي و الستون و أربعمائة) في معرفة منا زلة

من أسدلت عليه حجاب كنفي هو من ضنائني لا يعرفه أحد و لا يعرف أحدا

«الفصل السادس في المقامات»

(الباب الثاني و الستون و أربعمائة) في معرفة الأقطاب المحمديين و منا زلهم

(الباب الثالث و الستون و أربعمائة) في معرفة الاثني عشر قطبا و هم الذين يدور بهم فلك العالم

(الباب الرابع و الستون و أربعمائة) في معرفة حال قطب الأقطاب المحمدية الذي كان منزله لا إله إلا الله

(الباب الخامس و الستون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الله أكبر

(الباب السادس و الستون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله سبحان الله

(الباب السابع و الستون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الحمد لله

(الباب الثامن و الستون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الحمد لله على كل حال

(الباب التاسع و الستون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ

(الباب السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

(الباب الحادي و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ

(الباب الثاني و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

(الباب الثالث و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ

(الباب الرابع و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللّٰهِ باقٍ

(الباب الخامس و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّٰهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

(الباب السادس و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ الحول و القوة للّٰه لا حول و لا قوة إلا بالله

(الباب السابع و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ لِمِثْلِ هٰذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ

(الباب الثامن و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

(الباب التاسع و السبعون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللّٰهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ شمر فإن الأمر جد

(الباب الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا

(الباب الحادي و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إن الله لا يضيع أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً

(الباب الثاني و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ وَ إِلَى اللّٰهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ

(الباب الثالث و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّٰاها

(الباب الرابع و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله حتى

(فَلَوْ لا) إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ

(الباب الخامس و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله من كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ

(الباب السادس و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً

(الباب السابع و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله و من يعمل من الصالحات

(من عَمِلَ صالِحاً) مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً

(الباب الثامن و الثمانون و أربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ

فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى

(الباب التاسع والثمانون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ

(الباب التسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ

(الباب الحادي والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

(الباب الثاني والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا من ارْتَضى من رَسُولٍ

(الباب الثالث والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً

(الباب الرابع والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِنَّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِهِ الْعُلَماءُ

(الباب الخامس والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ

(الباب السادس والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وجاهِدُوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ

(الباب السابع والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ

(الباب الثامن والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً

(الباب التاسع والتسعون وأربعمائة) في معرفة حال قطب كان منزله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(الباب الموفي خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ من دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ

(الباب الحادي وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

(الباب الثاني وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(الباب الثالث وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ

(الباب الرابع وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

(الباب الخامس وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا

(الباب السادس وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ

(الباب السابع وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى

(الباب الثامن وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ من الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ

(الباب التاسع وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَما أَنْفَقْتُمْ من شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

(الباب العاشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

(الباب الحادي عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله واتَّقُوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً

(الباب الثاني عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ

(الباب الثالث عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا

(الباب الرابع عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

(الباب الخامس عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَظَنَّ داوُدُ أنَّما فَتَنَّاهُ فاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعاً وَأَنابَ

(الباب السادس عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ إنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إلَيْكُمْ من اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ فَفِرُّوا إلى اللهِ

(الباب السابع عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله حَتَّى إذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ من اللهِ إلَّا إلَيْهِ

(الباب الثامن عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله حَتَّى إذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

(الباب التاسع عشر وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ

(الباب الموفي عشرين وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

(الباب الحادي والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى واتَّقُون

(الباب الثاني والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ

(الباب الثالث والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَأَمَّا من خافَ مَقامَ رَبِّهِ

(الباب الرابع والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً

(الباب الخامس والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَمن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً

(الباب السادس والعشرون وخمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ

الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ

(الباب السابع و العشرون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ من أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً وَ قُلِ الْحَقُّ من رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ من شاءَ فَلْيَكْفُرْ

(الباب الثامن و العشرون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها

(الباب التاسع و العشرون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً

(الباب الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله يَسْتَخْفُونَ من النَّاسِ وَ لا يَسْتَخْفُونَ من الله وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى من الْقَوْلِ

(الباب الحادي و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ من قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ من عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ

(الباب الثاني و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً

(الباب الثالث و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

(الباب الرابع و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ

(الباب الخامس و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ

(الباب السادس و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله من كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ من نَصِيبٍ

(الباب السابع و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ الله أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ

(الباب الثامن و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ من تابَ مَعَكَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(الباب التاسع و الثلاثون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَفِرُّوا إِلَى الله إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ الله إِلهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ

(الباب الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ

(الباب الحادي و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ من يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً

(الباب الثاني و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَ من كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً

(الباب الثالث و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

(الباب الرابع و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

(الباب الخامس و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ

(الباب السادس و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَأَعْرِضْ عَنْ من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا

(الباب السابع و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ

(الباب الثامن و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

(الباب التاسع و الأربعون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله أَمَّا من اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى

(الباب الخمسون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً

(الباب الحادي و الخمسون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

(الباب الثاني و الخمسون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

(الباب الثالث و الخمسون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله وَاللهُ من وَرائِهِمْ مُحِيطٌ

(الباب الرابع و الخمسون و خمسمائة) في صفة الشخص الذي انتقل إليه معنى خاتم النبوة و سره مثل زر الحجلة في معناه و منزله لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ من الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ و هم فيه

(الباب الخامس و الخمسون و خمسمائة) في معرفة السبب الذي منعني أن أذكر بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة

(الباب السادس و الخمسون و خمسمائة) في معرفة حال قطب كان منزله تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

(الباب السابع و الخمسون و خمسمائة) في معرفة ختم الأولياء على الإطلاق

(الباب الثامن و الخمسون و خمسمائة) في معرفة الأسماء التي لرب العزة و ما يجوز أن يطلق به اللفظ عليه و ما لا يجوز

(الباب التاسع و الخمسون و خمسمائة) في معرفة أسرار و حقائق من منازل مختلفة و هذا الباب هو كالمختصر لأبواب هذا الكتاب لكل باب فيه قولنا و من ذلك و فيه زيادة ثلاثة أو أربعة

(الباب الستون و خمسمائة) في وصية حكمية شرعية ينتفع بها المريد و الواصل و هو آخر أبواب هذا الكتاب انتهى الجزء الثاني من هذا الكتاب و الحمد لله وحده و الصلاة على محمد نبيه و عبده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«مقدمة الكتاب»

قلنا و ربما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب أو لا فصلا في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة و البراهين الساطعة ثم رأيت أن ذلك تشغيب على المتأهب الطالب للمزيد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود فإن المتأهب إذا لزم الخلوة و الذكر و فرغ المحل من الفكر و قعد فقيرا لا شيء له عند باب ربه حينئذ يمنحه الله تعالى و يعطيه من العلم به و الأسرار الإلهية و المعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال عَبْداً من عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً و قال تعالى وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قال إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و قال وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ به قيل للجنيد بما نلت ما نلت فقال بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة و قال أبو يزيد أخذتم علمكم ميتا عن ميت و أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت فيحصل لصاحب الهمة في الخلوة مع الله و به جلت هبته و عظمت منته من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة بل كل صاحب نظر و برهان ليست له هذه الحالة فإنها وراء النظر العقلي إذ كانت العلوم على ثلاث مراتب (علم العقل) و هو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل و شبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع و يختص بهذا الفن من العلوم و لهذا يقولون في النظر منه صحيح و منه فاسد (و العلم الثاني) علم الأحوال و لا سبيل إليها إلا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يحدها و لا يقيم على معرفتها دليلا كالعلم بحلاوة العسل و مرارة الصبر و لذة الجماع و العشق و الوجد و الشوق و ما شاكل هذا النوع من العلوم فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها و يذوقها و شبهها من جنسها في أهل الذوق كمن يغلب على محل طعمه المرة الصفراء فيجد العسل مرا و ليس كذلك فإن الذي باشر محل الطعم إنما هو المرة الصفراء (و العلم الثالث) علوم الأسرار و هو العلم الذي فوق طور العقل و هو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبي و الولي و هو نوعان نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام لكن هذا العالم به لم يحصل له عن نظر و لكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا و النوع الآخر على ضربين ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف و الضرب الآخر من علوم الأخبار و هي التي يدخلها الصدق و الكذب إلا أن يكون المخبر به قد ثبت صدقه عند المخبر و عصمته فيما يخبر به و يقوله كإخبار الأنبياء صلوات الله عليهم عن الله كإخبارهم بالجنة و ما فيها فقوله إن ثم جنة من علم الخبر و قوله في القيامة إن فيها حوضا أحلى من العسل من علم الأحوال و هو علم الذوق و قوله كان الله و لا شيء معه و مثله من علوم العقل المدركة بالنظر فهذا الصنف الثالث الذي هو علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها و يستغرقها و ليس صاحب تلك العلوم كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات و ما بقي إلا أن يكون المخبر به صادقا عند السامعين له معصوما هذا شرطه عند العامة و أما العاقل اللبيب الناصح نفسه فلا يرمي به و لكن يقول هذا جائز عندي أن يكون صدقا أو كذبا و كذلك ينبغي لكل عاقل إذا أتاه بهذه العلوم غير المعصوم و إن كان صادقا في نفس الأمر فيما أخبر به و لكن كما لا يلزم هذا السامع له صدقه لا يلزمه تكذيبه و لكن يتوقف و

إن صدقه لم يضره لأنه أتى في خبره بما لا تحيله العقول بل بما تجوزه أو تقف عنده و لا يهد ركنا من أركان الشريعة و لا يبطل أصلا من أصولها فإذا أتى بأمر جوزه العقل و سكت عنه الشارع فلا ينبغي لنا أن نرده أصلا و نحن مخيرون في قبوله فإن كانت حالة المخبر به تقتضي العدالة لم يضرنا قبوله كما نقبل شهادته و نحكم بها في الأموال و الأرواح و إن كان غير عدل في علمنا فننظر فإن كان الذي أخبر به حقا بوجه ما عندنا من الوجوه المصححة قبلناه و إلا تركناه في باب الجائزات و لم نتكلم في قائله بشيء فإنها شهادة مكتوبة نسأل عنها قال تعالى سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ و أنا أولى من نصح نفسه في ذلك و لو لم يأت هذا المخبر إلا بما جاء به المعصوم فهو حاك لنا ما عندنا من رواية عنه فلا فائدة زادها عندنا بخبره و إنما يأتون رضي الله عنهم بأسرار و حكم من أسرار الشريعة مما هي خارجة عن قوة الفكر و الكسب و لا تنال أبدا إلا بالمشاهدة و الإلهام و ما شاكل هذه الطرق و من هنا تكون الفائدة بقوله ع إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر و قوله في أبي بكر في فضله بالسر غيره و لو لم يقع الإنكار لهذه العلوم في الوجود لم يفد قول أبي هريرة حفظت من رسول الله صلى الله عليه و سلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته و أما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم حدثني به الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الحجري بسبتة في رمضان عام تسعة و ثمانين و خمسمائة بداره و حدثني به أيضا أبو الوليد أحمد بن محمد بن العربي بداره بإشبيلية سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة في آخرين كلهم قالوا حدثنا إلا أبا الوليد بن العربي فإنه قال سمعت أبا الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال حدثني أبي أبو عبد الله و أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي سماعا مني عليهما عن أبي ذر سماعا منهما عليه عن أبي محمد هو عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي الحموي و أبي إسحاق المستملي و أبي الهيثم هو محمد بن مكي بن محمد الكشميهني قالوا أنا أبو عبد الله هو محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال أنا أبو عبد الله البخاري و حدثني به أيضا أبو محمد يونس بن يحيى بن أبي الحسين بن أبي البركات الهاشمي العباسي بالحرم الشريف المكي تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة في شهر جمادى الأولى سنة تسع و تسعين و خمسمائة عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي عن أبي الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداودي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي عن أبي عبد الله الفربري عن البخاري و قال البخاري في صحيحه حدثني إسماعيل قال حدثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة و ذكر الحديث و شرح البلعوم لأبي عبد الله البخاري من رواية أبي ذر خرجه في كتاب العلم و ذكروا أن البلعوم مجرى الطعام و لم يفد قول ابن عباس حين قال في قول الله عز و جل اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لو ذكرت تفسيره لرجمتموني و في رواية لقلتم إني كافر حدثني بهذا الحديث أبو عبد الله محمد بن عيشون عن أبي بكر القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري عن أبي حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي و لم يكن لقول الرضي من حفدة علي بن أبي طالب صلى الله عليه و سلم معنى إذ قال

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

و لاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فهؤلاء كلهم سادات أبرار فيما أحسب و اشتهر عنهم قد عرفوا هذا العلم و رتبته و منزلة أكثر العالم منه و إن الأكثر منكرون له و ينبغي للعاقل العارف أن لا يأخذ عليهم في إنكارهم فإنه في قصة موسى مع خضر مندوحة لهم و حجة للطائفتين و إن كان إنكار موسى عن نسيان لشرطه و لتعديل الله إياه و بهذه القصة عينها نحتج على المنكرين لكنه لا سبيل إلى خصامهم و لكن نقول كما قال العبد الصالح هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ

«وصل» و لا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله عليهم إذا وقفت على مسألة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أي علم كان فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقق إنه فيلسوف لكون الفيلسوف ذكر تلك المسألة و قال بها و اعتقدها و إنه نقلها منهم أو إنه لا دين له فإن الفيلسوف قد قال بها و لا دين له فلا تفعل يا أخي فهذا القول قول من لا تحصيل له إذ الفيلسوف ليس كل علمه باطلا فعسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق و لا سيما إن وجدنا الرسول ع قد قال بها و لا سيما فيما وضعوه من الحكم و التبري من الشهوات و مكايد النفوس و ما تنطوي عليه من سوء الضمائر فإن كنا لا نعرف الحقائق ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة المعينة و إنها حق فإن الرسول صلى الله عليه و سلم قد قال بها أو الصاحب أو مالكا أو الشافعي أو سفيان الثوري و أما قولك إن قلت سمعها من فيلسوف أو طالعها في كتبهم فإنك ربما تقع في الكذب و الجهل أما الكذب فقولك سمعها أو طالعها و أنت لم تشاهد ذلك منه و أما الجهل فكونك لا تفرق بين الحق في تلك المسألة و الباطل و أما قولك إن الفيلسوف لا دين له فلا يدل كونه لا دين له على إن كل ما عنده باطل و هذا مدرك بأول العقل عند كل عاقل فقد خرجت باعتراضك على الصوفي في مثل هذه المسألة عن العلم و الصدق و الدين و انخرطت في سلك أهل الجهل و الكذب و البهتان و نقص العقل و الدين و فساد النظر و الانحراف أرأيت لو أتاك بها رؤيا رآها هل كنت إلا عابرها و تطلب على معانيها فكذلك خذ ما أتاك به هذا الصوفي و اهتد على نفسك قليلا و فرغ لما أتاك به محلك حتى يبرز لك معناها أحسن من أن تقول يوم القيامة قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ من هذا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ فكل علم إذا بسطته العبارة حسن و فهم معناه أو قارب و عذب عند السامع الفهم فهو علم العقل النظري لأنه تحت إدراكه و مما يستقل به لو نظر إلا علم الأسرار فإنه إذا أخذته العبارة سمج و اعتاص على الأفهام دركه و خشن و ربما مجته العقول الضعيفة المتعصبة التي لم تتوفر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر و البحث و لهذا صاحب العلم كثيرا ما يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثلة و المخاطبات الشعرية . و أما علوم الأحوال فمتوسطة بين علم الأسرار و علم العقول . و أكثر ما يؤمن بعلم الأحوال أهل التجارب و هو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى العلم النظري العقلي لكن يقرب من صنف العلم العقلي الضروري بل هو هو لكن لما كانت العقول لا تتوصل إليه إلا بأخبار من علمه أو شاهده من نبي أو ولي لذلك تميز عن الضروري لكن هو ضروري عند من شاهده ثم لتعلم أنه إذا حسن عندك و قبلته و آمنت به فأبشر إنك على كشف منه ضرورة و أنت لا تدري لا سبيل إلا هذا إذ لا يثلج الصدر إلا بما يقطع بصحته و ليس للعقل هنا مدخل لأنه ليس من دركه إلا إن أتى بذلك معصوم حينئذ يثلج

صدر العاقل و أما غير المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلا صاحب ذوق (فإن قلت) فلخص لي هذه الطريقة التي تدعى أنها الطريقة الشريفة الموصلة السالك عليها إلى الله تعالى و ما تنطوي عليه من الحقائق و المقامات بأقرب عبارة و أوجز لفظ و أبلغه حتى أعمل عليه و نصل إلى ما ادعيت أنك توصلت إليه و بالله أقسم إني لا آخذه منك على وجه التجربة و الاختبار و إنما آخذه منك على الصدق فإني قد حسنت الظن بك إحسان قطع إذ قد نبهتني على حظ ما أتيت به من العقل و إن ذلك مما يقطع العقل بجوازه و إمكانه أو يقف عنده من غير حكم معين فشكر الله لك ذلك و بلغك آمالك و نفعك و نفع بك. فاعلم أن الطريق إلى الله تعالى الذي سلكت عليه الخاصة من المؤمنين الطالبين نجاتهم دون العامة الذين شغلوا أنفسهم بغير ما خلقت له إنه على أربع شعب بواعث و دواع و أخلاق و حقائق و الذي دعاهم إلى هذه الدواعي و البواعث و الأخلاق و الحقائق ثلاثة حقوق تفرضت عليهم حق لله و حق لأنفسهم و حق للخلق فالحق الذي لله تعالى عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا و الحق الذي للخلق عليهم كف الأذى كله عنهم ما لم يأمر به شرع من إقامة حد و صنائع المعروف معهم على الاستطاعة و الإيثار ما لم ينه عنه شرع فإنه لا سبيل إلى موافقة الغرض إلا بلسان الشرع و الحق الذي لأنفسهم عليهم أن لا يسلكوا بها من الطرق إلا الطريق التي فيها سعادتها و نجاتها و إن أبت فلجهل قام بها أو سوء طبع فإن النفس الآبية إنما يحملها على إتيان الأخلاق الفاضلة دين أو مروءة فالجهل يضاد الدين فإن الدين علم من العلوم و سوء الطبع يضاد المروءة ثم نرجع إلى الشعب الأربع فنقول الدواعي خمسة الهاجس السببي و يسمى نفر الخاطر ثم الإرادة ثم العزم ثم الهمة ثم النية و البواعث لهذه الدواعي ثلاثة أشياء رغبة أو رهبة أو تعظيم و الرغبة رغبتان رغبة في المجاورة و رغبة في المعاينة و إن شئت قلت رغبة فيما عنده و رغبة فيه و الرهبة و رهبتان رهبة من العذاب و رهبة من الحجاب و التعظيم إفراده عنك و جمعك به. و الأخلاق على ثلاثة أنواع خلق متعد و خلق غير متعد و خلق مشترك. فالمتعدي على قسمين متعد بمنفعة كالجود و الفتوة و متعد بدفع مضرة كالعفو و الصفح و احتمال الأذى مع القدرة على الجزاء و التمكن منه و غير المتعدي كالورع و الزهد و التوكل. و أما المشترك فكالصبر على الذي من الخلق و بسط الوجه. و أما الحقائق فعلى أربعة حقائق ترجع إلى الذات المقدسة و حقائق ترجع إلى الصفات المنزهة و هي النسب و حقائق ترجع إلى الأفعال و هي كن و أخواتها و حقائق ترجع إلى المفعولات و هي الأكوان و المكونات و هذه الحقائق الكونية على ثلاث مراتب علوية و هي المعقولات و سفلية و هي المحسوسات و برزخية و هي المخيلات. فأما الحقائق الذاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه من غير تشبيه و لا تكييف لا تسعه العبارة و لا تومئ إليه الإشارة. و أما الحقائق الصفاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة كونه سبحانه عالما قادرا مريدا حيا إلى غير ذلك من الأسماء و الصفات المختلفة و المتقابلة و المتماثلة. و أما الحقائق الكونية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة الأرواح و البسائط و المركبات و الأجسام و الاتصال و الانفصال. و أما الحقائق الفعلية فكل مشهد يقيمك فيه تطلع منه على معرفة كن و تعلق القدرة بالمقدور بضرب خاص لكون العبد لا فعل له و لا أثر لقدرته الحادثة الموصوف بها. و جميع ما ذكرناه يسمى الأحوال و المقامات فالمقام منها كل صفة يجب الرسوخ فيها و لا يصح التنقل

عنها كالتوبة . و الحال منها كل صفة تكون فيها في وقت دون وقت كالسكر و المحو و الغيبة و الرضي أو يكون وجودها مشروطا بشرط فتنعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء و الشكر مع النعماء و هذه الأمور على قسمين . قسم كماله في ظاهر الإنسان و باطنه كالورع و التوبة و قسم كماله في باطن الإنسان ثم إن تبعه الظاهر فلا بأس كالزهد و التوكل و ليس ثم في طريق الله تعالى مقام يكون في الظاهر دون الباطن . ثم إن هذه المقامات منها ما يتصف به الإنسان في الدنيا و الآخرة كالمشاهدة و الجلال و الجمال و الأنس و الهيبة و البسط و منها ما يتصف به العبد إلى حين موته إلى القيامة إلى أول قدم يضعه في الجنة و يزول عنه كالخوف و القبض و الحزن و الرجاء و منها ما يتصف به العبد إلى حين موته كالزهد و التوبة و الورع و المجاهدة و الرياضة و التخلي و التحلي على طريق القربة و منها ما يزول لزوال شرطه و يرجع لرجوع شرطه كالصبر و الشكر و الورع فهذا وفقنا الله و إياك قد بينت لك الطريق مرتب المنازل ظاهر المعاني و الحقائق على غاية الإيجاز و البيان و الاستيفاء العام فإن سلكت وصلت و الله سبحانه يرشدنا و إياك

«فصل» و مدار العلم الذي يختص به أهل الله تعالى على سبع مسائل من عرفها لم يعتص عليه شيء من علم الحقائق و هي معرفة أسماء الله تعالى و معرفة التجليات و معرفة خطاب الحق عباده بلسان الشرع و معرفة كمال الوجود و نقصه و معرفة الإنسان من جهة حقائقه و معرفة الكشف الخيالي و معرفة العلل و الأدوية و ذكرنا هذه المسائل في باب المعرفة من هذا الكتاب فلتنظر هنالك إن شاء الله «تتمة» ثم نرجع إلى السبب الذي لأجله منعنا المتأهب لتجلى الحق إلى قلبه من النظر في صحة العقائد من جهة علم الكلام فمن ذلك أن العوام بلا خلاف من كل متشرع صحيح العقل عقائدهم سليمة و إنهم مسلمون مع أنهم لم يطالعوا شيئا من علم الكلام و لا عرفوا مذاهب الخصوم بل أبقاهم الله تعالى على صحة الفطرة و هو العلم بوجود الله تعالى بتلقين الوالد المتشرع أو المربي و إنهم من معرفة الحق سبحانه و تنزيهه على حكم المعرفة و التنزيه الوارد في ظاهر القرآن المبين و هم فيه بحمد الله على صحة و صواب ما لم يتطرق أحد منهم إلى التأويل فإن تطرق أحد منهم إلى التأويل خرج عن حكم العامة و التحق بصنف ما من أصناف أهل النظر و التأويل و هو على حسب تأويله و عليه يلقي الله تعالى فأما مصيب و إما مخطئ بالنظر إلى ما يناقض ظاهر ما جاء به الشرع فالعامة بحمد الله سليمة عقائدهم لأنهم تلقوها كما ذكرناه من ظاهر الكتاب العزيز التلقي الذي يجب القطع به و ذلك أن التواتر من الطرق الموصلة إلى العلم و ليس الغرض من العلم إلا القطع على المعلوم أنه على حد ما علمناه من غير ريب و لا شك و القرآن العزيز قد ثبت عندنا بالتواتر أنه جاء به شخص ادعى أنه رسول من عند الله تعالى و أنه جاء بما يدل على صدقه و هو هذا القرآن و أنه ما استطاع أحد على معارضته أصلا فقد صح عندنا بالتواتر أنه رسول الله إلينا و أنه جاء بهذا القرآن الذي بين أيدينا اليوم و أخبر أنه كلام الله و ثبت هذا كله عندنا تواترا فقد ثبت العلم به أنه النبأ الحق و القول الفصل . و الأدلة سمعية و عقلية و إذا حكمنا على أمر بحكم ما فلا شك فيه أنه على ذلك الحكم . و إذا كان الأمر على ما قلناه فيأخذ المتأهب عقيدته من القرآن العزيز و هو بمنزلة الدليل العقلي في الدلالة إذ هو الصدق الذي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ . فلا يحتاج المتأهب مع ثبوت هذا

الأصل إلى أدلة العقول إذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلق . و الإصفاق عليه محقق عنده قالت اليهود لمحمد صلى الله عليه و سلم انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى عليه سورة الإخلاص و لم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا فقال قُلْ هُوَ اللهُ فأثبت الوجود أَحَدٌ فنفى العدد و أثبت الأحدية لله سبحانه اللهُ الصَّمَدُ فنفى الجسم لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ فنفى الوالد و الولد وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فنفى الصاحبة كما نفى الشريك بقوله لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فيطلب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل و قد دل على صحة هذا اللفظ فيا ليت شعري هذا الذي يطلب يعرف الله من جهة الدليل و يكفر من لا ينظر كيف كانت حالته قبل النظر و في حال النظر هل هو مسلم أم لا و هل يصلي و يصوم أو ثبت عنده أن محمدا رسول الله إليه أو إن الله موجود فإن كان معتقدا لهذا كله فهذه حالة العوام فليتركهم على ما هم عليه و لا يكفر أحدا و إن لم يكن معتقدا لهذا إلا حتى ينظر و يقرأ علم الكلام فنعوذ بالله من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر إلى الخروج عن الايمان و علماء هذا العلم رضي الله عنهم ما وضعوه و صنفوا فيه ما صنفوه ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله و إنما وضعوه إرداعا للخصوم الذين جحدوا الإله أو الصفات أو بعض الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه و سلم خاصة أو حدوث العالم أو الإعادة إلى هذه الأجسام بعد الموت أو الحشر و النشر و ما يتعلق بهذا الصنف و كانوا كافرين بالقرآن مكذبين به جاحدين له فطلب علماء الكلام إقامة الأدلة عليهم على الطريقة التي زعموا أنها أدتهم إلى إبطال ما ادعينا صحته خاصة حتى لا يشوشوا على العوام عقائدهم فمهما برز في ميدان المجادلة بدعي برز له أشعري أو من كان من أصحاب علم النظر و لم يقتصروا على السيف رغبة منهم و حرصا على إن يردوا واحدا إلى الايمان و الانتظام في سلك أمة محمد صلى الله عليه و سلم بالبرهان إذ الذي كان يأتي بالأمر المعجز على صدق دعواه قد فقد و هو الرسول ع فالبرهان عندهم قائم مقام تلك المعجزة في حق من عرف فإن الراجع بالبرهان أصح إسلاما من الراجع بالسيف فإن الخوف يمكن أن يحمله على النفاق و صاحب البرهان ليس كذلك . فلهذا رضي الله عنهم وضعوا علم الجوهر و العرض لا غير و يكفي في المصر منه واحد فإذا كان الشخص مؤمنا بالقرآن أنه كلام الله قاطعا به فليأخذ عقيدته منه من غير تأويل و لا ميل فنزه سبحانه نفسه أن يشبهه شيء من المخلوقات أو يشبه شيئا بقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . و أثبت رؤيته في الدار الآخرة بظاهر قوله وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ و كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ و انتفت الإحاطة بدركه بقوله لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ و ثبت كونه قادرا بقوله وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و ثبت كونه عالما بقوله أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا و ثبت كونه مريدا بقوله فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ و ثبت كونه سميعا بقوله لَقَدْ سَمِعَ اللهُ و ثبت كونه بصيرا بقوله أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى و ثبت كونه متكلما بقوله وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا و ثبت كونه حيا بقوله اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و ثبت إرسال الرسل بقوله وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ و ثبتت رسالة محمد صلى الله عليه و سلم بقوله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ و ثبت أنه آخر الأنبياء بقوله وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ و ثبت أن كل ما سواه خلق له بقوله اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ و ثبت خلق الجن بقوله تعالى وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و ثبت حشر الأجساد بقوله مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا

يُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى إلى أمثال هذا مما تحتاج إليه العقائد من الحشر و النشر و القضاء و القدر و الجنة و النار و القبر و الميزان و الحوض و الصراط و الحساب و الصحف و كل ما لا بد للمعتقد أن يعتقده قال تعالى ما فَرَّطْنا في الْكِتابِ من شَيْءٍ و أن هذا القرآن معجزته ع بطلب معارضته و العجز عن ذلك في قوله قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ثم قطع أن المعارضة لا تكون أبدا بقوله قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً و أخبر بعجز من أراد معارضته و إقراره بأن الأمر عظيم فيه فقال إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ إلى قوله إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ففي القرآن العزيز للعاقل غنية كبيرة و لصاحب الداء العضال دواء و شفاء كما قال وَ نُنَزِّلُ من الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ و مقنع شاف لمن عزم على طريق النجاة و رغب في سمو الدرجات و ترك العلوم التي تورد عليها الشبه و الشكوك فيضيع الوقت و يخاف المقت إذ المنتحل لتلك الطريقة قلما ينجو من التشغيب أو يشتغل برياضة نفسه و تهذيبها فإنه مستغرق الأوقات في إرداع الخصوم الذين لم يوجد لهم عين و دفع شبه يمكن إن وقعت للخصم و يمكن إن لم تقع فقد تقع و قد لا تقع و إذا وقعت فسيف الشريعة أردع و أقطع. أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله و حتى يؤمنوا بي و بما جئت به هذا قوله صلى الله عليه و سلم و لم يدفعنا لمجادلتهم إذا حضروا إنما هو الجهاد و السيف إن عاند فيما قيل له فكيف بخصم متوهم نقطع الزمان بمجادلته و ما رأينا له عينا و لا قال لنا شيئا و إنما نحن مع ما وقع لنا في نفوسنا و نتخيل أنا مع غيرنا و مع هذا فإنهم رضي الله عنهم اجتهدوا و خيرا قصدوا و إن كان الذي تركوا أوجب عليهم من الذي شغلوا نفوسهم به و الله ينفع الكل بقصده و لو لا التطويل لتكلمت على مقامات العلوم و مراتبها و إن علم الكلام مع شرفه لا يحتاج إليه أكثر الناس بل شخص واحد يكفي منه في البلد مثل الطبيب و الفقهاء العلماء بفروع الدين ليسوا كذلك بل الناس محتاجون إلى الكثرة من علماء الشريعة و في الشريعة بحمد الله الغنية و الكفاية و لو مات الإنسان و هو لا يعرف اصطلاح القائلين بعلم النظر مثل الجوهر و العرض و الجسم و الجسماني و الروح و الروحاني لم يسأله الله تعالى عن ذلك و إنما يسأل الله الناس عما أوجب عليهم من التكليف خاصة و الله يرزقنا الحياء منه (وصل) يتضمن ما ينبغي أن يعتقد في العموم و هي عقيدة أهل الإسلام مسلمة من غير نظر إلى دليل و لا إلى برهان فيا إخوتي المؤمنين ختم الله لنا و لكم بالحسنى لما سمعت قوله تعالى عن نبيه هود ع حين قال لقومه المكذبين به و برسالته إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ فأشهد ع قومه مع كونهم مكذبين به على نفسه بالبراءة من الشرك بالله و الإقرار بأحديته لما علم ع إن الله سبحانه سيوقف عباده بين يديه و يسألهم عما هو عالم به لإقامة الحجة لهم أو عليهم حتى يؤدي كل شاهد شهادته و قد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب و يابس و كل من سمعه و لهذا يدبر الشيطان عند الأذان و له حصاص و في رواية و له ضراط و ذلك حتى لا يسمع نداء المؤذن بالشهادة فيلزمه أن يشهد له فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسعى في سعادة المشهود له و هو عدو محض ليس له إلينا خير البتة لعنه الله و إذا كان العدو لا بد أن يشهد لك بما أشهدته به على نفسك فأحرى أن يشهد لك وليك و حبيبك و من هو على دينك و ملتك و أحرى أن تشهده أنت في الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية و الايمان فيا إخوتي و يا أحبائي رضي الله عنكم أشهدكم عبد ضعيف

مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة و طرفة و هو مؤلف هذا الكتاب و منشئه أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى و ملائكته و من حضره من المؤمنين و سمعه أنه يشهد قولا و عقدا إن الله تعالى إله واحد لا ثاني له في ألوهيته منزه عن الصاحبة و الولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده فالعالم كله موجود به و هو وحده متصف بالوجود لنفسه لا افتتاح لوجوده و لا نهاية لبقائه بل وجود مطلق غير مقيد قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان و لا بعرض فيستحيل عليه البقاء و لا بجسم فتكون له الجهة و التلقاء مقدس عن الجهات و الأقطار مرئي بالقلوب و الأبصار إذا شاء استوى على عرشه كما قاله و على المعنى الذي أراده كما إن العرش و ما سواه به استوى و له الآخرة و الأولى ليس له مثل معقول و لا دلت عليه العقول لا يحده زمان و لا يقله مكان بل كان و لا مكان و هو على ما عليه كان خلق المتمكن و المكان و أنشأ الزمان و قال أنا الواحد الحي لا يئوده حفظ المخلوقات و لا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات تعالى إن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها بل يقال كان و لا شيء معه فإن القبل و البعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو القيوم الذي لا ينام و القهار الذي لا يرام لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خلق العرش و جعله حد الاستواء و أنشأ الكرسي و أوسعه الأرض و السماوات العلى اخترع اللوح و القلم الأعلى و أجراه كاتبا بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل و القضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق و خلق الخلق و أخلق الذي خلق أنزل الأرواح في الأشباح أمناء و جعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء و سخر لنا ما في السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ فلا تتحرك ذرة إلا إليه و عنه خلق الكل من غير حاجة إليه و لا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ كيف لا يعلم شيئا هو خلقه أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ علم الأشياء منها قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء بعلمه أتقن الأشياء و أحكمها و به حكم عليها من شاء و حكمها علم الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر الصحيح و اتفاق فهو عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ فهو المريد الكائنات في عالم الأرض و السموات لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده كما أنه لم يرده حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها فما في الوجود طاعة و لا عصيان و لا ربح و لا خسران و لا عبد و لا حر و لا برد و لا حر و لا حياة و لا موت و لا حصول و لا فوت و لا نهار و لا ليل و لا اعتدال و لا ميل و لا بر و لا بحر و لا شفع و لا وتر و لا جوهر و لا عرض و لا صحة و لا مرض و لا فرح و لا ترح و لا روح و لا شبح و لا ظلام و لا ضياء و لا أرض و لا سماء و لا تركيب و لا تحليل و لا كثير و لا قليل و لا غداة و لا أصيل و لا بياض و لا سواد و لا رقاد و لا سهاد و لا ظاهر و لا باطن و لا متحرك و لا ساكن و لا يابس و لا رطب و لا قشر و لا لب و لا شيء من هذه النسب المتضادات منها و المختلفات و المتماثلات إلا و هو

مراد للحق تعالى و كيف لا يكون مرادا له و هو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا يريد لا راد لأمره و لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ يؤتي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء و يُضِلُّ من يَشاءُ وَيَهْدِي من يَشاءُ ما شاء كان و ما لم يشأ أن يكون لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه أو يفعلوا شيئا لم يرد الله تعالى إيجاده و أرادوه عند ما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه و لا استطاعوا على ذلك و لا أقدرهم عليه فالكفر و الايمان و الطاعة و العصيان من مشيئته و حكمه و إرادته و لم يزل سبحانه موصوفا بهذه الإرادة أزلا و العالم معدوم غير موجود و إن كان ثابتا في العلم في عينه ثم أوجد العالم من غير تفكر و لا تدبر عن جهل أو عدم علم فيعطيه التفكر و التدبر علم ما جهل جل و علا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق و تعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان و مكان و أكوان و ألوان فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ و أنه سبحانه كما علم فاحكم و أراد فخصص و قدر فأوجد كذلك سمع و رأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل و الأعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب و لا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس في النفس و صوت المماسة الخفية عند اللمس و يرى السواد في الظلماء و الماء في الماء لا يحجبه الامتزاج و لا الظلمات و لا النور و هو السميع البصير تكلم سبحانه لا عن صمت متقدم و لا سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه و إرادته و قدرته كلم به موسى ع سماه التنزيل و الزبور و التوراة و الإنجيل من غير حروف و لا أصوات و لا نغم و لا لغات بل هو خالق الأصوات و الحروف و اللغات فكلامه سبحانه من غير لهاة و لا لسان كما إن سمعه من غير أصمخة و لا آذان كما إن بصره من غير حدقة و لا أجفان كما إن إرادته في غير قلب و لا جنان كما إن علمه من غير اضطرار و لا نظر في برهان كما إن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان كما إن ذاته لا تقبل الزيادة و النقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن جوده فائض و فضله و عدله الباسط له و القابض أكمل صنع العالم و أبدعه حين أوجده و اخترعه لا شريك له في ملكه و لا مدبر معه في ملكه إن أنعم فنعم فذلك فضله و إن أبلى فعذب فذلك عدله لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور و الحيف و لا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك و الخوف كل ما سواه تحت سلطان قهره و متصرف عن إرادته و أمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى و الفجور و هو المتجاوز عن سيئات من شاء و الآخذ بها من شاء هنا و في يوم النشور لا يحكم عدله في فضله و لا فضله في عدله أخرج العالم قبضتين و أوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة و لا أبالي و هؤلاء للنار و لا أبالي و لم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه و قبضة تحت أسماء آلائه و لو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان أو شقيا لما كان من ذلك في شأن لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقي و السعيد هنا و في يوم المعاد فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم و قد قال تعالى في الصلاة هي خمس و هي خمسون ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ لتصرفي في ملكي و إنفاذ مشيئتي في ملكي و ذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار و البصائر و لم تعثر عليها الأفكار و لا الضمائر إلا بوهب إلهي و

جود رحماني لمن اعتنى الله به من عباده و سبق له ذلك بحضرة إشهاده فعلم حين أعلم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم و أنه من رقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه و لا موجود لنفسه إلا إياه وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ و لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ الشهادة الثانية و كما أشهدت الله و ملائكته و جميع خلقه و إياكم على نفسي بتوحيده فكذلك أشهده سبحانه و ملائكته و جميع خلقه و إياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه و اختاره و اجتباه من وجوده ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بَشِيراً وَنَذِيراً و داعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً فبلغ صلى الله عليه و سلم ما أنزل من ربه إليه و أدى أمانته و نصح أمته و وقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه فخطب و ذكر و خوف و حذر و بشر و أنذر و وعد و أوعد و أمطر و أرعد و ما خص بذلك التذكير أحدا من أحد عن إذن الواحد الصمد ثم قال ألا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال صلى الله عليه و سلم اللهم اشهد و إني مؤمن بكل ما جاء به صلى الله و عليه و سلم مما علمت و ما لم أعلم فمما جاء به فقر أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا إيمانا لا ريب فيه و لا شك كما آمنت و أقررت إن سؤال فتاني القبر حق و عذاب القبر حق و بعث الأجساد من القبور حق و العرض على الله تعالى حق و الحوض حق و الميزان حق و تطاير الصحف حق و الصراط حق و الجنة حق و النار حق و فريقا في الجنة و فريقا في النار حق و كرب ذلك اليوم حق على طائفة و طائفة أخرى لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ و شفاعة الملائكة و النبيين و المؤمنين و إخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق و جماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة و الامتنان حق و التأبيد للمؤمنين و الموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق و التأبيد لأهل النار في النار حق و كل ما جاءت به الكتب و الرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سألها حيثما كان نفعنا الله و إياكم بهذا الايمان و ثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان و أحلنا منها دار الكرامة و الرضوان و حال بيننا و بين دار سرابيلها من القطران و جعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالإيمان و ممن انقلب من الحوض و هو ريان و ثقل له الميزان و ثبتت له على الصراط القدمان أنه المنعم المحسان ف الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ

«فهذه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد و أهل النظر ملخصة مختصرة»

ثم أتلوها إن شاء الله بعقيدة الناشية الشادية ضمنتها اختصار الاقتصاد بأوجز عبارة نبهت فيها على مآخذ الأدلة لهذه الملة مسجعة الألفاظ و سميتها برسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم ليسهل على الطالب حفظها ثم أتلوها بعقيدة خواص أهل الله من أهل طريق الله من المحققين أهل الكشف و الوجود و جردتها أيضا في جزء آخر سميته المعرفة و به انتهت مقدمة الكتاب و أما التصريح بعقيدة الخلاصة فما أفردتها على التعيين لما فيها من الغموض لكن جئت بها مبددة في أبواب هذا الكتاب مستوفاة مبينة لكنها كما ذكرنا متفرقة فمن رزقه الله الفهم فيها يعرف أمرها و يميزها من غيرها فإنه العلم الحق و القول الصدق و ليس وراءها مرمى و يستوي فيها البصير و الأعمى تلحق

الأباعد بالأداني و تلحم الأسافل بالأعالي و الله الموفق لا رب غيره

«وصل الناشىء و الشادى في العقائد»

قال الشادى اجتمع أربعة نفر من العلماء في قبة أرين تحت خط الاستواء الواحد مغربي و الثاني مشرقي و الثالث شامي و الرابع يمني فتجاروا في العلوم و الفرق بين الأسماء و الرسوم فقال كل واحد منهم لصاحبه لا خير في علم لا يعطي صاحبه سعادة الأبد و لا يقدس حامله عن تأثير الأمد فلنبحث في هذه العلوم التي بين أيدينا عن العلم الذي هو أعز ما يطلب و أفضل ما يكتسب و أسنى ما يدخر و أعظم ما به يفتخر فقال المغربي عندي من هذا العلم العلم بالحامل القائم و قال المشرقي عندي منه العلم بالحامل المحمول اللازم و قال الشامي عندي من هذا العلم علم الإبداع و التركيب و قال اليمني عندي من هذا العلم علم التلخيص و الترتيب ثم قالوا ليظهر كل واحد منا ما وعاه و ليكشف عن حقيقة ما ادعاه

«الفصل الأول في معرفة الحامل القائم باللسان الغربي»

قام الإمام المغربي و قال لي التقدم من أجل مرتبة علمي فالحكم في الأوليات حكمي فقال له الحاضرون تكلم و أوجز و كن البليغ المعجز فقال اعلموا أنه ما لم يكن ثم كان و استوت في حقه الأزمان أن المكون يلزمه في الآن ثم قال كل ما لا يستغني عن أمر ما فحكمه حكم ذلك الأمر و لكن إذا كان من عالم الخلق و الأمر فليصرف الطالب النظر إليه و ليعول الباحث عليه ثم قال من كان الوجود يلزمه فإنه يستحيل عدمه و الكائن و لم يكن يستحيل قدمه و لو لم يستحل عليه العدم لصحبة المقابل في القدم فإن كان المقابل لم يكن فالعجز في المقابل مستكن و إن كان كان يستحيل على هذا الآخر كان و محال أن يزول بذاته لصحة الشرط و إحكام الربط ثم قال و كل ما ظهر عينه و لم يوجب حكما فكونه ظاهرا محال فإنه لا يفيد علما ثم قال و من المحال عليه تعمير المواطن لأن رحلته في الزمن الثاني من زمان وجوده لنفسه و ليس بقاطن و لو جاز أن ينتقل لقام بنفسه و استغنى عن المحل و لا يعدمه ضد لاتصافه بالفقد و لا الفاعل فإن قولك فعل لا شيء لا يقول به عاقل ثم قال من توقف وجوده على فناء شيء فلا وجود له حتى يفنى فإن وجد فقد فنى ذلك الشيء المتوقف عليه و حصل المعنى من تقدمه شيء فقد انحصر دونه و تقيد و لزمه هذا الوصف و لو تأبد فقد ثبت العين بلامين ثم قال و لو كان حكم المسند إليه حكم المسند لما تناهي العدد و لا صح وجود من وجد ثم قال و لو كان ما أثبتناه يخلى و يملي لكان يبلى و لا يبلى ثم قال و لو كان يقبل التركيب لتحلل أو التأليف اضمحل و إذا وقع التماثل سقط التفاضل ثم قال و لو كان يستدعي وجوده سواه ليقوم به لم يكن ذلك السوي مستندا إليه و قد صح إليه استناده فباطل أن يتوقف عليه وجوده و قد قيده إيجاده ثم إنه وصف الوصف محال فلا سبيل إلى هذا العقد بحال ثم قال الكرة و إن كانت فانية فليست ذات ناحية إذا كانت الجهات إلي فحكمها علي و أنا منها خارج عنها و قد كان و لا أنا ففيم التشغيب و العناء ثم قال كل من استوطن موطنا جازت عنه رحلته و ثبتت نقلته من حاذى بذاته شيئًا فإن التثليث يحده و يقدره و هذا يناقض ما كان العقل من قبل يقرره ثم قال لو كان لا يوجد شيء

إلا عن مستقلين اتفاقا و اختلافا لما رأينا في الوجود افتراقا و ائتلافا و المقدر حكمه حكم الواقع فاذن التقدير هنا للمنازع ليس بنافع ثم قال إذا وجد الشيء في عينه جاز أن يراه ذو العين بعينه المقيدة بوجهه الظاهر و جفنة و ما ثم علة توجب الرؤية في مذهب أكثر الأشعرية إلا الوجود بالبنية و غير البنية و لا بد من البنية و لو كانت الرؤية تؤثر في المرئي لأحلناها فقد بانت المطالب بأدلتها كما ذكرناها ثم صلى و سلم بعد ما حمد و قعد فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة و استيفائه المعاني في دقيق الإشارة

«الفصل الثاني في معرفة الحامل المحمول اللازم باللسان المشرقي»

ثم قام المشرقي و قال تكوين الشيء من الشيء ميل و تكوينه لا من شيء اقتدار الأزل و من لم يمتنع عنك فقدرتك نافذة فيه و لم تزل ثم قال إيجاد أحكام في محكم يثبت بحكمه وجود علم المحكم ثم قال و الحياة في العالم شرط لازم و وصف قائم ثم قال الشيء إذا قبل التقدم و المناص فلا بد من مخصص لوقوع الاختصاص و هذا هو عين الإرادة في حكم العقل و العادة ثم قال و لو أراد المريد بما لم يكن لكان ما لم يكن مرادا بما لم يكن ثم قال من المحال أن توجب المعاني أحكامها في غير من قامت به فانتبه ثم قال من تحدث في نفسه بما مضى فذلك الحديث ليس بإرادة به حكم الدليل على الكلام و قضى ثم قال القديم لا يقبل الطارئ فلا تمار و لو أحدث في نفسه ما ليس منها لكان بعدم تلك الصفة ناقصا عنها و من ثبت كماله بالعقل و النص فلا ينسب إليه النقص ثم قال لو لم يبصرك و لم يسمعك لجهل كثيرا منك و نسبة الجهل إليه محال فلا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين عنه بحال و من ارتكب القول بنفيهما ارتكب محوفا لما يؤدي إلى كونه مئوفا ثم قال من ضرورة الحكم أن يوجبه معنى كما من ضرورة المعنى الذي لا يقوم بنفسه استدعاء مغني فيا أيها المجادل كم ذا تتعنى ما ذاك إلا لخوفك من العدد و هذا لا يبطل حقيقة الواحد و الأحد و لو علمت إن العدد هو الأحد ما شرعت في منازعة أحد فهذا قد أبنت عن الحامل المحمول العارض و اللازم في تقاسيم هذه المعالم ثم قعد

«الفصل الثالث في معرفة الإبداع و التركيب باللسان الشامي»

ثم قام الشامي و قال إذا تماثلت الحدثات و كان تعلق القدرة بها لمجرد الذات فبأي دليل يخرج منها بعض الممكنات ثم قال لما كانت الإرادة تتعلق بمرادها حقيقة و لم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال في الطريقة فذلك هو الكسب فكسب العبد و قدر الرب و تبيين ذلك بالحركة الاختيارية و الرعدة الاضطرارية ثم قال القدرة من شرطها الإيجاد إذا ساعدها العلم و الإرادة فإياك و العادة كل ما أدى إلى نقص الألوهة فهو مردود و من جعل في الوجود الحادث ما ليس بمراد الله فهو من المعرفة مطرود و باب التوحيد في وجهه مسدود و قد يراد الأمر و لا يراد المأمور به و هو الصحيح و هذا غاية التصريح ثم قال من أوجب على الله أمرا فقد أوجب عليه حد الواجب و ذلك على الله محال في صحيح المذاهب و من قال بالوجوب لسبق العلم فقد خرج عن الحكم المعروف عند العلماء في الواجب و هو صحيح الحكم ثم قال تكليف ما لا يطاق جائز عقلا و قد عاينا ذلك مشاهدة و نقلا ثم قال من لم يخرج شيء على الحقيقة عن ملكه فلا يتصف بالجور و الظلم فيما يجريه

من حكمه في ملكه ثم قال من هو مختار فلا يجب عليه رعاية الأصلح و قد ثبت ذلك و صح التقبيح و التحسين بالشرع و الغرض و من قال إن الحسن و القبح لذات الحسن و القبيح فهو صاحب جهل عرض ثم قال إذا كان وجوب معرفة الله و غير ذلك من شرطه ارتباط الضرر بتركه في المستقبل فلا يصح الوجوب بالعقل لأنه لا يعقل ثم قال إذا كان العقل يستقل بنفسه في أمر و في أمر لا يستقل فلا بد من موصل إليه مستقل فلم تستحل بعثة الرسل و أنهم أعلم الخلق بالغايات و السبل ثم قال لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق لانقلبت الحقائق و لتبدلت القدرة بالعجز و لاستند الكذب إلى حضرة العز و هذا كله محال و غاية الضلال بما ثبت الواحد الأول يثبت الثاني في جميع الوجوه و المعاني

«الفصل الرابع في معرفة التخليص و الترتيب باللسان اليمني»

ثم قام اليمني و قال من أفسد شيئًا بعد ما أنشأه جاز أن يعيده كما بدأه ثم قال إذا قامت اللطيفة الروحانية بجزء ما من الإنسان فقد صح عليه اسم الحيوان النائم يرى ما لا يراه اليقظان و هو إلى جانبه لاختلاف مذاهبه من قامت به الحياة جازت عليه اللذة و الألم فما لك لا تلتزم ثم قال البدل من الشيء يقوم مقامه و يوجب له أحكامه ثم قال من قدر على إمساك الطير في الهواء و هي أجسام قدر على إمساك جميع الأجرام ثم قال قد كملت النشأة و اجتمعت أطراف الدائرة قبل حلول الدائرة ثم قال إقامة الدين هو المطلوب و لا يصح إلا بالأمان فاتخاذ الإمام واجب في كل زمان ثم قال إذا تكاملت الشرائط صح العقد و لزم العالم الوفاء بالعهد و هي الذكورية و البلوغ و العقل و العلم و الحرية و الورع و النجدة و الكفاية و نسب قريش و سلامة حاسة السمع و البصر و بهذا قال بعض أهل العلم و النظر ثم قال إذا تعارض إمامان فالعقد للاكثر اتباعه و إذا تعذر خلع إمام ناقص لتحقق وقوع فساد شامل فإبقاء العقد له واجب و لا يجوز إرداعه قال الشادى ففى كل واحد من الأربعة ما اشترط و انتظم الوجود و ارتبط

«وصل في اعتقاد أهل الاختصاص من أهل الله بين نظر و كشف»

الحمد لله محير العقول في نتائج الهمم و صلى الله على محمد و على آله و سلم «مسألة» أما بعد فإن للعقول حدا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة فنقول في الأمر الذي يستحيل عقلا قد لا يستحيل نسبة إلهية كما نقول فيما يجوز عقلا قد يستحيل نسبة إلهية «مسألة» أية مناسبة بين الحق الواجب الوجود بذاته و بين الممكن و إن كان واجبا به عند من يقول بذلك لاقتضاء الذات أو لاقتضاء العلم و مأخذها الفكرية إنما تقوم صحيحة من البراهين الوجودية و لا بد بين الدليل و المدلول و البرهان و المبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له نسبة إلى الدليل و نسبة إلى المدلول عليه بذلك الدليل و لو لا ذلك الوجه ما وصل دال إلى مدلول دليله أبدا فلا يصح أن يجتمع الخلق و الحق في وجه أبدا من حيث الذات لكن من حيث إن هذه الذات منعوتة الألوهة فهذا حكم آخر تستقل العقول بإدراكه و كل ما يستقل العقل بإدراكه عندنا يمكن أن يتقدم العلم به على شهوده و ذات الحق تعالى بائنة عن هذا الحكم فإن شهودها يتقدم على العلم بها بل تشهد و لا تعلم كما إن الألوهة تعلم و لا تشهد و الذات تقابلها و كم من عاقل ممن يدعي العقل الرصين من العلماء النظار يقول إنه حصل على معرفة الذات من حيث

النظر الفكري و هو غالط في ذلك لأنه متردد بفكره بين السلب و الإثبات فالإثبات راجع إليه فإنه ما أثبت للحق الناظر إلا ما هو الناظر عليه من كونه عالما قادرا مريدا إلى جميع الأسماء و السلب راجع إلى العدم و النفي و النفي لا يكون صفة ذاتية لأن الصفات الذاتية للموجودات إنما هي ثبوتية فما حصل لهذا المفكر المتردد بين الإثبات و السلب من العلم بالله شيء «مسألة» أنى للمقيد بمعرفة المطلق و ذاته لا تقتضيه و كيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات و ما من وجه للممكن إلا و يجوز عليه العدم و الدثور و الافتقار فلو جمع بين الواجب بذاته و بين الممكن وجه لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من الدثور و الافتقار و هذا في حق الواجب محال فإثبات وجه جامع بين الواجب و الممكن محال فإن وجوه الممكن تابعة له و هو في نفسه يجوز عليه العدم فتوابعه أحرى و أحق بهذا الحكم و ثبت للممكن ما ثبت للواجب بالذات من ذلك الوجه الجامع و ما ثم شيء ثبت للممكن من حيث ما هو ثابت للواجب بالذات فوجود وجه جامع بين الممكن و الواجب بالذات محال «مسألة» لكني أقول إن للالوهة أحكاما و إن كانت حكما و في صور هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة حيث كان فإنه قد اختلف في رؤية النبي ع ربه كما ذكر و قد جاء حديث النور الأعظم في رفرف الدر و الياقوت و غير ذلك «مسألة» أقول بالحكم الإرادي لكني لا أقول بالاختيار فإن الخطاب بالاختيار الوارد إنما ورد من حيث النظر إلى الممكن معرى عن علته و سببيته «مسألة» فأقول بما أعطاه الكشف الاعتصامي إن الله كان و لا شيء معه إلى هنا انتهى لفظه ع و ما أتى بعد هذا فهو مدرج فيه و هو قولهم و هو الآن على ما عليه كان يريدون في الحكم فالآن و كان أمران عائدان علينا إذ بنا ظهرا و أمثالهما و قد انتفت المناسبة و المقول عليه كان الله و لا شيء معه إنما هو الألوهة لا الذات و كل حكم يثبت في باب العلم الإلهي للذات إنما هو للالوهية و هي أحكام نسب و إضافات و سلوب فالكثرة في النسب لا في العين و هنا زلت أقدام من شرك بين من يقبل التشبيه و بين من لا يقبله عند كلامهم في الصفات و اعتمدوا في ذلك على الأمور الجامعة التي هي الدليل و الحقيقة و العلة و الشرط و حكموا بها غائبا و شاهدا فأما شاهدا فقد يسلم و أما غائبا فغير مسلم «مسألة» بحر العماء برزخ بين الحق و الخلق في هذا البحر اتصف الممكن بعالم و قادر و جميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا و اتصف الحق بالتعجب و التبشش و الضحك و الفرح و المعية و أكثر النعوت الكونية فرد ماله و خذ مالك فله النزول و لنا المعراج «مسألة» من أردت الوصول إليه لم تصل إليه إلا به و بك بك من حيث طلبك و به لأنه موضع قصدك فالألوهة تطلب ذلك و الذات لا تطلبه «مسألة» المتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى هو الألوهة بأحكامها و نسبها و إضافاتها و هي التي استدعت الآثار فإن قاهرا بلا مقهور و قادرا بلا مقدور صلاحية و وجودا و قوة و فعلا محال «مسألة» النعت الخاص الأخص التي انفردت به الألوهة كونها قادرة إذ لا قدرة لممكن أصلا و إنما له التمكن من قبول تعلق الأثر الإلهي به «مسألة» الكسب تعلق إرادة الممكن بفعل ما دون غيره فيوجده الاقتدار الإلهي عند هذا التعلق فسمى ذلك كسبا للممكن «مسألة» الجبر لا يصح عند المحقق لكونه ينافي صحة الفعل للعبد فإن الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود الإباية من الممكن فالجماد ليس بمجبور لأنه لا يتصور منه فعل و لا له عقل عادي فالممكن ليس بمجبور لأنه لا يتصور منه فعل و لا له

عقل محقق مع ظهور الآثا ر منه «مسألة» الألوهة تقضي أن يكون في العالم بلاء و عافية فليس إزالة المنتقم من الوجود بأولى من إزالة الغافر و ذي العفو و المنعم لو بقي من الأسماء ما لا حكم له لكان معطلا و التعطيل في الألوهة محال فعدم أثر الأسماء محال «مسألة» المد رك و المد رك كل واحد منهما على ضربين مد رك يعلم و له قوة التخيل و مد رك يعلم و ما له قوة التخيل و المد رك بفتح الراء على ضربين مد رك له صورة يعلمه بصورته من ليس له قوة التخيل و لا يتصوره و يعلمه و يتصوره من له قوة التخيل و مد رك ما له صورة يعلم فقط «مسألة» العلم ليس تصور المعلوم و لا هو المعنى الذي يتصور المعلوم فإنه ما كل معلوم يتصور و لا كل عالم يتصور فإن التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلا و الصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال و ثم معلومات لا يمسكها خيال أصلا فثبت أنها لا صورة لها «مسألة» لو صح الفعل من الممكن لصح أن يكون قادرا و لا فعل له فلا قدرة له فإثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان و كلامنا في هذا الفصل مع الأشاعرة المثبتين لها مع نفي الفعل عنها «مسألة» لا يصدر عن الواحد من كل وجه إلا واحد و هل ثم من هو على هذا الوصف أم لا في ذلك نظر للمنصف أ لا ترى الأشاعرة ما جعلوا الإيجاد للحق إلا من كونه قادرا و الاختصاص من كونه مريدا و الأحكام من كونه عالما و كون الشيء مريدا ما هو عين كونه قادرا فليس قولهم بعد هذا إنه واحد من كل وجه صحيحا في التعلق العام و كيف و هم مثبتو الصفات زائدة على الذات قائمة به تعالى و هكذا القائلون بالنسب و الإضافات و كل فرقة من الفرق ما تخلصت لهم الوحدة من جميع الوجوه إلا أنهم بين ملزم من مذهبه القول بعدمها و بين قائل بها فإثبات الوحدانية إنما ذلك في الألوهية أي لا إله إلا هو و ذلك صحيح مدلول عليه «مسألة» كون البا ري عالما حيا قادرا إلى سائر الصفات نسب و إضافات له لا أعيان زائدة لما يؤدي إلى نعتها بالنقص إذ الكامل بالزائد ناقص بالذات عن كماله بالزائد و هو كامل لذاته فالزائد بالذات على الذات محال و بالنسب و الإضافة ليس بمحال و أما قول القائل لا هي هو و لا هي أغيا ر له فكلام في غاية البعد فإنه قد دل صاحب هذا المذهب على إثبات الزائد و هو الغير بلا شك إلا أنه أنكر هذا الإطلاق لا غير ثم تحكم في الحد بأن قال الغيران هما اللذان يجوز مفارقة أحدهما الآخر مكانا و زمانا و وجودا و عدما و ليس هذا بحد للغيرين عند جميع العلماء به «مسألة» لا يؤثر تعدد التعلقات من المتعلق في كونه واحدا في نفسه كما لا يؤثر تقسيم المتكلم به في أحدية الكلام «مسألة» الصفات الذاتية للموصوف بها و إن تعددت فلا تدل على تعدد الموصوف في نفسه لكونها مجموع ذاته و إن كانت معقولة في التمييز بعضها من بعض «مسألة» كل صورة في العالم عرض في الجوهر و هي التي يقع عليها الخلع و السلخ و الجوهر واحد . و القسمة في الصورة لا في الجوهر «مسألة» قول القائل إنما وجد عن المعلول الأول الكثرة و إن كان واحد الاعتبارات ثلاثة وجدت فيه و هي علته و نفسه و إمكانه فنقول لهم ذلكم يلزمكم في العلة الأولى أعني وجود اعتبارات فيه و هو واحد فلم منعتم أن لا يصدر عنه إلا واحد فأما إن تلتزموا صدور الكثرة عن العلة الأولى أو صدور واحد عن المعلول الأول و أنتم غير قائلين بالأمرين «مسألة» من وجب له الكمال الذاتي و الغني الذاتي لا يكون علة لشيء لأنه يؤدي كونه علة توقفه على المعلول و الذات منزهة عن التوقف على شيء فكونها علة محال لكن الألوهة قد تقبل الإضافات فإن قيل إنما يطلق الإله على من هو كامل الذات غني

الذات لا يريد الإضافة و لا النسب قلنا لا مشاحة في اللفظ بخلاف العلة فإنها في أصل وضعها و من معناها تستدعي معلولا فإن أريد بالعلة ما أراد هذا بالإله فمسلم و لا يبقى نزاع في هذا اللفظ إلا من جهة الشرع هل يمنع أو يبيح أو يسكت «مسألة» الألوهة مرتبة للذات لا يستحقها إلا الله فطلبت ما هو طلبها و المألوه يطلبها و هي تطلبه و الذات غنية عن كل شيء فلو ظهر هذا السر الرابط لما ذكرنا لبطلت الألوهة و لم يبطل كمال الذات و ظهر هنا بمعنى زال كما يقال ظهروا عن البلد أي ارتفعوا عنه و هو قول الإمام للالوهية سر لو ظهر لبطلت الألوهية «مسألة» العلم لا يتغير بتغير المعلوم لكن التعلق يتغير و التعلق نسبة إلى معلوم ما مثاله تعلق العلم بأن زيدا سيكون فكان فتعلق العلم بكونه كائنا في الحال و زال تعلق العلم باستئناف كونه و لا يلزم من تغير التعلق تغير العلم و كذلك لا يلزم من تغير المسموع و المرئي تغير الرؤية و السمع «مسألة» ثبت أن العلم لا يتغير فالمعلوم أيضا لا يتغير فإن معلوم العلم إنما هو نسبة لأمرين معلومين محققين فالجسم معلوم لا يتغير أبدا و القيام معلوم لا يتغير و نسبة القيام للجسم هي المعلومة التي الحق بها التغيير و النسبة أيضا لا تتغير و هذه النسبة الشخصية أيضا لا تكون لغير هذا الشخص فلا تتغير و ما ثم معلوم أصلا سوى هذه الأربعة و هي الثلاثة الأمور المحققة النسبة و المنسوب و المنسوب إليه و النسبة الشخصية فإن قيل إنما ألحقنا التغير بالمنسوب إليه لكونه رأيناه على حالة ما ثم رأيناه على حالة أخرى قلنا لما نظرت المنسوب إليه أمرا ما لم تنظر إليه من حيث حقيقته فحقيقته غير متغيرة و لا من حيث ما هو منسوب إليه فتلك حقيقة لا تتغير أيضا و إنما نظرت إليه من حيث ما هو منسوب إليه حال ما فاذن ليس المعلوم الآخر هو المنسوب إليه تلك الحالة التي قلت إنها زالت فإنها لا تفارق منسوبها و إنما هذا منسوب آخر إليه نسبة أخرى فاذن فلا يتغير علم و لا معلوم و إنما العلم له تعلقات بالمعلومات أو تعلق بالمعلومات كيف شئت «مسألة» ليس شيء من العلم التصوري مكتسبا بالنظر الفكري فالعلوم المكتسبة ليس إلا نسبة معلوم تصوري إلى معلوم تصوري و النسبة المطلقة أيضا من العلم التصوري فإذا نسبت الاكتساب إلى العلم التصوري فليس ذلك إلا من كونك تسمع لفظا قد اصطلحت عليه طائفة ما لمعنى ما يعرفه كل أحد لكن لا يعرف كل أحد أن ذلك اللفظ يدل عليه فلذلك يسأل عن المعنى الذي أطلق عليه هذا اللفظ أي معنى هو فيعينه له المسئول بما يعرفه فلو لم يكن عند السائل العلم بذلك المعنى من حيث معنويته و الدلالة التي توصل بها إلى معرفة مراد ذلك الشخص بذلك الاصطلاح لذلك المعنى ما قبله و ما عرف ما يقول فلا بد أن تكون المعاني كلها مركوزة في النفس ثم تنكشف له مع الأناة حالا بعد حال وصف العلم بالإحاطة للمعلومات يقضي بتناهيها و التناهي فيها محال فالإحاطة محال لكن يقال العلم محيط بحقيقة كل معلوم و إلا فليس معلوما بطريق الإحاطة فإنه من علم أمرا من وجه ما لا من جميع الوجوه فما أحاط به «مسألة» رؤية البصيرة علم و رؤية البصر طريق حصول علم فكون الإله سميعا بصيرا تعلق تفصيلي فهما حكمان للعلم و وقعت التثنية من أجل المتعلق الذي هو المسموع و المبصر «مسألة» الأزل نعت سلبي و هو نفي الأولية فإذا قلنا أول في حق الألوهة فليس إلا المرتبة «مسألة» دلت الأشاعرة على حدوث كل ما سوى الله بحدوث المتحيزات و حدوث أعراضها و هذا لا يصح حتى يقيموا الدليل على حصر كل ما سوى الله تعالى فيما ذكروه و نحن نسلم حدوث ما ذكروا حدوثه «مسألة» كل موجود

قائم بنفسه غير متحيز و هو ممكن لا تجري مع وجوده الأزمنة و لا تطلبه الأمكنة «مسألة» دلالة الأشعري في الممكن الأول إنه يجوز تقدمه على زمان وجوده و تأخره عنه و الزمان عنده في هذه المسألة مقدر لا موجود فالاختصاص دليل على المخصص فهذه دلالة فاسدة لعدم الزمان فبطل أن يكون هذا دليلا فلو قال نسبة الممكنات إلى الوجود أو نسبة الوجود إلى الممكنات نسبة واحدة من حيث ما هي نسبة لا من حيث ما هو ممكن فاختصاص بعض الممكنات بالوجود دون غيره من الممكنات دليل على إن لها مخصصا فهذا هو عين حدوث كل ما سوى الله «مسألة» قول القائل إن الزمان مدة متوهمة تقطعها حركة الفلك خلف من الكلام لأن المتوهم ليس بوجود محقق و هم ينكرون على الأشاعرة تقدير الزمان في الممكن الأول فحركات الفلك تقطع في لا شيء فإن قال الآخر إن الزمان حركة الفلك و الفلك متحيز فلا تقطع الحركة إلا في متحيز «مسألة» عجبت من طائفتين كبيرتين الأشاعرة و المجسمة في غلطهم في اللفظ المشترك كيف جعلوه للتشبيه و لا يكون التشبيه إلا بلفظه المثل أو كاف الصفة بين الأمرين في اللسان و هذا عزيز الوجود في كل ما جعلاه تشبيها من آية أو خبر ثم إن الأشاعرة تخيلت أنها لما تأولت قد خرجت من التشبيه و هي ما فارقته إلا أنها انتقلت من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعاني المحدثة المفارقة للنعوت القديمة في الحقيقة و الحد فما انتقلوا من التشبيه بالمحدثات أصلا و لو قلنا بقولهم لم نعدل مثلا من الاستواء الذي هو الاستقرار إلى الاستواء الذي هو الاستيلاء كما عدلوا و لا سيما و العرش مذكور في نسبة هذا الاستواء و يبطل معنى الاستيلاء مع ذكر السرير و يستحيل صرفه إلى معنى آخر ينافي الاستقرار فكنت أقول إن التشبيه مثلا إنما وقع بالاستواء و الاستواء معنى لا بالمستوى عليه الذي هو الجسم و الاستواء حقيقة معقولة معنوية تنسب إلى كل ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات و لا حاجة لنا إلى التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره فهذا غلط بين لا خفاء به و أما المجسمة فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ الوارد إلى أحد محتملاته مع إيمانهم و وقوفهم مع قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «مسألة» كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يريدها لكن قضاها و قدرها بيان كونه لا يريدها لأن كونها فاحشة ليس عينها بل هو حكم الله فيها و حكم الله في الأشياء غير مخلوق و ما لم يجر عليه الخلق لا يكون مرادا فإن ألزمناه في الطاعة التزمناه و قلنا الإرادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا فأثبتوها فأثبتوها في الفحشاء و نحن قبلناها إيمانا كما قبلنا وزن الأعمال و صورها مع كونها أعراضا فلا يقدح ذلك فيما ذهبنا إليه لما اقتضاه الدليل «مسألة» العدم للممكن المتقدم بالحكم على وجوده ليس بمراد لكن العدم الذي يقارنه حكما حال وجوده أن لو لم يكن الوجود لكان ذلك العدم منسحبا عليه هو مراد حال وجود الممكن لجواز استصحاب العدم له و عدم الممكن الذي ليس بمراد هو الذي في مقابلة وجود الواجب لذاته لأن مرتبة الوجود المطلق تقابل العدم المطلق الذي للممكن إذ ليس له جواز وجود في هذه المرتبة و هذا في وجود الألوهة لا غير «مسألة» لا يستحيل في العقل وجود قديم ليس بإله فإن لم يكن فمن طريق السمع لا غير «مسألة» كون المخصص مريد الوجود ممكن ما ليس تخصيصه لوجوده من حيث هو وجود لكن من حيث نسبته لممكن ما تجوز نسبته لممكن آخر فالوجود من حيث الممكن مطلقا لا من حيث ممكن ما ليس بمراد و لا بواقع أصلا إلا بممكن ما و إذا كان بممكن ما فليس هو بمراد من حيث هو لكن من

حيث نسبته لممكن ما لا غير «مسألة» دل الدليل على ثبوت السبب المخصص و دل الدليل مثلا على التوقيف فيما ينسب إلى هذا المخصص من نفي أو إثبات كما قال لنا بعض النظار في كلام جرى بيني و بينه فكنا نقف كما زعم لكن دل الدليل على ثبوت الرسول من جانب المرسل فأخذنا النسب الإلهية من الرسول فحكمنا بأنه كذا و ليس كذا فكيف و الدليل الواضح على وجوده و أن وجوده عين ذاته و ليس بعلة لذاته لثبوت الافتقار إلى الغير و هو الكامل بكل وجه فهو موجود و وجوده عين ذاته لا غيرها «مسألة» افتقار الممكن للواجب بالذات و الاستغناء الذاتي للواجب دون الممكن يسمى إلها و تعلقها بنفسها و بحقائق كل محقق وجودا كان أو عدما يسمى علما تعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه يسمى اختيارا تعلقها بالممكن من حيث تقدم العلم قبل كون الممكن يسمى مشيئة تعلقها بتخصيص أحد الجائزين للممكن على التعين يسمى إرادة تعلقها بإيجاد الكون يسمى قدرة تعلقها بأسماع المكون لكونه يسمى أمرا و هو على نوعين بواسطة و بلا واسطة فبارتفاع الوسائط لا بد من نفوذ الأمر و بالواسطة لا يلزم النفوذ و ليس بأمر في عين الحقيقة إذ لا يقف لأمر الله شيء تعلقها بأسماع المكون لصرفه عن كونه أو كون ما يمكن أن يصدر منه يسمى نهيا و صورته في التقسيم صورة الأمر تعلقها بتحصيل ما هي عليه هي أو غيرها من الكائنات أو ما في النفس يسمى أخبارا فإن تعلقت بالكون على طريق أي شيء يسمى استفهاما فإن تعلقت به على جهة النزول إليه بصيغة الأمر يسمى دعاء و من باب تعلق الأمر إلى هذا يسمى كلاما تعلقها بالكلام من غير اشتراط العلم به يسمى سمعا فإن تعلقت و تبع التعلق الفهم بالمسموع يسمى فهما تعلقها بكيفية النور و ما يحمله من المرئيات يسمى بصرا و رؤية تعلقها بإدراك كل مدرك الذي لا يصح تعلق من هذه التعلقات كلها إلا به يسمى حياة و العين في ذلك كله واحدة تعددت التعلقات لحقائق المتعلقات و الأسماء للمسميات «مسألة» للعقل نور يدرك به أمور مخصوصة و للإيمان نور به يدرك كل شيء ما لم يقم مانع فبنور العقل تصل إلى معرفة الألوهية و ما يجب لها و يستحيل و ما يجوز منها فلا يستحيل و لا يجب و بنور الايمان يدرك العقل معرفة الذات و ما نسب الحق إلى نفسه من النعوت «مسألة» لا يمكن عندنا معرفة كيفية ما ينسب إلى الذوات من الأحكام إلا بعد معرفة الذوات المنسوبة و المنسوب إليها و حينئذ تعرف كيفية النسبة المخصوصة لتلك الذات المخصوصة كالاستواء و المعية و اليد و العين و غير ذلك «مسألة» الأعيان لا تنقلب و الحقائق لا تتبدل فالنار تحرق بحقيقتها لا بصورتها فقوله تعالى يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً خطاب للصورة و هي الجمرات و أجرام الجمرات محرقة بالنار فلما قام النار بها سميت نارا فتقبل البرد كما قبلت الحرارة «مسألة» البقاء استمرار الوجود مثلا على الباقي لا غير ليس بصفة زائدة فيحتاج إلى بقاء و يتسلسل إلا على مذهب الأشاعرة في المحدث فإن البقاء عرض فلا يحتاج إلى بقاء و إنما ذلك في بقاء الحق تعالى «مسألة» الكلام من حيث ما هو كلام واحد و القسمة في المتكلم به لا في الكلام فالأمر و النهي و الخبر و الاستخبار و الطلب واحد في الكلام «مسألة» الاختلاف في الاسم و المسمى و التسمية اختلاف في اللفظ فأما قول من قال تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ و سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ فكالنهي بالسفر بالمصحف إلى أرض العدو و أما القول في الحجة ب أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها على إن الاسم هو المسمى فالمعبود الأشخاص فنسبة الألوهية عبدوا

فلا حجة في إن الاسم هو المسمى و لو كان لكان بحكم اللغة و الوضع لا بحكم المعنى «مسألة» وجود الممكنات لكمال مراتب الوجود الذاتي و العرفاني لا غير «مسألة» كل ممكن منحصر في أحد قسمين في سر أو تجل فقد وجد الممكن على أقصى غاياته و أكملها فلا أكمل منه و لو كان الأكمل لا يتناهى لما تصور خلق الكمال و قد وجد مطابقا للحضرة الكمالية فقد كمل «مسألة» المعلومات منحصرة من حيث ما تدرك به في حس ظاهر و باطن و هو الإدراك النفسي و بديهة و ما تركب من ذلك عقلا إن كان معنى و خيالا إن كان صورة فالخيال لا يركب إلا في الصور خاصة فالعقل يعقل ما يركب الخيال و ليس في قوة الخيال أن يصور بعض ما يركبه العقل و للاقتدار الإلهي سر خارج عن هذا كله يقف عنده «مسألة» الحسن و القبح ذاتي للحسن و القبيح لكن منه ما يدرك حسنه و قبحه بالنظر إلى كمال أو نقص أو غرض أو ملاءمة طبع أو منافرته أو وضع و منه ما لا يدرك قبحه و لا حسنه إلا من جانب الحق الذي هو الشرع فنقول هذا قبيح و هذا حسن و هذا من الشرع خبر لا حكم و لهذا نقول بشرط الزمان و الحال و الشخص و إنما شرطنا هذا من أجل من يقول في القتل ابتداء أو قودا أو حدا و في إيلاج الذكر في الفرج سفاحا و نكاحا فمن حيث هو إيلاج واحد لسنا نقول كذلك فإن الزمان مختلف و لوازم النكاح غير موجودة في السفاح و زمان تحليل الشيء ليس زمان تحريمه أن لو كان عين المحرم واحدا فالحركة من زيد في زمان ما ليس هي الحركة منه في الزمان الآخر و لا الحركة التي من عمر و هي الحركة التي من زيد فالقبيح لا يكون حسنا أبدا لأن تلك الحركة الموصوفة بالحسن أو القبح لا تعود أبدا فقد علم الحق ما كان حسنا و ما كان قبيحا و نحن لا نعلم ثم إنه لا يلزم من الشيء إذا كان قبيحا أن يكون أثره قبيحا قد يكون أثره حسنا و الحسن أيضا كذلك قد يكون أثره قبيحا كحسن الصدق و في مواضع يكون أثره قبيحا و كقبح الكذب و في مواضع يكون أثره حسنا فتحقق ما نبهناك عليه تجد الحق «مسألة» لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول فعلى هذا لا يصح قول الحلولي لو كان الله في شيء كما كان في عيسى لأحيا الموتى «مسألة» لا يلزم الراضي بالقضاء الرضي بالمقضي فالقضاء حكم الله و هو الذي أمرنا بالرضى به و المقضي المحكوم به فلا يلزمنا الرضي به «مسألة» إن أريد بالاختراع حدوث المعنى المخترع في نفس المخترع و هو حقيقة الاختراع فذلك على الله محال و إن أريد بالاختراع حدوث المخترع على غير مثال سبقه في الوجود الذي ظهر فيه فقد يوصف الحق على هذا بالاختراع «مسألة» ارتباط العالم بالله ارتباط ممكن بواجب و مصنوع بصانع فليس للعالم في الأزل مرتبة فإنها مرتبة الواجب بالذات فهو الله و لا شيء معه سواء كان العالم موجودا أو معدوما فمن توهم بين الله و العالم بونا يقدر تقدم وجود الممكن فيه و تأخره فهو توهم باطل لا حقيقة له فلهذا نزعنا في الدلالة على حدوث العالم خلاف ما نزعت إليه الأشاعرة و قد ذكرناه في هذا التعليق «مسألة» لا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم في نفس العالم و لا مثاله و إنما العلم يتعلق بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه في حيثيتها وجودا و عدما فقول القائل إن بعض المعلومات له في الوجود أربع مراتب ذهني و عيني و لفظي و خطي فإن أراد بالذهن العلم فغير مسلم و إن أراد بالذهن الخيال فمسلم لكن في كل معلوم يتخيل خاصة و في كل عالم يتخيل و لكن لا يصح هذا إلا في الذهني خاصة لأنه يطابق العين في الصورة و اللفظي و الخطي ليسا كذلك فإن اللفظ و الخط موضوعان

للدلالة و التفهيم فلا يتنزل من حيث الصورة على الصورة فإن زيدا اللفظي و الخطي إنما هو زاى و ياء و دال رقما أو لفظا ما له يمين و لا شمال و لا جهات و لا عين و لا سمع فلهذا قلنا لا يتنزل عليه من حيث الصورة لكن من حيث الدلالة و لذلك إذا وقعت فيه المشاركة التي تبطل الدلالة افتقرنا إلى النعت و البدل و عطف البيان و لا يدخل في الذهني مشاركة أصلا فافهم «مسألة» كنا حصرنا في كتاب المعرفة الأول ما للعقل من وجوه المعارف في العالم و لم ننبه من أين حصل لنا ذلك الحصر فاعلم إن للعقل ثلاثمائة و ستين وجها يقابل كل وجه من جناب الحق العزيز ثلاثمائة و ستين وجها يمده كل وجه منها بعلم لا يعطيه الوجه الآخر فإذا ضربت وجوه العقل في وجوه الأخذ فالخارج من ذلك هي العلوم التي للعقل المسطرة في اللوح المحفوظ الذي هو النفس و هذا الذي ذكرناه كشفا إلهيا لا يحيله دليل عقل فيتلقى تسليما من قائله أعني هذا كما تلقى من القائل الحكيم الثلاثة الاعتبارات التي للعقل الأول من غير دليل لكن مصادرة فهذا أولى من ذلك فإن الحكيم يدعي في ذلك النظر فيدخل عليه بما قد ذكرناه في عيون المسائل في مسألة الدرة البيضاء الذي هو العقل الأول و هذا الذي ذكرناه لا يلزم عليه دخل فإنا ما ادعيناه نظرا و إنما ادعيناه تعريفا فغاية المنكر أن يقول للقائل تكذب ليس له غير ذلك كما يقول له المؤمن به صدقت فهذا فرقان بيننا و بين القائلين بالاعتبارات الثلاثة و بالله التوفيق «مسألة» ما من ممكن من عالم الخلق إلا و له وجهان وجه إلى سببه و وجه إلى الله تعالى فكل حجاب و ظلمة تطرأ عليه فمن سببه و كل نور و كشف فمن جانب حقه و كل ممكن من عالم الأمر فلا يتصور في حقه حجاب لأنه ليس له إلا وجه واحد فهو النور المحض ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ «مسألة» دل الدليل العقلي على إن الإيجاد متعلق القدرة و قال الحق عن نفسه إن الوجود يقع عن الأمر الإلهي فقال ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا بد أن ننظر في متعلق الأمر ما هو متعلق القدرة حتى أجمع بين السمع و العقل فنقول الامتثال قد وقع بقوله فيكون و المأمور به إنما هو الوجود فتعلقت الإرادة بتخصيص أحد الممكنين و هو الوجود و تعلقت القدرة بالممكن فأثرت فيه الإيجاد و هي حالة معقولة بين العدم و الوجود فتعلق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصصة بأن تكون فامتثلت فكانت فلو لا ما كان للممكن عين و لا وصف لها بالوجود يتوجه على تلك العين الأمر بالوجود لما وقع الوجود و القائل بتهيؤ المراد في شرح كن غير مصيب «مسألة» معقولية الأولية للواجب الوجود بالغير نسبة سلبية عن وجود كون الوجوب المطلق فهو أول لكل مقيد إذ يستحيل أن يكون له هناك قدم لأنه لا يخلو أن يكون بحيث الوجوب المطلق فيكون إما هو نفسه و هو محال و إما قائما به و هو محال لوجوه منها إنه قائم بنفسه و منها ما يلزم للواجب المطلق لو قام به هذا من الافتقار فيكون إما مقوما لذاته و هو محال أو مقوما لمرتبته و هو محال «مسألة» معقولية الأولية للواجب المطلق نسبة وضعية لا يعقل لها العقل سوى استناد الممكن إليه فيكون أولا بهذا الاعتبار و لو قدر أن لا وجود لممكن قوة و فعلا لانتفت النسبة الأولية إذ لا تجد متعلقا «مسألة» أعلم الممكنات لا يعلم موجدة إلا من حيث هو فنفسه علم و من هو موجود عنه غير ذلك لا يصح لأن العلم بالشيء يؤذن بالإحاطة به و الفراغ منه و هذا في ذلك الجناب محال فالعلم به محال و لا يصح أن يعلم منه لأنه لا يتبعض فلم يبق العلم إلا بما يكون منه و ما يكون منه هو أنت فأنت المعلوم فإن قيل علمنا بليس هو كذا علم به قلنا نعوتك جردته عنها لما يقتضيه الدليل من نفي

المشاركة فتميزت أنت عندك عن ذات مجهولة لك من حيث ما هي معلومة لنفسها ما هي تميزت لك لعدم الصفات الثبوتية التي لها في نفسها فافهم ما علمت و قل رب زدني علما لو علمته لم يكن هو و لو جهلك لم تكن أنت فبعلمه أوجدك و بعجزك عبدته فهو هو لهو لا لك و أنت أنت لأنت و له فأنت مرتبط به ما هو مرتبط بك الدائرة مطلقة مرتبطة بالنقطة النقطة مطلقة ليست مرتبطة بالدائرة نقطة الدائرة مرتبطة بالدائرة كذلك الذات مطلقة ليست مرتبطة بك الوهية الذات مرتبطة بالمألوه كنقطة الدائرة «مسألة» متعلق رؤيتنا الحق ذاته سبحانه و متعلق علمنا به إثباته إلها بالإضافات و السلوب فاختلف المتعلق فلا يقال في الرؤية إنها مزيد وضوح في العلم لاختلاف المتعلق و إن كان وجوده عين ماهيته فلا ننكر أن معقولية الذات غير معقولية كونها موجودة «مسألة» إن العدم هو الشر المحض لم يعقل بعض الناس حقيقة هذا الكلام لغموضه و هو قول المحققين من العلماء المتقدمين و المتأخرين لكن أطلقوا هذه اللفظ و لم يوضحوا معناها و قد قال لنا بعض سفراء الحق في منازلة في الظلمة و النور إن الخير في الوجود و الشر في العدم في كلام طويل علمنا إن الحق تعالى له إطلاق الوجود من غير تقييد و هو الخير المحض الذي لا شر فيه فيقابله إطلاق العدم الذي هو الشر المحض الذي لا خير فيه فهذا هو معنى قولهم إن العدم هو الشر المحض «مسألة» لا يقال من جهة الحقيقة إن الله جائز أن يوجد أمرا ما و جائز أن لا يوجده فإن فعله للأشياء ليس بممكن بالنظر إليه و لا بإيجاب موجب و لكن يقال ذلك الأمر جائز أن يوجد و جائز أن لا يوجد فيفتقر إلى مرجح و هو الله تعالى و قد تقضينا الشريعة فما رأينا فيها ما يناقض ما قلناه فالذي نقول في الحق إنه تعالى يجب له كذا و يستحيل عليه كذا و لا نقول يجوز عليه كذا فهذه عقيدة أهل الاختصاص من أهل الله و أما عقيدة خلاصة الخاصة في الله تعالى فأمر فوق هذا جعلناه مبددا في هذا الكتاب لكون أكثر العقول المحجوبة بأفكارها تقصر عن إدراكه لعدم تجريدها و قد انتهت مقدمة الكتاب و هي عليه كالعلاوة فمن شاء كتبها فيه و من شاء تركها ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ انتهى الجزء الثالث و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الأول) في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب و ما كان بيني و بينه من الأسرار فمن ذلك نظم

قلت عند الطواف كيف أطوف ... و هو عن درك سرنا مكفوف
جلمد غير عاقل حركاتي ... قيل أنت المحير الملهوف
انظر البيت نوره يتلألأ ... لقلوب تطهرت مكشوف
نظرته بالله دون حجاب ... فبدا سره العلي المنيف
و تجلى لها من أفق جلالي ... قمر الصدق ما اعتراه خسوف
لو رأيت الولي حين يراه ... قلت فيه مدله ملهوف
يلثم السر في سواد يميني ... أي سر لو أنه معروف

عند قوم و عند قوم لطيف	جهلت ذاته فقيل كثيف
إنما يعرف الشريف الشريف	قال لي حين قلت لم جهلوه
فتولاهم الرحيم الرءوف	عرفوه فلازموه زمانا
عن طواف بذاته تحريف	و استقاموا فما يرى قط فيهم
بأمان ما عنده تخويف	قم فبشر عني مجاور بيتي
أو يعيشوا فالثوب منهم نظيف	إن أمتهم فرحتهم بلقائي

اعلم أيها الولي الحميم و الصفي الكريم أني لما وصلت إلى مكة البركات و معدن السكنات الروحانية و الحركات و كان من شأني فيه ما كان طفت ببيته العتيق في بعض الأحيان فبينا أنا أطوف مسبحا و ممجدا و مكبرا و مهللا تارة ألثم و استلم و تارة للملتزم التزم إذ لقيت و أنا عند الحجر الأسود باهت الفتى الفائت المتكلم الصامت الذي ليس بحي و لا مائت المركب البسيط المحاط المحيط فعند ما أبصرته يطوف بالبيت طواف الحي بالميت عرفت حقيقته و مجازه و علمت إن الطواف بالبيت كالصلاة على الجنازة و أنشدت الفتى المذكور ما تسمعه من الأبيات عند ما رأيت الحي طائفا بالأموات شعر

شخوص لهم سر الشريعة غيبي	و لما رأيت البيت طافت بذاته
و هم كحل عين الكشف ما هم به عمى	و طاف به قوم هم الشرع و الحجا
عزيز وحيد الدهر ما مثله شيء	تعجبت من ميت يطوف به حي
و ليس من الأملاك بل هو أنسي	تجلى لنا من نور ذات مجله
لدى الكشف و التحقيق حي و مرئي	تيقنت أن الأمر غيب و أنه

قلت فعند ما وقعت مني هذه الأبيات و ألحقت بيته المكرم من جهة ما بجانب الأموات خطفني مني خطفة قاهر و قال لي قولة رادع زاجر انظر إلى سر البيت قبل الفوت تجده زاهيا بالمطيفين و الطائفين بأحجاره ناظرا إليهم من خلف حجبه و أستاره فرأيته يزهو كما قال فأفصحت له في المقال و أنشدته في عالم المثال على الارتجال

و ما الزهو إلا من حكيم له صنع	أرى البيت يزهو بالمطيفين حوله
و ليس له عقل و ليس له سمع	و هذا جماد لا يحس و لا يرى
قد أثبتها طول الحياة لنا الشرع	فقال شخيص هذه طاعة لنا

مقالة من أبدى له الحكمة الوضع فقلت له هذا بلاغك فاستمع

و ليس له ضر و ليس له نفع رأيت جمادا لا حياة بذاته

إذا لم يكن بالعين ضعف و لا صدع و لكن لعين القلب فيه مناظر

فليس لمخلوق على حمله وسع يراه عزيزا إن تجلى بذاته

فمني العطاء الجزل و القبض و المنع فكنت أبا حفص و كنت علينا

(وصل) ثم إنه أطلعني على منزلة ذلك الفتى و نزاهته عن أين و متى فلما عرفت منزلته و إنزاله و عاينت مكانته من الوجود و أحواله قبلت يمينه و مسحت من عرق الوحي جبينه و قلت له انظر من طالب مجالستك و راغب في مؤانستك فأشار إلى إيماء و لغزا إنه فطر على أن لا يكلم أحدا إلا رمزا و إن رمزى إذا علمته و تحققته و فهمته علمت أنه لا تدركه فصاحة الفصحاء و نطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء فقلت له يا أيها البشير و هذا خير كثير فعرفني باصطلاحك و أوقفني على كيفية حركات مفتاحك فإني أريد مسامرتك و أحب مصاهرتك فإن عندك الكفؤ و النظير و هو النازل بذاتك و الأمير و لولا ما كانت لك حقيقة ظاهرة ما تطلعت إليه وجوه ناضرة ناظرة فأشار فعلمت و جلى لي حقيقة جماله فهيمت فسقط في يدي و غلبني في الحين علي فعند ما أفقت من الغشية و أرعدت فرائصى من الخشية علم أن العلم به قد حصل و ألقى عصا سيره و نزل فتلا حاله على ما جاءت به الأنباء و تنزلت به الملائكة الأمناء إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ فجعلها دليلا و اتخذها إلى معرفة العلم الحاصل به سبيلا فقلت له أطلعني على بعض أسرارك حتى أكون من جملة أحبارك فقال انظر في تفاصيل نشأتي و في ترتيب هيأتي تجد ما سألتني عنه في مرقوما فإني لا أكون مكلما و لا كليما فليس علمي بسواي و ليست ذاتي مغايرة لأسمائي فأنا العلم و المعلوم و العليم و أنا الحكمة و المحكم و الحكيم ثم قال لي طف على أثري و انظر إلي بنور قمري حتى تأخذ من نشأتي ما تسطره في كتابك و تمليه على كتابك و عرفني ما أشهدك الحق في طوافك من اللطائف مما لا يشهده كل طائف حتى أعرف همتك و معناك فأذكرك على ما علمت منك هناك فقلت أنا أعرفك أيها الشاهد المشهود ببعض ما أشهدني من أسرار الوجود المترفلات في غلائل النور و المتحدات العين من وراء الستور التي أنشأها الحق حجابا مرفوعا و سماء موضوعا و الفعل إلى الذات لطيف و لعدم دركه على شريف

و فعله ألطف من وصفه فوصفه ألطف من ذاته

أودع معنى الشيء في حرفه و أودع الكل بذاتي كما

يطلب ذات المسك من عرفه فالخلق مطلوب لمعنى كما

و لولا ما أودع في ما اقتضته حقيقتي و وصلت إليه طريقتي لم أجد لمشربه نيلا و لا إلى معرفته ميلا و لذلك أعود علي عند النهاية و لهذا يرجع فخذ البركار في فتح الدائرة عند الوصول إلى غاية وجودها إلى نقطة البداية فارتبط آخر الأمر بأوله و انعطف أبده على أزله فليس إلا وجود

مستمر و شهود ثابت مستقر و إنما طال الطريق من أجل رؤية المخلوق فلو صرف العبد وجهه إلى الذي يليه من غير أن يخل فيه لنظر إلى السالكين إذا وصلوا بعين بئس و الله ما فعلوا و لو عرفوا من مكانهم ما انتقلوا لكن حجبوا بشفعية الحقائق عن وترية الحق الخالق الذي خلق الله به الأرض و الطرائق فنظروا مدارج الأسماء و طلبوا معارج الإسراء و تخيلوها أعظم منزلة تطلب و أسنى حالة يقصد الحق تعالى فيها و يرغب فسير بهم على براق الصدق و رفارفه و حققهم بما عاينوه من آياته و لطائفه و ذلك لما كانت النظرة شمالية و كانت الفطرة على النشأة الكمالية تقابل بوجهها في أصل الوضع نقطة الدائرة فشطر مهجتها من الجانب الأيمن منقبة و من الجانب الغربي سافرة فلو سفرت عن اليمين لنالت من أول طرفتها مقام التمكين في مشاهدة التعين و يا عجبا لمن هو في أعلى عليين و يتخيل أنه في أسفل سافلين أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فشمالها يمين مديرها و وقوفها في موضعها الذي وجدت فيه غاية مسيرها فإذا ثبت عند العاقل ما أشرت إليه و صح و علم إن إليه المرجع فمن موقفه لم يبرح لكن يتخيل المسكين القرع و الفتح و يقول و هل في مقابلة الضيق و الحرج إلا السعة و الشرح ثم يتلو ذلك قرآنا على الخصماء فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ فكما إن الشرح لا يكون إلا بعد الضيق كذلك المطلوب لا يحصل إلا بعد سلوك الطريق و غفل المسكين عن تحصيل ما حصل له بالإلهام مما لا يحصل إلا بالفكر و الدليل عند أهل النهي و الأفهام و لقد صدق فيما قال فإنه ناظر بعين الشمال فسلموا له حاله و ثبتوا له محاله و ضعفوا منه محاله و قولوا له عليك بالاستعانة إن أردت الوصول إلى ما منه خرجت لا محالة و استروا عنه مقام المجاورة و عظموا له أجر التزاور و المزاورة و الموازرة فسيحزن عند الوصول إلى ما منه سار و سيفرح بما حصل في طريقه من الأسرار و صار و لو لا ما طلب الرسول صلى الله عليه و سلم بالمعراج ما رحل و لا صعد إلى السماء و لا نزل و كان يأتيه شأن الملإ الأعلى و آيات ربه في موضعه كما زويت له الأرض و هو في مضجعه و لكنه سر إلهي لينكره من شاء لأنه لا يعطيه الإنشاء و يؤمن به من شاء لأنه جامع للأشياء فعند ما أتيت على هذا العلم الذي لا يبلغه العقل وحده و لا يحصله على الاستيفاء الفهم قال لقد أسمعتني سرا غريبا و كشفت لي معنى عجيبا ما سمعته من ولي قبلك و لا رأيت أحدا تمت له هذه الحقائق مثلك على أنها عندي معلومة و هي بذاتي مرقومة ستبدو لك عند رفع ستاراتي و اطلاعك على إشاراتي و لكن أخبرني ما أشهدك عند ما أنزلك بحرمه و أطلعك على حرمه «مشاهدة مشهد البيعة الإلهية» قلت اعلم يا فصيحا لا يتكلم و سائلا عما يعلم لما وصلت إليه من الايمان و نزلت عليه في حضرة الإحسان أنزلني في حرمه و أطلعني على حرمه و قال إنما أكثرت المناسك رغبة في التماسك فإن لم تجدني هنا وجدتني هنا و إن احتجبت عنك في جمع تجليت لك في منى مع أني قد أعلمتك في غير ما موقف من مواقفك و أشرت به إليك غير مرة في بعض لطائفك إني و إن احتجبت فهو تجل لا يعرفه كل عارف إلا من أحاط علما بما أحطت به من المعارف أ لا تراني أتجلي لهم في القيامة في غير الصورة التي يعرفونها و العلامة فينكرون ربوبيتي و منها يتعوذون و بها يتعوذون و لكن لا يشعرون و لكنهم يقولون لذلك المتجلي نعوذ بالله منك و ها نحن لربنا منتظرون فحينئذ أخرج عليهم في الصورة التي لديهم فيقرون لي بالربوبية و على أنفسهم

بالعبودية فهم لعلامتهم عابدون و للصورة التي تقررت عندهم مشاهدون فمن قال منهم إنه عبدني فقوله زور و قد باهتني و كيف يصح منه ذلك و عند ما تجليت له أنكرني فمن قيدني بصورة دون صورة فتخيله عبد و هو الحقيقة الممكنة في قلبه المستورة فهو يتخيل أنه يعبدني و هو يجحدني و العارفون ليس في الإمكان خفائي عن أبصارهم لأنهم غابوا عن الخلق و عن أسرارهم فلا يظهر لهم عندهم سوائي و لا يعقلون من الموجودات سوى أسمائي فكل شيء ظهر لهم و تجلى قالوا أنت المسبح الأعلى فليسوا سواء فالناس بين غائب و شاهد و كلاهما عندهم شيء واحد فلما سمعت كلامه و فهمت إشارته و إعلامه جذبني غيور إليه و أوقفني بين يديه (مخاطبات التعليم و الألطاف بسر الكعبة من الوجود و الطواف) و مد اليمين فقبلتها و وصلتني الصورة التي تعشقتها فتحول لي في صورة الحياة فتحولت له في صورة الممات فطلبت الصورة تابع الصورة فقالت لها لم تحسني السيرة و قبضت يمينها عنها و قالت لها ما عرفت لها في عالم الشهادة كنها ثم تحول لي في صورة البصر فتحولت له في صورة من عمي عن النظر و ذلك بعد انقضاء شوط و تخيل نقض شرط فطلبت الصورة تابع الصورة فقالت لها مثل المقالة المذكورة ثم تحول لي في صورة العلم الأعم فتحولت له في صورة الجهل الأتم فطلبت الصورة تابع الصورة فقالت لها المقالة المشهورة ثم تحول لي في صورة سماع النداء فتحولت له في صورة الصمم عن الدعاء فطلبت الصورة تابع الصورة فأسدل الحق بينهما ستوره ثم تحول لي في صورة الخطاب فتحولت له في صورة الخرس عن الجواب فطلبت الصورة تابع الصورة فأرسل الحق بينهما رقوم اللوح و سطوره ثم تحول لي في صورة الإرادة فتحولت له في صورة قصور الحقيقة و العادة فطلبت الصورة تابع الصورة فأفاض الحق بينهما ضياءه و نوره ثم تحول لي في صورة القدرة و الطاقة فتحولت له في صورة العجز و الفاقة فطلبت الصورة تابع الصورة فأبدى الحق للعبد تقصيره فقلت لما رأيت ذلك الإعراض و ما حصل لي تمام الآمال و الأغراض لم أبيت علي و لم تف بعهدي فقال لي أنت أبيت على نفسك يا عبدي لو قبلت الحجر في كل شوط أيها الطائف لقبلت يميني هنا في هذه الصور اللطائف فإن بيتي هناك بمنزلة الذات و أشواط الطواف بمنزلة السبع الصفات صفات الكمال لا صفات الجلال لأنها صفات الاتصال بك و الانفصال فسبعة أشواط لسبع صفات و بيت قائم يدل على ذات غير أني أنزلته في فرشي و قلت للعامة هذا عندكم بمنزلة عرشي و خليفتي في الأرض هو المستوي عليه و المحتوي فانظر إلى الملك معك طائفا و إلى جانبك واقفا فنظرت إليه فعاد إلى عرشه و تاه علي بسمو نعشه فتبسمت جذلا و قلت مرتجلا

يا كعبة طاف بها المرسلون	من بعد ما طاف بها المكرمون
ثم أتى من بعدهم عالم	طافوا بها من بين عال و دون
أنزلها مثلا إلى عرشه	و نحن حافون لها مكرمون
فإن يقل أعظم حاف به	إني أنا خير فهل تسمعون
و الله ما جاء بنص و لا	أتى لنا إلا بما لا يبين

أنوارهم و نحن ماء مهين — هل ذاك إلا النور حفت به
و كلنا عبد لديه مكين — فانجذب الشيء إلى مثله
طافوا بما طفنا و ليسوا بطين — هلا رأوا ما لم يروا أنهم
على الذي حفوا به طائفين — لو جرد الألطف منا استوى
قد سخر الله له العالمين — قد سهموا أن يجهلوا حق من
ابن الذي خروا له ساجدين — كيف لهم و علمهم إنني
والدنا بكونهم جاهلين — و اعترفوا بعد اعتراض على
و كان للفضل من الجاحدين — و أبلس الشخص الذي قد أبي
قد عصموا من خطأ المخطئين — قد سهموا قد سهموا إنهم

قلت ثم صرفت عنه وجه قلبي و أقبلت به على ربي فقال لي انتصرت لأبيك حلت بركتي فيك اسمع منزلة من أثنيت عليها و ما قدمته من الخير بين يديها و أين منزلتك من منازل الملائكة المقربين صلوات الله عليكم و عليهم أجمعين كعبتي هذه قلب الوجود و عرشي لهذا القلب جسم محدود و ما وسعني واحد منهما و لا أخبر عني بالذي أخبرت عنهما و بيتي الذي وسعني قلبك المقصود المودع في جسدك المشهود فالطائفون بقلبك الأسرار فهم بمنزلة أجسادكم عند طوافها بهذه الأحجار فالطائفون الحافون بعرشنا المحيط كالطائفين منك بعالم التخطيط فكما إن الجسم منك في الرتبة دون قلبك البسيط كذلك هي الكعبة مع العرش المحيط فالطائفون بالكعبة بمنزلة الطائفين بقلبك لاشتراكهما في القلبية و الطائفون بجسمك كالطائفين بالعرش لاشتراكهما في الصفة الإحاطية فكما أن عالم الأسرار الطائفين بالقلب الذي وسعني أسنى منزلة من غيرهم وأعلى كذلك أنتم بنعت الشرف و السيادة على الطائفين بالعرش المحيط أولى فإنكم الطائفون بقلب وجود العالم فأنتم بمنزلة أسرار العلماء و هم الطائفون بجسم العالم فهم بمنزلة الماء و الهواء فكيف تكونون سواء و ما وسعني سواكم و ما تجليت في صورة كمال إلا في معناكم فاعرفوا قدر ما وهبتكموه من الشرف العالي و بعد هذا فأنا الكبير المتعالي لا يحدني الحد و لا يعرفني السيد و لا العبد تقدست الألوهة فتنزهت أن تدرك و في منزلتها أن تشرك أنت الأنا و أنا فلا تطلبني فيك فتعنى و لا من خارج فما تتهنى و لا تترك طلبي فتشقى فاطلبني حتى تلقاني فترقى و لكن تأدب في طلبك و احضر عند شروعك في مذهبك و ميز بيني و بينك فإنك لا تشهدني و إنما تشهد عينك فقف في صفة الاشتراك و إلا فكن عبدا و قل العجز عن درك الإدراك إدراك تلحق في ذلك عتيقا و تكن المكرم الصديقا ثم قال لي اخرج عن حضرتي فمثلك لا يصلح لخدمتي فخرجت طريدا فضج الحاضر فقال ذَرْنِي وَمن خَلَقْتُ وَحِيداً ثم قال ردوه فرددت و بين يديه من ساعتي وجدت و كأني ما زلت عن بساط شهوده و ما برحت من حضرة وجوده فقال كيف يدخل علي في حضرتي من لا يصلح لخدمتي لو لم تكن

عندك الحرمة التي توجب الخدمة ما قبلتك الحضرة و لزمت بك في أول نظره و ها أنت فيها و قد رأيت من برهانك و تخفيها ما يزيدك احتراما و عند تجليها احتشاما ثم قال لم لم تسألني حين أمرت بإخراجك و ردك على معراجك و أعرفك صاحب حجة و لسان ما أسرع ما نسيت أيها الإنسان فقلت بهرني عظيم مشاهدة ذاتك و سقط في يدي لقبضك يمين البيعة في تجلياتك و بقيت أردد النظر ما الذي طرأ في الغيب من الخبر فلو التفت في ذلك الوقت إلي لعلمت أن مني أتى علي و لكن الحضرة تعطي أن لا يشهد سواها و أن لا ينظر إلى محيا غير محياها فقال صدقت يا محمد فأثبت في المقام الأوحد و إياك و العدد فإن فيه هلاك الأبد ثم اتفقت مخاطبات و أخبار أذكرها في باب الحج و مكة مع جملة أسرار (وصل) فقال النجي الوفي يا أكرم ولي و صفي ما ذكرت لي أمرا إلا أنا به عالم و هو بذاتي مسطر قائم قلت لقد شوقتني إلى التطلع إليك منك حتى أخبر عنك فقال نعم أيها الغريب الوارد و الطالب القاصد أدخل معي كعبة الحجر فهو البيت المتعالي عن الحجاب و الستر و هو مدخل العارفين و فيه راحة الطائفين فدخلت معه بيت الحجر في الحال و ألقى يده على صدري و قال أنا السابع في مرتبة الإحاطة بالكون و بأسرار وجود العين و الأين أوجدني الحق قطعة نور حوائي ساذجة و جعلني للكليات ممازجة فبينا أنا متطلع لما يلقى لدي أو ينزل علي و إذا بالعلم القلمي الأعلى قد نزل بذاتي من منازله العلى راكبا على جواد قائم على ثلاث قوائم فنكس رأسه إلى ذاتي فانتشرت الأنوار و الظلمات و نفث في روعي جميع الكائنات ففتق أرضي و سمائي و أطلعني على جميع أسمائي فعرفت نفسي و غيري و ميزت بين شري و خيري و فصلت ما بين خالقي و حقائقي ثم انصرف عني ذلك الملك و قال تعلم أنك حضرة الملك فتهيأت للنزول و ورود الرسول فتجارت الأملاك إلي و دارت الأفلاك علي و الكل ليميني مقبلون و على حضرتي مقبلون و ما رأيت ملكا نزل و لا ملكا عن الوقوف بين يدي انتقل و لحظت في بعض جوانبي فرأيت صورة الأزل فعلمت إن النزول محال فثبت على ذلك الحال و أعلمت بعض الخاصة ما شهدت و أطلعتهم مني على ما وجدت فأنا الروضة اليانعة و الثمرة الجامعة فارفع ستوري و اقرأ ما تضمنته سطوري فما وقفت عليه مني فاجعله في كتابك و خاطب به جميع أحبابك فرفعت ستوره و لحظت مسطوره فأبدى لعيني نوره المودع فيه ما يتضمنه من العلم المكنون و يحويه فأول سطر قرأته و أول سر من ذلك السطر علمته ما أذكره الآن في هذا الباب الثاني و الله سبحانه يهدي إلى العلم وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

(الباب الثاني) في معرفة مراتب الحروف و الحركات من العالم و ما لها من الأسماء الحسنى و معرفة الكلمات و معرفة العلم و العالم و المعلوم

اعلم أن هذا الباب على ثلاثة فصول

«الفصل الأول في معرفة الحروف»

«الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات»

«الفصل الثالث في معرفة العلم و العالم و المعلوم»

«الفصل الأول في معرفة الحروف و مراتبها و الحركات و هي الحروف الصغار و ما لها من الأسماء الإلهية»

شهدت بذلك ألسن الحفاظ		إن الحروف أئمة الألفاظ

بين النيام الخرس و الإيقاظ		دارت بها الأفلاك في ملكوته

فبدت تعز لذلك الألحاظ		ألحظتها الأسماء من مكنونها

عند الكلام حقائق الألفاظ		و تقول لولا فيض جودي ما بدت

اعلم أيدنا الله و إياك أنه لما كان الوجود مطلقا من غير تقييد يتضمن المكلف و هو الحق تعالى و المكلفين و هم العالم و الحروف جامعة لما ذكرنا أردنا أن نبين مقام المكلف من هذه الحروف من المكلفين من وجه دقيق محقق لا يتبدل عند أهل الكشف إذا وقفوا عليه و هو مستخرج من البسائط التي عنها تركبت هذه الحروف التي تسمى حروف المعجم بالاصطلاح العربي في أسمائها و إنما سميت حروف المعجم لأنها عجمت على الناظر فيها معناها و لما كوشفنا على بسائط الحروف وجدناها على أربع مراتب (حروف) مرتبتها سبعة أفلاك و هي الألف و الزاي و اللام (و حروف) مرتبتها ثمانية أفلاك و هي النون و الصاد و الضاد (و حروف) مرتبتها تسعة أفلاك و هي العين و الغين و السين و الشين (و حروف) مرتبتها عشرة أفلاك و هي باقي حروف المعجم و ذلك ثمانية عشر حرفا كل حرف منها مركب عن عشرة كما إن كل حرف من تلك الحروف منها ما هو عن تسعة أفلاك و عن ثمانية و عن سبعة لا غير كما ذكرناه فعدد الأفلاك التي عنها وجدت هذه الحروف و هي البسائط التي ذكرناها مائتان و أحد و ستون فلكا أما المرتبة السبعية فالزاى و اللام منها دون الألف فطبعها الحرارة و اليبوسة (و أما) الألف فطبعها الحرارة و الرطوبة و اليبوسة و البرودة ترجع مع الحار حارة و مع الرطب رطبة و مع البارد باردة و مع اليابس يابسة على حسب ما تجاوره من العوالم (و أما) المرتبة الثمانية فحروفها حارة يابسة (و أما) المرتبة التسعية فالعين و الغين طبعهما البرودة و اليبوسة (و أما) السين و الشين فطبعهما الحرارة و اليبوسة (و أما) المرتبة العشرية فحروفها حارة يابسة إلا الحاء المهملة و الخاء المعجمة فإنهما باردتان يابستان و إلا الهاء و الهمزة فإنهما باردتان رطبتان فعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الحرارة مائتا فلك و ثلاثة أفلاك و عدد الأفلاك التي عن حركتها توجد اليبوسة مائتا فلك و أحد و أربعون فلكا و عدد الأفلاك التي عن حركتها توجد البرودة خمسة و ستون فلكا و عدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الرطوبة سبعة و عشرون فلكا مع التوالج و التداخل الذي فيها على حسب ما ذكرناه آنفا فسبعة أفلاك توجد عن حركتها العناصر الأول الأربعة و عنها يوجد حرف الألف خاصة و مائة و ستة و تسعون فلكا توجد عن حركتها الحرارة و اليبوسة خاصة لا يوجد عنها غيرهما البتة و عن هذه الأفلاك يوجد حرف الباء و الجيم و الدال و الواو و الزاي و الطاء و الياء و الكاف و اللام و الميم و النون و الصاد و الفاء و الضاد و القاف و الراء و السين و التاء و الثاء و الذال و الظاء و الشين و ثمانية و ثمانون فلكا يوجد عن حركتها البرودة و اليبوسة خاصة و عن هذه الأفلاك يوجد حرف العين و الحاء و الغين و الخاء و عشرون فلكا توجد عن حركتها البرودة و الرطوبة خاصة و عن هذه الأفلاك يوجد حرف الهاء و الهمزة و أما لام ألف فممتزج من السبعة و المائة و الستة و التسعين إذا كان مثل قوله لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ

يَحْزَنُونَ فإن كان مثل قوله تعالى لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فامتزاجه من المائة و الستة و التسعين و من العشرين و ليس في العالم فلك يوجد عنه الحرارة و الرطوبة خاصة دون غيرهما فإذا نظرت في طبع الهواء عثرت على الحكمة التي منعت أن يكون له فلك مخصوص كما أنه ما ثم فلك يوجد عنه واحد من هذه العناصر الأول على انفراد فالهاء و الهمزة يدور بهما الفلك الرابع و يقطع الفلك الأقصى في تسعة آلاف سنة و أما الحاء و الخاء و العين و الغين فيدور بها الفلك الثاني و يقطع الفلك الأقصى في إحدى عشرة ألف سنة و باقي الحروف يدور بها الفلك الأول و يقطع الفلك الأقصى في اثنتي عشرة ألف سنة و هو على منازل في أفلاكها فمنها ما هو على سطح الفلك و منها ما هو في مقعر الفلك و منها ما هو بينهما و لولا التطويل لبينا منازلها و حقائقها و لكن سنلقي من ذلك ما يشفي في الباب الستين من أبواب هذا الكتاب أن ألهمنا الحق ذلك عند كلامنا في معرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي و في أي دورة كان وجود هذا العالم الذي نحن فيه الآن من دورات الفلك الأقصى و أي روحانية تنظرنا فلنقبض العنان حتى نصل إلى موضعه أو يصل موضعه إن شاء الله (فلنرجع و نقول) إن المرتبة السبعية التي لها الزاي و الألف و اللام جعلناها للحضرة الإلهية المكلفة أي تصيبها من الحروف و إن المرتبة الثمانية التي هي النون و الصاد و الضاد جعلناها حظ الإنسان من عالم الحروف و إن المرتبة التسعية التي هي العين و الغين و السين و الشين جعلناها حظ الجن من عالم الحروف و إن المرتبة العشرية و هي المرتبة الثانية من المراتب الأربعة التي هي باقي الحروف جعلناها حظ الملائكة من عالم الحروف و إنما جعلنا هذه الموجودات الأربعة لهذه الأربع مراتب من الحروف على هذا التقسيم لحقائق عسرة المدرك يحتاج ذكرها و بيانها إلى ديوان بنفسه و لكن قد ذكرناه حتى نتمه في كتاب المبادي و الغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم من العجائب و الآيات و هو بين أيدينا ما كمل و لا قيد منه إلا أوراق متفرقة يسيرة و لكن سأذكر منه في هذا الباب لمحة بارق إن شاء الله فحصلت الأربعة للجن الناري لحقائق هم عليها و هي التي أدتهم لقولهم فيما أخبر الحق تعالى عنهم ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ من خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ و فرغت حقائقهم و لم تبق لهم حقيقة خامسة يطلبون بها مرتبة زائدة و إياك أن تعتقد أن ذلك جائز لهم و هو أن يكون لهم العلو و ما يقابله اللذان تتم بهما الجهات الستة فإن الحقيقة تأبى ذلك على ما قررناه في كتاب المبادي و الغايات و بينا فيه لم اختصوا بالعين و الغين و السين و الشين دون غيرها من الحروف و المناسبة التي بين هذه الحروف و بينهم و أنهم موجودون عن الأفلاك التي عنها وجدت هذه الحروف و حصل للحضرة الإلهية من هذه الحروف ثلاثة لحقائق هي عليها أيضا و هي الذات و الصفة و الرابط بين الذات و الصفة و هي القبول أي بها كان القبول لأن الصفة لها تعلق بالموصوف بها و بمتعلقها الحقيقي لها كالعلم يربط نفسه بالعالم به و بالمعلوم و الإرادة تربط نفسها بالمريد بها و بالمراد لها و القدرة تربط نفسها بالقادر بها و بالمقدور لها و كذلك جميع الأوصاف و الأسماء و إن كانت نسبا و كانت الحروف التي اختصت بها الألف و الزاي و اللام تدل على معنى نفي الأولية و هو الأزل و بسائط هذه الحروف واحدة في العدد فما أعجب الحقائق لمن وقف عليها فإنه يتنزه فيما يجهله الغير و تضيق صدور الجهلاء به و قد تكلمنا أيضا في المناسبة الجامعة بين هذه الحروف و بين الحضرة الإلهية في الكتاب المذكور و كذلك حصل للحضرة الإنسانية من هذه الحروف ثلاثة

أيضا كما حصل للحضرة الإلهية فاتفقا في العدد غير أنها حرف النون و الصاد و الضاد ففارقت الحضرة الإلهية من جهة موادها فإن العبودية لا تشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون إلها كما إن بحقائقه يكون العبد مألوها و بما هو على الصورة اختص بثلاثة كهو فلو وقع الاشتراك في الحقائق لكان إلها واحدا أو عبدا واحدا أعني عينا واحدة و هذا لا يصح فلا بد أن تكون الحقائق متباينة و لو نسبت إلى عين واحدة و لهذا باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم و لم يقل باينهم بعلمه كما باينوه بعلمهم فإن فلك العلم واحد قديما في القديم محدثا في المحدث

و اجتمعت الحضرتان في أن كل واحدة منهما معقولة من ثلاثة حقائق ذات و صفة و رابطة بين الصفة و الموصوف بها غير أن العبد له ثلاثة أحوال حالة مع نفسه لا غير و هو الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كل شيء و حالة مع الله و حالة مع العالم و الباري سبحانه مباين لنا فيما ذكرناه فإن له حالين حال من أجله و حال من أجل خلقه و ليس فوقه موجود فيكون له تعالى وصف تعلق به فهذا بحر آخر لو خضنا فيه لجاءت أمور لا يطاق سماعها و قد ذكرنا المناسبة التي بين النون و الصاد و الضاد التي للإنسان و بين الألف و الزاي و اللام التي هي للحضرة الإلهية في كتاب المبادي و الغايات و إن كانت حروف الحضرة الإلهية عن سبعة أفلاك و الإنسانية عن ثمانية أفلاك فإن هذا لا يقدح في المناسبة لتبين الإله و المألوه ثم إنه في نفس النون الرقمية التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلا من شد عليه مئزر التسليم و تحقق بروح الموت الذي لا يتصور ممن قام به اعتراض و لا تطلع و كذلك في نفس نقطة النون أول دلالة النون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفلية التي هي النصف من الدائرة و النقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة أول الشكل التي هي مركز الألف المعقولة التي بها يتميز قطر الدائرة و النقطة الاخيرة التي ينقطع بها شكل النون و ينتهي بها هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهمة فنقدر قيامها من رقدتها فتركز لك على النون فيظهر من ذلك حرف اللام و النون نصفها زاى مع وجود الألف المذكور فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الأزل الإنساني كما أعطاك الألف و الزاي و اللام في الحق غير أنه في الحق ظاهر لأنه بذاته أزلي لا أول له و لا مفتتح لوجوده في ذاته بلا ريب و لا شك و لبعض المحققين كلام في الإنسان الأزلي فنسب الإنسان إلى الأزل فالإنسان خفي فيه الأزل فجهل لأن الأزل ليس ظاهرا في ذاته و إنما صح فيه الأزل لوجه ما من وجوه وجوده منها أن الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب وجود في الذهن و وجود في العين و وجود في اللفظ و وجود في الرقم و سيأتي ذكر هذا في هذا الكتاب إن شاء الله فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه في العلم القديم الأزلي المتعلق به في حال ثبوته فهو موجود أزلا أيضا كأنه بعناية العلم المتعلق به كالتحيز للعرض بسبب قيامه بالجوهر فصار متحيزا بالتبعية فلهذا خفي فيه الأزل و لحقائقه أيضا الأزلية المجردة عن الصورة المعينة المعقولة التي تقبل القدم و الحدوث على حسب ما شرحنا ذلك في كتاب إنشاء الدوائر و الجداول فانظره هناك تجده مستوفى و سنذكر منه طرفا في هذا الكتاب في بعض الأبواب إذا مست الحاجة إليه و ظهور ما ذكرناه من سر الأزل في النون هو في الصاد و الضاد أتم و أمكن لوجود كمال الدائرة و كذلك ترجع حقائق الألف و الزاي و اللام التي للحق إلى حقائق النون و الصاد و الضاد التي للعبد و يرجع الحق يتصف هنا بالأسرار التي منعنا عن كشفها في الكتب و لكن يظهرها العارف بين أهلها في علمه و

مشربه أو مسلم في أكمل درجات التسليم و هي حرام على غير هذين الصنفين فتحقق ما ذكرناه و تبينه يبدو لك من العجائب التي تبهر العقول حسن جمالها و بقي للملائكة باقي حروف المعجم و هي ثمانية عشر حرفا و هي الباء و الجيم و الدال و الهاء و الواو و الحاء و الطاء و الياء و الكاف و الميم و الفاء و القاف و الراء و التاء و الثاء و الخاء و الذال و الظاء فقلنا الحضرة الإنسانية كالحضرة الإلهية لا بل هي عينها على ثلاث مراتب ملك و ملكوت و جبروت و كل واحدة من هذه المراتب تنقسم إلى ثلاث فهي تسعة في العدد فتأخذ ثلاثة الشهادة فتضربها في الستة المجموعة من الحضرة الإلهية و الإنسانية أو في الستة الأيام المقدرة التي فيها أوجدت الثلاثة الحقية الثلاثة الخلقية يخرج لك ثمانية عشر و هو وجود الملك و كذلك تعمل في الحق بهذه المثابة فالحق له تسعة أفلاك للإلقاء و الإنسان له تسعة أفلاك للتلقي فتمتد من كل حقيقة من التسعة الحقية رقائق إلى التسعة الخلقية و تنعطف من التسعة الخلقية رقائق على التسعة الحقية فحيثما اجتمعت كان الملك ذلك الاجتماع و حدث هناك فذلك الأمر الزائد الذي حدث هو الملك فإن أراد أن يميل بكله نحو التسعة الواحدة جذبته الأخرى فهو يتردد ما بينهما جبريل ينزل من حضرة الحق على النبي ع و إن حقيقة الملك لا يصح فيها الميل فإنه منشا الاعتدال بين التسعتين و الميل انحراف و لا انحراف عنده و لكنه يتردد بين الحركة المنكوسة و المستقيمة و هو عين الرقيقة فإن جاءه و هو فاقد فالحركة منكوسة ذاتية و عرضية و إن جاءه و إن جاء و هو واجد فالحركة مستقيمة عرضية لا ذاتية و إن رجع عنه و هو فاقد فالحركة ذاتية و عرضية و إن رجع عنه و هو واجد فالحركة منكوسة عرضية لا ذاتية و قد تكون الحركة من العارف مستقيمة أبدا و من العابد منكوسة أبدا و سيأتي الكلام عليها في داخل الكتاب و انحصارها في ثلاث منكوسة و أفقية و مستقيمة إن شاء الله فهذه نكت غيبية عجيبة ثم أرجع و أقول إن التسعة هي سبعة و ذلك أن عالم الشهادة هو في نفسه برزخ فذلك فذلك واحد و له ظاهر فذلك اثنان و له باطن فذلك ثلاثة ثم عالم الجبروت برزخ في نفسه فذلك واحد و هو الرابع ثم له ظاهر و هو باطن عالم الشهادة ثم له باطن و هو الخامس ثم بعد ذلك عالم الملكوت هو في نفسه برزخ و هو السادس ثم له ظاهر و هو باطن عالم الجبروت و له باطن و هو السابع و ما ثم غير هذا و هذه صورة السبعية و التسعية فتأخذ الثلاثة و تضربها في السبعة فيكون الخارج أحدا و عشرين فتخرج الثلاثة الإنسانية فتبقى ثمانية عشر و هو مقام الملك و هي الأفلاك التي منها يتلقى الإنسان الموارد و كذلك تفعل بالثلاثة الحقية تضربها أيضا في السبعة فتكون عند ذلك الأفلاك التي منها يلقى الحق على عبده ما يشاء من الواردات فإن أخذناها من جانب الحق قلنا أفلاك الإلقاء و إن أخذناها من جانب الإنسان قلنا أفلاك التلقي و إن أخذناها منهما معا جعلنا تسعة الحق للإلقاء و الأخرى للتلقي و باجتماعهما حدث الملك و لهذا أوجد الحق تسعة أفلاك السموات السبع و الكرسي و العرش و إن شئت قلت فلك الكواكب و الفلك الأطلس و هو الصحيح (تتميم) منعنا في أول هذا الفصل أن يكون للحرارة و الرطوبة فلك و لم نذكر السبب فلنذكر منه طرفا في هذا الباب حتى نستوفيه في داخل الكتاب إن شاء الله تعالى و سأذكر في هذا الباب بعد هذا التتميم ما يكون من الحروف حارا رطبا و ذلك لأنه دار به فلك غير الفلك الذي ذكرناه في أول الباب فاعلم إن الحرارة و الرطوبة هي الحياة الطبيعية فلو كان لها فلك كما لأخواتها في المزجة لانقضت

دورة ذلك الفلك و زال سلطانه كما يظهر في الحياة العرضية و كانت تنعدم أو تنتقل و حقيقتها تقضي بأن لا تنعدم فليس لها فلك و لهذا أنبأنا الباري تعالى إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ و أن كل شيء يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فصار فلك الحياة الأبدية الحياة الأزلية تمدها و ليس لها فلك فتنقضي دورته فالحياة الأزلية ذاتية للحي لا يصح لها انقضاء فالحياة الأبدية المعلولة بالحياة الأزلية لا يصح لها انقضاء أ لا ترى الأرواح لما كانت حياتها ذاتية لها لم يصح فيها موت البتة و لما كانت الحياة في الأجسام بالعرض قام بها الموت و الفناء فإن حياة الجسم الظاهرة من آثار حياة الروح كنور الشمس الذي في الأرض من الشمس فإذا مضت الشمس تبعها نورها و بقيت الأرض مظلمة كذلك الروح إذا رحل عن الجسم إلى عالمه الذي جاء منه تبعته الحياة المنتشرة منه في الجسم الحي و بقي الجسم في صورة الجماد في رأى العين فيقال مات فلان و تقول الحقيقة رجع إلى أصله مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى كما رجع أيضا الروح إلى أصله حتى البعث و النشور يكون من الروح تجل للجسم بطريق العشق فتلتئم أجزاؤه و تتركب أعضاؤه بحياة لطيفة جدا تحرك الأعضاء للتأليف اكتسبته من التفات الروح فإذا استوت البنية و قامت النشأة الترابية تجلى له الروح بالرقيقة الإسرافيلية في الصور المحيط فتسري الحياة في أعضائه فيقوم شخصا سويا كما كان أول مرة ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ فأما شقي و إما سعيد

و اعلم أن في امتزاج هذه الأصول عجائب فإن الحرارة و البرودة ضدان فلا يمتزجان و إذا لم يمتزجا لم يكن عنهما شيء و كذلك الرطوبة و اليبوسة و إنما يمتزج ضد الضد بضد الضد الآخر فلا يتولد عنها أبدا إلا أربعة لأنها أربعة و لهذا كانت اثنان ضدين لاثنين فلو لم تكن على هذا لكان التركيب منها أكثر مما تعطيه حقائقها و لا يصح أن يكون التركيب أكثر من أربعة أصول فإن الأربعة هي أصول العدد فالثلاثة التي في الأربعة مع الأربعة سبعة و الاثنان التي فيها مع هذه السبعة تسعة و الواحد الذي في الأربعة مع هذه التسعة عشرة و ركب ما شئت بعد هذا و ما تجد عددا يعطيك هذا إلا الأربعة كما لا تجد عددا تاما إلا الستة لأن فيها النصف و السدس و الثلث فامتزجت الحرارة و اليبوسة فكان النار و الحرارة و الرطوبة فكان الهواء و البرودة و الرطوبة فكان الماء و البرودة و اليبوسة فكان التراب فانظر في تكون الهواء عن الحرارة و الرطوبة و هو النفس الذي هو الحياة الحسية و هو المحرك لكل شيء بنفسه للماء و الأرض و النار و بحركته تتحرك الأشياء لأنه الحياة إذ كانت الحركة أثر الحياة فهذه الأربعة الأركان المولدة عن الأمهات الأول ثم لتعلم إن تلك الأمهات الأول تعطي في المركبات حقائقها لا غير من غير امتزاج فالتسخين عن الحرارة لا يكون عن غيرها و كذلك التجفيف و التقبض عن اليبوسة فإذا رأيت النار قد أيبست المحل من الماء فلا تتخيل أن الحرارة جففته فإن النار مركبة من حرارة و يبوسة كما تقدم فبالحرارة التي فيها تسخن الماء و باليبوسة وقع التجفيف و كذلك التليين لا يكون إلا عن الرطوبة و التبريد عن البرودة فالحرارة تسخن و البرودة تبرد و الرطوبة تلين و اليبوسة تجفف فهذه الأمهات متنافرة لا تجتمع أبدا إلا في الصورة و لكن على حسب ما تعطيه حقائقها و لا يوجد منها في صورة أبدا واحد لكن يوجد إما حرارة و يبوسة كما تقدم من تركيبها و أما أن توجد الحرارة وحدها فلا لأنها لا يكون عنها على انفرادها إلا هي (وصل) فإن الحقائق على قسمين حقائق توجد

مفردات في العقل كالحياة و العلم و النطق و الحس و حقائق توجد بوجود التركيب كالسماء و العالم و الإنسان و الحجر فإن قلت فما السبب الذي جمع هذه الأمهات المتنافرة حتى ظهر من امتزاجها ما ظهر فهنا سر عجيب و مركب صعب يحرم كشفه لأنه لا يطاق حمله لأن العقل لا يعقله و لكن الكشف يشهده فلنسكت عنه و ربما نشير إليه من بعيد في مواضع من كتابي هذا يتفطن إليه الباحث اللبيب و لكن أقول أراد المختار سبحانه أن يؤلفها لما سبق في علمه خلق العالم و إنها أصل أكثره أو أصله إن شئت فألفها و لم تكن موجودة في أعيانها و لكن أوجدها مؤلفة لم يوجدها مفردة ثم جمعها فإن حقائقها تأبى ذلك فأوجد الصورة التي هي عبارة عن تأليف حقيقتين من هذه الحقائق فصارت كأنها كانت موجودة متفرقة ثم ألفت فظهرت للتأليف حقيقة لم تكن في وقت الافتراق فالحقائق تعطي أن هذه الأمهات لم يكن لها وجود في عينها البتة قبل وجود الصور المركبة عنها فلما أوجد هذه الصور التي هي الماء و النار و الهواء و الأرض و جعلها سبحانه يستحيل بعضها إلى بعض فيعود النار هواء و الهواء نارا كما تقلب التاء طاء و السين صادا لأن الفلك الذي وجدت عنه الأمهات الأول عنها وجدت هذه الحروف فالفلك الذي وجد عنه الأرض وجد عنه حرف الثاء و التاء و ما عدا رأس الجيم و نصف تعريقة اللام و رأس الخاء و ثلثا الهاء و الدال اليابسة و النون و الميم و الفلك الذي وجد عنه الماء وجد عنه حرف الشين و الغين و الطاء و الحاء و الضاد و رأس الباء بالنقطة الواحدة و مدة جسد الفاء دون رأسها و رأس القاف و شيء من تعريقه و نصف دائرة الظاء المعجمة الأسفل و الفلك الذي وجد عنه الهواء وجد عنه طرف الهاء الأخير الذي يعقد دائرتها و رأس الفاء و تعريق الخاء على حكم نصف الدائرة و نصف دائرة الظاء المعجمة الأعلى مع قائمته و حرف الذال و العين و الزاي و الصاد و الواو و الفلك الذي وجد عنه النار وجد عنه حرف الهمزة و الكاف و الباء و السين و الراء و رأس الجيم و جسد الياء باثنتين من أسفل دون رأسها و وسط اللام و جسد القاف دون رأسه و عن حقيقة الألف صدرت هذه الحروف كلها و هو فلكها روحا و حسا و كذلك ثم موجود خامس هو أصل لهذه الأركان و في هذا خلاف بين أصحاب علم الطبائع عن النظر ذكره الحكيم في الأسطقسات و لم يأت فيه بشيء يقف الناظر عنده و لم نعرف هذا من حيث قراءتي علم الطبائع على أهله و إنما دخل به على صاحب لي و هو في يده و كان يشتغل بتحصيل علم الطب فسألني إن أمشيه له من جهة علمنا بهذه الأشياء من جهة الكشف لا من جهة القراءة و النظر فقرأه علينا فوقفت منه على هذا الخلاف الذي أشرت إليه فمن هناك علمته و لو لا ذلك ما عرفت هل خالف فيه أحد أم لا فإنه ما عندنا فيه إلا الشيء الحق الذي هو عليه و ما عندنا خلاف فإن الحق تعالى الذي نأخذ العلوم عنه بخلو القلب عن الفكر و الاستعداد لقبول الواردات هو الذي يعطينا الأمر على أصله من غير إجمال و لا حيرة فنعرف الحقائق على ما هي عليه سواء كانت المفردات أو الحادثة بحدوث التأليف أو الحقائق الإلهية لا نمتري في شيء منها فمن هناك هو علمنا و الحق سبحانه معلمنا ورثا نبويا محفوظا معصوما من الخلل و الإجمال و الظاهر قال تعالى ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾ فإن الشعر محل الإجمال و الرموز و الألغاز و التورية أي ما رمزنا له شيئا و لا لغزناه و لا خاطبناه بشيء و نحن نريد شيئا آخر و لا أجملنا له الخطاب إن هو إلا ذكر لما شاهده حين جذبناه و غيبناه عنه و

أحضرناه بنا عندنا فكنا سمعه و بصره ثم رددناه إليكم لتهتدوا به في ظلمات الجهل و الكون فكنا لسانه الذي يخاطبكم به ثم أنزلنا عليه مذكرا يذكره بما شاهده فهو ذكر له لذلك و قرآن أي جمع أشياء كان شاهدها عندنا مبين ظاهر له لعلمه بأصل ما شاهده و عاينه في ذلك التقريب الأنزه الأقدس الذي ناله منه صلى الله عليه و سلم و لنا منه من الحظ على قدر صفاء المحل و التهيؤ و التقوى فمن علم إن الطبائع و العالم المركب منها في غاية الافتقار و الاحتياج إلى الله تعالى في وجود أعيانها و تأليفها علم أن السبب هو حقائق الحضرة الإلهية الأسماء الحسنى و الأوصاف العلى كيف تشاء على حسب ما تعطيه حقائقها و قد بينا هذا الفصل على الاستيفاء في كتاب إنشاء الجداول و الدوائر و سنذكر من ذلك طرفا في هذا الكتاب فهذا هو سبب الأسباب القديم الذي لم يزل مؤلف الأمهات و مولد البنات فسبحانه خالق الأرض و السموات (وصل) انتهى الكلام المطلوب في هذا الكتاب على الحروف من جهة المكلف و المكلفين و حظها منهم و حركتها في الأفلاك السداسية المضاعفة و عينا سنى دورتها في تلك الأفلاك و حظها من الطبيعة من حركة تلك الأفلاك و مراتبها الأربعة في المكلف و المكلفين على حسب فهم العامة و لهذا كانت أفلاك بسائطها على نوعين فالبسائط التي يقتصر بها على حقائق عامة العقلاء على أربعة حروف الحق التي عن الأفلاك السبعية و حروف الإنس عن الثمانية و حروف الملك عن التسعة و حروف الجن الناري عن العشرة و ليس ثم قسم زائد عندهم لقصورهم عن إدراك ما ثم لأنهم تحت قهر عقولهم و المحققون تحت قهر سيدهم الملك الحق سبحانه و تعالى فلهذا عندهم من الكشف ما ليس عند الغير فبسائط المحققين على ست مراتب مرتبة للمكلف الحق تعالى و هي النون و هي ثنائية فإن الحق لا نعلمه إلا منا و هو معبودنا و لا يعلم على الكمال إلا بنا فلهذا كان له النون التي هي ثنائية فإن بسائطها اثنان الواو و الألف فالألف له و الواو لمعناك و ما في الوجود غير الله و أنت إذ أنت الخليفة و لهذا الألف عام و الواو ممتزجة كما سيأتي ذكرها في هذا الباب و دورة هذا الفلك المخصوصة التي بها تقطع الفلك المحيط الكلي دورة جامعة تقطع الفلك الكلي في اثنين و ثمانين ألف سنة و تقطع فلك الواو الفلك الكلي في عشرة آلاف سنة على ما نذكرها بعد في هذا الباب عند كلامنا على الحروف مفردة و حقائقها و ما بقي من المراتب فعلى عدد المكلفين و أما المرتبة الثانية فهي للإنسان و هو أكمل المكلفين وجودا و أعمه و أتمه خلقا و أقومه و لها حرف واحد و هي الميم و هي ثلاثية و ذلك أن بسائطها ثلاثة الياء و الألف و الهمزة و سيأتي ذكرها في داخل الباب إن شاء الله و أما المرتبة الثالثة فهي للجن مطلقا النوري و الناري و هي رباعية و لها من الحروف الجيم و الواو و الكاف و القاف و سيأتي ذكرها و أما المرتبة الرابعة فهي للبهائم و هي خماسية لها من الحروف الدال اليابسة و الزاي و الصاد اليابسة و العين اليابسة و الضاد المعجمة و السين اليابسة و الذال المعجمة و الغين و الشين المعجمتان و سيأتي ذكرها إن شاء الله و أما المرتبة الخامسة فهي للنبات و هي سداسية لها من الحروف الألف و الهاء و اللام و سيأتي ذكرها إن شاء الله و أما المرتبة السادسة فهي للجماد و هي سباعية لها من الحروف الباء و الحاء و الطاء و الياء و الفاء و الراء و التاء و الثاء و الخاء و الظاء و سيأتي ذكرها إن شاء الله و الغرض في هذا الكتاب إظهار لمع و لوائح إشارات من أسرار الوجود و لو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف و ما تقتضيه حقائقها

لكلت اليمين و حفي القلم و جف المداد و ضاقت القراطيس و الألواح و لو كان الرق المنشور فإنها من الكلمات التي قال الله تعالى فيها لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً و قال وَلَوْ أَنَّ ما في الْأَرْضِ من شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ من بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ و هنا سر و إشارة عجيبة لم تفطن لها و عثر على هذه الكلمات فلو كانت هذه العلوم نتيجة عن فكر و نظر لانحصر الإنسان في أقرب مدة و لكنها موارد الحق تعالى تتوالى على قلب العبد و أرواحه البررة تنزل عليهم من عالم غيبه برحمته التي من عنده و علمه الذي من لدنه و الحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار و المحل قابل على الدوام فأما يقبل الجهل و إما يقبل العلم فإن استعد و تهيأ و صفى مرآة قلبه و جلاها حصل له الوهب على الدوام و يحصل له في اللحظة ما لا يقدر على تقييده في أزمنة لاتساع ذلك الفلك المعقول و ضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية و لا غاية يقف عندها و قد صرح بذلك في أمره لرسوله ع و قل رب زدني علما و المراد بهذه الزيادة من العلم المتعلق بالإله ليزيد معرفة بتوحيد الكثرة فتزيد رغبته في تحميده فيزاد فضلا على تحميده دون انتهاء و لا انقطاع فطلب منه الزيادة و قد حصل من العلوم و الأسرار ما لم يبلغه أحد و مما يؤيد ما ذكرناه من أنه أمر بالزيادة من علم التوحيد لا من غيره إنه كان صلى الله عليه و سلم إذا أكل طعاما قال اللهم بارك لنا فيه و أطعمنا خيرا منه و إذا شرب لبنا قال اللهم بارك لنا فيه و زدنا منه لأنه أمر بطلب الزيادة فكان يتذكر عند ما يرى اللبن الذي شربه ليلة الإسراء فقال له جبريل أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك و الفطرة علم التوحيد التي فطر الله الخلق عليها حين أشهدهم حين قبضهم من ظهورهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى فشاهدوا الربوبية قبل كل شيء و لهذا تأول صلى الله عليه و سلم اللبن لما شربه في النوم و ناول فضله عمر قيل ما أولته يا رسول الله قال العلم فلولا حقيقة مناسبة بين العلم و اللبن جامعة ما ظهر بصورته في عالم الخيال عرف ذلك من عرفه و جهله فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه كيف ينتهي كلامه أبدا فشتان بين مؤلف يقول حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله و بين من يقول حدثني قلبي عن ربي و إن كان هذا رفيع القدر فشتان بينه و بين من يقول حدثني ربي عن ربي أي حدثني ربي عن نفسه و فيه إشارة الأول الرب المعتقد و الثاني الرب الذي لا يتقيد فهو بواسطة لا بواسطة و هذا هو العلم الذي يحصل للقلب من المشاهدة الذاتية التي منها يفيض على السر و الروح و النفس فمن كان هذا مشربه كيف يعرف مذهبه فلا تعرفه حتى تعرف الله و هو لا يعرف تعالى من جميع وجوه المعرفة كذلك هذا لا يعرف فإن العقل لا يدري أين هو فإن مطلبه الأكوان و لا كون لهذا كما قيل

ظهرت لما أبقيت بعد فنائه فكان بلا كون لأنك كنته

فالحمد لله الذي جعلني من أهل الإلقاء و التلقي فنسأله سبحانه أن يجعلنا و إياكم من أهل التداني و الترقي ثم أرجع و أقول إن فصول حروف المعجم تزيد على أكثر من خمسمائة فصل و في كل فصل مراتب كثيرة فتركنا الكلام عليها حتى نستوفيه في كتاب المبادي و الغايات إن شاء الله و لنقتصر منها على ما لا بد من ذكره بعد ما نسمي من مراتبها ما يليق بكتابنا هذا و ربما نتكلم على بعضها و بعد ذلك نأخذها حرفا حرفا حتى تكمل الحروف كلها إن شاء الله ثم نتبعها بإشارات من أسرار تعانق اللام بالألف و لزومه إياه و ما السبب لهذا التعشق الروحاني

بينهما خاصة حتى ظهر ذلك في عالم الكتابة و الرقم فإن في ارتباط اللام بالألف سرا لا ينكشف إلا لمن أقام الألف من رقدتها و حل اللام من عقدتها و الله يرشدنا و إياكم لعمل صالح يرضاه منا انتهى الجزء الرابع و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اعلم وفقنا الله و إياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون و مكلفون و فيهم رسل من جنسهم و لهم أسماء من حيث هم و لا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا و عالم الحروف أفصح العالم لسانا و أوضحه بيانا و هم على أقسام كأقسام العالم المعروف في العرف فمنهم عالم الجبروت عند أبي طالب المكي و نسميه نحن عالم العظمة و هو الهاء و الهمزة و منهم العالم الأعلى و هو عالم الملكوت و هو الحاء و الخاء و العين و الغين و منهم العالم الوسط و هو عالم الجبروت عندنا و عند أكثر أصحابنا و هو التاء و الثاء و الجيم و الدال و الذال و الراء و الزاي و الظاء و الكاف و اللام و النون و الصاد و الضاد و القاف و السين و الشين و الياء الصحيحة و منهم العالم الأسفل و هو عالم الملك و الشهادة و هو الباء و الميم و الواو الصحيحة و منهم العالم الممتزج بين عالم الشهادة و العالم الوسط و هو الفاء و منهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الوسط و بين عالم الملكوت و هو الكاف و القاف و هو امتزاج المرتبة و يمازجهم في الصفة الروحانية الطاء و الظاء و الصاد و الضاد و منهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الأعظم و بين الملكوت و هو الحاء المهملة و منهم العالم الذي يشبه العالم منا الذين لا يتصفون بالدخول فينا و لا بالخروج عنا و هو الألف و الياء و الواو المعتلتان فهؤلاء عوالم و لكل عالم رسول من جنسهم و لهم شريعة تعبدوا بها و لهم لطائف و كثائف و عليهم من الخطاب الأمر ليس عندهم نهي و فيهم عامة و خاصة و خاصة الخاصة فالعامة منهم الجيم و الضاد و الخاء و الدال و الغين و الشين و منهم خاصة الخاصة و هو الألف و الياء و الباء و السين و الكاف و الطاء و القاف و التاء و الواو و الصاد و الحاء و النون و اللام و الغين و منهم خلاصة خاصة الخاصة و هو الباء و منهم الخاصة التي فوق العامة بدرجة و هو حروف أوائل السور مثل الم و المص و هي أربعة عشر حرفا الألف و اللام و الميم و الصاد و الراء و الكاف و الهاء و الياء و العين و الطاء و السين و الحاء و القاف و النون و منهم حروف صفاء خلاصة خاصة الخاصة و هو النون و الميم و الراء و الباء و الدال و الزاي و الألف و الطاء و الياء و الواو و الهاء و الظاء و الثاء و اللام و الفاء و الصين و منهم العالم المرسل و هو الجيم و الحاء و الخاء و الكاف و منهم العالم الذي تعلق بالله و تعلق به الخلق و هو الألف و الدال و الذال و الراء و الزاي و الواو و هو عالم التقديس من الحروف الكروبيين و منهم العالم الذي غلب عليه التخلق بأوصاف الحق و هو التاء و الثاء و الحاء و الذال و الزاي و الظاء المعجمة و النون و الضاد المعجمة و الغين المعجمة و القاف و الشين المعجمة و الفاء عند أهل الأنوار و منهم العالم الذي قد غلب عليهم التحقق و هو الباء و الفاء عند أهل الأسرار و الجيم و منهم العالم الذي قد تحقق بمقام الاتحاد و هو الألف و الحاء و الدال و الراء و الطاء اليابسة و الكاف و اللام و الميم و الصاد اليابسة و العين و السين اليابستان و الهاء و الواو إلا إني أقول إنهم على مقامين في الاتحاد عال و أعلى فالعالي الألف و الكاف و الميم و العين و السين و الأعلى ما بقي و منهم العالم الممتزج الطبائع و هو الجيم و الهاء و الياء و

اللام و الفاء و القاف و الخاء و الظاء خاصة و أجناس عوالم الحروف أربعة جنس مفرد و هو الألف و الكاف و اللام و الميم و الهاء و النون و الواو و جنس ثنائي مثل الدال و الذال و جنس ثلاثي مثل الجيم و الحاء و الخاء و جنس رباعي و هو الباء و التاء و الثاء و الياء في وسط الكلمة و النون كذلك فهو خماسي بهذا الاعتبار و إن لم تعتبرهما فتكون الباء و التاء و الثاء من الجنس الثلاثي و يسقط الجنس الرباعي فبهذا قد قصصنا عليك من عالم الحروف ما إن استعملت نفسك في الأمور الموصلة إلى كشف العالم و الاطلاع على حقائقه و تحقق قوله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فلو كان تسبيح حال كما يزعم بعض علماء النظر لم تكن فائدة في قوله وَلٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ وصلت إليها و وقفت عليها و كنت قد ذكرت أنه ربما أتكلم على بعضها فنظرت في هؤلاء العالم ما يمكن فيه بسط الكلام أكثر من غيره فوجدناه العالم المختص و هو عالم أوائل السور المجهولة مثل الم البقرة و المص و الر يونس و أخواتها فلنتكلم على الم البقرة التي هي أول سورة مبهمة في القرآن كلاما مختصرا من طريق الأسرار و ربما الحق بذلك الآيات التي تليها و إن كان ذلك ليس من الباب و لكن فعلته عن أمر ربي الذي عهد ته فلا أتكلم إلا على طريق الأذن كما أني سأقف عند ما يحد لي فإن تأليفنا هذا و غيره لا يجري مجرى التواليف و لا نجري نحن فيه مجرى المؤلفين فإن كل مؤلف إنما هو تحت اختياره و إن كان مجبورا في اختياره أو تحت العلم الذي يبثه خاصة فيلقي ما يشاء و يمسك ما يشاء أو يلقي ما يعطيه العلم و تحكم عليه المسألة التي هو بصددها حتى تبرز حقيقتها و نحن في تواليفنا لسنا كذلك إنما هي قلوب عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما ينفتح له الباب فقيرة خالية من كل علم لو سألت في ذلك المقام عن شيء ما سمعت لفقدها إحساسها فمهما برز لها من وراء ذلك الستر أمر ما بادرت لامتثاله و ألفته على حسب ما يحد لها في الأمر فقد يلقي الشيء إلى ما ليس من جنسه في العادة و النظر الفكري و ما يعطيه العلم الظاهر و المناسبة الظاهرة للعلماء لمناسبة خفية لا يشعر بها إلا أهل الكشف بل ثم ما هو أغرب عندنا إنه يلقي إلى هذا القلب أشياء يؤمر بإيصالها و هو لا يعلمها في ذلك الوقت لحكمة إلهية غابت عن الخلق فلهذا لا يتقيد كل شخص يؤلف عن الإلقاء بعلم ذلك الباب الذي يتكلم عليه و لكن يدرج فيه غيره في علم السامع العادي على حسب ما يلقى إليه و لكنه عندنا قطعا من نفس ذلك الباب بعينه لكن بوجه لا يعرفه غيرنا مثل الحمامة و الغراب اللذين اجتمعا لعرج قام بأرجلهما و قد أذن لي في تقييد ما ألقيه بعد هذا فلا بد منه «وصل» الكلام على هذه الحروف المجهولة المختصة على عدد حروفها بالتكرار و على عدد حروفها بغير تكرار و على جملتها في السور و على أفرادها في ص و ق و ن و تثنيتها في طس و طه و أخواتها و جمعها من ثلاثة فصاعدا حتى بلغت خمسة حروف متصلة و منفصلة و لم تبلغ أكثر و لم وصل بعضها و قطع بعضها و لم كانت السور بالسين و لم تكن بالصاد و لم جهل معنى هذه الحروف عند علماء الظاهر و عند كشف أهل الأحوال إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب الجمع و التفصيل في معرفة معاني التنزيل فلنقل على بركة الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (اعلم) أن مبادي السور المجهولة لا يعرف حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة ثم جعل سور القرآن بالسين و هو التعبد الشرعي و هو ظاهر السور الذي فيه العذاب و فيه يقع الجهل بها و باطنه بالصاد و هو مقام الرحمة و ليس إلا العلم بحقائقها و هو

التوحيد فجعلها تبارك و تعالى تسعا و عشرين سورة و هو كمال الصورة وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ و التاسع و العشرون القطب الذي به قوام الفلك و هو علة وجوده و هو سورة آل عمران الم الله و لو لا ذلك ما ثبتت الثمانية و العشرون و جملتها على تكرار الحروف ثمانية و سبعون حرفا فالثمانية حقيقة البضع قال ع الايمان بضع و سبعون و هذه الحروف ثمانية و سبعون حرفا فلا يكمل عبد أسرار الايمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها (فإن قلت) إن البضع مجهول في اللسان فإنه من واحد إلى تسعة فمن أين قطعت بالثمانية عليه فإن شئت قلت لك من طريق الكشف وصلت إليه فهو الطريق الذي عليه أسلك و الركن الذي إليه أستند في علومي كلها و إن شئت أبديت لك منه طرفا من باب العدد و إن كان أبو الحكم عبد السلام بن برجان لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي نذكره و إنما ذكره رحمه الله من جهة علم الفلك و جعله سترا على كشفه حين قطع بفتح بيت المقدس سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة فكذلك إن شئنا نحن كشفنا و إن شئنا جعلنا العدد على ذلك حجابا فنقول إن البضع الذي في سورة الروم ثمانية و خذ عدد حروف الم بالجزم الصغير فتكون ثمانية فتجمعها إلى ثمانية البضع فتكون ستة عشر فتزيل الواحد الذي للالف للاس فيبقى خمسة عشر فتمسكها عندك ثم ترجع إلى العمل في ذلك بالجمل الكبير و هو الجزم فتضرب ثمانية البضع في أحد و سبعين و اجعل ذلك كله سنين يخرج لك في الضرب خمسمائة و ثمانية و ستون فتضيف إليها الخمسة عشر التي أمرتك أن ترفعها فتصير ثلاثة و ثمانين و خمسمائة سنة و هو زمان فتح بيت المقدس على قراءة من قرأ غلبت الروم بفتح الغين و اللام سيغلبون بضم الياء و فتح اللام و في سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة كان ظهور المسلمين في أخذ حج الكفار و هو فتح بيت المقدس و لنا في علم العدد من طريق الكشف أسرار عجيبة من طريق ما يقتضيه طبعه و من طريق ما له من الحقائق الإلهية و إن طال بنا العمر فسأفرد لمعرفة العدد كتابا إن شاء الله فلنرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول فلا يكمل عبد الأسرار التي تتضمنها شعب الايمان إلا إذا علم حقائق هذه الحروف على حسب تكرارها في السور كما أنه إذا علمها من غير تكرار علم تنبيه الله فيها على حقيقة الإيجاد و تفرد القديم سبحانه بصفاته الأزلية فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفا مفردة مبهمة فجعل الثمانية لمعرفة الذات و السبع الصفات منا و جعل الأربعة للطبائع المؤلفة التي هي الدم و السوداء و الصفراء و البلغم فجاءت اثنتي عشرة موجودة و هذا هو الإنسان من هذا الفلك و من فلك آخر يتركب من أحد عشر و من عشرة و من تسعة و من ثمانية حتى إلى فلك الاثنين و لا يتحلل إلى الأحدية أبدا فإنها مما انفرد بها الحق فلا تكون لموجود إلا له ثم إنه سبحانه جعل أولها الألف في الخط و الهمزة في اللفظ و آخرها النون فالألف لوجود الذات على كمالها لأنها غير مفتقرة إلى حركة و النون لوجود الشطر من العالم و هو عالم التركيب و ذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك و النصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو ظهرت للحس و انتقلت من عالم الروح لكانت دائرة محيطة و لكن أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود و جعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها فالألف كاملة من جميع وجوهها و النون ناقصة فالشمس كاملة و القمر ناقص لأنه محو فصفة ضوئه معارة و هي الأمانة التي حملها و على قدر محوه و سراره إثباته و ظهوره ثلاثة لثلاثة فثلاثة غروب القمر القلبي الإلهي في الحضرة الأحدية و ثلاثة طلوع قمر الإلهي في الحضرة

الربانية و ما بينهما في الخروج و الرجوع قدما بقدم لا يختل أبدا ثم جعل سبحانه هذه الحروف على مراتب منها موصول و منها مقطوع و منها مفرد و مثنى و مجموع ثم نبه أن في كل وصل قطعا و ليس في كل قطع وصل فكل وصل يدل على فصل و ليس كل فصل يدل على وصل فالوصل و الفصل في الجمع و غير الجمع و الفصل وحده في عين الفرق فما أفرده من هذه فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلا و ما ثناه فإشارة إلى وجود رسم العبودية حالا و ما جمعه فإشارة إلى الأبد بالموارد التي لا تناهي فالإفراد للبحر الأزلي و الجمع للبحر الأبدي و المثنى للبرزخ المحمدي الإنسان مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الأعيان أو بالبحر الذي فصله عنه و سماه بالأكوان أو بالبرزخ الذي استوى عليه الرحمن فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ يخرج من بحر الأزل اللُّؤْلُؤُ و من بحر الأبد الْمَرْجانُ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ وَ لَهُ الْجَوارِ الروحانية الْمُنْشَآتُ من الحقائق الأسمائية فِي الْبَحْرِ الذاتي الأقدسي كَالْأَعْلامِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ يسئله العالم العلوي على علوه و قدسه و العالم السفلي على نزوله و نحسه كل خطرة في شأن فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ و إن لم تنعدم الأعيان و لكنها رحلة من دنا إلى دان فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ سَنَفْرُغُ منكم إليكم أَيُّهَ الثَّقَلانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فهكذا لو اعتبر القرآن ما اختلف اثنان و لا ظهر خصمان و لا تناطح عنزان فدبروا آياتكم و لا تخرجوا عن ذاتكم فإن كان و لا بد فإلى صفاتكم فإنه إذا سلم العالم من نظركم و تدبيركم كان على الحقيقة تحت تسخيركم و لهذا خلق قال تعالى وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ و الله يرشدنا و إياكم إلى ما فيه صلاحنا و سعادتنا في الدنيا و الآخرة إنه ولي كريم «وصل» الألف من الم إشارة إلى التوحيد و الميم للملك الذي لا يهلك و اللام بينهما واسطة لتكون رابطة بينهما فانظر إلى السطر الذي يقع عليه الخط من اللام فتجد الألف إليه ينتهي أصلها و تجد الميم منه يبتدئ نشوها ثم تنزل من أحسن تقويم و هو السطر إلى أسفل سافلين منتهى تعريق الميم قال تعالى خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ و نزول الألف إلى السطر مثل قوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا و هو أول عالم التركيب لأنه سماء آدم و يليه فلك النار فلذلك نزل إلى أول السطر فإنه نزل من مقام الأحدية إلى مقام إيجاد الخليقة نزول تقديس و تنزيه لا نزول تمثيل و تشبيه و كانت اللام واسطة و هي نائبة مناب المكون و الكون فهي القدرة التي عنها وجد العالم فأشبهت الألف في النزول إلى أول السطر و لما كانت ممتزجة من المكون و الكون فإنه لا يتصف بالقدرة على نفسه و إنما هو قادر على خلقه فكان وجه القدرة مصروفا إلى الخلق و لهذا لا يثبت للخالق إلا بالخلق فلا بد من تعلقها بهم علوا و سفلا و لما كانت حقيقتها لا تتم بالوصول إلى السطر فتكون و الألف على مرتبة واحدة طلبت بحقيقتها النزول تحت السطر أو على السطر كما نزل الميم فنزلت إلى إيجاد الميم و لم يتمكن أن تنزل على صورة الميم فكان لا يوجد عنها أبدا إلا الميم فنزلت نصف دائرة حتى بلغت إلى السطر من غير الجهة التي نزلت منها فصارت نصف فلك محسوس يطلب نصف فلك معقول فكان منهما فلك دائر فتكون العالم كله من أوله إلى آخره في ستة أيام أجناسا من أول يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة و بقي يوم السبت للانتقالات من حال إلى حال و من مقام إلى مقام و الاستحالات من كون إلى كون ثابت على ذلك لا يزول و لا يتغير و لذلك كان الوالي على هذا اليوم البرد و اليبس و

هو من الكواكب زحل فصار الم وحده فلكا محيطا من دار به علم الذات و الصفات و الأفعال و المفعولات فمن قرأ الم بهذه الحقيقة و الكشف حضر بالكل للكل مع الكل فلا يبقى شيء في ذلك الوقت إلا يشهده لكن منه ما يعلم و منه ما لا يعلم فتنزه الألف عن قيام الحركات بها يدل أن الصفات لا تعقل إلا بالأفعال كما قال ع كان الله و لا شيء معه و هو على ما عليه كان فلهذا صرفنا الأمر إلى ما يعقل لا إلى ذاته المنزهة فإن الإضافة لا تعقل أبدا إلا بالمتضايفين فإن الأبوة لا تعقل إلا بالأب و الابن وجودا و تقديرا و كذلك المالك و الخالق و البارئ و المصور و جميع الأسماء التي تطلب العالم بحقائقها و موضع التنبيه من حروف الم عليها في اتصال اللام الذي هو الصفة بالميم الذي هو أثرها و فعلها فالألف ذات واحدة لا يصح فيها اتصال شيء من الحروف إذا وقعت أولا في الخط فهي الصراط المستقيم الذي سألته النفس في قولها اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صراط التنزيه و التوحيد فلما أمن على دعائها ربها الذي هو الكلمة الذي أمرت بالرجوع إليه في سورة الفجر قبل تعالى تأمينه على دعائها فأظهر الألف من الم عقيب وَلا الضَّالِّينَ و أخفى آمين لأنه غيب من عالم الملكوت من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الغيب المتحقق الذي يسمونه العامة من الفقهاء الإخلاص و تسميه الصوفية الحضور و تسميه المحققون الهمة و نسميه أنا و أمثالنا العناية و لما كانت الألف متحدة في عالم الملكوت و الشهادة ظهرت فوقع الفرق بين القديم و المحدث فانظر فيما سطرناه تر عجبا و مما يؤيد ما ذكرناه من وجود الصفة المد الموجود في اللام و الميم دون الألف فإن قال صوفي وجدنا الألف مخطوطة و النطق بالهمزة دون الألف فلم لا ينطق بالألف فنقول و هذا أيضا مما يعضد ما قلناه فإن الألف لا تقبل الحركة فإن الحرف مجهول ما لم يحرك فإذا حرك ميز بالحركة التي تتعلق به من رفع و نصب و خفض و الذات لا تعلم أبدا على ما هي عليه فالألف الدال عليها الذي هو في عالم الحروف خليفة كالإنسان في العالم مجهول أيضا كالذات لا تقبل الحركة فلما لم تقبلها لم يبق إلا أن تعرف من جهة سلب الأوصاف عنها و لما لم يمكن النطق بساكن نطقنا باسم الألف لا بالألف فنطقنا بالهمزة بحركة الفتحة فقامت الهمزة مقام المبدع الأول و حركتها صفته العلمية و محل إيجاده في اتصال الكاف بالنون فإن قيل وجدنا الألف التي في اللام منطوقا بها و لم نجدها في الألف قلنا صدقت لا يقع النطق بها إلا بمتحرك مشبع التحرك قبلها موصولة به و إنما كلامنا في الألف المقطوعة التي لا يشبع الحرف الذي قبلها حركته فلا يظهر في النطق و إن رقمت مثل ألف إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ فهذان ألفان بين ميم إنما و بين لام المؤمنين موجودتان خطا غير ملفوظ بهما نطقا و إنما الألف الموصولة التي تقع بعد الحرف مثل لام هاء حاء و شبهها فإنه لو لا وجودها ما كان المد لواحد من هذه الحروف فمدها هو سر الاستمداد الذي وقع به إيجاد الصفات في محل الحروف و لهذا لا يكون المد إلا بالوصل فإذا وصل الحرف بالألف من اسمه الآخر امتد الألف بوجود الحرف الموصول به و لما وجد الحرف الموصول به افتقر إلى الصفة الرحمانية فأعطى حركة الفتح التي هي الفتحة فلما أعطيها طلب منه الشكر عليها فقال و كيف يكون الشكر عليها قيل له إن تعلم السامعين بأن وجودك و وجود صفتك لم يكن بنفسك و إنما كان من ذات القديم تعالى فاذكره عند ذكرك نفسك فقد جعلك بصفة الرحمة خاصة دليلا عليه و لهذا قال إن الله خلق آدم على صورة الرحمن فنطقت بالثناء على موجدها فقالت لام ياء هاء حاء طاء فأظهرت نطقا ما خفي خطا لأن الألف التي في طه و حم و طس موجودة نطقا

خفيت خطا لدلالة الصفة عليها و هي الفتحة صفة افتتاح الوجود فإن قال و كذلك نجد المد في الواو المضموم ما قبلها و الياء المكسور ما قبلها فهي أيضا ثلاث ذوات فكيف يكون هذا و ما ثم إلا ذات واحدة فنقول نعم أما المد الموجود في الواو المضموم ما قبلها فهي مثل ن و القلم و الياء المكسور ما قبلها مثل الياء من طس و ياء الميم من حم فمن حيث إن الله تعالى جعلهما حرفي علة و كل علة تستدعي معلولها بحقيقتها و إذا استدعت ذلك فلا بد من سر بينهما يقع به الاستمداد و الإمداد فلهذا أعطيت المد و ذلك لما أودع الرسول الملكي الوحي لو لم يكن بينه و بين الملقي إليه نسبة ما ما قبل شيئا لكنه خفي عنه ذلك فلما حصل له الوحي و مقامه الواو لأنه روحاني علوي و الرفع يعطي العلو و هو باب الواو المعتلة فعبرنا عنه بالرسول الملكي الروحاني جبريل كان أو غيره من الملائكة و لما أودع الرسول البشري ما أودع من أسرار التوحيد و الشرائع أعطى من الاستمداد و الإمداد الذي يمد به عالم التركيب و خفي عنه سر الاستمداد و لذلك قال ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ و قال إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ و لما كان موجودا في العالم السفلي عالم الجسم و التركيب أعطيناه الياء المكسور ما قبلها المعتلة و هي من حروف الخفض فلما كانا علتين لوجود الأسرار الإلهية من توحيد و شرع و هبا سر الاستمداد فلذلك مدتا و أما الفرق الذي بينهما و بين الألف فإن الواو و الياء قد يسلبان عن هذا المقام فيحركان بجميع الحركات كقوله وَ وَجَدَكَ و تؤوي و ولوا الأدبار ينأون يغنيه إِنَّكَ مَيِّتٌ و قد يسكنان بالسكون الحي كقوله وَما هُوَ بِمَيِّتٍ وَيَنْأَوْنَ و شبههما و الألف لا تحرك أبدا و لا يوجد ما قبلها أبدا إلا مفتوحا فاذن فلا نسبة بين الألف و بين الواو و الياء فمهما حركت الواو و الياء فإن ذلك مقامها و من صفاتها و مهما ألحقتا بالألف في العلية فذلك ليس من ذاتها و إنما ذلك من جانب القديم سبحانه لا يحتمل الحركة و لا يقبلها و لكن ذلك من صفة المقام و حقيقته الذي نزلت به الواو و الياء فمدلول الألف قديم و الواو و الياء محركتان كانتا أو لا محركتان فهما حادثان فإذا ثبت هذا فكل ألف أو واو أو ياء ارتقمت أو حصل النطق بها فإنما هي دليل و كل دليل محدث يستدعي محدثا و المحدث لا يحصره الرقم و لا النطق إنما هو غيب ظاهر و كذلك يس و ن فنجده نطقا و هو ظهوره و لا نجده رقما و هو غيبه و هذا سبب حصول العلم بوجود الخالق لا بذاته بوجود لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لا بذاته و اعلم أيها المتلقي أنه كل ما دخل تحت الحصر فهو مبدع أو مخلوق و هو محلك فلا تطلب الحق لا من داخل و لا من خارج إذ الدخول و الخروج من صفات الحدوث فانظر الكل في الكل تجد الكل فالعرش مجموع و الكرسي مفروق

يا طالبا لوجود الحق يدركه ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فلو لم يرجعوا لوجدوا النور فلما رجعوا باعتقاد القطع ضرب بينهم بالسور و إلا لو عرفوا من ناداهم بقوله ارْجِعُوا وَراءَكُمْ لقالوا أنت مطلوبنا و لم يرجعوا فكان رجوعهم سبب ضرب السور بينهم فبدت جهنم فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ و بقي الموحدون يمدون أهل الجنان بالولدان و الحور الحسان من حضرة العيان فالوزير محل صفات الأمير و الصفة التي انفرد بها الأمير وحده هي سر التدبير الذي خرجت عنه الصفات فعلم ما يصدر له من صفته و فعله جملة و لم يعلم ذلك الوزير إلا تفصيلا و هذا هو الفرق فتأمل ما قلناه

تجد الحق إن شاء الله فإذا تبين هذا و تقرر أن الألف هي ذات الكلمة و اللام ذات عين الصفة و الميم عين الفعل و سرهم الخفي هو الموجد إياهم «وصل» فنقول فقوله ذَٰلِكَ الْكِتَابُ بعد قوله الم إشارة إلى موجود بيد أن فيه بعدا و سبب البعد لما أشار إلى الكتاب و هو المفروق محل التفصيل و أدخل حرف اللام في ذلك و هي تؤذن بالبعد في هذا المقام و الإشارة نداء على رأس البعد عند أهل الله و لأنها أعني اللام من العالم الوسط فهي محل الصفة إذ بالصفة يتميز المحدث من القديم و خص خطاب المفرد بالكاف مفردة لئلا يقع الاشتراك بين المبدعات و قد أشبعنا القول في هذا الفصل عند ما تكلمنا على قوله تعالى فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ من كتاب الجمع و التفصيل أي اخلع اللام و الميم تبق الألف المنزهة عن الصفات ثم حال بين الذال الذي هو الكتاب محل الفرق الثاني و بين اللام التي هي الصفة محل الفرق الأول التي بها يقرأ الكتاب بالألف التي هي محل الجمع لئلا يتوهم الفرق الخطاب من فرق آخر فلا يبلغ إلى حقيقة أبدا ففصل بالألف بينهما فصار حجابا بين الذال و اللام فأرادت الذال الوصول إلى اللام فقام لها الألف فقال بي تصل و أرادت اللام ملاقاة الذال لتؤدي إليها أمانتها فتعرض لها أيضا الألف فقال لها بي تلقاه فمهما نظرت الوجود جمعا و تفصيلا وجدت التوحيد يصحبه لا يفارقه البتة صحبة الواحد الأعداد فإن الاثنين لا توجد أبدا ما لم تضف إلى الواحد مثله و هو الاثنين و لا تصح الثلاثة ما لم تزد واحدا على الاثنين و هكذا إلى ما لا يتناهى فالواحد ليس العدد و هو عين العدد أي به ظهر العدد فالعدد كله واحد لو نقص من الألف واحد انعدم اسم الألف و حقيقته و بقيت حقيقة أخرى و هي تسعمائة و تسعة و تسعون لو نقص منها واحد لذهب عينها فمتى انعدم الواحد من شيء عدم و متى ثبت وجد ذلك الشيء هكذا التوحيد إن حققته و هو معكم أينما كنتم فقال ذا و هو حرف مبهم فبين ذلك المبهم بقوله الكتاب و هو حقيقة ذا و ساق الكتاب بحرفي التعريف و العهد و هما الألف و اللام من الم غير أنهما هنا من غير الوجه الذي كانتا عليه في الم فإنهما هناك في محل الجمع و هما هنا في أول باب من أبواب التفصيل و لكن من تفصيل سرائر هذه السورة خاصة لا في غيرها من السور هكذا ترتيب الحقائق في الوجود فذلك الكتاب هو الكتاب المرقوم لأن أمهات الكتب ثلاثة الكتاب المسطور و الكتاب المرقوم و الكتاب المجهول و قد شرحنا معنى الكتاب و الكاتب في كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية في الباب التاسع منه فانظره هناك فنقول إن الذوات و إن اتحد معناها فلا بد من معنى به يفرق بين الذاتين يسمى الوصف فالكتاب المرقوم موصوف بالرقم و الكتاب المسطور موصوف بالتسطير و هذا الكتاب المجهول الذي سلب عنه الصفة لا يخلو من أحد وجهين إما أن يكون صفة و لذلك لا يوصف و إما أن يكون ذاتا غير موصوفة و الكشف يعطي أنه صفة تسمى العلم و قلوب كلمات الحق محله ألا تراه يقول الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ قل أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ فخاطب الكاف من ذلك بصفة العلم الذي هو اللام المخفوضة بالنزول لأنه يتنزه عن إن تدرك ذاته فقال للكاف التي هي الكلمة الإلهية ذلك الكتاب المنزل عليك هو علمي لا علمك لا ريب فيه عند أهل الحقائق أنزله في معرض الهداية لمن اتقاني و أنت المنزل فأنت محله و لا بد لكل كتاب من أم و أمه ذلك الكتاب المجهول لا تعرفه أبدا لأنه ليس بصفة لك و لا لأحد و لا ذات و إن شئت أن تحقق هذا فانظر إلى كيفية حصول العلم في العالم أو حصول صورة المرئي في الرائي فليست و ليس غيرها فانظر إلى درجات حروف لا ريب

فيه هدى للمتقين و منا زلها على حسب ما نذكره بعد الكلام الذي نحن بصدده و تدبر ما بثثه لك و حل عقدة لام الألف من لا ريب تصير ألفان لأن تعريقة اللام ظهرت صورتها في نون المتقين و ذلك لتاخر الألف عن اللام من اسمه الآخر و هي المعرفة التي تحصل للعبد من نفسه في قوله‌ع من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة اللام على معرفة الألف فصا رت دليلا عليه و لم يمتزجا حتى يصيرا ذا تا واحدة بل با ن كل واحد منهما بذاته و لهذا لا يجتمع الدليل و المدلول و لكن وجه الدليل هو الرابط و هو موضع اتصال اللام بالألف فاضرب الألفين اا أحدهما في الآخر تصح لك في الخارج ألف واحدة آ و هذا حقيقة الاتصال كذلك اضرب المحدث في القديم حسا يصح لك في الخارج المحدث و يخفى القديم بخروجه و هذا حقيقة الاتصال و الاتحاد وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و هذا نقيض إشارة الجنيد في قوله للعاطس إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر لاختلاف المقام أ لا ترى كيف اتصل لام الألف من لا ريب فيه من الكرسي فبدت ذا تان لآ جهل سر العقد بينهما ثم فصلهما العرش عند الرجوع إليه و الوصول فصا رت على هذا الشكل آل فظهرت اللام بحقيقتها لأنه لم يقم بها مقام الاتصال و الاتحاد من يردها على صورته فأخرجنا نصف الدائرة من اللام التي خفيت في لام الألف إلى عالم التركيب و الحس فبقيت ألفان أ أ في الفرق فضربنا الواحد في الواحد و هو ضرب الشيء في نفسه فصا ر واحدا آ فلبس الواحد الآخر فكان الواحد رداء و هو الذي ظهر و هو الخليفة المبدع بفتح الدال و كان الآخر مرتديا و هو الذي خفي و هو القديم المبدع فلا يعرف المرتدي إلا باطن الرداء و هو الجمع و يصير الرداء على شكل المرتدي فإن قلت واحد صدقت و إن قلت ذا تان صدقت عينا و كشفا و لله در من قال

فتشاكلا فتشابه الأمر رق الزجاج و رقت الخمر
و كأنما قدح و لا خمر فكأنما خمر و لا قدح

و أما ظاهر الرداء فلا يعرف المرتدي أبدا و إنما يعرف باطن ذاته و هو حجابه فكذلك لا يعلم الحق إلا العلم كما لا يحمده على الحقيقة إلا الحمد و أما أنت فتعلمه بوساطة العلم و هو حجابك فإنك ما تشاهد إلا العلم القائم بك و إن كان مطابقا للمعلوم و علمك قائم بك و هو مشهودك و معبودك فإياك إن تقول إن جريت على أسلوب الحقائق إنك علمت المعلوم و إنما علمت العلم و العلم هو العالم بالمعلوم و بين العلم و المعلوم بحور لا يدرك قعرها فإن سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر عسير مركبه بل لا تركبه العبارة أصلا و لا الإشارة و لكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة دقيقة لا يحس بها أنها على عين بصيرته لرقتها و هي عسيرة المدرك فأحرى من خلقها فانظر أين هو من يقول إني علمت الشيء من ذلك الشيء محدثا كان أو قديما بل ذلك في المحدث و أما القديم فأبعد و أبعد إذ لا مثل له فمن أين يتوصل إلى العلم به أو كيف يحصل و سيأتي الكلام على هذه المسألة السنية في الفصل الثالث من هذا الباب فلا يعرف ظاهر الرداء المرتدي إلا من حيث الوجود بشرط أن يكون في مقام الاستسقاء ثم يزول و يرجع لأنها معرفة علة لا معرفة جذب و هذه رؤية أصحاب الجنة في الآخرة و هو تجل في وقت دون وقت و سيأتي الكلام عليه في باب الجنة من هذا الكتاب و هذا هو مقام التفرقة و أما أهل الحقائق باطن الرداء فلا يزالون مشاهدين أبدا

و مع كونهم مشاهدين فظاهرهم في كرسي الصفات ينعم بمواد بشرة الباطن نعيم اتصال و انظر إلى حكمته في كون ذلك مبتدأ و لم يكن فاعلا و لا مفعولا لما لم يسم فاعله لأنه لا يصح أن يكون فاعلا لقوله لا ريب فيه فلو كان فاعلا لوقع الريب لأن الفاعل إنما هو فكيف ينسب إليه ما ليس بصفته لأن مقام الذال أيضا يمنع ذلك فإنه من الحقائق التي كانت و لا شيء معها و لهذا لا يتصل بالحروف إذا تقدم عليها كالألف و أخواته الدال و الراء و الزاي و الواو و لا يقول فيه أيضا مفعول لم يسم فاعله لأنه من ضرورته أن يتقدمه كلمة على بنية مخصوصة محلها النحو و الكتاب هنا نفس الفعل و الفعل لا يقال فيه فاعل و لا مفعول و هو مرفوع فلم يبق إلا أن يكون مبتدأ و معنى مبتدأ لم يعرف غيره من أول وهلة أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى فإن قيل من ضرورة كل مبتدأ أن يعمل فيه ابتداء قلنا نعم عمل فيه أم الكتاب فهي الابتداء العاملة في الكتاب و العامل في الكل حقا و خلقا الله الرب و لهذا نبه الله تبارك و تعالى بقوله أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ فشرك ثم قال إِلَيَّ الْمَصِيرُ فوحد فالشكر من مقام التفرقة فكذلك ينبغي لك أن تشكر الرداء لما كان سببا موصلا إلى المرتدي و المصير من الرداء و منك إلى المرتدي كل على شاكلته يصل فتفهم ما قلناه و فرق بين مقام الذال و الألف و إن اشتركا في مقام الوحدانية المقدسة قبلية حالا و مقاما و بعدية مقاما لا حالا «تنبيه» قال ذلِكَ و لم يقل تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ فالكتاب للجمع و الآيات للتفرقة و ذلك مذكر مفرد و تلك مفرد مؤنث فأشار تعالى بذلك الكتاب أولا لوجود الجمع أصلا قبل الفرق ثم أوجد الفرق في الآيات كما جمع العدد كله في الواحد كما قدمناه فإذا أسقطناه انعدمت حقيقة ذلك العدد و ما بقي للالف أثر في الوجود و إذا أبرزناه برزت الألف في الوجود فانظر إلى هذه القوة العجيبة التي أعطتها حقيقة الواحد الذي منه ظهرت هذه الكثرة إلى ما لا يتناهى و هو فرد في نفسه ذاتا و اسما ثم أوجد الفرق في الآيات قال تعالى إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ثم قال فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فبدأ بالجمع الذي هو كل شيء قال تعالى وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ من كُلِّ شَيْءٍ في الألواح مقام الفرق من كل شيء إشارة إلى الجمع موعظة و تفصيلا رد إلى الفرق لكل شيء رد إلى الجمع فكل موجود كان عموما لا يخلو أن يكون إما في عين الجمع أو في عين الفرق لا غير و لا سبيل أن يعري عن هاتين الحقيقتين موجود و لا يجمعها أبدا فالحق و الإنسان في عين الجمع و العالم في عين التفرقة لا يجتمع كما لا يفترق الحق أبدا كما لا يفترق الإنسان فالله سبحانه لم يزل في أزله بذاته و صفاته و أسمائه لم يتجدد عليه حال و لا ثبت له وصف من خلق العالم لم يكن قبل ذلك عليه بل هو الآن على ما كان عليه قبل وجود الكون كما وصفه صلى الله عليه و سلم حين قال كان الله و لا شيء معه و زيد في قوله و هو الآن على ما عليه كان فاندرج في الحديث ما لم يقله صلى الله عليه و سلم و مقصودهم أي الصفة التي وجبت له قبل وجود العالم هو عليها و العالم موجود و هكذا هي الحقائق عند من أراد أن يقف عليها فالتذكير في الأصل و هو آدم قوله ذلك و التأنيث في الفرع و هو حواء قوله تلك و قد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتاب الجمع و التفصيل الذي صنفناه في معرفة أسرار التنزيل فآدم لجميع الصفات و حواء لتفريق الذوات إذ هي محل الفعل و البذر و كذلك الآيات محل الأحكام و القضايا و قد جمع الله تعالى معنى ذلك و تلك في قوله تعالى وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ فحروف الم رقما ثلاثة و هو جماع عالمها فإن فيها الهمزة و هي من العالم الأعلى و اللام و هي من العالم الوسط و الميم و هي من العالم الأسفل

فقد جمع الم البرزخ و الدارين و الرابط و الحقيقتين و هي على النصف من حروف لفظه من غير تكرار و على الثلاث بغير تكرار و كل واحد منهما ثلث كل ثلاث و هذه كلها أسرار تتبعناها في كتاب المبادي و الغايات و في كتاب الجمع و التفصيل فليكف هذا القدر من الكلام على الم البقرة في هذا الباب بعد ما رغبنا في ترك تقييد ما تجلى لنا في الكتاب و الكاتب فلقد تجلت لنا فيه أمور جسام مهولة رمينا الكراسة من أيدينا عند تجليها و فررنا إلى العالم حتى خف عنا ذلك و حينئذ رجعنا إلى التقييد في اليوم الثاني من ذلك التجلي و قبلت الرغبة فيه و أمسك علينا و رجعنا إلى الكلام على الحروف حرفا حرفا كما شرطناه أولا في هذا الباب رغبة في الإيجاز و الاختصار وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«فمن ذلك حرف الألف»

لك في الأكوان عين و محل ألف الذات تنزهت فهل
حرف تأبيد تضمنت الأزل قال لا غير التفاتي فأنا
وأنا من عز سلطاني وجل فأنا العبد الضعيف المجتبى

الألف ليس من الحروف عند من شم رائحة من الحقائق و لكن قد سمته العامة حرفا فإذا قال المحقق إنه حرف فإنما يقول ذلك على سبيل التجوز في العبارة و مقام الألف مقام الجمع له من الأسماء اسم الله و له من الصفات القيومية و له من أسماء الأفعال المبدئ و الباعث و الواسع و الحافظ و الخالق و البارئ و المصور و الوهاب و الرزاق و الفتاح و الباسط و المعز و المعيد و الرافع و المحيي و الوالي و الجامع و المغني و النافع و له من أسماء الذات الله و الرب و الظاهر و الواحد و الأول و الآخر و الصمد و الغني و الرقيب و المتين و الحق و له من الحروف اللفظية الهمزة و اللام و الفاء و له من البسائط الزاي و الميم و الهاء و الفاء و اللام و الهمزة و له من المراتب كلها و ظهوره في المرتبة السادسة و ظاهر سلطانه في النبات و إخوته في هذه المرتبة الهاء و اللام و له مجموع عالم الحروف و مراتبها ليس فيها و لا خارجا عنها نقطة الدائرة و محيطها و مركب العوالم و بسيطها

«و من ذلك حرف الهمزة»

كل ما جاورها من منفصل همزة تقطع وقتا و تصل
جل أن يحضره ضرب المثل فهي الدهر عظيم قدرها

الهمزة من الحروف التي من عالم الشهادة و الملكوت لها من المخارج أقصى الحلق ليس لها مرتبة في العدد لها من البسائط الفاء و الميم و الزاي و الألف و الياء لها من العالم الملكوت و لها الفلك الرابع و دورة فلكها تسع آلاف سنة و لها من المراتب الرابعة و السادسة و السابعة و ظهور

سلطانها في الجن و النبات و الجماد و لها من الحروف الهاء و الميم و الزاي و الهاء في الوقف و التاء بالنطقين من فوق في الوصل و التنوين في القطع لها من الأسماء ما للألف و الواو و الياء فأغنى عن التكرار و تختص من أسماء الصفات بالقهار و القاهر و المقتدر و القوي و القادر و طبعها الحرارة و اليبوسة و عنصرها النار و اختلفوا هل هي حرف أو نصف حرف في الحروف الرقمية و أما في التلفظ بها فلا خلاف إنها حرف عند الجميع

«و من ذلك حرف الهاء»

إنية خفيت له في الظاهر	هاء الهوية كم تشير لكل ذي
تبدو لأوله عيون الآخر	هل لا محقت وجود رسمك عند ما

اعلم أن الهاء من حروف الغيب لها من المخارج أقصى الحلق و لها من العدد الخمسة و لها من البسائط الألف و الهمزة و اللام و الهاء و الميم و الزاي و لها من العالم الملكوت و لها الفلك الرابع و زمان حركة فلكها تسع آلاف سنة و لها من الطبقات الخاصة و خاصة الخاصة و لها من المراتب السادسة و ظهور سلطانها في النبات و يوجد منه بآخرها ما كان حارا رطبا و تحيله بعد ذلك إلى البرودة و اليبوسة و لها من الحركات المستقيمة و المعوجة و هي من حروف الأعراق و لها الامتزاج و هي من الكوامل و هي من عالم الانفراد و طبعها البرودة و اليبس و الحرارة و الرطوبة مثل عطارد و عنصرها الأعظم التراب و عنصرها الأقل الهواء و لها من الحروف الألف و الهمزة و لها من الأسماء الذاتية الله و الأول و الآخر و الماجد و المؤمن و المهيمن و المتكبر و المتين و الأحد و الملك و لها من أسماء الصفات المقتدر و المحصي و لها من أسماء الأفعال اللطيف و الفتاح و المبدئ و المجيب و المقيت و المصور و المذل و المعز و المعيد و المحيي و المميت و المنتقم و المقسط و المغني و المانع و لها غاية الطريق

«و من ذلك حرف العين المهملة»

فانظر إليه بمنزل الاشهاد	عين العيون حقيقة الإيجاد
نظر السقيم محاسن العواد	تبصره ينظر نحو موجد ذاته
يرجو و يحذر شيمة العباد	لا يلتفت أبدا لغير إلهه

اعلم أن العين من عالم الشهادة و الملكوت و له من المخارج وسط الحلق و له من عدد الجمل عقد السبعين و له من البسائط الياء و النون و الألف و الهمزة و الواو و له الفلك الثاني و زمان حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة و له من طبقات العالم الخاصة و خاصة الخاصة و له من المراتب الخامسة و ظهور سلطانه في البهائم و يوجد عنه كل حار رطب و له من الحركات الأفقية و هي المعوجة و هو من حروف الأعراف و هو من الحروف الخالصة و هو كامل و هو من عالم الإنس الثنائي و طبعه الحرارة و الرطوبة و له من الحروف الياء و النون و له من الأسماء الذاتية

الغني و الأول و الآخر و له من أسماء الصفات القوي و المحصي و الحي و من أسماء الأفعال النصير و النافع و الواسع و الوهاب و الوالي

«و من ذلك حرف الحاء المهملة»

أخفى حقيقته عن رؤية البشر	حاء الحواميم سر الله في السور
فارحل إلى عالم الأرواح و الصور	فإن ترحلت عن كون و عن شبح
إلى حقائقها جاءت على قدر	و انظر إلى حاملات العرش قد نظرت
أن لا يداني و لا يخشى من الغير	تجد لحائك سلطانا و عزته

اعلم أيها الولي أن الحاء من عالم الغيب و له من المخارج وسط الحلق و له من العدد الثمانية و له من البسائط الألف و الهمزة و اللام و الهاء و الفاء و الميم و الزاي و له من العالم الملكوت و له الفلك الثاني و سنى حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة و هو من الخاصة و خاصة الخاصة و له من المراتب السابعة و ظهور سلطانه في الجماد و يوجد عنه ما كان باردا رطبا و عنصره الماء و له من الحركات المعوجة و هو من حروف الأعراق و هو خالص غير ممتزج و هو كامل يرفع من اتصل به هو من عالم الأنس الثلاثي و طبعه البرودة و الرطوبة و له من الحروف الألف و الهمزة و له من أسماء الذات الله و الأول و الآخر و الملك و المؤمن و المهيمن و المتكبر و المجيد و المتين و المتعالي و العزيز و له من أسماء الصفات المقتدر و المحصي و له من أسماء الأفعال اللطيف و الفتاح و المبدئ و المجيب و المقيت و المصور و المذل و المعز و المعيد و المحيي و المميت و المنتقم و المقسط و المغني و المانع و له بداية الطريق

«و من ذلك حرف الغين المنقوطة»

إلا تجليه الأطم الأخطر	الغين مثل العين في أحواله
فاعرف حقيقة فيضه و تستر	في الغين أسرار التجلي الأقهر
حذرا على الرسم الضعيف الأحقر	و انظر إليه من ستارة كونه

اعلم أيدك الله بروح منه أن الغين المنقوطة من عالم الشهادة و الملكوت و مخرجه الحلق أدنى ما يكون منه إلى الفم عدده عندنا تسعمائة و عند أهل الأسرار و أما عند أهل الأنوار فعدده ألف كل ذلك في حساب الجمل الكبير و بسائطه الياء و النون و الألف و الهمزة و الواو و فلكه الثاني و سنى فلكه في حركته إحدى عشرة ألف سنة يتميز في طبقة العامة مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه البرودة و الرطوبة عنصره الماء يوجد عنه كل ما كان باردا رطبا حركته معوجة له الخلق و الأحوال و الكرامات خالص كامل مثنى مؤنس له الإفراد الذاتي له من الحروف الياء و النون له من الأسماء الذاتية الغني و العلي و الله و الأول و الآخر و الواحد و له من أسماء الصفات الحي و المحصي و القوي و له من أسماء الأفعال النصير و الواقي و الواسع و الوالي و الوكيل و هو ملكوتي

«و من ذلك حرف الخاء المنقوطة»

أعطتك من أسرارها و تأخرت　　　الخاء مهما أقبلت أو أدبرت

يهوى المكون حكمة قد أظهرت　　　فعلوها يهوى الكيان و سفلها

فتدنست وقتا و ثم تطهرت　　　أبدى حقيقتها مخطط ذاتها

في سفلها و لهيب نار سعرت　　　فأعجب لها من جنة قد أزلفت

اعلم أيدك الله أن الخاء من عالم الغيب و الملكوت مخرجه الحلق مما يلي الفم عدده ستمائة بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الهاء و الميم و الزاي فلكه الثاني سنى فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة مرتبته السابعة ظهور سلطانه في الجماد طبع رأسه البرودة و اليبوسة و الحرارة و الرطوبة بقية جسده عنصره الأعظم الهواء و الأقل التراب يوجد عنه كل ما اجتمعت فيه الطبائع الأربع حركته معوجة له الأحوال و الخلق و الكرامات ممتزج كامل يرفع من اتصل به على نفسه مثلث مؤنس له علامة له من الحروف الهمزة و الألف له من الأسماء الذاتية و الصفاتية و الفعلية كل ما كان في أوله زاى أو ميم كالملك و المقتدر و المعز أو هاء كالهادي أو فاء كالفتاح أو لام كاللطيف أو همزة كالأول

«و من ذلك حرف القاف»

و علوم أهل العرب مبدأ قطره　　　القاف سر كماله في رأسه

في شطره و شهوده في شطره　　　و الشوق يثنيه و يجعل غيبه

و انظر إلى شكل الرئيس كبدره　　　و انظر إلى تعريقه كهلاله

لوجود مبدئه و مبدأ عصره　　　عجبا لآخر نشأة هو مبدأ

اعلم أيدنا الله و إياك أن القاف من عالم الشهادة و الجبروت مخرجه من أقصى اللسان و ما فوقه من الحنك عدده مائة بسائطه الألف و الفاء و الهمزة و اللام فلكه الثاني سنى حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن طبعه الأمهات الأول آخره حار يابس و سائره بارد رطب عنصره الماء و النار يوجد عنه الإنسان و العنقاء له الأحوال حركته ممتزجة ممتزج مؤنس مثنى علامته مشتركة له من الحروف الألف و الفاء و له من الأسماء على مراتبها كل اسم في أوله حرف من حروف بسائطه له الذات عند أهل الأسرار و عند أهل الأنوار الذات و الصفات

«و من ذلك حرف الكاف»

من كاف خوف شاهد الإفضالا　　　كاف الرجاء يشاهد الإجلالا

يعطيك ذا صدا و ذاك وصالا　　　فانظر إلى قبض و بسط فيهما

و لذاك جلى من سناه جمالا　　　　الله قد جلى لذا إجلاله

اعلم أيدنا الله و إياك أن الكاف من عالم الغيب و الجبروت له من المخارج مخرج القاف و قد ذكر إلا أنه أسفل منه عدده عشرون بسائطه الألف و الفاء و الهمزة و اللام له الفلك الثاني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن يوجد عنه كل ما كان حارا يابسا عنصره النار طبعه الحرارة و اليبوسة مقامه البداية حركته ممتزجة هو من الأعراق خالص كامل يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار و لا يرفع عند أهل الأسرار مفرد موحش له من الحروف ما للقاف و له من الأسماء كل اسم في أوله حرف من حروف بسائطه و حروفه

«و من ذلك حرف الضاد المعجمة»

لرأيت سر الله في جبروته　　　　في الضاد سر لو أبوح بذكره
من غيره في حضرتي رحموته　　　　فانظر إليه واحدا و كماله
أسرى به الرحمن من ملكوته　　　　و إمامه اللفظ الذي بوجوده

اعلم أيدنا الله و إياك أن الضاد المعجمة من حروف الشهادة و الجبروت و مخرجه من أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس عدده تسعون عندنا و عند أهل الأنوار ثمانمائة بسائطه الألف و الدال اليابسة و الهمزة و اللام و الفاء فلكه الثاني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه البرودة و الرطوبة عنصره الماء يوجد عنه ما كان باردا رطبا حركته ممتزجة له الخلق و الأحوال و الكرامات خالص كامل مثنى مؤنس علامته الفردانية له من الحروف الألف و الدال و له من الأسماء كما أعلمناك في الحرف الذي قبله رغبة في الاختصار و الله المعين الهادي

«و من ذلك حرف الجيم»

لمشاهد الأبرار و الأخيار　　　　الجيم يرفع من يريد وصاله
متحقق بحقيقة الإيثار　　　　فهو العبيد القن إلا أنه
و ببدئه يمشي على الآثار　　　　يرنو بغايته إلى معبوده
و مزاجه برد و لفح النار　　　　هو من ثلاث حقائق معلومة

اعلم أيدنا الله و إياك أن الجيم من عالم الشهادة و الجبروت و مخرجه من وسط اللسان بينه و بين الحنك عدده ثلاثة بسائطه الياء و الميم و الألف و الهمزة فلكه الثاني سنيه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن جسده بارد يابس رأسه حار يابس طبعه البرودة و الحرارة و اليبوسة عنصره الأعظم التراب و الأقل النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته معوجة له الحقائق

و المقامات و المنازلات ممتزج كامل يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار و الأسرار إلا الكوفيون مثلث مؤنس علامته الفردانية له من الحروف الياء والميم ومن الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الشين المعجمة بالثلاث»

في الشين سبعة أسرار لمن عقلا	و كل من نالها يوما فقد وصلا
تعطيك ذاتك و الأجسام ساكنة	إذا الأمين على قلب بها نزلا
لو عاين الناس ما تحويه من عجب	رأوا هلال محاق الشهر قد كملا

اعلم أيدنا الله و إياك نطقا و فهما أن الشين من عالم الغيب و الجبروت الأوسط منه مخرجه مخرج الجيم عدده عندنا ألف و عند أهل الأنوار ثلاثمائة بسائطه الياء و النون و الألف و الهمزة و الواو فلكه الثاني سنى هذا الفلك قد تقدم ذكرها يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه بارد رطب عنصره الماء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة كامل خالص مثنى مؤنس له الذات و الصفات و الأفعال له من الحروف الياء و النون و من الأسماء على نحو ما تقدم له الخلق و الأحوال و الكرامات

«و من ذلك حرف الياء»

ياء الرسالة حرف في الثرى ظهرا	كالواو في العالم العلوي معتمرا
فهو الممد جسوما ما لها ظلل	و هو الممد قلوبا عانقت صورا
إذا أراد يناجيكم بحكمته	يتلو فيسمع سر الأحرف السورا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الياء من عالم الشهادة و الجبروت مخرجه مخرج الشين عدده العشرة للأفلاك الاثني عشر و واحد للأفلاك السبعة بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الهاء و الميم و الزاي فلكه الثاني سنيه قد ذكرت يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة له الغاية و المرتبة السابعة ظهور سلطانه في الجماد طبعه الأمهات الأول عنصره الأعظم النار و الأقل الماء يوجد عنه الحيوان حركته ممتزجة له الحقائق و المقامات و المنازلات ممتزج كامل رباعي مؤنس له من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف اللام»

اللام للأزل السني الأقدس	و مقامه الأعلى البهي الأنفس
مهما يقم تبدي المكون ذاته	و العالم الكوني مهما يجلس
يعطيك روحا من ثلاث حقائق	يمشي و يرفل في ثياب السندس

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن اللام من عالم الشهادة و الجبروت مخرجه من حافة اللسان أدناها إلى منتهى طرفه عدده في الاثني عشر

فلكا ثلاثون و في الأفلاك السبعة ثلاثة بسائطه الألف و الميم و الهمزة و الفاء و الياء فلكه الثاني سنيه تقدمت يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة و البرودة و اليبوسة عنصره الأعظم النار و الأقل التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته مستقيمة و ممتزجة له الأعراف ممتزج كامل مفرد موحش له من الحروف الألف و الميم و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الراء»

أبدا بدار نعيمه لن يخذلا	راء المحبة في مقام وصاله
غيري و وقتا يا أنا لن يجهلا	وقتا يقول أنا الوحيد فلا أرى
كنت المقرب و الحبيب الأكملا	لو كان قلبك عند ربك هكذا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الراء من عالم الشهادة و الجبروت و مخرجها من ظهر اللسان و فوق الثنايا عدده في الاثني عشر فلكا مائتان و في الأفلاك السبعة اثنان بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الهاء و الميم و الزاي فلكه الثاني سنى فلكه معلومة له الغاية مرتبته السابعة ظهور سلطانه في الجماد يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة طبعه الحرارة و اليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الأعراف خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف النون»

في عينها عينا على معبودها	نون الوجود تدل نقطة ذاتها
و جميع أكوان العلى من جودها	فوجودها من جوده و يمينه
من جودها تعثر على مفقودها	فانظر بعينك نصف عين وجودها

اعلم أيد الله القلوب بالأرواح أن النون من عالم الملك و الجبروت مخرجه من حافة اللسان و فوق الثنايا عدده خمسون و خمسة بسائطه الواو و الألف فلكه الثاني سنى حركته قد ذكرت يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته المرتبة المنزهة الثانية ظهور سلطانه في الحضرة الإلهية طبعه البرودة و اليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق و الأحوال و الكرامات خالص ناقص مفرد موحش له الذات له من الحروف الواو و الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الطاء المهملة»

منها حقيقة عين الملك في الملك	في الطاء خمسة أسرار مخباة
و النور في النار و الإنسان في الملك	و الحق في الخلق و الأسرار نائبة
علمت أن وجود الفلك في الفلك	فهذه خمسة مهما كلفت بها

اعلم أيدنا الله به أن الطاء من عالم الملك و الجبروت مخرجه من طرف اللسان و أصول الثنايا عدده تسعة بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الميم و الزاي و الهاء فلكه الثاني سنيه مذكورة يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة و له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة و الرطوبة عنصره الماء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته مستقيمة عند أهل الأنوار و معوجة عند أهل الأسرار و عند أهل التحقيق و عندنا معا و ممتزجة له الأعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الدال المهملة»

الدال من عالم الكون الذي انتقلا — عن الكيان فلا عين و لا أثر
عزت حقائقه عن كل ذي بصر — سبحانه جل أن يحظى به بشر
فيه الدوام فجود الحق منزله — فيه المثاني ففيه الآي و السور

اعلم أيدنا الله بأسمائه أن الدال من عالم الملك و الجبروت مخرجه مخرج الطاء عدده أربعة بسائطه الألف و اللام و الهمزة و الفاء و الميم فلكه الأول سنى حركته اثنتا عشرة ألف سنة له غاية الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه البرودة و اليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة بين أهل الأنوار و الأسرار له الأعراق خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الألف و اللام و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف التاء باثنتين من فوق»

التاء يظهر أحيانا و يستتر — فحظه من وجود القوم تلوين
يحوي على الذات و الأوصاف حضرته — و ما له في جناب الفعل تمكين
يبدو فيظهر من أسراره عجبا — و ملكه اللوح و الأقلام و النون
الليل و الشمس و الأعلى و طارقه — في ذاته و الضحى و الشرح و التين

اعلم أيها الولي الحميم أن التاء من عالم الغيب و الجبروت مخرجه مخرج الدال و الطاء عدده أربعة و أربعمائة بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الهاء و الميم و الزاي فلكه الأول سنيه قد ذكرت يتميز في خاصة الخاصة مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة و اليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق و الأحوال و الكرامات خالص كامل رباعي مؤنس له الذات و الصفات له من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الصاد اليابسة»

في الصاد نور لقلب بات يرقبه — عند المنام و ستر السهد يحجبه

ينير صدرك و الأسرار ترقبه   فنم فإنك تلقى نور سجدته

المشكور فهو على العادات يعقبه   فذلك النور نور الشكر فارتقب

اعلم أيها الصفي الكريم أن الصاد من عالم الغيب و الجبروت مخرجه مما بين طرفي اللسان و فويق الثنايا السفلي عدده ستون عندنا و تسعون عند أهل الأنوار بسائطه الألف و الدال و الهمزة و اللام و الفاء فلكه الأول سنيه قد ذكرت يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة له أول الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة و الرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة مجهولة له الأعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الألف و الدال و من الأسماء كما تقدم ثم اعلم أني جعلت سر هذا الصاد اليابسة لا ينال إلا في النوم لكوني ما نلته و لا أعطانيه الحق تعالى إلا في المنام فلهذا حكمت عليه بذلك و ليست حقيقته ذلك و الله يعطيه في النوم و اليقظة و لما وقفت عنده بالتقييد جعلت بعض الأصحاب يقرأ على أسرار الحروف لأصلح ما اختل منها عند التقييد لسرعة القلم فلما وصل بالقراءة إلى هذا الحرف قلت لهم ما اتفق لي فيه و أن النوم ليس لازما في نيله و لكن هكذا أخذته فوصفت حالي و انفض الجمع فلما كان من الغد من يوم السبت قعدنا على سبيل العادة في المجلس بالمسجد الحرام تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة و كان يحضر عندنا الشيخ الفقيه المجاور أبو يحيى ببكر بن أبي عبد الله الهاشمي التويتمي الطرابلسي رحمه الله فجاء على عادته فلما فرغنا من القراءة قال لي رأيت البارحة في النوم كأني قاعد و أنت أمامي مستلق على ظهرك تذكر الصاد فأنشدتك مرتجلا

الصاد حرف شريف   و الصاد في الصاد أصدق

فقلت لي في النوم ما دليلك فقلت

لأنها شكل دور   و ما من الدور أسبق

ثم استيقظت . وحكى لي في هذه الرؤيا إني فرحت بجوابه فلما أكمل ذكره فرحت بهذه المبشرة التي رآها في حقي و بهيئة الاضطجاع و ذلك رقاد الأنبياء عليهم السلام و هي حالة المستريح الفارغ من شغله و المتأهب لما يرد عليه من أخبار السماء بالمقابلة فاعلم أن الصاد حرف من حروف الصدق و الصون و الصورة و هو كري الشكل قابل لجميع الأشكال فيه أسرار عجيبة فتعجبت من كشفه في نومه قرت عينه على حالتي التي ذكرتها للأصحاب بالأمس في المجلس فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ حرف شريف عظيم أقسم عند ذكره بمقام جوامع الكلم و هو المشهد المحمدي في أوج الشرف بلسان التمجيد و تضمنت هذه السورة من أوصاف الأنبياء عليهم السلام و من أسرار العالم كله الخفية عجائب و آيات و هذه الرؤيا فيها من الأسرار على حسب ما في هذه السورة من الأسرار فهي تدل على خير كثير جسيم يناله الرائي و من ريئت له و كل من شوهد فيها من الله تعالى و يحصل لهما من بركات الأنبياء عليهم السلام المذكورين في هذه السورة و يلحق الأعداء من الكفار ما في هذه السورة من البؤس لا من المؤمنين نسأل الله لنا و لهم العافية في الدنيا و الآخرة فهذه بشرى حصلت و

أسرار أرسلها الحق إلينا على يد هذا الرائي و ذكر لي الرائي صاحبنا أبو يحيى أنه لما استيقظ تمم على البيتين اللذين أنشدهما لي في النوم قريضا فسألته أن يرسل إلي به حتى أقيده في كتابي هذا عقيب هذه الرؤيا و في هذا الحرف فإن ذلك القريض من إمداد هذه الحقيقة الروحانية التي رآها في النوم فأردت أن لا أفصل بينهما فبعثت معه صاحبنا أبا عبد الله محمد بن خالد الصوفي التلمساني فجاءني بها و هي هذه

الصاد حرف شريف	و الصاد في الصاد أصدق
قل ما الدليل أجده	في داخل القلب ملصق
لأنها شكل دور	و ما من الدور أسبق
و دل هذا بأني	على الطريق موفق
حققت في الله قصدي	و الحق يقصد بالحق
إن كان في البحر عمق	فساحل القلب أعمق
إن ضاق قلبك عني	فقلب غيرك أضيق
دع القرونة و اقبل	من صادق يتصدق
و لا تخالف فتشقى	فالقلب عندي معلق
افتحه اشرحه و افعل	فعل الذي قد تحقق
إلى متى قاسي القلب	باب قلبك مغلق
و فعل غيرك صاف	و وجه فعلك أزرق
إنا رفقنا فرفقا	فالرفق في الرفق أرفق
فإن أتيت كسوناك	ثوب لطف معتق
و لا تكن كجرير	إذ ظل يهجو الفرزدق
و الهج بمدحي فمدحي	من مشرق الشمس أشرق
أنا الوجود بذاتي	و لي الوجود المحقق
من غير قيد كعلمي	على الحقيقة مطلق
فهل ترى الشاه يوما	يكيدها فرد ميذق
من قال في برأي	فقائل الرأي أحمق

رأيته يتشدق | إن ظل يهذي لوهم
فالذكر من ذاك أصدق | و كل من قال قولا
لا أبيد و أخلق | أنا المهيمن ذو العرش
و جاء أحمد بالحق | بعثت للخلق رسلي
و حين أرعد أبرق | فقام في بصدق
و ناصحا ما تفتق | مجاهدا في الأعادي
أغرقت من ليس يغرق | لو لم أغثهم بعبدي
من عذابي تفرق | إن السموات و الأرض
ألم ما يتفرق | و إن أطعتم فإني
في حدائق تعبق | و أجمع الكل في الخلد
و إنني الله أصفق | كل القلوب على ذا
و راحتاى تصفق | فقمت من حال نومي

«و من ذلك حرف الزاي»

كانت حقائق روح الأمر مغناه | في الزاي سر إذا حققت معناه
عند الفناء عن التنزيه أغناه | إذا تجلى إلى قلب بحكمته
يحقق العلم أو يدريه إلا هو | فليس في أحرف الذات النزيهة من

اعلم أيدك الله بروح الأزل أن الزاي من عالم الشهادة و الجبروت و القهر مخرجه مخرج الصاد و السين عدده سبعة بسائطه الألف و الياء و الهمزة و اللام و الفاء فلكه الفلك الأول سنى حركته تقدم ذكرها يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة و اليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق و الأحوال و الكرامات خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الألف و الياء و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف السين المهملة»

و له التحقق و المقام الأرفع | في السين أسرار الوجود الأربع
آثار كون شمسها تتبرقع | من عالم الغيب الذي ظهرت به

اعلم أن السين من عالم الغيب و الجبروت و اللطف مخرجه مخرج الصاد و الزاي عدده عند أهل الأنوار ستون و ستة و عندنا ثلاثمائة و ثلاثة بسائطه الياء و النون و الألف و الهمزة و الواو فلكه الأول سنيه مذكورة يتميز في الخاصة و خاصة الخاصة و خلاصة خاصة الخاصة و صفاء خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه الحرارة و اليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الأعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الياء و النون و من الأسماء الإلهية كما تقدم

«و من ذلك حرف الظاء المعجمة»

في الظاء ستة أسرار مكتمة   خفية ما لها في الخلق تعيين

إلا مجازا إذا جادت بفاضلها   يرى لها في ظهور العين تحسين

يرجو الإله ويخشى عدله و إذا   ما غاب عن كونه لم يبد تكوين

اعلم أيها العاقل أن الظاء من عالم الشهادة و الجبروت و القهر مخرجه مما بين طرفي اللسان و أطراف الثنايا عدده ثمانية و ثمانمائة عندنا و عند أهل الأنوار تسعمائة بسائطه الألف و اللام و الهمزة و الفاء و الهاء و الميم و الزاي فلكه الأول سنيه مذكورة يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبع دائرته بارد رطب و قائمته حارة رطبة فله الحرارة و البرودة و الرطوبة عنصره الأعظم الماء و الأقل الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق و الأحوال و الكرامات ممتزج كامل مثنى مؤنس له الذات له من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الذال المعجمة»

الذال ينزل أحيانا على جسدي   كرها و ينزل أحيانا على خلدي

طوعا و يعدم من هذا و ذاك فما   يرى له أثر الزلفى على أحد

هو الإمام الذي ما مثله أحد   تدعوه أسماؤه بالواحد الصمد

اعلم أيها الإمام أن الذال من عالم الشهادة و الجبروت و القهر مخرجه مخرج الظاء عدده سبعمائة و سبعة بسائطه الألف و اللام و الهمزة و الفاء و الميم فلكه الأول سنى حركته مذكورة يتميز في العامة له وسط الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة و الرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته معوجة ممتزجة له الخلق و الأحوال و الكرامات خالص كامل مقدس مثنى مؤنس له الذات و له من الحروف الألف و اللام و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الثاء بالثلاثة»

الثاء ذاتية الأوصاف عالية   في الوصف و الفعل و الأقلام توجدها

يوم البداية صار الخلق يعبدها | فإن تجلت بسر الذات واحدة
يوم التوسط صار النعت يحمدها | و إن تجلت بسر الوصف ثانية
يوم الثلاثاء صار الكون يسعدها | و إن تجلت بسر الفعل ثالثة

اعلم أيها السيد أن الثاء من عالم الغيب و الجبروت و اللطف مخرجه مخرج الظاء و الذال عدده خمسة و خمسمائة بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الهاء و الميم و الزاي له الفلك الأول سنيه مذكورة يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة و اليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق و الأحوال و الكرامات خالص كامل مربع مؤنس له الذات و الصفات و الأفعال له من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الفاء»

و انظر إلى سرها يأتي على قدر | الفاء من عالم التحقيق فادكر
تنفك بالمزج عن حق و عن بشر | لها مع الياء مزج في الوجود فما
من أوجه عالم الأرواح و الصور | فإن قطعت وصال الياء دان لها

اعلم أيد الله القلب الإلهي أن الفاء من عالم الشهادة و الجبروت و الغيب و اللطف مخرجه من باطن الشفة السفلي و أطراف الثنايا العليا عدده ثمانون و ثمانية بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الهاء و الميم و الزاي له الفلك الأول سنيه قد ذكرت يتميز في الخلاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبع رأسه الحرارة و الرطوبة و سائر جسده بارد رطب فطبعه الحرارة و البرودة و الرطوبة عنصره الأعظم الماء و الأقل الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الحقائق و المقامات و المنازلات عند أهل الأسرار و له الخلق و الأحوال و الكرامات عند أهل الأنوار ممتزج كامل مفرد مثنى مؤنس موحش له الذات له من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الباء بواحدة»

و في نقيطتها للقلب مدكر | الباء للعارف الشبلي معتبر
لذاك ناب مناب الحق فاعتبروا | سر العبودية العليا مازجها
لأنه بدل منه فذا وزر | أ ليس يحذف من بسم حقيقته

اعلم أيها الوالي المتعالي أن الباء من عالم الملك و الشهادة و القهر مخرجه من الشفتين عدده اثنان بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء و الهاء و الميم و الزاي فلكه الأول له الحركة المذكورة يتميز في عين صفاء الخلاصة و في خاصة الخاصة له بداية الطريق و غايته مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه الحرارة و اليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الحقائق و المقامات و المنازلات خالص

كامل مربع مؤنس له الذات و من الحروف الألف و الهمزة و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الميم»

في غاية الكون عينا و البدايات	الميم كالنون إن حققت سرهما
بدء لبدء و غايات لغايات	و النون للحق و الميم الكريمة لي
و برزخ الميم رب في البريات	فبرزخ النون روح في معارفه

اعلم أيد الله المؤمن إن الميم من عالم الملك و الشهادة و القهر مخرجه مخرج الباء عدده أربعة و أربعون بسائطه الياء و الألف و الهمزة فلكه الأول سنيه ذكرت يتميز في الخاصة و الخلاصة و صفاء الخلاصة له الغاية مرتبته الثالثة ظهور سلطانه في الإنسان طبعه البرودة و اليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه له الأعراف خالص كامل مقدس مفرد مؤنس له من الحروف الياء و من الأسماء كما تقدم

«و من ذلك حرف الواو»

من وجودي و أنفس	واو إياك أقدس
و هو سر مسدس	فهو روح مكمل
قيل بيت مقدس	حيث ما لاح عينه
فينا المؤسس	بيته السدرة العلية

الواو من عالم الملك و الشهادة و القهر مخرجه من الشفتين عدده ستة بسائطه الألف و الهمزة و اللام و الفاء فلكه الأول سنيه مذكورة يتميز في خاصة الخاصة و في الخلاصة له غاية الطريق مرتبته الرابعة سلطانه في الجن طبعه الحرارة و الرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الأعراق خالص ناقص مقدس مفرد موحش له من الحروف الألف و من الأسماء كما تقدم فهذه حروف المعجم قد كملت بذكر ما حد لنا من الإشارات و التنبيهات لأهل الكشف و الخلوات و الاطلاع على أسرار الموجودات فإذا أردت أن يسهل عليك مأخذها في باب العبارة عنها فاعلم اشتراكها في أفلاك البسائط تعلم حقائق الأسماء الممدة لها فالألف قد تقدم الكلام فيها وكذلك الهمزة تدخل مع الألف و الواو و الياء المعتلتين فخرجتا أيضا عن حكم الحروف بهذا الوجه فالجيم و الزاي و اللام و الميم و النون بسائطها مختلفة و الدال و الذال متماثلة و الصاد و الضاد متماثلة و العين و الغين و السين و الشين متماثلة و الواو و الكاف و القاف متماثلة و الباء و الهاء و الحاء و الطاء و الياء و الفاء و الراء و التاء و الثاء و الخاء و الظاء متماثلة البسائط أيضا و كل متماثل البسائط متماثل الأسماء فاعلم و كنا ذكرنا أن نذكر لام ألف عقيب الحروف الذي هو نظير الجوزهر فنذكره في الرقم مفردا عن الحروف فإنه حرف زائد مركب من ألف و لام و من همزة و لام

«ذكر لام ألف و ألف اللام»

نهر طالوت فلا تغترف　　　ألف اللام و لام الألف
و عن النهمة لا تنحرف　　　و اشرب النهر إلى آخره
ظمئت نفسك قم فانصرف　　　و لتقم ما دمت ريانا فإن
نهر بلوى لفؤاد المشرف　　　و اعلم أن الله قد أرسله
يخذل العبد إذا لم يقف　　　فاصطبر بالله واحذره فقد

«معرفة لام ألف لا»

مثل الحبيبين فالأعوام أحلام　　　تعانق الألف العلام و اللام
فجاءني منهما في اللف إعلام　　　وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ التي عظمت
بدا له فيه إيجاد و إعدام　　　إن الفؤاد إذا معناه عانقه

اعلم أنه لما اصطحب الألف و اللام صحب كل واحد منهما ميل و هو الهوى و الغرض و الميل لا يكون إلا عن حركة عشقية فحركة اللام حركة ذاتية و حركة الألف حركة عرضية فظهر سلطان اللام على الألف لإحداث الحركة فيه فكانت اللام في هذا الباب أقوى من الألف لأنها أعشق فهمتها أكمل وجودا و أتم فعلا و الألف أقل عشقا فهمتها أقل تعلقا باللام فلم تستطع أن تقيم أودها فصاحب الهمة له الفعل بالضرورة عند المحققين هذا حظ الصوفي و مقامه و لا يقدر يجاوزه إلى غيره فإن انتقل إلى مقام المحققين فمعرفة المحقق فوق ذلك و ذلك أن الألف ليس ميلة من جهة فعل اللام فيه بهمته و إنما ميلة نزوله إلى اللام بالألطاف لتمكن عشق اللام فيه ألا تراه قد لوى ساقه بقائمة الألف و انعطف عليه حذرا من الفوت فميل الألف إليه نزول كنزول الحق إلى السماء الدنيا و هم أهل الليل في الثلث الباقي و ميل اللام معلوم عندهما معلول مضطر لا اختلاف عندنا فيه إلا من جهة الباعث خاصة فالصوفي يجعل ميل اللام ميل الواجدين و المتواجدين لتحققه عندهم بمقام العشق و التعشق و حاله و ميل الألف ميل التواصل و الاتحاد و لهذا اشتبها في الشكل هكذا لا فأيهما جعلت الألف أو اللام قبل ذلك الجعل و لذلك اختلف فيه أهل اللسان أين يجعلون حركة اللام أو الهمزة التي تكون على الألف فطائفة راعت اللفظ فقالت في الأسبق و الألف بعد و طائفة راعت الخط فبأي فخذ ابتدأ المخطط فهو اللام و الثاني هو الألف و هذا كله تعطيه حالة العشق و الصدق في العشق يورث التوجه في طلب المعشوق و صدق التوجه يورث الوصال من المعشوق إلى العاشق و المحقق يقول باعث الميل المعرفة عندهما و كل واحد على حسب حقيقته و أما نحن و من رقى معنا في معالي درج التحقيق الذي ما فوقه درج فلسنا نقول بقولهما و لكن لنا في المسألة تفصيل و ذلك أن تلحظ في أي حضرة اجتمعا فإن العشق حضرة جزئية من جملة الحضرات فقول الصوفي حق و المعرفة حضرة أيضا كذلك فقول المحقق حق و لكن كل واحد منهما قاصر عن التحقيق في هذه المسألة ناظر بعين واحدة و نحن نقول أول حضرة اجتمعا فيها حضرة الإيجاد و هي لا إله إلا أل لاه

فهذه حضرة الخلق و الخالق و ظهرت كلمة لا في النفي مرتين و في الإثبات مرتين فلا لا لا و إلاه للاه فميل الوجود المطلق الذي هو الألف في هذه الحضرة إلى الإيجاد و ميل الموجود المقيد الذي هو اللام إلى الإيجاد عند الإيجاد و لذلك خرج على الصورة فكل حقيقة منهما مطلقة في منزلتها فافهم إن كنت تفهم و إلا فالزم الخلوة و علق الهمة بالله الرحمن حتى تعلم فإذا تقيد بعد ما تعين وجوده و ظهر لعينه عينه فإنه

عند الوجود و للقرآن قرآن　　للحق حق و للإنسان إنسان

عند المناجاة للآذان آذان　　و للعيان عيان في الشهود كما

في الفرق فألزمه فالقرآن فرقان　　فانظر إلينا بعين الجمع تحظ بنا

فلا بد من صفة تقوم به و يكون بها يقابل مثلها أو ضدها من الحضرة الإلهية و إنما قلت الضد و لم نقتصر على المثل الذي هو الحق الصدق رغبة في إصلاح قلب الصوفي و الحاصل في أول درجات التحقيق فمشربهما هذا و لا يعرفان ما فوقه و لا ما نومئ إليه حتى يأخذ بأيديهما و يشهدهما ما أشهدناه و سأذكر طرفا من ذلك في الفصل الثالث من هذا الباب فاطلب عليه هناك إن شاء الله تعالى فاغطس في بحر القرآن العزيز إن كنت واسع النفس و إلا فاقتصر على مطالعة كتب المفسرين لظاهره و لا تغطس فتهلك فإن بحر القرآن عميق و لو لا الغاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل ما خرج لكم أبدا فالأنبياء و الورثة الحفظة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمة بالعالم و أما الواقفون الذين وصلوا و مسكوا و لم يردوا لا انتفع بهم أحد و لا انتفعوا بأحد فقصدوا بل قصد بهم ثبج البحر فغطسوا إلى الأبد لا يخرجون يرحم الله العباد إني شيخ سهل بن عبد الله التستري حيث قال لسهل إلى الأبد حين قال له سهل أ يسجد القلب فقال الشيخ إلى الأبد بل صلى الله على رسول الله حين قيل له صلى الله عليه و سلم في دخول العمرة في الحج أ لعامنا هذا أم للأبد فقال صلى الله عليه و سلم بل لا بد الأبد فهي روحانية باقية في دار الخلد يجدها أهل الجنان في كل سنة مقدرة فيقولون ما هذا فيجابون العمرة في الحج روح و نعيم و وارد نزيه شريف تشرق به أسارير الوجوه و تزيد به حسنا و جمالا فإذا غطست وفقك الله في بحر القرآن فاطلب و ابحث على صدفتي هاتين الياقوتين الألف و اللام و صدفتهما هي الكلمة أو الآية التي تحملهما فإن كانت كلمة فعلية على طبقاتها نسبتهما من ذلك المقام و إن كانت كلمة أسمائية على طبقاتها نسبتهما من ذلك المقام و إن كانت كلمة ذاتية نسبتها من ذلك كما أشار عليه السلام و إن لم تكن في الحرف أعوذ برضاك من سخطك برضاك ميل الألف من سخطك ميل اللام كلمة أسمائية و بمعافاتك ميل الألف من عقوبتك ميل اللام كلمة فعلية و بك ميل الألف منك ميل اللام كلمة ذاتية فانظر ما أعجب سر النبوة و ما أعلاه و ما أدنى مرماه و ما أقصاه فمن تكلم على حرفي لام ألف من غير أن ينظر في الحضرة التي هو فيها فليس بكامل هيهات لا يستوي أبدا لام ألف لا خوف عليهم و لام ألف و لا هم يحزنون كما لا يستوي لام ألف لا التي للنفي و لام ألف التي للإيجاب كما لا يستوي لام ألف النفي و لام ألف النفي و التبرئة و لام ألف النهي فترفع بالنفي و تنصب بالتبرئة و تجزم بالنهي و لام ألف لام التعريف و الألف التي من أصل الكلمة مثل قوله الْأَعْرافِ و الْأَدْبارَ و الْأَبْصارِ و الْأَقلام كما لا يستوي لام ألف لام التوكيد و الألف الأصلية مثل

قوله تعالى لَأَوْضَعُوا و لَأَتَمَّ فتحقق ما ذكرناه لك و أقم ألفك من رقدتها و حل لامك من عقدتها و في عقد اللام بالألف سر لا يظهر و لا أقدر على بسط العبارة في مقامات لام ألف كما وردت في القرآن إلا لو كان السامع يسمعه مني كما يسمعه من الذي أنزل عليه لو عبر عنه و مع هذا فالغرض في هذا الكتاب الإيجاز و قد طال الباب و اتسع الكلام فيه على طريق الإجمال لكثرة المراتب و كثرة الحروف و لم نذكر في هذا الباب معرفة المناسبة التي بين الحروف حتى يصح اتصال بعضها مع بعض و لا ذكرنا اجتماع حرفين معا إلا لام ألف خاصة من جهة ما و هذا الباب يتضمن ثلاثة آلاف مسألة و خمسمائة مسألة و أربعين مسألة على عدد الاتصالات بوجه ما لكل اتصال علم يخصه و تحت كل مسألة من هذه المسائل مسائل تتشعب كثيرة فإن كل حرف يصطحب مع جميع الحروف كلها من جهة رفعه و نصبه و خفضه و سكونه و ذاته و حروف العلة الثلاثة فمن أراد أن يتشفى منها فليطالع تفسير القرآن الذي سميناه الجمع و التفصيل و سنوفي الغرض في هذه الحروف إن شاء الله في كتاب المبادي و الغايات لنا و هو بين أيدينا فلتكف هذه الإشارة في لام ألف و الحمد لله المفضل

«معرفة ألف اللام آل»

ألف اللام لعرفان الذوات	و لإحياء العظام النخرات
تنظم الشمل إذا ما ظهرت	بمحياها و ما تبقي شتات
و تفي بالعهد صدقا و لها	حال تعظيم وجود الحضرات

اعلم أن لام ألف بعد حلها و نقض شكلها و إبراز أسرارها و فنائها عن اسمها و رسمها تظهر في حضرة الجنس و العهد و التعريف و التعظيم و ذلك لما كان الألف حظ الحق و اللام حظ الإنسان صار الألف و اللام للجنس فإذا ذكرت الألف و اللام ذكرت جميع الكون و مكونه فإن فنيت عن الحق بالخليقة و ذكرت الألف و اللام كان الألف و اللام الحق و الخلق و هذا هو الجنس عندنا فقائمة اللام للحق تعالى و نصف دائرة اللام المحسوس الذي يبقى بعد ما يأخذ الألف قائمته هو شكل النون للخلق و نصف الدائرة الروحاني الغائب للملكوت و الألف التي تبرز قطر الدائرة للأمر و هو كُنْ و هذه كلها أنواع و فصول للجنس الأعم الذي ما فوقه جنس و هو حقيقة الحقائق التائهة القديمة في القديم لا في ذاتها و المحدثة في المحدث لا في ذاتها و هي بالنظر إليها لا موجودة و لا معدومة و إذا لم تكن موجودة لا تتصف بالقدم و لا بالحدوث كما سيأتي ذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب و لها ما شاكلها من جهة قبولها للصور لا من جهة قبولها للحدوث و القدم فإن الذي يشبهها موجود و كل موجود إما محدث و هو الخلق و إما محدث اسم فاعل و هو الخالق و لما كانت تقبل القدم و الحدوث كان الحق يتجلى لعباده على ما شاءه من صفاته و لهذا السبب ينكره قوم في الدار الآخرة لأنه تعالى تجلى لهم في غير الصورة و الصفة التي عرفوها منه و قد تقدم طرف منه في الباب الأول من هذا الكتاب فيتجلى للعارفين على قلوبهم و على ذواتهم في الآخرة عموما فهذا وجه من وجوه الشبه و على التحقيق الذي لا خفاء به عندنا إن حقائقها هي المتجلية للصنفين في الدارين لمن عقل أو فهم من الله تعالى المرئي في الدنيا بالقلوب و الأبصار مع أنه سبحانه منبئ عن

عجز العباد عن درك كنهه فقال لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ بتجليه لهم على قدر طاقتهم خبير بضعفهم عن حمل تجليه الأقدس على ما تعطيه الألوهة إذ لا طاقة للمحدث على حمل جمال القديم كما لا طاقة للأنهار بحمل البحار فإن البحار تفني أعيانها سواء وردت عليه أو ورد عليها أعني البحر لا يبقى لها أثرا يشهد و لا يميز فاعرف ما ذكرناه و تحقق و أعلى ما يشبهها من المحدثات الهباء الذي خلق فيه صور العالم ثم النور أنزل منه في الشبه بها فإن النور صورة في الهباء كما إن الهباء صورة فيها و أنزل شبها من النور بها الهواء و أنزل منه الماء و أنزل منه المعادن و أنزل منه الخشب و أمثاله إلى أن تنتهي إلى شيء لا يقبل إلا صورة واحدة إن وجدته فتفهم هذا حتى يأتي بابه من هذا الكتاب إن شاء الله فهذه الحقيقة التائهة التي تتضمن الحقائق التائهات هي الجنس الأعم التي تستحق الألف و اللام الحمل عليه بذاتها و كذلك عهدهما بجريان حقيقتهما على علم ما وقع فيه العهد بين الموجودين فعلى أي موجودين دخلتا لأمر كان بينهما من جهة كل واحد منهما بالنظر إلى أمر ثالث كانتا لعهد ذلك الأمر الثالث الذي يعرفانه و على حقيقتهما الألف لاخذ العهد و اللام لمن أخذ عليه و كذلك تعريفهما و تخصيصهما إنما يخصصان شيئا من جنسه على التعيين ليحصلا العلم به عند من يريد المخبر أن يعلمه إياه فعلى أي حالة كان المخصص و المخصص و الشيء الذي بسببه ظهرت هاتان الحقيقتان انقلبتا في صورة حقائقهما و هذا هو الاشتراك الذاتي فإن كان الاشتراك في الصفة و نريد أن نميز الأعظم منهما للمخاطب فتكونا عند ذلك للتعظيم في الوصف الذي تدخل فالألف و اللام يقبلان كل صورة و حقيقة لأنهما موجودان جامعان لجميع الحقائق فأي شيء برز أبرز إله الحقيقة التي عندهما منه فقابلاه بها فدلالتهما على الشيء لذاتهما لا أنهما اكتسبا من الشيء الذي دخلتا عليه و مثل ذلك أهلك الناس الدينار و الدرهم رأيت الرجل أمس أحببت الرجال دون النساء هويت السمان و يكفي هذا القدر فقد طال الباب انتهى الجزء السادس و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بيان بعض الأسباب أعني تفسير الألفاظ التي ذكرت في الحروف من بسائط و مراتب و تقديس و إفراد و تركيب و أنس و وحشة و غير ذلك فاعلم أولا أن هذه الحروف لما كانت مثل العالم المكلف الإنساني المشاركة له في الخطاب لا في التكليف دون غيره من العالم لقبولها جميع الحقائق كالإنسان و سائر العالم ليس كذلك فمنهم القطب كما منا و هو الألف و مقام القطب منا الحياة القيومية هذا هو المقام الخاص به فإنه سار بهمته في جميع العالم كذلك الألف من كل وجه من وجه روحانيته التي ندركها نحن و لا يدركها غيرنا و من حيث سريانه نفسا من أقصى المخارج الذي هو منبعث النفس إلى آخر المنافس و يمتد في الهواء الخارج و أنت ساكت و هو الذي يسمى الصدى فتلك قيومية الألف لا أنه واقف و من حيث رقمه فإن جميع الحروف تنحل إليه و تتركب منه و لا ينحل هو إليها كما ينحل هو أيضا إلى روحانيته و هي النقطة تقديرا و إن كان الواحد لا ينحل فقد عرفناك ما لأجله كان الألف قطبا و هكذا تعمل فيما نذكره لك بعد هذا إن أردت أن تعرف حقيقته (و الإمامان) الواو و الياء المعتلتان اللذان هما حرفا المد و اللين لا الصحيحتان (و الأوتاد) أربعة الألف و الواو و الياء و النون الذين هم علامات

الإعراب (و الأبدال) سبعة الألف و الواو و الياء و النون و تاء الضمير و كافة و هاؤه فالألف ألف رجلان و الواو و العمرون و الياء ياء العمرين و النون نون يفعلون و سر النسبة بيننا و بينهم في مرتبة الأبدال كما بينا في القطب أن التاء إذا غابت من قمت تركت بدلها فقال المتكلم قام زيد فنابت بنفسها مناب الحروف التي هي اسم هذا الشخص المخبر عنه و لو كان الاسم مركبا من ألف حرف ناب الضمير مناب تلك الحروف لقوة حروف الضمائر و تمكنها و اتساع فلكها فلو سميت رجلا يا دار مية بالعلياء فالسند فقد نابت التاء أو الكاف أو الهاء مناب جملة هذه الحروف في الدلالة و تركته بدلها أو جاءت بدلا منها كيفما شئت و إنما صح لها هذا لكونها تعلم ذلك و لا يعلمه من هي بدل منه أو هو بدل عنها فلهذا استحقت هي و أخواتها مقام الأبدال و مدرك من أين علم هذا موقوف على الكشف فابحث عليه بالخلوة و الذكر و الهمة و إياك أن تتوهم تكرار هذه الحروف في المقامات إنها شيء واحد له وجوه إنما هي مثل الأشخاص الإنسانية فليس زيد بن علي هو عين أخيه زيد بن علي الثاني و إن كانا قد اشتركا في البنوة و الإنسانية و والدهما واحد و لكن بالضرورة نعلم أن الأخ الواحد ليس عين الأخ الثاني فكما يفرق البصر بينهما و العلم كذلك يفرق العلم بينهما في الحروف عند أهل الكشف من جهة الكشف و عند النازلين عن هذه الدرجة من جهة المقام التي هي بدل عن حروفه و يزيد صاحب الكشف على العالم من جهة المقام بأمر آخر لا يعرفه صاحب علم المقام المذكور و هو مثلا قلت إذا كررته بدلا من اسم بعينه فتقول لشخص بعينه قلت كذا و قلت كذا فالتاء عند صاحب الكشف التي في قلت الأول غير التاء التي في قلت الثاني لأن عين المخاطب تتجدد في كل نفس بل هم في لبس من خلق جديد فهذا شأن الحق في العالم مع أحدية الجوهر و كذلك الحركة الروحانية التي عنها أوجد الحق تعالى التاء الأولى غير الحركة التي أوجد عنها التاء الأخرى بالغا ما بلغت فيختلف معناها بالضرورة فصاحب علم المقام يتفطن لاختلاف علم المعنى و لا يتفطن لاختلاف التاء أو أي حرف ضميرا كان أو غير ضمير فإنه صاحب رقم و لفظ لا غير كما تقول الأشاعرة في الأعراض سواء فالناس مجمعون معهم على ذلك في الحركة خاصة و لا يصلون إلى علم ذلك في غير الحركة فلهذا أنكروه و لم يقولوا به و نسبوا القائل بذلك إلى الهوس و إنكار الحس و حجبوا عن إدراك ضعف عقولهم و فساد محل نظرهم و قصورهم عن التصرف في المعاني فلو حصل لهم الأول عن كشف حقيقي من معدنه لانسحبت تلك الحقيقة على جميع الأعراض حكما عاما لا يختص بعرض دون عرض و إن اختلفت أجناس الأعراض فلا بد من حقيقة جامعة و حقيقة فاصلة و هكذا هذه المسألة التي ذكرناها في حق من قال بما قلناه فيها و من أنكره فليس المطلوب عند المحققين الصور المحسوسة لفظا و رقما و إنما المطلوب المعاني التي تضمنها هذا الرقم أو هذا اللفظ و حقيقة اللفظة و المرقوم عينها فإن الناظر في الصور إنما هو روحاني فلا يقدر أن يخرج عن جنسه فلا تحجب بأن ترى الميت لا يطلب الخبز لعدم السر الروحاني منه و يطلبه الحي لوجود الروح فيه فتقول نراه يطلب غير جنسه فاعلم إن في الخبز و الماء و جميع المطاعم و المشارب و الملابس و المجالس أرواحا لطيفة غريبة هي سر حياته و علمه و تسبيحه ربه و علو منزلته في حضرة مشاهدة خالقه و تلك الأرواح أمانة عند هذه الصور المحسوسة يؤدونها إلى هذا الروح المودع في الشبح ألا ترى إلى بعضهم كيف يوصل أمانته إليه الذي هو سر الحياة

فإذا أدى إليه أمانته خرج إما من الطريق الذي دخل منه فيسمى قيئًا و قلسا و إما من طريق آخر فيسمى عذرة و بولا فما أعطاه الاسم الأول إلا السر الذي أداه إلى الروح و بقي باسم آخر يطلبه من أجله صاحب الخضراوات و المدبرين أسباب الاستحالات هكذا يتقلب في أطوار الوجود فيعرى و يكتسي و يدور بدور الأكرة كالدولاب إلى أن يشاء الله العليم الحكيم فالروح معذور في تعشقه بهذه المحسوسات فإنه عاين مطلوبه فيها فهي في منزل محبوبه

أمر على الديار ديار سلمي　　　أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حب الديار مضى بقلبي　　　و لكن حب من سكن الديارا

و قال أبو إسحاق الزوالي رحمه الله

يا دار إن غزالا فيك تيمني　　　لله درك ما تحويه يا دار

لو كنت أشكو إليها حب ساكنها　　　إذن رأيت بناء الدار ينهار

فافهموا فهمنا الله و إياكم سرائر كلمه و أطلعنا و إياكم على خفيات غيوب حكمه أما قولنا الذي ذكرناه بعد كل حرف فأريد إن أبينه لكم حتى تعرفوا منه ما لا ينفركم عما لا تعلمون فأقل درجات الطريق التسليم فيما لا تعلمه و أعلاه القطع بصدقه و ما عدا هذين المقامين فحرمان كما إن المتصف بهذين المقامين سعيد قال أبو يزيد البسطامي لأبي موسى يا أبا موسى إذا لقيت مؤمنا بكلام أهل هذه الطريقة قل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة و قال رويم من قعد مع الصوفية و خالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الايمان من قلبه «شرح» فمن ذلك قولنا حرف كذا باسمه كما سقته هو من عالم الغيب فاعلم إن العالم على بعض تقاسيمه على قسمين بالنظر إلى حقيقة ما معلومة عندنا «قسم يسمى عالم الغيب» و هو كل ما غاب عن الحس و لم تجر العادة بأن يدركه الحس له و هو من الحروف السين و الصاد و الكاف و الخاء المعجمة و التاء باثنتين من فوق و الفاء و الشين و الهاء و الثاء بالثلاث و الحاء و هذه حروف الرحمة و الألطاف و الرأفة و الحنان و السكينة و الوقار و النزول و التواضع و فيهم نزلت هذه الآية وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً و فيهم نزل أيضا على الرقيقة المحمدية التي تمتد إليهم منه من كونه أوتي جوامع الكلم أتى إليهم بها رسولهم فقال تعالى وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ و فيهم وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ و فيهم الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ و فيهم وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ و هذا القبيل من الحروف هو أيضا الذي نقول فيه إنه من اللطف لما ذكرناه فهذا من جملة المعاني التي نطلق عليه منه عالم الغيب و اللطف «و القسم الآخر يسمى عالم الشهادة و القهر» و هو كل عالم من عالمي الحروف جرت العادة عندهم إن يدركوه بحواسهم و هو ما بقي من الحروف و فيهم قوله تعالى فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ و قوله تعالى وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ و قوله وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ فهذا عالم الملك و السلطان و القهر و الشدة و الجهاد و المصادمة و المقارعة و من روحانية هذه الحروف يكون لصاحب الوحي الغت و الغط و صلصلة الجرس و رشح الجبين و لهم يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ و يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ كما أنه في

حروف عالم الغيب نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ به و لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ من قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و أما قولنا و الملك و الجبروت أو الملكوت فقد تقدم ذكره في أول هذا الباب عند قولنا ذكر مراتب الحروف و أما قولنا مخرجه كذا فمعلوم عند القراء و فائدته عندنا إن تعرف أفلاكه فإن الفلك الذي جعله الله سببا لوجود حرف ما ليس هو الفلك الذي وجد عنه حرف غيره و إن توحد الفلك فليست الدورة واحدة بالنظر إلى تقدير ما تفرضه أنت في شيء تقتضي حقيقته ذلك الفرض و يكون في الفلك أمر يتميز عندك عن نفس الفلك تجعله علامة في موضع الفرض و ترصده فإذا عادت العلامة إلى حد الفرض الأول فقد انتهت الدورة و ابتدأت أخرى قال ع إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله و سيأتي بيان هذا الحديث في الباب الحادي عشر من هذا الكتاب و أما قولنا عدده كذا و كذا أو كذا دون كذا فهو الذي يسميه بعض الناس الجزم الكبير و الجزم الصغير و قد يسمونه الجمل عوضا من الجزم و له سر عجيب في أفلاك الدراري و في أفلاك البروج و أسماؤها معلومة عند الناس فيجعلون الجزم الكبير لفلك البروج و يطرحون ما اجتمع من العدد ثمانية و عشرين ثمانية و عشرين و الجزم الصغير لأفلاك الدراري و طرح عدده تسعة تسعة بطريقة ليس هذا الكتاب موضعها و علم ليس هو مطلوبنا و فائدة الأعداد عندنا في طريقنا الذي تكمل به سعادتنا إن المحقق و المريد إذا أخذ حرفا من هذه أضاف الجزم الصغير إلى الجزم الكبير مثل أن يضيف إلى القاف الذي هو مائة بالكبير و واحد بالصغير فيجعل أبدا عدد الجزم الصغير و هو من واحد إلى تسعة فيرده إلى ذاته فإن كان واحدا الذي هو حرف الألف بالجزمين و القاف و الشين و الياء عندنا و عند غيرنا بدل الشين الغين المعجمة بالجزم الصغير فيجعل ذلك الواحد لطيفته المطلوبة منه بأي جزم كان فإن كان الألف حتى إلى الطاء التي هي بسائط الأعداد فهي مشتركة بين الكبير و الصغير في الجزمين فمن حيث كونها للجزم الصغير ردها إليك و من حيث كونها للجزم الكبير ردها إلى الواردات المطلوبة لك فتطلب في الألف التي هي الواحد ياء العشرة و قاف المائة و شين الألف أو غينه على الخلاف و تمت مراتب العدد و انتهى المحيط و رجع الدور على بدئه فليس إلا أربع نقط شرق و غرب و استواء و حضيض أربعة أرباع و الأربعة عدد محيط لأنها مجموع البسائط كما إن هذه العقد مجموع المركبات العددية و إن كان اثنان الذي هو الباء بالجزمين و الكاف و الراء بالجزم الصغير جعلت الباء منك حالك و قابلت بها عالم الغيب و الشهادة فوقفت على أسرارها من كونها غيبا و شهادة لا غير و هي الذات و الصفات في الإلهيات و العلة و المعلول في الطبيعيات لا في العقليات و الشرط و المشروط في العقليات و الشرعيات لا في الطبيعيات لكن في الإلهيات و إن كان ثلاثة الذي هو الجيم بالجزمين و اللام و السين المهملة عند قوم و الشين المعجمة عند قوم بالجزم الصغير جعلت الجيم منك عالمك و قابلت به عالم الملك من كونه ملكا و عالم الجبروت من كونه جبروتا و عالم الملكوت من كونه ملكوتا و بما في الجيم من العدد الصغير يبرز منك و بما فيه و في اللام و السين أو الشين من العدد الكبير تبرز وجوه من المطلوب من جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ الله يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ على حسب الاستعداد و أقل درجاته الذي يشمل العامة العشر المذكور و التضعيف موقوف على الاستعداد و فيه تفاضل رجال الأعمال و كل عالم في طريقه على ذلك و ليس غرضنا في هذا الكتاب ما يعطي الله

الحروف من الحقائق إذا تحققت بحقائقها و إنما غرضنا أن نسوق ما يعطي الله لمنشئها لفظا أو خطا إذا تحقق بحقائق هذه الحروف و كوشف على أسرارها فاعلموا ذلك و إن كان أربعة الذي هو الدال بالجزمين و الميم و التاء بالصغير جعلت الدال منك قواعدك و قابلت بها الذات و الصفات و الأفعال و الروابط و بما في الدال من العدد بالصغير يبرز عن أسرار قبولك و بما فيه و في الميم و التاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل و الكمال فيها و الأكمل بحسب الاستعداد و إن كانت خمسة الذي هو الهاء بالجزمين و النون و الثاء بالصغير جعلت الهاء منك مملكتك في مواطن الحروف و مقارعة الأبطال و قابلت بها الأرواح الخمسة الحيواني و الخيالي و الفكري و العقلي و القدسي و بما في الهاء من الصغير تبرز من أسرار قبولك و بما فيه و في النون و الثاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل و الكامل و الأكمل أثر حاصل عن الاستعداد و إن كان ستة الذي هو الواو بالجزمين و الصاد أو السين على الخلاف و الخاء بالصغير جعلت الواو منك جهاتك المعلومة و قابلت بها فيها عن الحق بوجه و إثباتها بوجه و هو علم الصورة و بما في الواو من أسرار القبول بارز بالصغير و بما فيه و في الصاد أو السين و الخاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل و في هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار الاستواء و ما يَكُونُ مِن نَجْوى ثَلاثَةٍ و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ و كل آية أو خبر تثبت له جل و علا الجهة و التحديد و المقدار و الكمال و الأكمل فيه على قدر الاستعداد و التأهب و إن كان سبعة و هو الزاي بالجزمين و العين و الذال بالصغير جعلت الذي منك صفاتك و قابلت بها صفاته و بما في الزاي من الصغير يبرز من أسرار قبولك و بما فيه و في العين و الذال من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل و في هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المسبعات كلها حيث وقعت و الكمال و الأكمل فيه على قدر الاستعداد و التأهب و إن كان ثمانية الذي هو الحاء بالجزمين و الفاء في قول و الصاد في قول و الضاد في قول و الظاء في قول جعلت الحاء منك ذاتك بما فيها و قابلت بها الحضرة الإلهية مقابلة الصورة صورة المرآة و بما في الحاء من الصغير يبرز من أسرار قبولك و بما فيه و في الفاء و الظاء أو الضاد من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل و في هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار أبواب الجنة الثمانية و فتحها لمن شاء الله هنا و كل حضرة مثمنة في الوجود و الكمال و الأكمل بحسب الاستعداد و إن كان تسعة و هو الطاء بالجزمين و الضاد أو الصاد في قول و في المئين الظاء أو الغين في قول بالجزم الصغير جعلت الطاء منك مراتبك في الوجود التي أنت عليها في وقت نظرك في هذا التجلي و قابلت بها مراتب الحضرة و هو الأبد لها و لك و بما في الطاء من الصغير يبرز من أسرار القبول و بما فيه و في الضاد أو الصاد و الغين أو الظاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل و في هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المنازل و المقامات الروحانية و أسرار الأحدية و الكامل و الأكمل على حسب الاستعداد فهذا وجه من الوجوه التي سقنا عدد الحرف من أجله فاعمل عليه و إن كان ثم وجوه أخر فليتك لو عملت على هذا و هو المفتاح الأول و من هنا تنفتح لك أسرار الأعداد و أرواحها و منازلها فإن العدد سر من أسرار الله في الوجود ظهر في الحضرة الإلهية بالقوة فقال صلى الله عليه و سلم إن الله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة و قال إن لله سبعين ألف حجاب إلى غير ذلك و ظهر في العالم بالفعل و انسحبت معه القوة فهو في العالم بالقوة و الفعل و

غرضنا إن مد الله في العمر و تراخي الأجل أن نضع في خواص العدد موضوعا لم نسبق إليه في علمي نبدي فيه من أسرار الأعداد ما تعطيه حقائقه في الحضرة الإلهية و في العالم و الروابط ما تغتبط به الأسرار و تنال به السعادة في دار القرار و أما قولنا بسائطه فلسنا نريد بسائط شكل الحرف مثلا الذي هو ص و إنما نريد بسائط اللفظ الذي هو الكلمة الدالة عليه و هو الاسم أو التسمية و هو قولك صاد فبسائط هذه اللفظة نريد و أما بسائط الشكل فليس له بسائط من الحروف و لكن له النقص و التمام و الزيادة مثل الراء و الزاي نصف النون و الواو نصف القاف و الكاف أربعة أخماس الطاء و أربعة أسداس الظاء و الدال خمسي الطاء و الياء ذالان و اللام يزيد على الألف بالنون و على النون بالألف و شبه هذا و أما بسائط أشكال الحروف إنما ذلك من النقط خاصة فعلى قدر نقطه بسائطه و على قدر مرتبة الحرف في العالم من جهة ذاته أو من نعت هو عليه في الحال علو منازل نقطه و أفلاكها و نزولها فالأفلاك التي عنها وجدت بسائط ذلك الحرف المذكور باجتماعها و حركاتها كلها وجد اللفظ به عندنا و تلك الأفلاك تقطع في فلك أقصى على حسب اتساعها و أما قولنا فلكه و سنى حركة فلكه فنريد به الفلك الذي عنه وجد العضو الذي فيه مخرجه فإن الرأس من الإنسان أوجده الله تعالى عند حركة مخصوصة من فلك مخصوص من أفلاك مخصوصة و العنق عن الفلك الذي يلي هذا الفلك المذكور و الصدر عن الفلك الرابع من هذا الفلك الأول المذكور فكل ما يوجد في الرأس من المعاني و الأرواح و الأسرار و الحروف و العروق و كل ما في الرأس من هيأة و معنى عن ذلك الفلك و دورته اثنتا عشرة ألف سنة و دورة فلك العنق و ما فيه من هيأة و معنى و الحروف الحلقية من جملتها إحدى عشرة ألف سنة و دورة فلك الصدر على حكم ما ذكرناه تسع آلاف سنة و طبعه و عنصره و ما يوجد عنه راجع إلى حقيقة ذلك الفلك و أما قولنا يتميز في طبقة كذا فاعلموا إن عالم الحروف على طبقات بالنسبة إلى الحضرة الإلهية و القرب منها مثلنا و تعرف ذلك فيهم بما أذكره لك و ذلك أن الحضرة الإلهية التي للحروف عندنا في الشاهد إنما هي في عالم الرقم خط المصحف و في الكلام التلاوة و إن كانت سارية في الكلام كله تلاوة أو غيرها فهذا ليس هو عشك إن تعرف أن كل لافظ بلفظة إلى الآباد أنه قرآن و لكنه في الوجود بمنزلة حكم الإباحة في شرعنا و فتح هذا الباب يؤدي إلى تطويل عظيم فإن مجاله رحب فعدلنا إلى أمر جزئي من وجه صغر فلكه المرقوم و هو المكتوب و الملفوظ به خاصة و اعلم أن الأمور عندنا من باب الكشف إذا ظهر منها في الوجود ما ظهر إن الأول أشرف من الثاني و هكذا على التتابع حتى إلى النصف و من النصف يقع التفاضل مثل الأول حتى إلى الآخر و الآخر و الأول أشرف ما ظهر ثم يتفاضلان على حسب ما وضعا له و على حسب المقام فالأشرف منها أبدا يقدم في الموضع الأشرف و تبيين هذا أن ليلة خمسة عشر في الشرف بمنزلة ليلة ثلاثة عشر و هكذا حتى إلى ليلة طلوع الهلال من أول الشهر و طلوعه من آخر الشهر و ليلة المحاق المطلق ليلة الإبدار المطلق فافهم فنظرنا كيف ترتب مقام رقم القرآن عندنا و بما ذا بدئت به السور من الحروف و بما ذا ختمت و بما ذا اختصت السور المجهولة في العلم النظري المعلومة بالعلم اللدني من الحروف و نظرنا إلى تكرار بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و نظرنا في الحروف التي لم تختص بالبداية و لا بالختام و لا ب بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و طلبنا من الله تعالى أن يعلمنا بهذا الاختصاص الإلهي الذي حصل لهذه

الحروف هل هو اختصاص اعتنائي من غير شيء كاختصاص الأنبياء بالنبوة و الأشياء الأول كلها أو هو اختصاص ناله من طريق الاكتساب فكشف لنا عن ذلك كشف إلهام فرأيناه على الوجهين معا في حق قوم عناية و في حق قوم جزاء لما كان منهم في أول الوضع و الكل لنا و لهم و للعالم عناية من الله تعالى فلما وقفنا على ذلك جعلنا الحروف التي لم تثبت أولا و لا آخرا على مراتب الأولية كما نذكره عامة الحروف ليس لها من هذا الاختصاص القرآني حظ و هم الجيم و الضاد و الخاء و الذال و الغين و الشين و جعلنا الطبقة الأولى من الخواص حروف السور المجهولة و هم الألف و اللام و الميم و الصاد و الراء و الكاف و الهاء و الياء و العين و الطاء و السين و الحاء و القاف و النون و أعني بهذا صورة اشتراكهم في اللفظ و الرقم فاشتراكها في الرقم اشتراكها في الصورة و الاشتراك اللفظي إطلاق اسم واحد عليها مثل زيد و زيد آخر فقد اشتركا في الصورة و الاسم و أما المقرر عندنا و المعلوم إن الصاد من المص و من كهيعص و من ص ليس كل واحد منهن عين الآخر منهن و يختلف باختلاف أحكام السورة و أحوالها و منازلها و هكذا جميع هذه الحروف على هذه المرتبة و هذه تعمها لفظا و خطا و أما الطبقة الثانية من الخاصة و هم خاصة الخاصة فكل حرف وقع في أول سورة من القرآن مجهولة و غير مجهولة و هو حرف الألف و الياء و الباء و السين و الكاف و الطاء و القاف و التاء و الواو و الصاد و الحاء و النون و اللام و الهاء و العين و أما الطبقة الثالثة من الخواص و هم الخلاصة فهم الحروف الواقعة في أواخر السور مثل النون و الميم و الراء و الباء و الدال و الزاي و الألف و الطاء و الياء و الواو و الهاء و الظاء و الثاء و اللام و الفاء و السين و إن كان الألف فيما يرى خطا و لفظا في رِكْزاً و لِزاماً و فَمَنِ اهْتَدى فما أعطانا الكشف إلا الذي قبل ذلك الألف فوقفنا عنده و سميناه آخرا كما شهدنا هناك و أثبتنا الألف كما رأينا هنا و لكن في فصل آخر لا في هذا الفصل فإنا لا نزيد في التقييد في هذه الفصول على ما نشاهده بل ربما نرغب في نقص شيء منها مخافة التطويل فنسعف في ذلك من جهة الرقم و اللفظ و نعطي لفظا يعم تلك المعاني التي كثرت ألفاظها فنلقيه فلا يخل بشيء من الإلقاء و لا ننقص و لا يظهر لذلك الطول الأول عين فينقضي المرغوب لله الحمد و أما الطبقة الرابعة من الخواص و هم صفاء الخلاصة و هم حروف بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و ما ذكرت إلا حيث ذكرها رسول الله صلى الله عليه و سلم على حد ما ذكرها الله له بالوجهين من الوحي و هو وحي القرآن و هو الوحي الأول فإن عندنا من طريق الكشف إن الفرقان حصل عند رسول الله صلى الله عليه و سلم قرآنا مجملا غير مفصل الآيات و السور و لهذا كان ع يعجل به حين كان ينزل عليه به جبريل ع بالفرقان فقيل له وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ الذي عندك فتلقيه مجملا فلا يفهم عنك مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ فرقانا مفصلا وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً بتفصيل ما أجملته في المعاني و قد أشار من باب الأسرار فقال إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ و لم يقل بعضه ثم قال فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ و هذا هو وحي الفرقان و هو الوجه الآخر من الوجهين و سيأتي الكلام على بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ في بابه الذي أفردت له في هذا الكتاب و اعلموا أن بسملة سورة براءة هي التي في النمل فإن الحق تعالى إذا وهب شيئا لم يرجع فيه و لا يرده إلى العدم فلما خرجت رحمة براءة و هي البسملة حكم التبري من أهلها برفع الرحمة عنهم فوقف الملك بها لا يدري أين يضعها لأن كل أمة من الأمم الإنسانية قد أخذت رحمتها بإيمانها بنبيها فقال أعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت

بسليمان ع و هي لا يلزمها إيمان إلا برسولها فلما عرفت قدر سليمان و آمنت به أعطيت من الرحمة الإنسانية حظا و هو بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الذي سلب عن المشركين و في هذه السورة الجساسة و أما الطبقة الخامسة و هي عين صفاء الخلاصة فذلك حرف الباء فإنه الحرف المقدم لأنه أول البسملة في كل سورة و السورة التي لم يكن فيها بسملة ابتدئت بالباء فقال تعالى بَراءَةٌ قال لنا بعض الاسرائيليين من أحبارهم ما لكم في التوحيد حظ لأن سور كتابكم بالباء فأجبته و لا أنتم فإن أول التوراة باء فأفحم و لا يتمكن إلا هذا فإن الألف لا يبتدئ بها أصلا فما وقع من هذه الحروف في مبادي السور قلنا فيه له بداية الطريق و ما وقع آخرا قلنا له غاية الطريق و إن كان من العامة قلنا له وسط الطريق لأن القرآن هو الصراط المستقيم و أما قولنا مرتبته الثانية حتى إلى السابعة فنريد بذلك بسائط هذه الحروف المشتركة في الأعداد فالنون بسائطه اثنان في الألوهية و الميم بسائطه ثلاثة في الإنسان و الجيم و الواو و الكاف و القاف بسائطه أربعة في الجن و الذال و الزاي و الصاد و العين و الضاد و السين و الذال و الغين و الشين بسائطه خمسة في البهائم و الألف و الهاء و اللام بسائطه ستة في النبات و الباء و الحاء و الطاء و الياء و الفاء و الراء و التاء و الثاء و الخاء و الظاء بسائطه سبعة في الجماد و أما قولنا حركته معوجة أو مستقيمة أو منكوسة أو ممتزجة أو أفقية فأريد بالمستقيمة كل حرف حرك الهمة إلى جانب الحق خاصة من جهة السلب إن كنت عالما و من جهة ما يشهد إن كنت مشاهدا و المنكوسة كل حرف حرك الهمة إلى الكون و أسراره و المعوجة و هي الأفقية كل حرف حرك الهمة إلى تعلق المكون بالمكون و الممتزجة كل حرف حرك الهمة إلى معرفة أمرين مما ذكرت لك فصاعدا و تظهر في الرقم في الألف و الميم المعرق و الحاء و النون و ما أشبه هؤلاء و أما قولنا له الأعراف و الخلق و الأحوال و الكرامات أو الحقائق و المقامات و المنازلات فاعلموا أن الشيء لا يعرف إلا بوجهه أي بحقيقته فكل ما لا يعرف الشيء إلا به فذلك وجهه فنقط الحرف وجهه الذي يعرف به و النقط على قسمين نقط فوق الحرف و نقط تحته فإذا لم يكن للشيء ما يعرف به عرف بنفسه مشاهدة و بضده نقلا و هي الحروف اليابسة فإذا دار الفلك أي فلك المعارف حدثت عنه الحروف المنقوطة من فوق و إذا دار فلك الأعمال حدثت عنه الحروف المنقوطة من أسفل و إذا دار فلك المشاهدة حدثت عنه الحروف اليابسة غير المنقوطة ففلك المعارف يعطي الخلق و الأحوال و الكرامات و فلك الأعمال يعطي الحقائق و المقامات و المنازلات و فلك المشاهدة يعطي البراءة من هذا كله قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي و هذا مقام الأعراف و أما قولنا خالص أو ممتزج فالخالص الحرف الموجود عن عنصر واحد و الممتزج الموجود عن عنصرين فصاعدا و أما قولنا كامل أو ناقص فالكامل هو الحرف الذي وجد عن تمام دورة فلكه و الناقص الذي وجد عن بعض دورة فلكه و طرأت على الفلك علة أوقفته فنقص عما كان يعطيه كمال دورته كالدودة في عالم الحيوان التي ما عندها سوى حاسة اللمس فغذاؤها من لمسها كالواو مع القاف و الزاي مع النون و أما قولنا يرفع من اتصل به نريد كل حرف إذا وقفت على سره و رزقت التحقق به و الاتحاد تميزت في العالم العلوي و أما قولنا مقدس أي عن التعلق بغيره فلا يتصل في الخط بحرف آخر و تتصل الحروف به فهو منزه الذات تمدها ستة أفلاك عالية الأوج عنها وجدت الجهات هذه الستة الأحرف بحر

عظيم لا يدرك قعره فلا يعرف حقيقتها إلا الله و هي مفاتح الغيب و ندرك من باب الكشف أثرها المنوط بها و هي الألف و الواو و الدال و الذال و الراء و الزاي و أما قولنا مفرد و مثنى و مثلث و مربع و مؤنس و موحش فنريد بالمفرد إلى المربع ما نذكره و ذلك أن من الأفلاك التي عنها توجد هذه الحروف ما له دورة واحدة فذلك قولنا مفرد و دورتان فذلك المثنى هكذا إلى المربع و أما المؤنس و الموحش فالدورة تأنس بأختها الشيء يألف شكله قال تعالى لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً فالعارف يألف الحال و يأنس به نوديع في ليلة إسرائه في استيحاشه بلغة أبي بكر فآنس بصوت أبي بكر خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر من طينة واحدة فسبق محمد صلى الله عليه و سلم و صلى أبو بكر ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا فكان كلامهما كلامه سبحانه فلم يعد المرتبة و عدى الخطاب إلى المرتبة الأخرى فقال كأنه مبتدئ و هو عاطف على هذا الكلام ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ فأرسلها فمن الناس من قطعها و منهم من وصلها في هذا مقام الإثبات و بقاء الرسم و ظهور العين و سلطان الحقائق و تمشية العدل من باب الفضل و الطول و الموحش محو لا محق صاحب علة ترتقي فتحقق ما ذكرناه و أما قولنا له الذات و الصفات و الأفعال على حسب الوجوه فأي حرف له وجه واحد كان له من هذه الحضرات حضرة واحدة أي شيء واحد على حسب علوه و نزوله و كذلك إذا تعددت الوجوه و أما قولنا له من الحروف فإنما أعني الحقائق المتممة لذاته من جهة ما و أما قولنا له من الأسماء فنريد به الأسماء الإلهية التي هي الحقائق القديمة التي عنها ظهرت حقائق بسائط ذلك الحرف لا غير و لها منافع كثيرة عالية الشأن عند العارفين إذا أرادوا التحقق بها حركوا الوجود من أوله إلى آخره فهي لهم هنا خصوص و في الآخرة عموم بها يقول المؤمن في الجنة للشيء يريده كن فيكون فهذه نبذ من معاني عالم الحروف قليلة على أوجز ما يمكن و أخصره و فيها تنبيه لأصحاب الروائح و الذوق انتهى الجزء السابع و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات و هي الحروف الصغار»

أظهر الله مثلها الكلمات — حركات الحروف ست و منها

حركات للاحرف المعربات — هي رفع و ثم نصب و خفض

حركات للاحرف الثابتات — و هي فتح و ثم ضم و كسر

أو سكون يكون عن حركات — و أصول الكلام حذف فموت

لحياة غريبة في موات — هذه حالة العوالم فانظر

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أنا كنا شرطنا أن نتكلم في الحركات في فصل الحروف لم أطلق عليها الحروف الصغار ثم إنه رأينا إنه لا فائدة في امتزاج عالم الحركات بعالم الحروف إلا بعد نظام الحروف و ضم بعضها إلى بعض فتكون كلمة عند ذلك من الكلم و انتظامها ينظر إلى قوله تعالى

في خلقنا فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي و هو ورود الحركات على هذه الحروف بعد تسويتها فتقوم نشأة أخرى تسمى كلمة كما يسمى الشخص الواحد منا إنسانا فهكذا انتشا عالم الكلمات و الألفاظ من عالم الحروف فالحروف للكلمات مواد كالماء و التراب و النار و الهواء لإقامة نشأة أجسامنا ثم نفخ الروح فيه الامري فكان إنسانا كما قبلت الرياح عند استعدادها نفخ الروح الامري فكان جانا كما قبلت الأنوار عند استعدادها نفخ الروح فكانت الملائكة و من الكلم ما يشبه الإنسان و هو أكثرها و منها ما يشبه الملائكة و الجن و كلاهما جن و هو أقلها كالباء الخافضة و اللام و الخافضة و المؤكدة و واو القسم و بائه و تائه و واو العطف و فائه و القاف من ق و الشين من ش و العين من ع إذا أمرت بها من الوقاية و الوشي و الوعي و ما عدا هذا الصنف المفرد فهو أشبه شيء بالإنسان و إن كان المفرد يشبه باطن الإنسان فإن باطن الإنسان جان في الحقيقة فلما كان عالم الحركات لا يوجد إلا بعد وجود الذوات المتحركة بها و هي الكلمات المنشآت من الحروف أخرنا الكلام عليها عن فصل الحروف إلى فصل الألفاظ و لما كانت الكلمات التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب عن جملة الألفاظ أردنا أن نتكلم في الألفاظ على الإطلاق و حصر عالمها و نسبة هذه الحركات منها بعد ما نتكلم أولا على الحركات على الإطلاق ثم بعد ذلك نتكلم على الحركات المختصة بالكلمات التي هي حركات اللسان و علاماتها التي هي حركات الخط ثم بعد ذلك نتكلم على الكلمات التي توهم التشبيه كما ذكرناه و لعلك تقول هذا العالم المفرد من الحروف الذي قبل الحركة دون تركيب كباء الخفض و شبهه من المفردات كنت تلحقه بالحروف لانفراده فإن هذا هو باب التركيب و هو الكلمات قلنا ما نفخ في باء الخفض الروح و أمثاله من مفردات من الحروف أرواح الحركات ليقوموا بأنفسهم كما قام عالم الحروف وحده دون الحركات و إنما نفخ فيه الروح من أجل غيره فهو مركب و لذلك لا يعطي ذلك حتى يضاف إلى غيره فيقال بالله و تالله و و الله لأعبدن و سأعبد اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي و ما أشبه ذلك و لا معنى له إذا أفردته غير معنى نفسه و هذه الحقائق التي تكون عن التركيب توجد بوجوده و تعدم بعدمه فإن الحيوان حقيقته لا توجد أبدا إلا عند تألف حقائق مفردة معقولة في ذواتها و هي الجسمية و التغذية و الحس فإذا تألف الجسم و الغذاء و الحس ظهرت حقيقة الحيوان ليس هي الجسم وحده و لا الغذاء وحده و لا الحس وحده فإذا أسقطت حقيقة الحس و ألفت الجسم و الغذاء قلت نبات حقيقة ليست الأولى و لما كانت الحروف المفردة التي ذكرناها مؤثرة في هذا التركيب الآخر اللفظي الذي ركبناه لإبراز حقائق لا تعقل عند السامع إلا بها لهذا شبهناها لكم المتوصل بالعالم الروحاني كالجن ألا ترى الإنسان يتصرف بين أربع حقائق حقيقة ذاتية و حقيقة ربانية و حقيقة شيطانية و حقائق ملكية و سيأتي ذكر هذه الحقائق مستوفى في باب المعرفة للخواطر من هذا الكتاب و هذا في عالم الكلمات دخول حرف من هذه الحروف على عالم الكلمات فتحدث فيه ما تعطيه حقيقتها فافهم هذا فهمنا الله و إياكم سرائر كلمه (نكتة و إشارة) قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أوتيت جوامع الكلم و قال تعالى وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و قال وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ(كُتُبِهِ) كتابه و يقال قطع الأمير يد السارق و ضرب الأمير اللص فمن ألقى عن أمره شيء فهو ألقاه فكان الملقي محمد ع ألقى عن الله كلمات العالم بأسره من غير استثناء شيء منه البتة فمنه ما ألقاه بنفسه كأرواح الملائكة و أكثر العالم العلوي و منه أيضا ما ألقاه عن

أمره فيحدث الشيء عن وسائط كبرة الزراعة ما تصل إلى أن تجري في أعضائك روحا مسبحا و ممجدا إلا بعد أدوار كثيرة و انتقالات في عالم و تنقلب في كل عالم من جنسه على شكل أشخاصه فرجع الكل في ذلك إلى من أوتي جوامع الكلم فنفخ الحقيقة الإسرافيلية من المحمدية المضافة إلى الحق نفخها كما قال تعالى و يوم تنفخ في الصور بالنون و قرئ بالياء و ضمها و فتح الفاء و النافخ إنما هو إسرافيل ع و الله قد أضاف النفخ إلى نفسه فالنفخ من إسرافيل و القبول من الصور و سر الحق بينهما هو المعنى بين النافخ و القابل كالرابط من الحروف بين الكلمتين و ذلك هو سر الفعل الأقدس الأنزه الذي لا يطلع عليه النافخ و لا القابل فعلى النافخ أن ينفخ و على النار أن تتقد و السراج أن ينطفئ و الاتقاد و الانطفاء بالسر الإلهي فنفخ فيها فتكون طائرا بإذن الله قال تعالى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ و النفخ واحد و النافخ واحد و الخلاف في المنفوخ فيه بحكم الاستعداد و قد خفي السر الإلهي بينهما في كل حالة فتفطنوا يا إخواننا لهذا الأمر الإلهي و اعلموا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لا يتوصل أحد إلى معرفة كنه الألوهة أبدا و لا ينبغي لها أن تدرك عزت و تعالت علوا كبيرا فالعالم كله من أوله إلى آخره مقيد بعضه ببعضه عابد بعضه بعضا معرفتهم منهم إليهم و حقائقهم منبعثة عنهم بالسر الإلهي الذي لا يدركونه و عائدة عليهم فسبحان من لا يجارى في سلطانه و لا يداني في إحسانه لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فبعد فهم جوامع الكلم الذي هو العلم الإحاطي و النور الإلهي الذي اختص به سر الوجود و عمد القبة و ساق العرش و سبب ثبوت كل ثابت محمد صلى الله عليه و سلم فاعلموا وفقكم الله أن جوامع الكلم من عالم الحروف ثلاثة ذات غنية قائمة بنفسها و ذات فقيرة إلى هذه الغنية غير قائمة بنفسها و لكن يرجع منها إلى الذات الغنية وصف تتصف به يطلبها بذاته فإنه ليس من ذاتها إلا بمصاحبة هذه الذات لها فقد صح أيضا من وجه الفقر للذات الغنية القائمة بنفسها كما صح للأخرى و ذات ثالثة رابطة بين ذاتين غنيتين أو ذاتين فقيرتين أو ذات فقيرة و ذات غنية و هذه الذات الرابطة فقيرة لوجود هاتين الذاتين و لا بد فقد قام الفقر و الحاجة بجميع الذوات من حيث افتقار بعضها إلى بعض و إن اختلفت الوجوه حتى لا يصح الغني على الإطلاق إلا لله تعالى الغني الحميد من حيث ذاته فلنسم الغنية ذاتا و الذات الفقيرة حدثا و الذات الثالثة رابطة فنقول الكلم محصور في ثلاث حقائق ذات و حدث و رابطة و هذه الثلاثة جوامع الكلم فيدخل تحت جنس الذات أنواع كثيرة من الذوات و كذلك تحت جنس كلمة الحدث و الرابط و لا نحتاج إلى تفصيل هذه الأنواع و مساقها في هذا الكتاب و قد اتسع القول في هذه الأنواع في تفسير القرآن لنا و إن شئت أن تقيس على ما ذكرناه فانظر في كلام النحويين و تقسيمهم الكلم و في الاسم و الفعل و الحرف و كذلك المنطقيين فالاسم عندهم هو الذات عندنا و الفعل عندهم هو الحدث عندنا و الحرف عندهم هو الرابطة عندنا و بعض الأحداث عندهم بل كلها أسماء كالقيام و القعود و الضرب و جعلوا الفعل كل كلمة مقيدة بزمان معين و نحن إنما قصدنا بالكلمات الجري على الحقائق بما هي عليه فجعلنا القيام و قام و يقوم و قم حدثا و فصلنا بينهم بالزمان المبهم و المعين و قد تفطن لذلك الزجاجي فقال و الحدث الذي هو القيام مثلا هو المصدر يريد هو الذي صدر من المحدث و هو اسم الفعل يريد أن القيام هذه الكلمة اسم لهذه الحركة المخصوصة من هذا المتحرك الذي بها سمي

قائما فتلك الهيئة هي التي سميت قياما بالنظر إلى حال وجودها و قام بالنظر إلى حال انقضائها و عدمها و يقوم و قم بالنظر إلى توهم وقوعها و لا توجد أبدا إلا في متحرك فهي غير قائمة بنفسها ثم قال و الفعل يريد لفظة قام و يقوم لا نفس الفعل الصادر من المتحرك قائما مثلا مشتق منه الهاء تعود على لفظة اسم الفعل الذي هو القيام مأخوذ يعني قام و يقوم من القيام لأن النكرة عنده قبل المعرفة و المبهم نكرة و المختص معرفة و القيام مجهول الزمان و قام مختص الزمان و لو دخلت عليه أن و يقوم مختص الزمان و لو دخلت عليه لم و هذا مذهب من يقول بالتحليل إنه فرع عن التركيب و أن المركب وجد مركبا و على مذهب من يقول بالتفريق و أن التركيب طارئ و هو الذي يعضد في باب النقل أكثر فإن الأظهر أن المعرفة قبل النكرة و أن لفظة زيد إنما وضعت لشخص معين ثم طرأ التنكير بكونه شورك في تلك اللفظة فاحتيج إلى التعريف بالنعت و البدل و شبه ذلك فالمعرفة أسبق من النكرة عند المحققين و إن كان لهؤلائك وجه هذا أليق و أما نحن و من جرى مجرانا و رقى مرقانا الأشمخ فغرضنا أمر آخر ليس هو قول أحدهما مطلقا إلا بنسب و إضافات و نظر إلى وجوه ما يطول ذكرها و لا تمس الحاجة إليها في هذا الكتاب إذ قد ذكرناها في غيره من تواليفنا فلنبين أن الحركات على قسمين حركة جسمانية و حركة روحانية و الحركة الجسمانية لها أنواع كثيرة سيأتي ذكرها في داخل الكتاب و كذلك الروحانية و لا نحتاج منها في هذا الكتاب إلا إلى حركات الكلام لفظا و خطا فالحركات الرقمية كالأجسام و الحركات اللفظية لها كالأرواح و المتحركات على قسمين متمكن و متلون فالمتلون كل متحرك تحرك بجميع الحركات أو ببعضها فالمتحرك بجميعها كالدال من زيد و المتحرك ببعضها كالاسماء التي لا تتصرف في حال كونها لا تتصرف فإنها قد تتصرف في التنكير و الإضافة كالدال من أحمد و المتمكن كل متحرك ثبت على حركة واحدة و لم ينتقل عنها كالاسماء المبنية مثل هؤلاء و حذام و كحروف الأسماء المعربة التي قبل حرف الإعراب منها كالزاي و الياء من زيد و شبهه و اعلم أن أفلاك الحركات هي أفلاك الحروف التي تلك الحركات عليها لفظا و خطا فانظره هناك و لها بسائط و أحوال و مقامات كما كان للحروف نذكرها في كتاب المبادىء المخصوص بعلم الحروف إن شاء الله و كما ثبت التلوين و التمكين للذات كذلك ثبت للحدث و الرابط و لكن في الرفع و النصب و حذف الوصف و حذف الرسم و يكون تلوين تركيب الرابط لأمرين بالموافقة و الاستعارة و الاضطرار فبالموافقة و هو الإتباع هذا ابنم و رأيت ابنما و عجبت من ابنم بالاستعارة حركة النقل كحركة الدال من قد أفلح في قراءة من نقل و بالاضطرار التحريك لالتقاء الساكنين و قد تكون حركة الإتباع الموافق في التركيب الذاتي و إن كان أصل الحروف كلها التمكين و هو البناء مثل الفطرة فينا و هنا أسرار لمن تفطن و لكن الوالدان ينقلان عن الفطرة المقيدة لا الفطرة المطلقة كذلك الحروف متمكنة في مقامها لا تختل ثابتة مبنية كلها ساكنة في حالها فأراد اللافظ أن يوصل إلى السامع ما في نفسه فافتقر إلى التلوين فحرك الفلك الذي عنه توجد الحركات عند أبي طالب و عند غيره هو المتقدم و اللفظ أو الرقم عن ذلك الفلك و هذا موضع طلب لمريدي معاينة الحقائق و أما نحن فلا نقول بقول أبي طالب و نقتصر و لا بقول الآخر و نقتصر فإن كل واحد منهما قال حقا من جهة ما و لم يتمم فأقول إن الحقائق الأول الإلهية تتوجه على الأفلاك العلوية بالوجه الذي تتوجه به على محال آثارها عند غير أبي طالب المكي و تقبل كل حقيقة على

مرتبتها و لما كانت تلك الأفلاك في اللطافة أقرب عند غير أبي طالب إلى الحقائق كان قبولها أسبق لعدم الشغل و صفاء المحل من كدورات العلائق فإنه نزيه فلهذا جعلها السبب المؤثر و لو عرف هذا القائل إن تلك الحقائق الأول إنما توجهت على ما يناسبها في اللطافة و هو أنفاس الإنسان فتحرك الفلك العلوي الذي يناسبه عالم الأنفاس و هذا مذهب أبي طالب ثم يحرك ذلك الفلك العلوي العضو المطلوب بالغرض المطلوب بتلك المناسبة التي بينهما فإن الفلك العلوي و إن لطف فهو في أول درج الكثافة و آخر درج اللطافة بخلاف عالم أنفاسنا و اجتمعت المذاهب فإن الخلاف لا يصح عندنا و لا في طريقنا لكنه كاشف و اكشف فتفهم ما أشرنا إليه و تحققه فإنه سر عجيب من أكبر الأسرار الإلهية و قد أشار إليه أبو طالب في كتاب القوت له ثم نرجع و نقول فافتقر المتكلم إلى التلوين ليبلغ إلى مقصده فوجد عالم الحروف و الحركات قابلا لما يريده منها لعلمها أنها لا تزول عن حالها و لا تبطل حقيقتها فيتخيل المتكلم أنه قد غير الحرف و ما غيره برهان ذلك أن تفني نظرك في دال زيد من حيث هو دال و انظر فيه من حيث تقدمه قام مثلا و تفرغ إليه أو أي فعل لفظي كان ليحدث به عنه فلا يصح لك إلا الرفع فيه خاصة فما زال عن بنائه الذي وجد عليه و من تخيل أن دال الفاعل هو دال المفعول أو دال المجرور فقد خلط و اعتقد أن الكلمة الأولى هي عين الثانية لا مثلها و من اعتقد هذا في الوجود فقد بعد عن الصواب و ربما يأتي من هذا الفصل في الألفاظ شيء إن قدر و ألهمناه فقد تبين لك أن الأصل الثبوت لكل شيء ألا ترى العبد حقيقة ثبوته و تمكنه إنما هو في العبودة فإن اتصف يوما ما بوصف رباني فلا تقل هو معار عنده و لكن انظر إلى الحقيقة التي قبلت ذلك الوصف منه تجدها ثابتة في ذلك الوصف كلما ظهر عينها تحلت بتلك الحلية فإياك أن تقول قد خرج هذا عن طوره بوصف ربه فإن الله تعالى ما نزع وصفه و أعطاه إياه و إنما وقع الشبه في اللفظ و المعنى معا عند غير المحقق فيقول هذا هو هذا و قد علمنا أن هذا ليس هذا و هذا ينبغي لهذا و لا ينبغي لهذا فليكن عند من لا ينبغي له عارية و أمانة و هذا قصور و كلام من عمي عن إدراك الحقائق فإن هذا و لا بد ينبغي له هذا فليس الرب هو العبد و إن قيل في الله سبحانه إنه عالم و قيل في العبد إنه عالم و كذلك الحي و المريد و السميع و البصير و سائر الصفات و الإدراكات فإياك أن تجعل حياة الحق هي حياة العبد في الحد فتلزمك المحالات فإذا جعلت حياة الرب على ما تستحقه الربوبية و حياة العبد على ما يستحقه الكون فقد انبغي للعبد أن يكون حيا و لو لم ينبغ له ذلك لم يصح أن يكون الحق آمرا و لا قاهرا إلا لنفسه و يتنزه تعالى أن يكون مأمورا أو مقهورا فإذا ثبت أن يكون المأمور و المقهور أمرا آخر و عينا أخرى فلا بد أن يكون حيا عالما مريدا متمكنا مما يراد به هكذا تعطي الحقائق فثم على هذا حرف لا يقبل سوى حركته كالهاء من هذا و ثم حرف يقبل الحركتين و الثلاث من جهة صورته الجسمية و الروحية كالهاء في الضمير له و لها و به كما تقبل أنت بنفسك الخجل و بصورتك حمرته و تقبل بنفسك الوجل و بصورتك صفرته و الثوب يقبل الألوان المختلفة و ما بقي الكشف إلا عن الحقيقة التي تقبل الأعراض هل هي واحدة أو شأنها شأن الأعراض في العدم و الوجود و هذا مبحث للنظار و أما نحن فلا نحتاج إليه و لا نلتفت فإنه بحر عميق بحال المريد على معرفته من باب الكشف عليه فإنه بالنظر إلى الكشف يسير و بالنظر إلى العقل عسير ثم أرجع و أقول إن الحرف إذا قامت به حقيقة الفاعلية بتفريغ الفعل

على البنية المخصوصة في اللسان تقول قال الله و إذا قامت به حقيقة تطلبه يسمى عندها منصوبا بالفعل أو مفعولا كيف شئت و ذلك بأن تطلب منه العون أو تقصده كما طلب مني القيام بما كلفني فمن أجل أنه لم يعطني إلا بعد سؤالي فكان سؤالي أو حالي القائم مقام سؤالي بوعده جعله يعطيني قال تعالى وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فسؤالي إياه من أمره إياي به و إعطاؤه إياي من طلبي منه فتقول دعوت الله فنصبت حرف الهاء و قد كانت مرفوعة فعلمنا بالحركات أن الحقائق قد اختلفت بهذا ثبت الاصطلاح في لحن بعض الناس و هذا إذا كان المتكلم به غيرنا و أما المتكلم فالحقائق يعلم أولا و يجريها في أفلاكها على ما تقتضيه بالنظر إلى أفلاك مخصوصة و كل متكلم بهذه المثابة و إن لم يعلم بهذا التفصيل و هو عالم به من حيث لا يعلم أنه عالم به و ذلك أن الأشياء المتلفظ بها إما لفظ يدل على معنى و هو مقام الباحث في اللفظ ما مدلوله ليرى ما قصد به المتكلم من المعاني و إما معنى يدل عليه بلفظ ما و هو المخبر عما تحقق و أضربنا عن اللحن فإن أفلاكه غير هذه الأفلاك و إسقاط الحركات من الخط في حق قوم دون قوم ما سببه و من أين هو هذا كله في كتاب المبادي إذ كان القصد بهذا الكتاب الإيجاز و الاختصار جهد الطاقة و لو اطلعتم على الحقائق كما أطلعنا عليها و على عالم الأرواح و المعاني لرأيتم كل حقيقة و روح و معنى على مرتبته فافهم و ألزم فها نحن قد ذكرنا من بعض ما تعطيه حقائق الحركات ما يليق بهذا الكتاب فلنقبض العنان و لنرجع إلى معرفة الكلمات التي ذكرناها مثل كلمة الاستواء و الأين و في و كان و الضحك و الفرح و التبشبش و التعجب و الملل و المعية و العين و اليد و القدم و الوجه و الصورة و التحول و الغضب و الحياء و الصلاة و الفراغ و ما ورد في الكتاب العزيز و الحديث من هذه الألفاظ التي توهم التشبيه و التجسيم و غير ذلك مما لا يليق بالله تعالى في النظر الفكري عند العقل خاصة فنقول لما كان القرآن منزلا على لسان العرب ففيه ما في اللسان العربي و لما كانت الأعراب لا تعقل ما لا يعقل إلا حتى ينزل لها في التوصيل بما تعقله لذلك جاءت هذه الكلمات على هذا الحد كما قال ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى و لما كانت الملوك عند العرب تجلس عبدها المقرب المكرم منها بهذا القدر في المساحة فعقلت من هذا الخطاب قرب محمد صلى الله عليه و سلم من ربه و لا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب فالبرهان العقلي ينفي الحد و المسافة حتى يأتي الكلام في تنزيه الباري عما تعطيه هذه الألفاظ من التشبيه في الباب الثالث الذي يلي هذا الباب و لما كانت الألفاظ عند العرب على أربعة أقسام ألفاظ متباينة و هي الأسماء التي لم تتعد مسماها كالبحر و المفتاح و المقصان و ألفاظ متواطئة و هي كل لفظة قد تووطئ عليها أن تطلق على آحاد نوع ما من الأنواع كالرجل و المرأة و ألفاظ مشتركة و هي كل لفظ على صيغة واحدة يطلق على معان مختلفة كالعين و المشتري و الإنسان و ألفاظ مترادفة و هي ألفاظ مختلفة الصيغ تطلق على معنى واحد كالأسد و الهزبر و الغضنفر و كالسيف و الحسام و الصارم و كالخمر و الرحيق و الصهباء و الخندريس هذه هي الأمهات مثل البرودة و الحرارة و اليبوسة و الرطوبة في الطبائع و ثم ألفاظ متشابهة و مستعارة و منقولة و غير ذلك و كلها ترجع إلى هذه الأمهات بالاصطلاح فإن المشتبه و إن قلت فيه إنه قبيل خامس من قبائل الألفاظ مثل النور يطلق على المعلوم و على العلم لشبه العلم به من كشف عين البصيرة به المعلوم كالنور مع البصر في كشف المرئي المحسوس فلما كان هذا الشبه صحيحا

سمي العلم نورا و يلحق بالألفاظ المشتركة فاذن لا ينفك لفظ من هذه الأمهات و هذا هو حد كل ناظر في هذا الباب و أما نحن فنقول بهذا معهم و عندنا زوائد من باب الاطلاع على الحقائق من جهة لم يطلعوا عليها علمنا منها أن الألفاظ كلها متباينة و إن اشتركت في النطق و من جهة أخرى أيضا كلها مشتركة و إن تباينت في النطق و قد أشرنا إلى شيء من هذا فيما تقدم من هذا الباب في آخر فصل الحروف فإذا تبين هذا فاعلم أيها الولي الحميم أن المحقق الواقف العارف بما تقتضيه الحضرة الإلهية من التقديس و التنزيه و نفي المماثلة و التشبيه لا يحجبه ما نطقت به الآيات و الأخبار في حق الحق تعالى من أدوات التقييد بالزمان و الجهة و المكان كقوله ع أين الله فأشارت إلى السماء فأثبت لها الايمان فسأل صلى الله عليه و سلم بالظرفية عما لا يجوز عليه المكان في النظر العقلي و الرسول أعلم بالله و الله أعلم بنفسه و قال في الظاهر أَ أَمِنْتُمْ من في السَّماءِ بالفاء و قال وَ كانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً و الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ و يفرح بتوبة عبده و يعجب من الشاب ليست له صبوة و ما أشبه ذلك من الأدوات اللفظية و قد تقرر بالبرهان العقلي خلقه الأزمان و الأمكنة و الجهات و الألفاظ و الحروف و الأدوات و المتكلم بها و المخاطبين من المحدثات كل ذلك خلق لله تعالى فيعرف المحقق قطعا أنها مصروفة إلى غير الوجه الذي يعطيك التشبيه و التمثيل و أن الحقيقة لا تقبل ذلك أصلا و لكن تتفاضل العلماء السالمة عقائدهم من التجسيم فإن المشبهة و المجسمة قد يطلق عليهم علماء من حيث علمهم بأمور غير هذا فتتفاضل العلماء في هذا الصرف عن هذا الوجه الذي لا يليق بالحق تعالى فطائفة لم تشبه و لم تجسم و صرفت علم ذلك الذي ورد في كلام الله و رسله إلى الله تعالى و لم تدخل لها قدم في باب التأويل و قنعت بمجرد الايمان بما يعلمه الله في هذه الألفاظ و الحروف من غير تأويل و لا صرف إلى وجه من وجوه التنزيه بل قالت لا أدري جملة واحدة و لكني أحيل إبقاءه على وجه التشبيه لقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لا لما يعطيه النظر العقلي و على هذا فضلاء المحدثين من أهل الظاهر السالمة عقائدهم من التشبيه و التعطيل و طائفة أخرى من المنزهة عدلت بهذه الكلمات عن الوجه الذي لا يليق بالله تعالى في النظر العقلي عدلت إلى وجه ما من وجوه التنزيه على التعيين مما يجوز في النظر العقلي أن يتصف به الحق تعالى بل هو متصف به و لا بد و ما بقي النظر إلا في إن هذه الكلمة هل المراد بها ذلك الوجه أم لا و لا يقدح ذلك التأويل في ألوهته و ربما عدلوا بها إلى وجهين و ثلاثة و أكثر على حسب ما تعطيه الكلمة في وضع اللسان و لكن من الوجوه المنزهة لا غير فإذا لم يعرفوا من ذلك الخبر أو الآية عند التأويل في اللسان إلا وجها واحدا قصروا الخبر على ذلك الوجه التنزيه و قالوا هذا هو ليس إلا في علمنا و فهمنا و إذا وجدوا له مصرفين فصاعدا صرفوا الخبر أو الآية إلى تلك المصارف و قالت طائفة من هؤلاء يحتمل أن يريد كذا و يحتمل أن يريد كذا و تعدد وجوه التنزيه ثم تقول و الله أعلم أي ذلك أراد و طائفة أخرى تقوى عندها وجه ما من تلك الوجوه النزيهة بقرينة ما قطعت لتلك القرينة بذلك الوجه على الخبر و قصرته عليه و لم تعرج على باقي الوجوه في ذلك الخبر و إن كانت كلها تقتضي التنزيه و طائفة من المنزهة أيضا و هي العالية و هم من أصحابنا فرغوا قلوبهم من الفكر و النظر و أخلوها إذ كان المتقدمون من الطوائف المتقدمة المتأولة أهل فكر و نظر و بحث فقامت هذه الطائفة المباركة الموفقة و الكل موفقون

بحمد الله و قالت حصل في نفوسنا تعظيم الحق جل جلاله بحيث لا نقدر أن نصل إلى معرفة ما جاءنا من عنده بدقيق فكر و نظر فأشبهت في هذا العقد المحدثين السالمة عقائدهم حيث لم ينظروا و لا تأولوا و لا صرفوا بل قالوا ما فهمنا فقال أصحابنا بقولهم ثم انتقلوا عن مرتبة هؤلاء بأن قالوا لنا أن نسلك طريقة أخرى في فهم هذه الكلمات و ذلك بأن نفرغ قلوبنا من النظر الفكري و نجلس مع الحق تعالى بالذكر على بساط الأدب و المراقبة و الحضور و التهيؤ لقبول ما يرد علينا منه تعالى حتى يكون الحق تعالى تعليمنا على الكشف و التحقيق لما سمعته يقول وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ و يقول إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً و قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و عَلَّمْنَاهُ من لَدُنَّا عِلْماً فعند ما توجهت قلوبهم و هممهم إلى الله تعالى و لجأت إليه و ألقت عنها ما استمسك به الغير من دعوى البحث و النظر و نتائج العقول كانت عقولهم سليمة و قلوبهم مطهرة فارغة فعند ما كان منهم هذا الاستعداد تجلى الحق لهم معلما فأطلعتهم تلك المشاهدة على معاني هذه الأخبار و الكلمات دفعة واحدة و هذا ضرب من ضروب المكاشفة فإنهم إذا عاينوا بعيون القلوب من نزهته العلماء المتقدم ذكرهم بالإدراك الفكري لم يصح لهم عند هذا الكشف و المعاينة أن يجهلوا خبرا من هذه الأخبار التي توهم و لا إن يبقوا ذلك الخبر منسحبا على ما فيه من الاحتمالات النزيهة من غير تعيين بل يعرفون الكلمة و المعنى النزيه الذي سيقت له فيقصروها على ما أريدت له و إن جاء في خبر آخر ذلك اللفظ عينه فله وجه آخر من تلك الوجوه المقدسة معين عند هذا المشاهد هذا حال طائفة منا و طائفة أخرى منا أيضا ليس لهم هذا التجلي و لكن لهم الإلقاء و الإلهام و اللقاء و الكتابة و هم معصومون فيما يلقى إليهم بعلامة عندهم لا يعرفها سواهم فيخبرون بما خوطبوا به و ما ألهموا به و ما ألقي إليهم أو كتب فقد تقرر عند جميع المحققين الذين سلموا الخبر لقائله و لم ينظروا و لا شبهوا و لا عطلوا و المحققين الذين بحثوا و اجتهدوا و نظروا على طبقاتهم أيضا و المحققين الذين كوشفوا و عاينوا و المحققين الذين خوطبوا و ألهموا أن الحق تعالى لا تدخل عليه تلك الأدوات المقيدة بالتحديد و التشبيه على حد ما نعقله في المحدثات و لكن تدخل عليه بما فيها من معنى التنزيه و التقديس على طبقات العلماء و المحققين في ذلك لما فيه و تقتضيه ذاته من التنزيه و إذا تقرر هذا فقد تبين أنها أدوات التوصيل إلى أفهام المخاطبين و كل عالم على حسب فهمه فيها و قوة نفوذه و بصيرته فعقيدة التكليف هينة الخطب فطر العالم عليها و لو بقيت المشبهة مع ما فطرت عليه ما كفرت و لا جسمت و إن كان ما أرادوا التجسيم و إنما قصدوا إثبات الوجود لكن لقصور أفهامهم ما ثبت لهم إلا بهذا التخيل فلهم النجاة و إذ قد ثبت هذا عند المحققين مع تفاضل رتبهم في درج التحقيق فلنقل إن الحقائق أعطت لمن وقف عليها أن لا يتقيد وجود الحق مع وجود العالم بقبلية و لا معية و لا بعدية زمانية فإن التقدم الزماني و المكاني في حق الله ترمي به الحقائق في وجه القائل به على التحديد اللهم إلا أن قال به من باب التوصيل كما قاله الرسول صلى الله عليه و سلم و نطق به الكتاب إذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق فلم يبق لنا أن نقول إلا أن الحق موجود بذاته لذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره و لا معلول عن شيء و لا علة لشيء بل هو خالق المعلولات و العلل و الملك القدوس الذي لم يزل و أن العالم موجود بالله تعالى لا بنفسه و لا لنفسه مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته فلا يصح وجود العالم البتة إلا بوجود الحق و إذا انتفى الزمان عن وجود الحق و عن وجود

مبدأ العالم فقد وجد العالم في غير زمان فلا نقول من جهة ما هو الأمر عليه إن الله موجود قبل العالم إذ قد ثبت أن القبل من صيغ الزمان و لا زمان و لا إن العالم موجود بعد وجود الحق إذ لا بعدية و لا مع وجود الحق فإن الحق هو الذي أوجده و هو فاعله و مخترعه و لم يكن شيئا و لكن كما قلنا الحق موجود بذاته و العالم موجود به فإن سأل سائل ذو و هم متى كان وجود العالم من وجود الحق قلنا متى سؤال زماني و الزمان من عالم النسب و هو مخلوق لله تعالى لأن عالم النسب له خلق التقدير لا خلق الإيجاد فهذا سؤال باطل فانظر كيف تسأل فإياك إن تحجبك أدوات التوصيل عن تحقيق هذه المعاني في نفسك و تحصيلها فلم يبق إلا وجود صرف خالص لا عن عدم و هو وجود الحق تعالى و وجود عن عدم عين الموجود نفسه و هو وجود العالم و لا بينية بين الوجودين و لا امتداد إلا التوهم المقدر الذي يحيله العلم و لا يبقى منه شيئا و لكن وجود مطلق و مقيد وجود فاعل و وجود منفعل هكذا أعطت الحقائق و السلام «مسألة» سألني وارد الوقت عن إطلاق الاختراع على الحق تعالى فقلت له علم الحق بنفسه عين علمه بالعالم إذ لم يزل العالم مشهودا له تعالى و إن اتصف بالعدم و لم يكن العالم مشهودا لنفسه إذ لم يكن موجودا و هذا بحر هلك فيه الناظرون الذين عدموا الكشف و بنسبة لم تزل موجودة فعلمه لم يزل موجودا و علمه بنفسه علمه بالعالم فعلمه بالعالم لم يزل موجودا فعلم العالم في حال عدمه و أوجده على صورته في علمه و سيأتي بيان هذا في آخر الكتاب و هو سر القدر الذي خفي عن أكثر المحققين و على هذا لا يصح في العالم الاختراع و لكن يطلق عليه الاختراع بوجه ما لا من جهة ما تعطيه حقيقة الاختراع فإن ذلك يؤدي إلى نقص في الجناب الإلهي فالاختراع لا يصح إلا في حق العبد و ذلك أن المخترع على الحقيقة لا يكون مخترعا إلا حتى يخترع مثال ما يريد إبرازه في الوجود في نفسه أولا ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية إلى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل و متى لم يخترع الشيء في نفسه أولا و إلا فليس بمخترع حقيقة فإنك إذا قدرت أن شخصا علمك ترتيب شكل ما ظهر في الوجود له مثل فعلمته ثم أبرزته أنت للوجود كما علمته فلست أنت في نفس الأمر و عند نفسك بمخترع له و إنما المخترع له من اخترع مثاله في نفسه ثم علمكه و إن نسب الناس الاختراع لك فيه من حيث إنهم لم يشاهدوا ذلك الشيء من غيرك فارجع أنت إلى ما تعرفه من نفسك و لا تلتفت إلى من لا يعلم ذلك منك فإن الحق سبحانه ما دبر العالم تدبير من يحصل ما ليس عنده و لا فكر فيه و لا يجوز عليه ذلك و لا اخترع في نفسه شيئا لم يكن عليه و لا قال في نفسه هل نعمله كذا و كذا هذا كله ما لا يجوز عليه فإن المخترع للشيء يأخذ أجزاء موجودة متفرقة في الموجودات فيؤلفها في ذهنه و وهمه تأليفا لم يسبق إليه في علمه و إن سبق فلا يبالي فإنه في ذلك بمنزلة الأول الذي لم يسبقه أحد إليه كما تفعله الشعراء و الكتاب الفصحاء في اختراع المعاني المبتكرة فثم اختراع قد سبق إليه فيتخيل السامع أنه سرقه فلا ينبغي للمخترع أن ينظر إلى أحد إلا إلى ما حدث عنده خاصة إن أراد أن يلتذ و يستمتع بلذة الاختراع و مهما نظر المخترع لأمر ما إلى من سبقه فيه بعد ما اخترعه ربما هلك و تفطرت كبده و أكثر العلماء بالاختراع البلغاء و المهندسون و من أصحاب الصنائع النجارون و البناءون فهؤلاء أكثر الناس اختراعا و أذكاهم فطرة و أشدهم تصرفا لعقولهم فقد صحت حقيقة الاختراع لمن استخرج بالفكر ما لم يكن يعلم قبل ذلك و لا علمه غيره بالقوة أو بالقوة و الفعل إن كان من العلوم التي

غايتها العمل و الباري سبحانه لم يزل عالما بالعالم أزلا و لم يكن على حالة لم يكن فيها بالعالم غير عالم فما اخترع في نفسه شيئا لم يكن يعلمه فإذ قد ثبت عند العلماء بالله قدم علمه فقد ثبت كونه مخترعا لنا بالفعل لا أنه اخترع مثالنا في نفسه الذي هو صورة علمه بنا إذ كان وجودنا على حد ما كنا في علمه و لو لم يكن كذلك لخرجنا إلى الوجود على حد ما لم يعلمه و ما لا يعلمه لا يريده و ما لا يريده و لا يعلمه لا يوجده فنكون إذن موجودين بأنفسنا أو بالاتفاق و إذا كان هذا فلا يصح وجودنا عن عدم و قد دل البرهان على وجودنا عن عدم و على أنه علمنا و أراد وجودنا و أوجدنا على الصورة الثابتة في علمه بنا و نحن معدومون في أعياننا فلا اختراع في المثال فلم يبق إلا الاختراع في الفعل و هو صحيح لعدم المثال الموجود في العين فتحقق ما ذكرناه و قل بعد ذلك ما شئت فإن شئت و صفته بالاختراع و عدم المثال و إن شئت نفيت هذا عنه نفيته و لكن بعد وقوفك على ما أعلمتك به

«الفصل الثالث في العلم و العالم و المعلوم من الباب الثاني»

ثلاثة حكمهمو واحد العلم و المعلوم و العالم
ثلاثة أثبتها الشاهد و إن تشأ أحكامهم مثلهم
ليس عليه في العلى زائد وصاحب الغيب يرى واحدا

اعلم أيدك الله أن العلم تحصيل القلب أمرا ما على حد ما هو عليه ذلك في نفسه معدوما كان ذلك الأمر أو موجودا فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب و العالم هو القلب و المعلوم هو ذلك الأمر المحصل و تصور حقيقة العلم عسير جدا و لكن أمهد لتحصيل العلم ما يتبين به إن شاء الله تعالى فاعلموا إن القلب مرآة مصقولة كلها وجه لا تصدأ أبدا فإن أطلق يوما عليها أنها صدئت كما قال ع إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد الحديث و فيه إن جلاءها ذكر الله و تلاوة القرآن و لكن من كونه الذكر الحكيم فليس المراد بهذا الصدأ أنه طخاء طلع على وجه القلب و لكنه لما تعلق و اشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالله كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب لأنه المانع من تجلي الحق إلى هذا القلب لأن الحضرة الإلهية متجلاة على الدوام لا يتصور في حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي المحمود لأنه قبل غيرها عبر عن قبول ذلك الغير بالصدأ و الكن و القفل و العمي و الران و غير ذلك و إلا فالحق يعطيك أن العلم عنده و لكن بغير الله في علمه و هو بالله في نفس الأمر عند العلماء بالله و مما يؤيد ما قلناه قول الله تعالى وَقَالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ فكانت في أكنة مما يدعوها الرسول إليه خاصة لا أنها في كن و لكن تعلقت بغير ما تدعى إليه فعميت عن إدراك ما دعيت إليه فلا تبصر شيئا و القلوب أبدا لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية فكل قلب تجلت فيه الحضرة الإلهية من حيث هي ياقوت أحمر الذي هو التجلي الذاتي فذلك قلب المشاهد المكمل العالم الذي لا أحد فوقه في تجل من التجليات و دونه تجلي الصفات و دونهما تجلي الأفعال و لكن من كونها من الحضرة الإلهية و من لم تتجل له من كونها من الحضرة الإلهية فذلك هو القلب الغافل عن الله تعالى المطرود من قرب الله تعالى فانظر وفقك الله في القلب على

حد ما ذكرناه و انظر هل تجعله العلم فلا يصح و إن قلت الصقالة الذاتية له فلا سبيل و لكن هي سبب كما إن ظهور المعلوم للقلب سبب و إن قلت السبب الذي يحصل المعلوم في القلب فلا سبيل و إن قلت المثال المنطبع في النفس من المعلوم و هو تصور المعلوم فلا سبيل فإن قيل لك فما هو العلم فقل درك المدرك على ما هو عليه في نفسه إذا كان دركه غير ممتنع و أما ما يمتنع دركه فالعلم به هو لا دركه كما قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك فجعل العلم بالله هو لا دركه فاعلم ذلك و لكن لا دركه من جهة كسب العقل كما يعلمه غيره و لكن دركه من جوده و كرمه و وهبه كما يعرفه العارفون أهل الشهود لا من قوة العقل من حيث نظره «تتميم» و لما ثبت أن العلم بأمر ما لا يكون إلا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر يكون بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك و قد ثبت أنه لا مناسبة بين الله تعالى و بين خلقه من جهة المناسبة التي بين الأشياء و هي مناسبة الجنس أو النوع أو الشخص فليس لنا علم متقدم بشيء فندرك به ذات الحق لما بينهما من المناسبة مثال ذلك علمنا بطبيعة الأفلاك التي هي طبيعة خامسة لم نعلمها أصلا لو لا ما سبق علمنا بالأمهات الأربع فلما رأينا الأفلاك خارجة عن هذه الطبائع بحكم ليس هو في هذه الأمهات علمنا إن ثم طبيعة خامسة من جهة الحركة العلوية التي في الأثير و الهواء و السفلية التي في الماء و التراب و المناسبة بين الأفلاك و الأمهات الجوهرية التي هي جنس جامع للكل و النوعية فإنها نوع كما أن هذه نوع لجنس واحد و كذلك الشخصية و لو لم يكن هذا التناسب لما علمنا من الطبائع علم طبيعة الفلك و ليس بين الباري و العالم مناسبة من هذه الوجوه فلا يعلم بعلم سابق بغيره أبدا كما يزعم بعضهم من استدلال الشاهد على الغائب بالعلم و الإرادة و الكلام و غير ذلك ثم يقدسه بعد ما قد حمله على نفسه و قاسه بها ثم إنه مما يؤيد ما ذهبنا إليه من علمنا بالله تعالى أن العلم يترتب بحسب المعلوم و ينفصل في ذاته بحسب انفصال المعلوم عن غيره و الشيء الذي به ينفصل المعلوم إما أن يكون ذاتا كالعقل من جهة جوهريته و كالنفس و إما أن يكون ذاتا من جهة طبعه كالحرارة و الإحراق للنار فكما انفصل العقل عن النفس من جهة جوهريته كذلك انفصل النار عن غيره بما ذكرناه و إما أن ينفصل عنه بذاته لكن بما هو محمول فيه إما بالحال كجلوس الجالس و كتابة الكاتب و إما بالهيئة كسواد الأسود و بياض الأبيض و هذا حصر مدارك العقل عند العقلاء فلا يوجد معلوم قطعا للعقل من حيث ما هو خارج عما وصفنا إلا بأن نعلم ما انفصل به عن غيره إما من جهة جوهره أو طبعه أو حاله أو هيأته و لا يدرك العقل شيئًا لا توجد فيه هذه الأشياء البتة و هذه الأشياء لا توجد في الله تعالى فلا يعلمه العقل أصلا من حيث هو ناظر و باحث و كيف يعلمه العقل من حيث نظره و برهانه الذي يستند إليه الحس أو الضرورة أو التجربة و الباري تعالى غير مدرك بهذه الأصول التي يرجع إليها العقل في برهانه و حينئذ يصح له البرهان الوجودي فكيف يدعي العاقل أنه قد علم ربه من جهة الدليل و أن الباري معلوم له و لو نظر إلى المفعولات الصناعية و الطبيعية و التكوينية و الانبعاثية و الإبداعية و رأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم أن الله تعالى لا يعلم بالدليل أبدا لكن يعلم أنه موجود و أن العالم مفتقر إليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة قال الله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فمن أراد أن يعرف لباب التوحيد فلينظر في الآيات الواردة في التوحيد من الكتاب العزيز الذي وحد بها نفسه فلا أحد أعرف من الشيء بنفسه فلتنظر بما

وصف نفسه و تسأل الله تعالى أن يفهمك ذلك فستقف علم إلهي لا يبلغ إليه عقل بفكره أبد الآباد و سأورد من هذه الآيات في الباب الذي يلي هذا الباب شيئًا يسيرا و الله يرزقنا الفهم عنه آمين و يجعلنا من العالمين الذين يعقلون آياته

«الباب الثالث في تنزيه الحق تعالى عما في طي الكلمات التي أطلقها عليه سبحانه في كتابه و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم من التشبيه و التجسيم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا»

في قدس الأيد و تنزيهه — نظم في نظر العبد إلى ربه
تلحق بالكيف و تشبيهه — و علوه عن أدوات أتت
منزلة العبد و تنويهه — دلالة تحكم قطعا على
و طرح بدعي و تمويهه — و صحة العلم و إثباته

اعلم أيدك الله أن جميع المعلومات علوها و سفلها حاملها العقل الذي يأخذ عن الله تعالى بغير واسطة فلم يخف عنه شيء من علم الكون الأعلى و الأسفل و من وهبه وجوده تكون معرفة النفس الأشياء و من تجليه إليها و نوره و فيضه الأقدس فالعقل مستفيد من الحق تعالى مفيد للنفس و النفس مستفيدة من العقل و عنها يكون الفعل و هذا سار في جميع ما تعلق به علم العقل بالأشياء التي هي دونه و إنما قيدنا بالتي هي دونه من أجل ما ذكرناه من الإفادة و تحفظ في نظرك من قوله تعالى حَتَّى نَعْلَمَ و هو العالم فاعرف السبب و اعلم أن العالم المهيم لا يستفيد من العقل الأول شيئًا و ليس له على المهيمين سلطان بل هم و إياه في مرتبة واحدة كالأفراد منا الخارجين عن حكم القطب و إن كان القطب واحدا من الأفراد لكن خصص العقل بالإفادة كما خصص القطب من بين الأفراد بالتولية و هو سار في جميع ما تعلق به علم العقل إلا علم تجريد التوحيد خاصة فإنه يخالف سائر المعلومات من جميع الوجوه إذ لا مناسبة بين الله تعالى و بين خلقه البتة و إن أطلقت المناسبة يوما ما عليه كما أطلقها الإمام أبو حامد الغزالي في كتبه و غيره فبضرب من التكلف و مرمى بعيد عن الحقائق و إلا فأي نسبة بين المحدث و القديم أم كيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل هذا محال كما قال أبو العباس بن العريف الصنهاجي في محاسن المجالس التي تعزى إليه ليس بينه و بين العباد نسب إلا العناية و لا سبب إلا الحكم و لا وقت غير الأزل و ما بقي فعمى و تلبيس و في رواية فعلم بدل من قوله فعمي فانظر ما أحسن هذا الكلام و ما أتم هذه المعرفة بالله و ما أقدس هذه المشاهدة نفعه الله بما قال فالعلم بالله عزيز عن إدراك العقل و النفس إلا من حيث إنه موجود تعالى و تقدس و كل ما يتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات و غيرها فالله سبحانه في نظر العقل السليم من حيث فكره و عصمته بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم و لا يجري عليه ذلك اللفظ عقلا من الوجه الذي تقبله المخلوقات فإن أطلق عليه فعلى وجه التقريب على الأفهام لثبوت الوجود عند السامع لا لثبوت الحقيقة التي هو الحق عليها فإن الله تعالى يقول لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و لكن يجب علينا شرعا من أجل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يقول اعلم من إخباري الموافق لنظرك ليصح لك الايمان علما كما

صح لك العلم من غير إيمان الذي هو قبل التعريف فأمره فمن أجل هذا الأمر على نظر بعض الناس و رأيه فيه نظرنا من أين نتوصل إلى معرفته فنظرنا على حكم الإنصاف و ما أعطاه العقل الكامل بعد جده و اجتهاده الممكن منه فلم نصل إلى المعرفة به سبحانه إلا بالعجز عن معرفته لأنا طلبنا أن نعرفه كما نطلب معرفة الأشياء كلها من جهة الحقيقة التي هي المعلومات عليها فلما عرفنا إن ثم موجودا ليس له مثل و لا يتصور في الذهن و لا يد رك فكيف يضبطه العقل هذا ما لا يجوز مع ثبوت العلم بوجوده فنحن نعلم أنه موجود واحد في ألوهته و هذا هو العلم الذي طلب منا غير عالمين بحقيقة ذاته التي يعرف سبحانه نفسه عليها و هو العلم بعدم العلم الذي طلب منا لما كان تعالى لا يشبه شيئًا من المخلوقات في نظر العقل و لا يشبهه شيء منها كان الواجب علينا أولا لما قيل لنا فاعلموا أنه لا إله إلا الله إن نعلم ما العلم و قد علمنا فقد علمنا ما يجب علينا من علم العلم أولا انتهى الجزء الثامن و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فلنقل إنه لما كانت أمهات المطالب أربعة و هي هل و ما و كيف و لم فهل و لم مطلبان روحانيان بسيطان يصحبهما ما هو فهل و لم هما الأصلان الصحيحان للبسائط لأن في ما هو ضرب من التركيب خاصة و ليس في هذه المطالب الأربعة مطلب ينبغي أن يسأل به عن الله تعالى من جهة ما تعطيه الحقيقة إذ لا يصح أن يعرف من علم التوحيد إلا نفي ما يوجد فيما سواه سبحانه و لهذا قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ فالعلم بالسلب هو العلم بالله سبحانه كما لم يجز أن نقول في الأرواح كيف و تقدست عن ذلك لأن حقائقها تخالف هذه العبارة كذلك ما ينطلق على الأرواح من الأدوات التي بها يسأل عنها لا يجوز أن يطلق على الله تعالى و لا ينبغي للمحقق الموحد الذي يحترم حضرة مبدعه و مخترعه أن يطلق عليه هذه الألفاظ فاذن لا يعلم بهذه المطالب أبدا «وصل» ثم إنا نظرنا أيضا في جميع ما سوى الحق تعالى فوجدناه على قسمين قسم يد رك بذاته و هو المحسوس و الكثيف و قسم يد رك بفعله و هو المعقول و اللطيف فارتفع المعقول عن المحسوس بهذه المنزلة و هي التنزه أن تد رك بذاته و إنما يد رك بفعله و لما كانت هذه أوصاف المخلوقين تقدس الحق تعالى عن أن يد رك بذاته كالمحسوس أو بفعله كاللطيف أو المعقول لأنه سبحانه ليس بينه و بين خلقه مناسبة أصلا لأن ذاته غير مد ركة لنا فتشبه المحسوس و لا فعلها كفعل اللطيف فيشبه اللطيف لأن فعل الحق تعالى إبداع الشيء لا من شيء و اللطيف الروحاني فعل الشيء من الأشياء فأي مناسبة بينهما فإذا امتنعت المشابهة في الفعل فأحرى أن تمتنع المشابهة في الذات و إن شئت أن تحقق شيئًا من هذا الفصل فانظر إلى مفعول هذا الفعل على حسب أصناف المفعولات مثل المفعول الصناعي كالقميص و الكرسي فوجدناه لا يعرف صانعه إلا أنه يدل بنفسه على وجود صانعه و على علمه بصنعته و كذلك المفعول التكويني الذي هو الفلك و الكواكب لا يعرفون مكونهم و لا المركب لهم و هو النفس الكلية المحيطة بهم و كذلك المفعول الطبيعي كالموالد من المعادن و النبات و الحيوان الذين يفعلون طبيعة من المفعول التكويني ليس لهم وقوف على الفاعل لهم الذي هو الفلك و الكواكب فليس العلم بالأفلاك ما تراه من جرمها و ما يدركه الحس منها و أين جرم الشمس في نفسها منها في عين الرائي لها منا و

إنما العلم بالأفلاك من جهة روحها و معناها الذي أوجده الله تعالى لها عن النفس الكلية المحيطة التي سبب الأفلاك و ما فيها و كذلك المفعول الانبعاثي الذي هو النفس الكلية المنبعثة من العقل انبعاث الصورة الدحية من الحقيقة الجبرئيلية فإنها لا تعرف الذي انبعثت عنه أصلا لأنها تحت حيطته و هو المحيط بها لأنها خاطر من خواطره فكيف تعلم ما هو فوقها و ما ليس فيها منه إلا ما فيها فلا تعلم منه إلا ما هي عليه فنفسها علمت لا سببهما و كذلك المفعول الإبداعي الذي هو الحقيقة المحمدية عندنا و العقل الأول عند غيرنا و هو القلم الأعلى الذي أبدعه الله تعالى من غير شيء هو أعجز و امنع عن إدراك فاعله من كل مفعول تقدم ذكره إذ بين كل مفعول و فاعله مما تقدم ذكره ضرب من ضروب المناسبة و المشاكلة فلا بد أن يعلم منه قدر ما بينهما من المناسبة إما من جهة الجوهرية أو غير ذلك و لا مناسبة بين المبدع الأول و الحق تعالى فهو أعجز عن معرفته بفاعله من غيره من مفعولي الأسباب إذ قد عجز المفعول الذي يشبه سببه الفاعل له من وجوه عن إدراكه و العلم به فافهم هذا و تحققه فإنه نافع جدا في باب التوحيد و العجز عن تعلق العلم المحدث بالله تعالى «وصل» يؤيد ما ذكرناه أن الإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوي الخمس القوة الحسية و هي على خمس الشم و الطعم و اللمس و السمع و البصر فالبصر يدرك الألوان و المتلونات و الأشخاص على حد معلوم من القرب و البعد فالذي يدرك منه على ميل غير الذي يدرك منه على ميلين و الذي يدرك منه على عشرين باعا غير الذي يدرك منه على ميل و الذي يدرك منه و يده في يده يقابله غير الذي يدرك منه على عشرين باعا فالذي يدرك منه على ميلين شخص لا يدري هل هو إنسان أو شجرة و على ميل يعرف أنه إنسان و على عشرين باعا أنه أبيض أو أسود و على المقابلة أنه أزرق أو أكحل و هكذا سائر الحواس في مدركاتها من القرب و البعد و الباري سبحانه ليس بمحسوس أي ليس بمدرك بالحس عندنا في وقت طلبنا المعرفة به فلم نعلمه من طريق الحس و أما القوة الخيالية فإنها لا تضبط إلا ما أعطاها الحس إما على صورة ما أعطاها و إما على صورة ما أعطاه الفكر من حمله بعض المحسوسات على بعض و إلى هنا انتهت طريقة أهل الفكر في معرفة الحق فهو لسانهم ليس لساننا و إن كان حقا و لكن ننسبه إليهم فإنه نقل عنهم فلم تبرح هذه القوة كيفما كان إدراكها عن الحس البتة و قد بطل تعلق الحس بالله عندنا فقد بطل تعلق الخيال به و أما القوة المفكرة فلا يفكر الإنسان أبدا إلا في أشياء موجودة عنده تلقاها من جهة الحواس و أوائل العقل و من الفكر فيها في خزانة الخيال يحصل له علم بأمر آخر بينه و بين هذه الأشياء التي فكر فيها مناسبة و لا مناسبة بين الله و بين خلقه فاذن لا يصح العلم به من جهة الفكر و لهذا منعت العلماء من الفكر في ذات الله تعالى و أما القوة العقلية فلا يصح أن يدركه العقل فإن العقل لا يقبل إلا ما علمه بديهة أو ما أعطاه الفكر و قد بطل إدراك الفكر له فقد بطل إدراك العقل له من طريق الفكر و لكن مما هو عقل إنما حده أن يعقل و يضبط ما حصل عنده فقد يهبه الحق المعرفة به فيعقلها لأنه عقل لا من طريق الفكر هذا ما لا نمنعه فإن هذه المعرفة التي يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها و لكن يقبلها فلا يقوم عليها دليل و لا برهان لأنها وراء طور مدارك العقل ثم هذه الأوصاف الذاتية لا تمكن العبارة عنها لأنها خارجة عن التمثيل و القياس فإنه ليس كمثله شيء فكل عقل لم يكشف له من هذه المعرفة شيء يسأل عقلا آخر قد كشف له منها ليس في

قوة ذلك العقل المسئول العبارة عنها و لا تمكن و لذلك قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك و لهذا الكلام مرتبتان فافهم فمن طلب الله بعقله من طريق فكره و نظره فهو تائه و إنما حسبه التهيؤ لقبول ما يهبه الله من ذلك فافهم و أما القوة الذاكرة فلا سبيل أن تدرك العلم بالله فإنها إنما تذكر ما كان العقل قبل علمه ثم غفل أو نسي و هو لم يعلمه فلا سبيل للقوة الذاكرة إليه و انحصرت مدارك الإنسان بما هو إنسان و ما تعطيه ذاته و له فيه كسب و ما بقي إلا تهيؤ العقل لقبول ما يهبه الحق من معرفته جل و تعالى فلا يعرف أبدا من جهة الدليل إلا معرفة الوجود و أنه الواحد المعبود لا غير فإن الإنسان المدرك لا يتمكن له أن يدرك شيئًا أبدا إلا و مثله موجود فيه و لولا ذلك ما أدركه البتة و لا عرفه فإذا لم يعرف شيئًا إلا و فيه مثل ذلك الشيء المعروف فما عرف إلا ما يشبهه و يشاكله و الباري تعالى لا يشبه شيئًا و لا في شيء مثله فلا يعرف أبدا و مما يؤيد ما ذكرناه أن الأشياء الطبيعية لا تقبل الغذاء إلا من مشاكلها فأما ما لا يشاكلها فلا تقبل الغذاء منه قطعا مثال ذلك أن المولد من المعادن و النبات و الحيوان مركبة من الطبائع الأربع و المولد لا تقبل الغذاء إلا منها و ذلك لأن فيها نصيبا منها و لو رام أحد من الخلق على أن يجعل غذاء جسمه المركب من هذه الطبائع من شيء كائن عن غير هذه الطبائع أو ما تركب عنها لم يستطع فكما لا يمكن لشيء من الأجسام الطبيعية أن تقبل غذاء إلا من شيء هو من الطبائع التي هي منها كذلك لا يمكن لأحد أن يعلم شيئًا ليس فيه مثله البتة ألا ترى النفس لا تقبل من العقل إلا ما تشاركه فيه و تشاكله و ما لم تشاركه فيه لا تعلمه منه أبدا و ليس من الله في أحد شيء و لا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه فلا يعرفه أحد من نفسه و فكره قال رسول الله صلى الله و سلم إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار و إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فأخبر بأن العقل لم يدركه بفكره و لا بعين بصيرته كما لم يدركه البصر و هذا هو الذي أشرنا إليه فيما تقدم من بابنا فلله الحمد على ما ألهم و أن علمنا ما لم نكن نعلم و كان فضل الله عظيما هكذا فليكن التنزيه و نفي المماثلة و التشبيه و ما ضل من ضل من المشبهة إلا بالتأويل و حمل ما وردت به الآيات و الأخبار على ما يسبق منها إلى الأفهام من غير نظر فيما يجب الله تعالى من التنزيه فقادهم ذلك إلى الجهل المحض و الكفر الصراح و لو طلبوا السلامة و تركوا الأخبار و الآيات على ما جاءت من غير عدول منهم فيها إلى شيء البتة و يكلون علم ذلك إلى الله تعالى و لرسوله و يقولون لا ندري و كان يكفيهم قول الله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فمتى جاءهم حديث فيه تشبيه فقد أشبه الله شيئًا و هو قد نفى الشبه عن نفسه سبحانه فما بقي إلا أن ذلك الخبر له وجه من وجوه التنزيه يعرفه الله تعالى و جيء به لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه و ما تجد لفظة في خبر و لا آية جملة واحدة تكون نصا في التشبيه أبدا و إنما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي إلى التشبيه و منها ما يؤدي إلى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي إلى التشبيه جور منه على ذلك اللفظ إذ لم يوف حقه بما يعطيه وضعه في اللسان و تعد على الله تعالى حيث حمل عليه سبحانه ما لا يليق بالله تعالى و نحن نورد إن شاء الله تعالى بعض أحاديث وردت في التشبيه و إنها ليست بنص فيه فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ فمن ذلك قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة و المجاز الجارحة تستحيل على الله تعالى الإصبع لفظ مشترك يطلق على الجارحة و يطلق على

النعمة قال الراعي

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس أصبعا

يقول ترى له عليها أثرا حسنا من النعمة بحسن النظر عليها تقول العرب ما أحسن أصبع فلان على ما له أي أثره فيه تريد به نمو ما له لحسن تصرفه فيه أسرع التقليب ما قلبته الأصابع لصغر حجمها وكمال القدرة فيها فحركتها أسرع من حركة اليد وغيره ولما كان تقليب الله قلوب العباد أسرع شيء أفصح صلى الله عليه وسلم للعرب في دعائه بما تعقل ولأن التقليب لا يكون إلا باليد عندنا فلذلك جعل التقليب بالأصابع لأن الأصابع من اليد في اليد والسرعة في الأصابع أمكن فكان ع يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وتقليب الله تعالى القلوب هو ما يخلق فيها من الهم بالحسن والهم بالسوء فلما كان الإنسان يحس بترادف الخواطر المتعارضة عليه في قلبه الذي هو عبارة عن تقليب الحق القلب وهذا لا يقدر الإنسان يدفع علمه عن نفسه لذلك كان ع يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي هذا الحديث إن إحدى أزواجه قالت له أ وتخاف يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله يشير صلى الله عليه وسلم إلى سرعة التقليب من الايمان إلى الكفر وما تحتهما قال تعالى فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وهذا الإلهام هو التقليب والأصابع للسرعة والاثنينية لها خاطر الحسن وخاطر القبيح فإذا فهم من الأصابع ما ذكرته وفهمت منه الجارحة وفهمت منه النعمة والأثر الحسن فبأي وجه تلحقه بالجارحة وهذه الوجوه المنزهة تطلبه فأما نسكت ونكل علم ذلك إلى الله تعالى وإلى من عرفه الحق ذلك من رسول مرسل أو ولي ملهم بشرط نفي الجارحة ولا بد وإما إن أدركنا فضول وغلب علينا إلا أن نرد بذلك على بدعي مجسم مشبه فليس بفضول بل يجب على العالم عند ذلك تبيين ما في ذلك اللفظ من وجوه التنزيه حتى يدحض به حجة المجسم المخذول تاب الله علينا وعليه ورزقه الإسلام فإن تكلمنا على تلك الكلمة التي توهم التشبيه ولا بد فالعدول بشرحها إلى الوجه الذي يليق بالله سبحانه أولى هذا حظ العقل في الوضع (نفث روح في روع) الإصبعان سر الكمال الذاتي الذي إذا انكشف إلى الأبصار يوم القيامة يأخذ الإنسان أباه إذا كان كافرا ويرمي به في النار ولا يجد لذلك ألما ولا عليه شفقة بسر هذين الإصبعين المتحد معناهما المثنى لفظهما خلقت الجنة والنار وظهر اسم المنور والمظلم والمنعم والمنتقم فلا تتخيلهما اثنين من عشرة ولا بد من الإشارة إلى هذا السر في هذا الباب في كلتا يديه يمين وهذه معرفة الكشف فإن لأهل الجنة نعيمين نعيما بالجنة ونعيما بعذاب أهل النار في النار وكذلك أهل النار لهم عذابان وكلا الفريقين يرون الله رؤية الأسماء كما كانوا في الدنيا سواء وفي القبضتين اللتين جاءتا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حق الحق سر ما أشرنا إليه ومعناه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ القبضة واليمين قال تعالى وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ . . . وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ نظر العقل بما يقتضيه الوضع أنه منع أولا سبحانه أن يقدر قدره لما يسبق إلى العقول الضعيفة من التشبيه والتجسيم عند ورود الآيات والأخبار التي تعطي من وجه ما من وجوهها ذلك ثم قال بعد هذا التنزيه الذي لا يعقله إلا العالمون وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ عرفنا من وضع اللسان العربي أن يقال فلان في قبضتي يريد أنه تحت حكمي

و إن كان ليس في يدي منه شيء البتة و لكن أمري فيه ماض و حكمي عليه قاض مثل حكمي على ما ملكته يدي حسا و قبضت عليه و كذلك أقول مالي في قبضتي أي في ملكي و إني متمكن في التصرف فيه أي لا يمنع نفسه مني فإذا صرفته ففي وقت تصرفي فيه كان أمكن لي أن أقول هو في قبضتي لتصرفي فيه و إن كان عبيدي هم المتصرفون فيه عن إذني فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل إلى روح القبضة و معناها و فائدتها و هو ملك ما قبضت عليه في الحال و إن لم يكن لها أعني للقابض فيما قبض عليه شيء و لكن هو في ملك القبضة قطعا فهكذا العالم في قبضة الحق تعالى و الأرض في الدار الآخرة تعيين بعض الأملاك كما نقول خادمي في قبضتي و إن كان خادمي من جملة من في قبضتي فإنما ذكرته اختصاصا لوقوع نازلة ما و اليمين عندنا محل التصريف المطلق القوي فإن اليسار لا يقوي قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهي إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل فوصل إلى أفهام العرب بألفاظ تعرفها و تسرع بالتلقي لها قال الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

و ليس للمجد راية محسوسة فلا تتلقاها جارحة يمين فكأنه يقول لو ظهر للمجد راية محسوسة لما كان محلها أو حاملها إلا يمين عرابة الأوسي أي صفة المجد به قائمة و فيه كاملة فلم تزل العرب تطلق ألفاظ الجوارح على ما لا يقبل الجارحة لاشتراك بينهما من طريق المعنى (نفث روح في روع) إذا تجلى الحق لسر عبد ملكه جميع الأسرار و ألحقه بالأحرار و كان له التصرف الذاتي من جهة اليمين فإن شرف الشمال بغيره و شرف اليمين بذاته ثم أنزل شرف اليمين بالخطاب و شرف الشمال بالتجلي شرف الإنسان بمعرفته بحقيقته و اطلاعه عليها و هو اليسار و كلتا يديه من حيث هو شمال كما إن كلتي يدي الحق يمين ارجع إلى معنى الاتحاد كلتا يدي العبد يمين ارجع إلى التوحيد إحدى يديه يمين و الأخرى شمال فتارة أكون في الجمع و جمع الجمع و تارة أكون في الفرق و في فرق الفرق على حكم التجلي و الوارد

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن و إن لقيت معديا فعدناني

و من ذلك التعجب و الضحك و الفرح و الغضب التعجب إنما يقع من موجود لا يعلم ذلك المتعجب منه ثم يعلمه فيتعجب منه و يلحق به الضحك و هذا محال على الله تعالى فإنه ما خرج شيء عن علمه فمتى وقع في الوجود شيء يمكن التعجب منه عندنا حمل ذلك التعجب و الضحك على من لا يجوز عليه التعجب و لا الضحك لأن الأمر الواقع متعجب منه عندنا كالشاب ليست له صبوة فهذا أمر يتعجب منه فحل عند الله تعالى محل ما يتعجب منه عندنا و قد يخرج الضحك و الفرح إلى القبول و الرضي فإن من فعلت له فعلا أظهر لك من أجله الضحك و الفرح فقد قبل ذلك الفعل و رضي به فضحكه و فرحه تعالى قبوله و رضاه عنا كما إن غضبه تعالى منزه عن غليان دم القلب طلبا للانتصار لأنه سبحانه يتقدس عن الجسمية و العرض فذلك قد يرجع إلى أن يفعل فعل من غضب ممن يجوز عليه الغضب و هو انتقامه سبحانه من الجبارين و المخالفين لأمره و المتعدين حدوده قال تعالى و غضب عليه أي جازاه جزاء المغضوب عليه فالمجازي يكون غاضبا فظهور الفعل أطلق الاسم (التبشش) من باب الفرح ورد في الخبر أن الله يتبشبش للرجل يوطئ المساجد للصلاة و الذكر الحديث لما حجب العالم بالأكوان

و اشتغلوا بغير الله عن الله فصا روا بهذا الفعل في حال غيبة عن الله فلما وردوا عليه سبحانه بنوع من أنواع الحضور أسدل إليهم سبحانه في قلوبهم من لذة نعيم محاضرته و مناجاته و مشاهدته ما تحبب بها إلى قلوبهم فإن النبي ع يقول حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فكنى بالتبشبش عن هذا الفعل منه لأنه إظها ر سرور بقدومكم عليه فإنه من يسر بقدومك عليه فعلامة سروره إظها ر البر بجانبك و التحبب و إرسال ما عنده من نعم عليك فلما ظهرت هذه الأشياء من الله إلى العبيد النا زلين به سماه تبشبشا (النسيان) قال الله تعالى فَنَسِيَهُمْ الباري تعالى لا يجوز عليه النسيان و لكنه تعالى لما عذبهم عذاب الأبد و لم تنلهم رحمته تعالى صا روا كأنهم منسيون عنده و هو كأنه ناس لهم أي هذا فعل الناسي و من لا يتذكر ما هم فيه من أليم العذاب و ذلك لأنهم في حياتهم الدنيا نَسُوا الله فجا زاهم بفعلهم ففعلهم أعاده عليهم للمناسبة و قد يكون نسيهم أخرهم نسوا الله أي أخروا أمر الله فلم يعملوا به أخرهم الله في النا ر حين أخرج منها من أدخله فيها من غيرهم و يقرب من هذا الباب اتصاف الحق بالمكر و الاستهزاء و السخرية قال تعالى سَخِرَ الله مِنْهُمْ و قال وَمَكَرَ الله و قال الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ (النفس) قال صلى الله عليه و سلم لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن و قوله ع إني لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن و هذا كله من التنفيس كأنه يقول لا تسبوا الريح فإنها مما ينفس بها الرحمن عن عباده و قال ع نصرت بالصبا و كذلك يقول إني لأجد نفس أي تنفيس الرحمن عني للكرب الذي كان فيه من تكذيب قومه إياه و ردهم أمر الله من قبل اليمن فكان الأنصا ر نفس الله بهم عن نبيه صلى الله عليه و سلم ما كان أكربه من المكذبين فإن الله تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من المتنفس تعالى الله عما نسب إليه الظالمون من ذلك علوا كبيرا (الصورة) تطلق على الأمر و على المعلوم عند الناس و على غير ذلك ورد في الحديث إضافة الصورة إلى الله في الصحيح و غيره مثل حديث عكرمة قال ع رأيت ربي في صورة شاب الحديث هذا حال من النبي صلى الله عليه و سلم و هو في كلام العرب معلوم متعا رف و كذلك قوله ع إن الله خلق آدم على صورته اعلم أن المثلية الواردة في القرآن لغوية لا عقلية لأن المثلية العقلية تستحيل على الله تعالى زيد الأسد شدة زيد زهير شعرا إذا وصفت موجودا بصفة أو صفتين ثم وصفت غيره بتلك الصفة و إن كان بينهما تباين من جهة حقائق أخر و لكنهما مشتركان في روح تلك الصفة و معناها فكل واحد منهما على صورة الآخر في تلك الصفة خاصة فافهم و تنبه و انظر كونك دليلا عليه سبحانه و هل وصفته بصفة كمال إلا منك فتفطن فإذا دخلت من باب التعرية عن المناظرة سلبت النقائص التي تجوز عليك عنه و إن كانت لم تقم قط به و لكن المجسم و المشبه لما أضافها إليه سلبت أنت تلك الإضافة و لو لم يتوهم هذا لما فعلت شيئًا من هذا السلب فاعلم و إن كان للصورة هنا مداخل كثيرة أضربنا عن ذكرها رغبة فيما قصدناه في هذا الكتاب من حذف التطويل وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الذراع) ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم أن ضرس الكافر في النا ر مثل أحد و كثافة جلده أربعون ذراعا بذراع الجبا ر هذه إضافة تشريف مقدا ر جعله الله تعالى أضافه إليه كما تقول هذا الشيء كذا و كذا ذراعا بذراع الملك تريد الذراع الأكبر الذي جعله الملك و إن كان مثلا ذراع الملك الذي هو الجارحة مثل أذرع الناس و الذراع الذي جعله مقدا را يزيد على ذراع الجارحة بنصفه أو ثلثه فليس هو إذن ذراعه على حقيقته و إنما

هو مقدار نصبه ثم أضيف إلى جاعله فاعلم و الجبار في اللسان الملك العظيم و هكذا (القدم) يضع الجبار فيها قدمه القدم الجارحة و يقال لفلان في هذا الأمر قدم أي ثبوت و القدم جماعة من الخلق فتكون القدم إضافة و قد يكون الجبار ملكا و تكون هذه القدم لهذا الملك إذ الجارحة تستحيل على الله تعالى و جل (و الاستواء) أيضا ينطلق على الاستقرار و القصود و الاستيلاء و الاستقرار من صفات الأجسام فلا يجوز على الله تعالى إلا إذا كان على وجه الثبوت و القصد هو الإرادة و هي من صفات الكمال قال ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ أي قصد و اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ أي استولى

قد استوى بشر على العراق　　　من غير سيف و دم مهراق

و الأخبار و الآيات كثيرة منها صحيح و سقيم و ما منها خبر إلا و له وجه من وجوه التنزيه و إن أردت أن يقرب ذلك عليك فاعمد إلى اللفظة التي توهم التشبيه و خذ فائدتها و روحها أو ما يكون عنها فاجعله في حق الحق تفز بدرجة التنزيه حين حاز غيرك درك التشبيه فهكذا فافعل و طهر ثوبك و يكفي هذا القدر من هذه الأخبار فقد طال الباب نفث الروح الأقدس في الروع الأنفس بما تقدم من الألفاظ لما تعجب المتعجب ممن خرج على صورته و خالفه في سريرته ففرح بوجوده و ضحك من شهوده و غضب لتوليه و تبشبش لتدليه و نسي ظاهره و تنفس فأطلق مواخره و ثبت على ملكه و تحكم بالتقدير على ملكه فكان ما أراد و إلى الله المعاد فهذه أرواح مجردة تنظرها أشباح مسندة فإذا بلغ الميقات و انقضت الأوقات و مارت السماء و كورت الشمس و بدلت الأرض و انكدرت النجوم و انتقلت الأمور و ظهرت الآخرة و حشر الإنسان و غيره في الحافرة حينئذ تحمد الأشباح و تتنسم الأرواح و يتجلى الفتاح و يتقد المصباح و تشعشع الراح و يظهر الود الصراح و يزول الإلحاح و يرفرف الجناح و يكون الابتناء بالضراح من أول الليل إلى الإصباح فما أسناها من منزله و ما أشهاها إلى النفوس من حالة مكملة متعنا الله بها

«الباب الرابع في سبب بدء العالم و مراتب الأسماء الحسنى من العالم كله»

و غاية الصنع و إحكامه　　　في سبب البدء و أحكامه
في نشئه و بين حكامه　　　و الفرق ما بين رعاة العلى
قد قهر الكل بأحكامه　　　دلائل دلت على صانع

قد وقف الصفي الولي أبقاه الله على سبب بدء العالم في كتابنا المسمى بعنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء و شمس المغرب و في كتابنا المسمى بإنشاء الدوائر الذي ألفنا بعضه بمنزله الكريم في وقت زيارتنا إياه سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و نحن نريد الحج فقيد له منه خديمه عبد الجبار أعلى الله قدره القدر الذي كنت سطرته منه و رحلت به معي إلى مكة زادها الله تشريفا في السنة المذكورة لأتممه بها فشغلنا هذا الكتاب عنه و عن غيره بسبب الأمر الإلهي الذي ورد علينا في تقييده مع رغبة بعض الإخوان و الفقراء في ذلك حرصا منهم على مزيد

العلم و رغبة في أن تعود عليهم بركات هذا البيت المبارك الشريف محل البركات و الهدى و الآيات البينات و أن نعرف أيضا في هذا الموضوع الصفي الكريم أبا محمد عبد العزيز رضي الله عنه ما تعطيه مكة من البركات و إنها خير وسيلة عبادية و أشرف منزلة جمادية ترابية عسى تنهض به همة الشوق إليه و تنزل به رغبة عليه فقد قيل لمن أوتي جوامع الكلم و كان من ربه في مشاهدة العين أدنى من قاب قوسين و مع هذا التقريب الأكمل و الحظ الأوفر الأجزل أنزل عليه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و من شرط العالم المشاهد صاحب المقامات الغيبية و المشاهد أن يعلم أن للامكنة في القلوب اللطيفة تأثيرا و لو وجد القلب في أي موضع كان الوجود الأعم فوجوده بمكة أسنى و أتم فكما تتفاضل المنازل الروحانية كذلك تتفاضل المنازل الجسمانية و إلا فهل الدر مثل الحجر إلا عند صاحب الحال و أما المكمل صاحب المقام فإنه يميز بينهما كما ميز بينهما الحق هل ساوى الحق بين دار بناؤها لبن التراب و التبن و دار بناؤها لبن العسجد و اللجين فالحكيم الواصل من أعطى كل ذي حق حقه فذلك واحد عصره و صاحب وقته و كثير بين مدينة يكون أكثر عمارتها الشهوات و بين مدينة يكون أكثر عمارتها الآيات البينات أليس قد جمع معي صفي أبقاه الله أن وجود قلوبنا في بعض المواطن أكثر من بعض و قد كان رضي الله عنه يترك الخلوة في بيوت المنارة المحروسة الكائنة بشرقي تونس بساحل البحر و ينزل إلى الرابطة التي في وسط المقابر بقرب المنارة من جهة بابها و هي تعزى إلى الخضر فسألته عن ذلك فقال إن قلبي أجده هنالك أكثر منه في المنارة و قد وجدت فيها أنا أيضا ما قاله الشيخ و قد علم وليي أبقاه الله أن ذلك من أجل من يعمر ذلك الموضع إما في الحال من الملائكة المكرمين أو من الجن الصادقين و إما من همة من كان يعمره و فقد كبيت أبي يزيد الذي يسمى بيت الأبرار و كزاوية الجنيد بالشونيزية و كمغارة ابن أدهم باليقين و ما كان من أماكن الصالحين الذين فنوا عن هذه الدار و بقيت آثارهم في أماكنهم تنفعل لها القلوب اللطيفة و لهذا يرجع تفاضل المساجد في وجود القلب لا في تضاعف الأجر فقد تجد قلبك في مسجد أكثر مما تجده في غيره من المساجد و ذلك ليس للتراب و لكن لمجالسة الأتراب أو هممهم و من لا يجد الفرق في وجود قلبه بين السوق و المساجد فهو صاحب حال لا صاحب مقام و لا أشك كشفا و علما أنه و إن عمرت الملائكة جميع الأرض مع تفاضلهم في المعارف و الرتب فإن أعلاهم رتبة و أعظمهم علما و معرفة عمرة المسجد الحرام و على قدر جلساتك يكون وجودك فإنه لهمم الجلساء في قلب الجليس لهم تأثيرا و هممهم على قدر مراتبهم و إن كان من جهة الهمم فقد طاف بهذا البيت مائة ألف نبي و أربعة و عشرون ألف نبي سوى الأولياء و ما من نبي و لا ولي إلا و له همة متعلقة بهذا البيت و هذا البلد الحرام لأنه البيت الذي اصطفاه الله على سائر البيوت و له سر الأولية في المعابد كما قال تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَن دَخَلَهُ كانَ آمِناً من كل مخوف إلى غير ذلك من الآيات فلو رحل الصفي أبقاه الله إلى هذا البلد الحرام الشريف لوجد من المعارف و الزيادات ما لم يكن رآه قبل ذلك و لا خطر له بالبال و قد علم رضي الله عنه إن النفس تحشر على صورة علمها و الجسم على صورة عمله و صورة العلم و العمل بمكة أتم مما في سواها و لو دخلها صاحب قلب ساعة واحدة لكان له ذلك فكيف إن جاور بها و أقام و أتى فيها بجميع الفرائض و القواعد فلا شك أن مشهده بها يكون أتم و أجلي و مورده

أصفى و أعذب و أحلى و إذ و صفيي أبقاه الله قد أخبرني أنه يحس بالزيادة و النقص على حسب الأماكن و الأمزجة و يعلم أن ذلك راجع أيضا إلى حقيقة الساكن به أو همته كما ذكرنا و لا شك عندنا إن معرفة هذا الفن أعني معرفة الأماكن و الإحساس بالزيادة و النقص من تمام تمكن معرفة العارف و علو مقامه و إشرافه على الأشياء و قوة ميزه فالله يكتب لوليي فيها أثرا حسنا و يهبه فيها خيرا طيبا إنه المليي بذلك و القادر عليه اعلم وفقنا الله و إياك و جميع المسلمين أن أكثر العلماء بالله من أهل الكشف و الحقائق ليس عندهم علم بسبب بدء العالم إلا تعلق العلم القديم بإيجاده فكون ما علم أنه سيكونه و هنا ينتهي أكثر الناس و أما نحن و من أطلعه الله على ما أطلعنا عليه فقد وقفنا على أمور أخر غير هذا و ذلك أنك إذا نظرت العالم مفصلا بحقائقه و نسبه وجدته محصور الحقائق و النسب معلوم المنازل و الرتب متناهى الأجناس بين متماثل و مختلف فإذا وقفت على هذا الأمر علمت إن لهذا سرا لطيفا و أمرا عجيبا لا تدرك حقيقته بدقيق فكر و لا نظر بل بعلم موهوب من علوم الكشف و نتائج المجاهدات المصاحبة للهمم فإن مجاهدة بغير همة غير منتجة شيئًا و لا مؤثرة في العلم و لكن تؤثر في الحال من رقة و صفاء يجده صاحب المجاهدة فاعلم علمك الله سرائر الحكم و وهبك من جوامع الكلم أن الأسماء الحسنى التي تبلغ فوق أسماء الإحصاء عددا و تنزل دون أسماء الإحصاء سعادة هي المؤثرة في هذا العالم و هي المفاتح الأول التي لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ و أن لكل حقيقة اسما ما يخصها من الأسماء و أعني بالحقيقة حقيقة تجمع جنسا من الحقائق رب تلك الحقيقة ذلك الاسم و تلك الحقيقة عابدته و تحت تكليفه ليس غير ذلك و إن جمع لك شيء ما أشياء كثيرة فليس الأمر على ما توهمته فإنك إن نظرت إلى ذلك الشيء وجدت له من الوجوه ما يقابل به تلك الأسماء التي تدل عليها و هي الحقائق التي ذكرناها مثال ذلك ما ثبت لك في العلم الذي في ظاهر العقول و تحت حكمها في حق موجود ما فرد لا ينقسم مثل الجوهر الفرد الجزء الذي لا ينقسم فإن فيه حقائق متعددة تطلب أسماء إلهية على عددها فحقيقة إيجاده يطلب الاسم القادر و وجه إحكامه يطلب الاسم العالم و وجه اختصاصه يطلب الاسم المريد و وجه ظهوره يطلب الاسم البصير و الرائي إلى غير ذلك فهذا و إن كان فردا فله هذه الوجوه و غيرها مما لم نذكرها و لكل وجه وجوه متعددة تطلب من الأسماء بحسبها و تلك الوجوه هي الحقائق عندنا الثواني و الوقوف عليها عسير و تحصيلها من طريق الكشف أعسر و اعلم أن الأسماء قد نتركها على كثرتها إذا لحظنا وجوه الطالبين لها من العالم و إذا لم نلحظ ذلك فلنرجع و نلحظ أمهات المطالب التي لا غنى لنا عنها فنعرف إن الأسماء التي الأمهات موقوفة عليها هي أيضا أمهات الأسماء فيسهل النظر و يكمل الغرض و يتيسر التعدي من هذه الأمهات إلى البنات كما يتيسر رد البنات إلى الأمهات فإذا نظرت الأشياء كلها المعلومة في العالم العلوي و السفلي تجد الأسماء السبعة المعبر عنها بالصفات عند أصحاب علم الكلام تتضمنها و قد ذكرنا هذا في كتابنا الذي سميناه إنشاء الدوائر و ليس غرضنا في هذا الكتاب في هذه الأمهات السبعة المعبر عنها بالصفات و لكن قصدنا الأمهات التي لا بد لإيجاد العالم منها كما إنا لا نحتاج في دلائل العقول من معرفة الحق سبحانه إلا كونه موجودا عالما مريدا قادرا حيا لا غير و ما زاد على هذا فإنما يقتضيه التكليف فمجيء الرسول ع جعلنا نعرفه متكلما و التكليف جعلنا نعرفه سميعا بصيرا إلى غير ذلك من الأسماء فالذي

نحتاج إليه من معرفة الأسماء لوجود العالم و هي أرباب الأسماء و ما عداها فسدنة لها كما إن بعض هذه الأرباب سدنة لبعضها فأمهات الأسماء الحي العالم المريد القادر القائل الجواد المقسط و هذه الأسماء بنات الاسمين المدبر و المفصل فالحي يثبت فهمك بعد وجودك و قبله و العالم يثبت أحكامك في وجودك و قبل وجودك يثبت تقديرك و المريد يثبت اختصاصك و القادر يثبت عدمك و القائل يثبت قدمك و الجواد يثبت إيجادك و المقسط يثبت مرتبتك و المرتبة آخر منازل الوجود فهذه حقائق لا بد من وجودها فلا بد من أسمائها التي هي أربابها فالحي رب الأرباب و المربوبين و هو الإمام و يليه في الرتبة العالم و يلي العالم المريد و يلي المريد القائل و يلي القائل القادر و يلي القادر الجواد و آخرهم المقسط فإنه رب المراتب و هي آخر منازل الوجود و ما بقي من الأسماء فتحت طاعة هؤلاء الأسماء الأئمة الأرباب و كان سبب توجه هؤلاء الأسماء إلى الاسم الله في إيجاد العالم بقية الأسماء مع حقائقها أيضا على إن أئمة الأسماء من غير نظر إلى العالم إنما هي أربعة لا غير اسمه الحي و المتكلم و السميع و البصير فإنه إذا سمع كلامه و رأى ذاته فقد كمل وجوده في ذاته من غير نظر إلى العالم و نحن لا نريد من الأسماء إلا ما يقوم بها وجود العالم فكثرت علينا الأسماء فعدلنا إلى أربابها فدخلنا عليهم في حضراتهم فما وجدنا غير هؤلاء الذين ذكرناهم و أبرزناهم على حسب ما شاهدناهم فكان سبب توجه أرباب الأسماء إلى الاسم الله في إيجاد أعياننا بقية الأسماء فأول من قام لطلب هذا العالم الاسم المدبر و المفصل عن سؤال الاسم الملك فعند ما توجه على الشيء عنه وجد المثال في نفس العالم من غير عدم متقدم و لكن تقدم مرتبة لا تقدم وجود كتقدم طلوع الشمس على أول النهار و إن كان أول النهار مقارنا لطلوع الشمس و لكن قد تبين أن العلة في وجود أول النهار طلوع الشمس و قد قارنه في الوجود فهكذا هو هذا الأمر فلما دبر العالم و فصله هذان الاسمان من غير جهل متقدم به أو عدم علم و انتشأت صورة المثال في نفس العالم تعلق اسمه العالم إذ ذاك بذلك المثال كما تعلق بالصورة التي أخذ منها و إن كانت غير مرئية لأنها غير موجودة كما سنذكره في باب مم وجد العالم فأول أسماء العالم هذان الاسمان و الاسم المدبر هو الذي حقق وقت الإيجاد المقدر فتعلق به المريد على حد ما أبرزه المدبر و دبره و ما عملا شيئا من نشء هذا المثال إلا بمشاركة بقية الأسماء لكن من وراء حجاب هذين الاسمين و لهذا صحت لهما الإمامة و الآخرون لا يشعرون بذلك حتى بدت صورة المثال فرأوا ما فيه من الحقائق المناسبة لهم تجذبهم للتعشق بها فصار كل اسم يتعشق بحقيقته التي في المثال و لكن لا يقدر على التأثير فيها إذ لا تعطي الحضرة التي تجلى فيها هذا المثال فأداهم ذلك التعشق و الحب إلى الطلب و السعي و الرغبة في إيجاد صورة عين ذلك المثال ليظهر سلطانهم و يصح على الحقيقة وجودهم فلا شيء أعظم هما من عزيز لا يجد عزيزا يقهره حتى يذل تحت قهره فيصح سلطان عزه أو غني لا يجد من يفتقر إلى غناه و هكذا جميع هذه الأسماء فلجأت إلى أربابها الأئمة السبعة التي ذكرناها ترغب إليها في إيجاد عين هذا المثال الذي شاهدوه في ذات العالم به و هو المعبر عنه بالعالم و ربما يقول القائل يا أيها المحقق و كيف ترى الأسماء هذا المثال و لا يراه إلا الاسم البصير خاصة لا غيره و كل اسم على حقيقة ليس الاسم الآخر عليها قلنا له لتعلم وفقك الله أن كل اسم إلهي يتضمن جميع الأسماء كلها و أن كل اسم ينعت بجميع الأسماء في أفقه فكل اسم فهو حي قادر سميع بصير

متكلم في أفقه و في علمه و إلا فكيف يصح أن يكون ربا لعابده هيهات غير إن ثم لطيفة لا يشعر بها و ذلك أنك تعلم قطعا في حبوب البر و أمثاله إن كل برة فيها من الحقائق ما في أختها كما تعلم أيضا أن هذه الحبة ليست عين هذه الحبة الأخرى و إن كانتا تحويان على حقائق متماثلة فإنهما مثلان فابحث عن هذه الحقيقة التي تجعلك تفرق بين هاتين الحبتين و تقول إن هذه ليست عين هذه و هذا سار في جميع المتماثلات من حيث ما تماثلوا به كذلك الأسماء كل اسم جامع لما جمعت الأسماء من الحقائق ثم تعلم على القطع أن هذا الاسم ليس هو هذا الآخر بتلك اللطيفة التي بها فرقت بين حبوب البر و كل متماثل فابحث عن هذا المعنى حتى تعرفه بالذكر لا بالفكر غير أني أريد أن أوقفك على حقيقة ما ذكرها أحد من المتقدمين و ربما ما أطلع عليها فربما خصصت بها و لا أدري هل تعطي لغيري بعدي أم لا من الحضرة التي أعطيتها فإن استقرأها أو فهمها من كتابي فأنا المعلم له و أما المتقدمون فلم يجدوها و ذلك أن كل اسم كما قررنا يجمع حقائق الأسماء و يحتوي عليها مع وجود اللطيفة التي وقع لك التمييز بها بين المثلين و ذلك أن الاسم المنعم و الاسم المعذب اللذين هما الظاهر و الباطن كل اسم من هذين الاسمين يتضمن ما تحويه سدنته من أولهم إلى آخرهم غير إن أرباب الأسماء و من سواهم من الأسماء على ثلاث مراتب منها ما يلحق بدرجات أرباب الأسماء و منها ما ينفرد بدرجة فمنها ما ينفرد بدرجة المنعم و بدرجة المعذب فهذه أسماء العالم محصورة و الله المستعان فلما لجأت الأسماء كلها إلى هؤلاء الأئمة و لجأت الأئمة إلى الاسم الله لجأ الاسم الله إلى الذات من حيث غناها عن الأسماء سائلا في إسعاف ما سألته الأسماء فيه فأنعم المحسان الجواد بذلك و قال قل للأئمة يتعلقون بإبراز العالم على حسب ما تعطيه حقائقهم فخرج إليهم الاسم الله و أخبرهم الخبر فانقلبوا مسرعين فرحين مبتهجين و لم يزالوا كذلك فنظروا إلى الحضرة التي أذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب فأوجدوا العالم كما سنذكره فيما يأتي من الأبواب بعد هذا إن شاء الله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس في معرفة أسرار بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ و الفاتحة من وجه ما لا من جميع الوجوه)

بسملة الأسماء ذو منظرين ... ما بين إبقاء و إفناء عين
إلا بمن قالت لمن حين ما ... خافت على النمل من الحطمتين
فقال من أضحكه قولها ... هل أثر يطلب من بعد عين
يا نفس يا نفس استقيمي فقد ... عاينت من نملتنا القبضتين
و هكذا في الحمد فاستثنها ... إن شئت أن تنعم بالجنتين
إحداهما من عسجد مشرق ... جملتها و أختها من لجين
يا أم قرآن العلى هل ترى ... من جهة الفرقان للفرقتين
أنت لنا السبع المثاني التي ... خص بها سيدنا دون مين

و خص من عاداك بالفرقتين　　　فأنت مفتاح الهدى للنهى

لما أردنا أن نفتتح معرفة الوجود و ابتداء العالم الذي هو عندنا المصحف الكبير الذي تلاه الحق علينا تلاوة حال كما إن القرآن تلاوة قول عندنا فالعالم حروف مخطوطة مرقومة في رق الوجود المنشور و لا تزال الكتابة فيه دائمة أبدا لا تنتهي و لما افتتح الله تعالى كتابه العزيز بفاتحة الكتاب و هذا كتاب أعني العالم الذي نتكلم عليه أردنا أن نفتتح بالكلام على أسرار الفاتحة و بسم الله فاتحة الفاتحة و هي آية أولى منها أو ملازمة لها كالعلاوة على الخلاف المعلوم بين العلماء فلا بد من الكلام على البسملة و ربما يقع الكلام على بعض آية من سورة البقرة آيتين أو ثلاث خاصة تبركا بكلام الحق سبحانه ثم نسوق الأبواب إن شاء الله تعالى فأقول إنه لما قدمنا إن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم و إنها المسلطة عليه و المؤثرة لذلك كان بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ عندنا خبر ابتداء مضمر و هو ابتداء العالم و ظهوره كأنه يقول ظهور العالم بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أي باسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم و اختص الثلاثة الأسماء لأن الحقائق تعطي ذلك فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلها و الرحمن صفة عامة فهو رحمن الدنيا و الآخرة بها رحم كل شيء من العالم في الدنيا و لما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلا بقبضة السعادة فإنها تنفرد عن أختها و كانت في الدنيا ممتزجة يولد كافرا و يموت مؤمنا أي ينشأ كافرا في عالم الشهادة و بالعكس و تارة و تارة و بعض العالم تميز بإحدى القبضتين بأخبار صادق فجاء الاسم الرحيم مختصا بالدار الآخرة لكل من آمن وتم العالم بهذه الثلاثة الأسماء جملة في الاسم الله و تفصيلا في الاسمين الرحمن الرحيم فتحقق ما ذكرناه فإني أريد أن أدخل إلى ما في طي البسملة و الفاتحة من بعض الأسرار كما شرطناه فلنبين و نقول بسم بالباء ظهر الوجود و بالنقطة تميز العابد من المعبود قيل للشبلي رضي الله عنه أنت الشبلي فقال أنا النقطة التي تحت الباء و هو قولنا النقطة للتمييز و هو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية و كان الشيخ أبو مدين رحمه الله يقول ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق في مقام الجمع و الوجود أي بي قام كل شيء و ظهر و هي من عالم الشهادة هذه الباء بدل من همزة الوصل التي كانت في الاسم قبل دخول الباء و احتيج إليها إذ لا ينطق بساكن فجلبت الهمزة المعبر عنها بالقدرة محركة عبارة عن الوجود ليتوصل بها إلى النطق الذي هو الإيجاد من إبداع و خلق بالساكن الذي هو العدم و هو أوان وجود المحدث بعد أن لم يكن و هو السين فدخل في الملك بالميم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى فصارت الباء بدلا من همزة الوصل أعني القدرة الأزلية و صارت حركة الباء لحركة الهمزة الذي هو الإيجاد و وقع الفرق بين الباء و الألف الواصلة فإن الألف تعطي الذات و الباء تعطي الصفة و لذلك كانت لعين الإيجاد أحق من الألف بالنقطة التي تحتها و هي الموجودات فصار في الباء الأنواع الثلاثة شكل الباء و النقطة و الحركة العوالم الثلاثة فكما في العالم الوسط توهم ما كذلك في نقطة الباء فالباء ملكوتية و النقطة جبروتية و الحركة شهادية ملكية و الألف المحذوفة التي هي بدل منها هي حقيقة القائم بالكل تعالى و احتجب رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء و على هذا الحد تأخذ كل مسألة في هذا الباب مستوفاة بطريق الإيجاز فبسم و ام واحد ثم وجدنا الألف من بسم قد ظهرت في اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ و بِسْمِ اللهِ مَجْراها بين الباء و السين و لم تظهر بين السين و الميم فلو لم تظهر في باسم

السفينة ما جرت السفينة و لو لم تظهر في اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ما علم المثل حقيقته و لا رأى صورته فتيقظ من سنة الغفلة و انتبه فلما كثر استعمالها في أوائل السور حذفت لوجود المثل مقامه في الخطاب و هو الباء فصار المثل مرآة للسين فصار السين مثالا و على هذا الترتيب نظام التركيب و إنما لم تظهر بين السين و الميم و هو محل التغيير و صفات الأفعال أن لو ظهرت لزال السين و الميم إذ ليسوا بصفة لازمة للقديم مثل الباء فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم إذ كان سبب بقاء وجودهم وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا و هو الرسول فهذه الباء و السين و الميم العالم كله ثم عمل الباء في الميم الخفض من طريق الشبه بالحدوث إذ الميم مقام الملك و هو العبودية و خفضتها الباء عرفتها بنفسها و أوقفتها على حقيقتها فمهما وجدت الباء وجدت الميم في مقام الإسلام فإن زالت الباء يوما ما لسبب طارئ و هو ترقي الميم إلى مقام الايمان فتح في عالم الجبروت بسبح و أشباهه فأمر بتنزيه المحل لتجلى المثل فقيل له سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الذي هو مغذيك بالمواد الإلهية فهو ربك بفتح الميم و جاءت الألف ظاهرة و زالت الباء لأن الأمر توجه عليها بالتسبيح و لا طاقة لها على ذلك و الباء محدثة مثلها و المحدث من باب الحقائق لا فعل له و لا بد لها من امتثال الأمر فلا بد من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم فلما ظهر فعلت القدرة في الميم التسبيح فسبح كما أمر و قيل له الأعلى لأنه مع الباء في الأسفل و في هذا المقام في الوسط و لا يسبح المسبح مثله و لا من هو دونه فلا بد أن يكون المسبح أعلى و لو كنا في تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى لأظهرنا أسرارها فلا يزال في هذا المقام حتى يتنزه في نفسه فإن من ينزهه منزه فإنه منزه عن تنزيهه فلا بد من هذا التنزيه أن يعود على المنزه و يكون هو الأعلى فإن الحق من باب الحقيقة لا يصح عليه الأعلى فإنه من أسماء الإضافة و ضرب من وجوه المناسبة فليس بأعلى و لا أسفل و لا أوسط تنزه عن ذلك و تعالى علوا كبيرا بل نسبة الأعلى و الأوسط و الأسفل إليه نسبة واحدة فإذا تنزه خرج عن حد الأمر و خرق حجاب السمع و حصل المقام الأعلى فارتفع الميم بمشاهدة القديم فحصل له الثناء التام بتبارك اسم ربك ذو الجلال و الإكرام فكان الاسم عين المسمى كذلك العبد عين المولى من تواضع لله رفعه الله و في الصحيح من الأخبار أن الحق يد العبد و رجله و لسانه و سمعه و بصره لو لم يقبل الخفض من الباء في باسم ما حصل له الرفع في النهاية في تبارك اسم ثم اعلم أن كل حرف من بسم مثلث على طبقات العوالم فاسم الباء باء و ألف و همزة و اسم السين سين و ياء و نون و اسم الميم ميم و ياء و ميم و الياء مثل الباء و هي حقيقة العبد في باب النداء فما أشرف هذا الموجود كيف انحصر في عابد و معبود فهذا شرف مطلق لا يقابله ضد لأن ما سوى وجود الحق تعالى و وجود العبد عدم محض لا عين له ثم إنه سكن السين من بسم تحت ذل الافتقار و الفاقة كسكوننا تحت طاعة الرسول لما قال مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ فسكنت السين من بسم لتتلقى من الباء الحق اليقين فلو تحركت قبل أن تسكن لاستبدت بنفسها و خيف عليها من الدعوى و هي سين مقدسة فسكنت فلما تلقت من الباء الحقيقة المطلوبة أعطيت الحركة فلم تتحرك في بعض المواطن إلا بعد ذهاب الباء إذ كان كلام التلميذ بحضور الشيخ في أمر ما سوء أدب إلا أن يأمره فامتثال الأمر هو الأدب فقال عند مفارقة الباء يخاطب أهل الدعوى تائها بما حصل له في المقام الأعلى سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ثم تحرك لمن أطاعه بالرحمة و

اللين فقال سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ يريد حضرة الباء فإن الجنة حضرة الرسول ع و كثيب الرؤية حضرة الحق فاصدق و سلم تكشف و تلحق فهذه الحضرة هي التي تنقله إلى الألف المرادة فكما أنه ينقلك الرسول إلى الله كذلك تنقلك حضرته التي هي الجنة إلى الكثيب الذي هو حضرة الحق ثم اعلم أن التنوين في بسم لتحقيق العبودة و إشارات التبعيض فلما ظهر منه التنوين اصطفاه الحق المبين بإضافة التشريف و التمكين فقال بِسْمِ الله فحذف التنوين العبدي لإضافته إلى المنزل الإلهي و لما كان تنوين تخلق لهذا صح له هذا التحقق و إلا فالسكون أولى به فاعلم انتهى الجزء التاسع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«وصل» قوله الله من بسم الله ينبغي لك أيها المسترشد أن تعرف أولا ما تحصل في هذه الكلمة الكريمة من الحروف و حينئذ يقع الكلام عليها إن شاء الله و حروفها أ ل ل أ ه و فأول ما أقول كلاما مجملا مرموزا ثم نأخذ في تبيينه ليسهل قبوله على عالم التركيب و ذلك أن العبد تعلق بالألف تعلق من اضطروا الالتجاء فأظهرته اللام الأولى ظهور أورثه الفوز من العدم و النجاة فلما صح ظهوره و انتشر في الوجود نوره و صح تعلقه بالمسمى و بطل تخلقه بالأسماء أفنته اللام الثانية بشهود الألف التي بعدها فناء لم تبق منه باقية و ذلك عسى ينكشف له المعمى ثم جاءت الواو بعد الهاء لتمكن المراد و بقيت الهاء لوجوده آخرا عند محو العباد من أجل العناد فذلك أوان الأجل المسمى و هذا هو المقام الذي تضمحل فيه أحوال السائرين و تنعدم فيه مقامات السالكين حتى يفنى من لم يكن و يبقى من لم يزل لا غير يثبت لظهوره و لا ظلام يبقى لنوره فإن لم تكن تره اعرف حقيقة إن لم تكن تكن أنت إذ كانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للذوات و هي العبودية يقول بعض السادة و قد سمع عاطسا يقول الْحَمْدُ لِلَّهِ فقال له ذلك السيد أتمها كما قال الله رَبِّ الْعالَمِينَ فقال العاطس يا سيدنا و من العالم حتى يذكر مع الله فقال له الآن قله يا أخي فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر و هذا هو مقام الوصلة و حال و له أهل الفناء عن أنفسهم و أما لو فنى عن فنائه لما قال الحمد لله لأن في قوله الحمد أثبت العبد الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم و بالثوب عند آخرين و لو قال رب العالمين لكان أرفع من المقام الذي كان فيه فذلك مقام الوارثين و لا مقام أعلى منه لأنه شهود لا يتحرك معه لسان و لا يضطرب معه جنان أهل هذا المقام في أحوالهم فاغرة أفواههم استولت عليهم أنوار الذات و بدت عليهم رسوم الصفات هم عرائس الله المخبأون عنده المحجوبون لديه الذين لا يعرفهم سواه كما لا يعرفون توجهم بتاج البهاء و إكليل السناء و أقعدهم على منابر الفناء عن القرب في بساط الأنس و مناجاة الديمومية بلسان القيومية أورثهم ذلك قوله عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ وبِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ فلم تزل القوة الإلهية تمدهم بالمشاهدة فيبرزون بالصفات في موضع القدمين فلا وله إلا من حيث الاقتداء و لا ذكر إلا إقامة سنة أو فرض لا يحيدون عن سواء السبيل فهم بالحق و إن خاطبوا الخلق و عاشروهم فليسوا معهم و إن رأوهم لم يروهم إذ لا يرون منهم إلا كونهم من جملة أفعال الله فهم يشاهدون الصنعة و الصانع مقاما عمريا كما

يقعد أحدكم مع نجار يصنع تابوتا فيشاهد الصنعة و الصانع و لا تحجبه الصنعة عن الصانع إلا إن شغل قلبه حسن الصنعة فإن الدنيا كما قال ع حلوة خضرة و هي من خضراء الدمن جارية حسناء في منبت سوء من أحسن إليها و أحبها أساءت إليه و حرمت عليه أخراه و لقد أحسن القائل

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت — له عن عدو في ثياب صديق

فهذه الطائفة الأمناء الصديقون إذا أيدهم الله بالقوة الإلهية و أمدهم فهم معه بهذه النسبة على وجه المثال و هذا أعلى مقام يرقى فيه و أشرف غاية ينتهي إليها هذه الغاية القصوى إذ لا غاية إلا من حيث التوحيد لا من حيث الموارد و الواردات و هو المستوي إذ لا استواء إلا الرفيق الأعلى فهنيئا لهذه العصابة بما نالوه من حقائق المشاهدة و هنيئا لنا على التصديق و التسليم لهم بالموافقة و المساعدة مر بنا جواد اللسان في حلبة الكلام فلنرجع إلى ما كنا بسبيله و السلام فأقول همزة هذا الاسم المحذوفة بالإضافة تحقيق اتصال الوحدانية و تمحيق انفصال الغيرة فالألف و اللام الملصقة كما تقدم لتحقيق المتصل و محق المنفصل و الألف الموجودة في اللام الثانية لمحو آثار الغير المتحصل و الواو التي بعد الهاء ليس لها في الخط أثر و معناها في الوجود بهاء الهوية قد انتشر أبداها في عالم الملك بذاتها فقال هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فبدأ بالهوية و ختم و ملكها الأمر في الوجود و العدم و جعلها دالة على الحدوث و القدم و هو آخر ذكر الذاكرين و أعلاه فرجع العجز على الصدر فلاحت ليلة القدر و وقف بوجودها أهل العناية و التأييد على حقائق التوحيد فالوجود في نقطة دائرة هذا الاسم ساكن و قد اشتمل عليه بحقيقته اشتمال الأماكن على المتمكن الساكن وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى

و الله قد ضرب الأقل لنوره — مثلا من المشكاة و النبراس

فقال تعالى و الله (أَلا إِنَّهُ) بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و صير الكل اسما و مسمى و أرسله مكشوفا و معمى (حل المقفل و تفصيل المجمل) يقول العبد الله فيثبت أولا و آخرا و ينفي باللامين باطنا و ظاهرا لزمت اللام الثانية الهاء بوساطة الألف العلمية ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الثلاثة اللام و لا خمسة إلا هو سادسهم فالألف سادس في حق الهاء رابع في حق اللام أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ العرش ظل الله العرش اللام الثانية و ما حواه اللام الأولى بطريق الملك و اللامان هما الظاهر و الباطن من باب الأسماء ظهرتا بين ألف الأول و ألف الآخر و هو مقام الاتصال لأن النهاية تنعطف على البداية و تتصل بها اتصال اتحاد ثم خرجت الهاء بواوها الباطنة مخرج الانفصال و الجزء المتصل بين اللام و الهاء هو السر الذي به تقع المشاهدة بين العبد و السيد و ذلك مركز الألف العلمية و هو مقام الاضمحلال ثم جعل تعالى في الخط المتصل جزءا بين اللامين للاتصال بين اللام الأولى التي هي عالم الملك و بين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت و هو مركز العالم الأوسط عالم الجبروت مقام النفس و لا بد من خطوط فارغة بين كل حرفين فتلك مقامات فناء رسوم السالكين من حضرة إلى حضرة (تتميم) الألف الأولى التي هي ألف الهمزة منقطعة و اللام الثانية ألفها متصل بها قطعت الألف في أوائل الخطوط لقوله ع كان الله و لا شيء معه

فلهذا قطعت و تنزه من الحروف من أشبهها في عدم الاتصال بما بعدها و الحروف التي أشبهتها على عدد الحقائق العامة العالية التي هي الأمهات و كذلك إذا كانت آخر الحروف تقطع الاتصال من البعدية الرقمية فكان انقطاع الألف تنبيها لما ذكرناه و كذلك إخوته فالألف للحق و أشباه الألف للخلق و ذلك د ذ ر ز و في جميع الحقائق جسم متغذ حساس ناطق و ما عداه ممن له لغة و انحصرت حقائق العالم الكلية فلما أراد وجود اللام الثانية و هي أول موجود في المعنى و إن تأخرت في الخط فإن معرفة الجسم تتقدم على معرفة الروح شاهدا و كذلك الخط شاهدا و هي عالم الملكوت أوجدها بقدرته و هي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به معرى من الإضافة و هي لا تفارق الألف فلما أوجدت هذه الألف اللام الثانية جعلها رئيسة فطلبت مرءوسا تكون عليه بالطبع فأوجد لها عالم الشهادة الذي هو اللام الأولى فلما نظرت إليه أشرق و أنار وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتابُ و هو الجزء الذي بين اللامين أمر سبحانه اللام الثانية أن تمد الأولى بما أمدها به تعالى من جود ذاته و أن تكون دليلها إليه فطلبت منه معنى تصرفه في جميع أمورها يكون لها كالوزير فتلقى إليه ما تريده فيلقيه على عالم اللام الأولى فأوجد لها الجزء المتصل باللامين المعبر عنه بالكتاب الأوسط و هو العالم الجبروتي و ليست له ذات قائمة مثل اللامين فإنه بمنزلة عالم الخيال عندنا فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء و ارتقم فيه ما أريد منها و وجهت به إلى اللام الأولى فامتثلت الطاعة حتى قالت بلى فلما رأت اللام الأولى الأمر قد أتاها من قبل اللام الثانية بوساطة الجزء الذي هو الشرع صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء راغبة له في أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده فلما صرفت الهمة إلى ذلك الجزء و اشتغلت بمشاهدته احتجبت عن الألف التي تقدمتها ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً و لو لم تصرف الهمة إلى ذلك الجزء لتلقت الأمر من الألف الأولى بلا واسطة و لكن لا يمكن لسر عظيم فإنها ألف الذات و الثانية ألف العلم (إشارة) ألا ترى أن اللام الثانية لما كانت مرادة مجتباة منزهة عن الوسائط كيف اتصلت بألف الوحدانية اتصالا شافيا حتى صار وجودها نطقا يدل على الألف دلالة صحيحة و إن كانت الذات خفيت فإن لفظك باللام يحقق الاتصال و يدلك عليها من عرف نفسه عرف ربه من عرف اللام الثانية عرف الألف فجعل نفسك دليلا عليك ثم جعل كونك دليلا عليك دليلا عليه في حق من بعد و قدم معرفة العبد بنفسه على معرفته بربه ثم بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه لما كان المراد منه أن يعرف ربه ألا ترى تعانق اللام الألف و كيف يوجد اللام في النطق قبل الألف و في هذا تنبيه لمن أدرك فهذه اللام الملكوتية تتلقى من ألف الوحدانية بغير واسطة فتورده على الجزء الجبروتي ليؤديه إلى لام الشهادة و الملك هكذا الأمر ما دام التركيب و الحجاب فلما حصلت الأولية و الآخرية و الظاهرية و الباطنية أراد تعالى كما قدم الألف منزهة عن الاتصال من كل الوجوه بالحروف أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء فلا يصح بقاء للعبد أولا و آخرا فأوجد الهاء مفردة بواو هويتها فإن توهم متوهم أن الهاء ملصقة إلى اللام فليست كذلك و إنما هي بعد الألف التي بعد اللام و الألف لا يتصل بها في البعدية شيء من الحروف فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كل شيء فذلك الاتصال باللام في الخط ليس باتصال فالهاء واحدة و الألف واحدة فاضرب الواحد في مثله يكن واحدا فصح انفصال الخلق عن الحق فبقي الحق و إذا صح تخلق اللام الملكية لما توردها عليها لام الملكوت فلا

تزال تضمحل عن صفاتها و تفني عن رسومها إلى أن تحصل في مقام الفناء عن نفسها فإذا فنيت عن ذاتها فنى الجزء لفنائها و اتحدت اللامان لفظا ينطق بها اللسان مشددة للادغام الذي حدث فصارت موجودة بين ألفين اشتملا عليها و أحاطا بها فأعطتنا الحكمة الموهوبة لما سمعنا لفظ الناطق بلا بين ألفين علمنا علم الضرورة أن المحدث فنى بظهور القديم فبقي ألفان أولى و أخرى و زال الظاهر و الباطن بزوال اللامين بكلمة النفي فضربنا الألف في الألف ضرب الواحد في الواحد فخرجت لك الهاء فلما ظهرت زال حكم الأول و الآخر الذي جعلته الواسطة كما زال حكم الظاهر و الباطن فقيل عند ذلك كان الله و لا شيء معه ثم أصل هذا الضمير الذي هو الهاء الرفع و لا بد فإن انفتح أو انخفض فتلك صفة تعود على من فتحه أو خفضه فهي عائدة على العامل الذي قبل في اللفظ (تكملة) ثم أوجد سبحانه الحركات و الحروف و المخارج تنبيها منه سبحانه و تعالى إن الذوات تتميز بالصفات و المقامات فجعل الحركات نظير الصفات و جعل الحروف نظير الموصوف و جعل المخارج نظير المقامات و المعارج فأعطى لهذا الاسم من الحروف على عموم وجوهه من وصل و قطع ء أ ل ه و همزة و ألفا و لاما و هاء و واوا فالهمزة أولا و الهاء آخر أو مخرجهما واحد مما يلي القلب ثم جعل بين الهمزة و الهاء حرف اللام و مخرجه اللسان ترجمان القلب فوقعت النسبة بين اللامين و الهمزة و الهاء كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محل الكلام و بين اللسان المترجم عنه قال الأخطل

إن الكلام لفي الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فلما كانت اللام من اللسان جعلها تنظر إليه لا إلى نفسها فأفناها عنها و هي الحنك الأسفل فلما نظرت إليه لا إلى ذاتها علت و ارتفعت إلى الحنك الأعلى و اشتد اللسان بها في الحنك اشتداد التمكن علوها و ارتفاعها بمشاهدته و خرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر مخبرة دالة عليه و ذلك مقام باطن النبوة و هي الشعرة التي فينا من الرسول صلى الله عليه و سلم و في ذلك يكون الورث فخرج من هذا الوصل أن الهمزة و الألف و الهاء من عالم الملكوت و اللام من عالم الجبروت و الواو من عالم الملك (وصل) قوله الرَّحْمنِ من البسملة الكلام على هذا الاسم في هذا الباب من وجهين من وجه الذات و من وجه الصفة فمن أعربه بدلا جعله ذاتا و من أعربه نعتا جعله صفة و الصفات ست و من شرط هذه الصفات الحياة فظهرت السبعة و جميع هذه الصفات للذات و هي الألف الموجودة بين الميم و النون من الرحمن و يتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبي صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته من حيث إعادة الضمير على الله و يؤيد هذا النظر الرواية الأخرى و هي قوله ع على صورة الرحمن و هذه الرواية و إن لم تصح من طريق أهل النقل فهي صحيحة من طريق الكشف فأقول إن الألف و اللام و الراء للعلم و الإرادة و القدرة و الحاء و الميم و النون مدلول الكلام و السمع و البصر و صفة الشرط التي هي الحياة مستصحبة لجميع هذه الصفات ثم الألف التي بين الميم و النون مدلول الموصوف و إنما حذفت خطا لدلالة الصفات عليها دلالة ضرورية من حيث قيام الصفة بالموصوف فتجلت للعالم الصفات و لذلك لم يعرفوا من الإله غيرها و لا يعرفونها ثم الذي يدل على وجود الألف و لا بد ما ذكرناه و زيادة و هي إشباع فتحة الميم و ذلك إشارة إلهية إلى بسط الرحمة على العالم فلا يكون أبدا ما قبل الألف إلا مفتوحا فتدل الفتحة

على الألف في مثل هذا الموطن و هو محل وجود الروح الذي له مقام البسط لمحل التجلي و لهذا ذكر أهل عالم التركيب في وضع الخطوط في حروف العلة الياء المكسور ما قبلها إذ قد توجد الياء الصحيحة و لا كسر قبلها و كذلك الواو المضموم ما قبلها و لما ذكروا الألف لم يقولوا المفتوح ما قبلها إذ لا توجد إلا و الفتح في الحرف الذي قبلها بخلاف الواو و الياء فالاعتدال للالف لازم أبدا فالجاهل إذا لم يعلم في الوجود منزها عن جميع النقائص إلا الله تعالى نسي الروح القدسي الأعلى فقال ما في الوجود إلا الله فلما سئل في التفصيل لم يوجد لديه تحصيل و إنما خصصوا الواو بالمضموم ما قبلها و الياء بالمكسور ما قبلها لما ذكرناه فصحت المفارقة بين الألف و بين الواو و الياء فالألف للذات و الواو العلية للصفات و الياء العلية للافعال الألف للروح و العقل صفته و هو الفتحة و الواو النفس و القبض صفتها و هو الضمة و الياء الجسم و وجود الفعل صفته و هو الخفض فإن انفتح ما قبل الواو و الياء فذلك راجع إلى حال المخاطب و لما كانتا غيرا و لا بد اختلفت عليهما الصفات و لما كانت الألف لا تقبل الحركات اتحدت بمدلولها فلم يختلف عليها شيء البتة و سميت حروف العلة لما نذكره فألف الذات علة لوجود الصفة و واو الصفة علة لوجود الفعل و ياء الفعل علة لوجود ما يصدر عنه في عالم الشهادة من حركة و سكون فلهذا سميت عللا ثم أوجد النون من هذا الاسم نصف دائرة في الشكل و النصف الآخر محصور معقول في النقطة التي تدل على النون الغيبية الذي هو نصف الدائرة و يحسب الناس النقطة أنها دليل على النون المحسوسة ثم أوجد مقدم الحاء مما يلي الألف المحذوفة في الرقم إشارة إلى مشاهدتها و لذلك سكنت و لو كان مقدمها إلى الراء لتحركت فالألف الأولى للعلم و اللام للإرادة و الراء للقدرة و هي صفة الإيجاد فوجدنا الألف لها الحركة من كونها همزة و الراء لها الحركة و اللام ساكنة فاتحدت الإرادة بالقدرة كما اتحد العلم و الإرادة بالقدرة إذا وصلت الرحمن بالله فأدغمت لام الإرادة في راء القدرة بعد ما قلبت راء و شدت لتحقيق الإيجاد الذي هو الحاء وجود الكلمة ساكنة و إنما سكنت لأنها لا تنقسم و الحركة منقسمة فلما كانت الحاء ساكنة سكونا حسيا و رأيناها مجاورة الراء راء القدرة عرفنا أنها الكلمة و تثمينها (تنبيه) أشار من أعربه بدلا من قوله الله إلى مقام الجمع و اتحاد الصفات و هو مقام من روى خلق آدم على صورته و ذلك وجود العبد في مقام الحق حد الخلافة و الخلافة تستدعي الملك بالضرورة و الملك ينقسم قسمين قسم راجع لذاته و قسم راجع لغيره و الواحد من الأقسام يصلح في هذا المقام على حد ما رتبنا فإن البدل في الموضع يحل محل المبدل منه مثل قولنا جاء بي أخوك زيد فزيد بدل من أخيك بدل الشيء من الشيء و هما لعين واحدة فإن زيدا هو أخوك و أخاك هو زيد بلا شك و هذا مقام من اعتقد خلافه فما وقف على حقيقة و لا وحد قط موجدة و أما من أعربه نعتا فإنه أشار إلى مقام التفرقة في الصفة و هو مقام من روى خلق آدم على صورة الرحمن و هذا مقام الوراثة و لا تقع إلا بين غيرين مقام الحجاب بمغيب الواحد و ظهور الثاني و هو المعبر عنه بالمثل و فيما قررنا دليل على ما أضمرنا فافهم ثم أظهر من النون الشطر الأسفل و هو الشطر الظاهر لنا من الفلك الدائر من نصف الدائرة و مركز العالم في الوسط من الخط الذي يمتد من طرف الشطر إلى الطرف الثاني و الشطر الثاني المستور في النقطة هو الشطر الغائب عنا من تحت نقيض الخط بالإضافة إلينا إذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل في جهة

فالشطر الموجود في الخط هو المشرق و الشطر المجموع في النقطة هو المغرب و هو مطلع وجود الأسرار فالمشرق و هو الظاهر المركب ينقسم و المغرب و هو الباطن البسيط لا ينقسم و فيه أقول

و لباطنه لا ينقسم	عجبا للظاهر ينقسم
و الباطن في أسد جلم	فالظاهر شمس في حمل
من تحت كنائفها الظلم	حقق و انظر معنى سترت
عجبا و الله هما القسم	إن كان خفي هو ذاك بدا
في الوتر يلوح و ينعدم	فأفزع للشمس و دع قمرا
علمي شفع يكن الكلم	و اخلع نعلي قدمي كوني

و لذلك يتعلق العلم بالمعلومات و الإرادة الواحدة بالمرادات و القدرة الواحدة بالمقدورات فتقع القسمة و التعداد في المقدورات و المعلومات و المرادات و هو الشطر الموجود في الرقم و يقع الاتحاد و التنزه عن الأوصاف الباطنية من علم و قدرة و إرادة و في هذا إشارة فافهم و لما كانت الحاء ثمانية و هو وجود كمال الذات و لذلك عبرنا عنه بالكلمة و الروح فكذلك النون خامسة في العشرات إذ يتقدمها الميم الذي هو رابع فالنون جسماني محل إيجاد مواد الروح و العقل و النفس و وجود الفعل و هذا كله مستودع في النون و هي كلية الإنسان الظاهرة و لهذا ظهرت (تتمة) و إنما فصل بين الميم و النون بالألف مان إذ الميم ملكوتية لما جعلناها للروح و النون ملكية و النقطة جبروتية لوجود سر سلب الدعوى كأنه يقول أي يا روح الذي هو الميم لم نصطفك من حيث أنت لكن عناية سبقت لك في وجود علمي و لو شئت لاطلعت على نقطة العقل و نون الإنسانية دون واسطة وجودك فاعرف نفسك و اعلم أن هذا اختصاص بك مني من حيث أنا لا من حيث أنت فصحت الاصطفائية فلا تجلى لغيره أبدا فالحمد لله على ما أولى فتنبه يا مسكين في وجود الميم دائرة على صورة الجسم مع التقدم كيف أشار به إلى التنزه عن الانقسام و انقسام الدائرة لا يتناهى فانقسام روح الميم بمعلوماته لا يتناهى و هو في ذاته لا ينقسم ثم انظر الميم إذا انفصل وحده كيف ظهرت منه مادة التعريق لما نزل إلى وجود الفعل في عالم الخطاب و التكليف فصارت المادة في حق الغير لا في حق نفسه إذ الدائرة تدل عليه خاصة فما زاد فليس في حقه إذ قد ثبتت ذاته فلم يبق إلا أن يكون في حق غيره فلما نظر العبد إلى المادة مد تعريقا و هذا هو وجود التحقيق ثم اعلم أن الجزء المتصل بين الميم و النون هو مركز ألف الذات و خفيت الألف ليقع الاتصال بين الميم و النون بطريق المادة و هو الجزء المتصل و لو ظهرت الألف لما صح التعريق للميم لأن الألف حالت بينهما و في هذا تنبيه على قوله رَبِّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ وجود الألف المرادة هذا على من أعربه مبتدأ و لا يصح من طريق التركيب و الصحيح أن يعرب بدلا من الرب فتبقى الألف هنا عبارة عن الروح و الحق قائم بالجميع و الميم السموات و النون الأرض و إذا ظهرت الألف بين الميم و النون فإن الاتصال بالميم لا بالنون فلا تأخذ النون صفة أبدا

من غير واسطة لقطعها و دل اتصالها بالميم على الأخذ بلا واسطة و العدم الذي صح به القطع فيه يفنى النون و يبقى الميم محجوبا عن سر قدمه بالنقطة التي في وسطه التي هي جوف دائرته بالنظر إلى ذاته بعد أن لم تكن فيما ظهر له (سؤال و جوابه) قيل فكيف عرفت سر قدمه و لم يعرفه هو و هو أحق بمعرفة نفسه منك إن نظرت إلى ظاهرك أو هل العالم بسر القدم فيه هو المعنى الموجود فيك المتكلم فيه و هو ميم الروح فقد وقف على سر قدمه الجواب عن ذلك أن الذي علم منا سر القدم هو الذي حجبناه هناك فمن الوجه الذي أثبتنا له العلم غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العلم و نقول إنما حصل له ذلك علما لا عينا و هذا موجود فليس من شرط من علم شيئًا أن يراه و الرؤية للمعلوم أتم من العلم به من وجه و أوضح في المعرفة به فكل عين علم و ليس كل علم عينا إذ ليس من شرط من علم إن ثم مكة رآها و إذا رآها قطعنا أنه يعلمها و لا أريد الاسم فللعين درجة على العلم معلومة كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكليم

بل أقول إن حقيقة سر القدم الذي هو حق اليقين لأنه لا يعاين فلم يشاهده لرجوعه لذات موجدة و لو علم ذات موجدة لكان نقصا في حقه فغاية كماله في معرفة نفسه بوجودها بعد أن لم تكن عينا هذا فصل عجيب إن تدبرته وقفت على عجائب فافهم (تكملة) اتصلت اللام بالراء اتصال اتحاد نطقا من حيث كونهما صفتين باطنتين فسهل عليهما الاتحاد و وجدت الحاء التي هي الكلمة المعبر عنها بالمقدور للراء منفصلة عن الراء التي هي القدرة ليتميز المقدور من القدرة و لئلا تتوهم الحاء المقدورة إنها صفة ذات القدرة فوقع الفرق بين القديم و المحدث فافهم يرحمك الله ثم لتعلم إن رحمن هو الاسم و هو للذات و الألف و اللام اللذان للتعريف هما الصفات و لذلك يقال رحمان مع زوالهما كما يقال ذات و لا تسمى صفة معهما انظر في اسم مسيلمة الكذاب تسمى برحمان و لم يهد إلى الألف و اللام لأن الذات محل الدعوى عند كل أحد و بالصفات يفتضح المدعي فرحمان مقام الجمع و هو مقام الجهل أشرف ما يرتقى إليه في طريق الله الجهل به تعالى و معرفته الجهل به فإنها حقيقة العبودية قال تعالى وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فجردك و مما يؤيد هذا قوله تعالى وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا و قوله الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ فبحقيقة الاستخلاف سلب مسيلمة و إبليس و الدجال و كان من حالهم ما علم فلو استحقوه ذاتا ما سلبوه البتة و لكن إن نظرت بعين التنفيذ و القبول الكلي لا بعين الأمر وجدت المخالف طائعا و المعوج مستقيما و الكل داخل في الرق شاءوا أم أبوا فأما إبليس و مسيلمة فصرحا بالعبودية و الدجال أبي فتأمل من أين تكلم كل واحد منهم و ما الحقائق التي لاحت لهم حتى أوجبت لهم هذه الأحوال (تتمة) لما نطقنا بقوله بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لم يظهر للالف و اللام وجود فصار الاتصال من الذات للذات و الله و الرحمن اسمان للذات فرجع على نفسه بنفسه و لهذا قال صلى الله عليه و سلم و أعوذ بك منك لما انتهى إلى الذات لم ير غيرا و قد قال أعوذ بك و لا بد من مستعاذ منه فكشف له عنه فقال منك و منك هو و الدليل عليه أعوذ و لا يصح أن يفصل فإنه في الذات و لا يجوز التفصيل فيها فتبين من هذا أن كلمة الله هي العبد فكما إن لفظة الله للذات دليل كذلك العبد الجامع الكلي فالعبد هو كلمة الجلالة قال بعض المحققين في حال ما أنا الله و

قالها أيضا بعض الصوفية من مقامين مختلفين و شتان بين مقام المعنى و مقام الحرف الذي وجد له فقابل تعالى الحرف بالحرف أعوذ برضاك من سخطك و قابل المعنى بالمعنى و أعوذ بك منك و هذا غاية المعرفة (خاتمة) و لعلك تفرق بين الله و بين الرحمن لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى اعْبُدُوا الله و لم يقولوا و ما الله و لما قيل لهم اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَما الرَّحْمنُ و لهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم و عند آخرين البدل أولى لقوله تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فجعلها للذات و لم تنكر العرب كلمة الله فإنهم القائلون ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فعلموه و لما كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة و هي صفة موجودة فيهم خافوا أن يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم فأنكروا و قالوا وَما الرَّحْمنُ لما لم يكن من شرط كل كلام أن يفهم معناه و لهذا قال قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ لما كان اللفظان راجعين إلى ذات واحدة و ذلك حقيقة العبد و الباري منزه عن إدراك التوهم و العلم المحيط به جل عن ذلك (وصل) في قوله الرَّحِيمِ من البسملة الرحيم صفة محمد صلى الله عليه و سلم قال تعالى بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ و به كمال الوجود و بالرحيم تمت البسملة و بتمامها تم العالم خلقا و إبداعا و كان ع مبتدأ وجود العالم عقلا و نفسا متى كنت نبيا قال و آدم بين الماء و الطين فبه بديء الوجود باطنا و به ختم المقام ظاهرا في عالم التخطيط فقال لا رسول بعدي و لا نبي فالرحيم هو محمد صلى الله عليه و سلم و بسم هو أبونا آدم و أعني في مقام ابتداء الأمر و نهايته و ذلك أن آدم ع هو حامل الأسماء قال تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها و محمد صلى الله عليه و سلم حامل معاني تلك الأسماء التي حملها آدم عليهما السلام و هي الكلم قال صلى الله عليه و سلم أوتيت جوامع الكلم و من أثنى على نفسه أمكن و أتم ممن أثنى عليه كيحيى و عيسى عليهما السلام و من حصل له الذات فالأسماء تحت حكمه و ليس من حصل الأسماء أن يكون المسمى محصلا عنده و بهذا أفضلت الصحابة علينا فإنهم حصلوا الذات و حصلنا الاسم و لما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الأجر و لحسرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان تضعيف على تضعيف فنحن الإخوان و هم الأصحاب و هو صلى الله عليه و سلم إلينا بالأشواق و ما أفرحه بلقاء واحد منا و كيف لا يفرح و قد ورد عليه من كان بالأشواق إليه فهل تقاس كرامته به و بره و تحفيه و للعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه لا من أعيانهم لكن من أمثالهم فذلك قوله بل منكم فجدوا و اجتهدوا حتى يعرفوا أنهم خلفوا بعدهم رجالا لو أدركوه ما سبقوهم إليه و من هنا تقع المجازاة و الله المستعان (تنبيه) ثم لتعلم إن بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أربعة ألفاظها أربعة معان فتلك ثمانية و هم حملة العرش المحيط و هم من العرش و هنا هم الحملة من وجه و العرش من وجه فانظر و استخرج من ذاتك لذاتك (تنبيه) ثم وجدنا ميم بسم الذي هو آدم ع معرقا و وجدنا ميم الرحيم معرقا الذي هو محمد صلى الله عليه و سلم تسليما فعلمنا إن مادة ميم آدم ع لوجود عالم التركيب إذ لم يكن مبعوثا و علمنا إن مادة ميم محمد صلى الله عليه و سلم لوجود الخطاب عموما كما كان آدم عندنا عموما فلهذا امتدا (أنبأه) قال سيدنا الذي لا ينطق عن الهوى إن صلحت أمتي فلها يوم و إن فسدت فلها نصف يوم و اليوم رباني فإن أيام الرب كل يوم من ألف سنة مما نعد بخلاف أيام الله و أيام ذي المعارج فإن هذه الأيام أكبر فلكا من أيام الرب و سيأتي إن شاء الله ذكرها في داخل الكتاب في معرفة الأزمان و صلاح الأمة

بنظرها إليه صلى الله عليه و سلم و فسادها بإعراضها عنه فوجدنا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يتضمن ألف معنى كل معنى لا يحصل إلا بعد انقضاء حول و لا بد من حصول هذه المعاني التي تضمنها بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لأنه ما ظهر إلا ليعطي معناه فلا بد من كمال ألف سنة لهذه الأمة و هي في أول دورة الميزان و مدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة و لهذا ظهر فيها من العلوم الإلهية ما لم يظهر في غيرها من الأمم فإن الدورة التي انقضت كانت ترابية فغاية علمهم بالطبائع و الإلهيون فيهم غرباء قليلون جدا يكاد لا يظهر لهم عين ثم إن المتأله منهم ممتزج بالطبيعة و لا بد و المتأله منا صرف خالص لا سبيل لحكم الطبع عليه (مفتاح) ثم وجدنا في الله و في الرحمن ألفين ألف الذات و ألف العلم ألف الذات خفية و ألف العلم ظاهرة لتجلى الصفة على العالم ثم أيضا خفيت في الله و لم تظهر لرفع الالتباس في الخط بين الله و اللاه و وجدنا في بسم الذي هو آدم ع ألفا واحدة خفيت لظهور الباء و وجدنا في الرحيم الذي هو محمد صلى الله عليه و سلم ألفا واحدة ظاهرة و هي ألف العلم و نفس سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم الذات فخفيت في آدم ع الألف لأنه لم يكن مرسلا إلى أحد فلم يحتج إلى ظهور الصفة و ظهرت في سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم لكونه مرسلا فطلب التأييد فأعطى الألف فظهر بها ثم وجدنا الباء من بسم قد عملت في ميم الرحيم فكان عمل آدم في محمد صلى الله عليه و سلم وجود التركيب و في الله عمل سبب داع و في الرحمن عمل بسبب مدعو و لما رأينا أن النهاية أشرف من البداية قلنا من عرف نفسه عرف ربه و الاسم سلم إلى المسمى و لما علمنا إن روح الرحيم عمل في روح بسم لكونه نبيا و آدم بين الماء و الطين و لولاهما ما كان سمي آدم علمنا إن بسم هو الرحيم إذ لا يعمل شيء إلا من نفسه لا من غيره فانعدمت النهاية و البداية و الشرك و التوحيد و ظهر عز الاتحاد و سلطانه فمحمد للجمع و آدم للتفريق (إيضاح) الدليل على إن الألف في قوله الرَّحِيمِ ألف العلم قوله وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ و في ألف باسم ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ فالألف الألف وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ باطن التوحيد وَ لا أَكْثَرَ يريد ظاهره ثم خفيت الألف في آدم من باسم لأنه أول موجود و لم يكن له منازع يدعي مقامه فدل بذاته من أول وهلة على وجود موجدة لما كان مفتتح وجودنا و ذلك لما نظر في وجوده تعرض له أمران هل أوجده موجود لا أول له أو هل أوجد هو نفسه و محال أن يوجد هو نفسه لأنه لا يخلو أن يوجد نفسه و هو موجود أو يوجدها و هو معدوم فإن كان موجودا فما الذي أوجد و إن كان معدوما فكيف يصح منه إيجاد و هو عدم فلم يبق إلا أن يوجده غيره و هو الألف و لذلك كانت السين ساكنة و هو العدم و الميم متحركة و هو أوان الإيجاب فلما دل عليه من أول وهلة خفيت الألف لقوة الدلالة و ظهرت في الرحيم لضعف الدلالة لمحمد صلى الله عليه و سلم لوجود المنازع فأيده بالألف فصار الرحيم محمدا و الألف منه الحق المؤيد له من اسمه الظاهر قال تعالى فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ فقال قولوا لا إله إلا الله و إني رسوله فمن آمن بلفظه لم يخرج من رق الشرك و هو من أهل الجنة و من آمن بمعناه انتظم في سلك التوحيد فصحت له الجنة الثامنة و كان ممن آمن بنفسه فلم يكن في ميزان غيره إذ قد وقعت السوية و اتحدت الاصطفائية جمعا و اختلفت رسالة و وجدنا بسم ذا نقطة و الرحمن كذلك و الرحيم ذا نقطتين و الله مصمت فلم توجد في الله لما كان الذات و وجدت فيما بقي لكونهم محل الصفات فاتحدت في بسم آدم لكونه فردا غير مرسل و اتحدت في الرحمن لأنه آدم و

هو المستوي على عرش الكائنات المركبات و بقي الكلام على نقطتي الرحيم مع ظهور الألف فالياء الليالي العشر و النقطتان الشفع و الألف الوتر و الاسم بكليته و الفجر و معناه الباطن الجبروتي و الليل إذا يسرى و هو الغيب الملكوتي و ترتيب النقطتين الواحدة مما تلي الميم و الثانية مما تلي الألف و الميم وجود العالم الذي بعث إليهم و النقطة التي تليه أبو بكر رضي الله عنه و النقطة التي تلي الألف محمد صلى الله عليه و سلم و قد تقببت الياء عليهما كالغار إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا فإنه واقف مع صدقه و محمد ع واقف مع الحق في الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت فهو الحكيم كفعله يوم بدر في الدعاء و الإلحاح و أبو بكر عن ذلك صاح فإن الحكيم يوفي المواطن حقها و لما لم يصح اجتماع صادقين معا لذلك لم يقم أبو بكر في حال النبي صلى الله عليه و سلم و ثبت مع صدقه به فلو فقد النبي صلى الله عليه و سلم في ذلك الموطن و حضره أبو بكر لقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه ليس ثم أعلى منه يحجبه عن ذلك فهو صادق ذلك الوقت و حكيمه و ما سواه تحت حكمه فلما نظرت نقطة أبي بكر إلى الطالبين أسف عليه فأظهر الشدة و غلب الصدق و قال لا تَحْزَنْ لأثر ذلك الأسف إِنَّ اللهَ مَعَنا كما أخبرتنا و إن جعل منازع أن محمدا هو القائل لم نبال لما كان مقامه صلى الله عليه و سلم الجمع و التفرقة معا و علم من أبي بكر الأسف و نظر إلى الألف فتأيد و علم أن أمره مستمر إلى يوم القيامة قال لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا و هذا أشرف مقام ينتهي إليه تقدم الله عليك ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله شهود بكري وراثة محمدية و خاطب الناس بمن عرف نفسه عرف ربه و هو قوله تعالى يخبر عن ربه تعالى كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ و المقالة عندنا إنما كانت لأبي بكر رضي الله عنه و يؤيدنا قول النبي صلى الله عليه و سلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ! فالنبي صلى الله عليه و سلم ليس بمصاحب و بعضهم أصحاب بعض و هم له أنصار و أعوان فافهم إشارتنا تهد إلى سواء السبيل (لطيفة) النقطتان الرحيمية موضع القدمين و هو أحد خلع النعلين الأمر و النهي و الألف الليلة المباركة و هي غيب محمد صلى الله عليه و سلم ثم فرق فيه إلى الأمر و النهي و هو قوله فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ و هو الكرسي و الحاء العرش و الميم ما حواه و الألف حد المستوي و الراء صريف القلم و النون الدواة التي في اللام فكتب ما كان و ما يكون في قرطاس لوح الرحيم و هو اللوح المحفوظ المعبر عنه بكل شيء في الكتاب العزيز من باب الإشارة و التنبيه قال تعالى وَكَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ و هو اللوح المحفوظ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ و هو اللوح المحفوظ الجامع ذلك عبارة عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله أوتيت جوامع الكلم موعظة و تفصيلا و هما نقطتا الأمر و النهي لكل شيء غيب محمد الألف المشار إليه بالليلة المباركة فالألف للعلم و هو المستوي و اللام للإرادة و هو النون أعني الدواة و الراء للقدرة و هو القلم و الحاء للعرش و الياء للكرسي و رأس الميم للسماء و تعريقه للأرض فهذه سبعة أنجم نجم منها يسبح في فلك الجسم و نجم في فلك النفس الناطقة و نجم في فلك سر النفس و هو الصديقية و نجم في فلك القلب و نجم في فلك العقل و نجم في فلك الروح فحل ما قفلنا و فيما قررنا مفتاح لما أضمرنا فاطلب تجد إن شاء الله ف بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و إن تعدد فهو واحد إذا حقق من وجه ما (وصل في أسرار أم القرآن من طريق خاص) و هي فاتحة الكتاب و السبع المثاني و القرآن العظيم و الكافية و البسملة آية منها و هي تتضمن

الرب و العبد و لنا في تقسيمها قريض منه

في سورة الحمد يبدو ثالث لهما — للنيرين طلوع بالفؤاد فما
لو لا الشروق لقد ألفيته عدما — فالبدر محو و شمس الذات مشرقة
و البدر للمغرب العقلي قد لزما — هذي النجوم بأفق الشرق طالعة
يلوح في الفلك العلوي مرتسما — فإن تبدي فلا نجم و لا قمر

فهي فاتحة الكتاب لأن الكتاب عبارة من باب الإشارة عن المبدع الأول فالكتاب يتضمن الفاتحة و غيرها لأنها منه و إنما صح لها اسم الفاتحة من حيث إنها أول ما افتتح بها كتاب الوجود و هي عبارة عن المثل المنزه في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ بأن تكون الكاف عين الصفة فلما أوجد المثل الذي هو الفاتحة أوجد بعده الكتاب و جعله مفتاحا له فتأمل و هي أم القرآن لأن الأم محل الإيجاد و الموجود فيها هو القرآن و الموجد الفاعل في الأم فالأم هي الجامعة الكلية و هي أم الكتاب الذي عنده في قوله تعالى وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ فانظر عيسى و مريم عليهما السلام و فاعل الإيجاد يخرج لك عكس ما بدا لحسك فالأم عيسى و الابن الذي هو الكتاب العندي أو القرآن مريم عليهما السلام فافهم و كذلك الروح ازدوج مع النفس بواسطة العقل فصارت النفس محل الإيجاد حسا و الروح ما أتاها إلا من النفس فالنفس الأب فهذه النفس هو الكتاب المرقوم لنفوذ الخط فظهر في الابن ما خط القلم في الأم و هو القرآن الخارج على عالم الشهادة و الأم أيضا عبارة عن وجود المثل محل الأسرار فهو الرق المنشور الذي أودع فيه الكتاب المسطور المودعة فيه تلك الأسرار الإلهية فالكتاب هنا أعلى من الفاتحة إذ الفاتحة دليل الكتاب و مدلولها و شرف الدليل بحسب ما يدل عليه أرأيت لو كان مفتاحا لضد الكتاب المعلوم أن لو فرض له ضد حقر الدليل لحقارة المدلول و لهذا أشار النبي صلى الله عليه و سلم أن لا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو لدلالة تلك الحروف على كلام الله تعالى إذ قد سماها الحق كلام الله و الحروف الذي فيه أمثالها و أمثال الكلمات إذا لم يقصد بها الدلالة على كلام الله يسافر بها إلى أرض العدو و يدخل بها مواضع النجاسات و أشباهها و الكشف و هي السبع المثاني و القرآن العظيم الصفات ظهرت في الوجود في واحد و واحد فحضرة تفرد و حضرة تجمع فمن البسملة إلى الدين إفراد و كذلك من اهْدِنَا إلى الضَّالِّينَ و قوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ تشمل قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل فلك السؤال و منه العطاء كما إن له السؤال بالأمر و النهي و لك الامتثال يقول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقول الله أثنى على عبدي يقول العبد ملك (مالِكِ) يَوْمِ الدِّينِ يقول الله مجدني عبدي و مرة قال فوض إلى عبدي هذا إفراد إلهي و في رواية يقول العبد بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقول الله ذكرني عبدي ثم قال يقول العبد إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يقول الله هذه بيني و بين عبدي و لعبدي ما سأل فما هي العطاء و إياك في الموضعين ملحق بالإفراد الإلهي يقول العبد اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ فهؤلاء لعبدي هذا هو الإفراد العبدي المألوه و

لعبدي ما سأل سأل مألوه ما إلها فلم تبق إلا حضرتان فصح المثاني فظهرت في الحق وجودا و في العبد الكلي إيجادا فوصف نفسه بها و لا موجود سواه في العماء ثم وصف بها عبده حين استخلفه و لذلك خروا له ساجدين لتمكن الصورة و وقع الفرق من موضع القدمين إلى يوم القيامة و القرآن العظيم الجمع و الوجود و هو إفراده عنك و جمعك به و ليس سوى قوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و حسب وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (واقعة) أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم عثمان رضي الله عنه إلي آمرا بالكلام في المنام بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي و نجا الكل من أسر الهلاك و قرب المنبر الأسنى و صعدت عليه عن الأذن العالي المحمدي الأسمى بالاقتصار على لفظة الحمد لله خاصة و نزل التأييد و رسول الله صلى الله عليه و سلم عن يمين المنبر قاعد فقال العبد بعد ما أنشد و حمد و أثنى و بسمل حقيقة الحمد هي العبد المقدس المنزه لله إشارة إلى الذات الأزلية و هو مقام انفصال وجود العبد من وجود الإله ثم غيبه عن وجوده بوجوده الأزلي و أوصله به فقال لله فاللام الداخلة على قوله الله الخافضة له هي حقيقة المألوه في باب التواضع و الذلة و هي من حروف المعاني لا من حروف الهجاء ثم قدمها سبحانه على اسم نفسه تشريفا لها و تهمما و تنزيها لمعرفتها بنفسها و تصديقا لتقديم النبي صلى الله عليه و سلم إياها في قوله من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة النفس على معرفة الرب ثم عملت في الاسم الله لتحقيق الاتصال و تمكينها من المقام و لما كانت في مقام الوصلة ربما توهم أن الحمد غير اللام فخفض العبد اتباعا لحركة اللام فقرئ الحمد لله بخفض الدال فكان لفظة الحمد بدلا من اللام بدل شيء من شيء و هما لعين واحدة فالحمد هو وجود اللام و اللام هي الحمد فإذا كانا شيئا واحدا كان الحمد في مقام الوصلة مع الله لأنه عين اللام فكان معنى كما كانت اللام لفظا و معنى ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبودية ثم أحيانا يفنيها عن نفسها فناء كليا ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأولية ثم يبقى حقيقتها في الآخرية فيقول الحمد لله برفع اللام اتباعا لحركة الدال و هذا مما يؤيد أن الحمد اللام و هو المعبر عنه بالرداء و الثوب إذ كان هو محل الصفات و افتراق الجمع فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت و الحق وراء ذلك كله أو قل و مع ذلك كله فلما رفعها بالفناء عنها ابتداء أراد أن يعرفها مع فنائها إنها ما برحت من مقامها فجعلها عاملة و جعل رفعها عارضا في حق الحق فأبقى الهاء مكسورة تدل على وجود اللام في مقام خفض العبودة و لهذا شدت اللام الوسطى بلفظة لا أي ذات الحق ليست ذات العبد و إنما هي حقيقة المثل لتجلى الصورة ثم الهاء تعود على اللام لما هي معمولها فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحق لم تعمل فيها اللام بل هو العامل في كل شيء فإذا كانت اللام هي نفس الحمد و الهاء معمول اللام فالهاء هي اللام و قد كانت اللام هي الحمد فالهاء الحمد بلا مزيد و قد قلنا إن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد موضع الفصل فخرج من مضمون هذا الكلام أن الحمد هو قوله لله و أن قوله لله هو قوله الحمد فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرآة إذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم فأحدث المثل على الصورة و صار الموحد مرآة فلما تجلت صورة المثل في مرآة الذات قال لها حين أبصرت الذات فعطست فميزت نفسها احمدي من رأيت فحمدت نفسها فقالت الحمد لله فقال لها يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك فسبقت رحمته غضبه و لهذا قال عقيب قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . . . الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فقدم الرحمة ثم قال غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ فأخر غضبه فسبقت الرحمة الغضب في أول افتتاح الوجود فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة ثم رحم بعد ذلك فجاءت رحمتان بينهما غضب فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنهما مثلان فانضمت هذه إلى هذه فانعدم الغضب بينهما كما قال بعضهم في يسرين بينهما عسر

فكر في أ لم نشرح إذا ضاق عليك الأمر

إذا ذكرته فافرح فعسر بين يسرين

فالرحمة عبارة عن الموجود الأول المعبر عنه بالمطلوب و المغضوب عليهم النفس الأمارة و الضالون عالم التركيب ما دامت هي مغضوبة عليها إذ الباري منزه عن أن ينزه إذ لا غير و لا موجود إلا هو و لهذا أشار صلى الله عليه و سلم بقوله المؤمن مرآة أخيه لوجود الصورة على كمالها إذ هي محل المعرفة و هي الموصلة و لو أوجده على غير تلك الصورة لكان جمادا فالحمد لله الذي من على العارفين به الواقفين معه بمواد العناية أزلا و أبدا (تنبيه) اللام تفني الرسم كما إن الباء تبقيه و لهذا قال أبو العباس بن العريف العلماء لي و العارفون بي فأثبت المقام الأعلى للام فإنه قال في كلامه و العارفون بالهمم ثم قال في حق اللام و الحق وراء ذلك كله ثم زاد تنبيها على ذلك و لم يقنع بهذا وحده فقال و الهمم للوصول و الهمة للعارفين البائنين و قال في العلماء اللاميين و إنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم و هذا هو مقام اللام فناء الرسم فالحمد لله أعلى من الحمد بالله فإن الحمد بالله يبقيك و الحمد لله يفنيك فإذا قال العالم الحمد لله أي لا حامد لله إلا هو فأحرى أن لا يكون ثم محمود سواه و تقول العامة الحمد لله أي لا محمود إلا الله و هي الحامدة فاشتركا في صورة اللفظ فالعلماء أفنت الحامدين المخلوقين و المحمودين و العامة أفنت المحمودين من الخلق خاصة و أما العارفون فلا يتمكن لهم أن يقولوا الحمد لله إلا مثل العامة و إنما مقامهم الحمد بالله لبقاء نفوسهم عندهم فتحقق هذا الفصل فإنه من لباب المعرفة (وصل في قوله رَبِّ الْعالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) أثبت بقوله عندنا و في قلوبنا رب العالمين حضرة الربوبية و هذا مقام العارف و رسوخ قدم النفس و هو موضع الصفة فإن قولنا لله ذاتية المشهد عالية المتحد ثم أتبعه بقوله رَبِّ الْعالَمِينَ أي مربيهم و مغذيهم و العالمين عبارة عن كل ما سوى الله و التربية تنقسم قسمين تربية بواسطة و بغير واسطة فأما الكلمة فلا يتصور واسطة في حقه البتة و أما من دونه فلا بد من الواسطة ثم تنقسم التربية قسمين التي بالواسطة خاصة قسم محمود و قسم مذموم و من القديم تعالى إلى النفس و النفس داخلة في الحد ما ثم إلا محدود خاصة و أما المذموم و المحمود فمن النفس إلى عالم الحس فكانت النفس محلا قابلا لوجود التغيير و التطهير فنقول إن الله تعالى لما أوجد الكلمة المعبر عنها بالروح الكلي إيجاد إبداع أوجدها في مقام الجهل و محل السلب أي أعماه عن رؤية نفسه فبقي لا يعرف من أين صدر و لا كيف صدر و كان الغذاء فيه الذي هو سبب حياته و بقائه و هو لا يعلم فحرك الله همته لطلب ما عنده و هو لا يدري أنه عنده فأخذ في الرحلة بهمته فأشهده الحق تعالى ذاته فسكن و عرف أن الذي طلب لم يزل موصوفا قال إبراهيم بن مسعود الإليري

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

و علم ما أودع الله فيه من الأسرار و الحكم و تحقق عنده حدوثه و عرف ذاته معرفة إحاطية فكانت تلك المعرفة له غذاء معينا يتقوت به و تدوم حياته إلى غير نهاية فقال له عند ذلك التجلي الأقدس ما اسمي عندك فقال أنت ربي فلم يعرفه إلا في حضرة الربوبية و تفرد القديم بالألوهية فإنه لا يعرفه إلا هو فقال له سبحانه أنت مربوبي و أنا ربك أعطيتك أسمائي و صفاتي فمن رآك رآني و من أطاعك أطاعني و من علمك علمني و من جهلك جهلني فغاية من دونك أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك و غاية معرفتهم بك العلم بوجودك لا بكيفيتك كذلك أنت معي لا تتعدى معرفة نفسك و لا ترى غيرك و لا يحصل لك العلم بي إلا من حيث الوجود و لو أحطت علما بي لكنت أنت أنا و لكنت محاطا لك و كانت أنيتي أنيتك و ليست أنيتك أنيتي فأمدك بالأسرار الإلهية و أربيك بها فتجدها مجعولة فيك فتعرفها و قد حجبتك عن معرفة كيفية إمدادي لك بها إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها إذ لو عرفتها لاتحدت الإنية و اتحاد الإنية محال فمشاهدتك لذلك محال هل ترجع إنية المركب إنية البسيط لا سبيل إلى قلب الحقائق فاعلم إن من دونك في حكم التبعية لك كما أنت في حكم التبعية لي فأنت ثوبي و أنت ردائي و أنت غطائي فقال له الروح ربي سمعتك تذكر أن لي ملكا فأين هو فاستخرج له النفس منه و هي المفعول عن الانبعاث فقال هذا بعضي و أنا كله كما أنا منك و لست مني قال صدقت يا روحي قال بك نطقت يا ربي إنك ربيتني و حجبت عني سر الإمداد و التربية و انفردت أنت به فاجعل إمدادي محجوبا عن هذا الملك حتى يجهلني كما جهلتك فخلق في النفس صفة القبول و الافتقار و وزر العقل إلى الروح المقدس ثم أطلع الروح على النفس فقال لها من أنا قالت ربي بك حياتي و بك بقائي فتاه الروح بملكه و قام فيه مقام ربه فيه و تخيل أن ذلك هو نفس الإمداد فأراد الحق أن يعرفه أن الأمر على خلاف ما تخيل و أنه لو أعطاه سر الإمداد كما سأل لما انفردت الألوهية عنه بشيء و لاتحدت الإنية فلما أراد ذلك خلق الهوى في مقابلته و خلق الشهوة في مقابلة العقل و وزرها للهوى و جعل في النفس صورة القبول لجميع الواردات عموما فحصلت النفس بين ربين قويين لهما وزيران عظيمان و ما زال هذا يناديها و هذا يناديها و الكل من عند الله قال تعالى قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ و كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ من عَطاءِ رَبِّكَ و لهذا كانت النفس محل التغيير و التطهير قال تعالى فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها في أثر قوله وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فإن أجابت منادى الهوى كان التغيير و إن أجابت منادى الروح كان التطهير شرعا و توحيدا فلما رأى الروح ينادي و لا يسمع مجيبا فقال ما منع ملكي من إجابتي قال له الوزير في مقابلتك ملك مطاع عظيم السلطان يسمى الهوى عطيته معجلة له الدنيا بحذافيرها فبسط لها حضرته و دعاها فأجابته فرجع الروح بالشكوى إلى الله تعالى فثبتت عبوديته و ذلك كان المراد و تنزلت الأرباب و المربوبون كل واحد على حسب مقامه و قدره فعالم الشهادة المنفصل ربهم عالم الخطاب و عالم الشهادة المتصل ربهم عالم الجبروت و عالم الجبروت ربهم عالم الملكوت و عالم الملكوت ربهم الكلمة و الكلمة ربها رب الكل الواحد الصمد و قد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتابنا المسمى بالتدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية فأضربنا عن تتميم هذا الفصل هنا مخافة التطويل و كذلك ذكرناه أيضا في تفسير القرآن

فسبحان من تفرد بتربية عباده و حجب من حجب منهم بالوسائط و خرج من هذا الفصل لمن عرف روحه و معناه أن الرب هو الله سبحانه و أن العالمين هو المثل الكلي و لذلك أوجده في العالمين على ثمانية أحرف عرشا و استوى عليه باللطف و التربية و الحنان و الرحمة الرحمانية المؤكدة بالرحيمية لتميز الدار الحيوان لقوله تعالى الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فعم بالرحمن و خص بالرحيم فالرحمن في عالمه بالوسائط و غيرها و الرحيم في كلماته بلا واسطة لوجود الاختصاص و شرف العناية فافهم و الأسلم تسلم (وصل في قوله تعالى ملك (مالِكِ) يَوْمِ الدِّينِ) يريد يوم الجزاء و حضرة الملك من مقام التفرقة و هي جمع فإنه لا تقع التفرقة إلا في الجمع قال فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فهي مقام الجمع و قد قبلت سلطان التفرقة فهي مقام التفرقة فافترق الجمع إلى أمر و نهي خطابا و سخط و رضي إرادة و طاعة و عصيان فعل مألوه و وعد و وعيد فعل إله و الملك في هذا اليوم من حقت له الشفاعة و اختص بها و لم يقل نفسي و قال أمتي و الملك في وجودنا المطلوب للقيامة المعجلة التي تظهر في طريق التصوف هو الروح القدسي و يوم القيامة وقت إيجاده الجزاء أو طولب به إن كانت عقوبة لا بد من ذلك فإن كانت الطاعة ف جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ و إن كانت المعصية الكفرانية فجهنم من أغلال و عذاب و من مقام الدعوى في الصورتين فنفرض الكلام في هذه الآية على حد الملك و ما ينبغي له و هل ترتقي النفس من يوم الدين إلى الفناء عنه فأقول إن الملك من صح له الملك بطريق الملك و سجد له الملك و هو الروح فلما نازعه الهوى و استعان بالنفس عليه عزم الروح على قتل الهوى و استعد فلما برز الروح بجنود التوحيد و الملإ الأعلى و برز الهوى كذلك بجنود الأماني و الغرور و الملإ الأسفل قال الروح للهوى مني إليك فإن ظفرت بك فالقوم لي و إن ظفرت أنت و هزمتني فالملك لك و لا يهلك القوم بيننا برز الروح و الهوى فقتله الروح بسيف العدم و ظفر بالنفس بعد إباية منها و جهد كبير فأسلمت تحت سيفه فسلمت و أسلمت و تطهرت و تقدست و آمنت الحواس لإيمانها و دخلوا في رق الانقياد و أذعنوا و سلبت عنهم أردية الدعاوي الفاسدة و اتحدت كلمتهم و صار الروح و النفس كالشيء الواحد و صح له اسم الملك حقيقة فقال له ملك (مالِكِ) يَوْمِ الدِّينِ فرده إلى مقامه و نقله من افتراق الشرع إلى جمع التوحيد و الملك على الحقيقة هو الحق تعالى المالك للكل و مصرفه و هو الشفيع لنفسه عامة و خاصة خاصة في الدنيا و عامة في الآخرة من وجه ما و لذلك قدم على قوله ملك (مالِكِ) يَوْمِ الدِّينِ . . . الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لتأنس أفئدة المحجوبين عن رؤية رب العالمين ألا تراه يقول يَوْمِ الدِّينِ شفعت الملائكة و النبيون و شفع المؤمنون و بقي أرحم الراحمين و لم يقل و بقي الجبار و لا القهار ليقع التأنيس قبل إيجاد الفعل في قلوبهم فمن عرف المعنى في هذا الوجود صح له الاختصاص في مقام أرحم و من جهلها في هذا الوجود دخل في العامة في الحشر الأكبر فتجلى في مقام الراحمين فعاد الفرق جمعا و الفتق رتقا و الشفع وترا بشفاعة أرحم الراحمين من جهنم ظاهر السور إلى جنة باطنه فإذا وقع الجدار و انهدم السور و امتزجت الأنهار و التقت البحران و عدم البرزخ صار العذاب نعيما و جهنم جنة فلا عذاب و لا عقاب إلا نعيم و أمان بمشاهدة العيان و ترنم أطيار بألحان على المقاصير و الأفنان و لثم الحور و الولدان و عدم مالك و بقي رضوان و صارت جهنم تتنعم في حظائر الجنان و اتضح سر إبليس فيهم فإذا هو و من سجد له سيان فإنهما ما تصرفا إلا عن قضاء سابق و قدر لاحق لا محيص لهما عنه فلا بد لهما منه و حاج آدم

موسى (وصل) في قوله جل ثناؤه و تقدس إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لما ثبت وجوده بالحمد لله و غذاؤه برب العالمين و اصطفاؤه بالرحمن الرحيم و تمجيده بملك (مالِكِ) يَوْمِ الدِّينِ أراد تأكيد تكرار الشكر و الثناء رغبة في المزيد فقال إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و هذا مقام الشكر أي لك نقر بالعبودية و نؤوي وحدك لا شريك لك و إليك نؤوي في الاستعانة لا إلى غيرك على من أنزلتهم مني منزلتي منك فأنا أمدهم بك لا بنفسي فأنت الممد لا أنا و أثبت له بهذه الآية نفي الشريك فالياء من إياك العبد الكلي قد انحصرت ما بين ألفين ألفي توحيد حتى لا يكون لها موضع دعوى برؤية غير فأحاط بها التوحيد و الكاف ضمير الحق فالكاف و الألفان شيء واحد فهم مدلول الذات ثم كان نعبد صفة فعل الياء بالضمير الذي فيه و العبد فعل الحق فلم يبق في الوجود إلا الحضرة الإلهية خاصة غير أنه في قوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ في حق نفسه للإبداع الأول حيث لا يتصور غيره وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ في حق غيره للخلق المشتق منه و هو محل سر الخلافة ففي إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ سجدت الملائكة و أبى من استكبر (وصل) في قوله تعالى اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ آمين فلما قال له إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قال له و ما عبادتي قال ثبوت التوحيد في الجمع و التفرقة فلما استقر عند النفس أن النجاة في التوحيد الذي هو الصراط المستقيم و هو شهود الذات بفنائها أو بقائها إن غفلت قالت اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ فتعرض لها بقولها الْمُسْتَقِيمَ صراطان معوج و هو صراط الدعوى و مستقيم و هو التوحيد فلم يكن لها ميز بين الصراطين إلا بحسب السالكين عليهما فرأت ربها سالكا للمستقيم فعرفته به و نظرت نفسها فوجدت بينها و بين ربها الذي هو الروح مقاربة في اللطافة و نظرت إلى المعوج عند عالم التركيب فذلك قولها صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ و هذا عالمها المتصل بها المركب مغضوب عليه و المنفصل عنها ضالون عنها بنظرهم إلى المتصل المغضوب عليه فوقفت على رأس الصراطين و رأت غاية المعوج الهلاك و غاية المستقيم النجاة و علمت إن عالمها يتبعها حيث سلكت فلما أرادت السلوك على المستقيم و أن تعتكف في حضرة ربها و أن ذلك لها و من نفسها بقولها إِيَّاكَ نَعْبُدُ عجزت و قصر بها فطلبت الاستعانة بقولها وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فنبهها ربها على اهدنا فتيقظت فقالت اهْدِنَا فوصفت ما رأت بقولها الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ الذي هو معرفة ذاتك قال صاحب المواقف لا تأثير للعلم و قال أنت لما هلكت فيه صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ و قرئ في الشاذ صراط من أنعم عليه إشارة إلى الروح القدسي و تفسير الكل من أنعم الله عليه من رسول و نبي غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ليس كذلك وَ لا الضَّالِّينَ يقول تعالى فهؤلاء لعبدي و لعبدي ما سأل فأجابها و أقام معوجها و أوضح صراطها و رفع بساطها يقول ربها أثر تمام دعائها آمين فحصلت الإجابة بالأمن تأمين الملائكة و صار تأمين الروح تابعا له اتباع الأجناد بل أطوع لكون الإرادة متحدة و صح لها النطق فسماها النفس الناطقة و هي عرش الروح و العقل صورة الاستواء فافهم و إلا فسلم تسلم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (فصول تأنيس و قواعد تأسيس) نظر الجمال بعين الوصال قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ إيجاز البيان فيه يا محمد إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ستروا محبتهم في عنهم ف سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ بوعيدك الذي أرسلتك به أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري و أنت

تنذرهم بخلقي و هم ما عقلوه و لا شاهدوه و كيف يؤمنون بك و قد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيري و على سمعهم فلا يسمعون كلاما في العالم إلا مني وَعَلى أَبصارِهِمْ غِشاوَةٌ من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي و لهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك و أحجبهم عني كما فعلت بك بعد قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى قربا أنزلتك إلى من يكذبك و يرد ما جئت به إليه مني في وجهك و تسمع في ما يضيق له صدرك فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم فلا أسخط عليهم أبدا (بسط ما أوجزناه في هذا الباب) انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه و ذلك لما أبدع الأمناء من اسمه اللطيف و تجلى لهم في اسمه الجميل فأحبوه تعالى و الغيرة من صفات المحبة في المحبوب و المحب بوجهين مختلفين فستروا محبته غيره منهم عليه كالشبلي و أمثاله و سترهم بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أي ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة فقال لا بد أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي فتأهبوا لذلك فما استعدوا فأنذرتهم على ألسنة أنبيائي الرسل في ذلك العالم فما عرفوا لأنهم في عين الجمع و خاطبهم من عين التفرقة و هم ما عرفوا عالم التفصيل فلم يستعدوا و كان الحب قد استولى على قلوبهم سلطانه غيرة من الحق عليهم في ذلك الوقت فأخبر نبيه صلى الله عليه و سلم روحا و قرآنا بالسبب الذي أصمهم عن إجابة ما دعاهم إليه فقال خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فلم يسعا غيره وَعَلى سَمْعِهِمْ فلا يسمعون سوى كلامه على ألسنة العالم فيشهدونه في العالم متكلما بلغاتهم وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ من سناه إذ هو النور و بهائه إذ له الجلال و الهيبة يريد الصفة التي تجلى لهم فيها المتقدمة فأبقاهم غرقى في بحور اللذات بمشاهدة الذات فقال لهم لا بد لكم من عذاب عظيم فما فهموا ما العذاب لاتحاد الصفة عندهم فأوجد لهم عالم الكون و الفساد و حينئذ علمهم جميع الأسماء و أنزلهم على العرش الرحماني و فيه عذابهم و قد كانوا مخبوءين عنده في خزائن غيوبه فلما أبصرتهم الملائكة خرت سجودا لهم فعلموهم الأسماء فأما أبو يزيد فلم يستطع الاستواء و لا أطاق العذاب فصعق من حينه فقال تعالى ردوا على حبيبي فإنه لا صبر له عني فحجب بالشوق و المخاطبة و بقي الكفار فنزلوا من العرش إلى الكرسي فبدت لهم القدمان فنزلوا عليهما في الثلث للباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية إلى سماء الدنيا النفسي فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على العروج هل من داع فيستجاب له هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى ينصدع الفجر فإذا انصدع ظهر الروح العقلي النوري فرجعوا من حيث جاءوا قال صلى الله عليه و سلم من كان مواصلا فليواصل حتى السحر فذلك أوان بعثر ما في القبور فكل عبد لم يحذر مكر الله فهو مخدوع فافهم

(فصل) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ أبدع الله المبدعات و تجلى بلسان الأحدية في الربوبية فقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ و المخاطب في غاية الصفاء فقال بَلى فكان كمثل الصدا فإنهم أجابوه به فإن الوجود المحدث خيال منصوب و هذا الإشهاد كان إشهاد رحمة لأنه ما قال لهم وحدي إبقاء عليهم لما علم من أنهم يشركون به بما فيهم من الحظ الطبيعي و بما فيهم من قبول الاقتدار الإلهي و ما يعلمه إلا قليل

فلما برزت صور العالم من العلم الأزلي إلى العين الأبدي من وراء ستارة الغيرة و العزة بعد ما أسرج السرج و أنار بيت الوجود و بقي هو في ظلمة الغيوب فشوهدت الصور متحركة ناطقة بلغات مختلفات و الصور تنبعث من الظلمة فإذا انقضى زمانها عادت إلى الظلمة و هكذا حتى السحر فأراد الفطن أن يقف على حقيقة ما شاهده بصره فإن للحس أغاليط فقرب من الستارة فرأى نطقها غيبا فيها فعلم إن ثم سرا عجيبا فوقف عليه من نفسه فعرفه و عرف الرسول و ما جاء به من وظائف التكليف فأول وظيفة كلمة التوحيد فأقر الكل بها فما جحد أحد الصانع و اختلفت عباراتهم عليه فابتلاهم بأن خاطبهم بلسان الشرك شهادة الرسول فوقع الإنكار باختصاص الجنس فتفرق أهل الإنكار على طريقين فمنهم من نظر في الظواهر فلم ير تفضيلا في شيء ظاهر فأنكر و منهم من نظر باطنا عقلا فرأى الاشتراك في المعقولات و نسي الاختصاص فأنكر فأرسله بالسيف فقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ من الموت و داخلهم الشك على قدر نظرهم فمنهم من استمر على نفي كلمة الإشراك قطعا فذلك كافر و منهم من استمر عليها مشاهدة فذلك عالم بالله و منهم من استمر على ثبتها نظرا فذلك عارف بالله و منهم من استمر على ثبتها اعتقادا فتلك العامة و منهم من خاف القتل فلفظ و لم يعتقد فنادى عليه لسان الحق فقال وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ظاهرا وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ باطنا يُخادِعُونَ اللّهَ بلزوم الدعوى و بجهلهم القائم بهم بأن الله لا يعلم و أني أرد أعمالهم عليهم وَ ما يَشْعُرُونَ اليوم بذلك فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ شك مما جاءهم به رسولي فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً شكا و حجابا وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ يوم القيامة و هم فيه بما كانوا يكذبون مما حققنا لديهم و لم تسبق لهم عناية في اللوح القاضي (وصل) وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلكِنْ لا يَشْعُرُونَ لما أكمل الوجود بثمانية برز في ميدان التنعم فارس الدعوى فلم يكن في جيش وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا من يبرز إليه فملك الكل و صبوا إليه و إلى دينه باطنا فعوقبوا بطلب الإقرار و إلا قتلوا فأقروا لفظا فحصل لهم العذاب الأليم دنيا و آخرة فإذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ أرض الأشباح قالُوا من خيالهم إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ فقال الله تعالى أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ عندنا و عندهم إذ لم يستمتعوا بها على ما يريدون وَلكِنْ لا يَشْعُرُونَ باتحاد الأشياء و لو شعروا ما آمنوا و لا كفروا (وصل) وَإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النّاسُ قالُوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَلكِنْ لا يَعْلَمُونَ و ذلك أنهم لما انتظموا في سلك الأغيار أتاهم النداء أن يقفوا على منازل الشهداء فسمعوا الخطاب في الأبنية آمنوا كما آمن الناس فحجبوا عن أخذ العهد بعهد الحس و الداعي الجنسي و أصمهم ذلك وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ و أغطش ليل جهالتهم فقالوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ لما عدل بهم عن طريق التقديس و وقفوا مع الهوى قال الله لنا أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ الأحلام لما ملكتهم الأهواء و حجبوا عن الالتذاذ بسماع وقع الرذاذ على الأفلاذ بالطور وَلكِنْ لا يَعْلَمُونَ ليتميز العالي ممن هو دونه و إلا فأية فائدة لقوله لشيء إذا أراده أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ذلك الشيء إلا إيجاد الأشياء على أحسن قانون فسبحان من انفرد بالإيجاد و الاختراع و الإتقان و الإبداع (وصل في دعوى المدعين) وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ الايمان في هذا المقام على خمسة أقسام إيمان تقليد و إيمان علم و إيمان عين و إيمان حق و إيمان حقيقة فالتقليد للعوام و العلم لأصحاب الدليل و العين لأهل

المشاهدة و الحق للعارفين و الحقيقة للواقفين و حقيقة الحقيقة و هو السادس للعلماء المرسلين أصلا و وراثة منع كشفها فلا سبيل إلى إيضاحها فكانت صفات الدعاوي إذا لقوا هؤلاء الخمسة قالوا آمنا فالقلب للعوام و سر القلب لأصحاب الدليل و الروح لأهل المشاهدة و سر الروح للعارفين و سر السر للواقفين و السر الأعظم لأهل الغيرة و الحجاب و المنافقون تعروا عن الايمان و انتظموا في الإسلام و إيمانهم ما جاوز خزانة خيالهم فاتخذوا أصناما في ذواتهم أقاموها مقام آلهتهم ف إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا باستيلاء الغفلة عليهم و خلو المحل عن مراتب الايمان إِنّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ فوقع عليهم العذاب من قولهم له إلى شياطينهم في حال الخلوة فلما قامت الأضداد عندهم و عاملوا الحق و الباطل عاملوا الحق بستر الباطل و عاملوا الباطل بإفشاء الحق فصح لهم النفاق و لو خاطبوا ذاتهم في ذاتهم ما صح عليهم هذا و لكانوا من أهل الحقائق فأوقع الله الجواب على الاستهزاء فقال الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و هو استهزاءهم عجبا كيف قالوا إِنّا مَعَكُمْ و هم عدم لو عاينوا إيمان الحقيقة لعاينوا الخالق في الخليقة و لا خلوا و لا نطقوا و لا صمتوا بل كانوا يقومون مقام من شاهد و هو روح جاء مع صاحب المادة فلينظر الإنسان حقيقة اللقاء فإنه مؤذن بافتراق متقدم ثم اجتمعوا بصفة لم يعرفوها بل ظهر لهم منها ظاهر حسن فتأدبوا معها و لم يطيقوا أكثر من ذلك فقالوا آمنا ثم نكسوا على رءوسهم في الخلوة مع الشيطنة و هي البعد مثل اللقاء فقالوا إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ بالصفة التي لقينا فتدبر هذه الآية من حقيقة الحقيقة عند طلوع الفجر و زوال الشك بزوال الستارة و رفع الموانع يلح لك السر في سبحان و النساء و الشمس فتجد الذين لقوا كمثل الذين لقوا فتصمت و إن تكلمت هلكت و هذه حقيقة الحقيقة التي منع كشفها إلا لمن شم منها رائحة ذوقا فلا بأس فانظر و تدبر ترشد إن شاء الله تم الجزء العاشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب السادس) في معرفة بدء الخلق الروحاني و من هو أول موجود فيه و مم وجد و فيم وجد و على أي مثال وجد و لم وجد و ما غايته و معرفة أفلاك العالم الأكبر و الأصغر

و وجودنا مثل الرداء المعلم — انظر إلى هذا الوجود المحكم
من مفصح طلق اللسان و أعجم — و انظر إلى خلفائه في ملكهم
إلا و يمزجه بحب الدرهم — ما منهمو أحد يحب إلهه
عبد الجنان و ذا عبيد جهنم — فيقال هذا عبد معرفة و ذا
سكرى به من غير حس توهم — إلا القليل من القليل فإنهم
أحد سواه لا عبيد المنعم — فهموا عبيد الله لا يدري بهم
لقصورهم من كل علم مبهم — فأفادهم لما أراد رجوعهم

و أساسه ذو عنه لم يتصرم علم المقدم في البسائط وحده
أمثاله و مثاله لم يكتم وحقيقة الظرف الذي سترته عن
عين العوالم في الطراز الأقدم و العلم بالسبب الذي وجدت له
تدري له فيه العظيم الأعظم و نهاية الأمر الذي لا غاية
و صغيره إلا على الذي لم يذمم و علوم أفلاك الوجود كبيره
يهدي القلوب إلى السبيل الأقوم هذي علوم من تحقق كشفها
لعلومها و لعلم ما لم يعلم فالحمد لله الذي أنا جامع

إيجاز البيان بضرب من الإجمال بدء الخلق الهباء و أول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية و لا أين يحصرها لعدم التحيز و مم وجد وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود و لا بالعدم و فيم وجد في الهباء و على أي مثال وجد الصورة المعلومة في نفس الحق و لم وجد لإظهار الحقائق الإلهية و ما غايته التخليص من المزجة فيعرف كل عالم حظه من منشئه من غير امتزاج فغايته إظهار حقائقه و معرفة أفلاك الأكبر من العالم و هو ما عدا الإنسان في اصطلاح الجماعة و العالم الأصغر يعني الإنسان روح العالم و علته و سببه و أفلاكه مقاماته و حركاته و تفصيل طبقاته فهذا جميع ما يتضمنه هذا الباب فكما إن الإنسان عالم صغير من طريق الجسم كذلك هو أيضا حقير من طريق الحدوث و صح له التأله لأنه خليفة الله في العالم و العالم مسخر له مألوه كما إن الإنسان مألوه لله تعالى و اعلم أن أكمل نشأة الإنسان إنما هي في الدنيا و أما الآخرة فكل إنسان من الفرقتين على النصف في الحال لا في العلم فإن كل فرقة عالمة بنقيض حالها فليس الإنسان إلا المؤمن و الكافر معا سعادة و شقاء نعيم و عذاب منعم و معذب و لهذا معرفة الدنيا أتم و تجلى الآخرة أعلى فافهم و حل هذا القفل و لنا رمز لمن تفطن و هو لفظه بشيع شنيع و معناه بديع

هذا الوجود الصغير روح الوجود الكبير
أنا الكبير القدير لولاه ما قال إني
و لا الفناء و النشور لا يحجبنك حدوثي
المحيط الكبير فإنني إن تأملتني
و للجديد ظهور فللقديم بذاتي
لا يعتريه قصور و الله فرد قديم
في قبضتيه أسير و الكون خلق جديد

أنا الوجود الحقير	فجاء من هذا إني
على وجودي يدور	و إن كل وجود
و لا كنوري نور	فلا كليلي ليل
أنا العبيد الفقير	فمن يقل في عبد
أنا الوجود الخبير	أو قال إني وجود
أو سوقة ما تجور	فصحني ملكا تجدني
أنت العليم البصير	فيا جهولا بقدري
و القول صدق و زور	بلغ وجودي عني
أنا الرحيم الغفور	و قل لقومك إني
هو العذاب المبير	و قل بأن عذابي
لا أستطيع أسير	و قل بأني ضعيف
على يدي أو يبور	فكيف ينعم شخص

بسط الباب و بيانه و من الله التأيد و العون اعلموا أن المعلومات أربعة الحق تعالى و هو الموصوف بالوجود المطلق لأنه سبحانه ليس معلولا لشيء و لا علة بل هو موجود بذاته و العلم به عبارة عن العلم بوجوده و وجوده ليس غير ذاته مع أنه غير معلوم الذات لكن يعلم ما ينسب إليه من الصفات أعني صفات المعاني و هي صفات الكمال و أما العلم بحقيقة الذات فممنوع لا تعلم بدليل و لا ببرهان عقلي و لا يأخذها حد فإنه سبحانه لا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء فكيف يعرف من يشبه الأشياء من لا يشبهه شيء و لا يشبهه شيئا فمعرفتك به إنما هي إنه لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ و قد ورد المنع من الشرع في التفكر في ذات الله (و معلوم ثان) و هو الحقيقة الكلية التي هي للحق و للعالم لا تتصف بالوجود و لا بالعدم و لا بالحدوث و لا بالقدم هي في القديم إذا وصف بها قديمة و في المحدث إذا وصف بها محدثة لا تعلم المعلومات قديمها و حديثها حتى تعلم هذه الحقيقة و لا توجد هذه الحقيقة حتى توجد الأشياء الموصوفة بها فإن وجد شيء عن غير عدم متقدم كوجود الحق و صفاته قيل فيها موجود قديم لإتصاف الحق بها و إن وجد شيء عن عدم كوجود ما سوى الله و هو المحدث الموجود بغيره قيل فيها محدثة و هي في كل موجود بحقيقتها فإنها لا تقبل التجزي فما فيها كل و لا بعض و لا يتوصل إلى معرفتها مجردة عن الصورة بدليل و لا ببرهان فمن هذه الحقيقة وجد العالم بوساطة الحق تعالى و ليست بموجودة فيكون الحق قد أوجدنا من موجود قديم فيثبت لنا القدم و كذلك لتعلم أيضا أن هذه الحقيقة لا تتصف بالتقدم على العالم و لا العالم بالتأخر عنها و لكنها أصل الموجودات عموما و هي أصل الجوهر و فلك

الحياة و الحق المخلوق به و غير ذلك و هي الفلك المحيط المعقول فإن قلت إنها العالم صدقت أو إنها ليست العالم صدقت أو إنها الحق أو ليست الحق صدقت تقبل هذا كله و تتعدد بتعدد أشخاص العالم و تتنزه بتنزيه الحق و إن أردت مثالها حتى يقرب إلى فهمك فانظر في العودية في الخشبة و الكرسي و المحبرة و المنبر و التابوت و كذلك التربيع و أمثاله في الأشكال في كل مربع مثلا من بيت و تابوت و ورقة و التربيع و العودية بحقيقتها في كل شخص من هذه الأشخاص و كذلك الألوان بياض الثوب و الجوهر و الكاغذ و الدقيق و الدهان من غير أن تتصف البياضية المعقولة في الثوب بأنها جزء منها فيه بل حقيقتها ظهرت في الثوب ظهورها في الكاغذ و كذلك العلم و القدرة و الإرادة و السمع و البصر و جميع الأشياء كلها فقد بينت لك هذا المعلوم و قد بسطنا القول فيه كثيرا في كتابنا الموسوم بإنشاء الجداول و الدوائر (و معلوم ثالث) و هو العالم كله الأملاك و الأفلاك و ما تحويه من العوالم و الهواء و الأرض و ما فيهما من العالم و هو الملك الأكبر (و معلوم رابع) و هو الإنسان الخليفة الذي جعله الله في هذا العالم المقهور تحت تسخيره قال تعالى وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ فمن علم هذه المعلومات فما بقي له معلوم أصلا يطلبه فمنها ما لا نعلم إلا وجوده و هو الحق تعالى و تعلم أفعاله و صفاته بضرب من الأمثلة و منها ما لا يعلم إلا بالمثال كالعلم بالحقيقة الكلية و منها ما يعلم بهذين الوجهين و بالماهية و الكيفية و هو العالم و الإنسان

«وصل» كان الله و لا شيء معه ثم أدرج فيه و هو الآن على ما عليه كان لم يرجع إليه من إيجاده العالم صفة لم يكن عليها بل كان موصوفا لنفسه و مسمى قبل خلقه بالأسماء التي يدعونه بها خلقه فلما أراد وجود العالم و بدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجل من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية انفعل عنها حقيقة تسمى الهباء هي بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الأشكال و الصور و هذا هو أول موجود في العالم و قد ذكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه و سهل بن عبد الله رحمه الله و غيرهما من أهل التحقيق أهل الكشف و الوجود ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء و يسمونه أصحاب الأفكار الهيولى الكل و العالم كله فيه بالقوة و الصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته و استعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج و على قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوءه و قبوله قال تعالى مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه قبولا في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد صلى الله عليه و سلم المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره و أول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي و من الهباء و من الحقيقة الكلية و في الهباء وجد عينه و عين العالم من تجليه و أقرب الناس إليه علي بن أبي طالب و أسرار الأنبياء أجمعين و أما المثال الذي عليه وجد العالم كله من غير تفصيل فهو العلم القائم بنفس الحق تعالى فإنه سبحانه علمنا بعلمه بنفسه و أوجدنا على حد ما علمنا و نحن على هذا الشكل المعين في علمه و لو لم يكن الأمر كذلك لأخذنا هذا الشكل بالاتفاق لا عن قصد لأنه لا يعلمه و ما يتمكن أن تخرج صورة في الوجود بحكم الاتفاق فلولا إن هذا الشكل المعين معلوم لله سبحانه و مراد له ما أوجدنا عليه و لم يأخذ هذا الشكل من غيره إذ قد ثبت أنه كان و لا شيء معه فلم يبق إلا أن يكون ما برز عليه في نفسه من الصورة فعلمه بنفسه علمه بنا أزلا لا عن عدم فعلمه بنا كذلك فمثالنا الذي

هو عين علمه بنا قديم بقدم الحق لأنه صفة له و لا تقوم بنفسه الحوادث جل الله عن ذلك و أما قولنا و لم وجد و ما غايته يقول الله عز و جل وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فصرح بالسبب الذي لأجله أوجدنا و هكذا العالم كله و خصصنا و الجن بالذكر و الجن هنا كل مستتر من ملك و غيره و قد قال تعالى في حق السموات و الأرض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ و كذلك قال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها و ذلك لما كان عرضا و أما لو كان أمرا لأطاعوا و حملوها فإنه لا تتصور منهم معصية جبلوا على ذلك و الجن الناري و الإنس ما جبلا على ذلك و كذلك من الإنس أصحاب الأفكار من أهل النظر و الأدلة المقصورة على الحواس و الضرورات و البديهيات يقولون لا بد أن يكون المكلف عاقلا بحيث يفهم ما يخاطب به و صدقوا و كذلك هو الأمر عندنا العالم كله عاقل حي ناطق من جهة الكشف بخرق العادة التي الناس عليها أعني حصول العلم بهذا عندنا غير أنهم قالوا هذا جماد لا يعقل و وقفوا عند ما أعطاهم بصرهم و الأمر عندنا بخلاف ذلك فإذا جاء عن نبي أن حجرا كلمه أو كتف شاة أو جذع نخلة أو بهيمة يقولون خلق الله فيه الحياة و العلم في ذلك الوقت و الأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة في جميع العالم و أن كل من يسمع المؤذن من رطب و يابس يشهد له و لا يشهد إلا من علم هذا عن كشف عندنا لا عن استنباط من نظر بما يقتضيه ظاهر خبر و لا غير ذلك و من أراد أن يقف عليه فليسلك طريق الرجال و ليلزم الخلوة و الذكر فإن الله سيطلعه على هذا كله عينا فيعلم إن الناس في عماية عن إدراك هذه الحقائق فأوجد العالم سبحانه ليظهر سلطان الأسماء فإن قدرة بلا مقدور وجودا بلا عطاء و رازقا بلا مرزوق و مغيثا بلا مغاث و رحيما بلا مرحوم حقائق معطلة التأثير و جعل العالم في الدنيا ممتزجا مزج القبضتين في العجنة ثم فصل الأشخاص منها فدخل من هذه في هذه من كل قبضة في أختها فجهلت الأحوال و في هذا تفاضلت العلماء في استخراج الخبيث من الطيب و الطيب من الخبيث و غايته التخليص من هذه المزجة و تمييز القبضتين حتى تنفرد هذه بعالمها و هذه بعالمها كما قال الله تعالى لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ فمن بقي فيه شيء من المزجة حتى مات عليها لم يحشر يوم القيامة من الآمنين و لكنه منهم من يتخلص من المزجة في الحساب و منهم من لا يتخلص منها إلا في جهنم فإذا تخلص أخرج فهؤلاء هم أهل الشفاعة و أما من تميز هنا في إحدى القبضتين انقلب إلى الدار الآخرة بحقيقته من قبره إلى نعيم أو إلى عذاب و جحيم فإنه قد تخلص فهذا غاية العالم و ها تان حقيقتان راجعتان إلى صفة هو الحق عليها في ذاته و من هنا قلنا يرونه أهل النار معذبا و أهل الجنة منعما و هذا سر شريف ربما تقف عليه في الدار الآخرة عند المشاهدة إن شاء الله و قد نالها المحققون في هذه الدار و أما قولنا في هذا الباب و معرفة أفلاك العالم الأكبر و الأصغر الذي هو الإنسان فأعني به عوالم كلياته و أجناسه و أمراؤه الذين لهم التأثير في غيرهم و جعلتها مقابلة هذا نسخة من هذا و قد ضربنا لها دوائر على صور الأفلاك و ترتيبها في كتاب إنشاء الدوائر و الجداول الذي بدأنا وضعه بتونس بمحل الإمام أبي محمد عبد العزيز ولينا و صفينا رحمه الله فلنلق منه في هذا الباب ما يليق بهذا المختصر فنقول إن العوالم أربعة العالم الأعلى و هو عالم البقاء ثم عالم الاستحالة و هو عالم الفناء ثم عالم التعمير و هو عالم البقاء و الفناء ثم عالم النسب و هذه العوالم في موطنين في العالم الأكبر و هو ما خرج عن الإنسان و في

العالم الأصغر و هو الإنسان (فأما العالم الأعلى) فالحقيقة المحمدية و فلكها الحياة نظيرها من الإنسان اللطيفة و الروح القدسي و منهم العرش المحيط و نظيره من الإنسان الجسم و من ذلك الكرسي و نظيره من الإنسان النفس و من ذلك البيت المعمور و نظيره من الإنسان القلب و من ذلك الملائكة و نظيرها من الإنسان الأرواح التي فيه و القوي و من ذلك زحل و فلكه نظيره من الإنسان القوة العلمية و النفس و من ذلك المشتري و فلكه نظيرهما القوة الذاكرة و مؤخر الدماغ و من ذلك الأحمر و فلكه نظيرهما القوة العاقلة و اليافوخ و من ذلك الشمس و فلكها نظيرهما القوة المفكرة و وسط الدماغ ثم الزهرة و فلكها نظيرهما القوة الوهمية و الروح الحيواني ثم الكاتب و فلكه نظيرهما القوة الخيالية و مقدم الدماغ ثم القمر و فلكه نظيرهما القوة الحسية و الجوارح التي تحس فهذه طبقات العالم الأعلى و نظائره من الإنسان (و أما عالم الاستحالة) فمن ذلك كرة الأثير و روحها الحرارة و اليبوسة و هي كرة النار و نظيرها الصفراء و روحها القوة الهاضمة و من ذلك الهواء و روحه الحرارة و الرطوبة و نظيره الدم و روحه القوة الجاذبة و من ذلك الماء و روحه البرودة و الرطوبة نظيره البلغم و روحه القوة الدافعة و من ذلك التراب و روحه البرودة و اليبوسة نظيره السوداء و روحها القوة الماسكة و أما الأرض فسبع طباق أرض سوداء و أرض غبراء و أرض حمراء و أرض صفراء و أرض بيضاء و أرض زرقاء و أرض خضراء نظير هذه السبعة من الإنسان في جسمه الجلد و الشحم و اللحم و العروق و العصب و العضلات و العظام (و أما عالم التعمير) فمنهم الروحانيون نظيرهم القوي التي في الإنسان و منهم عالم الحيوان نظيره ما يحس من الإنسان و منهم عالم النبات نظيره ما ينمو من الإنسان و من ذلك عالم الجماد نظيره ما لا يحس من الإنسان (و أما عالم النسب) فمنهم العرض نظيره الأسود و الأبيض و الألوان و الأكوان ثم الكيف نظيره الأحوال مثل الصحيح و السقيم ثم الكم نظيره الساق أطول من الذراع ثم الأين نظيره العنق مكان للرأس و الساق مكان للفخذ ثم الزمان نظيره حركت رأسي وقت تحريك يدي ثم الإضافة نظيرها هذا أبي فأنا ابنه ثم الوضع نظيره لغتي و لحني ثم أن يفعل نظيره أكلت ثم أن ينفعل نظيره شبعت و منهم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل و الحمار و الأسد و الصرصر نظير هذا القوة الإنسانية التي تقبل الصور المعنوية من مذموم و محمود هذا فطن فهو فيل هذا بليد فهو حمار هذا شجاع فهو أسد هذا جبان فهو صرصر وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع) في معرفة بدء الجسوم الإنسانية و هو آخر جنس موجود من العالم الكبير و آخر صنف من المولدات

ملكا قويا ظاهر السلطان　　　نشأت حقيقة باطن الإنسان

مثل استواء العرش بالرحمن　　　ثم استوت في عرش آدم ذاته

و بها انتهى ملك الوجود الثاني　　　فبدت حقيقة جسمه في عينها

عند الكرام و حامل الشنآن　　　و بدت معارف لفظه في علمه

و تكبر الملعون من شيطان　　　فتصاغرت لعلومه أحلامهم

إلا الشويطن باء بالخسران   باءوا بقرب الله في ملكوته

اعلم أيدك الله أنه لما مضى من عمر العالم الطبيعي المقيد بالزمان المحصور بالمكان إحدى و سبعون ألف سنة من السنين المعروفة في الدنيا و هذه المدة أحد عشر يوما من أيام غير هذا الاسم و من أيام ذي المعارج يوم و خمسا يوم و في هذه الأيام يقع التفاضل قال تعالى فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ و قال وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فأصغر الأيام هي التي نعدها حركة الفلك المحيط الذي يظهر في يومه الليل و النهار فأقصر يوم عند العرب و هو هذا لأكبر فلك و ذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك إذ كانت حركة ما دونه في الليل و النهار حركة قسرية له قهر بها سائر الأفلاك التي يحيط بها و لكل فلك حركة طبيعية تكون له مع الحركة القسرية فكل فلك دونه ذو حركتين في وقت واحد حركة طبيعية و حركة قسرية و لكل حركة طبيعية في كل فلك يوم مخصوص بعد مقداره بالأيام الحادثة عن الفلك المحيط المعبر عنها بقوله مِمَّا تَعُدُّونَ و كلها تقطع في الفلك المحيط فكلما قطعته على الكمال كان يوما لها و يدور الدور فأصغر الأيام منها هو ثمانية و عشرون يوما مما تعدون و هو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط و نصب الله هذه الكواكب السبعة في السموات ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط لنعلم عدد السنين و الحساب قال تعالى وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فلكل كوكب منها يوم مقدر يفضل بعضها على بعض على قدر سرعة حركاتها الطبيعية أو صغر أفلاكها و كبرها فاعلم إن الله تعالى لما خلق القلم و اللوح و سماهما العقل و الروح و أعطى الروح صفتين صفة علمية و صفة عملية و جعل العقل لها معلما و مفيدا إفادة مشاهدة حالية كما تستفيد من صورة السكين القطع من غير نطق يكون منه في ذلك و خلق تعالى جوهرا دون النفس الذي هو الروح المذكور سماه الهباء و هذه الاسمية له نقلناها من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أما الهباء فمذكور في اللسان العربي قال تعالى فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا كذلك لما رآها علي بن أبي طالب أعني هذه الجوهرة منبثة في جميع الصور الطبيعية كلها و أنها لا تخلو صورة منها إذ لا تكون صورة إلا في هذه الجوهرة سماها هباء و هي مع كل صورة بحقيقتها لا تنقسم و لا تتجزى و لا تتصف بالنقص بل هي كالبياض الموجود في كل أبيض بذاته و حقيقته و لا يقال قد نقص من البياض قدر ما حصل منه في هذا الأبيض فهذا مثل حال هذه الجوهرة و عين الله سبحانه بين هذا الروح الموصوف بالصفتين و بين الهباء أربع مراتب و جعل كل مرتبة منزلا لأربعة أملاك و جعل هؤلاء الأملاك كالولاة على ما أحدثه سبحانه دونهم من العالم من عليين إلى أسفل سافلين و وهب كل ملك من هؤلاء الملائكة علم ما يريد إمضائه في العالم فأول شيء أوجده الله في الأعيان مما يتعلق به علم هؤلاء الملائكة و تدبيرهم الجسم الكلي و أول شكل فتح في هذا الجسم الشكل الكري المستدير إذ كان أفضل الأشكال ثم نزل سبحانه بالإيجاد و الخلق إلى تمام الصنعة و جعل جميع ما خلقه تعالى مملكة لهؤلاء الملائكة و ولاهم أمورها في الدنيا و الآخرة و عصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به فأخبرنا سبحانه أنهم لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ و لما انتهى خلق المولدات من الجمادات و النبات و الحيوان بانتهاء إحدى و سبعين ألف سنة من سنى الدنيا مما نعد و رتب العالم ترتيبا حكميا و لم يجمع سبحانه لشيء مما خلقه من أول

موجود إلى آخر مولود و هو الحيوان بين يديه تعالى إلا للإنسان و هي هذه النشأة البدنية الترابية بل خلق كل ما سواها إما عن أمر إلهي أو عن يد واحدة قال تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فهذا عن أمر إلهي و ورد في الخبر أن الله عز و جل خلق جنة عدن بيده و كتب التوراة بيده و غرس شجرة طوبى بيده و خلق آدم الذي هو الإنسان بيديه فقال تعالى لإبليس على جهة التشريف لآدم ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و لما خلق الله الفلك الأدنى الذي هو الأول المذكور آنفا قسمه اثني عشر قسما سماها قال تعالى وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ فجعل كل قسم برجا و جعل تلك الأقسام ترجع إلى أربعة في الطبيعة ثم كرر كل واحد من الأربعة في ثلاثة مواضع منه و جعل هذه الأقسام كالمنازل و المناهل التي ينزل فيها المسافرون و يسير فيها السائرون في حال سيرهم و سفرهم لينزل في هذه الأقسام عند سير الكواكب فيها و سياحتهم ما يحدث الله في جوف هذا الفلك من الكواكب التي تقطع بسيرها في هذه البروج ليحدث الله عند قطعها و سيرها ما شاء أن يحدث الله في جوفي هذا الفلك من الكواكب التي تقطع بسيرها في هذه البروج ليحدث الله عند قطعها و سيرها ما شاء أن يحدث من العالم الطبيعي و العنصري و جعلها علامات على أثر حركة فلك البروج فاعلم فقسم من هذه الأربعة طبيعته الحرارة و اليبوسة و الثاني البرودة و اليبوسة و الثالث الحرارة و الرطوبة و الرابع البرودة و الرطوبة و جعل الخامس و التاسع من هذه الأقسام مثل الأول و جعل السادس و العاشر مثل الثاني و جعل السابع و الحادي عشر مثل الثالث و جعل الثامن و الثاني عشر مثل الرابع أعني في الطبيعة فحصر الأجسام الطبيعية بخلاف و الأجسام العنصرية بلا خلاف في هذه الأربعة التي هي الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة و مع كونها أربعا أمهات فإن الله جعل اثنين منها أصلا في وجود الاثنين الآخرين فانفعلت اليبوسة عن الحرارة و الرطوبة عن البرودة فالرطوبة و اليبوسة موجودتان عن سببين هما الحرارة و البرودة و لهذا ذكر الله في قوله تعالى وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ لأن المسبب يلزم من كونه مسببا وجود السبب أو منفعلا وجود الفاعل كيف شئت فقل و لا يلزم من وجود السبب وجود المسبب و لما خلق الله هذا الفلك الأول دار دورة غير معلومة الانتهاء إلا لله تعالى لأنه ليس فوقه شيء محدود من الأجرام يقطع فيه فإنه أول الأجرام الشفافة فتتعدد الحركات و تتميز و لا كان قد خلق الله في جوفه شيئا فتتميز الحركات و تنتهي عند من يكون في جوفه و لو كان لم تتميز أيضا لأنه أطلس لا كوكب فيه متشابه الأجزاء فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه و لا تتعين فلو كان فيه جزء مخالف لسائر أجزائه عد به حركاته بلا شك و لكن علم الله قدرها و انتهاءها و كرورها فحدث عن تلك الحركة اليوم و لم يكن ثم ليل و لا نهار في هذا اليوم ثم استمرت حركات هذا الفلك فخلق الله ملائكة خمسة و ثلاثين ملكا أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك الستة عشر فكان الجميع أحدا و خمسين ملكا من جملة هؤلاء الملائكة جبريل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل ثم خلق تسعمائة ملك و أربعا و سبعين و أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك و أوحى إليهم و أمرهم بما يجري على أيديهم في خلقه فقالوا وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِكَ وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا و قال فيهم لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ فهؤلاء من الملائكة هم الولاة خاصة و خلق الله ملائكة هم عمار السموات و الأرض لعبادته فما في السماء و الأرض موضع إلا و فيه ملك و لا يزال

الحق يخلق من أنفاس العالم ملائكة ما داموا متنفسين و لما انتهى من حركات هذا الفلك الأول و مدته أربع و خمسون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الدنيا و جعل لها أمدا معلوما تنتهي إليه و تنقضي صورتها و تستحيل من كونها دارا لنا و قبولها صورة مخصوصة و هي التي نشاهدها اليوم إلى أن تبدل الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ و لما انقضى من مد حركة هذا الفلك ثلاث و ستون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الآخرة الجنة و النار اللتين أعدهما الله لعباده السعداء و الأشقياء فكان بين خلق الدنيا و خلق الآخرة تسع آلاف سنة مما تعدون و لهذا سميت آخرة لتاخر خلقها عن خلق الدنيا و سميت الدنيا الأولى لأنها خلقت قبلها قال تعالى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى يخاطب نبيه صلى الله عليه و سلم و لم يجعل للآخرة مدة ينتهي إليها بقاؤها فلها البقاء الدائم و جعل سقف الجنة هذا الفلك و هو العرش عندهم الذي لا تتعين حركته و لا تتميز فحركته دائمة لا تنقضي و ما من خلق ذكرناه خلق إلا و تعلق القصد الثاني منه وجود الإنسان الذي هو الخليفة في العالم و إنما قلت القصد الثاني إذ كان القصد الأول معرفة الحق و عبادته التي لها خلق العالم كله فما من شيء إلا و هو يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و معنى القصد الثاني و الأول التعلق الإرادي لا حدوث الإرادة لأن الإرادة لله صفة قديمة أزلية اتصفت بها ذاته كسائر صفاته و لما خلق الله هذه الأفلاك و السموات وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و رتب فيها أنوارها و سرجها و عمرها بملائكته و حركها تعالى فتحركت طائعة لله آتية إليه طلبا للكمال في العبودية التي تليق بها لأنه تعالى دعاها و دعا الأرض ف فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لأمر حد لهما قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فهما آتيتان أبدا فلا تزالان متحركتين غير أن حركة الأرض خفية عندنا و حركتها حول الوسط لأنها أكر فأما السماء فاتت طائعة عند أمر الله لها بالإتيان و أما الأرض فاتت طائعة لما علمت نفسها مقهورة و أنه لا بد أن يؤتى بها بقوله أَوْ كَرْهاً فكانت المرادة بقوله تعالى أَوْ كَرْهاً فاتت طائعة كرها فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و قد كان خَلَقَ الْأَرْضَ وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها من أجل المولدات فجعلها خزانة لأقواتهم و قد ذكرنا ترتيب نشء العالم في كتاب عقلة المستوفز فكان من تقدير أقواتها وجود الماء و الهواء و النار و ما في ذلك من البخارات و السحب و البروق و الرعود و الآثار العلوية و ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ و خلق الجان من النار و الطير و الدواب البرية و البحرية و الحشرات من عفونات الأرض ليصفو الهواء لنا من بخارات العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله حياة هذا الإنسان و الحيوان و عافيته فيه لكان سقيما مريضا معلولا فصفى له الجو سبحانه لطفا منه بتكوين هذه المعفنات فقلت الأسقام و العلل و لما استوت المملكة و تهيأت و ما عرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلها من أي جنس يكون هذا الخليفة الذي مهد الله هذه المملكة لوجوده فلما وصل الوقت المعين في علمه لإيجاد هذا الخليفة بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة و من عمر الآخرة الذي لا نهاية له في الدوام ثمان آلاف سنة أمر الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كل أجناس تربة الأرض فأتاه بها في خبر طويل معلوم عند الناس فأخذها سبحانه و خمرها بيديه فهو قوله لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و كان الحق قد أودع عند كل ملك من الملائكة الذين ذكرناهم وديعة لآدم و قال لهم إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ و هذه الودائع التي بأيديكم له فإذا خلقته فليؤد إليه كل واحد منكم ما عنده مما أمنتكم عليه ثم فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ

فلما خمر الحق تعالى بيديه طينة آدم حتى تغير ريحها و هو المسنون و ذلك الجزء الهوائي الذي في النشأة جعل ظهره محلا للأشقياء و السعداء من ذريته فأودع فيه ما كان في قبضتيه فإنه سبحانه أخبرنا أن في قبضة يمينه السعداء و في قبضة اليد الأخرى الأشقياء و كلتا يدي ربي يمين مباركة و قال هؤلاء للجنة و بعمل أهل الجنة يعملون و هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون و أودع الكل طينة آدم و جمع فيه الأضداد بحكم المجاورة و أنشأه على الحركة المستقيمة و ذلك في دولة السنبلة و جعله ذا جهات ست الفوق و هو ما يلي رأسه و التحت يقابله و هو ما يلي رجليه و اليمين و هو ما يلي جانبه الأقوى و الشمال يقابله و هو ما يلي جانبه الأضعف و الأمام و هو ما يلي الوجه و يقابله الخلف و هو ما يلي القفا و صوره و عدله و سواه ثم نفخ فيه من روحه المضاف إليه فحدث عند هذا النفخ فيه بسريانه في أجزائه أركان الأخلاط التي هي الصفراء و السوداء و الدم و البلغم فكانت الصفراء عن الركن الناري الذي أنشأه الله منه في قوله تعالى من صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ و كانت السوداء عن التراب و هو قوله خَلَقَهُ مِن تُرابٍ و كان الدم من الهواء و هو قوله مَسْنُونٍ و كان البلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طينا ثم أحدث فيه القوة الجاذبة التي بها يجذب الحيوان الأغذية ثم القوة الماسكة و بها يمسك ما يتغذى به الحيوان ثم القوة الهاضمة و بها يهضم الغذاء ثم القوة الدافعة و بها يدفع الفضلات عن نفسه من عرق و بخار و رياح و براز و أمثال ذلك و أما سريان الأبخرة و تقسيم الدم في العروق من الكبد و ما يخلصه كل جزء من الحيوان فبالقوة الجاذبة لا الدافعة فحظ القوة الدافعة ما تخرجه كما قلنا من الفضلات لا غير ثم أحدث فيه القوة الغاذية و المنمية و الحاسية و الخيالية و الوهمية و الحافظة و الذاكرة و هذا كله في الإنسان بما هو حيوان لا بما هو إنسان فقط غير أن هذه القوي الأربعة قوة الخيال و الوهم و الحفظ و الذكر هي في الإنسان أقوى منها في الحيوان ثم خص آدم الذي هو الإنسان بالقوة المصورة و المفكرة و العاقلة فتميز عن الحيوان و جعل هذه القوي كلها في هذا الجسم آلات للنفس الناطقة لتصل بذلك إلى جميع منافعها المحسوسة و المعنوية ثم أنشأه خلقا آخر و هو الإنسانية فجعله دراكا بهذه القوي حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا على حد معلوم معتاد في اكتسابه فَتَبارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ ثم إنه سبحانه ما سمي نفسه باسم من الأسماء إلا و جعل للإنسان من التخلق بذلك الاسم حظا منه يظهر به في العالم على قدر ما يليق به و لذلك تأول بعضهم قوله ع إن الله خلق آدم على صورته على هذا المعنى و أنزله خليفة عنه في أرضه إذ كانت الأرض من عالم التغيير و الاستحالات بخلاف العالم الأعلى فيحدث فيهم من الأحكام بحسب ما يحدث في العالم الأرضي من التغيير فيظهر لذلك حكم جميع الأسماء الإلهية فلذلك كان خليفة في الأرض دون السماء و الجنة ثم كان من أمره ما كان من علم الأسماء و سجود الملائكة و إباية إبليس يأتي ذكر ذلك كله في موضعه إن شاء الله فإن هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الإنسانية و هي أربعة أنواع جسم آدم و جسم حواء و جسم عيسى و أجسام بني آدم و كل جسم من هذه الأربعة نشؤه يخالف نشء الآخر في السببية مع الاجتماع في الصورة الجسمانية و الروحانية و إنما سقنا هذا و نبهنا عليه لئلا يتوهم الضعيف العقل أن القدرة الإلهية أو أن الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الإنسانية إلا عن سبب واحد يعطي بذاته هذا النشء فرد الله هذه الشبهة بأن أظهر هذا النشء الإنساني في آدم بطريق لم يظهر به جسم حواء و أظهر جسم حواء

بطريق لم يظهر جسم ولد آدم و أظهر جسم أولاد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى ع و ينطلق على كل واحد من هؤلاء اسم الإنسان بالحد و الحقيقة ذلك ليعلم أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثم إن الله قد جمع هذه الأربعة الأنواع من الخلق في آية من القرآن في سورة الحجرات فقال يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ يريد آدم مِنْ ذَكَرٍ يريد حواء وَأُنْثى يريد عيسى و من المجموع من ذكر و أنثى يريد بنى آدم بطريق النكاح و التوالد فهذه الآية من جوامع الكلم و فصل الخطاب الذي أوتي محمد صلى الله عليه و سلم و لما ظهر جسم آدم كما ذكرناه و لم تكن فيه شهوة نكاح و كان قد سبق في علم الحق إيجاد التوالد و التناسل و النكاح في هذه الدار إنما هو لبقاء النوع فاستخرج من ضلع آدم من القصيري حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل كما قال تعالى وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ فما تلحق بهم أبدا و كانت من الضلع للانحناء الذي في الضلوع لتحنو بذلك على ولدها و زوجها فحنو الرجل على المرأة حنوه على نفسه لأنها جزء منه و حنو المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع و الضلع فيه انحناء و انعطاف و عمر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء بالشهوة إليها إذ لا يبقى في الوجود خلاء فلما عمره بالهواء حن إليها حنينه إلى نفسه لأنها جزء منه و حنت إليه لكونه موطنها الذي نشأت فيه فحب حواء حب الموطن و حب آدم حب نفسه و لذلك يظهر حب الرجل للمرأة إذ كانت عينه و أعطيت المرأة القوة المعبر عنها بالحياء في محبة الرجل فقويت على الإخفاء لأن الموطن لا يتحد بها اتحاد آدم بها فصور في ذلك الضلع جميع ما صوره و خلقه في جسم آدم فكان نشء جسم آدم في صورته كنشء الفاخوري فيما ينشئه من الطين و الطبخ و كان نشء جسم حواء نشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع و أقام صورتها و سواها و عدلها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة و الحرث لوجود الإنبات الذي هو التناسل فسكن إليها و سكنت إليه و كانت لباسا له و كان لباسا لها قال تعالى هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ و سرت الشهوة منه في جميع أجزائه فطلبها فَلَمَّا تَغَشَّاها و ألقى الماء في الرحم و دار بتلك النطفة من الماء دم الحيض الذي كتبه الله على النساء تكون في ذلك الجسم جسم ثالث على غير ما تكون منه جسم آدم و جسم حواء فهذا هو الجسم الثالث فتولاه الله بالنشء في الرحم حالا بعد حال بالانتقال من ماء إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم ثم كسا العظم لحما فلما أتم نشأته الحيوانية أنشأه خلقا آخر فنفخ فيه الروح الإنساني فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و لو لا طول الأمر لبينا تكوينه في الرحم حالا بعد حال و من يتولى ذلك من الملائكة الموكلين بإنشاء الصور في الأرحام إلى حين الخروج و لكن كان الغرض الإعلام بأن الأجسام الإنسانية و إن كانت واحدة في الحد و الحقيقة و الصور الحسية و المعنوية فإن أسباب تأليفها مختلفة لئلا يتخيل أن ذلك لذات السبب تعالى الله بل ذلك راجع إلى فاعل مختار يفعل ما يشاء كيف يشاء من غير تحجير و لا قصور على أمر دون أمر لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و لما قال أهل الطبيعة إن ماء المرأة لا يتكون منه شيء و إن الجنين الكائن في الرحم إنما هو من ماء الرجل لذلك جعلنا تكوين جسم عيسى تكوينا آخر و إن كان تدبيره في الرحم تدبير أجسام البنين فإن كان من ماء المرأة إذ تمثل لها الروح بَشَراً سَوِيًّا أو كان عن نفخ بغير ماء فعلى كل وجه هو جسم رابع مغاير في النشء غيره من أجسام النوع و لذلك قال تعالى إِنَّ مَثَلَ عِيسى أي صفة نشء عيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ الضمير يعود

على آدم و وقع الشبه في خلقه من غير أب أي صفة نشئه صفة نشء آدم إلا أن آدم خلقه من تراب ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ ثم إن عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لأنه أسرع إليه التكوين لما أراد الله أن يجعله آية و يرد به على الطبيعيين حيث حكموا على الطبيعة بما أعطتهم من العادة لا بما تقتضيه مما أودع الله فيها من الأسرار و التكوينات العجيبة و لقد أنصف بعض حذاق هذا الشأن الطبيعة فقال لا نعلم منها إلا ما أعطتنا خاصة و فيها ما لا نعلم فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الإنسانية و إنها أربعة أجسام مختلفة النشء كما قررنا و أنه آخر المولدات فهو نظير العقل الأول و به ارتبط لأن الوجود دائرة فكان ابتداء الدائرة وجود العقل الأول الذي ورد في الخبر أنه أول ما خلق الله العقل فهو أول الأجناس و انتهى الخلق إلى الجنس الإنساني فكملت الدائرة و اتصل الإنسان بالعقل كما يتصل آخر الدائرة بأولها فكانت دائرة و ما بين طرفي الدائرة جميع ما خلق الله من أجناس العالم بين العقل الأول الذي هو القلم أيضا و بين الإنسان الذي هو الموجود الآخر و لما كانت الخطوط الخارجة من النقطة التي في وسط الدائرة إلى المحيط الذي وجد عنها تخرج على السواء لكل جزء من المحيط كذلك نسبة الحق تعالى إلى جميع الموجودات نسبة واحدة فلا يقع هناك تغيير البتة كانت الأشياء كلها ناظرة إليه و قابلة منه ما يهبها نظر أجزاء المحيط إلى النقطة و أقام سبحانه هذه الصورة الإنسانية بالحركة المستقيمة صورة العمد الذي للخيمة فجعله لقبة هذه السموات فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه فعبرنا عنه بالعمد فإذا فنيت هذه الصورة و لم يبق منها على وجه الأرض أحد متنفس وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ لأن العمد زال و هو الإنسان و لما انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان إليها و خربت الدنيا بانتقاله عنها علمنا قطعا إن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم و أنه الخليفة حقا و أنه محل ظهور الأسماء الإلهية و هو الجامع لحقائق العالم كله من ملك و فلك و روح و جسم و طبيعة و جماد و نبات و حيوان إلى ما خص به من علم الأسماء الإلهية مع صغر حجمه و جرمه و إنما قال الله فيه بأن خلق السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ لكون الإنسان متولدا عن السماء و الأرض فهما له كالأبوين فرفع الله مقدارهما وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فلم يرد في الجرمية فإن ذلك معلوم حسا غير أن الله تعالى ابتلاه ببلاء ما ابتلى به أحدا من خلقه إما لأن يسعده أو يشقيه على حسب ما يوفقه إلى استعماله فكان البلاء الذي ابتلاه به إن خلق فيه قوة تسمى الفكر و جعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل و جبر العقل مع سيادته على الفكر أن يأخذ منه ما يعطيه و لم يجعل للفكر مجالا إلا في القوة الخيالية و جعل سبحانه القوة الخيالية محلا جامعا لما تعطيها القوة الحساسة و جعل له قوة يقال لها المصورة فلا يحصل في القوة الخيالية إلا ما أعطاه الحس أو أعطته القوة المصورة و مادة المصورة من المحسوسات فتركب صورا لم يوجد لها عين لكن أجزاؤها كلها موجودة حسا و ذلك لأن العقل خلق ساذجا ليس عنده من العلوم النظرية شيء و قيل للفكر ميز بين الحق و الباطل الذي في هذه القوة الخيالية فينظر بحسب ما يقع له فقد يحصل في شبهة و قد يحصل في دليل عن غير علم منه بذلك و لكن في زعمه أنه عالم بصور الشبه من الأدلة و أنه قد حصل على علم و لم ينظر إلى قصور المواد التي استند إليها في اقتناء العلوم فيقبلها العقل منه و يحكم بها فيكون جهله أكثر من علمه بما لا يتقارب ثم إن الله كلف هذا العقل معرفته سبحانه ليرجع إليه فيها لا إلى غيره ففهم العقل نقيض ما أراد به الحق بقوله تعالى أَ

وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فاستند إلى الفكر و جعله إماما يقتدى به و غفل عن الحق في مراده بالتفكر أنه خاطبه أن يتفكر فيرى أن علمه بالله لا سبيل إليه إلا بتعريف الله فيكشف له عن الأمر على ما هو عليه فلم يفهم كل عقل هذا الفهم إلا عقول خاصة الله من أنبيائه و أوليائه يا ليت شعري هل بأفكارهم قالوا بَلى حين أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ في قبضة الذرية من ظهر آدم لا و الله بل عناية إشهاده إياهم ذلك عند أخذه إياهم عنهم من ظهورهم و لما رجعوا إلى الأخذ عن قواهم المفكرة في معرفة الله لم يجتمعوا قط على حكم واحد في معرفة الله و ذهب كل طائفة إلى مذهب و كثرت القالة في الجناب الإلهي الأحمى و اجترءوا غاية الجراءة على الله و هذا كله من الابتلاء الذي ذكرناه من خلقه الفكر في الإنسان و أهل الله افتقروا إليه فيما كلفهم من الايمان به في معرفته و علموا إن المراد منهم رجوعهم إليه في ذلك و في كل حال فمنهم القائل سبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته و منهم من قال العجز عن درك الإدراك إدراك و قال صلى الله عليه و سلم لا أحصي ثناء عليك و قال تعالى وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً فرجعوا إلى الله في المعرفة به و تركوا الفكر في مرتبته و وفوه حقه لم ينقلوه إلى ما لا ينبغي له التفكر فيه و قد ورد النهي عن التفكر في ذات الله و الله يقول وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ فوهبهم الله من معرفته ما وهبهم و أشهدهم من مخلوقاته و مظاهره ما أشهدهم فعلموا أنه ما يستحيل عقلا من طريق الفكر لا يستحيل نسبة إلهية كما سنورد من ذلك طرفا في باب الأرض المخلوقة من بقية طينة آدم و غيرها فالذي ينبغي للعاقل أن ندين الله به في نفسه أن يعلم إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ من ممكن و محال و لا كل محال نافذ الاقتدار واسع العطاء ليس لإيجاده تكرار بل أمثال تحدث في جوهر أوجده و شاء بقاه و لو شاء أفناه مع الأنفاس لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

(الباب الثامن) في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم ع هي أرض الحقيقة و ذكر بعض ما فيها من الغرائب و العجائب

أنت الأميمة عندنا المجهولة ... يا أخت بل يا عمتي المعقولة
فتنافسوا عن همة مغلوله ... نظر البنون إليك أخت أبيهم
عطفوا عليك بأنفس مجبوله ... إلا القليل من البنين فإنهم
فيك الاخى محققا تنزيله ... يا عمتي قل كيف أظهر سره
قد يرتضي رب الورى توكيله ... حتى بدا من مثل ذاتك عالم
المأموم أمثال له مسلوله ... أنت الإمامة و الإمام أخوك و

اعلم أن الله تعالى لما خلق آدم ع الذي هو أول جسم إنساني تكون و جعله أصلا لوجود الأجسام الإنسانية و فضلت من خميرة طينته فضلة خلق منها النخلة فهي أخت لآدم ع و هي لنا عمة و سماها الشرع عمة و شبهها بالمؤمن و لها أسرار عجيبة دون سائر النبات و فضل من الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسمة في الخفاء فمد الله في تلك الفضلة أرضا واسعة الفضاء إذا جعل العرش و ما حواه و الكرسي و السموات و الأرضون و ما تحت الثرى و الجنات كلها و النار في هذه الأرض كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض و فيها من

العجائب و الغرائب ما لا يقدر قدره و يبهر العقول أمره و في كل نفس خلق الله فيها عوالم يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ و في هذه الأرض ظهرت عظمة الله و عظمت عند المشاهد لها قدرته و كثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها هي موجودة في هذه الأرض و هي مسرح عيون العارفين العلماء بالله و فيها يجولون و خلق الله من جملة عوالمها عالما على صورنا إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها و قد أشار إلى مثل ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه فيما روى عنه في حديث هذه الكعبة و إنها بيت واحد من أربعة عشر بيتا و أن في كل أرض من السبع الأرضين خلقا مثلنا حتى إن فيهم ابن عباس مثلي و صدقت هذه الرواية عند أهل الكشف فلنرجع إلى ذكر هذه الأرض و اتساعها و كثرة عالمها المخلوقين فيها و منها و يقع للعارفين فيها تجليات إلهية أخبر بعض العارفين بأمر أعرفه شهودا قال دخلت فيها يوما مجلسا يسمى مجلس الرحمة لم أر مجلسا قط أعجب منه فبينا أنا فيه إذ ظهر لي تجل إلهي لم يأخذني عني بل أبقاني معي و هذا من خاصية هذه الأرض فإن التجليات الواردة على العارفين في هذه الدار في هذه الهياكل تأخذهم عنهم و تفنيهم عن شهودهم من الأنبياء و الأولياء و كل من وقع له ذلك و كذلك عالم السموات العلى و الكرسي الأزهى و عالم العرش المحيط الأعلى إذا وقع لهم تجل إلهي أخذهم عنهم و صعقوا و هذه الأرض إذا حصل فيها صاحب الكشف العارف و وقع له تجل لم يفنه عن شهوده و لا اختطفه عن وجوده و جمع له بين الرؤية و الكلام قال و اتفق لي في هذا المجلس أمور و أسرار لا يسعني ذكرها لغموض معانيها و عدم وصول الإدراكات قبل أن يشهد مثل هذه المشاهد لها و فيها من البساتين و الجنات و الحيوان و المعادن ما لا يعلم قدر ذلك إلا الله تعالى و كل ما فيها من هذا كله حي ناطق كحياة كل حي ناطق ما هو مثل ما هي الأشياء في الدنيا و هي باقية لا تفنى و لا تتبدل و لا يموت عالمها و ليست تقبل هذه الأرض شيئا من الأجسام الطبيعية الطينية البشرية سوى عالمها أو عالم الأرواح منا بالخاصية و إذا دخلها العارفون إنما يدخلونها بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا و يتجردون و في تلك الأرض صور عجيبة النشء بديعة الخلق قائمون على أفواه السكك المشرفة على هذا العالم الذي نحن فيه من الأرض و السماء و الجنة و النار فإذا أراد واحد منا الدخول لتلك الأرض من العارفين من أي نوع كان من إنس أو جن أو ملك أو أهل الجنة بشرط المعرفة و تجرد عن هيكله وجد تلك الصور على أفواه السكك قائمين موكلين بها قد نصبهم الله سبحانه لذلك الشغل فيبادر واحد منهم إلى هذا الداخل فيخلع عليه حلة على قدر مقامه و يأخذ بيده و يجول به في تلك الأرض و يتبوأ منها حيث يشاء و يعتبر في مصنوعات الله و لا يمر بحجر و لا شجر و لا مدر و لا شيء و يريد أن يكلمه إلا كلمه كما يكلم الرجل صاحبه و لهم لغات مختلفة و تعطي هذه الأرض بالخاصية لكل من دخلها الفهم بجميع ما فيها من الألسنة فإذا قضى منها وطره و أراد الرجوع إلى موضعه مشى معه رفيقه إلى أن يوصله إلى الموضع الذي دخل منه يوادعه و يخلع عنه تلك الحلة التي كساه و ينصرف عنه و قد حصل علوما جمة و دلائل و زاد في علمه بالله ما لم يكن عنده مشاهدة و ما رأيت الفهم ينفذ أسرع مما ينفذ إذا حصل في هذه الأرض و قد ظهر عندنا في هذه الدار و هذه النشأة ما يعضد هذا القول فمن ذلك ما شاهدناه و لا أذكره و منها ما حدثني أوحد الدين حامد بن أبي الفخر الكرماني و

فقه الله قال كنت أخدم شيخا و أنا شاب فمرض الشيخ و كان في محارة و قد أخذه البطن فلما وصلنا تكريت قلت له يا سيدي اتركني أطلب لك دواء ممسكا من صاحب مارستان سنجار من السبيل فلما رأى احتراقي قال لي رح إليه قال فرحت إلى صاحب السبيل و هو في خيمته جالس و رجاله بين يديه قائمون و الشمعة بين يديه و كان لا يعرفني و لا أعرفه فرآني واقفا بين الجماعة فقام إلي و أخذ بيدي و أكرمني و سألني ما حاجتك فذكرت له حال الشيخ فاستحضر الدواء و أعطاني إياه و خرج معي في خدمتي و الخادم بالشمعة بين يديه فخفت أن يراه الشيخ فيحرج فحلفت عليه أن يرجع فرجع فجئت الشيخ و أعطيته الدواء و ذكرت له كرامة الأمير صاحب السبيل بي فتبسم الشيخ و قال لي يا ولدي إني أشفقت عليك لما رأيت من احتراقك من أجلي فأذنت لك فلما مشيت خفت أن يخجلك الأمير بعدم إقباله عليك فتجردت عن هيكلي هذا و دخلت في هيكل ذلك الأمير و قعدت في موضعه فلما جئت أكرمتك و فعلت معك ما رأيت ثم عدت إلى هيكلي هذا و لا حاجة لي في هذا الدواء و ما استعمله فهذا شخص قد ظهر في صورة غيره فكيف أهل تلك الأرض قال لي بعض العارفين لما دخلت هذه الأرض رأيت فيها أرضا كلها مسك عطر لو شمه أحد منا في هذه الدنيا لهلك لقوة رائحته تمتد ما شاء الله إن تمتد و دخلت في هذه الأرض أرضا من الذهب الأحمر اللين فيها أشجار كلها ذهب و ثمرها ذهب فيأخذ التفاحة أو غيرها من الثمر فيأكلها فيجد من لذة طعمها و حسن رائحتها و نعمتها ما لا يصفها واصف تقصر فاكهة الجنة عنها فكيف فاكهة الدنيا و الجسم و الشكل و الصورة ذهب و الصورة و الشكل كصورة الثمرة و شكلها عندنا و تختلف في الطعم و في الثمرة من النقش البديع و الزينة الحسنة ما لا تتوهمه نفس فأحرى إن تشهده عين و رأيت من كبر ثمرها بحيث لو جعلت الثمرة بين السماء و الأرض لحجبت أهل الأرض عن رؤية السماء و لو جعلت على الأرض لفضلت عليها أضعافا و إذا قبض عليها الذي يريد أكلها بهذه اليد المعهودة في القدر عمها بقبضته لنعمتها ألطف من الهواء يطبق عليها يده مع هذا العظم و هذا مما تحيله العقول هنا في نظرها و لما شاهدها ذو النون المصري نطق بما حكي عنه من إيراد الكبير على الصغير من غير أن يصغر الكبير أو يكبر الصغير أو يوسع الضيق أو يضيق الواسع فالعظم في التفاحة على ما ذكرته باق و القبض عليها باليد الصغيرة و الإحاطة بها موجود و الكيفية مشهودة مجهولة لا يعرفها إلا الله و هذا العلم مما انفرد الحق به و اليوم الواحد الزماني عندنا هو عدة سنين عندهم و أزمنة تلك الأرض مختلفة قال و دخلت فيها أرضا من فضة بيضاء في الصورة ذات شجر و أنهار و ثمر شهي كل ذلك فضة و أجسام أهلها منها كلها فضة و كذلك كل أرض شجرها و ثمرها و أنهارها و بحارها و خلقها من جنسها فإذا تنوولت و أكلت وجد فيها من الطعم و الروائح و النعمة مثل سائر المأكولات غير أن اللذة لا توصف و لا تحكي و دخلت فيها أرضا من الكافور الأبيض و هي في أماكن منها أشد حرارة من النار يخوضها الإنسان و لا تحرقه و أماكن منها معتدلة و أماكن باردة و كل أرض من هذه الأرضين التي هي أماكن في هذه الأرض الكبيرة لو جعلت السماء فيها لكانت كحلقة في فلاة بالنسبة إليها و ما في جميع أراضيها أحسن عندي و لا أوفق لمزاجي من أرض الزعفران و ما رأيت عالما من عالم كل أرض أبسط نفوسا منهم و لا أكثر بشاشة بالوارد عليهم يتلقونه بالترحيب و التأهيل و من

عجائب مطعوماتها أنه أي شيء أكلت منها إذا قطعت من الثمرة قطعة نبتت في زمان قطعك إياها مكانها ما سد تلك الثلمة أو تقطف بيدك ثمرة من ثمرها فزمان قطفك إياها يتكون مثلها بحيث لا يشعر بها إلا الفطن فلا يظهر فيها نقص أصلا و إذا نظرت إلى نسائها ترى أن النساء الكائنين في الجنة من الحور بالنسبة إليهن كنسائنا من البشر بالنسبة إلى الحور في الجنان و أما مجامعتهن فلا يشبه لذتها لذة و أهلها أعشق الخلق فيمن برد عليهم و ليس عندهم تكليف بل هم مجبولون على تعظيم الحق و جلاله تعالى لو راموا خلاف ذلك ما استطاعوا و أما أبنيتهم فمنها ما يحدث عن هممهم و منها ما يحدث كما تبنى عندنا من اتخاذ الآلات و حسن الصنعة ثم إن بحارها لا يمتزج بعضها ببعض كما قال تعالى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فتعاين منتهى بحر الذهب تصطفق أمواجه و يباشره بالمجاورة بحر الحديد فلا يدخل من واحد في الآخر شيء و ماؤهم ألطف من الهواء في الحركة و السيلان و هو من الصفاء بحيث أن لا يخفى عنك من دوابه و لا من الأرض التي يجري البحر عليها شيء فإذا أردت أن تشرب منه وجدت له من اللذة ما لا تجده لمشروب أصلا و خلقها ينبتون فيها كسائر النباتات من غير تناسل بل يتكونون من أرضها تكون الحشرات عندنا و لا ينعقد من مائهم في نكاحهم ولد و إن نكاحهم إنما هو لمجرد الشهوة و النعيم و أما مراكبهم فتعظم و تصغر بحسب ما يريده الراكب و إذا سافروا من بلد إلى بلد فإنهم يسافرون برا و بحرا و سرعة مشيهم في البر و البحر أسرع من إدراك البصر للمبصر و خلقها متفاوتون في الأحوال ففيهم من تغلب عليهم الشهوات و فيهم من يغلب عليهم تعظيم جناب الحق و رأيت فيها ألوانا لا أعرفها في ألوان الدنيا و رأيت فيها معادن تشبه الذهب و ما هي بذهب و لا نحاس و أحجارا من اللآلي ينفذها البصر لصفائها شفافة من اليواقيت الحمر و من أعجب ما فيها إدراك الألوان في الأجسام السفلية التي هي كالهواء و يتعلق الإدراك بألوانها كما يتعلق بالألوان التي في الأجسام الكثيفة و على أبواب مدائنها عقود من الأحجار الياقوتية كل حجر منها يزيد على الخمسمائة ذراع و علو الباب في الهواء عظيم و عليه معلق من الأسلحة و العدد ما لو اجتمع ملك الأرض كلها ما و في بها و عندهم ظلمة و نور من غير شمس تتعاقب و بتعاقبهما يعرفون الزمان و ظلمتهم لا تحجب البصر عن مدركه كما لا يحجبه النور و يغزو بعضهم بعضا من غير شحناء و لا عداوة و لا فساد بنية و إذا سافروا في البحر و غرقوا لا يعدو عليهم الماء كما يعدو علينا بل يمشون فيه كمشي دوابه حتى يلحقوا بالساحل و تحل بتلك الأرض زلازل لو حلت بنا لانقلبت الأرض و هلك ما كان عليها و قال لقد كنت يوما مع جماعة منهم في حديث و جاءت زلزلة شديدة بحيث إني رأيت الأبنية تتحرك كلها تحركا لا يقدر البصر يتمكن من رؤيتها السرعة الحركة مرورا و كرورا و ما عندنا خبر و كانا على الأرض قطعة منها إلى أن فرغت الزلزلة فلما فرغت و سكنت الأرض أخذت الجماعة بيدي و عزتني في ابنة لي اسمها فاطمة فقلت للجماعة إني تركتها في عافية عند والدتها قالوا صدقت و لكن هذه الأرض ما تزلزل بنا و عندنا أحد إلا مات ذلك الشخص أو مات له أحد و إن هذه الزلزلة لموت ابنتك فانظر في أمرها فقعدت معهم ما شاء الله و صاحبي ينتظرني فلما أردت فراقهم مشوا معي إلى فم السكة و أخذوا خلعتهم و جئت إلى بيتي فلقيت صاحبي فقال لي إن فاطمة تنازع فدخلت عليها فقضت و كنت بمكة مجاورا فجهزناها و دفناها بالمعلى فهذا من أعجب ما أخبرت عن

تلك الأرض و رأيت بها كعبة يطوف بها أهلها غير مكسوة و تكون أكبر من البيت الذي بمكة ذات أركان أربعة تكلمهم إذا طافوا بها و تحييهم و تفيدهم علوما لم تكن عندهم و رأيت في هذه الأرض بحرا من تراب يجري مثل ما يجري الماء و رأيت حجارة صغارا و كبارا يجري بعضها إلى بعض كما يجري الحديد إلى المغناطيس فتتألف هذه الحجارة و لا تنفصل بعضها من بعض بطبعها إلا إن فصلها فاصل مثل ما يفصل الحديد عن المغناطيس ليس في قوته أن يمتنع فإذا ترك و طبعه جرت بعضها إلى بعض على مقدار من المساحة مخصوص فتضم هذه الحجارة بعضها إلى بعض فينشأ منها صورة سفينة و رأيت منها مركبا صغيرا و شينيين فإذا التأمت السفينة من تلك الحجارة رموا بها في بحر التراب و ركبوا فيها و سافروا حيث يشتهون من البلاد غير إن قاع السفينة من رمل أو تراب يلصق بعضه ببعض لصوق الخاصية فمما رأيت فيما رأيت أعجب من جريان هذه السفن في ذلك البحر و صورة الإنشاء في المراكب سواء غير أن لهم في جناحي السفينة مما يلي مؤخرها أسطوانتين عظيمتين تعلو المركب أكثر من القامة و أرض المركب من جهة مؤخره ما بين الأسطوانتين مفتوح متساو مع البحر و لا يدخل فيه من رمل ذلك البحر شيء أصلا بالخاصية و هذا شكله

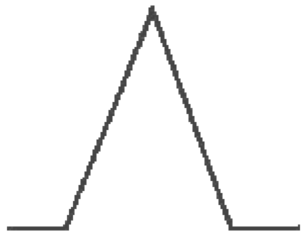

و في هذه الأرض مدائن تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار و هي ثلاث عشرة مدينة و هي على سطح واحد و بنيانها عجيب و ذلك أنهم عمدوا إلى موضع في هذه الأرض فبنوا فيه مدينة صغيرة لها أسوار عظيمة يسير الراكب فيها إذا أراد أن يدور بها مسيرة ثلاثة أعوام فلما أقاموها جعلوها خزانة لمنافعهم و مصالحهم و عددهم و أقاموا على بعد من جوانبها أبراجا تعلو على أبراج المدينة بما داربها و مدوا البناء بالحجارة حتى صار للمدينة كالسقف للبيت و جعلوا ذلك السقف أرضا بنوا عليه مدينة أعظم من التي بنوا أولا و عمروها و اتخذوها مسكنا فضاقت عنهم فبنوا عليها مدينة أخرى أكبر منها و ما زال يكثر عمارها و هم يصعدون بالبنيان طبقة فوق طبقة حتى بلغت ثلاث عشرة مدينة ثم إني غبت عنهم مدة ثم دخلت إليهم مرة أخرى فوجدتهم قد زادوا مدينتين واحدة فوق أخرى و لهم ملوك فيهم لطف و حنان صحبت منهم جماعة منهم التالي و هو التابع بمنزلة القيل في حمير و لم أر ملكا أكثر منه ذكر الله قد شغله ذكر الله عن تدبير ملكه انتفعت به و كان كثير المجالسة لي و منهم ذو العرف و هو ملك عظيم لم أر في ملوك الأرض أكثر من تأتي إليه الرسل من الملوك منه و هو كثير الحركة هين لين يصل إليه كل أحد يتلطف في النزول لكنه إذا غضب لم يقم لغضبه شيء أعطاه الله من القوة ما شاء و رأيت لبحرها

ملكا منيع الحمى يدعي السابح هو قليل المجالسة مع من يقصد إليه و ما له ذلك الالتفات إلى أحد غير أنه مع ما يخطر له لا مع ما يراد منه و يجاوره سلطان عظيم اسمه السابق إذا دخل عليه الوافد قام إليه من مجلسه و بش في وجهه و أظهر السرور بقدومه و قام له بجميع ما يحتاج إليه من قبل أن يسأله عن شيء فقلت له في ذلك فقال لي أكره أن أرى في وجه السائل ذلة السؤال لمخلوق غيرة أن يذل أحد لغير الله و ما كل أحد يقف مع الله على قدم التوحيد و إن أكثر الوجوه مصروفة إلى الأسباب الموضوعة مع الحجاب عن الله فهذا يجعلني أن أبادر إلى ما ترى من كرامة الوافد قال و دخلت على ملك آخر يدعي القائم بأمر الله لا يلتفت إلى الوافد عليه لاستيلاء عظمة الحق على قلبه فلا يشعر بالوافد و ما يفد عليه من يفد من العارفين إلا لينظروا إلى حاله التي هو عليها تراه واقفا قد عقد يديه إلى صدره عقد العبد الذليل الجاني مطرقا إلى موضع قدميه لا تتحرك منه شعرة و لا يضطرب منه مفصل كما قيل في قوم هذه حالتهم مع سلطانهم

كأنما الطير منهم فوق أرءوسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

يتعلم العارفون منه حال المراقبة قال و رأيت ملكا يدعي بالرداع مهيب المنظر لطيف المخبر شديد الغيرة دائم الفكرة فيما كلف النظر فيه إذا رأى أحدا يخرج عن طريق الحق رده إلى الحق قال صحبته و انتفعت به و جالست من ملوكهم كثيرا و رأيت منهم من العجائب مما يرجع إلى ما عندهم من تعظيم الله ما لو سطرناه لأعيا الكاتب و السامع فاقتصرنا على هذا القدر من عجائب هذه الأرض و مدائنها لا تحصى كثرة و مدائنها أكثر من ضياعها وجميع من يملكها من الملوك ثمانية عشر سلطانا منهم من ذكرنا و منهم من سكتنا عنه و لكل سلطان سيرة و أحكام ليست لغيره قال و حضرت يوما في ديوانهم لأرى ترتيبهم فمما رأيت أن الملك منهم هو الذي يقوم برزق رعيته بلغوا ما بلغوا فرأيتهم إذا استوى الطعام وقف خلق لا يحصى عددهم كثرة يسمونهم الجباة و هم رسل أهل كل بيت فيعطيه الأمين من المطبخ على قدر عائلته و يأخذه الجابي و ينصرف و أما الذي يقسمه عليهم شخص واحد لا غير له من الأيدي على قدر الجباة فيغرف في الزمن الواحد لكل شخص طعامه في وعائه و ينصرف و ما فضل من ذلك يرفع إلى خزانة فإذا فرغ منهم ذلك القاسم دخل الخزانة و أخذ ما فضل و خرج به إلى الصعاليك الذين على باب دار الملك فيلقيه إليهم فيأكلوه و هكذا في كل يوم و لكل ملك شخص حسن الهيئة هو على الخزانة يدعونه الخازن بيده جميع ما يملكه ذلك الملك و من شرعهم أنه إذا ولاة ليس له عزله و رأيت فيهم شخصا أعجبتني حركاته و هو جالس إلى جانب الملك و كنت على يمين الملك فسألته ما منزلة هذا عندكم فتبسم و قال أعجبك قلت له نعم قال هذا المعمار الذي يبني لنا المساكن و المدن و جميع ما تراه من آثار عمله و رأيت في سوق صيارفهم أنه لا ينتقد لهم سكتهم إلا واحد في المدينة كلها و فيما تحت يد ذلك الملك من المدن قال و هكذا رأيت سيرتهم في كل أمر لا يقوم به إلا واحد لكن له وزعة و أهل هذه الأرض أعرف الناس بالله و كل ما أحاله العقل بدليله عندنا وجدناه في هذه الأرض ممكنا قد وقع و إن الله على كل شيء قدير فعلمنا إن العقول قاصرة و إن الله قادر على جمع الضدين و وجود الجسم في مكانين و قيام العرض بنفسه و انتقاله و قيام المعنى بالمعنى و كل حديث و آية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض و كل

جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك و جن و كل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الأرض لها من هذه الأرض موضع مخصوص و لهم رقائق ممتدة إلى جميع العالم و على كل رقيقة أمين فإذا عاين ذلك الأمين روحا من الأرواح قد استعد لصورة من هذه الصور التي بيده كساه إياها كصورة دحية لجبريل و سبب ذلك أن هذه الأرض مدها الحق تعالى في البرزخ و عين منها موضعا لهذه الأجساد التي تلبسها الروحانيات و تنتقل إليها النفوس عند النوم و بعد الموت فنحن من بعض عالمها و من هذه الأرض طرف يدخل في الجنة يسمى السوق و نحن نبين لك مثال صورة امتداد الطرف الذي يلي العالم من هذه الأرض و ذلك أن الإنسان إذا نظر إلى السراج أو الشمس و القمر ثم حال بأهداب أجفانه بين الناظر و الجسم المستنير يبصر من ذلك الجسم المستنير إلى عينيه شبه الخطوط من النور تتصل من السراج إلى عينيه متعددة فإذا رفع تلك الأهداب من مقابلة الناظر قليلا قليلا يرى تلك الخطوط الممتدة تنقبض إلى الجسم المستنير فالجسم المستنير مثال للموضع المعين من هذه الأرض لتلك الصور و الناظر مثال العالم و امتداد تلك الخطوط كصور الأجساد التي تنتقل إليها في النوم و بعد الموت و في سوق الجنة و التي تلبسها الأرواح و قصدك إلى رؤية تلك الخطوط بذلك الفعل من إرسال الأهداب الحائلة بين الناظر و الجسم النير مثال الاستعداد و انبعاث تلك الخطوط عند هذه الحال انبعاث الصور عند الاستعداد و انقباض الخطوط إلى الجسم النير عند رفع الحائل رجوع الصور إلى تلك الأرض عند زوال الاستعداد و ليس بعد هذا البيان بيان و قد بسطنا القول في عجائب هذه الأرض و ما يتعلق بها من المعارف في كتاب كبير لنا فيها خاصة انتهى الجزء الحادي عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع) في معرفة وجود الأرواح المارجية النارية

صورة الجن برزخا بين شيئين	مرج النار و النبات فقامت
في حضيض و بين روح بلا أين	بين روح مجسم ذي مكان
طلب القوت للتغذي بلا مين	فالذي قابل التجسم منها
قبل القلب بالتشكل في العين	و الذي قابل الملائك منها
و يجازى مخالفوهم بنارين	و لهذا يطيع وقتا و يعصي

قال الله تعالى وَخَلَقَ الْجَانَّ من مارِجٍ من نارٍ و ورد في الحديث الصحيح أن الله خلق الملائكة من نور و خلق الله الجان من نار و خلق الإنسان مما قيل لكم فأما قوله ع في خلق الإنسان مما قيل لكم و لم يقل مثل ما قال في خلق الملائكة و الجان طلبا للاختصار فإنه أوتي جوامع الكلم و هذا منها فإن الملائكة لم يختلف أصل خلقها و لا الجان و أما الإنسان اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق فخلق آدم لا يشبه خلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم و خلق عيسى ع لا يشبه خلق من ذكرنا فقصد رسول الله صلى الله عليه و سلم الاختصار و أحال على

ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان فآدم من طين و حواء من ضلع و عيسى من نفخ روح و بنو آدم من ماءٍ مَهِينٍ و لما أنشأ الله الأركان الأربعة و علا الدخان إلى مقعر فلك الكواكب الثابتة و فتق في ذلك الدخان سبع سماوات ميز بعضها عن بعض وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها بعد ما قدر في الأرض أقواتها و ذلك كله في أَرْبَعَةِ أَيّامٍ ثم قال للسماوات و الأرض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً أي أجيبا إذا دعيتما لما يراد منكما مما أمنتما عليه أن تبرزاه ف قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فجعل سبحانه بين السماء و الأرض التحاما معنويا و توجها لما يريد سبحانه أن يوجده في هذه الأرض من المولدات من معدن و نبات و حيوان و جعل الأرض كالأهل و جعل السماء كالبعل و السماء تلقي إلى الأرض من الأمر الذي أوحى الله فيها كما يلقي الرجل الماء بالجماع في المرأة و تبرز الأرض عند الإلقاء ما خبأه الحق فيها من التكوينات على طبقاتها فكان من ذلك أن الهواء لما اشتعل و حمي اتقد مثل السراج و هو اشتعال النار ذلك اللهب الذي هو احتراق الهواء و هو المارج و إنما سمي مارجا لأنه نار مختلط بهواء و هو الهواء المشتعل فإن المرج الاختلاط و منه سمي المرج مرجا لاختلاط النبات فيه فهو من عنصرين هواء و نار أعني الجان كما كان آدم من عنصرين ماء و تراب عجن به فحدث له اسم الطين كما حدث لامتزاج النار بالهواء اسم المارج ففتح سبحانه في ذلك المارج صورة الجان فبما فيه من الهواء يتشكل في أي صورة شاء و بما فيه من النار سخف و عظم لطفه و كان فيه طلب القهر و الاستكبار و العزة فإن النار أرفع الأركان مكانا و له سلطان على إحالة الأشياء التي تقتضيها الطبيعة و هو السبب الموجب لكونه استكبر عن السجود لآدم عند ما أمره الله عز و جل بتأويل أداه أن يقول أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ يعني بحكم الأصل الذي فضل الله به بين الأركان الأربعة و ما علم إن سلطان الماء الذي خلق منه آدم أقوى منه فإنه يذهبه و إن التراب أثبت منه للبرد و اليبس فلآدم القوة و الثبوت لغلبة الركنين اللذين أوجده الله منهما و إن كان فيه بقية الأركان و لكن ليس لها ذلك السلطان و هو الهواء و النار كما في الجان من بقية الأركان و لذا سمي مارجا و لكن ليس لها في نشأته ذلك السلطان و أعطى آدم التواضع للطينية بالطبع فإن تكبر فلأمر يعرض له يقبله بما فيه من النارية كما يقبل اختلاف الصور في خياله و في أحواله من الهوائية و أعطى الجان التكبر بالطبع للنارية فإن تواضع فلأمر يعرض له يقبله بما فيه من الترابية كما يقبل الثبات على الإغواء إن كان شيطانا و الثبات على الطاعات إن لم يكن شيطانا و قد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم لما تلا سورة الرحمن على أصحابه قال إني تلوتها على الجن فكانوا أحسن استماعا لها منكم فكانوا يقولون و لا بشيء من آلاء ربنا نكذب إذ قلت فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ثابتين عليه ما تزلزلوا عند ما كان يقول لهم ع في تلاوته فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ و ذلك بما فيه من الترابية و بما فيه من المائية ذهبت بحمية النارية فمنهم الطائع و العاصي مثلنا و لهم التشكل في الصور كالملائكة و أخذ الله بأبصارنا عنهم فلا نراهم إلا إذا شاء الله أن يكشف لبعض عباده فيراهم و لما كانوا من عالم السخافة و اللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني إنما هي أول صورة قبل عند ما أوجده الله ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها و لو كشف الله عن أبصارنا حتى نرى ما تصوره القوة المصورة التي وكلها الله بالتصوير في خيال المتخيل منا لرأيت مع الآناة الإنسان في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضا و لما نفخ الروح في

اللهب و هو كثير الاضطراب لسخافته و زاده النفخ اضطرابا و غلب الهواء عليه و عدم قراره على حالة واحدة ظهر عالم الجان على تلك الصورة وكما وقع التناسل في البشر بإلقاء الماء في الرحم فكانت الذرية و التوالد في هذا الصنف البشري الآدمي كذلك وقع التناسل في الجان بإلقاء الهواء في رحم الأنثى منهم فكانت الذرية و التوالد في صنف الجان و كان وجودهم بالقوس و هو ناري هكذا ذكر الوارد حفظه الله فكان بين خلق الجان و خلق آدم ستون ألف سنة وكان ينبغي على ما يزعم بعض الناس أن ينقطع التوالد من الجان بعد انقضاء أربعة آلاف سنة و ينقضي التوالد من البشر بعد انقضاء سبعة آلاف سنة و لم يقع الأمر على ذلك بل الأمر راجع إلى ما يريده الله فالتوالد في الجن إلى اليوم باق وكذلك فينا فتحقق بهذا كم لآدم من السنين وكم بقي إلى انقضاء الدنيا و فناء البشر عن ظهرها و انقلابهم إلى الدار الآخرة و ليس هذا بمذهب الراسخين في العلم و إنما قال به شرذمة لا يعتد بقولها فالملائكة أرواح منفوخة في أنوار و الجان أرواح منفوخة في رياح و الأناسي أرواح منفوخة في أشباح و يقال إنه لم يفصل عن الموجود الأول من الجان أنثى كما فصلت حواء من آدم قال بعضهم إن الله خلق للموجود الأول من الجان فرجا في نفسه فنكح بعضه ببعضه فولد مثل ذرية آدم ذكرانا و إناثا ثم نكح بعضهم بعضا فكان خلقه خنثى و لذلك هم الجان من عالم البرزخ لهم شبه بالبشر و شبه بالملائكة كالخنثى يشبه الذكر و يشبه الأنثى و قد روينا فيما رويناه من الأخبار عن بعض أئمة الدين أنه رأى رجلا و معه ولدان و كان خنثى الواحد من ظهره و الآخر من بطنه نكح فولد له و نكح فولد و سمي خنثى من الانخناث و هو الاسترخاء و الرخاوة عدم القوة و الشدة فلم تقو فيه قوة الذكورية فيكون ذكرا و لم تقو فيه قوة الأنوثة فيكون أنثى فاسترخى عن هاتين القوتين فسمي خنثى و الله أعلم و لما غلب على الجان عنصر الهواء و النار لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الهواء مما في العظام من الدسم فإن الله جاعل لهم فيها رزقا فإنا نشاهد جوهر العظم و ما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء فعلمنا قطعا إن الله جاعل لهم فيها رزقا و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم في العظام إنها زاد إخوانكم من الجن و في حديث إن الله جاعل لهم فيها رزقا و أخبرني بعض المكاشفين أنه رأى الجن يأتون إلى العظم فيشمونه كما تشم السباع ثم يرجعون و قد أخذوا رزقهم و غذاؤهم في ذلك الشم فسبحان اللطيف الخبير و أما اجتماع بعضهم ببعض عند النكاح فالتواء مثل ما تبصر الدخان الخارج من الأتون أو من فرن الفخار يدخل بعضه في بعضه فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل و يكون ما يلقونه كلقاح النخلة بمجرد الرائحة كغذائهم سواء و هم قبائل و عشائر و قد ذكر أنهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولا ثم يتفرعون إلى أفخاذ و تقع بينهم حروب عظيمة و بعض الزوابع قد يكون عين حربهم فإن الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها أن تخترقها فيؤدي ذلك المنع إلى الدور المشهود في الغبرة في الحس التي آثارها تقابل الريحين المتضادين فمثل ذلك يكون حربهم و ما كل زوبعة حربهم و حديث عمرو الجني رحمه الله مشهورة مروية و قتله في الزوبعة التي أبصرت فانقشعت عنه و هو على الموت فما لبث إن مات و كان عبدا صالحا من الجان و لو كان هذا الكتاب مبناه على إيراد أخبار و حكايات لذكرنا منها طرفا و إنما هذا كتاب علم المعاني فلينظر حكاياتهم في تواريخ الأدب و أشعارهم ثم نرجع و نقول و إن هذا العالم الروحاني إذا تشكل و ظهر في صورة حسية يقيده البصر

بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ينظر إليه بالخاصية و لكن من الإنسان فإذا قيده و لم يبرح ناظرا إليه و ليس له موضع يتوارى فيه أظهر له هذا الروحاني صورة جعلها عليه كالستر ثم يخيل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة فيتبعها بصره فإذا اتبعها بصره خرج الروحاني عن تقييده فغاب عنه و بمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي اتبعها بصره فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره فإذا غاب جسم السراج فقد ذلك النور فهكذا هذه الصورة فمن يعرف هذا و يحب تقييده لا يتبع الصورة بصره و هذا من الأسرار الإلهية التي لا تعرف إلا بتعريف الله و ليست الصورة غير عين الروحاني بل هي عينه و لو كانت في ألف مكان أو في كل مكان و مختلفة الأشكال و إذا اتفق قتل صورة من تلك الصور و ماتت في ظاهر الأمر انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ كما ننتقل نحن بالموت و لا يبقى له في عالم الدنيا حديث مثلنا سواء و تسمى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيات أجسادا و هو قوله تعالى وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً و قوله وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ و الفرق بين الجان و الملائكة و إن اشتركوا في الروحانية أن الجان غذاؤهم ما تحمله الأجسام الطبيعية من المطاعم و الملائكة ليست كذلك و لهذا ذكر الله في قصة ضيف إبراهيم الخليل فَلَمّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ يعني إلى العجل الحنيذ أي لا يأكلون منه و خاف و حين جاء وقت إنشاء عالم الجان توجه من الأمناء الذين في الفلك الأول من الملائكة ثلاثة ثم أخذوا من نوابهم من السماء الثانية ما يحتاجون إليه منهم في هذا النشء ثم نزلوا إلى السموات فأخذوا من النواب اثنين من السماء الثانية و السادسة من هناك و نزلوا إلى الأركان فهيئوا المحل و اتبعتهم ثلاثة أخر من الأمناء و أخذوا من الثانية ما يحتاجون إليه من نوابهم ثم نزلوا إلى السماء الثالثة و الخامسة من هناك فأخذوا ملكين و مروا بالسماء السادسة فأخذوا نائبا آخر من الملائكة و نزلوا إلى الأركان ليكملوا التسوية فنزلت الستة الباقية و أخذت ما بقي من النواب في السماء الثانية و في السموات فاجتمع الكل على تسوية هذه النشأة بإذن العليم الحكيم فلما تمت نشأته و استقامت بنيته توجه الروح من عالم الأمر فنفخ في تلك الصورة روحا سرت فيه بوجودها الحياة فقام ناطقا بالحمد و الثناء لمن أوجده جبلة جبل عليها و في نفسه عزة و عظمة لا يعرف سببها و لا على من يعتز بها إذ لم يكن ثم مخلوق آخر من عالم الطبائع سواه فبقي عابدا لربه مصرا على عزته متواضعا لربوبية موجدة بما يعرض له مما هو عليه في نشأته إلى أن خلق آدم فلما رأى الجان صورته غلب على واحد منهم اسمه الحارث بغض تلك النشأة و تجهم وجهه لرؤية تلك الصورة الآدمية و ظهر ذلك منه لجنسه فعتبوه لذلك لما رأوه عليه من الغم و الحزن لها فلما كان من أمر آدم ما كان أظهر الحارث ما كان يجد في نفسه منه و أبى عن امتثال أمر خالقه بالسجود لآدم وَ اسْتَكْبَرَ على آدم بنشأته و افتخر بأصله و غاب عنه سر قوة الماء الذي جعل الله منه كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ و منه كانت حياة الجان و هم لا يشعرون و تأمل إن كنت من أهل الفهم قوله تعالى وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فحيي العرش و ما حوى عليه من المخلوقات وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فجاء بالنكرة و لا يسبح إلا حي ورد في الحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الملائكة قالت يا رب في حديث طويل هل خلقت شيئا أشد من النار قال نعم الماء فجعل الماء أقوى من النار فلو كان عنصر الهواء في نشأة الجان غير مشتعل بالنار

لكان الجان أقوى من بنى آدم فإن الهواء أقوى من الماء فإن الملائكة قالت في هذا الحديث يا رب فهل خلقت شيئًا أشد من الماء قال نعم الهواء ثم قالت يا رب فهل خلقت شيئًا أشد من الهواء قال نعم ابن آدم الحديث فجعل النشأة الإنسانية أقوى من الهواء و جعل الماء أقوى من النار و هو العنصر الأعظم في الإنسان كما إن النار العنصر الأعظم في الجان و لهذا قال في الشيطان إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً فلم ينسب إليه من القوة شيئًا و لم يرد على العزيز في قوله إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ و لا أكذبه مع ضعف عقل المرأة عن عقل الرجل فإن النساء ناقصات عقل فما ظنك بقوة الرجل و سبب ذلك أن النشأة الإنسانية تعطي التؤدة في الأمور و الأناة و الفكر و التدبير لغلبة العنصرين الماء و التراب على مزاجه فيكون وافر العقل لأن التراب يثبطه و يمسكه و الماء يلينه و يسهله و الجان ليس كذلك فإنه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الإمساك الذي للإنسان و لهذا يقال فلان خفيف العقل و سخيف العقل إذا كان ضعيف الرأي هلباجة و هذا هو نعت الجان و به ضل عن طريق الهدى لخفة عقله و عدم تثبته في نظره فقال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فجمع بين الجهل و سوء الأدب لخفته فمن عصى من الجان كان شيطانا أي مبعودا من رحمة الله و كان أول من سمي شيطانا من الجن الحارث فأبلسه الله أي طرده من رحمته و طرد الرحمة عنه و منه تفرعت الشياطين بأجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن إبليس التحق بالمؤمنين من الجن و من بقي على كفره كان شيطانا و هي مسألة خلاف بين علماء الشريعة فقال بعضهم إن الشيطان لا يسلم أبدا و تأول قوله ع في شيطانه و هو القرين الموكل به إن الله أعانه عليه فأسلم روى برفع الميم و فتحها أيضا فتأول هذا القائل الرفع بأنه قال فأسلم منه أي ليس له على سبيل و هكذا تأوله المخالف و تأول الفتح فيه على الانقياد قال فمعناه انقاد مع كونه عدوا فهو بعينه لا يأمرني إلا بخير جبرا من الله و عصمة لرسول الله صلى الله عليه و سلم و قال المخالف معنى فأسلم بالفتح أي آمن بالله كما يسلم الكافر عندنا فيرجع مؤمنا و هو الأولى و الأوجه و أكثر الناس يزعمون أنه أول الجن بمنزلة آدم من الناس و ليس كذلك عندنا بل هو واحد من الجن و إن الأول فيهم بمنزلة آدم في البشر إنما هو غيره و لذلك قال الله تعالى إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ أي من هذا الصنف من المخلوقين كما كان قابيل من البشر و كتبه الله شقيا فهو أول الأشقياء من البشر و إبليس أول الأشقياء من الجن و عذاب الشياطين من الجن في جهنم أكثر ما يكون بالزمهرير لا بالحرور و قد يعذب بالنار و بنو آدم أكثر عذابهم بالنار و وقفت يوما على مخبول العقل من الأولياء و عيناه تدمعان و هو يقول للناس لا تقفوا مع قوله تعالى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ لإبليس فقط بل انظروا في إشارته سبحانه لكم بقوله لإبليس جَهَنَّمَ مِنْكَ فإنه مخلوق من النار فيعود لعنه الله إلى أصله و إن عذب به فعذاب الفخار بالنار أشد فتحفظوا فما نظر هذا الولي من ذكر جهنم إلا النار خاصة و غفل عن إن جهنم اسم لحرورها و زمهريرها و بجملتها سميت جهنم لأنها كريهة المنظر و الجهام السحاب الذي قد هرق ماءه و الغيث رحمة الله فلما أزال الله الغيث من السحاب بإنزاله أطلق عليه اسم الجهام لزوال الرحمة الذي هو الغيث منه كذلك الرحمة أزالها الله من جهنم فكانت كريهة المنظر و المخبر و سميت أيضا جهنم لبعد قعرها يقال ركية جهنام إذا كانت بعيدة القعر نسأل الله العظيم لنا و للمؤمنين الأمن منها و يكفي هذا القدر من هذا الباب

«الباب العاشر»

في معرفة دورة الملك و أول منفصل فيها عن أول موجود و آخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه و بما ذا عمر الموضع المنفصل عنه منهما و تمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها و ما مرتبة العالم الذي بين عيسى و محمد عليهما السلام و هو زمان الفترة

الملك لو لا وجود الملك ما عرفا — و لم تكن صفة مما به وصفا
فدورة الملك برهان عليه لذا — قد التقت طرفاها هكذا كشفا
فكان آخرها كمثل أولها — و كان أولها عن سابق سلفا
و عند ما كملت بالختم قام بها — مليكها سيد الله معترفا
أعطاه خالقه فضلا معارفها — و ما يكون و ما قد كان و انصرفا

اعلم أيدك الله أنه ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال أنا سيد ولد آدم و لا فخر بالراء و في رواية بالزاي و هو التبجح بالباطل و في صحيح مسلم أنا سيد الناس يوم القيامة فثبتت له السيادة و الشرف على أبناء جنسه من البشر و قال ع كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين يريد على علم بذلك فأخبره الله تعالى بمرتبته و هو روح قبل إيجاده الأجسام الإنسانية كما أخذ الميثاق على بنى آدم قبل إيجاده أجسامهم و ألحقنا الله تعالى بأنبيائه بأن جعلنا شهداء على أممهم معهم حين يبعث من كل أمة شَهِيداً عَلَيْهِمْ من أَنْفُسِهِمْ و هم الرسل فكانت الأنبياء في العالم نوابه صلى الله عليه و سلم من آدم إلى آخر الرسل عليهم السلام و قد أبان صلى الله عليه و سلم عن هذا المقام بأمور منها قوله صلى الله عليه و سلم و الله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني و قوله في نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان إنه يؤمنا أي يحكم فينا بسنة نبينا ع و يكسر الصليب و يقتل الخنزير و لو كان محمد صلى الله عليه و سلم قد بعث في زمان آدم لكانت الأنبياء و جميع الناس تحت حكم شريعته إلى يوم القيامة حسا و لهذا لم يبعث عامة إلا هو خاصة فهو الملك و السيد و كل رسول سواه فبعث إلى قوم مخصوصين فلم تعم رسالة أحد من الرسل سوى رسالته صلى الله عليه و سلم فمن زمان آدم ع إلى زمان بعث محمد صلى الله عليه و سلم إلى يوم القيامة ملكه و تقدمه في الآخرة على جميع الرسل و سيادته فمنصوص على ذلك في الصحيح عنه فروحانيته صلى الله عليه و سلم موجودة و روحانية كل نبي و رسول فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون به من الشرائع و العلوم في زمان وجودهم رسلا و تشريعه الشرائع كعلي و معاذ و غيرهما في زمان وجودهم و وجوده صلى الله عليه و سلم و كإلياس و خضر عليهما السلام و عيسى ع في زمان ظهوره في آخر الزمان حاكما بشرع محمد صلى الله عليه و سلم في أمته المقرر في الظاهر لكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه صلى الله عليه و سلم أولا نسب كل شرع إلى من بعث به و هو في الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه و سلم و إن كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك كما هو مفقود العين الآن و في زمان نزول عيسى ع و الحكم بشرعه و أما نسخ الله بشرعه جميع الشرائع فلا يخرج هذا النسخ ما تقدم من الشرائع أن يكون من

شرعه فإن الله قد أشهدنا في شرعه الظاهر المنزل به صلى الله عليه و سلم في القرآن و السنة النسخ مع إجماعنا و اتفاقنا على إن ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا فنسخ بالمتأخر المتقدم فكان تنبيها لنا هذا النسخ الموجود في القرآن و السنة على إن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعا له و كان نزول عيسى ع في آخر الزمان حاكما بغير شرعه أو بعضه الذي كان عليه في زمان رسالته و حكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليلا على أنه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء عليهم السلام مع وجود ما قرره صلى الله عليه و سلم في شرعه و يدخل في ذلك ما هم عليه أهل الذمة من أهل الكتاب ما داموا يعطون الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ فإن حكم الشرع على الأحوال فخرج من هذا المجموع كله أنه ملك و سيد على جميع بنى آدم و أن جميع من تقدمه كان ملكا له و تبعا و الحاكمون فيه نواب عنه فإن قيل فقوله صلى الله عليه و سلم لا تفضلوني فالجواب نحن ما فضلناه بل الله فضله فإن ذلك ليس لنا و إن كان قد ورد أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ لما ذكر الأنبياء عليهم السلام فهو صحيح فإنه قال فَبِهُداهُمُ و هداهم من الله و هو شرعه صلى الله عليه و سلم أي ألزم شرعك الذي ظهر به نوابك من إقامة الدين وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ فلم يقل فبهم اقتده و في قوله وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ تنبيه على أحدية الشرائع و قوله اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ و هو الدين فهو مأمور باتباع الدين فإن الدين إنما هو من الله لا من غيره و انظروا في قوله ع لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني فأضاف الاتباع إليه و أمر هو صلى الله عليه و سلم باتباع الدين و هدى الأنبياء لا بهم فإن الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم الإله فإذا غاب حكم النواب بمراسمه فهو الحاكم غيبا و شهادة و ما أوردنا هذه الأخبار و التنبيهات إلا تأنيسا لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه و لا أطلعه الله على ذلك من نفسه و أما أهل الله فهم على ما نحن عليه فيه قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك من عند ربهم في نفوسهم و إن كان يتصور على جميع ما أوردناه في ذلك احتمالات كثيرة فذلك راجع إلى ما تعطيه الألفاظ من القوة في أصل وضعها لا ما هو عليه الأمر في نفسه عند أهل الأذواق الذين يأخذون العلم عن الله كالخضر و أمثاله فإن الإنسان ينطق بالكلام يريد به معنى واحدا مثلا من المعاني التي يتضمنها ذلك الكلام فإذا فسر بغير مقصود المتكلم من تلك المعاني فإنما فسر المفسر بعض ما تعطيه قوة اللفظ و إن كان لم يصب مقصود المتكلم ألا ترى الصحابة كيف شق عليهم قوله تعالى الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ فأتى به نكرة فقالوا و أينا لم يلبس إيمانه بظلم فهؤلاء الصحابة و هم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ما عرفوا مقصود الحق من الآية و الذي نظروه سائغ في الكلمة غير منكور فقال لهم النبي صلى الله عليه و سلم ليس الأمر كما ظننتم و إنما أراد الله بالظلم هنا ما قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ فقوة الكلمة تعم كل ظلم و قصد المتكلم إنما هو ظلم معين مخصوص فكذلك ما أوردناه من الأخبار في أن بنى آدم سوقة و ملك لهذا السيد محمد صلى الله عليه و سلم هو المقصود من طريق الكشف كما كان الظلم هناك المقصود من المتكلم به الشرك خاصة و لذلك تتقوى التفاسير في الكلام بقرائن الأحوال فإنها المميزة للمعاني المقصودة للمتكلم فكيف من عنده الكشف الإلهي و العلم اللدني الرباني فينبغي للعاقل المنصف أن يسلم لهؤلاء القوم ما يخبرون به فإن صدقوا في ذلك فذلك الظن بهم و أنصفوا بالتسليم حيث لم يرد المسلم ما هو حق في نفس الأمر و إن لم

يصدقوا لم يضر المسلم بل انتفعوا حيث تركوا الخوض فيما ليس لهم به قطع و ردوا علم ذلك إلى الله تعالى فوفوا الربوبية حقها إذ كان ما قاله أولياء الله ممكنا فالتسليم أولى بكل وجه و هذا الذي نزعنا إليه من دورة الملك قال به غيرنا كالإمام أبي القاسم بن قسي في خلعه و هو روايتنا عن ابنه عنه و هو من سادات القوم و كان شيخه الذي كشف له على يديه من أكبر شيوخ المغرب يقال له ابن خليل من أهل لبلة فنحن ما نعتمد في كل ما نذكره إلا على ما يلقي الله عندنا من ذلك لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه و قد تكون جميع المحتملات في بعض الكلام مقصودة للمتكلم فنقول بها كلها فدورة الملك عبارة عما مهد الله من آدم إلى زمان محمد صلى الله عليه و سلم من الترتيبات في هذه النشأة الإنسانية بما ظهر من الأحكام الإلهية فيها فكانوا خلفاء الخليفة السيد فأول موجود ظهر من الأجسام الإنسانية كان آدم ع و هو الأب الأول من هذا الجنس و سائر الآباء من الأجناس يأتي بعد هذا الباب إن شاء الله و هو أول من ظهر بحكم الله من هذا الجنس و لكن كما قررناه ثم فصل عنه أبا ثانيا لنا سماه أما فصح لهذا الأب الأول الدرجة عليها لكونه أصلا لها فختم النواب من دورة الملك بمثل ما به بدأ لينبه على إن الفضل بيد الله و أن ذلك الأمر ما اقتضاه الأب الأول لذاته فأوجد عيسى عن مريم فتنزلت مريم منزلة آدم و تنزل عيسى منزلة حواء فكما وجدت أنثى من ذكر وجد ذكر من أنثى فختم بمثل ما به بدأ في إيجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكان عيسى و حواء إخوان و كان آدم و مريم أبوان لهما إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ فأوقع التشبيه في عدم الأبوة الذكرانية من أجل أنه نصبه دليلا لعيسى في براءة أمه و لم يوقع التشبيه بحواء و إن كان الأمر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل إذ كانت محلا موضوعا للولادة و ليس الرجل بمحل لذلك و المقصود من الأدلة ارتفاع الشكوك و في حواء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلا لما صدر عنه من الولادة و هذا لا يكون دليلا إلا عند من ثبت عنده وجود آدم و تكوينه و التكوين منه و كما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد من غير أم فالمثل من طريق المعنى أن عيسى كحواء و لكن لما كان الدخل يتطرق في ذلك من المنكر لكون الأنثى كما قلنا محلا لما صدر عنها و لذلك كانت التهمة كان التشبيه بآدم لحصول براءة مريم مما يمكن في العادة فظهور عيسى بن مريم من غير أب كظهور حواء من آدم من غير أم و هو الأب الثاني و لما انفصلت حواء من آدم عمر موضعها منه بالشهوة النكاحية إليها التي وقع بها الغشيان لظهور التناسل و التوالد و كان الهواء الخارج الذي عمر موضعه جسم حواء عند خروجها إذ لا خلاء في العالم فطلب ذلك الجزء الهوائي موضعه الذي أخذته حواء بشخصيتها فحرك آدم لطلب موضعه فوجده معمورا بحواء فوقع عليها فلما تغشاها حملت منه فجاءت بالذرية فبقي ذلك سنة جارية في الحيوان من بنى آدم و غيره بالطبع لكن الإنسان هو الكلمة الجامعة و نسخة العالم فكل ما في العالم جزء منه و ليس الإنسان بجزء لواحد من العالم و كان سبب هذا الفصل و إيجاد هذا المنفصل الأول طلب الأنس بالمشاكل في الجنس الذي هو النوع الأخص و ليكون في عالم الأجسام بهذا الالتحام الطبيعي الإنساني الكامل بالصورة الذي أراده الله ما يشبه القلم الأعلى و اللوح المحفوظ الذي يعبر عنه بالعقل الأول و النفس الكل و إذا قلت القلم الأعلى فتفطن للاشارة التي تتضمن الكاتب و قصد الكتابة فيقوم معك معنى قول الشارع إن الله خلق آدم على صورته ثم عبارة الشارع في الكتاب العزيز في إيجاد الأشياء عن كُنْ فأتى بحرفين

اللذين هما بمنزلة المقدمتين و ما يكون عند كن بالنتيجة و هذان الحرفان هما الظاهران و الثالث الذي هوالرابط بين المقدمتين خفي في كن و هو الواو المحذوف لالتقاء الساكنين كذلك إذا التقى الرجل و المرأة لم يبق للقلم عين ظاهرة فكان القاؤه النطفة في الرحم غيبا لأنه سر و لهذا عبر عن النكاح بالسر في اللسان قال تعالى وَلكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا و كذلك عند الإلقاء يسكنان عن الحركة و يمكن إخفاء القلم كما خفي الحرف الثالث الذي هو الواو من كن للساكنين و كان الواو لأن له العلو لأنه متولد عن الرفع و هو إشباع الضمة و هو من حروف العلة و هذا الذي ذكرناه إنما هو إذا كان الملك عبارة عن الأناسي خاصة فإن نظرنا إلى سيادته على جميع ما سوى الحق كما ذهب إليه بعض الناس للحديث المروي إن الله يقول لولاك يا محمد ما خلقت سماء و لا أرضا و لا جنة و لا نارا و ذكر خلق كل ما سوى الله فيكون أول منفصل فيها النفس الكلية عن أول موجود و هو العقل الأول و آخر منفصل فيها حواء عن آخر موجود آدم فإن الإنسان آخر موجود من أجناس العالم فإنه ما ثم إلا ستة أجناس و كل جنس تحته أنواع و تحت الأنواع أنواع فالجنس الأول الملك و الثاني الجان و الثالث المعدن و الرابع النبات و الخامس الحيوان و انتهى الملك و تمهد و استوى و كان الجنس السادس جنس الإنسان و هو الخليفة على هذه المملكة و إنما وجد آخرا ليكون إماما بالفعل حقيقة لا بالصلاحية و القوة فعند ما وجد عينه لم يوجد إلا واليا سلطانا ملحوظا ثم جعل له نوابا حين تأخرت نشأة جسده فأول نائب كان له و خليفة آدم ع ثم ولد و اتصل النسل و عين في كل زمان خلفاء إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر محمد صلى الله عليه و سلم فظهر مثل الشمس الباهرة فاندرج كل نور في نوره الساطع و غاب كل حكم في حكمه و انقادت جميع الشرائع إليه و ظهرت سيادته التي كانت باطنة ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فإنه قال أوتيت جوامع الكلم و قال عن ربه ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين و الآخرين فحصل له التخلق و النسب الإلهي من قوله تعالى عن نفسه هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و جاءت هذه الآية في سورة الحديد الذي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ فلذلك بعث بالسيف و أرسل رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و كل منفصل عن شيء فقد كان عامرا لما عنه انفصل و قد قلنا إنه لا خلاء في العالم فعمر موضع انفصاله بظله إذ كان انفصاله إلى النور و هو للظهور فلما قابل النور بذاته امتد ظله فعمر موضع انفصاله فلم يفقده من انفصل عنه فكان مشهودا لمن انفصل إليه و مشهودا لمن انفصل عنه و هو المعنى الذي أراده القائل بقوله (شهدتك موجودا بكل مكان) فمن أسرار العالم أنه ما من شيء يحدث إلا و له ظل يسجد لله ليقوم بعبادة ربه على كل حال سواء كان ذلك الأمر الحادث مطيعا أو عاصيا فإن كان من أهل الموافقة كان هو و ظله على السواء و إن كان مخالفا ناب ظله منابه في الطاعة لله قال الله تعالى وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ السلطان ظل الله في الأرض إذ كان ظهوره بجميع صور الأسماء الإلهية التي لها الأثر في عالم الدنيا و العرش ظل الله في الآخرة فالضلالات أبدا تابعة للصورة المنبعثة عنها حسا و معنى فالحس قاصر لا يقوي قوة الظل المعنوي للصورة المعنوية لأنه يستدعي نورا مقيدا لما في الحس من التقييد و الضيق و عدم الاتساع و لهذا نبهنا على الظل المعنوي بما جاء في الشرع من أن السلطان ظل الله في الأرض فقد بان لك أن بالظلالات عمرت الأماكن فهنا قد ذكرنا طرفا مما يليق بهذا

الباب و لم نمعن فيه مخافة التطويل و فيما أوردناه كفاية لمن تنبه إن كان ذا فهم سليم و تذكرة لمن شاهد و علم و اشتغل بما هو أعلى أو غفل بما هو أنزل فيرجع إلى ما ذكرناه عند ما ينظر في هذا الباب

(فصل) و أما مرتبة العالم الذي بين عيسى ع و محمد صلى الله عليه و سلم و هم أهل الفترة فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك و عن غير علم فمنهم من وحد الله بما تجلى لقلبه عند فكره و هو صاحب الدليل فَهُوَ عَلى نُورٍ من رَبِّهِ ممتزج بكون من أجل فكره فهذا يبعث أمة وحده كقُسِّ بن ساعدة و أمثاله فإنه ذكر في خطبته ما يدل على ذلك فإنه ذكر المخلوقات و اعتبا ره فيها و هذا هو الفكر و منهم من وحد الله بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكرة و لا روية و لا نظر و لا استدلال فهم على نور من ربهم خالص غير ممتزج بكون فهؤلاء يحشرون أخفياء أبرياء و منهم من ألقى في نفسه و أطلع من كشفه لشدة نوره و صفاء سره لخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه و سلم و سيادته و عموم رسالته باطنا من زمان آدم إلى وقت هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه و بينة من ربه و هو قوله تعالى أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف به فهذا يحشر يوم القيامة في ضنائن خلقه و في باطنية محمد صلى الله عليه و سلم و منهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر أو اتبع ملة إبراهيم أو من كان من الأنبياء لما علم و اعلم أنهم رسل من عند الله يدعون إلى الحق لطائفة مخصوصة فتبعهم و آمن بهم و سلك سننهم فحرم على نفسه ما حرمه ذلك الرسول و تعبد نفسه مع الله بشريعته و إن كان ذلك ليس بواجب عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة و يتميز في زمرته في ظاهريته إذ كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر و منهم من طالع في كتب الأنبياء شرف محمد صلى الله عليه و سلم و دينه و ثواب من اتبعه فآمن به و صدق على علم و إن لم يدخل في شرع نبي ممن تقدم و أتى مكارم الأخلاق فهذا أيضا يحشر في المؤمنين بمحمد صلى الله عليه و سلم فآمن به فله أجران و هؤلاء كلهم سعداء عند الله و منهم من عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور هو بالنظر إليه غاية قوته لضعف في مزاجه عن قوة غيره و منهم من عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق و منهم من أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته و منهم من أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي و منهم من أشرك عن تقليد فذلك شقي و منهم من عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها لضعفها و منهم من عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء في النظر أو تقليد فذلك شقي فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب

«الباب الحادي عشر في معرفة آبائنا العلويات و أمهاتنا السفليات»

أنا ابن آباء أرواح مطهرة	و أمهات نفوس عنصريات
ما بين روح و جسم كان مظهرنا	عن اجتماع بتعنيق و لذات
ما كنت عن واحد حتى أوحده	بل عن جماعة آباء و أمات

كصانع صنع الأشياء بآلات — هم للاله إذا حققت شأنهمو

كذاك أوجدنا رب البريات — فنسبة الصنع للنجار ليس لها

و يصدق الشخص في إثبات علات — فيصدق الشخص في توحيد موجدة

إسناد عنعنة حتى إلى الذات — فإن نظرت إلى الآلات طال بنا

قلنا بوحدته لا بالجماعات — و إن نظرت إليه و هو يوجدنا

و الناس كلهمو أولاد علات — إني ولدت وحيد العين منفردا

اعلم أيدك الله أنه لما كان المقصود من هذا العالم الإنسان و هو الإمام لذلك أضفنا الآباء و الأمهات إليه فقلنا آباؤنا العلويات و أمهاتنا السفليات فكل مؤثر أب و كل مؤثر فيه أم هذا هو الضابط لهذا الباب و المتولد بينهما من ذلك الأثر يسمى ابنا و مولدا و كذلك المعاني في إنتاج العلوم إنما هو بمقدمتين تنكح إحداهما الأخرى بالمفرد الواحد الذي يتكرر فيهما و هو الرابط و هو النكاح و النتيجة التي تصدر بينهما هي المطلوبة فالأرواح كلها آباء و الطبيعة أم لما كانت محل الاستحالات و تتوجه هذه الأرواح على هذه الأركان التي هي العناصر القابلة للتغيير و الاستحالة تظهر فيها المولدات و هي المعادن و النبات و الحيوان و الجان و الإنسان أكملها و كذلك جاء شرعنا أكمل الشرائع حيث جرى مجرى الحقائق الكلية فاوتي جوامع الكلم و اقتصر على أربع نسوة و حرم ما زاد على ذلك بطريق النكاح الموقوف على العقد فلم يدخل في ذلك ملك اليمين و أباح ملك اليمين في مقابلة الأمر الخامس الذي ذهب إليه بعض العلماء كذلك الأركان من عالم الطبيعة أربعة و بنكاح العالم العلوي لهذه الأربعة يوجد الله ما يتولد فيها و اختلفوا في ذلك على ستة مذاهب (فطائفة) زعمت أن كل واحد من هذه الأربعة أصل في نفسه و قالت طائفة ركن النار هو الأصل فما كثف منه كان هواء و ما كثف من الهواء كان ماء و ما كثف من الماء كان ترابا و قالت طائفة ركن الهواء هو الأصل فما سخف منه كان نارا و ما كثف منه كان ماء و قالت طائفة ركن الماء هو الأصل و قالت طائفة ركن التراب هو الأصل و قالت طائفة الأصل أمر خامس ليس واحدا من هذه الأربعة و هذا هو الذي جعلناه بمنزلة ملك اليمين فعمت شريعتنا في النكاح أتم المذاهب ليندرج فيها جميع المذاهب و هذا المذهب بالأصل الخامس هو الصحيح عندنا و هو المسمى بالطبيعة فإن الطبيعة معقول واحد عنها ظهر ركن النار و جميع الأركان فيقال ركن النار من الطبيعة ما هو عينها و لا يصح أن يكون المجموع الذي هو عين الأربعة فإن بعض الأركان منافر للآخر بالكلية و بعضها منافر لغيره بأمر واحد كالنار و الماء متنافران من جميع الوجوه و الهواء و التراب كذلك و لهذا رتبها الله في الوجود ترتيبا حكيما لأجل الاستحالات فلو جعل المنافر مجاورا لمنافره لما استحال إليه و تعطلت الحكمة فجعل الهواء يلي ركن النار و الجامع بينهما الحرارة و جعل الماء يلي الهواء و الجامع بينهما الرطوبة و جعل التراب يلي الماء و الجامع بينهما البرودة فالمحيل أب و المستحيل أم و الاستحالة نكاح و الذي استحال إليها ابن فالمتكلم أب و السامع أم و التكلم نكاح و الموجود من ذلك في فهم السامع ابن فكل أب علوي فإنه

مؤثر و كل أم سفلية فإنها مؤثر فيها و كل نسبة بينهما معينة نكاح و توجه و كل نتيجة ابن و من هنا يفهم قول المتكلم لمن يريد قيامه قم فيقوم المراد بالقيام عن أثر لفظة قم فإن لم يقم السامع و هو أم بلا شك فهو عقيم و إذا كان عقيما فليس بأم في تلك الحالة و هذا الباب إنما يختص بالأمهات فأول الآباء العلوية معلوم و أول الأمهات السفلية شيئية المعدوم الممكن و أول نكاح القصد بالأمر و أول ابن وجود عين تلك الشيئية التي ذكرنا فهذا أب ساري الأبوة و تلك أم سارية الأمومة و ذلك النكاح سار في كل شيء و النتيجة دائمة لا تنقطع في حق كل ظاهر العين فهذا يسمى عندنا النكاح الساري في جميع الذراري يقول الله تعالى في الدليل على ما قلناه إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و لنا فيه كتاب شريف منيع الحمى البصير فيه أعمى فكيف من حل به العمي فلو رأيت تفصيل هذا المقام و توجهات هذه الأسماء الإلهية الأعلام لرأيت أمرا عظيما و شاهدت مقاما هائلا جسيما فلقد تنزه العارفون بالله و بصنعه الجميل بأولى و بعد أن أشرت إلى فهمك الثاقب و نظرك الصائب بالأب الأول الساري و هو الاسم الجامع الأعظم الذي تتبعه جميع الأسماء في رفعه و نصبه و خفضه الساري حكمه و الأم الأولية الآخرية السارية في نسبة الأنوثة في جميع الأبناء فلنشرع في الآباء الذين هم أسباب موضوعة بالوضع الإلهي و الأمهات و اتصالهما بالنكاح المعنوي و الحسي المشروع حتى يكون الأبناء أبناء حلال إلى أن أصل إلى التناسل الإنساني و هو آخر نوع تكون و أول مبدع بالقصد تعين فنقول إن العقل الأول الذي هو أول مبدع خلق و هو القلم الأعلى و لم يكن ثم محدث سواه و كان مؤثرا فيه بما أحدث الله فيه من انبعاث اللوح المحفوظ عنه كانبعاث حواء من آدم في عالم الأجرام ليكون ذلك اللوح موضعا و محلا لما يكتب فيه هذا القلم الأعلى الإلهي و تخطيط الحروف الموضوعة للدلالة على ما جعلها الحق تعالى أدلة عليه فكان اللوح المحفوظ أول موجود انبعاثي و قد ورد في الشرع أن أول ما خلق الله القلم ثم خلق اللوح و قال للقلم اكتب قال القلم و ما أكتب قال الله له اكتب و أنا أملي عليك فخط القلم في اللوح ما يملي عليه الحق و هو علمه في خلقه الذي يخلق إلى يوم القيامة فكان بين القلم و اللوح نكاح معنوي معقول و أثر حسي مشهود و من هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا و كان ما أودع في اللوح من الأثر مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأنثى و ما ظهر من تلك الكتابة من المعاني المودعة في تلك الحروف الجرمية بمنزلة أرواح الأولاد المودعة في أجسامهم فافهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و جعل الحق في هذا اللوح العاقل عن الله ما أوحى به إليه المسبح بحمده الذي لا يفقه تسبيحه إلا من أعلمه الله به و فتح سمعه لما يورده كما فتح سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم و من حضر من أصحابه لإدراك تسبيح الحصى في كفه الطاهرة الطيبة صلى الله عليه و سلم و إنما قلنا فتح سمعه إذ كان الحصى ما زال مذ خلقه الله مسبحا بحمد موجدة فكان خرق العادة في الإدراك السمعي لا فيه ثم أوجد فيه صفتين صفة علم و صفة عمل فبصفة العمل تظهر صور العالم عنه كما تظهر صورة التابوت للعين عند عمل النجار فبها يعطي الصور و الصور على قسمين صور ظاهرة حسية و هي الأجرام و ما يتصل بها حسا كالأشكال و الألوان و الأكوان و صور باطنة معنوية غير محسوسة و هي ما فيها من العلوم و المعارف و الإرادات و بتينك الصفتين ظهر ما ظهر من الصور فالصفة العلامة أب فإنها المؤثرة و الصفة العاملة أم فإنها المؤثر فيها و عنها ظهرت الصور التي ذكرناها فإن النجار المهندس إذا كان عالما و لا

يحسن العمل فيلقي ما عنده على سمع من يحسن عمل النجارة و هذا الإلقاء نكاح فكلام المهندس أب و قبول السامع أم ثم يصير علم السامع أبا و جوارحه أما و إن شئت قلت فالمهندس أب و الصانع الذي هو النجار أم من حيث ما هو مصغ لما يلقي إليه المهندس فإذا أثر فيه فقد أنزل ما في قوته في نفس النجار و الصورة التي ظهرت للنجار في باطنه مما ألقى إليه المهندس و حصلت في وجود خياله قائمة ظاهرة له بمنزلة الولد الذي ولد له فهمه عن المهندس ثم عمل النجار فهو أب في الخشب الذي هو أم النجارة بالآلات التي يقع بها النكاح و إنزال الماء الذي هو أثر كل ضربة بالقدوم أو قطع بالمنشار و كل قطع و فصل و جمع في القطع المنجورة لا نشاء الصورة فظهر التابوت الذي هو بمنزلة الولد المولود الخارج للحس فهكذا فلتفهم الحقائق في ترتيب الآباء و الأمهات و الأبناء و كيفية الإنتاج فكل أب ليس عنده صفة العمل فليس هو أب من ذلك الوجه حتى أنه لو كان عالما و منع آلة التوصيل بالكلام أو الإشارة ليقع الإفهام و هو غير عامل لم يكن أبا من جميع الوجوه و كان أما لما حصل في نفسه من العلوم غير إن الجنين لم يخلق فيه الروح في بطن أمه أو مات في بطن أمه فأحالته طبيعة لام إلى أن تصرف و لم يظهر له عين فافهم و بعد أن عرفت الأب الثاني من الممكنات و أنه أم ثانية للقلم الأعلى كان مما ألقى إليها من الإلقاء الأقدس الروحاني الطبيعة و الهباء فكان أول أم ولدت توأمين فأول ما ألقت الطبيعة ثم تبعتها بالهباء فالطبيعة و الهباء أخ و أخت لأب واحد و أم واحدة فانكح الطبيعة الهباء فولد بينهما صورة الجسم الكلي و هو أول جسم ظهر فكان الطبيعة الأب فإن لها الأثر و كان الهباء الأم فإن فيها ظهر الأثر و كانت النتيجة الجسم ثم نزل التوالد في العلم إلى التراب على ترتيب مخصوص ذكرناه في كتابنا المسمى بعقلة المستوفز و فيه طول لا يسعه هذا الباب فإن الغرض الاختصار و نحن لا نقول بالمركز و إنما نقول بنهاية الأركان و أن الأعظم يجذب الأصغر و لهذا نرى البخار و النار يطلبان العلو و الحجر و ما أشبهه يطلب السفل فاختلفت الجهات و ذلك على الاستقامة من الاثنين أعني طالب العلو و السفل فإن القائل بالمركز يقول إنه أمر معقول دقيق تطلبه الأركان و لو لا التراب لدار به الماء و لو لا الماء لدار به الهواء و لو لا الهواء لدار به النار و لو كان كما قال لكنا نرى البخار يطلب السفل و الحس يشهد بخلاف ذلك و قد بينا هذا الفصل في كتاب المركز لنا و هو جزء لطيف فإذا ذكرناه في بعض كتبنا إنما نسوقه على جهة مثال النقطة من الأكرة التي عنها يحدث المحيط لما لنا في ذلك من الغرض المتعلق بالمعارف الإلهية و النسب لكون الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط على السواء لتساوى النسب حتى لا يقع هناك تفاضل فإنه لو وقع تفاضل أدى إلى نقص المفضول و الأمر ليس كذلك و جعلناه محل العنصر الأعظم تنبيها على إن الأعظم يحكم على الأقل و ذكرناه مشارا إليه في عقلة المستوفز و لما أدار الله هذه الأفلاك العلوية و أوجد الأيام بالفلك الأول و عينه بالفلك الثاني الذي فيه الكواكب الثابتة للابصار ثم أوجد الأركان ترابا و ماء و هواء و نارا ثم سوى السموات سبعا طباقا و فتقها أي فصل كل سماء على حدة بعد ما كانت رتقا إذ كانت دخانا و فتق الأرض إلى سبع أرضين سماء أولي لأرض أولى و ثانية لثانية إلى سبع و خلق الجواري الخنس خمسة في كل سماء كوكب و خلق القمر و خلق أيضا الشمس فحدث الليل و النهار بخلق الشمس في اليوم و قد كان اليوم موجودا فجعل النصف من هذا اليوم لأهل الأرض نهارا و هو من طلوع الشمس إلى غروبها و جعل النصف الآخر منه ليلا

و هو من غروب الشمس إلى طلوعها و اليوم عبارة عن المجموع و لهذا خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيّامٍ فإن الأيام كانت موجودة بوجود حركة فلك البروج و هي الأيام المعروفة عندنا لا غير فما قال الله خلق العرش و الكرسي و إنما قال خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ فإذا دار فلك البروج دورة واحدة فذلك هو اليوم الذي خلق الله فيه السموات و الأرض ثم أحدث الله الليل و النهار عند وجود الشمس لا الأيام و أما ما يطرأ فيها من الزيادة و النقصان أعني في الليل و النهار لا في الساعات فإنها أربع و عشرون ساعة و ذلك لحلول الشمس في منطقة البروج و هي حمائلية بالنسبة إلينا فيها ميل فيطول النهار إذا كانت الشمس في المنازل العالية حيث كانت و إذا حلت الشمس في المنازل النازلة قصر النهار حيث كانت و إنما قلنا حيث كانت فإنه إذا طال الليل عندنا طال النهار عند غيرنا فتكون الشمس في المنازل العالية بالنسبة إليهم و في المنازل النازلة بالنسبة إلينا فإذا قصر النهار عندنا طال الليل عندهم لما ذكرناه و اليوم هو اليوم بعينه أربع و عشرون ساعة لا يزيد و لا ينقص و لا يطول و لا يقصر في موضع الاعتدال فهذا هو حقيقة اليوم ثم قد نسمي النهار وحده يوما بحكم الاصطلاح فافهم و قد جعل الله هذا الزمان الذي هو الليل و النهار يوما و الزمان هو اليوم و الليل و النهار موجودان في الزمان جعلهما أبا و أما لما يحدث الله فيهما كما قال يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ كمثل قوله في آدم فَلَمّا تَغَشّاها حَمَلَتْ فإذا غشى الليل النهار كان الليل أبا و كان النهار أما و صار كل ما يحدث الله في النهار بمنزلة الأولاد التي تلد المرأة و إذا غشى النهار الليل كان النهار أبا و كان الليل أما و كان كل ما يحدث الله من الشئون في الليل بمنزلة الأولاد التي تلد الأم و قد بينا هذا الفصل في كتاب الشأن لنا تكلمنا فيه على قوله تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سيأتي إن شاء الله في هذا الكتاب إن ذكرنا الله به من معرفة الأيام طرفا شافيا و كذلك قال تعالى أيضا يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ فزاد بيانا في التناكح و أبان سبحانه بقوله وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ أن الليل أم له و أن النهار متولد عنه كما ينسلخ المولود من أمه إذا خرج منها و الحية من جلدها فيظهر مولدا في عالم آخر غير العالم الذي يحويه الليل و الأب هو اليوم الذي ذكرناه و قد بينا ذلك في كتاب الزمان لنا و معرفة الدهر فهذا الليل و النهار أبوان بوجه و أمان بوجه و ما يحدث الله فيهما في عالم الأركان من المولدات عند تصريفهما يسمون أولاد الليل و النهار كما قررناه و لما أنشأ الله أجرام العالم كله القابل للتكوين فيه جعل من حد ما يلي مقعر السماء الدنيا إلى باطن الأرض عالم الطبيعة و الاستحالات و ظهور الأعيان التي تحدث عند الاستحالات و جعلها بمنزلة الأم و جعل من مقعر فلك السماء الدنيا إلى آخر الأفلاك بمنزلة الأب و قدر فيها منازل و زينها بالأنوار الثابتة و السابحة فالسابحة تقطع في الثابتة و الثابتة و السابحة تقطع في الفلك المحيط بتقدير العزيز بدليل أنه رؤي في بعض الأهرام التي بديار مصر مكتوبا بقلم يذكر في ذلك تاريخ لأهرام أنها بنيت و النسر في الأسد و لا شك أنه الآن في الجدي كذا ندركه فدل على أن الكواكب الثابتة تقطع في فلك البروج الأطلس و الله يقول في القمر وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ و قال في الكواكب كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و قال تعالى وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها و قد قرئ لا مستقر لها و ليس بين القراءتين تنافر ثم قال ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ينظر إلى قوله في القمر أنه قدره منازل و قال لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ أي في شيء مستدير و

جعل لهذه الأنوار المسماة بالكواكب أشعة متصلة بالأركان تقوم اتصالاتها بها مقام نكاح الآباء للامهات فيحدث الله تعالى عند اتصال تلك الشعاعات النورية في الأركان الأربعة من عالم الطبيعة ما يتكون فيها مما نشاهده حسا فهذه الأركان لها بمنزلة الأربعة النسوة في شرعنا و كما لا يكون نكاح شرعي عندنا حلالا إلا بعقد شرعي كذلك أَوْحى في كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فكان من ذلك الوحي تنزل الأمر بينهن كما قال تعالى يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ يعني الأمر الإلهي و في تفسير هذا التنزل أسرار عظيمة تقرب مما نشير إليه في هذا الباب و قد روى عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية لو فسرتها لقلتم إني كافر و في رواية لرجمتموني و إنها من أسرار آي القرآن قال تعالى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ثم قال يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ثم تمم و أبان فقال لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و هو الذي أشرنا إليه بصفة العمل الذي ذكرناه آنفا من إيجاد الله صفة العلم و العمل في الأب الثاني فإن القدرة للإيجاد و هو العمل ثم تمم في الأخبار فقال و إن الله قد أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و قد أشرنا إليه بصفة العلم التي أعطاها الله للأب الثاني الذي هو النفس الكلية المنبعثة فهو العليم سبحانه بما يوجد القدير على إيجاد ما يريد إيجاده لا مانع له فجعل الأمر يتنزل بين السماء و الأرض كالولد يظهر بين الأبوين و أما اتصال الأشعة النورية الكوكبية عن الحركة الفلكية السماوية بالأركان الأربعة التي هي أم المولدات في الحين الواحد للكل معا جعله الحق مثالا للعارفين في نكاح أهل الجنة في الجنة جميع نسائهم و جواريهم في الآن الواحد نكاحا حسيا كما إن هذه الاتصالات حسية فينكح الرجل في الجنة جميع من عنده من المنكوحات إذا اشتهى ذلك في الآن الواحد نكاحا جسميا محسوسا بإيلاج و وجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم و لا تأخر و هذا هو النعيم الدائم و الاقتدار الإلهي و العقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره و إنما يدرك هذا بقوة أخرى إلهية في قلب من يشاء من عباده كما أن الإنسان في الجنة في سوق الصور إذا اشتهى صورة دخل فيها كما تشكل الروح هنا عندنا و إن كان جسما و لكن أعطاه الله هذه القدرة على ذلك وَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و حديث سوق الجنة ذكره أبو عيسى الترمذي في مصنفه فانظره هناك فإذا اتصلت الأشعة النورية في الأركان الأربعة ظهرت المولدات عن هذا النكاح الذي قدره العزيز العليم فصارت المولدات بين آباء و هي الأفلاك و الأنوار العلوية و بين أمهات و هي الأركان الطبيعية السفلية و صارت الأشعة المتصلة من الأنوار بالأركان كالنكاح و حركات الأفلاك و سباحات الأنوار بمنزلة حركات المجامع و كان حركات الأركان بمنزلة المخاض للمرأة لاستخراج الزبد الذي يخرج بالمخض و هو ما يظهر من المولدات في هذه الأركان للعين من صورة المعادن و النبات و الحيوان و نوع الجن و الإنس فسبحان القادر على ما يشاء لا إله إلا هو رب كل شيء و مليكه قال تعالى أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ فقد تبين لك أيها الولي آباؤك و أمهاتك من هم إلى أقرب أب لك و هو الذي ظهر عينك به و أمك كذلك القريبة إليك إلى الأب الأول و هو الجد الأعلى إلى بما بينهما من الآباء و الأمهات فشكرهم الذي يسرون به و يفرحون بالثناء عليهم هو أن تنسبهم إلى مالكهم و موجدهم و تسلب الفعل عنهم و تلحقه بمستحقه الذي هو خالق كل شيء فإذا فعلت ذلك فقد أدخلت سرورا على آبائك بفعلك ذلك و إدخال هذا السرور عليهم هو عين برك بهم و شكرك إياهم و إذا لم تفعل هذا و نسبت الله بهم فما شكرتهم و لا امتثلت أمر الله في شكرهم فإنه قال أَنِ اشْكُرْ لِي فقدم نفسه

ليعرفك أنه السبب الأول و الأولى ثم عطف و قال وَلِوَالِدَيْكَ و هي الأسباب التي أوجدك الله عندها لتنسبها إليه سبحانه و يكون لها عليك فضل التقدم بالوجود خاصة لا فضل التأثير لأنه في الحقيقة لا أثر لها و إن كانت أسبابا لوجود الآثار فبهذا القدر صح لها الفضل و طلب منك الشكر و أنزلها الحق لك و عندك منزلته في التقدم عليك لا في الأثر ليكون الثناء بالتقدم و التأثير لله تعالى و بالتقدم و التوقف للوالدين و لكن على ما شرطناه فلا تشرك بعبادة ربك أحدا فإذا أثنيت على الله تعالى و قلت ربنا و رب آبائنا العلويات و أمهاتنا السفليات فلا فرق بين أن أقولها أنا أو يقولها جميع بنى آدم من البشر فلم يخاطب شخصا بعينه حتى يسوق آباءه و أمهاته من آدم و حواء إلى زمانه و إنما القصد هذا النشء الإنساني فكنت مترجما عن كل مولود بهذا التحميد من عالم الأركان و عالم الطبيعة و الإنسان ثم ترتقي في النيابة عن كل مولد بين مؤثر و مؤثر فيه فتحمده بكل لسان و تتوجه إليه بكل وجه فيكون الجزاء لنا من عند الله من ذلك المقام الكلي كما قال لي بعض مشيختي إذا قلت السلام علينا و على عباد الله الصالحين أو قلت السلام عليكم إذا سلمت في طريقك على أحد فاحضر في قلبك كل صالح لله من عباده في الأرض و السماء و ميت و حي فإنه من ذلك المقام يرد عليك فلا يبقى ملك مقرب و لا روح مطهر يبلغه سلامك إلا و يرد عليك و هو دعاء فيستجاب فيك فتفلح و من لم يبلغه سلامك من عباد الله المهيمين في جلاله المشتغلين به المستفرغين فيه و أنت قد سلمت عليهم بهذا الشمول فإن الله ينوب عنهم في الرد عليك و كفى بهذا شرفا في حقك حيث يسلم عليك الحق فليته لم تسمع أحدا ممن سلمت عليه حتى ينوب عن الجميع في الرد عليك فإنه بك أشرف قال تعالى تشريفا في حق يحيى ع وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا و هذا سلام فضيلة و إخبار فكيف سلام واجب ناب الحق مناب من أجاب عنه و جزاء الفرائض أعظم من جزاء الفضائل في حق من قيل فيه وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ فيجمع له بين الفضيلتين و قد وردت صلاة الله علينا ابتداء و ما وصل إلي هل ورد السلام ابتداء كما وردت الصلاة أم لا فمن روى في ذلك شيئا و تحققه فقد جعلت أمانة في عنقه أن يلحقه في هذا الموضع إلى جانب صلاة الله علينا في هذا الباب ليكون بشرى للمؤمنين و شرفا لكتابي هذا و الله المعين و الموفق لا رب غيره و أما الآباء الطبيعيون و الأمهات فلم نذكرهم فلنذكر الأمر الكلي من ذلك و هم أبوان و أمان فالأبوان هما الفاعلان و الأمان هما المنفعلان و ما يحدث عنهما هو المنفعل عنهما فالحرارة و البرودة فاعلان و الرطوبة و اليبوسة منفعلان فنكحت الحرارة اليبوسة فانتجا ركن النار و نكحت الحرارة الرطوبة فانتجا ركن الهواء ثم نكح البرودة الرطوبة فانتجا ركن الماء و نكح البرودة اليبوسة فانتجا ركن التراب فحصلت في الأبناء حقائق الآباء و الأمهات فكانت النار حارة يابسة فحرارتها من جهة الأب و يبوستها من جهة الأم و كان الهواء حارا رطبا فحرارته من جهة الأب و رطوبته من جهة الأم و كان الماء باردا رطبا فبرودته من جهة الأب و رطوبته من جهة الأم و كانت الأرض باردة يابسة فبرودتها من جهة الأب و يبوستها من جهة الأم فالحرارة و البرودة من العلم و الرطوبة و اليبوسة من الإرادة هذا حد تعلقها في وجودها من العلم الإلهي و ما يتولد عنهما من القدرة ثم يقع التوالد في هذه الأركان من كونها أمهات لآباء الأنوار العلوية لا من كونها آباء و إن كانت الأبوة فيها موجودة فقد عرفناك أن الأبوة و البنوة من الإضافات و النسب فالأب ابن لأب هو ابن

له و الابن أب لابن هو أب له و كذلك باب النسب فانظر فيه و الله الموفق لا رب غيره و لما كانت اليبوسة منفعلة عن الحرارة و كانت الرطوبة منفعلة عن البرودة قلنا في الرطوبة و اليبوسة إنهما منفعلتان و جعلناهما بمنزلة الأم للأركان و لما كانت الحرارة و البرودة فاعلين جعلناهما بمنزلة الأب للأركان و لما كانت الصنعة تستدعي صانعا و لا بد و المنفعل يطلب الفاعل بذاته فإنه منفعل لذاته و لو لم يكن منفعلا لذاته لما قبل الانفعال و الأثر و كان مؤثرا فيه بخلاف الفاعل فإنه يفعل بالاختيار إن شاء فعل فيسمى فاعلا و إن شاء ترك و ليس ذلك للمنفعل و لهذه الحقيقة ذكر تعالى و هو من فصاحة القرآن و إيجازه و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين فذكر المنفعل و لم يذكر و لا حار و لا بارد لما كانت الرطوبة و اليبوسة عند العلماء بالطبيعة تطلب الحرارة و البرودة اللتين هما منفعلتان عنهما كما تطلب الصنعة الصانع لذلك ذكرهما دون ذكر الأصل و إن كان الكل في الكتاب المبين فلقد جاء الله سيدنا محمدا صلى الله عليه و سلم بعلوم ما نالها أحد سواه كما قال فعلمت علم الأولين و الآخرين في حديث الضرب باليد فالعلم الإلهي هو أصل العلوم كلها و إليه ترجع و قد استوفينا ما يستحقه هذا الباب على غاية الإيجاز و الاختصار فإن الطول فيه إنما هو بذكر الكيفيات و أما الأصول فقد ذكرناها و مهدناها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثاني عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«الباب الثاني عشر»

في معرفة دورة فلك سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و هي دورة السيادة و أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى

ألا بأبي من كان ملكا و سيدا　　و آدم بين الماء و الطين واقف

فذاك الرسول الأبطحي محمد　　له في العلى مجد تليد و طارف

أتى بزمان السعد في آخر المدى　　و كانت له في كل عصر مواقف

أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه　　فأثنت عليه ألسن و عوارف

إذا رام أمرا لا يكون خلافه　　و ليس لذاك الأمر في الكون صارف

اعلم أيدك الله أنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله و كان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد صلى الله عليه و سلم ثم صدرت الأرواح عند الحركات فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة و أعلمه الله بنبوته و بشره بها و آدم لم يكن إلا كما قال بين الماء و الطين و انتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد صلى الله عليه و سلم إلى وجود جسمه و ارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه و سلم بذاته جسما و روحا فكان الحكم له باطنا أولا في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء و الرسل سلام الله عليهم أجمعين ثم صار الحكم له

ظاهرا فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين و إن كان المشرع واحدا و هو صاحب الشرع فإنه قال كنت نبيا و ما قال كنت إنسانا و لا كنت موجودا و ليست النبوة إلا بالشرع المقرر عليه من عند الله فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء الذين هم نوابه في هذه الدنيا كما قررناه فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب فكانت استدارته انتهاء دورته بالاسم الباطن و ابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر فقال استدار كهيئته يوم خلقه الله في نسبة الحكم لنا ظاهرا كما كان في الدورة الأولى منسوبا إلينا باطنا أي إلى محمد و في الظاهر منسوبا إلى من نسب إليه من شرع إبراهيم و موسى و عيسى و جميع الأنبياء و الرسل و في الأنبياء من الزمان أربعة حرم هود و صالح و شعيب سلام الله عليهم و محمد صلى الله عليه و سلم و عينها من الزمان ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب مضر و لما كانت العرب تنسأ في الشهور فترد المحرم منها حلالا و الحلال منها حراما و جاء محمد صلى الله عليه و سلم فرد الزمان إلى أصله الذي حكم الله به عند خلقه فعين الحرم من الشهور على حد ما خلقها الله عليه فلهذا قال في اللسان الظاهر إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله كذلك استدار الزمان فأظهر محمدا صلى الله عليه و سلم كما ذكرناه جسما و روحا بالاسم الظاهر حسا فنسخ من شرعه المتقدم ما أراد الله أن ينسخ منه و أبقى ما أراد الله أن يبقى منه و ذلك من الأحكام خاصة لا من الأصول و لما كان ظهوره بالميزان و هو العدل في الكون و هو معتدل لأن طبعه الحرارة و الرطوبة كان من حكم الآخرة فإن حركة الميزان متصلة بالآخرة إلى دخول الجنة و النار و لهذا كان العلم في هذه الأمة أكثر مما كان في الأوائل و أعطى محمد صلى الله عليه و سلم علم الأولين و الآخرين لأن حقيقة الميزان تعطي ذلك و كان الكشف أسرع في هذه الأمة مما كان في غيرها لغلبة البرد و اليبس على سائر الأمم قبلنا و إن كانوا أذكياء و علماء فآحاد منهم معينون بخلاف ما هم الناس اليوم عليه ألا ترى هذه الأمة قد ترجمت جميع علوم الأمم و لو لم يكن المترجم عالما بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به لما صح أن يكون هذا مترجما و لا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم و اختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين و لهذا أشار صلى الله عليه و سلم بقوله فعلمت علم الأولين و هم الذين تقدموه ثم قال و الآخرين و هو علم ما لم يكن عند المتقدمين و هو ما تعلمه أمته من بعده إلى يوم القيامة فقد أخبر أن عندنا علوما لم تكن قبل فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه و سلم لنا و هو الصادق بذلك فقد ثبتت له صلى الله عليه و سلم السيادة في العلم في الدنيا و ثبتت له أيضا السيادة في الحكم حيث قال لو كان موسى حيا ما وسعه إلا إن يتبعني و يبين ذلك عند نزول عيسى ع و حكمه فينا بالقرآن فصحت له السيادة في الدنيا بكل وجه و معنى ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحه باب الشفاعة و لا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له صلى الله عليه و سلم فقد شفع صلى الله عليه و سلم في الرسل و الأنبياء أن تشفع نعم و في الملائكة فاذن الله تعالى عند شفاعته في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك و رسول و نبي و مؤمن أن يشفع فهو صلى الله عليه و سلم أول شافع بإذن الله و ارحم الراحمين آخر شافع يوم القيامة فيشفع الرحيم عند المنتقم أن يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط فيخرجهم المنعم المتفضل و أي شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم الراحمين و آخر الدائرة متصل بأولها فأي شرف أعظم من شرف محمد صلى

الله عليه و سلم حيث كان ابتداء هذه الدائرة حيث اتصل بها آخرها لكما لها فبه سبحانه ابتدأت الأشياء و به كملت و ما أعظم شرف المؤمن حيث تلت شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين فالمؤمن بين الله و بين الأنبياء فإن العلم في حق المخلوق و إن كان له الشرف التام الذي لا تجهل مكانته و لكن لا يعطي السعادة في القرب الإلهي إلا بالإيمان فنور الايمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا إيمان معه فإذا كان الايمان يحصل عنه العلم فنور ذلك العلم المولد من نور الايمان أعلى و به يمتاز على المؤمن الذي ليس بعالم فيرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين درجات على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم و يزيد العلم بالله فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لأصحابه أنتم أعلم بمصالح دنياكم فلا فلك أوسع من فلك محمد صلى الله عليه و سلم فإن له الإحاطة و هي لمن خصه الله بها من أمته بحكم التبعية فلنا الإحاطة بسائر الأمم و لذلك كنا شهداء على الناس فأعطاه الله من وحي أمر السموات ما لم يعط غيره في طالع مولده فمن الأمر المخصوص بالسماء الأولى من هناك لم يبدل حرف من القرآن و لا كلمة و لو ألقى الشيطان في تلاوته ما ليس منها بنقص أو زيادة لنسخ الله ذلك و هذا عصمة و من ذلك الثبات ما نسخت شريعته بغيرها بل ثبتت محفوظة و استقرت بكل عين ملحوظة و لذلك تستشهد بها كل طائفة و من الأمر المخصوص بالسماء الثانية من هناك أيضا خص بعلم الأولين و الآخرين و التؤدة و الرحمة و الرفق وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً و ما أظهر في وقت غلظة على أحد إلا عن أمر إلهي حين قيل له جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ فأمر به لما لم يقتض طبعه ذلك و إن كان بشرا يغضب لنفسه و يرضى لنفسه فقد قدم لذلك دواءنا فما يكون في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يشعر بها في حال الغضب فكان يدل بغضبه مثل دالته برضاه و ذلك لأسرار عرفناها و يعرفها أهل الله منا فصحت له السيادة على العالم من هذا الباب فإن غير أمته قيل فيهم يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ فأضلهم الله على علم و تولى الله فينا حفظ ذكره فقال إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ لأنه سمع العبد و بصره و لسانه و يده و استحفظ كتابه غير هذه الأمة فحرفوه و من الأمر المخصوص من وحي السماء الثالثة من هناك أيضا السيف الذي بعثه به و الخلافة و اختص بقتال الملائكة معه منها أيضا فإن ملائكة هذه السماء قاتلت معه يوم بدر و من هذه السماء أيضا بعث من قوم ليس لهم همة إلا في قرى الأضياف و نحر الجزر و الحروب الدائمة و سفك الدماء و بهذا يتمدحون و يمدحون قيل في بعضهم

ضروب بنصل السيف سوق سمانها　　　إذا عدموا زادا فإنك عاقر

«و قال الآخر منهم يمدح قومه»

لا يبعدن قومي الذين همو　　　سم العداة و آفة الجزر

النازلون بكل معترك　　　و الطيبون معاقد الأزر

فمدحهم بالكرم و الشجاعة و العفة يقول عنترة بن شداد في حفظ الجار في أهله

و أغض طرفي ما بدت لي جارتي　　　حتى يواري جارتي مأواها

و لا خفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم و الحماسة و الوفاء و إن كان في العجم كرماء و شجعان و لكن آحاد كما إن في العرب جبناء و بخلاء و لكن أحاد و إنما الكلام في الغالب لا في النادر و هذا ما لا ينكره أحد فهذا مما أوحى الله في هذه السماء فهذا كله من الأمر الذي يتنزل بين السماء و الأرض لمن فهم و لو ذكرنا على التفصيل ما في كل سماء من الأمر الذي أوحى الله سبحانه فيها لأبرزنا من ذلك عجائب ربما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم من طريق الرصد و التسيير من أهل التعاليم و يحار المنصف منهم فيه إذا سمعه و من الوحي المأمور به في السماء الرابعة نسخه بشريعته جميع الشرائع و ظهور دينه على جميع الأديان عند كل رسول ممن تقدمه و في كل كتاب منزل فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلا ما قرر منه فبتقريره ثبت فهو من شرعه و عموم رسالته و إن كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلا في أهل الجزية خاصة و إنما قلنا ليس هو حكم الله لأنه سماه باطلا فهو على من اتبعه لا له فهذا أعني بظهور دينه على جميع الأديان كما قال النابغة في مدحه

ترى كل ملك دونها يتذبذب	أ لم تر أن الله أعطاك سورة
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب	بأنك شمس و الملوك كواكب

و هذه منزلة محمد صلى الله عليه و سلم و منزلة ما جاء به من الشرع من الأنبياء و شرائعهم سلام الله عليهم أجمعين فإن أنوار الكواكب اندرجت في نور الشمس فالنهار لنا و الليل وحده لأهل الكتب إذا أعطوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ و قد بسطنا في التنزلات الموصلية من أمر كل سماء ما إذا وقفت عليه عرفت بعض ما في ذلك و من الوحي المأمور به في السماء الخامسة من هناك المختص بمحمد صلى الله عليه و سلم أنه ما ورد قط عن نبي من الأنبياء أنه حبب إليه النساء إلا محمد صلى الله عليه و سلم و إن كانوا قد رزقوا منهن كثيرا كسليمان ع و غيره و لكن كلامنا في كونه حبب إليه و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم كان نبيا و آدم بين الماء و الطين كما قررناه و على الوجه الذي شرحناه فكان منقطعا إلى ربه لا ينظر معه إلى كون من الأكوان لشغله بالله عنه فإن النبي مشغول بالتلقي من الله و مراعاة الأدب فلا يتفرغ إلى شيء دونه فحبب الله إليه النساء فأحبهن عناية من الله بهن فكان صلى الله عليه و سلم يحبهن بكون الله حببهن إليه خرج مسلم في صحيحه في أبواب الايمان أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم إني أحب أن يكون نعلي حسنا و ثوبي حسنا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله جميل يحب الجمال و من هذه السماء حب الطيب و كان من سنته النكاح لا التبتل و جعل النكاح عبادة للسر الإلهي الذي أودع فيه و ليس إلا في النساء و ذلك ظهور الأعيان للثلاثة الأحكام التي تقدم ذكرها في الإنتاج عن المقدمتين و الرابط الذي جعله علة الإنتاج فهذا الفضل و ما شاكله مما اختص به محمد صلى الله عليه و سلم و زاد فيه بنكاح الهبة كما جعل في أمته فيما يبين لها من النكاح لمن لا شيء له من الأعواض بما يحفظه من القرآن خاصة لا أنه يعلمها و هذا و إن لم يقو قوة الهبة ففيه اتساع للامة و ليس في الوسع استيفاء ما أوحى الله من الأمر في كل سماء و من الأمر الموحى في السماء السادسة إعجاز القرآن و الذي أعطيه صلى الله عليه و سلم من جوامع الكلم من

هذه السماء تنزل إليه و لم يعط ذلك نبي قبله و قد قال أعطيت ستا لم يعطهن نبي قبلي و كل ذلك أوحي في السموات من قوله وَأَوْحى في كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فجعل في كل سماء ما يصلح تنفيذه في الأرض في هذا الخلق فكان من ذلك أن بعث وحده إلى الناس كافة فعمت رسالته و هذا مما أوحى الله به في السماء الرابعة و نصر بالرعب و هومما أوحى الله به في السماء الثالثة من هناك و منها ما حلل الله له من الغنائم و جعلت له الأرض مسجدا و طهورا من السماء الثانية من هناك أوتيت جوامع الكلم من أمر وحي السماء السادسة و من أمر هذه السماء ما خصه الله به من إعطائه إياه مفاتيح خزائن الأرض و من الوحي المأمور به في السماء السابعة من هناك و هي السماء الدنيا التي تلينا كون الله خصه بصورة الكمال فكملت به الشرائع و كان خاتم النبيين و لم يكن ذلك لغيره صلى الله عليه و سلم فبهذا و أمثاله انفرد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها و الشرف المحيط الأعم صلى الله عليه و سلم فهذا قد نبهنا على ما حصل له في مولده من بعض ما أوحى الله به في كل سماء من أمره و قوله الزمان و لم يقل الدهر و لا غيره ينبه على وجود الميزان فإنه ما خرج عن الحروف التي في الميزان بذكر الزمان و جعل ياء الميزان مما يلي الزاي و خفف الزاي و عددها في الزمان إشعارا بأن في هذه الزاي حرفا مدغما فكان أول وجود الزمان في الميزان للعدل الروحاني و في الاسم الباطن محمد صلى الله عليه و سلم بقوله كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين ثم استدار بعد انقضاء دورة الزمان التي هي ثمانية و سبعون ألف سنة ثم ابتدأت دورة أخرى من الزمان بالاسم الظاهر فظهر فيها جسم محمد صلى الله عليه و سلم و ظهرت شريعته على التعيين و التصريح لا بالكناية و اتصل الحكم بالآخرة فقال تعالى وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ و قيل لنا وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ و قال تعالى وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزانَ فبالميزان أَوْحى في كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و به قدر في الأرض أقواتها و نصبه الحق في العالم في كل شيء فميزان معنوي و ميزان حسي لا يخطئ أبدا فدخل الميزان في الكلام و في جميع الصنائع المحسوسة و كذلك في المعاني إذ كان أصل وجود الأجسام و الأجرام و ما تحمله من المعاني عند حكم الميزان و كان وجود الميزان و ما فوق الزمان عن الوزن الإلهي الذي يطلبه الاسم الحكيم و يظهره الحكم العدل لا إله إلا هو و عن الميزان ظهر العقرب و ما أوحى الله فيه من الأمر الإلهي و القوس و الجدي و الدلو و الحوت و الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبلة و انتهت الدورة الزمانية إلى الميزان لتكرار الدور فظهر محمد صلى الله عليه و سلم و كان له في كل جزء من أجزاء الزمان حكم اجتمع فيه بظهوره صلى الله عليه و سلم و هذه الأسماء أسماء ملائكة خلقهم الله و هم الاثنا عشر ملكا و جعل لهم الله مراتب في الفلك المحيط و جعل بيد كل ملك ما شاء أن يجعله مما يبرزه فيمن هو دونهم إلى الأرض حكمة فكانت روحانية محمد صلى الله عليه و سلم تكتسب عند كل حركة من الزمان أخلاقا بحسب ما أودع الله في تلك الحركات من الأمور الإلهية فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها إلى أن ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا بما جبله الله عليه من الأخلاق المحمودة فقيل فيه وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ فكان ذا خلق لم يكن ذا تخلق و لما كانت الأخلاق تختلف أحكامها باختلاف المحل الذي ينبغي أن يقابل بها احتاج صاحب الخلق إلى علم يكون عليه حتى يصرف في ذلك المحل الخلق الذي يليق به عن أمر الله فيكون قربة إلى الله فلذلك تنزلت الشرائع

لتبين للناس محال أحكام الأخلاق التي جبل الإنسان عليها فقال الله في مثل ذلك و لا تقل لهما أف لوجود التأفيف في خلقه فأبان عن المحل الذي لا ينبغي أن يظهر فيه حكم هذا الخلق ثم بين المحل الذي ينبغي أن يظهر فيه هذا الخلق فقال أُفٍّ لَكُمْ وَلما تَعْبُدُونَ من دُونِ اللهِ و قال تعالى فَلا تَخافُوهُمْ فأبان عن المحل الذي ينبغي أن لا يظهر فيه خلق الخوف ثم قال لهم خافُونِ فأبان لهم حيث ينبغي أن يظهر حكم هذه الصفة و كذلك الحسد و الحرص و جميع ما في هذه النشأة الطبيعية الظاهر حكم روحانيتها فيها قد أبان الله لنا حيث نظهرها و حيث نمنعها فإنه من المحال إزالتها عن هذه النشأة إلا بزوالها لأنها عينها و الشيء لا يفارق نفسه قال صلى الله عليه و سلم لا حسد إلا في اثنتين و قال زادك الله حرصا و لا تعد و إنما قلنا الظاهر حكم روحانيتها فيها تحرزنا بذلك من أجل أهل الكشف و العلماء الراسخين في العلم من المحققين العالمين فإن المسمى بالجماد و النبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في العادة لا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق غير إن هذا المزاج الخاص يسمى إنسانا لا غير بالصورة و وقع التفاضل بين الخلائق في المزاج فإنه لا بد في كل ممتزج من مزاج خاص لا يكون إلا له به يتميز عن غيره كما يجتمع مع غيره في أمر فلا يكون عين ما يقع به الافتراق و التميز عين ما يقع به الاشتراك و عدم التميز فاعلم ذلك و تحققه قال تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و شيء نكرة و لا يسبح إلا حي عاقل عالم بمسبحه و قد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب و يابس و الشرائع و النبوات من هذا القبيل مشحونة و نحن زدنا مع الايمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان فكل جنس من خلق الله أمة من الأمم فطرهم الله على عبادة تخصهم أوحى بها إليهم في نفوسهم فرسولهم من ذواتهم إعلام من الله بإلهام خاص جبلهم عليه كعلم بعض الحيوانات بأشياء يقصر عن إدراكها المهندس النحرير و علمهم على الإطلاق بمنافعهم فيما يتناولونه من الحشائش و المآكل و تجنب ما يضرهم من ذلك كل ذلك في فطرتهم كذلك المسمى جمادا و نباتا أخذ الله بأبصارنا و أسماعنا عما هم عليه من النطق و لا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فخذه بما فعله أهله جعل الجهلاء من الحكماء هذا إذا صح إيمانهم به من باب العلم بالاختلاج يريدون به علم الزجر و إن كان علم الزجر علما صحيحا في نفس الأمر و أنه من أسرار الله و لكن ليس هو مقصود الشارع في هذا الكلام فكان له صلى الله عليه و سلم الكشف الأتم فيرى ما لا نرى و لقد نبه على أمر عمل عليه أهل الله فوجدوه صحيحا قوله لو لا تزييد في حديثكم و تمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى و لسمعتم ما أسمع فخص برتبة الكمال في جميع أموره و منها الكمال في العبودية فكان عبدا صرفا لم يقم بذاته ربانية على أحد و هي التي أوجبت له السيادة و هي الدليل على شرفه على الدوام و قد قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكر الله على كل أحيانه و لنا منه ميراث وافر و هو أمر يختص بباطن الإنسان و قوله و قد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالمقام فيلتبس على من لا معرفة له بالأحوال فقد بينا في هذا الباب ما مست الحاجة إليه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث عشر في معرفة حملة العرش»

و حاملوه و هذا القول معقول العرش و الله بالرحمن محمول
لولاه جاء به عقل و تنزيل و أي حول لمخلوق و مقدرة
ما ثم غير الذي رتبت تفصيل جسم و روح و أقوات و مرتبة
و المستوي باسمه الرحمن مأمول فذا هو العرش إن حققت سورته
و اليوم أربعة ما فيه تعليل و هم ثمانية و الله يعلمهم
و آدم و خليل ثم جبريل محمد ثم رضوان و مالكهم
سوى ثمانية غر بهاليل و الحق بميكال إسرافيل ليس هنا

اعلم أيد الله الولي الحميم أن العرش في لسان العرب يطلق و يراد به الملك يقال ثل عرش الملك إذا دخل في ملكه خلل و يطلق و يراد به السرير فإذا كان العرش عبارة عن الملك فتكون حملته هم القائمون به و إذا كان العرش السرير فتكون حملته ما يقوم عليه من القوائم أو من يحمله على كواهلهم و العدد يدخل في حملة العرش و قد جعل الرسول حكمهم في الدنيا أربعة و في القيامة ثمانية فتلا رسول الله صلى الله عليه و سلم وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ثم قال و هم اليوم أربعة يعني في يوم الدنيا و قوله يومئذ ثمانية يعني يوم الآخرة روينا عن ابن مسرة الجبلي من أكبر أهل الطريق علما و حالا و كشفا العرش المحمول هو الملك و هو محصور في جسم و روح و غذاء و مرتبة فآدم و إسرافيل للصور و جبريل و محمد للأرواح و ميكائيل و إبراهيم للأرزاق و مالك و رضوان للوعد و الوعيد و ليس في الملك إلا ما ذكر و الأغذية التي هي الأرزاق حسية و معنوية فالذي نذكر في هذا الباب الطريقة الواحدة التي هي بمعنى الملك لما يتعلق به من الفائدة في الطريق و تكون حملته عبارة عن القائمين بتدبيره فتدبر صورة عنصرية أو صورة نورية و روحا مدبر الصورة عنصرية و روحا مدبرا مسخرا الصورة نورية و غذاء لصورة عنصرية و غذاء علوم و معارف لأرواح و مرتبة حسية من سعادة بدخول الجنة و مرتبة حسية من شقاوة بدخول جهنم و مرتبة روحية علمية فمبنى هذا الباب على أربع مسائل المسألة الأولى الصورة و المسألة الثانية الروح و المسألة الثالثة الغذاء و المسألة الرابعة المرتبة و هي الغاية و كل مسألة منها تنقسم قسمين فتكون ثمانية و هم حملة عرش الملك أي إذا ظهرت الثمانية قام الملك و ظهر و استوى عليه مليكه المسألة الأولى الصورة و هي تنقسم قسمين صورة جسمية عنصرية تتضمن صورة جسدية خيالية و القسم الآخر صورة جسمية نورية فلنبتدئ بالجسم النوري فنقول إن أول جسم خلقه الله أجسام الأرواح الملكية المهيمة في جلال الله و منهم العقل الأول و النفس الكل و إليها انتهت الأجسام النورية المخلوقة من نور الجلال و ما ثم ملك من هؤلاء الملائكة من وجد بواسطة غيره إلا النفس التي دون العقل و كل ملك خلق بعد هؤلاء فداخلون تحت حكم الطبيعة فهم من جنس أفلاكها التي خلقوا منها و هم عمارها و كذلك ملائكة العناصر و آخر صنف من الأملاك الملائكة المخلوقون من أعمال العباد و أنفاسهم فلنذكر ذلك صنفا صنفا في هذا الباب إن شاء الله تعالى اعلم أن الله تعالى كان قبل إن يخلق

الخلق و لا قبلية زمان و إنما ذلك عبارة للتوصيل تدل على نسبة يحصل بها المقصود في نفس السامع كان جل و تعالى في عماء ما تحته هواء و ما فوقه هواء و هو أول مظهر إلهي ظهر فيه سرى فيه النور الذاتي كما ظهر في قوله اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فلما انصبغ ذلك العماء بالنور فتح فيه صور الملائكة المهيمين الذين هم فوق عالم الأجسام الطبيعية و لا عرش و لا مخلوق تقدمهم فلما أوجدهم تجلى لهم فصار لهم من ذلك التجلي غيبا كان ذلك الغيب روحا لهم أي لتلك الصور و تجلى لهم في اسمه الجميل فهاموا في جلال جماله فهم لا يفيقون فلما شاء أن يخلق عالم التدوين و التسطير عين واحدا من هؤلاء الملائكة الكروبيين و هو أول ملك ظهر من ملائكة ذلك النور سماه العقل و القلم و تجلى له في مجلى التعليم الوهبي بما يريد إيجاده من خلقه لا إلى غاية و حد فقبل بذاته علم ما يكون و ما للحق من الأسماء الإلهية الطالبة صدور هذا العالم الخلقي فاشتق من هذا العقل موجودا آخر سماه اللوح و أمر القلم أن يتدلى إليه و يودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير و جعل لهذا القلم ثلاثمائة و ستين سنا في قلميته أي من كونه قلما و من كونه عقلا ثلاثمائة و ستين تجليا أو رقيقة كل سن أو رقيقة تغترف من ثلاثمائة و ستين صنفا من العلوم الإجمالية فيفصلها في اللوح فهذا حصر ما في العالم من العلوم إلى يوم القيامة فعلمها اللوح حين أودعه إياها القلم فكان من ذلك علم الطبيعة و هو أول علم حصل في هذا اللوح من علوم ما يريد الله خلقه فكانت الطبيعة دون النفس و ذلك كله في عالم النور الخالص ثم أوجد سبحانه الظلمة المحضة التي هي في مقابلة هذا النور بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعند ما أوجدها أفاض عليها النور إفاضة ذاتية بمساعدة الطبيعة فلأم شعثها ذلك النور فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الاسم الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق و خلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير و هو قوله وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فليس لهم شغل إلا كونهم حافين من حول العرش يسبحون بحمده و قد بينا خلق العالم في كتاب سميناه عقلة المستوفز و إنما نأخذ منه في هذا الباب رءوس الأشياء ثم أوجد الكرسي في جوف هذا العرش و جعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فكل فلك أصل لما خلق فيه من عمارة كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب و عمر به و ببنيه الأرض و قسم في هذا الكرسي الكريم الكلمة إلى خبر و حكم و هما القدمان اللتان تدلتا له من العرش كما ورد في الخبر النبوي ثم خلق في جوف الكرسي الأفلاك فلكا في جوف فلك و خلق في كل فلك عالما منه يعمرونه سماهم ملائكة يعني رسلا و زينها بالكواكب وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها إلى أن خلق صور المولدات و لما أكمل الله هذه الصور النورية و العنصرية بلا أرواح تكون غيبا لهذه الصور تجلى لكل صنف من الصور بحسب ما هي عليه فتكون عن الصور و عن هذا التجلي أرواح الصور و هي المسألة الثانية فخلق الأرواح و أمرها بتدبير الصور و جعلها غير منقسمة بل ذاتا واحدة و ميز بعضها عن بعض فتميزت و كان ميزها بحسب قبول الصور من ذلك التجلي و ليست الصور بأبنيات لهذه الأرواح على الحقيقة إلا أن هذه الصور لها كالملك في حق الصور العنصرية و كالمظاهر في حق الصور كلها ثم أحدث الله الصور الجسدية الخيالية بتجل آخر بين اللطائف و الصور تتجلى في تلك الصور الجسدية الصور النورية و النارية ظاهرة للعين و تتجلى الصور الحسية حاملة للصور المعنوية

في هذه الصور الجسدية في النوم و بعد الموت و قبل البعث و هو البرزخ الصوري و هو قرن من نور أعلاه واسع و أسفله ضيق فإن أعلاه الصماء و أسفله الأرض و هذه الأجساد الصورية التي يظهر فيها الجن و الملائكة و باطن الإنسان و هي الظاهرة في النوم و صور سوق الجنة و هي هذه الصور التي تعمر الأرض التي تقدم الكلام عليها في بابها ثم إن الله تعالى جعل لهذه الصور و لهذه الأرواح غذاء و هو المسألة الثالثة يكون بذلك الغذاء بقاؤهم و هو رزق حسي و معنوي فالمعنوي منه غذاء العلوم و التجليات و الأحوال و الغذاء المحسوس معلوم و هو ما تحمله صور المطعومات و المشروبات من المعاني الروحانية أعني القوي فذلك هو الغذاء فالغذاء كله معنوي على ما قلناه و إن كان في صور محسوسة فتتغذى كل صورة نورية كانت أو حيوانية أو جسدية بما يناسبها و تفصيل ذلك يطول ثم إن الله جعل لكل عالم مرتبة في السعادة و الشقاء و منزلة و تفاصيلها لا تنحصر فسعادتها بحسبها فمنها سعادة غرضية و منها سعادة كمالية و منها سعادة ملائمة و منها سعادة وضعية أعني شرعية و الشقاوة مثل ذلك في التقسيم بما لا يوافق الغرض و لا الكمال و لا المزاج و هو غير الملائم و لا الشرع و ذلك كله محسوس و معقول فالمحسوس منه ما يتعلق بدار الشقاء من الآلام في الدنيا و الآخرة و يتعلق بدار السعادة من اللذات في الدنيا و الآخرة و منه خالص و ممتزج فالخالص يتعلق بالدار الآخرة و الممتزج يتعلق بالدار الدنيا فيظهر السعيد بصورة الشقي و الشقي بصورة السعيد و في الآخرة يمتازون و قد يظهر الشقي في الدنيا بشقاوته و يتصل بشقاء الآخرة و كذلك السعيد و لكنهم مجهولون و في الآخرة يمتازون وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ فهنالك تلحق المراتب بأهلها لحوقا لا ينخرم و لا يتبدل فقد بان لك معنى الثمانية التي هي مجموع الملك المعبر عنه بالعرش و هذه هي المسألة الرابعة فقد بان لك معنى الثمانية و هذه الثمانية للنسب الثمانية التي يوصف بها الحق و هي الحياة و العلم و القدرة و الإرادة و الكلام و السمع و البصر و إدراك المطعوم و المشموم و الملموس بالصفة اللائقة به فإن لهذا الإدراك بها تعلقا كإدراك السمع بالمسموعات و البصر بالمبصرات و لهذا انحصر الملك في ثمانية فالظاهر منها في الدنيا أربعة الصورة و الغذاء و المرتبتان و يوم القيامة تظهر الثمانية بجميعها للعيان و هو قوله تعالى وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ فقال صلى الله عليه و سلم و هم اليوم أربعة هذا في تفسير العرش بالملك و أما العرش الذي هو السرير فإن لله ملائكة يحملونه على كواهلهم هم اليوم أربعة و غدا يكونون ثمانية لأجل الحمل إلى أرض الحشر و ورد في صور هؤلاء الأربعة الحملة ما يقاربه قول ابن مسرة فقيل الواحد على صورة الإنسان و الثاني على صورة الأسد و الثالث على صورة النسر و الرابع على صورة الثور و هو الذي رآه السامري فتخيل أنه إله موسى فصنع لقومه العجل و قال هذا إِلٰهُكُمْ وَ إِلٰهُ مُوسى القصة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع عشر»

في معرفة أسرار الأنبياء أعني أنبياء الأولياء و أقطاب الأمم المكملين من آدم ع إلى محمد صلى الله عليه و سلم و أن القطب واحد منذ خلقه الله لم يمت و أين مسكنه

عرف الله بهم من بعثه | أنبياء الأولياء الورثة
سر هذا الأمر روح نفثه | ثم في روع إمام واحد
و سرى في خلقه ما نكثا | ثم لما عقد الله له
منة منه قلوب الورثة | شو تلقته على عزته
ليس يدريه سوى من ورثه | موضع القطب الذي يسكنه

اعلم أيدك الله أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده بها في نفسه فإن بعث بها إلى غيره كان رسولا و يأتيه الملك على حالتين إما ينزل بها على قلبه على اختلاف أحوال في ذلك التنزل و إما على صورة جسدية من خارج يلقى ما جاء به إليه على أذنه فيسمع أو يلقيها على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء و كذلك سائر القوي الحساسة و هذا باب قد أغلق برسول الله صلى الله عليه و سلم فلا سبيل أن يتعبد الله أحدا بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمدية و إن عيسى ع إذا نزل ما يحكم إلا بشريعة محمد صلى الله عليه و سلم و هو خاتم الأولياء فإنه من شرف محمد صلى الله عليه و سلم إن ختم الله ولاية أمته و الولاية مطلقة بنبي رسول مكرم ختم به مقام الولاية فله يوم القيامة حشر أن يحشر مع الرسل رسولا و يحشر معنا وليا تابعا محمدا صلى الله عليه و سلم كرمه الله تعالى و الياس بهذا المقام على سائر الأنبياء و أما حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمة فهو كل شخص أقامه الحق في تجل من تجلياته و أقام له مظهر محمد صلى الله عليه و سلم و مظهر جبريل ع فأسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الأحكام المشروعة لمظهر محمد صلى الله عليه و سلم حتى إذا فرغ من خطابه و فزع عن قلب هذا الولي عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية فيأخذها هذا الولي كما أخذها المظهر المحمدي للحضور الذي حصل له في هذه الحضرة مما أمر به ذلك المظهر المحمدي من التبليغ لهذه الأمة فيرد إلى نفسه و قد وعى ما خاطب الروح به مظهر محمد صلى الله عليه و سلم و علم صحته علم يقين بل عين يقين فأخذ حكم هذا النبي و عمل به على بينة من ربه فرب حديث ضعيف قد ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع كان في رواته يكون صحيحا في نفس الأمر و يكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث و لم يضعه و إنما رده المحدث لعدم الثقة بقوله في نقله و ذلك إذا انفرد به ذلك الواضع أو كان مدار الحديث عليه و أما إذا شاركه فيه ثقة سمعه معه قبل ذلك الحديث من طريق ذلك الثقة و هذا ولي قد سمعه من الروح يلقيه على حقيقة محمد صلى الله عليه و سلم كما سمع الصحابة في حديث جبريل ع مع محمد صلى الله عليه و سلم في الإسلام و الايمان و الإحسان في تصديقه إياه و إذا سمعه من الروح الملقي فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من فم رسول الله صلى الله عليه و سلم علما لا يشك فيه بخلاف التابع فإنه يقبله على طريق غلبة الظن لارتفاع التهمة المؤثرة في الصدق و رب حديث يكون صحيحا من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر فسأل النبي صلى الله عليه و سلم عن هذا الحديث الصحيح فأنكره و قال له لم أقله و

لا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به عن بينة من ربه و إن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه و هو في نفس الأمر ليس كذلك و قد ذكر مثل هذا مسلم في صدر كتابه الصحيح و قد يعرف هذا المكاشف من وضع ذلك الحديث الصحيح طريقه في زعمهم إما أن يسمى له أو تقام له صورة الشخص فهؤلاء هم أنبياء الأولياء و لا يتفردون قط بشريعة و لا يكون لهم خطاب بها إلا بتعريف إن هذا هو شرع محمد صلى الله عليه و سلم أو يشاهد المنزل عليه بذلك الحكم في حضرة التمثل الخارج عن ذاته و الداخل المعبر عنه بالمبشرات في حق النائم غير إن الولي يشترك مع النبي في إدراك ما تدركه العامة في النوم في حال اليقظة سواء و قد أثبت هذا المقام للأولياء أهل طريقنا و إتيان هذا و هو الفعل بالهمة و العلم من غير معلم من المخلوقين غير الله و هو علم الخضر فإن آتاه الله العلم بهذه الشريعة التي تعبده بها على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم بارتفاع الوسائط أعني الفقهاء و علماء الرسوم كان من العلم اللدني و لم يكن من أنبياء هذه الأمة فلا يكون من يكون من الأولياء وارث نبي إلا على هذه الحالة الخاصة من مشاهدة الملك عند الإلقاء على حقيقة الرسول فافهم فهؤلاء هم أنبياء الأولياء و تستوي الجماعة كلها في الدعاء إلى الله على بصيرة كما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي و هم أهل هذا المقام فهم في هذه الأمة مثل الأنبياء في بنى إسرائيل على مرتبة تعبد هارون بشريعة موسى عليهما السلام مع كونه نبيا فإن الله قد شهد بنبوته و صرح بها في القرآن فمثل هؤلاء يحفظون الشريعة الصحيحة التي لا شك فيها على أنفسهم و على هذه الأمة ممن اتبعهم فهم أعلم الناس بالشرع غير أن الفقهاء لا يسلمون لهم ذلك و هؤلاء لا يلزمهم إقامة الدليل على صدقهم بل يجب عليهم الكتم لمقامهم و لا يردون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم مع علمهم بأن ذلك خطأ في نفس الأمر فحكمهم حكم المجتهد الذي ليس له أن يحكم في المسألة بغير ما أداه إليه اجتهاده و أعطاه دليله و ليس له أن يخطئ المخالف له في حكمه فإن الشارع قد قرر ذلك الحكم في حقه فالأدب يقتضي له أن لا يخطئ ما قرره الشارع حكما و دليله و كشفه يحكم عليه باتباع حكم ما ظهر له و شاهده و قد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم أن علماء هذه الأمة أنبياء بنى إسرائيل يعني المنزلة التي أشرنا إليها فإن أنبياء بنى إسرائيل كانت تحفظ عليهم شرائع رسلهم و تقوم بها فيهم و كذلك علماء هذه الأمة و أئمتها يحفظون عليها أحكام رسولها صلى الله عليه و سلم كعلماء الصحابة و من نزل عنهم من التابعين و أتباع التابعين كالثوري و ابن عيينة و ابن سيرين و الحسن و مالك و ابن أبي رباح و أبي حنيفة و من نزل عنهم كالشافعي و ابن حنبل و من جرى مجرى هؤلاء إلى هلم جرا في حفظ الأحكام (و طائفة أخرى) من علماء هذه الأمة يحفظون عليها أحوال الرسول صلى الله عليه و سلم و أسرار علومه كعلي و ابن عباس و سلمان و أبي هريرة و حذيفة و من التابعين كالحسن البصري و مالك بن دينار و بنان الحمال و أيوب السختياني و من نزل عنهم بالزمان كشيبان الراعي و فرج الأسود المعمر و الفضيل بن عياض و ذي النون المصري و من نزل عنهم كالجنيد و التستري و من جرى مجرى هؤلاء من السادة في حفظ الحال النبوي و العلم اللدني و السر الإلهي فأسرار حفظة الحكم موقوفة في الكرسي عند القدمين إذ لم يكن لهم حال نبوي يعطي سرا إلهيا و لا علما لدنيا و أسرار حفاظ الحال النبوي و العلم اللدني من علماء حفاظ الحكم و

غيرهم موقوفة عند العرش و العماء و لا موقوفة و منها ما لها مقام و منها ما لا مقام لها و ذلك مقام لها تتميز به فإن ترك العلامة بين أصحاب العلامات علامة محققة غير محكوم عليها بتقييد و هي أسنى العلامات و لا يكون ذلك إلا للمتمكن الكامل في الورث المحمدي و أما أقطاب الأمم المكملين في غير هذه الأمة ممن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لي أسماؤهم باللسان العربي لما أشهدتهم و رأيتهم في حضرة برزخية و أنا بمدينة قرطبة في مشهد أقدس فكان منهم المفرق و مداوي الكلوم و البكاء و المرتفع و الشفاء و الماحق و العاقب و المنحور و شجر الماء و عنصر الحياة و الشريد و الراجع و الصانع و الطيار و السالم و الخليفة و المقسوم و الحي و الرامي و الواسع و البحر و الملصق و الهادي و المصلح و الباقي فهؤلاء المكملون الذين سموا لنا من آدم إلى زمان محمد صلى الله عليه و سلم و أما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه و سلم و هو الممد لجميع الأنبياء و الرسل سلام الله عليهم أجمعين و الأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة قيل له صلى الله عليه و سلم متى كنت نبيا فقال صلى الله عليه و سلم و آدم بين الماء و الطين و كان اسمه مداوي الكلوم فإنه بجراحات الهوى خبير و الرأي و الدنيا و الشيطان و النفس بكل لسان نبوي أو رسالي أو لسان الولاية و كان له نظر إلى موضع ولادة جسمه بمكة و إلى الشام ثم صرف الآن نظره إلى أرض كثيرة الحر و اليبس لا يصل إليها أحد من بنى آدم بجسده إلا أنه قد رآها بعض الناس من مكة في مكانه من غير نقلة زويت له الأرض فرآها و قد أخذنا نحن عنه علوما جمة بما خد مختلفة و لهذا الروح المحمدي مظاهر في العالم أكمل مظهره في قطب الزمان و في الأفراد و في ختم الولاية المحمدي و ختم الولاية العامة الذي هو عيسى ع و هو المعبر عنه بمسكنه و سأذكر فيما بعد هذا الباب إن شاء الله ما له من كونه مداوي الكلوم من الأسرار و ما انتشر عنه من العلوم ثم ظهر هذا السر بعد ظهور حال مداوي الكلوم في شخص آخر اسمه المستسلم للقضاء و القدر ثم انتقل الحكم منه إلى مظهر الحق ثم انتقل من مظهر الحق إلى الهائج ثم انتقل من الهائج إلى شخص يسمى واضع الحكم و أظنه لقمان و الله أعلم فإنه كان في زمان داود و ما أنا منه على يقين أنه لقمان ثم انتقل من واضع الحكم إلى الكاسب ثم انتقل من الكاسب إلى جامع الحكم و ما عرفت لمن انتقل الأمر من بعده و سأذكر في هذا الكتاب إذا جاءت أسماء هؤلاء ما اختصوا به من العلوم و نذكر لكل واحد منهم مسألة إن شاء الله و يجري ذلك على لساني فما أدري ما يفعل الله بي و يكفي هذا القدر من هذا الباب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

انتهى الجزء الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الخامس عشر في معرفة الأنفاس و معرفة أقطابها المحققين بها و أسرارهم هي»

و هم الأعلون في القدس عالم الأنفاس من نفسي

وحيه يأتيه في الجرس مصطفاهم سيد لسن

ما أقاسيه من الحرس قلت للبواب حين رأى

قلت قرب السيد الندس   قال ما تبغيه يا ولدي

خطرة منه لمختلس   من شفيعي للإمام عسى

لغني غير مبتئس   قال ما يعطي عوارفه

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن قيل إن الأنصا ر نفس الله بهم عن نبيه صلى الله عليه و سلم ما كان فيه من مقاساة الكفار المشركين و الأنفاس روائح القرب الإلهي فلما تنسمت مشام العا رفين عرف هذه الأنفاس و توفرت الدواعي منهم إلى طلب محقق ثابت القدم في ذلك المقام ينبئهم بما في طي ذلك المقام الأقدس و ما جاءت به هذه الأنفاس من العرف إلا نفس من الأسرار و العلوم بعد البحث بالهمم و التعرض لنفحات الكرم عرفوا بشخص إلهي عنده السر الذي يطلبونه و العلم الذي يريدون تحصيله و أقامه الحق فيهم قطبا يدور عليه فلكهم و أما ما يقوم به ملكهم يقال له مداوي الكلوم فانتشر عنه فيهم من العلم و الحكم و الأسرار ما لا يحصرها كتاب و أول سر أطلع عليه الدهر الأول الذي عنه تكونت الدهور و أول فعل أعطى فعل ما تقتضيه روحانية السماء السابعة سماء كيوان فكان يصير الحديد فضة بالتدبير و الصنعة و يصير الحديد ذهبا بالخاصية و هو سر عجيب و لم يطلب على هذا رغبة في المال و لكن رغبة في حسن المال ليقف من ذلك على رتبة الكمال و أنه مكتسب في التكوين فإن المرتبة الأولى من عقد الأبخرة المعدنية بالحركات الفلكية و الحرارة الطبيعية زئبقا و كبريتا و كل متكون في المعدن فإنه يطلب الغاية الذي هو الكمال و هو الذهب لكن تطرأ عليه في المعدن علل و أمراض من يبس مفرط أو رطوبة مفرطة أو حرارة أو برودة تخرجه عن الاعتدال فيؤثر فيه ذلك المرض صورة تسمى الحديد أو النحاس أو الأسرب أو غير ذلك من المعادن فأعطى هذا الحكيم معرفة العقاقير و الأدوية المزيل استعمالها تلك العلة الطارئة على شخصية هذا الطالب درجة الكمال من المعدنيات و هي الذهب فأزالها فصح و مشى حتى لحق بدرجة الكمال و لكن لا يقوي في الكمالية قوة الصحيح الذي ما دخل جسمه مرض فإن الجسد الذي يدخله المرض بعيد أن يتخلص و ينقى الخلوص الذي لا يشوبه كدر و هو الخلاص الأصلي كيحيى في الأنبياء و آدم عليهما السلام و لم يكن الغرض إلا درجة الكمال الإنساني في العبودية فإن الله خلقه في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثم رده إلى أسفل سافلين إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فأبقوا على الصحة الأصلية و ذلك أنه في طبيعته اكتسب علل الأعراض و أمراض الأغراض فأراد هذا الحكيم أن يرده إلى أحسن تقويم الذي خلقه الله عليه فهذا كان قصد الشخص العاقل بمعرفة هذه الصنعة المسماة بالكيمياء و ليست سوى معرفة المقادير و الأوزان فإن الإنسان لما خلقه الله و هو آدم أصل هذه النشأة الإنسانية و الصورة الجسمية الطبيعية العنصرية ركب جسده من حار و بارد و رطب و يابس بل من بارد يابس و بارد رطب و حار رطب و حار يابس و هي الأخلاط الأربعة السوداء و البلغم و الدم و الصفراء كما هي في جسم العالم الكبير النار و الهواء و الماء و التراب فخلق الله جسم آدم من طين و هو مزج الماء بالتراب ثم نفخ فيه نفسا و روحا و لقد ورد في النبوة الأولى في بعض الكتب المنزلة على نبي في بني إسرائيل ما أذكر نصه الآن فإن الحاجة مست إلى ذكره فإن أصدق الأخبار ما

روى عن الله تعالى فروينا عن مسلمة بن وضاح مسندا إليه و كان من أهل قرطبة فقال قال الله في بعض ما أنزله على أنبياء بنى إسرائيل إني خلقت يعني آدم من تراب و ماء و نفخت فيه نفسا و روحا فسويت جسده من قبل التراب و رطوبته من الماء و حرارته من النفس و برودته من الروح قال ثم جعلت في الجسد بعد هذا أربعة أنواع أخر لا تقوم واحدة منهن إلا بالأخرى و هي المرتان و الدم و البلغم ثم أسكنت بعضهن في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء و مسكن الحرارة في المرة الصفراء و مسكن الرطوبة في الدم و مسكن البرودة في البلغم ثم قال جل ثناؤه فأي جسد اعتدلت فيه هذه الأخلاط كملت صحته و اعتدلت بنيته فإن زادت واحدة منهن على الأخرى و قهرتهن دخل السقم على الجسد بقدر ما زادت و إذا كانت ناقصة ضعفت عن مقاومتهن فدخل السقم بغلبتهن إياها و ضعفها عن مقاومتهن فعلم الطب أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد طلب الاعتدال في كلام طويل عن الله تعالى ذكرناه في الموعظة الحسنة فكان هذا الإمام من أعلم الناس بهذا النشء الطبيعي و ما للعالم العلوي فيه من الآثار المودعة في أنوار الكواكب و سباحتها و هو الأمر الذي أوحى الله في السموات و في اقترانا تها و هبوطها و صعودها و أوجها و حضيضها قال تعالى وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و قال في الأرض وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها و كان لهذا الشخص فيما ذكرناه مجال رحب و باع متسع و قدم راسخة لكن ما تعدت قوته في النظر الفلك السابع من باب الذوق و الحال لكن حصل له ما في الفلك المكوكب و الأطلس بالكشف و الاطلاع و كان الغالب عليه قلب الأعيان في زعمه و الأعيان لا تنقلب عندنا جملة واحدة فكان هذا الشخص لا يبرح يسبح بروحانيته من حيث رصده و فكره مع المقابل في درجه و دقائقه و كان عنده من أسرار إحياء الموات عجائب و كان مما خصه الله به أنه ما حل بموضع قد أجدب إلا أوجد الله فيه الخصب و البركة كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في خضر رضي الله عنه و قد سئل عن اسمه بخضر فقال صلى الله عليه و سلم ما قعد على فروة إلا اهتزت تحته خضراء و كان هذا الإمام له تلميذ كبير في المعرفة الذاتية و علم القوة و كان يتلطف بأصحابه في التنبيه عليه و يستر عن عامة أصحابه ذلك خوفا عليه منهم و لذلك سمي مداوي الكلوم كما استكتم يعقوب يوسف عليهما السلام حذرا عليه من إخوته و كان يشغل عامة أصحابه بعلم التدبير و مثل ذلك مما يشاكل هذا الفن من تركيب الأرواح في الأجساد و تحليل الأجساد و تأليفها بخلع صورة عنها أو خلع صورة عليها ليقفوا من ذلك على صنعة الله العليم الحكيم و عن هذا القطب خرج علم العالم و كونه إنسانا كبيرا و إن الإنسان مختصرة في الجرمية مضاهية في المعنى فأخبرني الروح الذي أخذت منه ما أودعته في هذا الكتاب أنه جمع أصحابه يوما في دسكرة و قام فيهم خطيبا و كانت عليه مهابة فقال افهموا عني ما أرمزه لكم في مقامي هذا و فكروا فيه و استخرجوا كنزه و اتساع زمانه في أي عالم هو و إني لكم ناصح و ما كل ما يدري يذاع فإنه لكل علم أهل يختص بهم و ما يتمكن الانفراد و لا يسع الوقت فلا بد أن يكون في الجمع فطر مختلفة و أذهان غير مؤتلفة و المقصود من الجماعة واحد إياه أقصد بكلامي و بيده مفتاح رمزي و لكل مقام مقال و لكل علم رجال و لكل وارد حال فافهموا عني ما أقول و عوا ما تسمعون فبنور النور أقسمت و بروح الحياة و حياة الروح آليت إني عنكم لمنقلب من حيث جئت و راجع إلى الأصل الذي عنه وجدت فقد طال مكثي في هذه الظلمة و ضاق

نفسي بترادف هذه الغمة و إني سألت الرحلة عنكم و قد أذن لي في الرحيل فأثبتوا على كلامي فتعقلون ما أقول بعد انقضاء سنين عينها و ذكر عددها فلا تبرحوا حتى آتيكم بعد هذه المدة و إن برحتم فلتسرعوا إلى هذا المجلس الكرة و إن لطف مغناه و غلب على الحرف معناه فالحقيقة الحقيقة و الطريقة الطريقة فقد اشتركت الجنة و الدنيا في اللبن و البناء و إن كانت الواحدة من طين و تبن و الأخرى من عسجد و لجين هذا ما كان من وصيته لبنيه و هذه مسألة عظيمة رمزها و راح فمن عرفها استراح و لقد دخلت يوما بقرطبة على قاضيها أبي الوليد بن رشد و كان يرغب في لقائي لما سمع و بلغه ما فتح الله به علي في خلوتي فكان يظهر التعجب مما سمع فبعثني والدي إليه في حاجة قصدا منه حتى يجتمع بي فإنه كان من أصدقائه و أنا صبي ما بقل وجهي و لا طر شاربي فعند ما دخلت عليه قام من مكانه إلى محبة و إعظاما فعانقني و قال لي نعم قلت له نعم فزاد فرحه بي لفهمي عنه ثم إني استشعرت بما أفرحه من ذلك فقلت له لا فانقبض و تغير لونه و شك فيما عنده و قال كيف وجدتم الأمر في الكشف و الفيض الإلهي هل هو ما أعطاه لنا النظر قلت له نعم لا و بين نعم و لا تطير الأرواح من موادها و الأعناق من أجسادها فاصفر لونه و أخذه الأفكل و قعد يحوقل و عرف ما أشرت به إليه و هو عين هذه المسألة التي ذكرها هذا القطب الإمام أعني مداوي الكلوم و طلب بعد ذلك من أبي الاجتماع بنا ليعرض ما عنده علينا هل هو يوافق أو يخالف فإنه كان من أرباب الفكر و النظر العقلي فشكر الله تعالى الذي كان في زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلا و خرج مثل هذا الخروج من غير درس و لا بحث و لا مطالعة و لا قراءة و قال هذه حالة أثبتناها و ما رأينا لها أربابا فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغالق أبوابها و الحمد لله الذي خصني برؤيته ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية فأقيم لي رحمه الله في الواقعة في صورة ضرب بيني و بينه فيها حجاب رقيق أنظر إليه منه و لا يبصرني و لا يعرف مكاني و قد شغل بنفسه عني فقلت إنه غير مراد لما نحن عليه فما اجتمعت به حتى درج و ذلك سنة خمس و تسعين و خمسمائة بمدينة مراكش و نقل إلى قرطبة و بها قبره و لما جعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة جعلت تواليفه تعادله من الجانب الآخر و أنا واقف و معي الفقيه الأديب أبو الحسين محمد بن جبير كاتب السيد أبي سعيد و صاحبي أبو الحكم عمر و ابن السراج الناسخ فالتفت أبو الحكم إلينا و قال ألا تنظرون إلى من يعادل الإمام ابن رشد في مركوبه هذا الإمام و هذه أعماله يعني تواليفه فقال له ابن جبير يا ولدي نعم ما نظرت لا فض فوك فقيدتها عندي موعظة و تذكرة رحم الله جميعهم و ما بقي من تلك الجماعة غيري و قلنا في ذلك

هذا الإمام و هذه أعماله ... يا ليت شعري هل أتت آماله

و كان هذا القطب مداوي الكلوم قد أظهر سر حركة الفلك و أنه لو كان على غير هذا الشكل الذي أوجده الله عليه لم يصح أن يكون شيء في الوجود الذي تحت حيطته و بين الحكمة الإلهية في ذلك ليرى الألباب علم الله في الأشياء ﴿وَإِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا إله إلا هو العليم الحكيم و في معرفة الذات و الصفات علم ما أشار إليه هذا القطب فلو تحرك غير المستدير لما عمر الخلأ بحركته و كانت أحياز كثيرة تبقى في الخلأ فكان لا يكون عن تلك الحركة تمام أمر و كان ينقص منه قدر ما نقص من عمارة تلك الأحياز بالحركة و ذلك بمشيئة الله تعالى و حكمته

الجارية في وضع الأسباب و أخبر هذا القطب أن العالم موجود ما بين المحيط و النقطة على مراتبهم و صغر أفلاكهم و عظمها و أن الأقرب إلى المحيط أوسع من الذي في جوفه فيومه أكبر و مكانه أفسح و لسانه أفصح و هو إلى التحقق بالقوة و الصفاء أقرب و ما انحط إلى العناصر نزل عن هذه الدرجة حتى إلى كرة الأرض و كل جزء في كل محيط يقابل ما فوقه و ما تحته بذاته لا يزيد واحد على الآخر شيء و إن اتسع الواحد و ضاق الآخر و هذا من إيراد الكبير على الصغير و الواسع على الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع و الكل ينظر إلى النقطة بذواتهم و النقطة مع صغرها تنظر إلى كل جزء من المحيط بها بذاتها فالمختصر المحيط و المختصر منه النقطة و بالعكس فانظر و لما انحط الأمر إلى العناصر حتى انتهى إلى الأرض كثر عكره مثل الماء في الحب و الزيت و كل مائع في الدن ينزل إلى أسفله عكره و يصفو أعلاه و المعنى في ذلك ما يجده عالم الطبيعة من الحجب المانعة عن إدراك الأنوار من العلوم و التجليات بكدورات الشهوات و الشبهات الشرعية و عدم الورع في اللسان و النظر و السماع و المطعم و المشرب و الملبس و المركب و المنكح و كدورات الشهوات بالانكباب عليها و الاستفراغ فيها و إن كانت حلالا و إنما لم يمنع نيل الشهوات في الآخرة و هي أعظم من شهوات الدنيا من التجلي لأن التجلي هناك على الأبصار و ليست الأبصار بمحل للشهوات و التجلي هنا في الدنيا إنما هو على البصائر و البواطن دون الظاهر و البواطن محل الشهوات و لا يجتمع التجلي و الشهوة في محل واحد فلهذا جنح العارفون و الزهاد في هذه الدنيا إلى التقليل من نيل شهواتها و الشغل بكسب حطامها و هذا الإمام هو الذي أعلم أصحابه أن ثم رجالا سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم و إليهم تنظر روحانيات السموات السبع و لكل شخص منهم قوة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السموات و هم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين و أما يحيى فله تردد بين عيسى و بين هارون فينزل على قلوب هؤلاء الأبدال السبعة من حقائق هؤلاء الأنبياء عليهم السلام و تنظر إليهم هذه الكواكب السبعة بما أودع الله تعالى في سبحاتها في أفلاكها و بما أودع الله في حركات هذه السموات السبع من الأسرار و العلوم و الآثار العلوية و السفلية قال تعالى وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فلهم في قلوبهم في كل ساعة و في كل يوم بحسب ما يعطيه صاحب تلك الساعة و سلطان ذلك اليوم فكل أمر علمي يكون في يوم الأحد فمن مادة إدريس ع و كل أثر علوي يكون في ذلك اليوم في عنصر الهواء و النار فمن سباحة الشمس و نظرها المودع من الله تعالى فيها و ما يكون من أثر في عنصر الماء و التراب في ذلك اليوم فمن حركة الفلك الرابع و موضع هذا الشخص الذي يحفظه من الأقاليم الإقليم الرابع فمما يحصل لهذا الشخص المخصوص من الأبدال بهذا الإقليم من العلوم علم أسرار الروحانيات و علم النور و الضياء و علم البرق و الشعاع و علم كل جسم مستنير و لماذا استنار و ما المزاج الذي أعطاه هذا القبول مثل الحباحب من الحيوان و كأصول شجر التين من النبات و كحجر المها و الياقوت و بعض لحوم الحيوان و علم الكمال في المعدن و النبات و الحيوان و الإنسان و الملك و علم الحركة المستقيمة حيثما ظهرت في حيوان أو نبات و علم معالم التأسيس و أنفاس الأنوار و علم خلع الأرواح المدبرات و إيضاح الأمور المبهمات و حل المشكل من المسائل الغامضة و علم النغمات الفلكية و الدولابية و أصوات آلات

الطرب من الأوتار و غيرها و علم المناسبة بينها و بين طبائع الحيوان و ما للنبات منها و علم ما إليه تنتهي المعاني الروحانية و الروائح العطرية و ما المزاج الذي عطرها و لما ذا ترجع و كيف ينقلها الهواء إلى الإدراك الشمي و هل هو جوهر أو عرض كل ذلك يناله و يعلمه صاحب ذلك الإقليم في ذلك اليوم و في سائر الأيام في ساعات حكم حركة ذلك الفلك و حكم ما فيه من الكواكب و ما فيه من روحانية النبي هكذا إلى تمام دورة الجمعة و كل أمر علمي يكون في يوم الإثنين فمن روحانية آدم ع و كل أثر علوي في عنصر الهواء و النار فمن سباحة القمر و كل أثر سفلي في عنصر الماء و التراب فمن حركة فلك السماء الدنيا و لهذا الشخص الإقليم السابع فما يحصل لهذا البدل من العلوم في نفسه في يوم الإثنين و في كل ساعة من ساعات أيام الجمعة مما يكون لهذا الفلك حكم فيها علم السعادة و الشقاء و علم الأسماء و ما لها من الخواص و علم المد و الجزر و الربو و النقص و كل أمر علمي يكون في يوم الثلاثاء فمن روحانية هارون ع و كل أثر علوي في عنصر النار و الهواء فمن روحانية الأحمر و كل أثر سفلي في ركن الماء و التراب فمن حركة الفلك الخامس و لهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثالث فما يعطيه من العلوم في هذا اليوم و في ساعاته من الأيام علم تدبير الملك و سياسته و علم الحمية و الحماية و ترتيب الجيوش و القتال و مكايد الحروب و علم القرابين و ذبح الحيوان و علم أسرار أيام النحر و سريانه في سائر البقاع و علم الهدى و الضلال و تميز الشبهة من الدليل و كل أمر علمي يكون في يوم الأربعاء فمن روحانية عيسى ع و هو يوم النور و كان له نظر إلينا في دخولنا في هذا الطريق التي نحن اليوم عليها و كل أثر في عنصر النار و الهواء فمن روحانية سباحة الكاتب في فلكه و كل أثر سفلي في ركن الماء و التراب فمن حركة فلك السماء الثانية و للبدل صاحب هذا اليوم الإقليم السادس و مما يحصل له من العلوم في هذا اليوم و في ساعته من الأيام علم الأوهام و الإلهام و الوحي و الآراء و الأقيسة و الرؤيا و العبادة و الاختراع الصناعي و العطردة و علم الغلط الذي يعلق بعين الفهم و علم التعاليم و علم الكتابة و الآداب و الزجر و الكهانة و السحر و الطلسمات و العزائم و كل أمر علمي يكون في يوم الخميس فمن روحانية موسى ع و كل أثر علوي في ركن النار و الهواء فمن سباحة المشتري و كل أثر سفلي في عنصر الماء و التراب فمن حركة فلكه و لهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثاني و مما يحصل له من العلوم في هذا اليوم و في ساعاته من الأيام علم النبات و النواميس و علم أسباب الخير و مكارم الأخلاق و علم القربات و علم قبول الأعمال و أين ينتهي بصاحبها و كل أمر علمي يكون في يوم الجمعة يكون لهذا الشخص الذي يحفظ الله به الإقليم الخامس فمن روحانية يوسف ع و كل أثر علوي يكون في ركن النار و الهواء فمن نظر كوكب الزهرة و كل أثر سفلي في ركن الماء و الأرض فمن حركة فلك الزهرة و هو من الأمر الذي أوحى الله في كل سماء و هذه الآثار هي الأمر الإلهي الذي يتنزل بين السماء و الأرض و هو في كل ما يتولد بينهما بين السماء بما ينزل منها و بين الأرض بما تقبل من هذا النزول كما يقبل رحم الأنثى الماء من الرجل للتكوين و الهواء الرطب من الطير قال تعالى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و القدرة ما لها تعلق إلا بالإيجاد فعلمنا إن المقصود بهذا التنزل إنما هو التكوين و مما يحصل له من العلوم في هذا اليوم و في ساعاته من الأيام علم التصوير من حضرة الجمال و الأنس و علم الأحوال و كل أمر علمي يكون في يوم السبت لهذا البدل

الذي له حفظ الإقليم الأول فمن روحانية إبراهيم الخليل ع و ما يكون فيه من أثر علوي في ركن النا ر و الهواء فمن حركة كوكب كيوان في فلكه و ما كان من أثر في العالم السفلي ركن الأرض و الماء فمن حركة فلكه يقول تعالى في الكواكب السيا رة كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و قال تعالى وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ فخلقها للاهتداء بها و مما يحصل له من العلوم في هذا اليوم و في ساعا ته من باقي الأيام ليلا و نها را علم الثبات و التمكين و علم الدوام و البقاء و علم هذا الإمام بمقامات هؤلاء الأبدال و هجيراهم و قال إن مقام الأول و هجيره لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و سبب ذلك كون الأولية له إذ لو تقدم له مثل لما صحت له الأولية فذكره مناسب لمقامه و مقام الشخص الثاني في هجيره لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي و هو مقام العلم الإلهي و تعلقه لا ينتهي و هو الثاني من الأوصاف فإن أول الأوصاف الحياة و يليه العلم و هجير الشخص الثالث و مقامه وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ و هي المرتبة الثالثة فإن الآيات الأول هي الأسماء الإلهية و الآيات الثواني في الآفاق و الآيات التي تلي الثواني في أنفسنا قال تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ فلهذا اختص بهذا الهجير الثالث من الأبدال و مقام الرابع في هجيره يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً و هو الركن الرابع من الأركان الذي يطلب المركز عند من يقول به فليس لنقطة الأكرة أقرب من الأرض و تلك النقطة كانت سبب وجود المحيط فهو يطلب القرب من الله موجد الأشياء و لا يحصل إلا بالتواضع و لا أنزل في التواضع من الأرض و هي منابع العلوم و تفجر الأنها ر و كل ما ينزل من المعصرات فإنما هو من بخا رات الرطوبات التي تصعد من الأرض فمنها تتفجر العيون و الأنها ر و منها تخرج البخا رات إلى الجو فتستحيل ماء فينزل غيثا فلهذا اختص الرابع بالرابع من الأركان و مقام الخامس فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ و لا يسأل إلا المولود فإنه في مقام الطفولة من الطفل و هو الندى قال تعالى أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً فلا يعلم حتى يسأل فالولد في المرتبة الخامسة لأن أمها ته أربعة و هن الأركان فكان هو العين الخامسة فلهذا كان السؤال هجير البدل الخامس من بين الأبدال و أما مقام السادس فهجيره أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ و هي المرتبة السادسة فكانت للسادس و إنما كانت السادسة له لأنه في المرتبة الخامسة كما ذكرنا يسأل و قد كان لا يعلم فعند ما سأل علم و لما علم تحقق بعلمه بربه ففوض أمره إليه لأنه علم إن أمره ليس بيده منه شيء و أن الله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ فقال قد علمت إن الله لما ملكني أمري و هو يفعل ما يريد علمت إن التفويض في ذلك أرجح لي فلذلك اتخذه هجيرا و مقام السابع إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ و ذلك أن لها الرتبة السابعة و كان أيضا تكوين آدم المعبر عنه بالإنسان في الرتبة السابعة فإنه عن عقل ثم نفس ثم هباء ثم فلك ثم فاعلان ثم منفعلان فهذه ستة ثم تكون الإنسان الذي هو آدم في الرتبة السابعة و لما كان وجود الإنسان في السنبلة و لها من الزمان في الدلالة سبعة آلاف سنة فوجد الإنسان في الرتبة السابعة من المدة فما حمل الأمانة إلا من تحقق بالسبعة و كان هذا هو السابع من الأبدال فلذلك اتخذ هجيراه هذه الآية فهذا قد بينا لك مراتب الأبدال و أخبرت أن هذا القطب الذي هو مداوي الكلوم كان في زمان حبسه في هيكله و ولايته في العالم إذا وقف وقف لوقفته سبعون قبيلة كلهم قد ظهرت فيهم المعارف الإلهية و أسرار الوجود و كان أبدا لا يتعدى كلامه السبعة و مكث زمانا طويلا في أصحابه و كان يعين في زمانه من أصحابه شخصا فاضلا كان أقرب الناس إليه مجلسا كان اسمه المستسلم فلما درج هذا الإمام ولي مقامه في القطبية المستسلم و كان غالب

علمه علم الزمان و هو علم شريف منه يعرف الأزل و منه ظهر قوله ع كان الله و لا شيء معه و هذا علم لا يعلمه إلا الأفراد من الرجال و هو المعبر عنه بالدهر الأول و دهر الدهور و عن هذا الأزل وجد الزمان و به تسمى الله بالدهر و هو قوله ع لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر و الحديث صحيح ثابت و من حصل له علم الدهر لم يقف في شيء ينسبه إلى الحق فإن له الاتساع الأعظم و من هذا العلم تعددت المقالات في الإله و منه اختلفت العقائد و هذا العلم يقبلها كلها و لا يرد منها شيئًا و هو العلم العام و هو الظرف الإلهي و أسراره عجيبة ما له عين موجودة و هو في كل شيء حاكم يقبل الحق نسبته و يقبل الكون نسبته هو سلطان الأسماء كلها المعينة و المغيبة عنا فكان لهذا الإمام فيه اليد البيضاء و كان له من علمه بدهر الدهور علم حكمة الدنيا في لعبها بأهلها و لم سمي لعبا و الله أوجده و كثيرا ما ينسب اللعب إلى الزمان فيقال لعب الزمان بأهله و هو متعلق السابقة و هو الحاكم في العاقبة و كان هذا الإمام يذم الكسب و لا يقول به مع معرفته بحكمته و لكن كان يرقى بذلك هم أصحابه عن التعلق بالوسائط أخبرت أنه ما مات حتى علم من أسرار الحق في خلقه ستة و ثلاثين ألف علم و خمسمائة علم من العلوم العلوية خاصة و مات رحمه الله و ولي بعده شخص فاضل اسمه مظهر الحق عاش مائة و خمسين سنة و مات و ولي بعده الهائج و كان كبير الشأن ظهر بالسيف عاش مائة و أربعين سنة مات مقتولا في غزاة كان الغالب على حاله من الأسماء الإلهية القهار و لما قتل ولي بعده شخص يقال له لقمان و الله أعلم و كان يلقب واضع الحكم عاش مائة و عشرين سنة كان عارفا بالترتيب و العلوم الرياضية و الطبيعية و الإلهية و كان كثير الوصية لأصحابه فإن كان هو لقمان فقد ذكر الله لنا ما كان يوصي به ابنه مما يدل على رتبته في العلم بالله و تحريضه على القصد و الاعتدال في الأشياء في عموم الأحوال و لما مات رحمه الله و كان في زمان داود ع ولي بعده شخص اسمه الكاسب و كانت له قدم راسخة في علم المناسبات بين العالمين و المناسبة الإلهية التي وجد لها العالم على هذه الصورة التي هو عليها كان هذا الإمام إذا أراد إظهار أثر ما في الوجود نظر في نفسه إلى المؤثر فيه من العالم العلوي نظرة مخصوصة على وزن معلوم فيظهر ذلك الأثر من غير مباشرة و لا حيلة طبيعية و كان يقول إن الله أودع العلم كله في الأفلاك و جعل الإنسان مجموع رقائق العالم كله فمن الإنسان إلى كل شيء في العالم رقيقة ممتدة من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشيء في الإنسان ما أودع الله عند ذلك الشيء من الأمور التي أمنه الله عليها ليؤديها إلى هذا الإنسان و بتلك الرقيقة يحرك الإنسان العارف ذلك الشيء لما يريده فما من شيء في العالم إلا و له أثر في الإنسان و للإنسان أثر فيه فكان لهذا كشف هذه الرقائق و معرفتها و هي مثل أشعة النور عاش هذا الإمام ثمانين سنة و لما مات ورثه شخص يسمى جامع الحكم عاش مائة و عشرين سنة له كلام عظيم في أسرار الأبدال و الشيخ و التلميذ و كان يقول بالأسباب و كان قد أعطى أسرار النبات و كان له في كل علم يختص بأهل هذا الطريق قدم و فيما ذكرناه في هذا الباب غنية وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس عشر»

في معرفة المنازل السفلية و العلوم الكونية و مبدأ معرفة الله منها و معرفة الأوتاد و الأبدال و من تولاهم من الأرواح العلوية و ترتيب أفلاكها

هي الدليل على المطلوب للرسل	علم الكثائف أعلام مرتبة
و هي التي كشفت معالم السبل	و هي التي حجبت أسرار ذي عمه
من الهلال و خذ علوا إلى زحل	لها من العالم العلوي سبعته
رسى بها الأرض فابتزت من الميل	شلو لا الذي أوجد الأوتاد أربعة
فأعجب له مثلا ناهيك من مثل	لما استقر عليها من يكون بها

اعلم أيدك الله أنا قد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا منازل الأبدال و مقاماتهم و من تولاهم من الأرواح العلوية و ترتيب أفلاكها و ما للنيرات فيهم من الآثار و ما لهم من الأقاليم فلنذكر في هذا الباب ما بقي مما ترجمت عليه المنازل السفلية هنا عبارة عن الجهات الأربع التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان و سميناها سفلية لأن الشيطان من عالم السفل فلا يأتي إلى الإنسان إلا من المنازل التي تناسبه و هي اليمين و الشمال و الخلف و الأمام قال تعالى ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ و يستعين على الإنسان بالطبع فإنه المساعد له فيما يدعوه إليه من اتباع الشهوات فأمر الإنسان أن يقاتله من هذه الجهات و أن يحصن هذه الجهات بما أمره الشرع أن يحصنها به حتى لا يجد الشيطان إلى الدخول إليه منها سبيلا فإن جاءك من بين يديك و طردته لاحت لك من العلوم علوم النور منة من الله عليك و جزاء حيث آثرت جناب الله على هواك و علوم النور على قسمين علوم كشف و علوم برهان بصحيح فكر فيحصل له من طريق البرهان ما يرد به الشبه المضلة القادحة في وجود الحق و توحيده و أسمائه و أفعاله فبالبرهان يرد على المعطلة و يدل على إثبات وجود الإله و به يرد على أهل الشرك الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ و يدل على توحيد الإله من كونه إلها و به يرد على من ينفي أحكام الأسماء الإلهية و صحة آثارها في الكون و يدل على إثباتها بالبرهان السمعي من طريق الإطلاق و بالبرهان العقلي من طريق المعاني و به يرد على نفاة الأفعال من الفلاسفة و يدل على أنه سبحانه فاعل و أن المفعولات مرادة له سمعا و عقلا و أما علوم الكشف فهو ما يحصل له من المعارف الإلهية في التجليات في المظاهر و إن جاءك من خلفك و هو ما يدعوك إليه أن تقول على الله ما لا تعلم و تدعى النبوة و الرسالة و إن الله قد أوحي إليك و ذلك أن الشيطان إنما ينظر في كل ملة كل صفة علق الشارع المذمة عليها في تلك الأمة فيأمرك بها و كل صفة علق المحمدة عليها نهاك عنها هذا على الإطلاق و الملك على النقيض منه يأمرك بالمحمود منها و ينهاك عن المذموم فإذا طردته من خلفك لاحت لك علوم الصدق و منازله و أين ينتهي بصاحبه كما قال تعالى فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ إلا أن ذلك صدقهم هو الذي أقعدهم ذلك المقعد عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ فإن الاقتدار يناسب الصدق فإن معناه القوي يقال رمح صدق أي صلب قوي و لما كانت القوة صفة هذا الصادق حيث قوى على نفسه فلم يتزين بما ليس له و التزم الحق في أقواله و أحواله و أفعاله و صدق فيها أقعده الحق عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ أي أطلعه على القوة الإلهية التي أعطته القوة في صدقه الذي كان عليه فإن الملك هو الشديد أيضا فهو مناسب للمقتدر قال قيس بن الحطيم يصف طعنة

ملكت بها كفي فانهرت فتقها   يرى قائم من دونها ما وراءها

أي شددت كفي بها يقال ملكت العجين إذا شددت عجنه فيحصل لك إذا خالفته في هذا الأمر الذي جاءك به علم تعلق الاقتدار الإلهي بالإيجاد و هي مسألة خلاف بين أهل الحقائق من أصحابنا و يحصل لك علم العصمة و الحفظ الإلهي حتى لا يؤثر فيك و همك و لا غيرك فتكون خالصا لربك و إن جاءك من جهة اليمين فقويت عليه و دفعته فإنه إذا جاءك من هذه الجهة الموصوفة بالقوة فإنه يأتي إليك ليضعف إيمانك و يقينك و يلقي عليك شبها في أدلتك و مكاشفاتك فإنه له في كل كشف يطلعك الحق عليه أمرا من عالم الخيال ينصبه لك مشابها لحالك الذي أنت به في وقتك فإن لم يكن لك علم قوي بما تميز به بين الحق و ما يخيله لك فتكون موسوي المقام و إلا التبس عليك الأمر كما خيلت السحرة للعامة أن الحبال و العصي حيات و لم تكن كذلك و قد كان موسى ع لما ألقى عصاه فكانت حَيَّةٌ تَسْعى خاف منها على نفسه على مجرى العادة و إنما قدم الله بين يديه معرفة هذا قبل جمع السحرة ليكون على يقين من الله أنها آية و أنها لا تضره و كان خوفه الثاني عند ما ألقت السحرة الحبال و العصي فصارت حيات في أبصار الحاضرين على الأمة لئلا يلتبس عليهم الأمر فلا يفرقون بين الخيال و الحقيقة أو بين ما هو من عند الله و بين ما ليس من عند الله فاختلف تعلق الخوفين فإنه ع على بينة من ربه قوي الجأش بما تقدم له إذ قيل له في الإلقاء الأول خُذْها وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى أي ترجع عصا كما كانت في عينك فأخفى تعالى العصا في روحانية الحية البرزخية فتلقفت جميع حيات السحرة المتخيلة في عيون الحاضرين فلم يبق لتلك الحبال و العصي عين ظاهرة في أعينهم و هي ظهور حجته على حججهم في صور حبال و عصى فأبصرت السحرة و الناس حبال السحرة و عصيهم التي ألقوها حبالا و عصيا فهذا كان تلقفها لا أنها انعدمت الحبال و العصي إذ لو انعدمت لدخل عليهم التلبيس في عصا موسى و كانت الشبهة تدخل عليهم فلما رأى الناس الحبال حبالا علموا أنها مكيدة طبيعية يعضدها قوة كيدية روحانية فتلقفت عصا موسى صور الحيات من الحبال و العصي كما يبطل كلام الخصم إذا كان على غير حق أن يكون حجة لا إن ما أتى به ينعدم بل يبقى محفوظا معقولا عند السامعين و يزول عندهم كونه حجة فلما علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوة الحجة و أنه خارج عما جاءوا به و تحققت شفوف ما جاء به على ما جاءوا به و رأوا خوفه علموا أن ذلك من عند الله و لو كان من عنده لم يخف لأنه يعلم ما يجري فآيته عند السحرة خوفه و آيته عند الناس تلقف عصاه فآمنت السحرة قيل كانوا ثمانين ألف ساحر و علموا إن أعظم الآيات في هذا الموطن تلقف هذه الصور من أعين الناظرين و إبقاء صورة حية عصا موسى في أعينهم و الحال عندهم واحدة فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم إليه و أن هذا الذي أتى به خارج عن الصور و الحيل المعلومة في السحر فهو أمر إلهي ليس لموسى ع فيه تعمل فصدقوا برسالته على بصيرة و اختاروا عذاب فرعون على عذاب الله و آثروا الآخرة على الدنيا و علموا من علمهم بذلك أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و أن الحقائق لا تتبدل و أن عصا موسى مبطونة في صورة الحية عن أعين الجميع و عن الذي ألقاها بخوفه الذي شهدوا منه فهذه فائدة العلم و إن جاءك الشيطان من جهة الشمال بشبهات التعطيل أو وجود الشريك لله تعالى في ألوهيته

فطرد ته فإن الله يقويك على ذلك بدلائل التوحيد و علم النظر فإن الخلف للمعطلة و دفعهم بضرورة العلم الذي يعلم به وجود الباري فالخلف للتعطيل و الشمال للشرك و اليمين للضعف و من بين أيديهم التشكيك في الحواس و من هنا دخل التلبيس على السوفسطائية حيث أدخل لهم الغلط في الحواس و هي التي يستند إليها أهل النظر في صحة أدلتهم و إلى البديهيات في العلم الإلهي و غيره فلما أظهر لهم الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فإن قيل لهم فهذا علم بأنه ما ثم علم فما مستندكم و أنتم غير قائلين به قالوا و كذلك نقول إن قولنا هذا ليس بعلم و هو من جملة الأغاليط يقال لهم فقد علمتم إن قولكم هذا ليس بعلم و قولكم إن هذا أيضا من جملة الأغاليط إثبات ما نفيتموه فأدخل عليهم الشبه فيما يستندون إليه في تركيب مقدماتهم في الأدلة و يرجعون إليه فيها و لهذا عصمنا الله من ذلك فلم يجعل للحس غلطا جملة واحدة و إن الذي يدركه الحس حق فإنه موصل ما هو حاكم بل شاهد و إنما العقل هو الحاكم و الغلط منسوب إلى الحاكم في الحكم و معلوم عند القائلين بغلط الحس و غير القائلين به إن العقل يغلط إذا كان النظر فاسدا أعني نظر الفكر فإن النظر ينقسم إلى صحيح و فاسد فهذا هو من بين أيديهم ثم لتعلم أن الإنسان قد جعله الحق قسمين في ترتيب مدينة بدنه و جعل القلب بين القسمين منه كالفاصل بين الشيئين فجعل في القسم الأعلى الذي هو الرأس جميع القوي الحسية و الروحانية و ما جعل في النصف الآخر من القوي الحساسة إلا حاسة اللمس فيدرك الخشن و اللين و الحار و البارد و الرطب و اليابس بروحه الحساس من حيث هذه القوة الخاصة السارية في جميع بدنه لا غير ذلك و أما من القوي الطبيعية المتعلقة بتدبير البدن فالقوة الجاذبة و بها تجذب النفس الحيوانية ما به صلاح العضو من الكبد و القلب و القوة الماسكة و بها تمسك ما جذبته الجاذبة على العضو حتى يأخذ منه ما فيه منافعه فإن قلت فإذا كان المقصود المنفعة فمن أين دخل المرض على الجسد فاعلم إن المرض من الزيادة على ما يستحقه من الغذاء أو النقص مما يستحقه فهذه القوة ما عندها ميزان الاستحقاق فإذا جذبت زائدا على ما يحتاج إليه البدن أو نقصت عنه كان المرض فإن حقيقتها الجذب ما حقيقتها الميزان فإذا أخذته على الوزن الصحيح فذلك لها بحكم الاتفاق و من قوة أخرى لا بحكم القصد و ذلك ليعلم المحدث نقصه و أن الله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ و كذلك فيه أيضا القوة الدافعة و بها يعرق البدن فإن الطبيعة ما هي دافعة بمقدار مخصوص لأنها تجهل الميزان و هي محكومة لأمر آخر من فضول تطرأ في المزاج تعطيها القوة الشهوانية و كذلك أيضا هذا كله سار في جميع البدن علوا و سفلا و أما سائر القوي فمحلها النصف الأعلى و هو النصف الأشرف محل وجود الحياتين حياة الدم و حياة النفس فأي عضو مات من هذه الأعضاء زالت عنه القوي التي كانت فيه من المشروط وجودها بوجود الحياة و ما لم يمت العضو و طرأ على محل قوة ما خلل فإن حكمها يفسد و يتخبط و لا يعطي علما صحيحا كمحل الخيال إذا طرأت فيه علة فالخيال لا يبطل و إنما يبطل قبول الصحة فيما يراه علما و كذلك العقل و كل قوة روحانية و أما القوي الحسية فهي أيضا موجودة لكن تطرأ حجب بينها و بين مدركاتها في العضو القائمة به من ماء ينزل في العين و غير ذلك و أما القوي ففي محالها ما زالت و لا برحت و لكن الحجب طرأت فمنعت فالأعمى يشاهد الحجاب و يراه و هو الظلمة التي يجدها فهي ظلمة الحجاب فمشهده الحجاب و كذلك ذائق العسل و السكر إذا وجده مرا فالمباشر للعضو القائم به قوة الذوق إنما

هو المرة الصفراء فلذلك أدرك المرارة فالحس يقول أدركت مرارة و الحاكم إن أخطأ يقول هذا السكر مر و إن أصاب عرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ما أدركت القوة وعرف أن الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال و أن القاضي يخطئ و يصيب

«فصل» و أما معرفة الحق من هذا المنزل فاعلم إن الكون لا تعلق له بعلم الذات أصلا و إنما متعلقة العلم بالمرتبة و هو مسمى الله فهو الدليل المحفوظ الأركان الساد على معرفة الإله و ما يجب أن يكون عليه سبحانه من أسماء الأفعال و نعوت الجلال و بأية حقيقة يصدر الكون من هذه الذات المنعوتة بهذه المرتبة المجهولة العين و الكيف و عندنا لا خلاف في أنها لا تعلم بل يطلق عليها نعوت تنزيه صفات الحدث و أن القدم لها و الأزل الذي يطلق لوجودها إنما هي أسماء تدل على سلوب من نفي الأولية و ما يليق بالحدوث و هذا يخالفنا فيه جماعة من المتكلمين الأشاعرة و يتخيلون أنهم قد علموا من الحق صفة نفسية ثبوتية و هيهات أنى لهم بذلك و أخذت طائفة ممن شاهدناهم من المتكلمين كأبي عبد الله الكتاني و أبي العباس الأشقر و الضرير السلاوي صاحب الأرجوزة في علم الكلام على أبي سعيد الخراز و أبي حامد و أمثالهما في قولهم لا يعرف الله إلا الله و إنما اختلف أصحابنا في رؤية الله تعالى إذا رأيناه في الدار الآخرة بالأبصار ما الذي نرى و كلامهم فيه معلوم عند أصحابنا و قد أوردنا تحقيق ذلك في هذا الكتاب مفرقا في أبواب منازله و غيرها بطريق الإيماء لا بالتصريح فإنه مجال ضيق تقف العقول فيه لمناقضته أدلتها فهو المرئي سبحانه على الوجه الذي قاله و قاله رسول الله صلى الله عليه و سلم و على ما أراده من ذلك فإن الناظرين فيما قاله و أوحي به إلينا اختلفوا في تأويله و ليس بعض الوجوه بأولى من بعض فتركنا الخوض في ذلك إذا الخلاف فيه لا يرتفع من العالم بكلامنا و لا بما نورده فيه

«فصل» و أما حديث الأوتاد الذي يتعلق معرفتهم بهذا الباب فاعلم إن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة لا خامس لهم و هم أخص من الأبدال و الإمامان أخص منهم و القطب هو أخص الجماعة و الأبدال في هذا الطريق لفظ مشترك يطلقون الأبدال على من تبدلت أوصافه المذمومة بالمحمودة و يطلقونه على عدد خاص و هم أربعون عند بعضهم لصفة يجتمعون فيها و منهم من قال عددهم سبعة و الذين قالوا سبعة منا من جعل السبعة الأبدال خارجين عن الأوتاد متميزين و منا من قال إن الأوتاد الأربعة من الأبدال فالأبدال سبعة و من هذه السبعة أربعة هم الأوتاد و اثنان هما الإمامان و واحد هو القطب و هذه الجملة هم الأبدال و قالوا سموا أبدالا لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدله و يؤخذ من الأربعين واحد و تكمل الأربعون بواحد من الثلاثمائة و تكمل الثلاثمائة بواحد من صالحي المؤمنين و قيل سموا أبدالا لأنهم أعطوا من القوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون لأمر يقوم في نفوسهم على علم منهم فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة و قد يكون من الأفراد و هؤلاء الأوتاد الأربعة لهم مثل ما للابدال الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا روحانية إلهية و روحانية إلية فمنهم من هو على قلب آدم و الآخر على قلب إبراهيم و الآخر على قلب عيسى و الآخر على قلب محمد عليهم السلام فمنهم من تمده روحانية إسرافيل و آخر روحانية ميكائيل و آخر روحانية جبريل و آخر روحانية عزرائيل و لكل و تد ركن من أركان البيت

فالذي على قلب آدم ع له الركن الشامي و الذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي و الذي على قلب عيسى ع له الركن اليماني و الذي على قلب محمد صلى الله عليه و سلم له ركن الحجر الأسود و هو لنا بحمد الله و كان بعض الأركان في زماننا الربيع بن محمود الماردينى الحطاب فلما مات خلفه شخص آخر و كان الشيخ أبو علي الهواري قد أطلعه الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم و تحقق صورهم فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحس أبصر ربيعا الماردينى و أبصر الآخر و هو رجل فارسي و أبصرنا و لازمنا إلى أن مات سنة تسع و تسعين و خمسمائة أخبرني بذلك و قال لي ما أبصرت الرابع و هو رجل حبشي و اعلم أن هؤلاء الأوتاد يحوون على علوم جمة كثيرة فالذي لا بد لهم من العلم به و به يكونون أوتادا فما زاد من العلوم فمنهم من له خمسة عشر علما و منهم من له و لا بد ثمانية عشر علما و منهم من له أحد و عشرون علما و منهم من له أربعة و عشرون علما فإن أصناف العدد كثيرة هذا العدد من أصناف العلوم لكل واحد منهم لا بد له منه و قد يكون الواحد أو كلهم يجمع أو يجمعون علم الجماعة و زيادة و لكن الخاص لكل واحد منهم ما ذكرنا من العدد فهو شرط فيه و قد لا يكون له و لا لواحد منهم علم زائد لا من الذي عند أصحابه و لا مما ليس عندهم فمنهم من له الوجه و هو قوله تعالى عن إبليس ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ و لكل جهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه إبليس من جهته فالذي له الوجه له من العلوم علم الاصطلام و الوجد و الشوق و العشق و غامضات المسائل و علم النظر و علم الرياضة و علم الطبيعة و العلم الإلهي و علم الميزان و علم الأنوار و علم السبحات الوجهية و علم المشاهدة و علم الفناء و علم تسخير الأرواح و علم استنزال الروحانيات العلى و علم الحركة و علم إبليس و علم المجاهدة و علم الحشر و علم النشر و علم موازين الأعمال و علم جهنم و علم الصراط و الذي له الشمال له علم الأسرار و علم الغيوب و علم الكنوز و علم النبات و علم المعدن و علم الحيوان و علم خفيات الأمور و علم المياه و علم التكوين و علم التلوين و علم الرسوخ و علم الثبات و علم المقام و علم القدم و علم الفصول المقومة و علم الأعيان و علم السكون و علم الدنيا و علم الجنة و علم الخلود و علم التقلبات و الذي له اليمين له علم البرازخ و علم الأرواح البرزخية و علم منطق الطير و علم لسان الرياح و علم التنزل و علم الاستحالات و علم الزجر و علم مشاهدة الذات و علم تحريك النفوس و علم الميل و علم المعراج و علم الرسالة و علم الكلام و علم الأنفاس و علم الأحوال و علم السماع و علم الحيرة و علم الهوى و الذي له الخلف له علم الحياة و علم الأحوال المتعلقة بالعقائد و علم النفس و علم التجلي و علم المنصات و علم النكاح و علم الرحمة و علم التعاطف و علم التودد و علم الذوق و علم الشرب و علم الري و علم جواهر القرآن و علم درر الفرقان و علم النفس الأمارة فكل شخص كما ذكرنا لا بد له من هذه العلوم فما زاد على ذلك فذلك من الاختصاص الإلهي فهذا قد بينا مراتب الأوتاد و كنا في الباب الذي قبله بينا ما يختص به الأبدال و بينا في فصل المنازل من هذا الكتاب ما يختص به القطب و الإمامان مستوفى الأصول في باب يخصه و هو السبعون و مائتان من أبواب هذا الكتاب ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

«الباب السابع عشر في معرفة انتقال العلوم الكونية و نبذ من العلوم الإلهية الممدة الأصلية»

و علم الوجه لا يرجو زوالا — علوم الكون تنتقل انتقالا
و نقطع نجدها حالا فحالا — فنثبتها و ننفيها جميعا
و مثلك من تبارك أو تعالى — إلهي كيف يعلمكم سواكم
و هل غير يكون لكم مثالا — إلهي كيف يعلمكم سواكم
إلهي لقد طلب المحالا — و من طلب الطريق بلا دليل
و ما ترجو التألف و الوصالا — إلهي كيف تهواكم قلوب
و هل شيء سواكم لا و لا لا — إلهي كيف يعرفكم سواكم
و لست النيرات و لا الضلالا — إلهي كيف تبصركم عيون
و كيف أرى المحال أو الضلالا — إلهي لا أرى نفسي سواكم
ليطلب من أنايتك النوالا — إلهي أنت أنت و إن إني
تولد من غناك فكان حالا — لفقر قام عندي من وجودي
و لم يرني سواه فكنت آلا — و أطلعني ليظهرني إليه
يرى عين الحياة به زلالا — و من قصد السراب يريد ماء
و من أنا مثله قبل المثالا — أنا الكون الذي لا شيء مثلي
عساك ترى مماثله استحالا — و ذا من أعجب الأشياء فانظر
تنزه أن يقاوم أو ينالا — فما في الكون غير وجود فرد

اعلم أيدك الله أن كل ما في العالم منتقل من حال إلى حال فعالم الزمان في كل زمان منتقل و عالم الأنفاس في كل نفس و عالم التجلي في كل تجل و العلة في ذلك قوله تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و أيده بقوله تعالى سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ و كل إنسان يجد من نفسه تنوع الخواطر في قلبه في حركاته و سكناته فما من تقلب يكون في العالم الأعلى و الأسفل إلا و هو عن توجه إلهي بتجل خاص لتلك العين فيكون استناده من ذلك التجلي بحسب ما تعطيه حقيقته و اعلم أن المعارف الكونية منها علوم مأخوذة من الأكوان و معلوماتها أكوان و علوم تؤخذ من الأكوان و معلوماتها نسب و النسب ليست بأكوان و علوم تؤخذ من الأكوان و معلومها ذات الحق و علوم تؤخذ من الحق و معلومها الأكوان و علوم تؤخذ من النسب و معلومها الأكوان و هذه كلها تسمى العلوم الكونية و هي تنتقل بانتقال معلوماتها في أحوالها و صورة انتقالها أيضا إن الإنسان يطلب ابتداء معرفة كون من الأكوان أو يتخذ دليلا على مطلوبه كونا من الأكوان فإذا حصل له ذلك المطلوب لاح له وجه الحق فيه و لم يكن ذلك الوجه

مطلوبا له فتعلق به هذا الطالب و ترك قصده الأول و انتقل العلم يطلب ما يعطيه ذلك الوجه فمنهم من يعرف ذلك و منهم من هو حاله هذا و لا يعرف ما انتقل عنه و لا ما انتقل إليه حتى إن بعض أهل الطريق زل فقال إذا رأيتم الرجل يقيم على حال واحدة أربعين يوما فاعلموا أنه مراء يا عجبا و هل تعطي الحقائق أن يبقى أحد نفسين أو زمانين على حال واحدة فتكون الألوهية معطلة الفعل في حقه هذا ما لا يتصور إلا أن هذا العارف لم يعرف ما يراد بالانتقال بكون الانتقال كان في الأمثال فكان ينتقل مع الأنفاس من الشيء إلى مثله فالتبست عليه الصورة بكونه ما تغير عليه من الشخص حاله الأول في تخيله كما يقال فلان ما زال اليوم ماشيا و ما قعد و لا شك أن المشي حركات كثيرة متعددة و كل حركة ما هي عين الأخرى بل هي مثلها و علمك ينتقل بانتقالها فيقول ما تغير عليه الحال و كم تغيرت عليه من الأحوال

«فصل» و أما انتقالات العلوم الإلهية فهو الاسترسال الذي ذهب إليه أبو المعالي إمام الحرمين و التعلقات التي ذهب إليها محمد بن عمر بن الخطيب الرازي و أما أهل القدم الراسخة من أهل طريقنا فلا يقولون هنا بالانتقالات فإن الأشياء عند الحق مشهودة معلومة الأعيان و الأحوال على صورها التي تكون عليها و منها إذا وجدت أعيانها إلى ما لا يتناهى فلا يحدث تعلق على مذهب ابن الخطيب و لا يكون استرسال على مذهب إمام الحرمين رضي الله عن جميعهم و الدليل العقلي الصحيح يعطي ما ذهبنا إليه و هذا الذي ذكره أهل الله و وافقنا هم عليه يعطيه الكشف من المقام الذي وراء طور العقل فصدق الجميع و كل قوة أعطت بحسبها فإذا أوجد الله الأعيان فإنما أوجدها لها لا له و هي على حالاتها بأماكنها و أزمنتها على اختلاف أمكنتها و أزمنتها فيكشف لها عن أعيانها و أحوالها شيئًا بعد شيء إلى ما لا يتناهى على التتالي و التتابع فالأمر بالنسبة إلى الله واحد كما قال تعالى وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ و الكثرة في نفس المعدودات و هذا الأمر قد حصل لنا في وقت فلم يختل علينا فيه و كان الأمر في الكثرة واحدا عندنا ما غاب و لا زال و هكذا شهده كل من ذاق هذا فهم في المثال كشخص واحد له أحوال مختلفة و قد صورت له صورة في كل حال يكون عليها هكذا كل شخص و جعل بينك و بين هذه الصور حجاب فكشف لك عنها و أنت من جملة من له فيها صورة فأدركت جميع ما فيها عند رفع الحجاب بالنظرة الواحدة فالحق سبحانه ما عدل بها عن صورها في ذلك الطبق بل كشف لها عنها و ألبسها حالة الوجود لها فعاينت نفسها على ما تكون عليه أبدا و ليس في حق نظرة الحق زمان ماض و لا مستقبل بل الأمور كلها معلومة له في مراتبها بتعداد صورها فيها و مراتبها لا توصف بالتناهي و لا تنحصر و لا حد لها تقف عنده فهكذا هو إدراك الحق تعالى للعالم و لجميع الممكنات في حال عدمها و وجودها فعليها تنوعت الأحوال في خيالها لا في علمها فاستفادت من كشفها لذلك علما لم يكن عندها لا حالة لم تكن عليها فتحقق هذا فإنها مسألة خفية غامضة تتعلق بسر القدر القليل من أصحابنا من يعثر عليها و أما تعلق علمنا بالله تعالى فعلى قسمين معرفة بالذات الإلهية و هي موقوفة على الشهود و الرؤية لكنها رؤية من غير إحاطة و معرفة بكونه إلها و هي موقوفة على أمرين أو أحدهما و هو الوهب و الأمر الآخر النظر و الاستدلال و هذه هي المعرفة المكتسبة و أما العلم بكونه مختارا فإن الاختيار يعارضه أحدية المشيئة فنسبته إلى الحق إذا وصف به إنما ذلك من حيث ما هو الممكن عليه لا من

حيث ما هو الحق عليه قال تعالى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي و قال تعالى أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ و قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و ما أحسن ما تمم به هذه الآية وَ ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ و هنا نبه على سر القدر و به كانت الحجة البالغة لله على خلقه و هذا هو الذي يليق بجناب الحق و الذي يرجع إلى الكون وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها فما شئنا و لكن استدراك للتوصيل فإن الممكن قابل للهداية و الضلالة من حيث حقيقته فهو موضع الانقسام و عليه يرد التقسيم و في نفس الأمر ليس لله فيه إلا أمر واحد و هو معلوم عند الله من جهة حال الممكن «مسألة» ظاهر معقول الاختراع عدم المثال في الشاهد كيف يصح الاختراع في أمر لم يزل مشهودا له تعالى معلوما كما قررناه في علم الله بالأشياء في كتاب المعرفة بالله «مسألة» الأسماء الإلهية نسب و إضافات ترجع إلى عين واحدة إذ لا يصح هناك كثرة بوجود أعيان فيه كما زعم من لا علم له بالله من بعض النظار و لو كانت الصفات أعيانا زائدة و ما هو إله إلا بها لكانت الألوهية معلولة بها فلا يخلو أن تكون هي عين الإله فالشيء لا يكون علة لنفسه أو لا تكون فالله لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فإن العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الإله من كونه معلولا لهذه الأعيان الزائدة التي هي علة له و هو محال ثم إن الشيء المعلول لا يكون له علتان و هذه كثيرة و لا يكون إلها إلا بها فبطل أن تكون الأسماء و الصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا «مسألة» الصورة في المرآة جسد برزخي كالصورة التي يراها النائم إذا وافقت الصورة الخارجة و كذلك الميت و المكاشف و صورة المرآة أصدق ما يعطيه البرزخ إذا كانت المرآة على شكل خاص و مقدار جرم خاص فإن لم تكن كذلك لم تصدق في كل ما تعطيه بل تصدق في البعض و اعلم أن أشكال المرائي تختلف فتختلف الصور فلو كان النظر بالانعكاس إلى المرئيات كما يراه بعضهم لأدركها الرائي على ما هي عليه من كبر جرمها و صغره و نحن نبصر في الجسم الصقيل الصغير الصورة المرئية الكبيرة في نفسها صغيرة و كذلك الجسم الكبير الصقيل يكبر الصورة في عين الرائي و يخرجها عن حدها و كذلك العريض و الطويل و المتموج فاذن ليست الانعكاسات تعطي ذلك فلم يتمكن أن نقول إلا أن الجسم الصقيل أحد الأمور التي تعطي صور البرزخ و لهذا لا تتعلق الرؤية فيها إلا بالمحسوسات فإن الخيال لا يمسك إلا ما له صورة محسوسة أو مركب من أجزاء محسوسة تركبها القوة المصورة فتعطي صورة لم يكن لها في الحس وجود أصلا لكن أجزاء ما تركبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شك «مسألة» أكمل نشأة ظهرت في الموجودات الإنسان عند الجميع لأن الإنسان الكامل وجد على الصورة لا الإنسان الحيوان و الصورة لها الكمال و لكن لا يلزم من هذا أن يكون هو الأفضل عند الله فهو أكمل بالمجموع فإن قالوا يقول الله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ و معلوم أنه لا يريد أكبر في الجرم و لكن يريد في المعنى قلنا له صدقت و لكن من قال إنها أكبر منه في الروحانية بل معنى السموات و الأرض من حيث ما يدل عليه كل واحدة منهما من طريق المعنى المنفرد من النظم الخاص لأجرامهما أكبر في المعنى من جسم الإنسان لا من كل الإنسان و لهذا يصدر عن حركات السموات و الأرض أعيان المولدات و التكوينات و الإنسان من حيث جرمه من المولدات و لا يصدر من الإنسان هذا و طبيعة العناصر من ذلك فلهذا كانا أكبر من خلق الإنسان إذ هما له كالأبوين و هو من الأمر الذي يتنزل بين السماء و الأرض و نحن إنما

ننظر في الإنسان الكامل فنقول إنه أكمل و أما أفضل عند الله فذلك لله تعالى وحده فإن المخلوق لا يعلم ما في نفس الخالق إلا بإعلامه إياه «مسألة» ليس للحق صفة نفسية ثبوتية إلا واحدة لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعدا إذ لو كان لكانت ذاته مركبة منهما أو منهن و التركيب في حقه محال فإثبات صفة زائدة ثبوتية على واحدة محال «مسألة» لما كانت الصفات نسبا و إضافات و النسب أمور عدمية و ما ثم إلا ذات واحدة من جميع الوجوه لذلك جاز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر و لا يسرمد عليهم عدم الرحمة إلى ما لا نهاية له إذ لا مكره له على ذلك و الأسماء و الصفات ليست أعيانا توجب حكما عليه في الأشياء فلا مانع من شمول الرحمة للجميع و لا سيما و قد ورد سبقها للغضب فإذا انتهى الغضب إليها كان الحكم لها فكان الأمر على ما قلناه لذلك قال تعالى و لو شاء ربك (أَنْ لَوْ يَشاءُ اللّٰهُ) لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً فكان حكم هذه المشيئة في الدنيا بالتكليف و أما في الآخرة فالحكم لقوله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ فمن يقدر أن يدل على أنه لم يرد إلا تسرمد العذاب على أهل النار و لا بد أو على واحد في العالم كله حتى يكون حكم الاسم المعذب و المبلى و المنتقم و أمثاله صحيحا و الاسم المبلى و أمثاله نسبة و إضافة لا عين موجودة و كيف تكون الذات الموجودة تحت حكم ما ليس بموجود فكل ما ذكر من قوله لو شاء و لئن شئنا لأجل هذا الأصل فله الإطلاق و ما ثم نص يرجع إليه لا يتطرق إليه احتمال في تسرمد العذاب كما لنا في تسرمد النعيم فلم يبق إلا الجواز و أنه رحمن الدنيا و الآخرة فإذا فهمت ما أشرنا إليه قل تشعيبك بل زال بالكلية «مسألة» إطلاق الجواز على الله تعالى سوء أدب مع الله و يحصل المقصود بإطلاق الجواز على الممكن و هو الأليق إذ لم يرد به شرع و لا دل عليه عقل فافهم و هذا القدر كاف فإن العلم إلهي أوسع من أن يستقصي وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن عشر»

في معرفة علم المتهجدين و ما يتعلق به من المسائل و مقداره في مراتب العلوم و ما يظهر منه من العلوم في الوجود

في منزل العين إحساس و لا نظر   علم التهجد علم الغيب ليس له
في عينه سورا تعلو به صور   إن التنزل يعطيه و إن له
بدت له بين أعلام العلى سور   فإن دعاه إلى المعراج خالقه
إذا تحكم في أجفانه السهر   فكل منزلة تعطيه منزلة
أو يدرك الفجر في آفاقه البصر   ما لم ينم هذه في الليل حالته
ما لم يجد بالنسيم اللين السحر   نوافج الزهر لا تعطيك رائحة
لها مع السوقة الأسرار و السمر   إن الملوك و إن جلت مناصبها

اعلم أيدك الله أن المتهجدين ليس لهم اسم خاص إلهي يعطيهم التهجد و يقيمهم فيه كما لمن يقوم الليل كله فإن قائم الليل كله له اسم إلهي يدعوه

إليه و يحركه فإن التهجد عبارة عمن يقوم و ينام و يقوم و ينام و يقوم فمن لم يقطع الليل في مناجاة ربه هكذا فليس بمتهجد قال تعالى وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ و قال إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ و له علم خاص من جانب الحق غير أن هذه الحالة لما لم نجد في الأسماء الإلهية من تستند إليه و لم نر أقرب نسبة إليها من الاسم الحق فاستندت إلى الاسم الحق و قبلها هذا الاسم فكل علم يأتي به المتهجد إنما هو من الاسم الحق فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال لمن يصوم الدهر و يقوم الليل إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا فصم و أفطر و قم و نم فجمع له بين القيام و النوم لأداء حق النفس من أجل العين و لا داء حق النفس من جانب الله و لا تؤدي الحقوق إلا بالاسم الحق و منه لا من غيره فلهذا استند المتهجدون لهذا الاسم ثم إنه للمتهجد أمر آخر لا يعلمه كل أحد و ذلك أنه لا يجني ثمرة مناجاة التهجد و يحصل علومه إلا من كانت صلاة الليل له نافلة و أما من كانت فريضته من الصلاة ناقصة فإنها تكمل من نوافله فإن استغرقت الفرائض نوافل العبد المتهجد لم يبق له نافلة و ليس بمتهجد و لا صاحب نافلة فهذا لا يحصل له حال النوافل و لا علومها و لا تجلياتها فاعلم ذلك فنوم المتهجد لحق عينه و قيامه لحق ربه فيكون ما يعطيه الحق من العلم و التجلي في نومه ثمرة قيامه و ما يعطيه من النشاط و القوة و تجليهما و علومهما في قيامه ثمرة نومه و هكذا جميع أعمال العبد مما افترض عليه فتتداخل علوم المتهجدين كتداخل ضفيرة الشعر و هي من العلوم المعشوقة للنفوس حيث تلتف هذا الالتفاف فيظهر لهذا الالتفاف أسرار العالم الأعلى و الأسفل و الأسماء الدالة على الأفعال و التنزيه و هو قوله تعالى وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ أي اجتمع أمر الدنيا بأمر الآخرة و ما ثم إلا دنيا و آخرة و هو المقام المحمود الذي ينتجه التهجد قال تعالى وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً و عسى من الله واجبة و المقام المحمود هو الذي له عواقب الثناء أي إليه يرجع كل ثناء و أما قدر علم التهجد فهو عزيز المقدار و ذلك أنه لما لم يكن له اسم إلهي يستند إليه كسائر الآثار عرف من حيث الجملة إن ثم أمرا غاب عنه أصحاب الآثار و الآثار فطلب ما هو فأداه النظر إلى أن يستكشف عن الأسماء الإلهية هل لها أعيان أو هل هي نسب حتى يرى رجوع الآثار هل ترجع إلى أمر وجودي أو عدمي فلما نظر رأى أنه ليس الأسماء أعيانا موجودة و إنما هي نسب فرأى مستند الآثار إلى أمر عدمي فقال المتهجد قصارى الأمر أن يكون رجوعي إلى أمر عدمي فأمعن النظر في ذلك و رأى نفسه مولدا من قيام و نوم و رأى النوم رجوع النفس إلى ذاتها و ما تطلبه و رأى القيام حق الله عليه فلما كانت ذاته مركبة من هذين الأمرين نظر إلى الحق من حيث ذات الحق فلاح له إن الحق إذا انفرد بذاته لذاته لم يكن العالم و إذا توجه إلى العالم ظهر عين العالم لذلك التوجه فرأى إن العالم كله موجود عن ذلك التوجه المختلف النسب و رأى المتهجد ذاته مركبة من نظر الحق لنفسه دون العالم و هو حالة النوم للنائم و من نظره إلى العالم و هو حالة القيام لأداء حق الحق عليه فعلم إن سبب وجود عينه أشرف الأسباب حيث استند من وجه إلى الذات معراة عن نسب الأسماء التي تطلب العالم إليه فتحقق إن وجوده أعظم الوجود و أن علمه أسنى العلوم و حصل له مطلوبه و هو كان غرضه و كان سبب ذلك انكساره و فقره فقال في قضاء وطره من ذلك متمثلا

رب ليل بتة ما أتى فجره حتى انقضى وطري

من مقام كنت أعشقه بحديث طيب الخبر

و قال في الأسماء

لم أجد للاسم مدلولا غير من قد كان مفعولا

ثم أعطتنا حقيقته كونه للعقل معقولا

فتلفظنا به أدبا و اعتقدنا الأمر مجهولا

و كان قدر علمه في العلوم قدر معلومه و هو الذات في المعلومات فيتعلق بعلم التهجد علم جميع الأسماء كلها و أحقها به الاسم القيوم الذي لا تأخذه سنة و لا نوم و هو العبد في حال مناجاته فيعلم الأسماء على التفصيل أي كل اسم جاء علم ما يحوي عليه من الأسرار الوجودية و غير الوجودية على حسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم و مما يتعلق بهذه الحالة من العلوم علم البرزخ و علم التجلي الإلهي في الصور و علم سوق الجنة و علم تعبير الرؤيا لا نفس الرؤيا من جهة من يراها و إنما هي من جانب من ترى له فقد يكون الرائي هو الذي رآها لنفسه و قد يراها له غيره و العابر لها هو الذي له جزء من أجزاء النبوة حيث علم ما أريد بتلك الصورة و من هو صاحب ذلك المقام و اعلم أن المقام المحمود الذي للمتهجد يكون لصاحبه دعاء معين و هو قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم يأمره به وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ يعني لهذا المقام فإنه موقف خاص بمحمد يحمد الله فيه بمحامد لا يعرفها إلا إذا دخل ذلك المقام وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ أي إذا انتقل عنه إلى غيره من المقامات و المواقف أن تكون العناية به معه في خروجه منه كما كانت معه في دخوله إليه وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً من أجل المنازعين فيه فإن المقام الشريف لا يزال صاحبه محسودا و لما كانت النفوس لا تصل إليه رجعت تطلب وجها من وجوه القدح فيه تعظيما لحالهم التي هم عليها حتى لا ينسب النقص إليهم عن هذا المقام الشريف فطلب صاحب هذا المقام النصرة بالحجة التي هي السلطان على الجاحدين شرف هذه المرتبة وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع عشر»

في سبب نقص العلوم و زيادتها و قوله تعالى وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و قوله صلى الله عليه و سلم إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء و لكن يقبضه بقبض العلماء

تجلى وجود الحق في فلك النفس دليل على ما في العلوم من النقص

و إن غاب عن ذاك التجلي بنفسه فهل مدرك إياه بالبحث و الفحص

و إن ظهرت للعلم في النفس كثرة فقد ثبت الستر المحقق بالنص

على عالم الأرواح شيء سوى القرص | و لم يبد من شمس الوجود و نورها
و لو هلك الإنسان من شدة الحرص | و ليست تنال العين في غير مظهر
و ما هو بالزور المموه و الخرص | و لا ريب في قولي الذي قد بثثته

اعلم أيدك الله أن كل حيوان و كل موصوف بإدراك فإنه في كل نفس في علم جديد من حيث ذلك الإدراك لكن الشخص المدرك قد لا يكون ممن يجعل باله أن ذلك علم فهذا هو في نفس الأمر علم فاتصاف العلوم بالنقص في حق العالم هو أن الإدراك قد حيل بينه و بين أشياء كثيرة مما كان يدركها لو لم يقم به هذا المانع كمن طرأ عليه العمي أو الصمم أو غير ذلك و لما كانت العلوم تعلو و تتضع بحسب المعلوم لذلك تعلقت الهمم بالعلوم الشريفة العالية التي إذا اتصف بها الإنسان زكت نفسه و عظمت مرتبته فأعلاها مرتبة العلم بالله و أعلى الطرق إلى العلم بالله علم التجليات و دونها علم النظر و ليس دون النظر علم إلهي و إنما هي عقائد في عموم الخلق لا علوم و هذه العلوم هي التي أمر الله نبيه ع بطلب الزيادة منها قال تعالى وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً أي زدني من كلامك ما نزيد به علما بك فإنه قد زاد هنا من العلم العلم بشرف التأني عند الوحي أدبا مع المعلم الذي أتاه به من قبل ربه و لهذا أردف هذه الآية بقوله وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ أي ذلت فأراد علوم التجلي و التجلي أشرف الطرق إلى تحصيل العلوم و هي علوم الأذواق و اعلم أن للزيادة و النقص بابا آخر نذكره أيضا إن شاء الله و ذلك أن الله جعل لكل شيء و نفس الإنسان من جملته الأشياء ظاهرا و باطنا فهي تدرك بالظاهر أمورا تسمى عينا و تدرك بالباطن أمورا تسمى علما و الحق سبحانه هو الظاهر و الباطن فبه وقع الإدراك فإنه ليس في قدرة كل ما سوى الله أن يدرك شيئا بنفسه و إنما أدركه بما جعل الله فيه و تجلى الحق لكل من تجلى له من أي عالم كان من عالم الغيب أو الشهادة إنما هو من الاسم الظاهر و أما الاسم الباطن فمن حقيقة هذه النسبة أنه لا يقع فيها تجل أبدا لا في الدنيا و لا في الآخرة إذ كان التجلي عبارة عن ظهوره لمن تجلى له في ذلك المجلى و هو الاسم الظاهر فإن معقولية النسب لا تتبدل و إن لم يكن لها وجود عيني لكن لها الوجود العقلي فهي معقولة فإذا تجلى الحق إما منة أو إجابة لسؤال فيه فتجلى لظاهر النفس وقع الإدراك بالحس في الصورة في برزخ التمثل فوقعت الزيادة عند المتجلي له في علوم الأحكام إن كان من علماء الشريعة و في علوم موازين المعاني إن كان منطقيا و في علوم ميزان الكلام إن كان نحويا و كذلك صاحب كل علم من علوم الأكوان و غير الأكوان تقع له الزيادة في نفسه من علمه الذي هو بصدده فأهل هذه الطريقة يعلمون أن هذه الزيادة إنما كانت من ذلك التجلي الإلهي لهؤلاء الأصناف فإنهم لا يقدرون على إنكار ما كشف لهم و غير العارفين يحسون بالزيادة و ينسبون ذلك إلى أفكارهم و غير هذين يجدون من الزيادة و لا يعلمون أنهم استزادوا شيئا فهم في المثل كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ الله و هي هذه الزيادة و أصلها و العجب من الذين نسبوا ذلك إلى أفكارهم و ما علم إن فكره و نظره و بحثه في مسألة من المسائل هو من زيادة العلوم في نفسه من ذلك التجلي الذي ذكرناه فالناظر مشغول بمتعلق نظره و بغاية مطلبه فيحجب عن علم الحال فهو في مزيد علم و هو لا يشعر و إذا وقع

التجلي أيضا بالاسم الظاهر لباطن النفس وقع الإدراك بالبصيرة في عالم الحقائق و المعاني المجردة عن المواد و هي المعبر عنها بالنصوص إذ النص ما لا إشكال فيه و لا احتمال بوجه من الوجوه و ليس ذلك إلا في المعاني فيكون صاحب المعاني مستريحا من تعب الفكر فتقع الزيادة له عند التجلي في العلوم الإلهية و علوم الأسرار و علوم الباطن و ما يتعلق بالآخرة و هذا مخصوص بأهل طريقنا فهذا سبب الزيادة و أما سبب نقصها فامران إما سوء في المزاج في أصل النشء أو فساد عارض في القوة الموصلة إلى ذلك و هذا لا ينجبر كما قال الخضر في الغلام إنه طبع كافرا فهذا في أصل النشء و أما الأمر العارض فقد يزول إن كان في القوة بالطب و إن كان في النفس فشغله حب الرئاسة و اتباع الشهوات عن اقتناء العلوم التي فيها شرفه و سعادته فهذا أيضا قد يزول بداعي الحق من قلبه فيرجع إلى الفكر الصحيح فيعلم إن الدنيا منزل من منازل المسافر و أنها جسر يعبر و أن الإنسان إذا لم تتحل نفسه هنا بالعلوم و مكارم الأخلاق و صفات الملإ الأعلى من الطهارة و التنزه عن الشهوات الطبيعية الصارفة عن النظر الصحيح و اقتناء العلوم الإلهية فيأخذ في الشروع في ذلك فهذا أيضا سبب نقص العلوم و لا أعني بالعلوم التي يكون النقص منها عيبا في الإنسان إلا العلوم الإلهية و إلا فالحقيقة تعطي أنه ما ثم نقص قط و أن الإنسان في زيادة علم أبدا دائما من جهة ما تعطيه حواسه و تقلبات أحواله في نفسه و خواطره فهو في مزيد علوم لكن لا منفعة فيها و الظن و الشك و النظر و الجهل و الغفلة و النسيان كل هذا و أمثاله لا يكون معها العلم بما أنت فيه بحكم الظن أو الشك أو النظر أو الجهل أو الغفلة أو النسيان و أما نقص علوم التجلي و زيادتها فالإنسان على إحدى حالتين خروج الأنبياء بالتبليغ أو الأولياء بحكم الوراثة النبوية كما قيل لأبي يزيد حين خلع عليه خلع النيابة و قال له اخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رآني فلم يسعه إلا امتثال أمر ربه فخطا خطوة إلى نفسه من ربه فغشي عليه فإذا النداء ردوا على حبيبي فلا صبر له عني فإنه كان مستهلكا في الحق كأبي عقال المغربي فرد إلى مقام الاستهلاك فيه الأرواح الموكلة به المؤيدة له لما أمر بالخروج فرد إلى الحق و خلعت عليه خلع الذلة و الافتقار و الانكسار فطاب عيشه و رأى ربه فزاد أنسه و استراح من حمل الأمانة المعارة التي لا بد له أن تؤخذ منه و الإنسان من وقت رقية في سلم المعراج يكون له تجل إلهي بحسب سلم معراجه فإنه لكل شخص من أهل الله سلم يخصه لا يرقى فيه غيره و لو رقى أحد في سلم أحد لكانت النبوة مكتسبة فإن كل سلم يعطي لذاته مرتبة خاصة لكل من رقى فيه و كانت العلماء ترقي في سلم الأنبياء فتنال النبوة برقيها فيه و الأمر ليس كذلك و كان يزول الاتساع الإلهي بتكرار الأمر و قد ثبت عندنا أنه لا تكرار في ذلك الجناب غير إن عدد درج المعالي كلها الأنبياء و الأولياء و المؤمنون و الرسل على السواء لا يزيد سلم على سلم درجة واحدة فالدرجة الأولى الإسلام و هو الانقياد و آخر الدرج الفناء في العروج و البقاء في الخروج و بينهما ما بقي و هو الايمان و الإحسان و العلم و التقديس و التنزيه و الغني و الفقر و الذلة و العزة و التلوين و التمكين في التلوين و الفناء إن كنت خارجا و البقاء إن كنت داخلا إليه و في كل درج في خروجك عنه ينقص من باطنك بقدر ما يزيد في ظاهرك من علوم التجلي إلى أن تنتهي إلى آخر درج فإن كنت خارجا و وصلت إلى آخر درج ظهر بذاته في ظاهرك على قدرك و كنت له مظهرا في خلقه و لم يبق في باطنك منه شيء أصلا و زالت عنك تجليات الباطن جملة واحدة فإذا دعاك إلى

الدخول إليه فهي أول درج يتجلى لك في باطنك بقدر ما ينقص من ذلك التجلي في ظاهرك إلى أن تنتهي إلى آخر درج فيظهر على باطنك بذاته و لا يبقى في ظاهرك تجل أصلا و سبب ذلك أن لا يزال العبد و الرب معا في كمال وجود كل واحد لنفسه فلا يزال العبد عبدا و الرب ربا مع هذه الزيادة و النقص فهذا هو سبب زيادة علوم التجليات و نقصها في الظاهر و الباطن و سبب ذلك التركيب و لهذا كان جميع ما خلقه الله و أوجده في عينه مركبا له ظاهر و له باطن و الذي نسمعه من البسائط إنما هي أمور معقولة لا وجود لها في أعيانها فكل موجود سوى الله تعالى مركب هذا أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرية فيه و هو الموجب لاستصحاب الافتقار له فإنه وصف ذاتي له فإن فهمت فقد أوضحنا لك المنهاج و نصبنا لك المعراج فاسلك و أعرج تبصر و تشاهد ما بيناه لك و لما عينا لك درج المعارج ما أبقينا لك في النصيحة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه لو وصفنا لك الثمرات و النتائج و لم نعين لك الطريق إليها لشوقناك إلى أمر عظيم لا تعرف الطريق الموصل إليه فو الذي نفسي بيده أنه لهو المعراج وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب العشرون في العلم العيسوى و من أين جاء و إلى أين ينتهي و كيفيته و هل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما»

جهل الخلق قدره ... علم عيسى هو الذي
كانت الأرض قبره ... كان يحيى به الذي
غاب فيه و أمره ... قاوم النفخ إذن من
كان في الغيب صهره ... شأن لاهوته الذي
أظهر الله سره ... هو روح ممثل
قد محا الله بدره ... جاء من غيب حضرة
كان روحا فغره ... صار خلقا من بعد ما
فحباه و سره ... و انتهى فيه أمره
عظم الله أجره ... من يكن مثله فقد

اعلم أيدك الله أن العلم العيسوى هو علم الحروف و لهذا أعطى النفخ و هو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة فإذا انقطع الهواء في طريق خروجه إلى فم الجسد سمي مواضع انقطاعه حروفا فظهرت أعيان الحروف فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني و هو أول ما ظهر من الحضرة الإلهية للعالم و لم يكن للاعيان في حال عدمها شيء من النسب إلا السمع فكانت الأعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الأمر الإلهي إذا ورد عليها بالوجود فلما أراد بها الوجود قال لها كن فتكونت و ظهرت في أعيانها فكان الكلام الإلهي أول شيء أدركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه فأول كلمة تركبت كلمة كن و هي مركبة من ثلاثة أحرف كاف و واو و نون و كل حرف من

ثلاثة فظهرت التسعة التي جذ رها الثلاثة و هي أول الأفراد و انتهت بسائط العدد بوجود التسعة من كن فظهر بكن عين المعدود و العدد و من هنا كان أصل تركيب المقدمات من ثلاثة و إن كانت في الظاهر أربعة فإن الواجد يتكرر في المقدمتين فهي ثلاثة و عن الفرد وجد الكون لا عن الواحد و قد عرفنا الحق أن سبب الحياة في صور المولدات إنما هو النفخ الإلهي في قوله فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي و هو النفس الذي أحيا الله به الايمان فأظهره قال صلى الله عليه و سلم إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فحييت بذلك النفس الرحماني صورة الايمان في قلوب المؤمنين و صورة الأحكام المشروعة فأعطى عيسى علم هذا النفخ الإلهي و نسبته فكان ينفخ في الصورة الكائنة في القبر أو في صورة الطائر الذي أنشأه من الطين فيقوم حيا بالإذن الإلهي الساري في تلك النفخة و في ذلك الهواء و لو لا سريان الأذن الإلهي فيه لما حصلت حياة في صورة أصلا فمن نفس الرحمن جاء العلم العيسوى إلى عيسى فكان يحيي الموتى بنفخه ع و كان انتهاؤه إلى الصور المنفوخ فيها و ذلك هو الحظ الذي لكل موجود من الله و به يصل إليه إذا صارت إليه الأمور كلها و إذا تحلل الإنسان في معراجه إلى ربه و أخذ كل كون منه في طريقه ما يناسبه لم يبق منه إلا هذا السر الذي عنده من الله فلا يراه إلا به و لا يسمع كلامه إلا به فإنه يتعالى و يتقدس أن يدرك إلا به و إذا رجع الشخص من هذا المشهد و تركبت صورته التي كانت تحللت في عروجه و رد العالم إليه جميع ما كان أخذه منه مما يناسبه فإن كل عالم لا يتعدى جنسه فاجتمع الكل على هذا السر الإلهي و اشتمل عليه و به سبحت الصورة بحمده و حمدت ربها إذ لا يحمده سواه و لو حمدته الصورة من حيث هي لا من حيث هذا السر لم يظهر الفضل الإلهي و لا الامتنان على هذه الصورة و قد ثبت الامتنان له على جميع الخلائق فثبت إن الذي كان من المخلوق لله من التعظيم و الثناء إنما كان من ذلك السر الإلهي ففي كل شيء من روحه و ليس شيء فيه فالحق هو الذي حمد نفسه و سبح نفسه و ما كان من خير إلهي لهذه الصورة عند ذلك التحميد و التسبيح فمن باب المنة لا من باب الاستحقاق الكوني فإن جعل الحق له استحقاقا فمن حيث إنه أوجب ذلك على نفسه فالكلمات عن الحروف و الحروف عن الهواء و الهواء عن النفس الرحماني و بالأسماء تظهر الآثار في الأكوان و إليها ينتهي العلم العيسوى ثم إن الإنسان بهذه الكلمات يجعل الحضرة الرحمانية تعطيه من نفسها ما تقوم به حياة ما يسأل فيه بتلك الكلمات فيصير الأمر دوريا دائما و اعلم أن حياة الأرواح حياة ذاتية و لهذا يكون كل ذي روح حي بروحه و لما علم بذلك السامري حين أبصر جبريل و علم أن روحه عين ذاته و أن حياته ذاتية فلا يطأ موضعا إلا حيي ذلك الموضع بمباشرة تلك الصورة الممثلة إياه فأخذ من أثره قبضة و ذلك قوله تعالى فيما أخبر به عنه أنه قال ذلك فَقَبَضْتُ قَبْضَةً من أَثَرِ الرَّسُولِ فلما صاغ العجل و صورة نبذ فيه تلك القبضة فخار العجل و لما كان عيسى ع روحا كما سماه الله و كما أنشأه روحا في صورة إنسان ثابتة أنشأ جبريل في صورة أعرابي غير ثابتة كان يحيي الموتى بمجرد النفخ ثم إنه أيده بروح القدس فهو روح مؤيد بروح طاهرة من دنس الأكوان و الأصل في هذا كله الحي الأزلي عين الحياة الأبدية و إنما ميز الطرفين أعني الأزل و الأبد وجود العالم و حدوثه الحي و هذا العلم هو المتعلق بطول العالم أعني العالم الروحاني و هو عالم المعاني و الأمر و يتعلق بعرض العالم و هو عالم الخلق و الطبيعة و الأجسام و الكل لله أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ قُلِ الرُّوحُ من أَمْرِ رَبِّي تَبارَكَ

الله رَبُّ الْعالَمِينَ و هذا كان علم الحسين بن منصور رحمه الله فإذا سمعت أحدا من أهل طريقنا يتكلم في الحروف فيقول إن الحرف الفلاني طوله كذا ذراعا أو شبر أو عرضه كذا كالحلاج و غيره فإنه يريد بالطول فعله في عالم الأرواح و بالعرض فعله في عالم الأجسام ذلك المقدار المذكور الذي يميزه به و هذا الاصطلاح من وضع الحلاج فمن علم من المحققين حقيقة كن فقد علم العلم العلوي و من أوجد بهمته شيئا من الكائنات فما هو من هذا العلم و لما كانت التسعة ظهرت في حقيقة هذه الثلاثة الأحرف ظهر عنها من المعدودات التسعة الأفلاك و بحركات مجموع التسعة الأفلاك و تسيير كواكبها وجدت الدنيا و ما فيها كما أنها أيضا تخرب بحركاتها و بحركة الأعلى من هذه التسعة وجدت الجنة بما فيها و عند حركة ذلك الأعلى يتكون جميع ما في الجنة و بحركة الثاني الذي يلي الأعلى وجدت النار بما فيها و القيامة و البعث و الحشر و النشر و بما ذكرناه كانت الدنيا ممتزجة نعيم ممزوج بعذاب و بما ذكرناه أيضا كانت الجنة نعيما كلها و النار عذابا كلها و زال ذلك المزج في أهلها فنشأة الآخرة لا تقبل مزاج نشأة الدنيا و هذا هو الفرقان بين نشأة الدنيا و الآخرة ألا أن نشأة النار أعني أهلها إذا انتهى فيهم الغضب الإلهي و أمده و لحق بالرحمة التي سبقته في المدى يرجع الحكم لها فيهم و صورتها لا تتبدل و لو تبدلت تعذبوا فيحكم عليهم أولا بإذن الله و توليته حركة الفلك الثاني من الأعلى بما يظهر فيهم من العذاب في كل محل قابل للعذاب و إنما قلنا في كل محل قابل للعذاب لأجل من فيها ممن لا يقبل العذاب فإذا انقضت مدتها و هي خمس و أربعون ألف سنة تكون في هذه المدة عذابا على أهلها يتعذبون فيها عذابا متصلا لا يفتر ثلاثة و عشرين ألف سنة ثم يرسل الرحمن عليهم نومة يغيبون فيها عن الإحساس و هو قوله تعالى لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى وقوله ع في أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها و لا يحيون يريد حالهم في هذه الأوقات التي يغيبون فيها عن إحساسهم مثل الذي يغشى عليه من أهل العذاب في الدنيا من شدة الجزع و قوة الآلام المفرطة فيمكثون كذلك تسع عشرة ألف سنة ثم يفيقون من غشيتهم و قد بدل الله جلودهم جلودا غيرها فيعذبون فيها خمسة عشر ألف سنة ثم يغشى عليهم فيمكثون في غشيتهم إحدى عشرة ألف سنة ثم يفيقون و قد بدل الله جلودهم جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ فيجدون العذاب الأليم سبعة آلاف سنة ثم يغشى عليهم ثلاثة آلاف سنة ثم يفيقون فيرزقهم الله لذة و راحة مثل الذي ينام على تعب و يستيقظ و هذا من رحمته التي سبقت غضبه و وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فيكون لها حكم عند ذلك حكم التأبيد من الاسم الواسع الذي به وسع كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فلا يجدون ألما و يدوم لهم ذلك و يستغنمونه و يقولون نسينا فلا نسأل حذرا أن نذكر بنفوسنا و قد قال الله لنا اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ فيسكتون وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ و لا يبقى عليهم من العذاب إلا الخوف من رجوع العذاب عليهم فهذا القدر من العذاب هو الذي يسرمد عليهم و هو الخوف و هو عذاب نفسي لا حسي و قد يذهلون عنه في أوقات فنعيمهم الراحة من العذاب الحسي بما يجعل الله في قلوبهم من أنه ذو رحمة واسعة يقول الله تعالى الْيَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ و من هذه الحقيقة يقولون نسينا إذا لم يحسوا بالآلام و كذلك قوله نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى أي تترك في جهنم إذ كان النسيان الترك و بالهمز التأخر فأهل النار حظهم من النعيم عدم وقوع العذاب و حظهم من العذاب توقعه فإنه لا أمان لهم بطريق الأخبار عن الله و يحجبون عن خوف التوقع في أوقات فوقتا يحجبون عنه عشرة

آلاف سنة و وقتا ألفي سنة و وقتا ستة آلاف سنة و لا يخرجون عن هذا المقدار المذكور متى ما كان لا بد أن يكون هذا القدر لهم من الزمان و إذا أراد الله أن ينعمهم من اسمه الرحمن ينظرون في حالهم التي هم عليها في الوقت و خروجهم مما كانوا فيه من العذاب فينعمون بذلك القدر من النظر فوقتا يدوم لهم هذا النظر ألف سنة و وقتا تسعة آلاف سنة و وقتا خمسة آلاف سنة فيزيد و ينقص فلا تزال حالهم هذه دائما في جهنم إذ هم أهلها و هذا الذي ذكرناه كله من العلم العيسوي الموروث من المقام المحمدي وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الحادي و العشرون في معرفة ثلاثة علوم كونية و توالج بعضها في بعض)

علم النتائج فانسبه إلى النظر ... علم التوالج علم الفكر يصحبه
مثل الدلالة في الأنثى مع الذكر ... هي الأدلة إن حققت صورتها
على حقيقة كن في عالم الصور ... على الذي أوقف الإيجاد أجمعه
في العين قائمة تمشي على قدر ... و الواو لو لا سكون النون أظهرها
و في توجهه في جوهر البشر ... فاعلم بأن وجود الكون في فلك

اعلم أيدك الله أن هذا هو علم التوالد و التناسل و هو من علوم الأكوان و أصله من العلم الإلهي فلنبين لك أولا صورته في الأكوان و بعد ذلك نظهره لك في العلم الإلهي فإن كل علم أصله من العلم الإلهي إذ كان كل ما سوى الله من الله قال الله تعالى وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ فهذا علم التوالج سار في كل شيء و هو علم الالتحام و النكاح و منه حسي و معنوي و الإلهي فاعلم أنك إذا أردت أن تعلم حقيقة هذا فلتنظره أولا في عالم الحس ثم في عالم الطبيعة ثم في المعاني الروحانية ثم في العلم إلهي فأما في الحس فاعلم أنه إذا شاء الله أن يظهر شخصا بين اثنين ذانك الاثنان هما ينتجانه و لا يصح أن يظهر عنهما ثالث ما لم يقم بهما حكم ثالث و هو أن يفضي أحدهما إلى الآخر بالجماع فإذا اجتمعا على وجه مخصوص و شرط مخصوص و هو أن يكون المحل قابلا للولادة لا يفسد البذر إذا قبله و يكون البذر يقبل فتح الصورة فيه هذا هو الشرط الخاص و أما الوجه المخصوص فهو أن يكون التقاء الفرجين و إنزال الماء أو الريح عن شهوة فلا بد من ظهور ثالث و هو المسمى ولدا و الاثنان يسميان والدين و ظهور الثالث يسمى ولادة و اجتماعهما يسمى نكاحا و سفاحا و هذا أمر محسوس واقع في الحيوان و إنما قلنا بوجه مخصوص و شرط مخصوص فإنه ما يكون عن كل ذكر و أنثى يجتمعان بنكاح ولد و لا بد إلا بحصول ما ذكرناه و سنبينه في المعاني بأوضح من هذا إذ المطلوب ذلك و أما في الطبيعة فإن السماء إذا أمطرت الماء و قبلت الأرض الماء وَرَبَتْ و هو حملها وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ و كذلك لقاح النخل و الشجر وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لأجل التوالد و أما في المعاني فهو أن تعلم أن الأشياء على قسمين مفردات و مركبات و أن العلم بالمفرد يتقدم على العلم بالمركب و العلم بالمفرد يقتنص بالحد و العلم بالمركب يقتنص بالبرهان فإذا أردت أن تعلم وجود العالم هل هو عن سبب أو لا فلتعمد إلى مفردين أو ما هو في حكم المفردين مثل المقدمة الشرطية ثم تجعل أحد المفردين موضوعا

مبتدأ و تحمل المفرد الآخر عليه على طريق الإخبار به عنه فتقول كل حادث فهذا المسمى مبتدأ فإنه الذي بدأت به و موضوعا أول فإنه الموضوع الأول الذي وضعته لتحمل عليه ما تخبر به عنه و هو مفرد فإن الاسم المضاف في حكم المفرد و لا بد أن تعلم بالحد معنى الحدوث و معنى كل الذي أضفته إليه و جعلته له كالسور لما يحيط به فإن كل تقتضي الحصر بالوضع في اللسان فإذا علمت الحادث حينئذ حملت عليه مفردا آخر و هو قولك فله سبب فأخبرت به عنه فلا بد أن تعلم أيضا معنى السبب و معقوليته في الوضع و هذا هو العلم بالمفردات المقتنصة بالحد فقام من هذين المفردين صورة مركبة كما قامت صورة الإنسان من حيوانية و نطق فقلت فيه حيوان ناطق فتركيب المفردين بحمل أحدهما على الآخر لا ينتج شيئا و إنما هي دعوى يفتقر مدعيها إلى دليل على صحتها حتى يصدق الخبر عن الموضوع بما أخبر به عنه فيؤخذ منا ذلك مسلما إذا كان في دعوى خاصة على طريق ضرب المثال مخافة التطويل و ليس كتابي هذا بمحل لميزان المعاني و إنما ذلك موقوف على علم المنطق فإنه لا بد أن يكون كل مفرد معلوما و أن يكون ما يخبر به عن المفرد الموضوع معلوما أيضا إما ببرهان حسي أو بديهي أو نظري يرجع إليهما ثم تطلب مقدمة أخرى تعمل فيها ما عملت في الأولى و لا بد أن يكون أحد المفردين مذكورا في المقدمتين فهي أربعة في صورة التركيب و هي ثلاثة في المعنى لما نذكره إن شاء الله و إن لم يكن كذلك فإنه لا ينتج أصلا فتقول في هذه المسألة التي مثلنا بها في المقدمة الأخرى و العالم حادث و تطلب فيه من العلم بحد المفرد فيها ما طلبته في المقدمة الأولى من معرفة العالم ما هو و حمل الحدوث عليه بقولك حادث و قد كان هذا الحادث الذي هو محمول في هذه المقدمة موضوعا في الأولى حين حملت عليه السبب فتكرر الحادث في المقدمتين و هو الرابط بينهما فإذا ارتبطا سمي ذلك الارتباط وجه الدليل و سمي اجتماعهما دليلا و برهانا فينتج بالضرورة أن حدوث العالم له سبب فالعلة الحدوث و الحكم السبب فالحكم أعم من العلة فإنه يشترط في هذا العلم أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساويا لها و إن لم يكن كذلك فإنه لا يصدق هذا في الأمور العقلية و أما مأخذها في الشرعيات فإذا أردت أن تعلم مثلا أن النبيذ حرام بهذه الطريقة فتقول كل مسكر حرام و النبيذ مسكر فهو حرام و تعتبر في ذلك ما اعتبرت في الأمور العقلية كما مثلت لك فالحكم التحريم و العلة الإسكار فالحكم أعم من العلة الموجبة للتحريم فإن التحريم قد يكون له سبب آخر غير السكر في أمر آخر كالتحريم في الغصب و السرقة و الجناية و كل ذلك علل في وجود التحريم في المحرم فلهذا الوجه المخصوص صدق فقد بان لك بالتقريب ميزان المعاني و أن النتائج إنما ظهرت بالتوالج الذي في المقدمتين اللذين هما كالأبوين في الحس و أن المقدمتين مركبة من ثلاثة أو ما هو في حكم الثلاثة فإنه قد يكون للجملة معنى الواحد في الإضافة و الشرط فلم تظهر نتيجة إلا من الفردية إذ لو كان الشفع و لا يصحبه الواحد صحبة خاصة ما صح أن يوجد عن الشفع شيء أبدا فبطل الشريك في وجود العالم و ثبت الفعل للواحد و أنه بوجوده ظهرت الموجودات عن الموجودات فتبين لك أن أفعال العباد و إن ظهرت منهم أنه لو لا الله ما ظهر لهم فعل أصلا فجمع هذا الميزان بين إضافة الأعمال إلى العباد بالصورة و إيجاد تلك الأفعال لله تعالى و هو قوله وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ أي و خلق ما تعملون فنسب العمل إليهم و إيجاده لله تعالى و الخلق قد يكون بمعنى الإيجاد و يكون بمعنى التقدير كما أنه قد يكون بمعنى الفعل مثل

قوله تعالى ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ و يكون بمعنى المخلوق مثل قوله هذا خَلْقُ اللهِ و أما هذا التوالج في العلم الإلهي و التوالد فاعلم إن ذات الحق تعالى لم يظهر عنها شيء أصلا من كونها ذاتا غير منسوب إليها أمر آخر و هو أن ينسب إلى هذه الذات أنها قادرة على الإيجاد عند أهل السنة أهل الحق أو ينسب إليها كونها علة و ليس هذا مذهب أهل الحق و لا يصح و هذا مما لا يحتاج إليه و لكن كان الغرض في سياقه من أجل مخالفي أهل الحق لتقرر عنده أنه ما نسب وجود العالم لهذه الذات من كونها ذاتا و إنما نسبوا العالم لها بالوجود من كونها علة فلهذا أوردنا مقالتهم و مع هذه النسبة و هي كونه قادرا لا بد من أمر ثالث و هو إرادة الإيجاد لهذه العين المقصودة بأن توجد و لا بد من التوجه بالقصد إلى إيجادها بالقدرة عقلا و بالقول شرعا بأن تتكون فما وجد الخلق إلا عن الفردية لا عن الأحدية لأن أحديته لا تقبل الثاني لأنها ليست أحدية عدد فكان ظهور العالم في العلم الإلهي عن ثلاث حقائق معقولة فسرى ذلك في توالد الكون بعضه عن بعض لكون الأصل على هذه الصورة و يكفي هذا القدر من هذا الباب فقد حصل المقصود بهذا التنبيه فإن هذا الفن في مثل طريق أهل الله لا يحتمل أكثر من هذا فإنه ليس من علوم الفكر هذا الكتاب و إنما هو من علوم التلقي و التدلي فلا يحتاج فيه إلى ميزان آخر غير هذا و إن كان له به ارتباط فإنه لا يخلو عنه جملة واحدة و لكن بعد تصحيح المقدمات من العلم بمفرداتها بالحد الذي لا يمنع و المقدمات بالبرهان الذي لا يدفع بقول الله في هذا الباب لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا فهذا مما كنا بصدده في هذا الباب و هذه الآية و أمثالها أحوجتنا إلى ذكر هذا الفن و من باب الكشف لم يشتغل أهل الله بهذا الفن من العلوم لتضييع الوقت و عمر الإنسان عزيز ينبغي أن لا يقطعه الإنسان إلا في مجالسة ربه و الحديث معه على ما شرعه له وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس عشر و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثاني و العشرون في معرفة علم منزل المنازل و ترتيب جميع العلوم الكونية)

إن المنازل في المنازل سارية ... عجبا لأقوال النفوس السامية
إلا بقهر الحضرة المتعالية ... كيف العروج من الحضيض إلى العلى
نحو اللطائف و الأمور السامية ... فصناعة التحليل في معراجها
بسنا الوجود إلى ظلام الهاوية ... و صناعة التركيب عند رجوعها

اعلم أيدك الله أنه لما كان العلم المنسوب إلى الله لا يقبل الكثرة و لا الترتيب فإنه غير مكتسب و لا مستفاد بل علمه عين ذاته كسائر ما ينسب إليه من الصفات و ما سمي به من الأسماء و علوم ما سوى الله لا بد أن تكون مرتبة محصورة سواء كانت علوم وهب أو علوم كسب فإنها لا تخلو من هذا الترتيب الذي نذكره و هو علم المفرد أولا ثم علم التركيب ثم علم المركب و لا رابع لها فإن كان من المفردات التي لا تقبل التركيب علمه مفردا و كذلك ما بقي فإن كل معلوم لا بد أن يكون مفردا أو مركبا و المركب يستدعي بالضرورة تقدم علم التركيب و حينئذ يكون علم

المركب فهذا قد علمت ترتيب جميع العلوم الكونية فلنبين لك حصر المنازل في هذا المنزل و هي كثيرة لا تحصى و لنقتصر منها على ما يتعلق بما يختص به شرعنا و يمتاز به لا بالمنازل التي يقع فيها الاشتراك بيننا و بين غيرنا من سائر علوم الملل و النحل و جملتها تسعة عشر مرتبة أمهات و منها ما يتفرع إلى منازل و منها ما لا يتفرع فلنذكر أسماء هذه المراتب و لنجعل لها اسم المنازل فإنه كذا عرفنا بها في الحضرة الإلهية و الأدب أولى فلنذكر ألقاب هذه المنازل و صفات أربابها و أقطابها المتحققين بها و أحوالهم و ما لكل حال من هذه الأحول من الوصف ثم بعد ذلك نذكر إن شاء الله كل صنف من هذه التسعة عشر و نذكر بعض ما يشتمل عليه من أمهات المنازل لا من المنازل فإنه ثم منزل يشتمل على ما يزيد على المائة من منازل العلامات و الدلالات على أنوار جلية و يشتمل على آلاف و أقل من منازل الغايات الحاوية على الأسرار الخفية و الخواص الجلية ثم نتلو ما ذكرنا بما يضاهي هذا العدد لهذه المنازل من الموجودات قديمها و حديثها ثم نذكر ما يتعلق ببعض معاني هذا المنزل على التقريب و الاختصار إن شاء الله تعالى فمن ذلك منازل الثناء و المدح هو لأرباب الكشوفات و الفتح و منازل الرموز و الألغاز لأهل الحقيقة و المجاز و منازل الدعاء لأهل الإشارات و البعد و منازل الأفعال لأهل الأحوال و الاتصال و منازل الابتداء لأهل الهواجس و الإيماء و منازل التنزيه لأهل التوجيه في المناظرات و الاستنباط و منازل التقريب للغرباء المتألهين و منازل التوقع لأصحاب البراقع من أجل السبحات و منازل البركات لأهل الحركات و منازل الأقسام لأهل التدبير من الروحانيين و منازل الدهر لأهل الذوق و منازل الإنية لأهل المشاهدة بالأبصار و منازل اللام و الألف للالتفاف الحاصل بالتخلق بالأخلاق الإلهية و لأهل السر الذي لا ينكشف و منازل التقرير لأهل العلم بالكيمياء الطبيعية و الروحانية و منازل فناء الأكوان للضنائن المخدرات و منازل الألفة لأهل الأمان من أهل الغرف و منازل لوعيد للمتمسكين بقائمة العرش الأمجد و منازل الاستخبار لأهل غامضات الأسرار و منازل الأمر للمتحققين بحقائق سره فيهم و أما صفاتهم فأهل المدح لهم الزهو و أهل الرموز لهم النجاة من الاعتراض و أما المتألهون فلهم التيه بالتخلق و أما أهل الأحوال و الاتصال فلهم الحصول على العين و أما أهل الإشارة فلهم الحيرة عند التبليغ و أما أهل الاستنباط فلهم الغلط و الإصابة و ليسوا بمعصومين و أما الغرباء فلهم الانكسار و أما أهل البراقع فلهم الخوف و أما أهل الحركة فلهم مشاهدة الأسباب و المدبرون لهم الفكر و الممكنون لهم الحدود و أهل المشاهد لهم الجحد و أهل الكتم لهم السلامة و أهل العلم لهم الحكم على المعلوم و أهل الستر منتظرون رفعه و أهل الأمن في موطن الخوف من المكر و أهل القيام لهم القعود و أهل الإلهام لهم التحكم و أهل التحقيق لهم ثلاثة أثواب ثوب إيمان و كفر و نفاق و أما ذكر أحوالهم فاعلم إن الله تعالى قد هيأ المنازل للنازل و وطأ المعاقل للعاقل و زوي المراحل للراحل و أعلى المعالم للعالم و فصل المقاسم للقاسم و أعد القواصم للقاصم و بين العواصم للعاصم و رفع القواعد للقاعد و رتب المراصد للراصد و سخر المراكب للراكب و قرب المذاهب للذاهب و سطر المحامد للحامد و سهل المقاصد للقاصد و أنشأ المعارف للعارف و ثبت المواقف للواقف و وعر المسالك للسالك و عين المناسك للناسك و أخرس المشاهد للشاهد و أحرس الفراقد للراقد فإنه سبحانه جعل النازل مقدرا و العاقل مفكرا و الراحل مشمرا و العالم مشاهدا و القاسم مكابدا و

القاصم مجاهدا و العاصم مساعدا و القاعد عارفا و الراصد واقفا و الراكب محمولا و الذاهب معلولا و الحامد مسئولا و القاصد مقبولا و العارف مبخوتا و الواقف مبهوتا و السالك مردودا و الناسك مبعودا و الشاهد محكما و الراقد مسلما فهذا قد ذكرنا صفات هؤلاء التسعة عشر صنفا في أحوالهم فلنذكر ما يتضمن كل صنف من أمهات المنازل و كل منزل من هذه الأمهات يتضمن أربعة أصناف من المنازل الصف الأول يسمى منازل الدلالات و الصنف الآخر يسمى منازل الحدود و الصنف الثالث يسمى منازل الخواص و الصنف الرابع يسمى منازل الأسرار و لا تحصى كثرة فلنقتصر على التسعة عشر و لنذكر أعداد ما تنطوي عليه من الأمهات و هذا أولها منزل المدح له منزل الفتح فتح السرين و منزل المفاتيح الأول و لنا فيه جزء سميناه مفاتيح الغيوب و منزل العجائب و منزل تسخير الأرواح البرزخية و منزل الأرواح العلوية و لنا في بعض معانيه من النظم قولنا

منازل ما لها تناهي	منازل المدح و التباهي
مدائح القوم في الثرى هي	لا تطلبن في السمو مدحا
يشرب من أعذب المياه	من ظمئت نفسه جهادا

نقول ليس مدح العبد أن يتصف بأوصاف سيده فإنه سوء أدب و للسيد أن يتصف بأوصاف عبده تواضعا فللسيد النزول لأنه لا يحكم عليه فنزوله إلى أوصاف عبده تفضل منه على عبده حتى يبسطه فإن جلال السيد أعظم في قلب العبد من أن يدل عليه لو لا تنزله إليه و ليس للعبد أن يتصف بأوصاف سيده لا في حضرته و لا عند إخوانه من العبيد و إن ولاة عليهم كما قال ع أنا سيد ولد آدم و لا فخر و قال تعالى تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها أي نملكها ملكا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ فإن الأرض قد جعلها الله ذلولا و العبد هو الذليل و الذلة لا تقتضي العلو فمن جاوز قدره هلك يقال ما هلك امرؤ عرف قدره و قوله ما لها تناهي يقول إنه ليس للعبد في عبوديته نهاية يصل إليها ثم يرجع ربا كما أنه ليس للرب حد ينتهي إليه ثم يعود عبدا فالرب رب إلى غير نهاية و العبد عبد إلى غير نهاية فلذا قال مدائح القوم في الثرى هي و هو أذل من وجه الأرض و قال لا يعرف لذة الماء إلا الظمآن يقول لا يعرف لذة الاتصاف بالعبودية إلا من ذاق الآلام عند اتصافه بالربوبية و احتياج الخلق إليه مثل سليمان حين طلب أن يجعل الله أرزاق العباد على يديه حسا فجميع ما حضره من الأقوات في ذلك الوقت فخرجت دابة من دواب البحر فطلبت قوتها فقال لها خذي من هذا قدر قوتك في كل يوم فأكلته حتى أتت على آخره فقالت زدني فما وفيت برزقي فإن الله يعطيني كل يوم مثل هذا عشر مرات و غيري من الدواب أعظم مني و أكثر رزقا فتاب سليمان ع إلى ربه و علم أنه ليس في وسع المخلوق ما ينبغي للخالق تعالى فإنه طلب من الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فاستقال من سؤاله حين رأى ذلك و اجتمعت الدواب عليه تطلب أرزاقها من جميع الجهات فضاق لذلك ذرعا فلما قبل الله سؤاله و أقاله وجد من اللذة لذلك ما لا يقدر قدره (منزل الرموز) فاعلم وفقك الله أنه و إن كان منزلا فإنه يحتوي على منازل منها منزل الوحدانية و منزل العقل الأولي و العرش الأعظم و الصدا و الإتيان من العلماء إلى العرش و علم

التمثل و منزل القلوب و الحجاب و منزل الاستواء الفهواني و الألوهية السارية و استمداد الكهان و الدهر و المنازل التي لا ثبات لها و لا ثبات لأحد فيها و منزل البرازخ و الإلهية و الزيادة و الغيرة و منزل الفقد و الوجدان و منزل رفع الشكوك و الجود و المخزون و منزل القهر و الخسف و منزل الأرض الواسعة و لما دخلت هذا المنزل و أنا بتونس وقعت مني صيحة ما لي بها علم أنها وقعت مني غير أنه ما بقي أحد ممن سمعها إلا سقط مغشيا عليه و من كان على سطح الدار من نساء الجيران مستشرفا علينا غشي عليه و منهن من سقط من السطوح إلى صحن الدار على علوها و ما أصابه بأس و كنت أول من أفاق و كنا في صلاة خلف إمام فما رأيت أحدا إلا صاعقا فبعد حين أفاقوا فقلت ما شأنكم فقالوا أنت ما شأنك لقد صحت صيحة أثرت ما ترى في الجماعة فقلت و الله ما عندي خبر أني صحت و منزل الآيات الغريبة و الحكم الإلهية و منزل الاستعداد و الزينة و الأمر الذي مسك الله به الأفلاك السماوية و منزل الذكر و السلب و في هذه المنازل قلت

منازل كلها رموز | منازل الكون في الوجود
دلائل كلها تجوز | منازل للعقول فيها
لنيل شيء فذاك جوزوا | لما أتى الطالبون قصدا
هذا الذي ساقكم و جوزوا | فيا عبيد الكيان حوزوا

الرمز و اللغز هو الكلام الذي يعطي ظاهره ما لم يقصده قائله و كذلك منزل العالم في الوجود ما أوجده الله لعينه و إنما أوجده الله لنفسه فاشتغل العالم بغير ما وجد له فخالف قصد موجدة و لهذا يقول جماعة من العلماء العارفين و هم أحسن حالا ممن دونهم إن الله أوجدنا لنا و المحقق و العبد لا يقول ذلك بل يقول إنما أوجدنا له لا لحاجة منه إلي فإنا لغز ربي و رمزه و من عرف أشعار الألغاز عرف ما أردناه و أما قوله لما أتى الطالبون قصد النيل شيء بذاك جوزوا من المجازات يقول من طلب الله لأمر فهو لما طلب و لا ينال منه غير ذلك و قوله فيا عبيد الكيان يقول من عبد الله لشيء فذلك الشيء معبوده و ربه و الله بريء منه و هو لما عبده و قوله حوزوا أي خذوا ما جئتم له أي بسببه و جوزوا أي روحوا عنا فإنكم ما جئتم إلينا و لا بسببنا (منزل الدعاء) هذا المنزل يحتوي على منازل منها منزل الأنس بالشبيه و منزل التغذي و منزل مكة و الطائف و الحجب و منزل المقاصير و الابتلاء و منزل الجمع و التفرقة و المنع و منزل النواشي و التقديس و في هذا المنزل قلت

فأجب نداء الحق طوعا يا فل | لتايه الرحمن فيك منازل
ترجو النوال فلا يخيب السائل | رفعت إليك المرسلات أكفها
و لنا عليه شواهد و دلائل | أنت الذي قال الدليل بفضله
بنزولك الأعلى لديه منازل | لولا اختصاصك بالحقيقة ما زهت

يقول إن نداء الحق عباده إنما هو لسان المرسلات تطلب اسما من أسمائه و ذلك العبد في ذلك الوقت تحت سلطانها و المرسلات لطائف الخلق ترفع أكفها إلى من هي في يديه من الأسماء لتجود به على من يطلبها من الأسماء و المسئول أبدا إنما هو من له المهيمنية على الأسماء كالعليم الذي له التقدم على الخبير و الحسيب و المحصي و المفضل و لهذا قال أنت الذي قال الدليل بفضله و الحقيقة التي اختص بها إحاطته بما تحته في الرتبة من الأسماء الإلهية إذ القادر في الرتبة دون المريد و العالم في الرتبة فوق المريد و الحي فوق الكل فالمنازل التي تحت إحاطة الاسم الجامع تفتخر بنزوله إليها إجابة لسؤالها (منزل الأفعال) و هو يشتمل على منازل منها منزل الفضل و الإلهام و منزل الإسراء الروحاني و منزل التلطف و منزل الهلاك و في هذه المنازل أقول

لمنازل الأفعال برق لامع	و رياحها تزجي السحاب زعازع
و سهامها في العالمين نوافذ	و سيوفها في الكائنات قواطع
ألقت إلى العز المحقق أمرها	فالعين تبصر و التناول شاسع

الناس في أفعال العباد على قسمين طائفة ترى الأفعال من العباد و طائفة ترى الأفعال من الله و كل طائفة يبدو لها مع اعتقادها ذلك شبه البرق اللامع في ذلك يعطيها آن للذي نفى عنه ذلك الفعل نسبة ما و كل طائفة لها سحاب يحول بينها و بين نسبة الفعل لمن نفته عنه و قوله في رياحها إنها شديدة أي الأسباب و الأدلة التي قامت لكل طائفة على نسبة الأفعال لمن نسبتها إليه قوية بالنظر إليه و وصف سهامها بالنفوذ في نفوس الذين يعتقدون ذلك و كذلك سيوفها فيهم قواطع و قوله إنها ألقت إلى العز أي احتمت بحمى مانع يمنع المخالف أن يؤثر فيه فيبقى على هذا كل أحد على ما هي إرادة الله فيه قال تعالى زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ و قوله فالعين تبصر يقول الحس يشهد ان الفعل للعبد و الإنسان يجد ذلك من نفسه بما له فيه من الاختيار و قوله التناول شاسع أي و نسبته إلى غير ما يعطيه الحس و النفس بعيد المتناول إلا أنه لا بد فيه من برق لامع يعطي نسبة في ذلك الفعل لمن نفى عنه لا يقدر على جحدها (منزل الابتداء) و يشتمل على منازل منها منزل الغلظة و السبحات و منزل التنزلات و العلم بالتوحيد الإلهي و منزل الرحموت و منزل الحق و الفزع و في هذا المنزل أقول

للابتداء شواهد و دلائل	و له إذا حط الركاب منازل
يحوي على عين الحوادث حكمه	و بيده الله الكريم الفاعل
ما بينه نسب و بين إلهه	إلا التعلق و الوجود الحاصل
لا تسمعن مقالة من جاهل	مبني الوجود حقائق و أباطل
مبني الوجود حقائق مشهودة	و سوى الوجود هو المحال الباطل

يقول لابتداء الأكوان شواهد فيها إنها لم تكن لأنفسها ثم كانت و له الضمير يعود على الابتداء إذا حط الركاب أي إذا تتبعته من أين جاء

وجدته من عند من أوجده و لذلك كان له البقاء قال تعالى وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ فإذا حططت عنده عرفت منزلته منه الذي كان فيها إذ لم يكن لنفسه و تلك منزل الأولية الإلهية في قوله هو الأول و من هذه الأولية صدر ابتداء الكون و منه تستمد الحوادث كلها و هو الحاكم فيها و هي الجارية على حكمه و نفي النسب عنه فإن أولية الحق تمد أولية العبد و ليس لأولية الكون إمداد لشيء فما ثم نسب إلا العناية و لا سبب إلا الحكم و لا وقت غير الأزل هذا مذهب القوم و ما بقي مما لم يدخل تحت حصر هذه الثلاثة فعمى و تلبيس هكذا صرح به صاحب محاسن المجالس و قول من قال مبني الوجود حقائق و أباطل ليس بصحيح فإن الباطل هو العدم و هو صحيح فإن الوجود المستفاد في حكم العدم و الوجود الحق من كان وجوده لنفسه و كل عدم وجد فما وجد إلا من وجود كان موصوفا به لغيره لا لنفسه و الذي استفاد هو الوجود لعينه و أما المحال الباطل فهو الذي لا وجود له لا لنفسه و لا من غيره (منزل التنزيه) هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الشكر و منزل البأس و منزل النشر و منزل النصر و الجمع و منزل الربح و الخسران و الاستحالات و لنا في هذا

سر مقول حكمه معقول — لمنازل التنزيه و التقديس
فردوس قدس روضة مطلول — علم يعود على المنزه حكمه
ما قاله فمرامه تضليل — فمنزه الحق المبين مجوز

يقول المنزه على الحقيقة من هو نزيه لنفسه و إنما ينزه من يجوز عليه ما ينزه عنه و هو المخلوق فلهذا يعود التنزيه على المنزه قال صلى الله عليه و سلم إنما هي أعمالكم ترد عليكم فمن كان عمله التنزيه عاد عليه تنزيهه فكان محله منزها عن أن يقوم به اعتقاد ما لا ينبغي أن يكون الحق عليه و من هنا قال من قال سبحاني تعظيما لجلال الله تعالى و لهذا قال روضة مطلول و هو نزول التنزيه إلى محل العبد المنزه خالقه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(منزل التقريب هذا المنزل يشتمل على منزلين منزل خرق العوائد و منزل أحدية كن و فيه أنشدت)

و لها على ذات الكيان تحكم — لمنازل التقريب شرط يعلم
جبارها خضع الوجود و يخدم — فإذا أتى شرط القيامة و استوى
إلا التي فعلت و أنت مجسم — هيهات لا تجني النفوس ثمارها

يقول إن التقريب من صفات المحدثات لأنها تقبل التقريب و ضده و الحق هو القريب و إن كان قد وصف نفسه بأنه يتقرب و المصدر منه التقريب و التقرب و لما قال شرط يعلم و هو قبول التأثير قال و لا يعرف و ينكشف الأمر عموما إلا في الآخرة و قال و النفوس ما لها جنى إلا ما غرسته في حياتها الدنيا من خير أو شر فلها التقريب من أعمالها فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (منزل التوقع) و هذا المنزل أيضا يشتمل على منزلين منزل الطريق الإلهي و منزل السمع و فيه نظمت

و قطوفها ليد المقرب دانية ظهرت منازل للتوقع بادية

لا تقطفن من الغصون العادية فاقطف من أغصان الدنو ثمارها

وسط الطريق تر الحقائق بادية لا تخرجن عن اعتدالك و الزمن

يقول ما يتوقعه الإنسان قد ظهر لأنه ما يتوقع شيئًا إلا و له ظهور عنده في باطنه فقد برز من غيبه الذي يستحقه إلى باطن من يتوقعه ثم إنه يتوقع ظهوره في عالم الشهادة فيكون أقرب في التناول و هو قوله قُطُوفُها دانِيَةٌ أي قريبة ليد القاطف يقول احفظ طريق الاعتدال لا تنحرف عنه و الاعتدال هنا ملازمتك حقيقتك لا تخرج عنها كما خرج المتكبرون و من كان برزخا بين الطرفين كان له الاستشراف عليهما فإذا مال إلى أحدهما غاب عن الآخر (منزل البركات) و هو أيضا يشتمل على منزلين على منزل الجمع و التفرقة و منزل الخصام البرزخى و هو منزل الملك و القهر و فيه قلت

و له بجبات القلوب توقع لمنازل البركات نور يسطع

و لها إلى نفس الوجود تطلع فيها المزيد لكل طالب مشهد

بحقائق البركات شد المطلع فإذا تحقق سر طالب حكمة

أعيانه مشهودة تتسمع فالحمد لله الذي في كونه

البركات الزيادة و هي من نتائج الشكر و ما سمي الحق نفسه تعالى بالاسم الشاكر و الشكور إلا لنزيد في العمل الذي شرع لنا أن نعمل به كما يزيد الحق النعم بالشكر منا فكل نفس متطلعة للزيادة يقول و إذا تحقق طالب الحكم الزيادة انفرد بأمور يجهد أن لا يشاركه فيها أحد لتكون الزيادة من ذلك النوع و صاحب هذا المقام تكون حاله المراقبة للحال الذي يطلبه (منزل الأقسام و الإيلاء) و هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الفهوانيات الرحمانية و منزل المقاسم الروحانية و منزل الرقوم و منزل مساقط النور و منزل الشعراء و منزل المراتب الروحانية و منزل النفس الكلية و منزل القطب و منزل انفهاق الأنوار على عالم الغيب و منزل مراتب النفس الناطقة و منزل اختلاف الطرق و منزل المودة و منزل علوم الإلهام و منزل النفوس الحيوانية و منزل الصلاة الوسطى و في هذا قلت

أحكامها في عالم الأرض منازل الأقسام في العرض

من قام بالسنة و الفرض تجري بأفلاك السعود على

و حكمها في الطول و العرض و علمها وقف على عينها

يقول القسم نتيجة التهمة و الحق يعامل الخلق من حيث ما هم عليه لا من حيث ما هو عليه و لهذا لم يول الحق تعالى للملائكة لأنهم ليسوا من عالم التهمة و ليس لمخلوق أن يقسم بمخلوق و هو مذهبنا و إن أقسم بمخلوق عندنا فهو عاص و لا كفارة عليه إذا حنث و عليه التوبة مما وقع فيه لا

غير و إنما أقسم الحق بنفسه حين أقسم بذكر المخلوقات و حذف الاسم يدل على ذلك إظها ر الاسم في مواضع من الكتاب العزيز مثل قوله فوَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . . . بِرَبِّ الْمَشَا رِقِ وَالْمَغَا رِبِ فكان ذلك أعلاما في المواضع التي لم يجر للاسم ذكر ظاهر أنه غيب هنالك لأمر أراده سبحانه في ذلك يعرفه من عرفه الحق ذلك من نبي و ولي ملهم فإن القسم دليل على تعظيم المقسم به و لا شك أنه قد ذكر في القسم من يبصر و من لا يبصر فدخل في ذلك الرفيع و الوضيع و المرضى عنه و المغضوب عليه و المحبوب و الممقوت و المؤمن و الكافر و الموجود و المعدوم و لا يعرف منا زل الأقسام إلا من عرف عالم الغيب فيغلب على الظن أن الاسم الإلهي هنا مضمر و قد عرفناك إن عالم الغيب هو الطول و عالم الشهادة هو العرض (منزل الإنية) و يشتمل على منا زل منها منزل سليمان ع دون غيره من الأنبياء و منزل الستر الكامل و منزل اختلاف المخلوقات و منزل الروح و منزل العلوم و فيه أقول

لوجودها عند الرجال منازل	إنية قدسية مشهودة
في سورة أعلامها تتفاضل	تفني الكيان إذا تجلت صورة
خلف الظلال وجودها لك شامل	و تريك فيك وجودها بنعوتها

يقول إن الحقيقة الإلهية المعنوية بنعوت التنزيه إذا شوهدت تفني كل عين سواها و إن تفاضلت مشاهدها في الشخص الواحد بحسب أحواله و في الأشخاص لاختلاف أحوالهم لما أعطت الحقيقة أنه لا يشهد الشاهد منا إلا نفسه كما لا تشهد هي منا إلا نفسها فكل حقيقة للأخرى مرآة المؤمن مرآة أخيه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (منزل الدهور) يحتوي هذا المنزل على منا زل منها منزل السابقة و منزل العزة و منزل روحانيات الأفلاك و منزل الأمر الإلهي و منزل الولادة و منزل الموازنة و منزل البشا رة باللقاء و فيه أقول

مثل الزمان فإنه متوهم	و من المنا زل ما يكون مقدرة
و له التصرف و المقام الأعظم	دلت عليه الدائرات بدورها

يقول لما كان الأزل أمرا متوهما في حق الحق كان الزمان أيضا في حق الحق أمرا متوهما أي مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك فإن الأزل كالزمان للخلق فافهم (منزل لام الألف) هذا منزل الالتفاف و الغالب عليه الائتلاف لا الاختلاف قال تعالى وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ و هو يحتوي على منا زل منها منزل مجمع البحرين و جمع الأمرين و منزل التشريف المحمدي الذي إلى جانب المنزل الصمدي و فيه أقول

عند اللقاء انفصال حال وصلهما	منا زل اللام في التحقيق و الألف
سر الوجود و إني عينه فهما	هما الدليل أعلى من قال إن أنا
لا كالذي دل بالأقوال فانصرما	نعم الدليلان إذ دلا بحالهما

يقول و إن ارتبط اللام بالألف و انعقد و صارا عينا واحدة و هو ظاهر في المزدوج من الحروف في المقام الثامن و العشرين بين الواو و الياء اللذين لهما الصحة و الاعتلال فلما في الألف من العلة و لما في اللام من الصحة وقعت المناسبة بينه و بين هذين الحرفين فيلي الصحيح منه حرف الصحة و يلي المعتل منه حرف العلة فيداه مبسوطة بالرحمة مقبوضة بنقيضها و ليس للام الألف صورة في نظم المفرد بل هو غيب فيها و رتبة على حالها بين الواو و الياء و قد استناب في مكانه الزاي و الحاء و الطاء اليابسة فله في غيبه الرتبة السابعة و الثامنة و التاسعة فله منزلة القمر بين البدر و الهلال فلم تزل تصحبه رتبة البرزخية في غيبته و ظهوره فهو الرابع و العشرون إذ كانت له السبعة بالزاي و الثمانية بالحاء و التسعة بالطاء و اليوم أربع و عشرون ساعة ففي أي ساعة عملت به فيها أنجح عملك على ميزان العمل بالوضع لأنه في حروف الرقم لا في حروف الطبع لأنه ليس له في حروف الطبع إلا اللام و هو من حروف اللسان برزخ بين الحلق و الشفتين و الألف ليست من حروف الطبع فما ناب إلا مناب حرف واحد و هو اللام الذي عنه تولد الألف إذا أشبعت حركته فإن لم تشبع ظهرت الهمزة و لهذا جعل الألف بعض العلماء نصف حرف و الهمزة نصف حرف في الرقم الوضعي لا في اللفظ الطبعي ثم نرجع فنقول إن انعقد اللام بالألف كما قلنا و صارا عينا واحدة فإن فخذيه يدلان على أنهما اثنان ثم العبارة باسمه تدل على أنه اثنان فهو اسم مركب من اسمين لعينين العين الواحدة اللام و الأخرى الألف و لكن لما ظهرا في الشكل على صورة واحدة لم يفرق الناظر بينهما و لم يتميز له أي الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر الألف فاختلف الكتاب فيه فمنهم من راعى التلفظ و منهم من راعى ما يبتدئ به مخططه فيجعله أولا فاجتمعا تقديم اللام على الألف لأن الألف هنا تولد عن اللام بلا شك و كذلك الهمزة تتلو اللام في مثل قوله لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً و أمثاله و هذا الحرف أعني لام ألف هو حرف الالتباس في الأفعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو إن قلت هو لله صدقت و إن قلت هو للمخلوق صدقت و لو لا ذلك ما صح التكليف و إضافة العمل من الله للعبد يقول صلى الله عليه و سلم إنما هي أعمالكم ترد عليكم و يقول الله وَ ما يَفْعَلُوا من خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ و اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ فكذلك أي الفخذين جعلت اللام أو الألف صدقت و إن اختلف العمل في وضع الشكل عند العلماء به للتحقق بالصورة و كل من دل على إن الفعل للواحد من الفخذين دون الآخر فذلك غير صحيح و صاحبه ينقطع و لا يثبت و إن غيره من أهل ذلك الشأن يخالفه في ذلك و يدل في زعمه و القول معه كالقول مع مخالفه و يتعارض الأمر و يشكل إلا على من نور الله بصيرته و هداه إلى سواء السبيل (منزل التقرير) و هو يشتمل على منازل منها منزل تعداد النعم و منزل رفع الضرر و منزل الشرك المطلق و في ذلك أقول

و رجحت الظهور على الكمون	تقررت المنازل بالسكون
مفجرة من الماء المعين	و دلت بالعيان على عيون
إذا لمعت على النور المبين	و دلت بالبروق سحاب مزن

اعلم أيدك الله أنه يقول الثبوت يقرر المنازل فمن ثبت و ظهر لكل عين على حقيقتها ألا ترى ما تعطيك سرعة الحركة من الشبه فيحكم الناظر

على الشيء بخلاف ما هو عليه ذلك الشيء فيقول في النا ر الذي في الجمرة أو في رأس الفتيلة إذا أسرع بحركته عرضا إنه خط مستطيل أو يديره بسرعة فيرى دائرة نا ر في الهواء و سبب ذلك عدم الثبوت و إذا ثبتت المنا زل دلت على ما تحوي عليه من العلوم الإلهية (منزل المشاهدة) و هو منزل واحد هو منزل فناء الكون فيه يفنى من لم يكن و يبقى من لم يزل و فيه أقول

روحه فينا تنزل — في فناء الكون منزل
ما له نور و لا ظل — إنه ليلة قدري
ما له عنه تنقل — هو عين النور صرفا
ملك في الصدر الأول — فأنا الإمام حقا
فيوليكم و يعزل — عنده مفتاح أمري
لست بالسماك الأعزل — سمهرياتي طوال
دائم لا يتبدل — فالمقام الحق فيكم
و هو الإمام الأعدل — و هو القاهر منه
بل من المهاة أكمل — ليس بالنور الممثل
بمكان السر الأفضل — و أنا منه يقينا
و بأمر الأمر أنزل — فبعين العين أسمو

يقول حالة الفناء لا نور و لا ظل مثل ليلة القدر ثم قال و ذلك هو الضوء الحقيقي و الظل الحقيقي فإنه الأصل الذي لا ضد له و الأنوار تقابلها الظلم و هذا لا يقابله شيء و قوله أنا الإمام يعني شهوده للحق من الوجه الخاص الذي منه إلي و هو الصدر الأول و من هذا المقام يقع التفصيل و الكثرة و العدد في الصور و جعل السمهريات كناية عن تأثير القيومية في العالم و لها الثبوت و لذا قال لا تتبدل و له القهر و العدل لا يقبل التشبيه فبشهود الذات أعلو و بالأمر الإلهي أنزل إماما في العالم (منزل الألفة) هو منزل واحد و فيه أقول

و هي بهذا النعت معروفه — منازل الألفة مألوفه
فإنها بالأمن محفوفه — فقل لمن عرس فيها أقم
و عن عذاب الوتر مصروفه — و هي على الاثنين موقوفه

هذا منزل الأعراس و السرور و الأفراح و هو مما امتن الله به على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم فقال لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ يريد عليك وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ يريد على مودتك و إجابتك و تصديقك (منزل الاستخبار) و هو يشتمل على منا زل منها منزل

المنازعة الروحانية و منزل حلية السعداء كيف تظهر على الأشقياء و بالعكس و منزل الكون قبل الإنسان و فيه أقول

أحالوني على استفهام لفظي — إذا استفهمت عن أحباب قلبي
فيا شؤمي لذاك و سوء حظي — منازلهم بلفظك ليس إلا
فما التفتت بخاطرها لوعظي — وعظت النفس لا تنظر إليهم
فكانوا عين كوني عين لفظي — لفظتهمو عسى أحظى بكون
و أسأل عنهم من أرى و همو معي — و قال و من عجب إني أحن إليهمو
و يشتاقهم قلبي و هم بين أضلعي — و ترصدهم عيني و هم في سوادها

يقول إنهم في لساني إذا سألت عنهم و في سواد عيني إذا نظرت إليهم و في قلبي إذا فكرت فيهم و اشتقت إليهم فهم معي في كل حال أكون عليها فهم عيني و لست عينهم إذ لم يكن عندهم مني ما عندي منهم (منزل الوعيد) و هو منزل واحد محوي على الجور و الاستمساك بالكون و فيه قلت

ترك السلوك على الطريق الأقوم — إن الوعيد لمنزلان هما لمن
و مشى على حكم العلو الأقدم — فإذا تحقق بالكمال وجوده
في النار و هي نعيم كل مكرم — عادا نعيما عنده فنعيمه

منزل روحاني و هو عذاب النفوس و منزل جسماني و هو العذاب المحسوس و لا يكون إلا لمن حاد عن الطريق المشروع في ظاهره و باطنه فإذا وفق للاستقامة و سبقت له العناية عصم من ذلك و تنعم بنار المجاهدة لجنة المشاهدة (منزل الأمر) و هو يشتمل على منازل منزل الأرواح البرزخية و منزل التعليم و منزل السري و منزل السبب و منزل التمائم و منزل القطب و الإمامين ولنا فيه

بها تحصل أفراحي و لذاتي — منازل الأمر فهو إنية الذات
و لا أزول إلى وقت الملاقاة — فليتني قائم فيها مدى عمري
إذا تبرز في صدر المناجاة — فقرة العين للمختار كان له

الأمر الإلهي من صفة الكلام و هو مسدود دون الأولياء من جهة التشريع و ما في الحضرة الإلهية أمر تكليفي إلا أن يكون مشروعا فما بقي للولي إلا سماع أمرها إذا أمرت الأنبياء فيكون للولي عند سماعه ذلك لذة سارية في وجوده لكن يبقى للأولياء المناجاة الإلهية التي لا أمر فيها سمرا و حديثا فكل من قال من أهل الكشف إنه مأمور بأمر إلهي في حركاته و سكناته مخالف لأمر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر و إن كان صادقا فيما قال إنه سمع و إنما يمكن إن ظهر له تجل إلهي في صورة نبيه صلى الله عليه و سلم فخاطبه نبيه أو أقيم في سماع

خطاب نبيه و ذلك أن الرسول موصل أمر الحق تعالى الذي أمر الله به عباده فقد يمكن أن يسمع من الحق في حضرة ما ذلك الأمر الذي قد جاءه به أولا رسوله صلى الله عليه و سلم فيقول أمرني الحق و إنما هو في حقه تعريف بأنه قد أمر و انقطع هذا السبب بمحمد صلى الله عليه و سلم و ما عدا الأوامر من الله المشروعة فللأولياء في ذلك القدم الراسخة فهذا قد أتينا على التسعة عشر صنفا من المنازل فلنذكر أخص صفات كل منزل فنقول (وصل) أخص صفات منزل المدح تعلق العلم بما لا يتناهى و أخص صفات منزل الرموز تعلق العلم بخواص الأعداد و الأسماء و هي الكلمات و الحروف و فيه علم السيمياء و أخص صفات منزل الدعاء علوم الإشارة و التحلية و أخص صفات منزل الأفعال علم الآن و أخص صفات منزل الابتداء علم المبدأ و المعاد و معرفة الأوليات من كل شيء و أخص صفات التنزيه علم السلخ و الخلع و أخص صفات التقريب علم الدلالات و أخص صفات منزل التوقع علم النسب و الإضافات أو أخص صفات منزل البركات علم الأسباب و الشروط و العلل و الأدلة و الحقيقة و أخص صفات الأقسام علوم العظمة و أخص صفات منزل الدهر علم الأزل و ديمومة الباري وجود أو أخص صفات منزل الإنية علم الذات و أخص صفات منزل لام ألف علم نسبة الكون إلى المكون و أخص صفات منزل التقرير علم الحضور و أخص صفات منزل فناء الكون علم قلب الأعيان و أخص صفات منزل الألفة علم الالتحام و أخص صفات منزل الوعيد علم المواطن و أخص صفات منزل الاستفهام علم لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و أخص صفات منزل الأمر علم العبودة (وصل) اعلم أنه لكل منزل من هذه المنازل التسعة عشر صنف من الممكنات فمنهم صنف الملائكة و هم صنف واحد و إن اختلفت أحوالهم (و علم الأجسام ثمانية عشر) الأفلاك أحد عشر نوعا و الأركان أربعة و المولدات ثلاثة و لها وجه آخر يقابلها من الممكنات في الحضرة الإلهية الجوهر للذات و هو الأول الثاني الأعراض و هي للصفات الثالث الزمان و هو للأزل الرابع المكان و هو للاستواء أو النعوت الخامس الإضافات للاضافات السادس الأوضاع للفهوانية السابع الكميات للأسماء الثامن الكيفيات للتجليات التاسع التأثيرات للجود العاشر الانفعالات للظهور في صور الاعتقادات الحادي عشر الخاصية و هي للاحدية الثاني عشر الحيرة و هي للوصف بالنزول و الفرح و القرض و أشباه ذلك الثالث عشر حياة الكائنات للحي الرابع عشر المعرفة للعلم الخامس عشر الهواجس للإرادة السادس عشر الأبصار للبصير السابع عشر السمع للسميع الثامن عشر الإنسان للكمال التاسع عشر الأنوار و الظلم للنور (وصل في نظائر المنازل التسعة عشر) نظائرها من القرآن حروف الهجاء التي في أول السور و هي أربعة عشر حرفا في خمس مراتب أحدية و ثنائية و ثلاثية و رباعية و خماسية و نظائرها من النار الخزنة تسعة عشر ملكا نظائرها في التأثير اثنا عشر برجا و السبعة الدراري نظائرها من القرآن حروف البسملة و نظائرها من الرجال النقباء اثنا عشر و الأبدال السبعة و هؤلاء السبعة منهم الأوتاد أربعة و الإمامان اثنان و القطب واحد و النظائر لهذه المنازل من الحضرة الإلهية و من الأكوان كثير (وصل) اعلم أن منزل المنازل عبارة عن المنزل الذي يجمع جميع المنازل التي تظهر في عالم الدنيا من العرش إلى الثرى و هو المسمى بالإمام المبين قال الله تعالى وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ فقوله أَحْصَيْناهُ دليل على أنه ما أودع فيه إلا علوما متناهية فنظرنا هل ينحصر لأحد عددها فخرجت عن

الحصر مع كونها متناهية لأنه ليس فيه إلا ما كان من يوم خلق الله العالم إلى أن ينقضي حال الدنيا و تنتقل العمارة إلى الآخرة فسألنا من أثق به من العلماء بالله هل تنحصر أمهات هذه العلوم التي يحويها هذا الإمام المبين فقال نعم فأخبرني الثقة الأمين الصادق الصاحب و عاهدني أني لا أذكر اسمه أن أمهات العلوم التي تتضمن كل أم منه ما لا يحصى كثرة تبلغ بالعدد إلى مائة ألف نوع من العلوم و تسعة و عشرين ألف نوع و ستمائة نوع و كل نوع يحتوي على علوم جمة ويعبر عنها بالمنازل فسألت هذا الثقة هل نالها أحد من خلق الله و أحاط بها علما قال لا ثم قال وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ و إذا كانت الجنود لا يعلمها إلا هو و ليس للحق منازع يحتاج هؤلاء الجنود إلى مقابلته فقال لي لا تعجب فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لقد ثم ما هو أعجب فقلت ما هو فقال لي الذي ذكر الله في حق امرأتين من نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم تلا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ فهذا أعجب من ذكر الجنود فأسرار الله عجيبة فلما قال لي ذلك سألت الله أن يطلعني على فائدة هذه المسألة و ما هذه العظمة التي جعل الله نفسه في مقابلتها و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة فأخبرت بها فما سررت بشيء سروري بمعرفة ذلك و علمت لمن استندتا و من يقويهما و لو لا ما ذكر الله نفسه في النصرة ما استطاعت الملائكة و المؤمنون مقاومتهما و علمت أنهما حصل لهما من العلم بالله و التأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوة و هذا من العلم الذي كهيئة المكنون فشكرت الله على ما أولى فما أظن أن أحدا من خلق الله استند إلى ما استند هاتان المرأتان يقول لوط ع لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ و كان عنده الركن الشديد و لم يكن يعرفه فإن النبي صلى الله عليه و سلم قد شهد له بذلك فقال يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد و عرفتاه عائشة و حفصة فلو علم الناس علم ما كانتا عليه لعرفوا معنى هذه الآية وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و العشرون في معرفة الأقطاب المصونين و أسرار صونهم)

إن لله حكمة أخفاها ... في وجودي فليس عين تراها
خلق الجسم دار لهو و أنس ... فبناها وجوده سواها
ثم لما تعدلت و استقامت ... جاء روح من عنده أحياها
ثم لما تحقق الحق علما ... حبه و انقياده لهواها
قال للموت خذ إليك عبيدي ... فدعاه له بما أخلاها
و تجلى له فقال إلهي ... أين أنسي فقال ما تنساها
كيف أنسي دارا جعلت قواها ... من قواكم فهي التي لا تضاهي
يا إلهي و سيدي و اعتمادي ... ما عشقنا منها سوى معناها
أعلمتنا بما تريدون منا ... بلسان الرسول من أعلاها

بك يا سيدي فما أحلاها — فقطعنا أيامنا في سرور

صدق الروح إنه يهواها — قال ردوا عليه دار هواه

طربا دائما إلى سكناها — فرددنا مخلدين سكارى

و تجلى لها بما قواها — و بناها على اعتدال قواها

اعلم أيدك الله أن هذا الباب يتضمن ذكر عباد الله المسمين بالملامية و هم الرجال الذين حلوا من الولاية في أقصى درجاتها و ما فوقهم إلا درجة النبوة و هذا يسمى مقام القربة في الولاية و آيتهم من القرآن حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ ينبه بنعوت نساء الجنة و حورها على نفوس رجال الله الذين اقتطعهم إليه و صانهم و حبسهم في خيام صون الغيرة الإلهية في زوايا الكون أن تمتد إليهم عين فتشغلهم لا و الله ما يشغلهم نظر الخلق إليهم لكنه ليس في وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحق عليهم لعلو منصبها فتقف العباد في أمر لا يصلون إليه أبدا فحبس ظواهرهم في خيمات العادات و العبادات من الأعمال الظاهرة و المثابرة على الفرائض منها و النوافل فلا يعرفون بخرق عادة فلا يعظمون و لا يشار إليهم بالصلاح الذي في عرف العامة مع كونهم لا يكون منهم فساد فهم الأخفياء الأبرياء الأمناء في العالم الغامضون في الناس فيهم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ربه عز و جل إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه و أطاعه في السر و العلانية و كان غامضا في الناس يريد أنهم لا يعرفون بين الناس بكبير عبادة و لا ينتهكون المحارم سرا و علنا قال بعض الرجال في صفتهم لما سئل عن العارف قال مسود الوجه في الدنيا و الآخرة فإن كان أراد ما ذكرناه من أحوال هذه الطائفة فإنه يريد باسوداد الوجه استفراغ أوقاته كلها في الدنيا و الآخرة في تجليات الحق له و لا يرى الإنسان عندنا في مرآة الحق إذا تجلى له غير نفسه و مقامه و هو كون من الأكوان و الكون في نور الحق ظلمة فلا يشهد إلا سواده فإن وجه الشيء حقيقته و ذاته و لا يدوم التجلي إلا لهذه الطائفة على الخصوص فهم مع الحق في الدنيا و الآخرة على ما ذكرناه من دوام التجلي و هم الأفراد و أما إن أراد بالتسويد من السيادة و أراد بالوجه حقيقة الإنسان أي له السيادة في الدنيا و الآخرة فيمكن و لا يكون ذلك إلا للرسل خاصة فإنه كما لهم و هو في الأولياء نقص لأن الرسل مضطرون في الظهور لأجل التشريع و الأولياء ليس لهم ذلك ألا ترى الله سبحانه لما أكمل الدين كيف أمره في السورة التي نعى الله إليه فيها نفسه فأنزل عليه إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ أي أشغل نفسك بتنزيه ربك و الثناء عليه بما هو أهله فاقتطعه بهذا الأمر من العالم لما كمل ما أريد منه من تبليغ الرسالة و طلب بالاستغفار أن يستره عن خلقه في حجاب صونه لينفرد به دون خلقه دائما فإنه كان في زمان التبليغ و الإرشاد و شغله بأداء الرسالة فإن له وقتا لا يسعه فيه غير ربه و سائر أوقاته فيما أمر به من النظر في أمور الخلق فرده إلى ذلك الوقت الواحد الذي كان يختلسه من أوقات شغله بالخلق و إن كان عن أمر الحق ثم قوله إِنَّهُ كانَ تَوّاباً أي يرجع الحق إليك رجوعا مستصحبا لا يكون للخلق عندك فيه دخول بوجه من الوجوه و لما تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه السورة بكى أبو

بكر الصديق رضي الله عنه وحده دون من كان في ذلك المجلس و علم أن الله تعالى قد نعى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم نفسه و هو كان أعلم الناس به و أخذ الحاضرون يتعجبون من بكائه و لا يعرفون سبب ذلك و الأولياء الأكابر إذا تركوا و أنفسهم لم يختر أحد منهم الظهور أصلا لأنهم علموا أن الله ما خلقهم لهم و لا لأحد من خلقه بالتعلق من القصد الأول و إنما خلقهم له سبحانه فشغلوا أنفسهم بما خلقوا له فإن أظهرهم الحق عن غير اختيار منهم بأن يجعل في قلوب الخلق تعظيمهم فذلك إليه سبحانه ما لهم فيه تعمل و إن سترهم فلم يجعل لهم في قلوب الناس قدرا يعظمونهم من أجله فذلك إليه تعالى فهم لا اختيار لهم مع اختيار الحق فإن خيرهم و لا بد فيختارون الستر عن الخلق و الانقطاع إلى الله و لما كان حالهم ستر مرتبتهم عن نفوسهم فكيف عن غيرهم تعين علينا أن نبين منازل صونهم فمن منازل صونهم أداء الفرائض في الجماعات و الدخول مع الناس في كل بلد بزي ذلك البلد و لا يوطن مكانا في المسجد و تختلف أماكنه في المسجد الذي تقام فيه الجمعة حتى تضيع عينه في غمار الناس و إذا كلم الناس فيكلمهم و يرى الحق رقيبا عليه في كلامه و إذا سمع كلام الناس سمع كذلك و يقلل من مجالسة الناس إلا من جيرانه حتى لا يشعر به و يقضي حاجة الصغير و الأرملة و يلاعب أولاده و أهله بما يرضي الله تعالى و يمزح و لا يقول إلا حقا و إن عرف في موضع انتقل عنه إلى غيره فإن لم يتمكن له الانتقال استقضى من يعرفه و ألح عليهم في حوائج الناس حتى يرغبوا عنه و إن كان عنده مقام التحول في الصور تحول كما كان للروحاني التشكل في صور بني آدم فلا يعرف أنه ملك و كذلك كان قضيب البان و هذا كله ما لم يرد الحق إظهاره و لا شهرته من حيث لا يشعر ثم إن هذه الطائفة إنما نالوا هذه المرتبة عند الله لأنهم صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله أو تتعلق بكون من الأكوان سوى الله فليس لهم جلوس إلا مع الله و لا حديث إلا مع الله فهم بالله قائمون و في الله ناظرون و إلى الله راحلون و منقلبون و عن الله ناطقون و من الله آخذون و على الله متوكلون و عند الله قاطنون فما لهم معروف سواه و لا مشهود إلا إياه صانوا نفوسهم عن نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم فهم في غيابات الغيب محجوبون هم ضنائن الحق المستخلصون يأكلون الطعام و يمشون في الأسواق مشي ستر و أكل حجاب فهذه حالة هذه الطائفة المذكورة في هذا الباب (تتمة شريفة) لهذا الباب قلنا و من هذه الحضرة بعثت الرسل سلام الله عليهم أجمعين مشرعين و وجد معهم هؤلاء تابعين لهم قائمين بأمرهم من عين واحدة أخذ عنها الأنبياء و الرسل ما شرعوا و أخذ عنها الأولياء ما اتبعوهم فيه فهم التابعون على بصيرة العالمون بمن اتبعوه و فيما اتبعوه و هم العارفون بمنازل الرسل و مناهج السبل من الله و مقاديرهم عند الله تعالى وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء السادس عشر و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع و العشرون)

في معرفة جاءت عن العلوم الكونية و ما تتضمنه من العجائب و من حصلها من العالم و مراتب أقطابهم و أسرار الاشتراك بين شريعتين و القلوب المتعشقة بعالم الأنفاس و بالأنفاس و أصلها و إلى كم تنتهي منازلها

و من مالك أضحى لمملوكه ملكا　　　تعجبت من ملك يعود بنا ملكا

من اللؤلؤ المنثور من علمنا سلكا　　　فذلك ملك الملك إن كنت ناظما

ليأخذ ذاك العلم من شاءه عنكا　　　فخذ عن وجود الحق علما مقدسا

بأن الذي في كونه نسخة منكا　　　فإن كنت مثلي في العلوم فقد ترى

و قد فتكت أسيافكم في الورى فتكا　　　فهل في العلى شيء يقاوم أمركم

و من أنت كنت السيد العلم الملكا　　　فلو كنت تدري يا حبيبي وجوده

أتيت إليه إن تحققته ملكا　　　و كان إله الخلق يأتيك ضعف ما

اعلم أيدك الله أن الله يقول ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فإذا علمت هذا علمت إن الله رب كل شيء و مليكه فكل ما سوى الله تعالى مربوب لهذا الرب و ملك لهذا الملك الحق سبحانه و لا معنى لكون العالم ملك الله تعالى إلا تصرفه فيه على ما يشاء من غير تحجير و أنه محل تأثير الملك سيده جل علاه فتنوع الحالات التي هو العالم عليها هو تصرف الحق فيه على حكم ما يريده ثم إنه لما رأينا الله تعالى يقول كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ فأشرك نفسه مع عبده في الوجوب عليه و إن كان هو الذي أوجب على نفسه ما أوجب فكلامه صدق و وعده حق كما يوجب الإنسان بالنذر على نفسه ابتداء ما لم يوجبه الحق عليه فأوجب الله عليه الوفاء بنذره الذي أوجبه على نفسه فأمره بالوفاء بنذره ثم رأيناه تعالى لا يستجيب إلا بعد دعاء العبد إياه كما شرع كما إن العبد لا يكون مجيبا للحق حتى يدعوه الحق إلى ما يدعوه إليه قال تعالى فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي فصار للعبد و العالم الذي هو ملك لله سبحانه تصرف إلهي في الجانب الأحمى بما تقتضيه حقيقة العالم بالطلب الذاتي و تصريف آخر بما يقتضيه وضع الشريعة فلما كان الأمر على ما ذكرناه من كون الحق يجيب أمر العبد إذا دعاه و سأله كما إن العبد يجيب أمر الله إذا أمره و هو قوله وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ فشرك في القضية و لما كان الحق يقتضي بذاته أن يتذلل له سواء شرع لعباده أعمالا أو لم يشرع كذلك يقتضي ببقاء وجود عينه حفظ الحق إياه سواء شرع الحق ما شرعه أو لم يشرع ثم لما شرع للعبد أعمالا إذا عملها شرع لنفسه أن يجازي هذا العبد على فعل ما كلفه به فصار الجناب العالي ملكا لهذا الملك الذي هو العالم بما ظهر من أثر العبد فيه من العطاء عند السؤال فانطلق عليه صفة يعبر عنها ملك الملك فهو سبحانه مالك و ملك بما يأمر به عباده و هو سبحانه ملك بما يأمره به العبد فيقول رَبِّ اغْفِرْ لِي كما قال له الحق أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي فيسمى ما كان من جانب الحق للعبد أمرا و يسمى ما كان من جانب العبد للحق دعاء أدبا إلهيا و إنما هو على الحقيقة أمر فإن الحد يشمل الأمرين معا و أول من اصطلح على هذا الاسم في علمي محمد بن علي الترمذي الحكيم و ما سمعنا هذا اللفظ عن أحد سواه و ربما تقدمه غيره بهذا الاصطلاح و ما وصل إلينا إلا أن الأمر صحيح و مسألة الوجوب على الله عقلا مسألة خلاف بين أهل النظر من المتكلمين فمن قائل بذلك و غير قائل بها و أما الوجوب الشرعي فلا ينكره إلا من ليس بمؤمن بما جاء من عند الله و اعلم أن المتضايفين لا بد أن

يحدث لكل أحد من المتضايفين اسم تعطيه الإضافة فإذا قلت زيد فهو إنسان بلا شك لا يعقل منه غير هذا فإذا قلت عمرو فهو إنسان لا يعقل منه غير هذا فإذا قلت زيد بن عمرو أو زيد عبد عمرو فلا شك أنه قد حدث لزيد البنوة إذ كان ابن عمرو و حدث لعمرو اسم الأبوة إذ كان أبا لزيد فبنوة زيد أعطت الأبوة لعمرو و الأبوة لعمرو أعطت البنوة لزيد فكل واحد من المتضايفين أحدث لصاحبه معنى لم يكن يوصف به قبل الإضافة و كذلك زيد عبد عمرو فأعطت العبودة أن يكون زيد مملوكا و عمرو مالكا فقد أحدثت مملوكية زيد اسم المالك لعمرو و أحدث ملك عمرو لزيد مملوكية زيد فقيل فيه مملوك و قيل في عمرو مالك و لم يكن لكل واحد منهما معقولية هذين الاسمين قبل أن توجد الإضافة فالحق حق و الإنسان إنسان فإذا قلت الإنسان أو الناس عبيد الله قلت إن الله ملك الناس لا بد من ذلك فلو قدرت ارتفاع وجود العالم من الذهن جملة واحدة من كونه ملكا لم يرتفع وجود الحق لارتفاع العالم و ارتفع وجود معنى الملك عن الحق ضرورة و لما كان وجود العالم مرتبطا بوجود الحق فعلا و صلاحية لهذا كان اسم الملك لله تعالى أزلا و إن كان عين العالم معدوما في العين لكن معقوليته موجودة مرتبطة باسم المالك فهو مملوك لله تعالى وجودا و تقديرا قوة و فعلا فإن فهمت و إلا فافهم و ليس بين الحق و العالم بون يعقل أصلا إلا التمييز بالحقائق فالله و لا شيء معه سبحانه و لم يزل كذلك و لا يزال كذلك لا شيء معه فمعيته معنا كما يستحق جلاله و كما ينبغي لجلاله و لو لا ما نسب لنفسه إنه معنا لم يقتض العقل أن يطلق عليه معنى المعية كما لا يفهم منها العقل السليم حين أطلقها الحق على نفسه ما يفهم من معية العالم بعضه مع بعض لأنه لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ قال تعالى وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ و قال تعالى إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ لموسى و هارون فنقول إن الحق معنا على حد ما قاله و بالمعنى الذي أراده و لا نقول إنا مع الحق فإنه ما ورد و العقل لا يعطيه فما لنا وجه عقلي و لا شرعي يطلق به إننا مع الحق و أما من نفي عنه إطلاق الأينية من أهل الإسلام فهو ناقص الايمان فإن العقل ينفي عنه معقولية الأينية و الشرع الثابت في السنة لا في الكتاب قد أثبت إطلاق لفظ الأينية على الله فلا تتعدى و لا يقاس عليها و تطلق في الموضع الذي أطلقها الشارع قال رسول الله صلى الله عليه و سلم للسوداء التي ضربها سيدها أين الله فأشارت إلى السماء فقبل إشارتها و قال أعتقها فإنها مؤمنة فالسائل بالأينية أعلم الناس بالله تعالى و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم و تأول بعض علماء الرسوم إشارتها إلى السماء و قبول النبي صلى الله عليه و سلم ذلك منها لما كانت الآلهة التي تعبد في الأرض و هذا تأويل جاهل بالأمر غير عالم و قد علمنا أن العرب كانت تعبد كوكبا في السماء يسمى الشعرى سنه لهم أبو كبشة و تعتقد فيها أنها رب الأرباب هكذا وقفت على مناجاتهم إياها و لذلك قال تعالى وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ فلو لم يعبد كوكب في السماء لساغ هذا التأويل لهذا المتأول و هذا أبو كبشة الذي كان شرع عبادة الشعرى هو من أجداد رسول الله صلى الله عليه و سلم لأمه و لذلك كانت العرب تنسب رسول الله صلى الله عليه و سلم إليه فتقول ما فعل ابن أبي كبشة حيث أحدث عبادة إله واحد كما أحدث جده عبادة الشعرى و من أقطاب هذا المقام ممن كان قبلنا محمد ابن علي الترمذي الحكيم و من شيوخنا أبو مدين رحمه الله و كان يعرف في العالم العلوي بأبي النجا و به يسمونه الروحانيون و كان يقول رضي الله عنه سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك و من أجل هذا كنا نقول فيه إنه أحد

الإمامين لأن هذا هو مقام الإمام ثم نقول و لما كان الحق تعالى مجيبا لعبده المضطر فيما يدعوه به و يسأله منه صار كالمتصرف فلهذا كان يشير أبو مدين بقوله فكان يقول فيه ملك الملك و أما صحة هذه الإضافة لتحقق العبد في كل نفس إنه ملك لله تعالى من غير أن يتخلل هذا الحال دعوى تناقضه فإذا كان بهذه المثابة حينئذ يصدق عليه أنه ملك عنده فإن شابته رائحة من الدعوى و ذلك بأن يدعي لنفسه ملكا عريا عن حضوره في تمليك الله إياه ذلك الأمر الذي سماه ملكا له و ملكا لم يكن في هذا المقام و لا صح له أن يقول في الحق إنه ملك الملك و إن كان كذلك في نفس الأمر فقد أخرج هذا نفسه بدعواه بجهله أنه ملك لله و غفلته في أمر ما فيحتاج صاحب هذا المقام إلى ميزان عظيم لا يبرح بيده و نصب عينه (وصل) و أما أسرار الاشتراك بين الشريعتين فمثل قوله تعالى أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي و هذا مقام ختم الأولياء و من رجاله اليوم خضر و الياس و هو تقرير الثاني ما أثبته الأول من الوجه الذي أثبته مع مغايرة الزمان ليصح المتقدم و المتأخر و قد لا يتغير المكان و لا الحال فيقع الخطاب بالتكليف للثاني من عين ما وقع للأول و لما كان الوجه الذي جمعهما لا يتقيد بالزمان و الأخذ منه أيضا لا يتقيد بالزمان جاز الاشتراك في الشريعة من شخصين إلا أن العبارة يختلف زمانها و لسانها إلا أن ينطقا في آن واحد بلسان واحد كموسى و هارون لما قيل لهما اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى و مع هذا كله فقد قيل لهما فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً فأتى بالنكرة في قوله قولا و لا سيما و موسى يقول هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً يعني هارون فقد يمكن أن يختلفا في العبارة في مجلس واحد فقد جمعهما مقام واحد و هو البعث في زمان واحد إلى شخص واحد برسالة واحدة و إن كان قد منع وجود مثل هذا جماعة من أصحابنا و شيوخنا كأبي طالب المكي و من قال بقوله و إليه نذهب و به أقول و هو الصحيح عندنا فإن الله تعالى لا يكرر تجليا على شخص واحد و لا يشرك فيه بين شخصين للتوسع الإلهي و إنما الأمثال و الأشباه توهم الرائي و السامع للتشابه الذي يعسر فصله إلا على أهل الكشف و القائلين من المتكلمين إن العرض لا يبقى زمانين و من الاتساع الإلهي أن الله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و ميز كل شيء في العالم بأمر ذلك الأمر هو الذي ميزه عن غيره و هو أحدية كل شيء فما اجتمع اثنان في مزاج واحد قال أبو العتاهية

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

و ليست سوى أحدية كل شيء فما اجتمع قط اثنان فيما يقع به الامتياز و لو وقع الاشتراك فيه ما امتازت و قد امتازت عقلا و كشفا و من هذا المنزل في هذا الباب تعرف إيراد الكبير على الصغير و الواسع على الضيق من غير أن يضيق الواسع و يوسع الضيق أي لا يغير شيء عن حاله لكن لا على الوجه الذي يذهب إليه أهل النظر من المتكلمين و الحكماء في ذلك فإنهم يذهبون إلى اجتماعهما في الحد و الحقيقة لا في الجرمية فإن كبر الشيء و صغره لا يؤثر في الحقيقة الجامعة لهما و من هذا الباب أيضا قال أبو سعيد الخراز ما عرف الله إلا بجمعه بين الضدين ثم تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ يريد من وجه واحد لا من نسب مختلفة كما يراه أهل النظر من علماء الرسوم و اعلم أنه لا بد من نزول عيسى ع و لا بد من حكمه فينا بشريعة محمد صلى الله عليه و سلم يوحي الله بها إليه من كونه نبيا فإن النبي لا يأخذ الشرع من غير

مرسله فيأتيه الملك مخبرا بشرع محمد الذي جاء به صلى الله عليه و سلم و قد يلهمه إلهاما فلا يحكم في الأشياء بتحليل و تحريم إلا بما كان يحكم به رسول الله صلى الله عليه و سلم لو كان حاضرا و يرتفع اجتهاد المجتهدين بنزوله عليه السلام و لا يحكم فينا بشرعه الذي كان عليه في أوان رسالته و دولته فيما هو عالم بها من حيث الوحي الإلهي إليه بها هو رسول و نبي و بما هو الشرع الذي كان عليه محمد صلى الله عليه و سلم هو تابع له فيه و قد يكون له من الاطلاع على روح محمد صلى الله عليه و سلم كشفا بحيث أن يأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمته صلى الله عليه و سلم فيكون عيسى عصاحبا و تابعا من هذا الوجه و هو عليه السلام من هذا الوجه خاتم الأولياء فكان من شرف النبي صلى الله عليه و سلم إن ختم الأولياء في أمته نبي رسول مكرم هو عيسى عليه السلام و هو أفضل هذه الأمة المحمدية و قد نبه عليه الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء له و شهد له بالفضيلة على أبي بكر الصديق و غيره فإنه و إن كان وليا في هذه الأمة و الملة المحمدية فهو نبي و رسول في نفس الأمر فله يوم القيامة حشران يحشر في جماعة الأنبياء و الرسل بلواء النبوة و الرسالة و أصحابه تابعون له فيكون متبوعا كسائر الرسل و يحشر أيضا معنا وليا في جماعة أولياء هذه الأمة تحت لواء محمد صلى الله عليه و سلم تابعا له مقدما على جميع الأولياء من عهد آدم إلى آخر ولي يكون في العالم فجمع الله له بين الولاية و النبوة ظاهرا و ما في الرسل يوم القيامة من يتبعه رسول إلا محمد صلى الله عليه و سلم فإنه يحشر يوم القيامة في أتباعه عيسى و الياس عليهما السلام و إن كان كل من في الموقف من آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه و سلم فذلك لواؤه العام و كلامنا في اللواء الخاص بأمته صلى الله عليه و سلم و للولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم ختم خاص هو في الرتبة دون عيسى عليه السلام لكونه رسولا و قد ولد في زماننا و رأيته أيضا و اجتمعت به و رأيت العلامة الختمية التي فيه فلا ولي بعده إلا و هو راجع إليه كما أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه و سلم إلا و هو راجع إليه كعيسى إذا نزل فنسبة كل ولي يكون بعد هذا الختم إلى يوم القيامة نسبة كل نبي يكون بعد محمد صلى الله عليه و سلم في النبوة كإلياس و عيسى و الخضر في هذه الأمة و بعد أن بينت لك مقام عيسى عليه السلام إذا نزل فقل ما شئت إن شئت قلت شريعتين لعين واحدة و إن شئت قلت شريعة واحدة (وصل) و أما القلوب المتعشقة بالأنفاس فإنه لما كانت خزائن الأرواح الحيوانية تعشقت بالأنفاس الرحمانية للمناسبة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن ألا و إن الروح الحيواني نفس و إن أصل هذه الأنفاس عند القلوب المتعشق بها النفس الرحماني الذي من قبل اليمن لمن أخرج عن وطنه و حيل بينه و بين مسكنه و سكنه ففيها تفريج الكرب و دفع النوب و قال صلى الله عليه و سلم إن لله نفحات فتعرضوا لنفحات ربكم و تنتهي منازل هذه الأنفاس في العدد إلى ثلاثمائة نفس و ثلاثين نفسا في كل منزل من منازلها التي جملتها الخارج من ضرب ثلاثمائة و ثلاثين في ثلاثمائة و ثلاثين فما خرج فهو عدد الأنفاس التي تكون من الحق من اسمه الرحمن في العالم البشري و الذي أتحققه أن لها منازل تزيد على هذا المقدار مائتين منزلا في حضرة الفهوانية خاصة فإذا ضربت ثلاثمائة و ثلاثين في خمسمائة و ثلاثين فما خرج لك بعد الضرب فهو عدد الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني كل نفس منها علم إلهي مستقل عن تجل إلهي خاص

لهذه المنازل لا يكون لغيرها فمن شم من هذه الأنفاس رائحة عرف مقدارها و ما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس و أكثر ما يكونون من بلاد الأندلس و اجتمعت بواحد منهم بالبيت المقدس و بمكة فسألته يوما في مسألة فقال لي هل تشم شيئًا فعلمت أنه من أهل ذلك المقام و خدمني مدة و كان لي عم أخو والدي شقيقة اسمه عبد الله بن محمد بن العربي كان له هذا المقام حسا و معنى شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليتي وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس و العشرون)

في معرفة وتد مخصوص معمر و أسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العلوم و سر المنزل و المنازل و من دخله من العالم

من بعد ظهر و بطن فيه تجتمع		إن الأمور لها حد و مطلع

إلا مراتب أعداد بها تقع		في الواحد العين سر ليس يعلمه

و هو الذي ما له في العد متسع		هو الذي أبرز الأعداد أجمعها

كناظر في مراء حين ينطبع		مجاله ضيق رحب فصورته

تكثرا فهو بالتنزيه يمتنع		فما تكثر إذ أعطت مراتبه

بنفسه و بكم تعلو و تتضع		كذلك الحق إن حققت صورته

اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن و قد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب و ذلك أن شيخنا أبا العباس العريبي رحمه الله جرت بيني و بينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال لي هو فلان ابن فلان و سمي لي شخصا أعرفه باسمه و ما رأيته و لكن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه و لم آخذ بالقبول أعني قوله فيه لكوني على بصيرة في أمره و لا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه و لم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري فانصرفت عنه إلى منزلي فكنت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداء سلام محب مشفق و قال لي يا محمد صدق الشيخ أبا العباس فيما ذكر لك عن فلان و سمي لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العريبي فقلت له نعم و علمت ما أراد و رجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى فعند ما دخلت عليه قال لي يا أبا عبد الله أحتاج معك إذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك يقول لك صدق فلانا فيما ذكره لك و من أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف فقلت إن باب التوبة مفتوح فقال و قبول التوبة واقع فعلمت إن ذلك الرجل كان الخضر و لا شك أني استفهمت الشيخ عنه أ هو هو قال نعم هو الخضر ثم اتفق لي مرة أخرى أني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجع في بطني و أهل المركب قد ناموا فقمت إلى جانب السفينة و تطلعت إلى البحر فرأيت شخصا على بعد في ضوء القمر و كانت ليلة البدر و هو يأتي على وجه الماء حتى وصل إلي فوقف معي و رفع قدمه الواحدة و اعتمد على

الأخرى فرأيت باطنها و ما أصابها بلل ثم اعتمد عليها و رفع الأخرى فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم و انصرف يطلب المنارة محرسا على شاطئ البحر على تل بيننا و بينه مسافة تزيد على ميلين فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته و هو على ظهر المنارة يسبح الله تعالى و ربما مشى إلى شيخنا جراح بن خميس الكتاني و كان من سادات القوم مرابطا بمرسى عيدون و كنت جئت من عنده بالأمس من ليلتي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلا صالحا فقال لي كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ما قال لك و ما قلت له فلما كان بعد ذلك التأريخ خرجت إلى السياحة بساحل البحر المحيط و معي رجل ينكر خرق العوائد للصالحين فدخلت مسجدا خرابا منقطعا لأصلي فيه أنا و صاحبي صلاة الظهر فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد و فيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر الذي قيل لي إنه الخضر و فيهم رجل كبير القد أكبر منه منزلة و كان بيني و بين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك و مودة فقمت فسلمت عليه فسلم علي و فرح بي و تقدم بنا يصلي فلما فرغنا من الصلاة خرج الإمام و خرجت خلفه و هو يريد باب المسجد و كان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة فقمت أتحدث معه على باب المسجد و إذا بذلك الرجل الذي قلت إنه الخضر قد أخذ حصيرا صغيرا كان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض و وقف على الحصير في الهواء ينتقل فقلت لصاحبي أما تنظر إلى هذا و ما فعل فقال لي سر إليه و سله فتركت صاحبي واقفا و جئت إليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه و أنشدته لنفسي

في حب من خلق الهواء و سخره	شغل المحب عن الهواء يسره
عن كل كون ترتضيه مطهره	العارفون عقولهم معقولة
أحوالهم مجهولة و مسترة	فهمو لديه مكرمون و في الورى

فقال لي يا فلان ما فعلت ما رأيت إلا في حق هذا المنكر و أشار إلى صاحبي الذي كان ينكر خرق العوائد و هو قاعد في صحن المسجد ينظر إليه ليعلم أن الله يفعل ما يشاء مع من يشاء فرددت وجهي إلى المنكر و قلت له ما تقول فقال ما بعد العين ما يقال ثم رجعت إلى صاحبي و هو ينتظرني بباب المسجد فتحدثت معه ساعة و قلت له من هذا الرجل الذي صلى في الهواء و ما ذكرت له ما اتفق لي معه قبل ذلك فقال لي هذا الخضر فسكت و انصرفت الجماعة و انصرفنا نريد روطة موضع مقصود يقصده الصلحاء من المنقطعين و هو بمقربة من بشكنصار على ساحل البحر المحيط فهذا ما جرى لنا مع هذا الوتد نفعنا الله برؤيته و له من العلم اللدني و من الرحمة بالعالم ما يليق بمن هو على رتبته و قد أثنى الله عليه و اجتمع به رجل من شيوخنا و هو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب علي المتوكل و أبي عبد الله قضيب البان كان يسكن بالمقلى خارج الموصل في بستان له و كان الخضر قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان و ألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه و بصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها و قد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقي

الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أب التوزري و لبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية و هو ابن حمويه و كان جده قد لبسها من يد الخضر و من ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة و ألبستها الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها و كنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة و الأدب و التخلق و لهذا لا يوجد لباسها متصلا برسول الله صلى الله عليه و سلم و لكن توجد صحبة و أدبا و هو المعبر عنه بلباس التقوى فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمر ما و أرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال و نزعه و أفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله فيسري فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك فذلك هو اللباس المعروف عندنا و المنقول عن المحققين من شيوخنا ثم اعلم أن رجال الله على أربع مراتب رجال لهم الظاهر و رجال لهم الباطن و رجال لهم الحد و رجال لهم المطلع فإن الله سبحانه لما أغلق دون الخلق باب النبوة و الرسالة أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به إلى نبيه صلى الله عليه و سلم في كتابه العزيز و كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إن الوحي قد انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما بقي بأيدينا إلا أن يرزق الله عبدا فهما في هذا القرآن و قد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحة خبر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال في آي القرآن إنه ما من آية إلا و لها ظاهر و باطن و حد و مطلع و لكل مرتبة من هذه المراتب رجال و لكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب و على ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز من أهل باغة بأغرناطة سنة خمس و تسعين و خمسمائة و هو من أكبر من لقيته في هذا الطريق لم أر في طريقه مثله في الاجتهاد فقال لي الرجال أربعة رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ و هم رجال الظاهر و رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ و هم رجال الباطن جلساء الحق تعالى و لهم المشورة و رجال الأعراف و هم رجال الحد قال الله تعالى وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ أهل الشم و التمييز و السراح عن الأوصاف فلا صفة لهم كان منهم أبو يزيد البسطامي و رجال إذا دعاهم الحق إليه يأتونه رجالا لسرعة الإجابة لا يركبون وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا و هم رجال المطلع فرجال الظاهر هم الذين لهم التصرف في عالم الملك و الشهادة و هم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن قائد الأواني و هو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشبل البغدادي أدبا مع الله أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله قال لما اجتمع محمد بن قائد الأواني و كان من الأفراد بأبي السعود هذا قال له يا أبا السعود إن الله قسم المملكة بيني و بينك فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا فقال له أبو السعود يا ابن قائد و هبتك سهمي نحن تركنا الحق يتصرف لنا و هو قوله تعالى فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا فامتثل أمر الله فقال لي أبو البدر قال لي أبو السعود إني أعطيت التصرف في العالم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله فتركته و ما ظهر علي منه شيء و أما رجال الباطن فهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب و الملكوت فيستنزلون الأرواح العلوية بهممهم فيما يريدونه و أعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة و إنما كان ذلك لمانع إلهي قوي يقتضيه مقام الأملاك أخبر الله به في قول جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه و سلم فقال وَما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ و من كان تنزله بأمر ربه لا تؤثر فيه الخاصية و لا ينزل بها نعم أرواح الكواكب تستنزل

بالأسماء و البخورات و أشباه ذلك لأنه تنزل معنوي و لمن يشاهد فيه صورا خيالي فإن ذات الكواكب لا تبرح من السماء مكانها و لكن قد جعل الله لمطارح شعاعاتها في عالم الكون و الفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بذلك كالري عند شرب الماء و الشبع عند الأكل و نبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر و الصحو حكمة أودعها العليم الحكيم جل و عز فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المنزلة و الصحف المطهرة و كلام العالم كله و نظم الحروف و الأسماء من جهة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصا إلهيا و أما رجال الحد فهم الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية عالم البرزخ و الجبروت فإنه تحت الجبر أ لا تراه مقهورا تحت سلطان ذوات الأذناب و هم طائفة منهم من الشهب الثواقب فما قهرهم إلا بجنسهم فعند هؤلاء الرجال استنزال أرواحها و إحضارها و هم رجال الأعراف و الأعراف سور حاجز بين الجنة و النار برزخ باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب فهو حد بين دار السعداء و دار الأشقياء دار أهل الرؤية و دار الحجاب و هؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور و لهم شهود الخطوط المتوهمة بين كل نقيضين مثل قوله بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ يَبْغِيٰانِ فلا يتعدون الحدود و هم رجال الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فلهم في كل حضرة دخول و استشراف و هم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكل موجود عن غيره من الموجودات العقلية و الحسية و أما رجال المطلع فهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية فيستنزلون بها منها ما شاء الله و هذا ليس لغيرهم و يستنزلون بها كل ما هو تحت تصريف الرجال الثلاثة رجال الحد و الباطن و الظاهر و هم أعظم الرجال و هم الملامية هذا في قوتهم و ما يظهر عليهم من ذلك شيء منهم أبو السعود و غيره فهم و العامة في ظهور العجز و ظاهر العوائد سواء و كان لأبي السعود في هؤلاء الرجال تميز بل كان من أكبرهم و سمعه أبو البدر على ما حدثنا مشافهة يقول إن من رجال الله من يتكلم على الخاطر و ما هو مع الخاطر أي لا علم له بصاحبه و لا يقصد التعريف به و لما وصف لنا عمر البزاز و أبو البدر و غيرهما حال هذا الشيخ رأيناه يجري مع أحوال هذا الصنف العالي من رجال الله قال لي أبو البدر كان كثيرا ما ينشد بيتا لم نسمع منه غيره و هو

و أثبت في مستنقع الموت رجله و قال لها من دون أخمصك الحشر

و كان يقول ما هو إلا الصلوات الخمس و انتظار الموت و تحت هذا الكلام علم كبير و كان يقول الرجل مع الله تعالى كساعي الطير فم مشغول و قدم تسعى و هذا كله أكبر حالات الرجال مع الله إذ الكبير من الرجال من يعامل كل موطن بما يستحقه و موطن هذه الدنيا لا يمكن أن يعامله المحقق إلا بما ذكره هذا الشيخ فإذا ظهر في هذه الدار من رجل خلاف هذه المعاملة علم إن ثم نفسا و لا بد إلا أن يكون مأمورا بما ظهر منه و هم الرسل و الأنبياء عليهم السلام و قد يكون بعض الورثة لهم أمر في وقت بذلك و هو مكر خفي فإنه انفصال عن مقام العبودية التي خلق الإنسان لها و أما سر المنزل و المنازل فهو ظهور الحق بالتجلي في صور كل ما سواه فلو لا تجليه لكل شيء ما ظهرت شيئية ذلك الشيء قال تعالى إِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فقوله إذا أَرَدْنٰاهُ هو التوجه الإلهي لإيجاد ذلك الشيء ثم قال أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فنفس سماع ذلك الشيء خطاب الحق تكون ذلك الشيء فهو بمنزلة سريان الواحد في منازل العدد فتظهر الأعداد إلى ما لا يتناهى بوجود الواحد في هذه

المنازل و لو لا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الأعداد و لا كان لها اسم و لو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة ما ظهر لذلك العدد عين فلا تجتمع عينه و اسمه معا أبدا فيقال اثنان ثلاثة أربعة خمسة إلى ما لا يتناهى و كل ما أسقطت واحدا من عدد معين زال اسم ذلك العدد و زالت حقيقته فالواحد بذاته يحفظ وجود أعيان الأعداد و باسمه يعدمها كذلك إذا قلت القديم فنى المحدث و إذا قلت الله فنى العالم و إذا أخليت العالم من حفظ الله لم يكن للعالم وجود و فنى و إذا سرى حفظ الله في العالم بقي العالم موجودا فبظهوره و تجليه يكون العالم باقيا و على هذه الطريقة أصحابنا و هي طريقة النبوة و المتكلمون من الأشاعرة أيضا عليها و هم القائلون بانعدام الأعراض لأنفسها و بهذا يصح افتقار العالم إلى الله في بقائه في كل نفس و لا يزال الله خلاقا على الدوام و غيرهم من أهل النظر لا يصح لهم هذا المقام و أخبرني جماعة من أهل النظر من علماء الرسوم أن طائفة من الحكماء عثروا على هذا و رأيته مذهبا لابن السيد البطليوسي في كتاب ألفه في هذا الفن وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و العشرون في معرفة أقطاب الرموز و تلويحات من أسرارهم و علومهم في الطريق)

ألا إن الرموز دليل صدق   على المعنى المغيب في الفؤاد
و إن العالمين له رموز   و ألغاز ليدعى بالعباد
و لو لا اللغز كان القول كفرا   و أدى العالمين إلى العناد
فهم بالرمز قد حسبوا فقالوا   بإهراق الدماء و بالفساد
فكيف بنا لو أن الأمر يبدو   بلا ستر يكون له استنادي
لقام بنا الشقاء هنا يقينا   و عند البعث في يوم التنادي
و لكن الغفور أقام سترا   ليسعدنا على رغم الأعادي

اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله بروح القدس و فهمك إن الرموز و الألغاز ليست مرادة لأنفسها و إنما هي مرادة لما رمزت له و لما ألغز فيها و مواضعها من القرآن آيات الاعتبار كلها و التنبيه على ذلك قوله تعالى وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ فالأمثال ما جاءت مطلوبة لأنفسها و إنما جاءت ليعلم منها ما ضربت له و ما نصبت من أجله مثلا مثل قوله تعالى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً فجعله كالباطل كما قال وَ زَهَقَ الْباطِلُ ثم قال وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ضربه مثلا للحق كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ و قال فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ أي تعجبوا و جوزوا و اعبروا إلى ما أردته بهذا التعريف و إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ من عبرت الوادي إذا جزته و كذلك الإشارة و الإيماء قال تعالى لنبيه زكريا أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً أي بالإشارة و كذلك فَأَشارَتْ إِلَيْهِ في قصة مريم لما نذرت للرحمن أن

تمسك عن الكلام و لهذا العلم رجال كبير قدرهم من أسرارهم سر الأزل و الأبد و الحال و الخيال و الرؤيا و البرازخ و أمثال هذه من النسب الإلهية و من علومهم خواص العلم بالحروف و الأسماء و الخواص المركبة و المفردة من كل شيء من العالم الطبيعي و هي الطبيعة المجهولة فأما علم سر الأزل فاعلم إن الأزل عبارة عن نفي الأولية لمن يوصف به و هو وصف لله تعالى من كونه إلها و إذا انتفت الأولية عنه تعالى من كونه إلها فهو المسمى بكل اسم سمي به نفسه أزلا من كونه متكلما فهو العالم الحي المريد القادر السميع البصير المتكلم الخالق البارئ المصور الملك لم يزل مسمى بهذه الأسماء و انتفت عنه أولية التقييد فسمع المسموع و أبصر المبصر إلى غير ذلك و أعيان المسموعات منا و المبصرات معدومة غير موجودة و هو يراها أزلا كما يعلمها أزلا و يميزها و يفصلها أزلا و لا عين لها في الوجود النفسي العيني بل هي أعيان ثابتة في رتبة الإمكان فالإمكانية لها أزلا كما هي لها حالا و أبدا لم تكن قط واجبة لنفسها ثم عادت ممكنة و لا محالا ثم عادت ممكنة بل كان الوجوب الوجودي الذاتي لله تعالى أزلا كذلك وجوب الإمكان للعالم أزلا فالله في مرتبته بأسمائه الحسنى يسمى منعوتا موصوفا تها فعين نسبة الأول له نسبة الآخر و الظاهر و الباطن لا يقال هو أول بنسبة كذا و لا آخر بنسبة كذا فإن الممكن مرتبط بواجب الوجود في وجوده و عدمه ارتباط افتقار إليه في وجوده فإن أوجده لم يزل في إمكانه و إن عدم لم يزل عن إمكانه فكما لم يدخل على الممكن في وجود عينه بعد أن كان معدوما صفة تزيله عن إمكانه كذلك لم يدخل على الخالق الواجب الوجود في إيجاده العالم وصف يزيله عن وجوب وجوده لنفسه فلا يعقل الحق إلا هكذا و لا يعقل الممكن لا هكذا فإن فهمت علمت معنى الحدوث و معنى القدم فقل بعد ذلك ما شئت فأولية العالم و آخريته أمر إضافي إن كان له آخر أما في الوجود فله آخر في كل زمان فرد و انتهاء عند أرباب الكشف و وافقتهم الحسبانية على ذلك كما وافقتهم الأشاعرة على إن العرض لا يبقى زمانين فالأول من العالم بالنسبة إلى ما يخلق بعده و الآخر من العالم بالنسبة إلى ما خلق قبلة و ليس كذلك معقولية الاسم الله بالأول و الآخر و الظاهر و الباطن فإن العالم يتعدد و الحق واحد لا يتعدد و لا يصح أن يكون أولا لنا فإن رتبته لا تناسب رتبتنا و لا تقبل رتبتنا أوليته و لو قبلت رتبتنا أوليته لاستحال علينا اسم الأولية بل كان ينطلق علينا اسم الثاني لأوليته و لسنا بثان له تعالى عن ذلك فليس هو بأول لنا فلهذا كان عين أوليته عين آخريته و هذا المدرك عزيز المنال يتعذر تصوره على من لا أنسة له بالعلوم الإلهية التي يعطيها التجلي و النظر الصحيح و إليه كان يشير أبو سعيد الخراز بقوله عرفت الله بجمعه بين الضدين ثم يتلو هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ فقد أبنت لك عن سر الأزل و إنه نعت سلبي و أما سر الأبد فهو نفي الآخرية فكما إن الممكن انتفت عنه الآخرية شرعا من حيث الجملة إذ الجنة و الإقامة فيها إلى غير نهاية كذلك الأولية بالنسبة إلى ترتيب الموجودات الزمانية معقولة موجودة فالعالم بذلك الاعتبار الإلهي لا يقال فيه أول و لا آخر و بالاعتبار الثاني هو أول و آخر بنسبتين مختلفتين بخلاف ذلك في إطلاقها على الحق عند العلماء بالله و أما سر الحال فهو الديمومة و ما لها أول و لا آخر و هو عين وجود كل موجود فقد عرفتك ببعض ما يعلمه رجال الرموز من الأسرار و سكت عن كثير فإن بابه واسع و علم الرؤيا و البرزخ و النسب الإلهية من هذا القبيل و الكلام فيها يطول و أما علومهم في الحروف و الأسماء فاعلم إن الحروف لها خواص و هي على ثلاثة

أضرب منها حروف رقمية و لفظية و مستحضرة و أعني بالمستحضرة الحروف التي يستحضرها الإنسان في وهمه و خياله و يصورها فأما إن يستحضر الحروف الرقمية أو الحروف اللفظية و ما ثم للحروف رتبة أخرى فيفعل بالاستحضار كما يفعل بالكتاب أو التلفظ فأما حروف التلفظ فلا تكون إلا أسماء فذلك خواص الأسماء و أما المرقومة فقد لا تكون أسماء و اختلف أصحاب هذا العلم في الحرف الواحد هل يفعل أم لا فرأيت منهم من منع من ذلك جماعة و لا شك أني لما خضت معهم في مثل هذا أوقفتهم على غلطهم في ذلك الذي ذهبوا إليه و إصابتهم و ما نقصهم من العبارة عن ذلك و منهم من أثبت الفعل للحرف الواحد و هؤلاء أيضا مثل الذين منعوا مخطئون و مصيبون و رأيت منهم جماعة و أعلمتهم بموضع الغلط و الإصابة فاعترفوا كما اعترف الآخرون و قلت للطائفتين جربوا ما عرفتم من ذلك على ما بيناه لكم فجربوه فوجدوا الأمر كما ذكرناه ففرحوا بذلك و لولا أني آليت عقدا أن لا يظهر مني أثر عن حرف لأريتهم من ذلك عجبا فاعلم إن الحرف الواحد سواء كان مرقوما أو متلفظا به إذا عرى القاصد للعمل به عن استحضاره في الرقم أو في اللفظ خيالا لم يعمل و إذا كان معه الاستحضار عمل فإنه مركب من استحضار و نطق أو رقم و غاب عن الطائفتين صورة الاستحضار مع الحرف الواحد فمن اتفق له الاستحضار مع الحرف الواحد و رأى العمل غفل عن الاستحضار و نسب العمل للحرف الواحد و من اتفق له التلفظ أو الرقم بالحرف الواحد دون استحضار فلم يعمل الحرف شيئا قال بمنع ذلك و ما واحد منهم تفطن لمعنى الاستحضار و هذه حروف الأمثال المركبة كالواوين و غيرهما فلما نبهناهم على مثل هذا جربوا ذلك فوجدوه صحيحا و هو علم ممقوت عقلا و شرعا فأما الحروف اللفظية فإن لها مراتب في العمل و بعض الحروف أعم عملا من بعض و أكثر فالواو أعم الحروف عملا لأن فيها قوة الحروف كلها و الهاء أقل الحروف عملا و ما بين هذين الحرفين من الحروف تعمل بحسب مراتبها على ما قررناه في كتاب المبادي و الغايات فيما تتضمنه حروف المعجم من العجائب و الآيات و هذا العلم يسمى علم الأولياء و به تظهر أعيان الكائنات أ لا ترى تنبيه الحق على ذلك بقوله كُنْ فَيَكُونُ فظهر الكون عن الحروف و من هنا جعله الترمذي علم الأولياء و من هنا منع من منع أن يعمل الحرف الواحد فإنه رأى مع الاقتدار الإلهي لم يأت في الإيجاد حرف واحد و إنما أتى بثلاثة أحرف حرف غيبي و حرفين ظاهرين إذا كان الكائن واحدا فإن زاد على واحد ظهرت ثلاثة أحرف فهذه علوم هؤلاء الرجال المذكورين في هذا الباب و عمل أكثر رجال هذا العلم لذلك جدولا و أخطئوا فيه و ما صح فلا أدري أ بالقصد عملوا ذلك حتى يتركوا الناس في عماية من هذا العلم أم جهلوا ذلك و جرى فيه المتأخر على سنن المتقدم و به قال تلميذ جعفر الصادق و غيره و هذا هو الجدول في طبائع الحروف

حار	بارد	يابس	رطب
ا	ب	ج	د
ه	و	ز	ح
ط	ى	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

فكل حرف منها وقع في جدول الحرارة فهو حار و ما وقع منها في جدول البرودة فهو بارد و كذلك اليبوسة و الرطوبة و لم نر هذا الترتيب يصيب في كل عمل بل يعمل بالاتفاق كأعداد الوفق و اعلم أن هذه الحروف لم تكن لها هذه الخاصية من كونها حروفا و إنما كان لها من كونها أشكالا فلما كانت ذوات أشكال كانت الخاصية

للشكل و لهذا يختلف عملها باختلاف الأقلام لأن الأشكال تختلف فأما الرقمية فأشكالها محسوسة بالبصر فإذا وجدت أعيانها و صحبتها أرواحها و حياتها الذاتية كانت الخاصية لذلك الحرف لشكله و تركيبه مع روحه و كذلك إن كان الشكل مركبا من حرفين أو ثلاثة أو أكثر كان للشكل روح آخر ليس الروح الذي كان للحرف على انفراده فإن ذلك الروح يذهب و تبقي حياة الحرف معه فإن الشكل لا بد بره سوى روح واحد و ينتقل روح ذلك الحرف الواحد إلى البرزخ مع الأرواح فإن موت الشكل زواله بالمحو و هذا الشكل الآخر المركب من حرفين أو ثلاثة أو ما كان ليس هو عين الحرف الأول الذي لم يكن مركبا إن عمرا ليس هو عين زيد و إن كان مثله و أما الحروف اللفظية فإنها تتشكل في الهواء و لهذا تتصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلم فإذا تشكلت في الهواء قامت بها أرواحها و هذه الحروف لا يزال الهواء يمسك عليها شكلها و إن انقضى عملها فإن عملها إنما يكون في أول ما تتشكل في الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الأمم فيكون شغلها تسبيح ربها و تصعد علوا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ و هو عين شكل الكلمة من حيث ما هي شكل مسبح لله تعالى و لو كانت كلمة كفر فإن ذلك يعود وباله على المتكلم بها لا عليها و لهذا قال الشارع إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفا فجعل العقوبة للمتلفظ بها بسببها و ما تعرض إليها فهذا كلام الله سبحانه يعظم و يمجد و يقدس المكتوب في المصاحف و يقرأ على جهة القربة إلى الله و فيه جميع ما قالت اليهود و النصارى في حق الله من الكفر و السب و هي كلمات كفر عاد وبالها على قائلها و بقيت الكلمات على بابها تتولى يوم القيامة عذاب أصحابها أو نعيمهم و هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها بخلاف الحروف الرقمية و ذلك لأن شكل الحرف الرقمي و الكلمة الرقمية تقبل التغيير و الزوال لأنه في محل يقبل ذلك و الأشكال اللفظية في محل لا يقبل ذلك و لهذا كان لها البقاء فالجو كله مملوء من كلام العالم يراه صاحب الكشف صورا قائمة و أما الحروف المستحضرة فإنها باقية إذ كان وجود أشكالها في البرزخ لا في الحس و فعلها أقوى من فعل سائر الحروف و لكن إذا استحكم سلطان استحضارها و اتحد المستحضر لها و لم يبق فيه متسع لغيرها و يعلم ما هي خاصيتها حتى يستحضرها من أجل ذلك فيرى أثرها فهذا شبيه الفعل بالهمة و إن لم يعلم ما تعطيه فإنه يقع الفعل في الوجود و لا علم له به و كذلك سائر أشكال الحروف في كل مرتبة و هذا الفعل بالحرف المستحضر يعبر عنه بعض من لا علم له بالهمة و بالصدق و ليس كذلك و إن كانت الهمة روحا للحرف المستحضر لا عين الشكل المستحضر و هذه الحضرة تعم الحروف كلها لفظيها و رقميها فإذا علمت خواص الأشكال وقع الفعل بها علما لكاتبها أو المتلفظ بها و إن لم يعين ما هي مرتبطة به من الانفعالات لا يعلم ذلك و قد أينا من قرأ آية من القرآن و ما عنده خبر فرأى أثرا غريبا حدث و كان ذا فطنة فرجع في تلاوته من قريب لينظر ذلك الأثر بأية آية يختص فجعل يقرأ و ينظر فمر بالآية التي لها ذلك الأثر فرأى الفعل فتعداها فلم ير ذلك الأثر فعاود ذلك مرارا حتى تحققه فاتخذها لذلك الانفعال و رجع كلما أراد أن يرى ذلك الانفعال تلا تلك الآية فظهر له ذلك الأثر و هو علم شريف في نفسه إلا أن السلامة منه عزيزة فالأولى ترك طلبه فإنه من العلم الذي اختص الله به أولياءه على الجملة و إن كان عند بعض الناس منه قليل و لكن من غير الطريق الذي يناله الصالحون و لهذا يشقى به

من هو عنده و لا يسعد فالله يجعلنا من العلماء بالله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع و العشرون في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك و هو من منزل العالم النوراني)

بعين المبصرات و لا رأتها | و لو لا النور ما اتصلت عيون
بأعيان الأمور فأدركتها | و لو لا الحق ما اتصلت عقول
تعد مغايرات أنكرتها | إذا سألت عقول عن ذوات
تمد ذوات خلق أظهرتها | شو قالت ما علمنا غير ذات
فمهما عينت أمرا عنتها | شهي المعنى و نحن لها حروف

اعلم أيها الولي الحميم تولاك الله بعنايته إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فقدم محبته إياهم على محبتهم إياه و قال أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي فقدم إجابته لنا إذا دعوناه على إجابتنا له إذا دعانا و جعل الاستجابة من العبيد لأنها أبلغ من الإجابة فإنه لا مانع له من الإجابة سبحانه فلا فائدة للتأكيد و للإنسان موانع من الإجابة لما دعاه الله إليه و هي الهوى و النفس و الشيطان و الدنيا فلذلك أمر بالاستجابة فإن الاستفعال أشد في المبالغة من الأفعال و أين الاستخراج من الإخراج و لهذا يطلب الكون من الله العون في أفعاله و يستحيل على الله أن يستعين بمخلوق قال تعالى تعليما لنا أن نقول وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ من هذا الباب فلهذا قال في هذا الباب صل فقد نويت وصالك فقد قدم الإرادة منه لذلك فقال صل فإذا تعملت في الوصلة فذلك عين وصلته بك فلذلك جعلها نية لا عملا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول الله تعالى من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا و هذا قرب مخصوص يرجع إلى ما تتقرب إليه سبحانه به من الأعمال و الأحوال فإن القرب العام قوله تعالى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ فضاعف القرب بالذراع فإن الذراع ضعف للبشر أي قوله صل هو قرب ثم تقريب إليه شبرا فتبدي لك إنك ما تقربت إليه إلا به لأنه لو لا ما دعاك و بين لك طريق القربة و أخذ بناصيتك فيها ما تمكن لك أن تعرف الطريق التي تقرب منه ما هي و لو عرفتها لم يكن لك حول و لا قوة إلا به و لما كان القرب بالسلوك و السفر إليه لذلك كان من صفته النور لنهتدي به في الطريق كما قال تعالى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ و هو السلوك الظاهر بالأعمال البدنية وَالْبَحْرِ و هو السلوك الباطن المعنوي بالأعمال النفسية فأصحاب هذا الباب معارفهم مكتسبة لا موهوبة و أكلهم من تحت أقدامهم أي من كسبهم لها و اجتهادهم في تحصيلها و لو لا ما أرادهم الحق لذلك ما وفقهم و لا استعملهم حين طرد غيرهم بالمعنى و دعاهم بالأمر فحرمهم الوصول بحرمانه إياهم استعمال الأسباب التي جعلها طريقا إلى الوصول من حضرة القرب و لذلك بشرهم فقال صل فقد نويت وصالك فسبقت لهم العناية فسلكوا و هم الذين أمرهم الله بلباس النعلين في الصلاة إذ كان القاعد لا يلبس النعلين و إنما وضعت للماشي فيها فدل إن المصلي يمشي في صلاته و مناجاة ربه في الآيات التي يناجيه فيها منزلا منزلا كل آية منزل و حال فقال لهم يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ قال الصاحب لما نزلت هذه الآية أمرنا فيها بالصلاة في النعلين فكان ذلك تنبيها من الله تعالى للمصلي أنه يمشي على منازل ما يتلوه في صلاته من سور القرآن إذ كانت السور هي المنازل لغة قال النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

أراد منزلة و قيل لموسى ع فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ أي قد وصلت المنزل فإنه كلمة الله بغير واسطة بكلامه سبحانه بلا ترجمان و لذلك أكده في التعريف لنا بالمصدر فقال تعالى وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً و من وصل إلى المنزل خلع نعليه فبانت رتبة المصلي بالنعلين و ما معنى المناجاة في الصلاة و إنها ليست بمعنى الكلام الذي حصل لموسى ع فإنه قال في المصلي يناجي و المناجاة فعل فاعلين فلا بد من لباس النعلين إذ كان المصلي مترددا بين حقيقتين و التردد بين أمرين يعطي المشي بينهما بالمعنى دل عليه باللفظ لباس النعلين و دل عليه قول الله تعالى بترجمة النبي صلى الله عليه و سلم عنه قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل ثم قال يقول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فوصفه إن العبد مع نفسه في قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ يسمع خالقه و مناجيه ثم يرحل العبد من منزل قوله إلى منزل سمعه ليسمع ما يجيبه الحق تعالى على قوله و هذا هو السفر فلهذا لبس نعليه ليسلك بهما الطريق الذي بين هذين المنزلين فإذا رحل إلى منزل سمعه سمع الحق يقول له حمدني عبدي فيرحل من منزل سمعه إلى منزل قوله فيقول الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فإذا فرغ رحل إلى منزل سمعه فإذا نزل سمع الحق تعالى يقول له أثنى على عبدي فلا يزال مترددا في مناجاته قولا ثم له رحلة أخرى من حال قيامه في الصلاة إلى حال ركوعه فيرحل من صفة القيومية إلى صفة العظمة فيقول سبحان ربي العظيم و بحمده ثم يرفع و هو رحلته من مقام التعظيم إلى مقام النيابة فيقول سمع الله لمن حمده قال النبي صلى الله عليه و سلم إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد فلهذا جعلنا الرفع من الركوع نيابة عن الحق و رجوعا إلى القيومية فإذا سجد اندرجت العظمة في الرفعة الإلهية فيقول الساجد سبحان ربي الأعلى و بحمده فإن السجود يناقض العلو فإذا خلص العلو لله ثم رفع رأسه من السجود و استوى جالسا و هو قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فيقول رب اغفر لي و ارحمني و اهدني و ارزقني و اجبرني و عافني و اعف عني فهذه كلها منازل و مناهل في الصلاة فعلا فهو مسافر من حال إلى حال فمن كان حاله السفر دائما كيف لا يقال له البس نعليك أي استعن في سيرك بالكتاب و السنة و هي زينة كل مسجد فإن أحوال الصلاة و ما يطرأ فيها من كلام الله و ما يتعرض في ذلك من الشبه في غوامض الآيات المتلوة و كون الإنسان في الصلاة يجعل الله في قبلته فيجده فهذه كلها بمنزلة الشوك و الوعر الذي يكون بالطريق و لا سيما طريق التكليف فأمر بلباس النعلين ليتقي بهما ما ذكرناه من الأذى لقدمي السالك اللتين هما عبارة عن ظاهره و باطنه فلهذا جعلناهما الكتاب و السنة و أما نعلا موسى ع فليستا هذه فإنه قال له ربه فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ فروينا أنهما كانتا من جلد حمار ميت فجمعت ثلاثة أشياء الشيء الواحد الجلد و هو ظاهر الأمر أي لا تقف مع الظاهر في كل الأحوال و الثاني البلادة فإنها منسوبة إلى الحمار و الثالث كونه ميتا غير مذكى و الموت الجهل و إذا كنت ميتا لا تعقل ما تقول و لا ما يقال لك و المناجي لا بد أن يكون بصفة من يعقل ما يقول و

يقال له فيكون حي القلب فطنا بمواقع الكلام غواصا على المعاني التي يقصدها من يناجيه بها فإذا فرغ من صلاته سلم على من حضر سلام القادم من عند ربه إلى قومه بما أتحفه به فقد نبهتك على سر لباس النعلين في الصلاة في ظاهر الأمر و ما المراد بهما عند أهل طريق الله تعالى من العارفين قال صلى الله عليه و سلم الصلاة نور و النور يهتدى به و اسم الصلاة مأخوذة من المصلى و هو المتأخر الذي يلي السابق في الحلبة و لهذا ترجم هذا الباب بالوصلة و جعله من عالم النور و لأهل هذا المشهد نور خلع النعلين و نور لباس النعلين فهم المحمديون الموسويون المخاطبون من شجر الخلاف بلسان النور المشبه بالمصباح و هو نور ظاهر يمده نور باطن في زيت من شجرة زيتونة مباركة في خط الاعتدال منزهة عن تأثير الجهات كما كان الكلام لموسى ع من شجرة فهو نُورٌ عَلى نُورٍ أي نور من نور فأبدل حرف من بعلي لما يفهم به من قرينة الحال و قد تكون على على بابها فإن نور السراج الظاهر يعلو حسا على نور الزيت الباطن و هو الممد للمصباح فلو لا رطوبة الدهن تمد المصباح لم يكن للمصباح ذلك الدوام و كذلك إمداد التقوى للعلم العرفاني الحاصل منها في قوله تعالى وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ و قوله تعالى إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً لا يقطع ذلك العلم الإلهي فنور الزيت باطن في الزيت محمول فيه يسري منه معنى لطيف في رقيقة من رقائق الغيب لبقاء نور المصباح و لا لأقطاب هذا المقام أسرار منها سر الإمداد و سر النكاح و سر الجوارح و سر الغيرة و سر العنين و هو الذي لا يقوم بالنكاح و سر دائرة الزمهرير و سر وجود الحق في السراب و سر الحجب الإلهية و سر نطق الطير و الحيوان و سر البلوغ و سر الصديقين وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثامن و العشرون في معرفة أقطاب أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ)

العلم بالكيف مجهول و معلوم	لكنه بوجود الحق موسوم
فظاهر الكون تكييف و باطنه	علم يشار إليه فهو مكتوم
من أعجب الأمر أن الجهل من صفتي	بما لنا فهو في التحقيق معلوم
و كيف أدرك من بالعجز أدركه	و كيف أجهله و الجهل معدوم
قد حرت فيه و في أمري و لست أنا	سواه فالخلق ظلام و مظلوم
إن قلت إني يقول الإن منه أنا	أو قلت إنك قال الإن مفهوم
فالحمد لله لا أبغي به بدلا	و إنما الرزق بالتقدير مقسوم

اعلم أن أمهات المطالب أربعة و هي هل سؤال عن الوجود و ما و هو سؤال عن الحقيقة التي يعبر عنها بالماهية و كيف و هو سؤال عن الحال و لم و هو سؤال عن العلة و السبب و اختلف الناس فيما يصح منها أن يسأل بها عن الحق و اتفقوا على كلمة هل فإنه يتصور أن يسأل بها عن الحق و اختلفوا فيما بقي فمنهم من منع و منهم من أجاز فالذي منع و هم الفلاسفة و جماعة من الطائفة منعوا ذلك عقلا و منهم من منع ذلك

شرعا فأما صورة منعهم عقلا أنهم قالوا في مطلب ما إنه سؤال عن الماهية فهو سؤال عن الحد و الحق سبحانه لا حد له إذ كان الحد مركبا من جنس و فصل و هذا ممنوع في حق الحق لأن ذاته غير مركبة من أمر يقع فيه الاشتراك فيكون به في الجنس و أمر يقع به الامتياز و ما ثم إلا الله و الخلق و لا مناسبة بين الله و العالم و لا الصانع و المصنوع فلا مشاركة فلا جنس فلا فصل و الذي أجاز ذلك عقلا و منعه شرعا قال لا أقول إن الحد مركب من جنس و فصل بل أقول إن السؤال بما يطلب به العلم بحقيقة المسئول عنه و لا بد لكل معلوم أو مذكور من حقيقة يكون في نفسه عليها سواء كان على حقيقة يقع له فيها الاشتراك أو يكون على حقيقة لا يقع له فيها الاشتراك فالسؤال بما يتصور و لكن ما ورد به الشرع فمنعنا من السؤال به عن الحق لقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و أما منعهم الكيفية و هو السؤال بكيف فانقسموا أيضا قسمين فمن قائل بأنه سبحانه ما له كيفية لأن الحال أمر معقول زائد على كونه ذاتا و إذا قام بذاته أمر وجودي زائد على ذاته أدى إلى وجود واجبي الوجود لذاتهما أزلا و قد قام الدليل على إحالة ذلك و إنه لا واجب إلا هو لذاته فاستحالت الكيفية عقلا و من قائل إن له كيفية و لكن لا نعلم فهي ممنوعة شرعا لا عقلا لأنها خارجة عن الكيفيات المعقولة عندنا فلا تعلم و قد قال ليس كمثله شيء يعني في كل ما ينسب إليه مما نسبه إلى نفسه يقول هو على ما تنسبه إلى الحق و إن وقع الاشتراك في اللفظ فالمعنى مختلف و أما السؤال بلم فممنوع أيضا لأن أفعال الله تعالى لا تعلل لأن العلة موجبة للفعل فيكون الحق داخلا تحت موجب أوجب عليه هذا الفعل زائد على ذاته و أبطل غيره إطلاق لم على فعله شرعا بأن قال لا ينسب إليه ما لم ينسب إلى نفسه فهذا معنى قولي شرعا لا أنه ورد النهي من الله عن كل ما ذكرنا منعه شرعا و هذا كله كلام مدخول لا يقع التخليص منه بالصحة و الفساد إلا بعد طول عظيم هذا قد ذكرنا طريقة من منع و أما من أجاز السؤال عنه بهذه المطالب من العلماء فهم أهل الشرع منهم و سبب إجازتهم لذلك إن قالوا ما حجر الشرع علينا حجرناه و ما أوجب علينا أن نخوض فيه خضنا فيه طاعة أيضا و ما لم يرد فيه تحجير و لا وجوب فهو عافية إن شئنا تكلمنا فيه و إن شئنا سكتنا عنه و هو سبحانه ما نهى فرعون على لسان موسى عليه السلام عن سؤاله بقوله و ما رب العالمين بل أجاب بما يليق به الجواب عن ذاك الجناب العالي و إن كان وقع الجواب غير مطابق للسؤال فذلك راجع لاصطلاح من اصطلح على أنه لا يسأل بذلك إلا عن الماهية المركبة و اصطلح على إن الجواب بالأثر لا يكون جوابا لمن سأل بما و هذا الاصطلاح لا يلزم الخصم فلم يمنع إطلاق هذا السؤال بهذه الصيغة عليه إذ كانت الألفاظ لا تطلب لأنفسها و إنما تطلب لما تدل عليه من المعاني التي وضعت لها فإنها بحكم الوضع و ما كل طائفة وضعتها بإزاء ما وضعتها الأخرى فيكون الخلاف في عبارة لا في حقيقة و لا يعتبر الخلاف إلا في المعاني و أما إجازتهم الكيفية فمثل إجازتهم السؤال بما و يحتجون في ذلك بقوله تعالى سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و قوله إن لله عينا و أعينا و يدا و إن بيده الميزان يخفض و يرفع و هذه كلها كيفيات و إن كانت مجهولة لعدم الشبه في ذلك و أما إجازتهم السؤال بلم و هو سؤال عن العلة فلقوله تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فهذه لام العلة و السبب فإن ذلك في جواب من سأل لم خلق الله الجن و الإنس فقال الله لهذا السائل لِيَعْبُدُونِ أي لعبادتي فمن ادعى التحجير في إطلاق هذه العبارات فعليه بالدليل فيقال للجميع من المتشرعين المجوزين و المانعين كلكم

قال و ما أصاب و ما من شيء قلتموه من منع و جواز إلا و عليكم فيه دخل و الأولى التوقف عن الحكم بالمنع أو بالجواز هذا مع المتشرعين و أما غير المتشرعين من الحكماء فالخوض معهم في ذلك لا يجوز إلا إن أباح الشرع ذلك أو أوجبه و أما إن لم يرد في الخوض فيه معهم نطق من الشارع فلا سبيل إلى الخوض فيه معهم فعلا و يتوقف في الحكم في ذلك فلا يحكم على من خاض فيه أنه مصيب و لا مخطئ و كذلك فيمن ترك الخوض إذ لا حكم إلا للشرع فيما يجوز أن يتلفظ به أو لا يتلفظ به يكون ذلك طاعة أو غير طاعة فهذا يا ولي قد فصلنا لك مآخذ الناس في هذه المطالب و أما العلم النافع في ذلك أن نقول كما أنه سبحانه لا يشبه شيئًا كذلك لا تشبهه الأشياء و قد قام الدليل العقلي و الشرعي على نفي التشبيه و إثبات التنزيه من طريق المعنى و ما بقي الأمر إلا في إطلاق اللفظ عليه سبحانه الذي أباح لنا إطلاقه عليه في القرآن أو على لسان رسوله فأما إطلاقه عليه فلا يخلو إما أن يكون العبد مأمورا بذلك الإطلاق فيكون إطلاقه طاعة فرضا و يكون المتلفظ به مأجورا مطيعا مثل قوله في تكبيرة الإحرام الله أكبر و هي لفظة وزنها يقتضي المفاضلة و هو سبحانه لا يفاضل و إما أن يكون مخيرا فيكون بحسب ما يقصده المتلفظ و بحسب حكم الله فيه و إذا أطلقناه فلا يخلو الإنسان إما أن يطلقه و يصحب نفسه في ذاك الإطلاق المعنى المفهوم منه في الوضع بذلك اللسان أو لا يطلقه إلا تعبدا شرعيا على مراد الله فيه من غير أن يتصور المعنى الذي وضع له في ذلك اللسان كالفارسي الذي لا يعلم اللسان العربي و هو يتلو القرآن و لا يعقل معناه و له أجر التلاوة كذلك العربي فيما تشابه من القرآن و السنة يتلوه أو يذكر به ربه تعبدا شرعيا على مراد الله فيه من غير ميل إلى جانب بعينه مخصص فإن التنزيه و نفي التشبيه يطلبه أن وقف بوهمه عند التلاوة لهذه الآيات فالأسلم و الأولى في حق العبد أن يرد علم ذلك إلى الله في إرادته إطلاق تلك الألفاظ عليه إلا إن أطلعه الله على ذلك و ما المراد بتلك الألفاظ من نبي أو ولي محدث ملهم عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فيما يلهم فيه أو يحدث فذلك مباح له بل واجب عليه أن يعتقد المفهوم منه الذي أخبر به في الهامة أو في حديثه و ليعلم أن الآيات المتشابهات إنما نزلت ابتلاء من الله لعباده ثم بالغ سبحانه في نصيحة عباده في ذلك و نهاهم أن يتبعوا المتشابه بالحكم أي لا يحكموا عليه بشيء فإن تأويله لا يعلمه إلا الله و أما الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ إن علموه فبإعلام الله لا بفكرهم و اجتهادهم فإن الأمر أعظم أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي فالتسليم أولى وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و أما قوله أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ و أطلق النظر على الكيفيات فإن المراد بذلك بالضرورة المكيفات لا التكييف فإن التكييف راجع إلى حالة معقولة لها نسبة إلى المكيف و هو الله تعالى و ما أحد شاهد تعلق القدرة الإلهية بالأشياء عند إيجادها قال تعالى ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فالكيفيات المذكورة التي أمرنا بالنظر إليها لا فيها إنما ذلك لنتخذها عبرة و دلالة على إن لها من كيفها أي صيرها ذات كيفيات و هي الهيئات التي تكون عليها المخلوقات المكيفات فقال أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . . . وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ و غير ذلك و لا يصح أن تنظر إلا حتى تكون موجودة فننظر إليها و كيف اختلفت هيئاتها و لو أراد بالكيف حالة الإيجاد لم يقل انظر إليها فإنها ليست بموجودة فعلمنا إن الكيف المطلوب منا في رؤية الأشياء ما هو ما يتوهم من لا علم له بذلك أ لا تراه سبحانه لما أراد النظر الذي هو الفكر قرنه بحرف في و لم يصحبه لفظ كيف فقال تعالى أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي

مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ المعنى أن يفكروا في ذلك فيعلموا أنها لم تقم بأنفسها و إنما أقامها غيرها و هذا النظر لا يلزم منه وجود الأعيان مثل النظر الذي تقدم و إنما الإنسان كلف أن ينظر بفكره في ذلك لا بعينه و من الملكوت ما هو غيب و ما هو شهادة فما أمرنا قط بحرف في إلا في المخلوقات لا في الله لنستدل بذلك عليه أنه لا يشبهها إذ لو أشبهها لجاز عليه ما يجوز عليها من حيث ما أشبهها و كان يؤدي ذلك إلى أحد محظورين إما أن يشبهها من جميع الوجوه و هو محال لما ذكرناه أو يشبهها من بعض الوجوه و لا يشبهها من بعض الوجوه فتكون ذاته مركبة من أمرين و التركيب في ذات الحق محال فالتشبيه محال و الذي يليق بهذا الباب من الكلام يتعذر إيراده مجموعا في باب واحد لما يسبق إلى الأوهام الضعيفة من ذلك لما فيه من الغموض و لكن جعلناه مبددا في أبواب هذا الكتاب فاجعل بالك منه في أبواب الكتاب تعثر على مجموع هذا الباب و لا سيما حيثما وقع لك مسألة تجل إلهي فهناك قف و انظر تجد ما ذكرته لك مما يليق بهذا الباب و القرآن مشحون بالكيفية فإن الكيفيات أحوال و الأحوال منها ذاتية للمكيف و منها غير ذاتية و الذاتية حكمها حكم المكيف سواء كان المكيف يستدعي مكيفا في كيفيته أو كان لا يستدعي مكيفا لتكييفه بل كيفيته عين ذاته و ذاته لا تستدعي غيرها لأنها لنفسها هي فكيفيته كذلك لأنها عينه لا غيره و لا زائد عليه فافهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب التاسع و العشرون)

في معرفة سر سلمان الذي ألحقه بأهل البيت و الأقطاب الذين ورثه منهم و معرفة أسرارهم

العبد مرتبط بالرب ليس له عنه انفصال يرى فعلا و تقديرا
و الابن أنزل منه في العلى درجا قد حرر الشرع فيه العلم تحريرا
فالابن ينظر في أموال والده إذ كان وارثه شحا و تقتيرا
و الابن يطمع في تحصيل رتبته و أن يراه مع الأموات مقبورا
و العبد قيمته من مال سيده إليه يرجع مختارا و مجبورا
و العبد مقداره في جاه سيده فلا يزال بستر العز مستورا
الذل يصحبه في نفسه أبدا فلا يزال مع الأنفاس مقهورا
و الابن في نفسه من أجل والده عز فيطلب توقيرا و تعزيرا

اعلم أيدك الله أنا روينا من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال مولى القوم منهم و خرج الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال أهل القرآن هم أهل الله و خاصته و قال تعالى في حق المختصين من عباده إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ فكل عبد إلهي توجه لأحد عليه

حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله بقدر ذلك الحق فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه و له عليه سلطان به فلا يكون عبدا محضا خالصا لله و هذا هو الذي رجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق و لزومهم السياحات و البراري و السواحل و الفرار من الناس و الخروج عن ملك الحيوان فإنهم يريدون الحرية من جميع الأكوان و لقيت منهم جماعة كبيرة في أيام سياحتي و من الزمان الذي حصل لي فيه هذا المقام ما ملكت حيوانا أصلا بل و لا الثوب الذي ألبسه فإني لا ألبسه إلا عارية لشخص معين أذن لي في التصرف فيه و الزمان الذي أتملك الشيء فيه أخرج عنه في ذلك الوقت إما بالهبة أو بالعتق إن كان ممن يعتق و هذا حصل لي لما أردت التحقق بعبودية الاختصاص لله قيل لي لا يصح لك ذلك حتى لا يقوم لأحد عليك حجة قلت و لا لله إن شاء الله قيل لي و كيف يصح لك أن لا يقوم لله عليك حجة قلت إنما تقام الحجج على المنكرين لا على المعترفين و على أهل الدعاوي و أصحاب الحظوظ لا على من قال مالي حق و لا حظ و لما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم عبدا محضا قد طهره الله و أهل بيته تطهيرا و أذهب عنهم الرجس و هو كل ما يشينهم فإن الرجس هو القذر عند العرب هكذا حكي الفراء قال تعالى إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فلا يضاف إليهم إلا مطهر و لا بد فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة و التقديس فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه و سلم لسلمان الفارسي بالطهارة و الحفظ الإلهي و العصمة حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم سلمان منا أهل البيت و شهد الله لهم بالتطهير و ذهاب الرجس عنهم و إذا كان لا ينضاف إليهم إلا مطهر مقدس و حصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون بل هم عين الطهارة فهذه الآية تدل على إن الله قد شرك أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله تعالى لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ و أي وسخ و قذر أقذر من الذنوب و أوسخ فطهر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه و سلم بالمغفرة فما هو ذنب بالنسبة إلينا لو وقع منه صلى الله عليه و سلم لكان ذنبا في الصورة لا في المعنى لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله و لا منا شرعا فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبة ما يصحب الذنب من المذمة و لم يصدق قوله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم و من هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران فهم المطهرون اختصاصا من الله و عناية بهم لشرف محمد صلى الله عليه و سلم و عناية الله به و لا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة فإنهم يحشرون مغفورا لهم و أما في الدنيا فمن أتى منهم حدا أقيم عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره و قد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كماعز و أمثاله و لا يجوز ذمه و ينبغي لكل مسلم مؤمن بالله و بما أنزله أن يصدق الله تعالى في قوله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت إن الله قد عفا عنهم فيه فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم و لا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيره و ذهاب الرجس عنه لا بعمل عملوه و لا بخير قدموه بل سابق عناية من الله بهم ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ من يَشاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ و إذا صح الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع و تلحق المذمة

بعامله لكان مضافا لي أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم و هم المطهرون بالنص فسلمان منهم بلا شك فأرجو أن يكون عقب علي و سلمان تلحقهم هذه العناية كما لحقت أولاد الحسن و الحسين و عقبهم و موالي أهل البيت فإن رحمة الله واسعة يا ولي و إذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم و شرفهم ليس لأنفسهم و إنما الله تعالى هو الذي اجتباهم و كساهم حلة الشرف كيف يا ولي بمن أضيف إلى من له الحمد و المجد و الشرف لنفسه و ذاته فهو المجيد سبحانه و تعالى فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده و هم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة قال تعالى لإبليس إِنَّ عِبَادِي فأضافهم إليه لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ و ما تجد في القرآن عبادا مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة و جاء اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بحدود سيدهم الواقفين عند مراسمه فشرفهم أعلى و أتم و هؤلاء هم أقطاب هذا المقام و من هؤلاء الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت فكان رضي الله عنه من أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق و ما لأنفسهم و الخلق عليهم من الحقوق و أقواهم على أدائها و فيه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو كان الايمان بالثريا لنا له رجال من فارس و أشار إلى سلمان الفارسي و في تخصيص النبي ص ذكر الثريا دون غيرها من الكواكب إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبعة لأنها سبعة كواكب فافهم فسر سلمان الذي ألحقه بأهل البيت ما أعطاه النبي صلى الله عليه و سلم من أداء كتابته و في هذا فقه عجيب فهو عتيقة صلى الله عليه و سلم و مولى القوم منهم و الكل موالي الحق و رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و كل شيء عبده و مولاه و بعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله و أنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلا فإن الله طهرهم فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه و لو ظلموه فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في نفس الأمر و إن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر يشبه جرى المقادير علينا في ماله و نفسه بغرق أو بحرق و غير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق أو يموت له أحد أحبائه أو يصاب في نفسه و هذا كله مما لا يوافق غرضه و لا يجوز له أن يذم قدر الله و لا قضاءه بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم و الرضي و إن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر و إن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر فإن في طي ذلك نعما من الله لهذا المصاب و ليس وراء ما ذكرناه خير فإنه ما وراءه ليس إلا الضجر و السخط و عدم الرضي و سوء الأدب مع الله فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله و نفسه و عرضه و أهله و ذويه فيقابل ذلك كله بالرضى و التسليم و الصبر و لا يلحق المذمة بهم أصلا و إن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعا فذلك لا يقدح في هذا بل يجريه مجرى المقادير و إنما منعنا تعليق الذم بهم إذ ميزهم الله عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم و أما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقترض من اليهود و إذا طالبوه بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن و إن تطاول اليهودي عليه بالقول يقول دعوه إن لصاحب الحق مقالا و قال صلى الله عليه و سلم في قصة لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء و على أي حال يشاء فهذه حقوق الله و مع هذا لم يذمهم الله و إنما كلامنا في حقوقنا و ما لنا أن نطالبهم به فنحن مخيرون إن شئنا أخذنا و إن شئنا تركنا و الترك أفضل عموما فكيف في أهل البيت و ليس

لنا ذم أحد فكيف بأهل البيت فإنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا و عفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه منا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى و المكانة الزلفى فإن النبي صلى الله عليه و سلم ما طلب منا عن أمر الله إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى و فيه سر صلة الأرحام و من لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه بأي وجه يلقاه غدا أو يرجو شفاعته و هو ما أسعف نبيه صلى الله عليه و سلم فيما طلب منه من المودة في قرابته فكيف بأهل بيته فهم أخص القرابة ثم إنه جاء بلفظ المودة و هو الثبوت على المحبة فإنه من ثبت وده في أمر استصحبه في كل حال و إذا استصحبته المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه مما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة و إيثارا لنفسه لا عليها قال المحب الصادق وكل ما يفعل المحبوب محبوب وجاء باسم الحب فكيف حال المودة و من البشرى ورود اسم الودود لله تعالى و لا معنى لثبوتها إلا حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة و في النار لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم و قال الآخر في المعنى

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

و لنا في هذا المعنى

أحب لحبك الحبشان طرا و أعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل كانت الكلاب السود تناوشه و هو يتحبب إليها فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله و لا تورثه القربة من الله فهل هذا إلا من صدق الحب و ثبوت الود في النفس فلو صحت محبتك لله و لرسوله أحببت أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و رأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك و لا غرضك إنه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه و خطرت على باله و هم أهل بيت رسوله صلى الله عليه و سلم فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم ذكروك بالسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك و إذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذي أنت محتاج إليهم و لرسول صلى الله عليه و سلم حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودك الذي تزعم به أنك شديد الحب في و الرعاية لحقوقي أو لجانبي و أنت في حق أهل نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم و الله ما ذاك إلا من نقص إيمانك و من مكر الله بك و استدراجه إياك من حيث لا تعلم و صورة المكر أن تقول و تعتقد إنك في ذلك تذب عن دين الله و شرعه و تقول في طلب حقك إنك ما طلبت إلا ما أباح الله لك طلبه و يندرج الذم في ذلك الطلب المشروع و البغض و المقت و إيثارك نفسك على أهل البيت و أنت لا تشعر بذلك و الدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقا و تنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك و ما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حد أو إنصاف مظلوم أو رد حق إلى أهله فإن كنت حاكما و لا بد فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت فإن أبي حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه فلو كشف الله لك يا ولي عن منازلهم عند الله في الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم فالله يلهمنا رشد أنفسنا فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عن جميعهم و لما بينت لك أقطاب هذا المقام و أنهم عبيد الله المصطفون الأخيار فاعلم إن

أسرارهم التي أطلعنا الله عليها تجهلها العامة بل أكثر الخاصة التي ليس لها هذا المقام و الخضر منهم رضي الله عنه و هو من أكبرهم و قد شهد الله له أنه آتاه رحمة من عنده و علمه من لدنه علما اتبعه فيه كليم الله موسى عليه السلام الذي قال فيه صلى الله عليه و سلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت و ما قد نبه الله على علو رتبتهم في ذلك و من أسرارهم علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم مع دعواهم حب رسول الله صلى الله عليه و سلم و سؤاله المودة في القربى و هو صلى الله عليه و سلم من جملة أهل البيت فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أمر الله فعصوا الله و رسوله و ما أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان فأغراضهم أحبوا و بنفوسهم تعشقوا و من أسرارهم الاطلاع على صحة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمدية من حيث لا تعلم العلماء بها فإن الفقهاء و المحدثين الذين أخذوا علمهم ميتا عن ميت إنما المتأخر منهم هو فيه على غلبة ظن إذ كان النقل شهادة و التواتر عزيز ثم إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصا فيما حكموا به فإن النصوص عزيزة فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوة فهمهم فيه و لهذا اختلفوا و قد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نص آخر يعارضه و لم يصل إليهم و ما لم يصل إليهم ما تعبدوا به و لا يعرفون بأي وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله صلى الله عليه و سلم المشرع فأخذه أهل الله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في الكشف على الأمر الجلي و النص الصريح في الحكم أو عن الله بالبينة التي هم عليها من ربهم و البصيرة التي بها دعوا الخلق إلى الله عليها كما قال الله أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّه و قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي فلم يفرد نفسه بالبصيرة و شهد لهم بالاتباع في الحكم فلا يتبعونه إلا على بصيرة و هم عباد الله أهل هذا المقام و من أسرارهم أيضا إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الإلهي و ما تجلى لهم حتى اعتقدوا ذلك و من أين تصور الخلاف مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه فإنه ما اختلف فيه اثنان و إنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب و بما ذا يسمى ذلك السبب فمن قائل هو الطبيعة و من قائل هو الدهر و من قائل غير ذلك فاتفق الكل في إثباته و وجوب وجوده و هل هذا الخلاف يضرهم مع هذا الاستناد أم لا هذا كله من علوم أهل هذا المقام انتهى الجزء السابع عشر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثلاثون في معرفة الطبقة الأولى و الثانية من الأقطاب الركبان)

إن لله عبادا ركبوا نجب الأعمال في الليل البهيم
و ترقت همم الذل بهم لعزيز جل من فرد عليم
فاجتباهم و تجلى لهمو و تلقاهم بكأسات النديم
من يكن ذا رفعة في ذلة إنه يعرف مقدار العظيم

إنما يظهر فيها بالقديم رتبة الحادث إن حققتها
في رسول و نبي و قسيم إن لله علوما جمة
عالم الأنفاس أنفاس النسيم لطفت ذاتا فما يدركها

اعلم أيدك الله أن أصحاب النجب في العرف هم الركبان قال الشاعر

فليت لي بهمو قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فرسانا و ركبانا

الفرسان ركاب الخيل و الركبان ركاب الإبل فالأفراس في المعروف تركبها جميع الطوائف من عجم و عرب و الهجن لا يستعملها إلا العرب و العرب أرباب الفصاحة و الحماسة و الكرم و لما كانت هذه الصفات غالبة على هذه الطائفة سميناهم بالركبان فمنهم من يركب نجب الهمم و منهم من يركب نجب الأعمال فلذلك جعلناهم طبقتين أولى و ثانية و هؤلاء أصحاب الركبان هم الأفراد في هذه الطريقة فإنهم رضي الله عنهم على طبقات فمنهم الأقطاب و منهم الأئمة و منهم الأوتاد و منهم الأبدال و منهم النقباء و منهم النجباء و منهم الرجبيون و منهم الأفراد و ما منهم طائفة إلا و قد رأيت منهم و عاشرتهم ببلاد المغرب و ببلاد الحجاز و الشرق فهذا الباب مختص بالإفراد و هي طائفة خارجة عن حكم القطب وحدها ليس للقطب فيهم تصرف و لهم من الأعداد من الثلاثة إلى ما فوقها من الأفراد ليس لهم و لا لغيرهم فيما دون الفرد الأول الذي هو الثلاثة قدم فإن الأحدية و هو الواحد لذات الحق و الاثنان للمرتبة و هو توحيد الألوهية و الثلاثة أول وجود الكون عن الله فالأفراد في الملائكة الملائكة المهيمون في جمال الله و جلاله الخارجون عن الأملاك المسخرة و المدبرة اللذين هما في عالم التدوين و التسطير و هم من القلم و العقل إلى ما دون ذلك و الأفراد من الإنس مثل المهيمة من الأملاك فأول الأفراد الثلاثة و قد قال صلى الله عليه و سلم الثلاثة ركب فأول الركب الثلاثة إلى ما فوق ذلك و لهم من الحضرات الإلهية الحضرة الفردانية و فيها يتميزون و من الأسماء الإلهية الفرد و المواد الواردة على قلوبهم من المقام الذي ترد منه على الأملاك المهيمة و لهذا يجهل مقامهم و ما يأتون به مثل ما أنكر موسى عليه السلام على خضر مع شهادة الله فيه لموسى عليه السلام و تعريفه بمنزلته و تزكية الله إياه و أخذه العهد عليه إذ أراد صحبته و لما علم الخضر أن موسى عليه السلام ليس له ذوق في المقام الذي هو الخضر عليه كما إن الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى عليه من العلم الذي علمه الله إلا أن مقام الخضر لا يعطي الاعتراض على أحد من خلق الله لمشاهدة خاصة هو عليها و مقام موسى و الرسل يعطي الاعتراض من حيث هم رسل لا غير في كل ما يرونه خارجا عما أرسلوا به و دليل ما ذهبنا إليه في هذا قول الخضر لموسى عليه السلام وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً فلو كان الخضر نبيا لما قال له ما لَمْ تُحِطْ به خُبْراً فالذي فعله لم يكن من مقام النبوة و قال له في انفراد كل واحد منهما بمقامه الذي هو عليه قال الخضر لموسى عليه السلام يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا و افترقا و تميزا بالإنكار فالإنكار ليس من شأن الأفراد فإن لهم الأولية في الأمور فهم ينكر عليهم و لا ينكرون قال الجنيد لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف

صديق بأنه زنديق و ذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم و هم أصحاب العلم الذي كان يقول فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين يضرب بيده إلى صدره و يتنهد إن هاهنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة فإنه كان من الأفراد و لم يسمع هذا من غيره في زمانه إلا أبي هريرة ذكر مثل هذا خرج البخاري في صحيحة عنه أنه قال حملت عن النبي صلى الله عليه و سلم جوابين أما الواحد فبثثته فيكم و أما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم البلعوم مجرى الطعام فأبو هريرة ذكر أنه حمله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان فيه ناقلا عن غير ذوق و لكنه علم لكونه سمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن إنما نتكلم فيمن أعطى عين الفهم في كلام الله تعالى في نفسه و ذلك علم الأفراد و كان من الأفراد عبد الله بن العباس البحر كان يلقب به لاتساع علمه فكان يقول في قوله عز و جل اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لو ذكرت تفسيره لرجمتموني و في رواية لقلتم إني كافر و إلى هذا العلم كان يشير على ابن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليهم الصلاة و السلام بقوله فلا أدري هل هما من قيله أو تمثل بهما

يا رب جوهر علم لو أبوح به | لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
و لاستحل رجال مسلمون دمي | يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فنبه بقوله يعبد الوثنا على مقصوده ينظر إليه تأويل قوله صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته بإعادة الضمير على الله تعالى و هو من بعض محتملاته بالله يا أخي أنصفي فيما أقوله لك لا شك أنك قد أجمعت معي على أنه كل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأخبار في كل ما وصف به فيها ربه تعالى من الفرح و الضحك و التعجب و التبشبش و الغضب و التردد و الكراهة و المحبة و الشوق إن ذلك و أمثاله يجب الايمان به و التصديق فلو هبت نفحات من هذه الحضرة الإلهية كشفا و تجليا و تعريفا إلهيا على قلوب الأولياء بحيث أن يعلموا بإعلام الله و شاهدوا بإشهاد الله من هذه الأمور المعبر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرسول و قد وقع الايمان مني و منك بهذا كله إذا أتى بمثله هذا الولي في حق الله تعالى ألست تزندقه كما قال الجنيد ألست تقول إن هذا مشبه هذا عابد وثن كيف وصف الحق بما وصف به المخلوق ما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هذا كما قال علي بن الحسين ألست كنت تقتله أو تفتي بقتله كما قال ابن عباس فبأي شيء آمنت و سلمت لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه و سلم في حق الله من الأمور التي تحيلها الأدلة العقلية و منعت من تأويلها و الأشعري تأولها على وجوه من التنزيه في زعمه فأين الإنصاف فهلا قلت القدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما أعطت للنبي من علوم الأسرار فإن ذلك ليس من خصائص النبوة و لا حجر الشارع على أمته هذا الباب و لا تكلم فيه بشيء بل قال إن يكن في أمتي محدثون فعمر منهم فقد أثبت النبي صلى الله عليه و سلم أن ثم من يحدث ممن ليس بنبي و قد يحدث بمثل هذا فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال و الحرام فإن ذلك أعني التشريع من خصائص النبوة و ليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهية من خصائص نبوة التشريع بل هي سارية في عباد الله من رسول و ولي و تابع و متبوع يا ولي فأين الإنصاف منك أليس هذا موجودا في الفقهاء و أصحاب الأفكار الذين هم فراعنة الأولياء و

دجاجة عباد الله الصالحين و الله يقول لمن عمل منا بما شرع الله له إن الله يعلمه و يتولى تعليمه بعلوم أنتجتها أعماله قال تعالى وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و قال إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و من أقطاب هذا المقام عمر بن الخطاب و أحمد بن حنبل و لهذا قال صلى الله عليه و سلم في عمر بن الخطاب يذكر ما أعطاه الله من القوة يا عمر ما لقيك الشيطان في فج إلا سلك فجا غير فجك ! فدل على عصمته بشهادة المعصوم و قد علمنا إن الشيطان ما يسلك قط بنا إلا إلى الباطل و هو غير فج عمر بن الخطاب فما كان عمر يسلك إلا فجاج الحق بالنص فكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم في جميع مسالكه و للحق صولة و لما كان الحق صعب المرام قويا حمله على النفوس لا تحمله و لا تقبله بل تمجه و ترده لهذا قال صلى الله عليه و سلم ما ترك الحق لعمر من صديق و صدق صلى الله عليه و سلم يعني في الظاهر و الباطن أما في الظاهر فلعدم الإنصاف و حب الرئاسة و خروج الإنسان عن عبوديته و اشتغاله بما لا يعنيه و عدم تفرغه لما دعي إليه من شغله بنفسه و عيبه عن عيوب الناس و أما في الباطن فما ترك الحق لعمر في قلبه من صديق فما كان له تعلق إلا بالله ثم الطامة الكبرى أنك إذا قلت لواحد من هذه الطائفة المنكرة اشتغل بنفسك يقول لك إنما أقوم حماية لدين الله و غيرة له و الغيرة لله من الايمان و أمثال هذا و لا يسكن و لا ينظر هل ذلك من قبيل الإمكان أم لا أعني أن يكون الله قد عرف وليا من أوليائه بما يجريه في خلقه كالخضر و يعلمه علوما من لدنه تكون العبارة عنها بهذه الصيغ التي ينطق بها الرسول صلى الله عليه و سلم كما قال الخضر وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي و آمن هذا المنكر بها على زعمه إذ جاء بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فو الله لو كان مؤمنا بها ما أنكرها على هذا الولي لأن الشارع ما أنكر إطلاقها في جناب الحق من استواء و نزول و معية و ضحك و فرح و تبشبش و تعجب و أمثال ذلك و ما ورد عنه صلى الله عليه و سلم قط أنه حجرها على أحد من عباد الله بل أخبر عن الله أنه يقول لنا لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ففتح لنا و ندبنا إلى التأسي به صلى الله عليه و سلم و قال فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ و هذا من اتباعه و التأسي به فمن التأسي به إذا ورد علينا من الحق سبحانه وارد حق فعلمنا من لدنه علما فيه رحمة حبانا الله بها و عناية حيث كنا في ذلك على بينة من ربنا و يتلوها شاهد منا و هو اتباعنا سنته و ما شرع لنا لم نخل بشيء منها و لا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل فنطلب لذلك المعلوم الذي علمناه من جانب الحق أمثال هذه العبارات النبوية لنفصح بها عن ذلك و لا سيما إذا سألنا عن شيء من ذلك لأن الله أخبر عمن هذه صفته أنه يدعو إلى الله على بصيرة فمن التأسي المأمور به برسول الله صلى الله عليه و سلم أن نطلق على تلك المعاني هذه الألفاظ النبوية إذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لا طلقها صلى الله عليه و سلم فإنه المأمور بتبيين ما أنزل به علينا و لا نعدل إلى غيرها لما نريده من البيان مع التحقق ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فإنا إذا عدلنا إلى عبارة غيرها ادعينا بذلك أنا أعلم بحق الله و أنزه من رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذا أسوأ ما يكون من الأدب ثم إن المعنى لا بد أن يختل عند السامع إذ كان ذلك اللفظ الذي خالفت به لفظ من كان أفصح الناس و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم و القرآن لا يدل على ذلك المعنى بحكم المطابقة فشرع لنا التأسي و غاب هذا المنكر المكفر من أتى بمثل هذا عن النظر في هذا كله و ذلك لأمرين أو لأحدهما إن كان عالما فلحسد قام به قال تعالى حَسَداً من

عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ و إن كان جاهلا فهو بالنبوة أجهل يا ولي لقينا من أقطاب هذا المقام بجبل أبي قبيس بمكة في يوم واحد ما يزيد على السبعين رجلا و ليس لهذه الطبقة تلميذ في طريقهم أصلا و لا يسلكون أحدا بطريق التربية لكن لهم الوصية و النصيحة و نشر العلم فمن وفق أخذ به و يقال إن أبا السعود بن الشبل كان منهم و ما لقيته و لا رأيته و لكن شممت له رائحة طيبة و نفسا عطريا و بلغني أن عبد القادر الجيلي و كان عدلا قطب وقته شهد لمحمد بن قائد الأواني بهذا المقام كذا نقل إلي و العهدة على الناقل فإن ابن قائد زعم أنه ما رأى هناك أمامه سوى قدم نبيه و هذا لا يكون إلا لأفراد الوقت فإن لم يكن من الأفراد فلا بد أن يرى قدم قطب وقته أمامه زائدا على قدم نبيه إن كان إماما و إن كان وتدا فيرى أمامه ثلاثة أقدام و إن كان بدلا يرى أربعة قدام و هكذا إلا أنه لا بد أن يكون في حضرة الاتباع مقاما فإذا لم يقم في حضرات الاتباع و عدل به عن يمين الطريق بين المخدع و بين الطريق فإنه لا يبصر قدما أمامه و ذلك هو طريق الوجه الخاص الذي من الحق إلى كل موجود و من ذلك الوجه الخاص تنكشف للأولياء هذه العلوم التي تنكر عليهم و يزندقون بها و يزندقهم بها و يكفرهم من يؤمن بها إذا جاءته عن الرسل و هي العلوم عينها و هي التي ذكرناها آنفا و لأصحاب هذا المقام التصريف و التصرف في العالم فالطبقة الأولى من هؤلاء تركت التصرف لله في خلقه مع التمكن و تولية الحق لهم إياه تمكنا لا أمرا لكن عرضا فلبسوا الستر و دخلوا في سرادقات الغيب و استتر و بحجب العوائد و لزموا العبودة و الافتقار و هم الفتيان الظرفاء الملامتية الأخفياء الأبرياء و كان أبو السعود منهم كان رحمه الله ممن امتثل أمر الله في قوله تعالى فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا فالوكيل له التصرف فلو أمر امتثل الأمر هذا من شأنهم و أما عبد القادر فالظاهر من حاله إنه كان مأمورا بالتصرف فلهذا ظهر عليه هذا هو الظن بأمثاله و أما محمد الأواني فكان يذكر إن الله أعطاه التصرف فقبله فكان يتصرف و لم يكن مأمورا فابتلي فنقصه من المعرفة القدر الذي علا أبو السعود به عليه فنطق أبو السعود بلسان الطبقة الأولى من طائفة الركبان و سميناهم أقطابا لثبوتهم و لأن هذا المقام أعني مقام العبودة يدور عليهم لم أرد بقطبيتهم أن لهم جماعة تحت أمرهم يكونون رؤساء عليهم و أقطابا لهم هم أجل من ذلك و أعلى فلا رياسة أصلا لهم في نفوسهم لتحققهم بعبوديتهم و لم يكن لهم أمر إلهي بالتقدم فما ورد عليهم فيلزمهم طاعته لما هم عليه من التحقق أيضا بالعبودية فيكونون قائمين به في مقام العبودية بامتثال أمر سيدهم و أما مع التخيير و العرض أو طلب تحصيل المقام فإنه لا يظهر به إلا من لم يتحقق بالعبودة التي خلق لها فهذا يا ولي قد عرفتك في هذا الباب بمقاماتهم و بقي التعريف بأصولهم و تعيين أحوال الأقطاب المدبرين من الطبقة الثانية منهم نذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ لا رب غيره

(الباب الحادي و الثلاثون في معرفة أصول الركبان)

حدب الدهر علينا و حنا ... و مضى في حكمه و ما ونى

و عشقناه فغنينا عسى ... يطرب الدهر بإيقاع الغنا

نحن حكمناك في أنفسنا ... فاحكم إن شئت علينا أو لنا

كان ذاك الحكم للدهر بنا　　و لقد كان له الحكم و ما

صرف الدهر كذا صرفنا　　فشفيعي هو دهري و الذي

جعل السر لدينا علنا　　فركبنا نطلب الأصل الذي

و له منا الذي سكننا　　فلنا منه الذي حركنا

أنه قال له ما سكنا　　حركات الدهر فينا شهدت

و أنا حق و ما الحق أنا　　فأنا العبد الذليل المجتبى

اعلم أيدك الله أن الأصول التي اعتمد عليها الركبان كثيرة منها التبري من الحركة إذا أقيموا فيها فلهذا ركبوا فهم الساكنون على مراكبهم المتحركون بتحريك مراكبهم فهم يقطعون ما أمروا بقطعه بغيرهم لا بهم فيصلون مستريحين مما تعطيه مشقة الحركة متبرءين من الدعوى التي تعطيها الحركة حتى لو افتخروا بقطع المسافات البعيدة في الزمان القليل لكان ذلك الفخر راجعا للمركب الذي قطع بهم تلك المسافة لا لهم فلهم التبري و ما لهم الدعوى فهجيرهم لا حول و لا قوة إلا بالله و آيتهم وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمى يقال لهم و ما قطعتم هذه المسافات حين قطعتموها و لكن الركاب قطعتها فهم المحمولون فليس للعبد صولة لا بسلطان سيده و له الذلة و العجز و المهانة و الضعف من نفسه و لما رأوا أن الله قد نبه بقوله تعالى وَ لَهُ ما سَكَنَ فأخلصه له علموا إن الحركة فيها الدعوى و أن السكون لا تشوبه دعوى فإنه نفي الحركة فقالوا إن الله قد أمرنا بقطع هذه المسافة المعنوية وجوب هذه المفاوز المهلكة إليه فإن نحن قطعناها بنفوسنا لم نأمن على نفوسنا من أن تتمدح بذلك في حضرة الاتصال فإنها مجبولة على الرعونة و طلب التقدم و حب الفخر فنكون من أهل النقص في ذلك المقام بقدر ما ينبغي أن نحترم به ذلك الجلال الأعظم فلنتخذ ركابا نقطع به فإن أرادت الافتخار يكون الافتخار للركاب لا للنفوس فاتخذت من لا حول و لا قوة إلا بالله نجبا لما كانت النجب أصبر عن الماء و العلف من الأفراس و غيرها و الطريق معطشة جدبة يهلك فيها من المراكب من ليس له مرتبة النجب فلهذا اتخذوها نجبا دون غيرها مما يصح أن يركب و لا يصح أن يقطع ذلك الحمد لله فإن هذا الذكر من خصائص الوصول و لا سبحان الله فإنه من خصائص التجلي و لا لا إله إلا الله فإنه من خصائص الدعاوي و لا الله أكبر فإنه من خصائص المفاضلة فتعين لا حول و لا قوة إلا بالله فإنه من خصائص الأعمال فعلا و قولا ظاهرا و باطنا لأنهم بالأعمال أمروا و السفر عمل قلبا و بدنا و معنى و حسا و ذلك مخصوص بلا حول و لا قوة إلا بالله فإنه بها يقولون لا إله إلا الله و بها نقول سبحان الله و غير ذلك من جميع الأقوال و الأعمال و لما كان السكون عدم الحركة و العدم أصلهم لأنه قوله وَ قَدْ خَلَقْتُكَ من قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً يريد موجودا فاختاروا السكون على الحركة و هو الإقامة على الأصل فنبه سبحانه و تعالى في قوله وَ لَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ أن الخلق سلموا له العدم و ادعوا له في الوجود فمن باب الحقائق عرى الحق خلقه في هذه الآية عن إضافة ما ادعوه لأنفسهم بقوله وَ لَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ أي ما ثبت و الثبوت أمر وجودي عقلي لا عيني بل نسبي وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

يسمع دعواكم في نسبة ما هو له و قد نسبتموه إليكم عليم بأن الأمر على خلاف ما دعيتموه و من أصولهم التوحيد بلسان بي يتكلم و بي يسمع و بي يبصر و هذا مقام لا يحصل إلا عن فروع الأعمال و هي النوافل فإن هذه الفروع تنتج المحبة الإلهية و المحبة تورث العبد أن يكون بهذه الصفة فتكون هذه الصفة أصلا لهذا الصف من العباد فيما يعلمونه و يحكمون به من أحكام الخضر و علمه فهو أصل مكتسب و هو للخضر أصل عناية إلهية بالرحمة التي آتاه الله و عن تلك الرحمة كان له هذا العلم الذي طلب موسى عليه السلام أن يعلمه منه فإن تفطنت لهذا الأمر الذي أوردناه عرفت قدر ولاية هذه الملة المحمدية و الأمة و منزلتها و أن ثمرة زهرة فروع أصلها المشروع لها في العامة هي أصل الخضر الذي امتن الله تعالى على عبده موسى عليه السلام بلقائه و أدبه به فانتج للمحمدي فرع فرع فرع أصله ما هو أصل للخضر و مثل موسى عليه السلام يطلب منه أن يعلمه مما هو عليه من العلم فانظر منزلة هذا العارف المحمدي أين تميزت فكيف لك بما ينتجه الأصل الذي ترجع إليه هذه الفروع قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يرويه عن ربه إن الله يقول ما تقرب إلي المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم فهذا هو الأصل أداء الفرض ثم قال و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل و هو ما زاد على الفرائض و لكن من جنسها حتى تكون الفرائض أصلا لها مثل نوافل الخيرات من صلاة و زكاة و صوم و حج و ذكر فهذا هو الفرع الأقرب إلى الأصل ثم ينتج له هذا العمل الذي هو نافلة محبة الله إياه و هي محبة خاصة جزاء ليست هي محبة الامتنان فإن محبة الامتنان الأصلية اشترك فيها جميع أهل السعادة عند الله تعالى و هي التي أعطت لهؤلاء التقرب إلى الله بنوافل الخيرات ثم إن هذه المحبة و هي الفرع الثاني الذي هو بمنزلة الزهرة أنتجت له أن يكون الحق سمعه و بصره و يده إلى غير ذلك و هذا هو الفرع الثالث و هو بمنزلة الثمرة التي تعقد عند الزهرة فعند ذلك يكون العبد يسمع بالحق و ينطق به و يبصر به و يبطش به و يدرك به و هذا وحي خاص إلهي أعطاه هذا المقام ليس للملك فيه وساطة من الله و لهذا قال الخضر لموسى عليه السلام ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً فإن وحي الرسل إنما هو بالملك بين الله و بين رسوله فلا خبر له بهذا الذوق في عين إمضاء الحكم في عالم الشهادة فما تعود الإرسال لتشريع الأحكام الإلهية في عالم الشهادة إلا بواسطة الروح الذي ينزل به على قلبه أو في تمثله لم يعرف الرسول الشريعة إلا على هذا الوصف لا غير الشريعة فإن الرسول له قرب أداء الفرض و المحبة عليها من الله و ما تنتج له تلك المحبة و له قرب النوافل و محبتها و ما يعطيه محبتها و لكن من العلم بالله لا من علم التشريع و إمضاء الحكم في عالم الشهادة فلم يحط به خبرا من هذا القبيل فهذا القدر هو الذي اختص به خضر دون موسى عليه السلام و من هذا الباب يحكم المحمدي الذي لم يتقدم له علم بالشريعة بوساطة النقل و قراءة الفقه و الحديث و معرفة الأحكام الشرعية فينطق صاحب هذا المقام بعلم الحكم المشروع على ما هو عليه في الشرع المنزل من هذه الحضرة و ليس من الرسل و إنما هو تعريف إلهي و عصمة يعطيها هذا المقام ليس للرسالة فيه مدخل فهذا معنى قوله ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً فإن الرسول لا يأخذ هذا الحكم إلا بنزول الروح الأمين على قلبه أو بمثال في شاهده يتمثل له الملك رجلا و لما كانت النبوة قد منعت و الرسالة كذلك بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم كان التعريف لهذا الشخص بما هو الشرع المحمدي عليه في عالم الشهادة فلو كان في زمان التشريع كما كان زمان موسى لظهر الحكم من هذا

الولي كما ظهر من الخضر من غير وساطة ملك بل من حضرة القرب فالرسول و النبي لهما حضرة القرب مثل ما لهذا و ليس له التشريع منها بل التشريع لا يكون له لا بوساطة الملك الروح و ما بقي إلا إذا حصل للنبي المتأخر من شرع المتقدم ما هو شرع له هل يحصل ذلك بوساطة الروح كسائر شرعه أو يحصل له كما حصل للخضر و لهذا الولي منا من حضرة الوحي فمذهبي أنه لا يحصل له إلا كما يحصل ما يختص به من الشرائع ذلك الرسول و لهذا ليصدق الثقة العدل في قوله ما لم تحط به خبرا و ما يعرف له منازع و لا مخالف فيما ذكرناه من أهل طريقنا و لا وقفنا عليه غير أنه إن خالفنا فيه أحد من أهل طريقنا فلا يتصور فيه خلاف لنا إلا من أحد رجلين إما رجل من أهل الله التبس عليه الأمر و جعل التعريف الإلهي حكما فأجاز أن يكون النبي أو الرسول كذلك و لكن في هذه الأمة و أما في الزمان الأول فهو حكم لصاحبه و لا بد و هو تعريف للرسول بوساطة الملك أن هذا شرع لغيره قال تعالى لما ذكر الأنبياء ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ و ما ذكر له هداهم إلا بالوحي بوساطة لروح و الرجل الآخر رجل قاس الحكم على الأخبار و أما غير ذلك فلا يكون و مع هذا فلم يصل إلينا عن أحد منهم خلاف فيما ذكرناه و لا وفاق و من أصول هذه الطبقة أيضا أنه يتكلم بما به يسمع و لا يقول بذلك سواهم من حيث الذوق لكن قد يقول بذلك من يقول به من حيث الدليل العقلي فهؤلاء يأخذونه عن تجل إلهي و غيرهم يأخذه عن نظر صحيح موافق للأمر على ما هو عليه و هو الحق و وقوع الاختلاف في الطريق فهذا الطريق غير هذا الطريق و إن اتفقا في المنزل و هو الغاية فهو السميع لنفسه البصير لنفسه العالم لنفسه و هكذا كل ما تسميه به أو تصفه أو تنعته إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله حيث يطلق لفظ صفة على ما نسب إليه أو لفظ نعت فإنه ما أطلق على ذلك إلا لفظ اسم فقال ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ و ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ و ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ و قال في حق المشركين ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ و ما قال صفوهم و لا أنعتوهم بل قال ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ فنزه نفسه عن الوصف لفظا و معنى إن كنت من أهل الأدب و التفطن فهذا معنى قولي إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله و المخالف لنا يقول إنه يعلم بعلم و يقدر بقدرة و يبصر ببصر و هكذا جميع ما يتسمى به إلا صفات التنزيه فإنه لا يتكلم فيها بهذا النوع كالغني و أشباهه إلا بعضهم فإنه جعل ذلك كله معاني قائمة بذات الله لا هي هو و لا هي غيره و لكن هي أعيان زائدة على ذاته و الأستاذ أبو إسحاق جعل السبعة أصولا لا أعيانا زائدة على ذاته اتصفت بها ذاته و جعل كل اسم بحسب ما تعطيه دلالته فجعل صفات التنزيه كلها في جدول الاسم الحي و جعل الخبير و الحسيب و العليم و المحصي و أخواته في جدول العلم و جعل الاسم الشكور في جدول الكلام و هكذا الحق الكل كل صفة من السبعة ما يليق بها من الأسماء بالمعنى كالخالق و الرازق للقدرة و غير ذلك على هذا الأسلوب هذا مذهب الأستاذ و أجمع المتكلمون من الأشاعرة على إن ثم أمورا زائدة على الذات و نصبوا على ذلك أدلة ثم إنهم مع إجماعهم على الزائد لم يجدوا دليلا قاطعا على إن هذا الزائد على الذات هل هو عين واحدة لها أحكام مختلفة و إن كان زائدا لا بد من ذلك أو هل هذا الزائد أعيان متعددة لم يقل حاذقوهم في ذلك شيئًا بل قال بعضهم يمكن أن يكون الأمر في نفسه يرجع إلى عين واحدة و يمكن أن يرجع إلى أعيان مختلفة إلا أنه زائد و لا بد و لا فائدة جاء بها هذا المتكلم إلا عدم التحكم فإن الذات إذا قبلت عينا واحدة زائدة جاز أن تقبل عيونا

كثيرة زائدة على ذاتها فيكون القدماء لا يحصون كثرة و هو مذهب أبي بكر بن الطيب و الخلاف في ذلك يطول و ليس طريقنا على هذا بنى أعني في الرد عليهم و منازعتهم لكن طريقنا تبيين مآخذ كل طائفة و من أين انتحلته في نحلها و ما تجلى لها و هل يؤثر ذلك في سعادتها أو لا يؤثر هذا حظ أهل طريق الله من العلم بالله فلا نشتغل بالرد على أحد من خلق الله بل ربما يقيم لهم العذر في ذلك للاتساع الإلهي فإن الله أقام العذر فيمن يدعو مع الله إلها آخر ببرهان يرى أنه دليل في زعمه فقال عز من قائل وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ و من أصولهم الأدب مع الله تعالى فلا يسمونه إلا بما سمي به نفسه و لا يضيفون إليه إلا ما أضافه إلى نفسه كما قال تعالى ما أَصابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ و قال في السيئة وَ ما أَصابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِكَ ثم قال قُلْ كُلٌّ مِن عِنْدِ اللهِ قال ذلك في الأمرين إذا جمعتهما لا تقل من الله فراع اللفظ و اعلم أن لجمع الأمر حقيقة تخالف حقيقة كل مفرد إذا انفرد و لم يجتمع مع غيره كسواد المداد بين العفص و الزاج ففصل سبحانه بين ما يكون منه و بين ما يكون من عنده يقول تعالى في حق طائفة مخصوصة وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقى ببنية المفاضلة و لا مناسبة و قال في حق طائفة أخرى معينة صفتها وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقى فما هو عنده ما هو عين ما هو منه و لا عين هويته فبين الطائفتين ما بين المنزلتين كما قيل لواحد ما تركت لأهلك قال الله و رسوله و قيل للآخر فقال نصف مالي فقال بينكما ما بين كلمتيكما يعني في المنزلة فإذا أخذ العبد من كل ما سواه جعله في الله خير و أبقى و إذا أخذه من وجه من العالم يقتضي الحجاب و البعد و الذم جعله فيما عند الله خير و أبقى فميز المراتب ثم إنه سبحانه عرفنا بأهل الأدب و منزلهم من العلم به فقال عن إبراهيم خليله أنه قال الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ و لم يقل يجوعني وَإِذا مَرِضْتُ و لم يقل أمرضني فَهُوَ يَشْفِينِ فأضاف الشفاء إليه و المرض لنفسه و إن كان الكل من عنده و لكنه تعالى هو أدب رسله إذ كان المرض لا تقبله النفوس بخلاف الموت فإن الفضلاء من العقلاء العارفين يطلبون الموت للتخلص من هذا الحبس و تطلبه الأنبياء للقاء الله الذي يتضمنه و كذلك أهل الله و لذلك ما خير نبي في الموت إلا اختاره لأن فيه لقاء الله فهو نعمة منه عليه و منة و المرض شغل شاغل عن أداء ما أوجب الله على العبد أداءه من حقوق الله لإحساسه بالألم و هو في محل التكليف و ما يحس بالألم إلا الروح الحيواني فيشغل الروح المدبر لجسده عما دعي إليه في هذه الدنيا فلهذا أضاف المرض إليه و الشفاء و الموت للحق كما فعل صاحب موسى عليه السلام في إضافة خرق السفينة إليه إذ جعل خرقها عيبا و أضاف قتل الغلام إليه و إلى ربه لما فيه من الرحمة بأبويه و ما ساءهما من ذلك أضافه إليه و أضاف إقامة الجدار إلى ربه لما فيه من الصلاح و الخير فقال تعالى عن عبده خضر في خرق السفينة فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها تنزيها أن يضيف إلى الجناب العالي ما ظاهره ذم في العرف و العادة و قال في إقامة الجدار لما جعل إقامته رحمة باليتيمين لما يصيبانه من الخير الذي هو الكنز فَأَرادَ رَبُّكَ يخبر موسى عليه السلام أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِن رَبِّكَ و قال لموسى في حق الغلام إنه طبع كافرا و الكفر صفة مذمومة قال تعالى وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ و أراد أن يخبره بأن الله يبدل أبويه خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً فأراد أن يضيف ما كان في المسألة من العيب في نظر موسى ع حيث جعله نكرا من المنكر و جعله نفسا زاكية قتلت بِغَيْرِ نَفْسٍ قال فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما فأتى بنون الجمع فإن في قتله أمرين أمر يؤدي إلى الخير و

أمر إلى غير ذلك في نظر موسى و في مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون و ما كان فيه من نكر في ظاهر الأمر و في نظر موسى عليه السلام في ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فنون الجمع لها وجهان لما فيها من الجمع وجه إلى الخير به أضاف الأمر إلى الله و وجه إلى العيب به أضاف العيب إلى نفسه و جاء بهذه المسألة و الواقعة في الوسط لا في الطرف بين السفينة و الجدار ليكون ما فيها من عيب من جهة السفينة و ما فيها من خير من جهة الجدار فلو كانت مسألة الغلام في الطرف ابتداء أو انتهاء لم تعط الحكمة أن يكون كل وجه مخلصا من غير أن يشوبه شيء من الخير أو ضده فلو كان أولا و كانت السفينة وسط لم يصل ما في مسألة الغلام من الخير الذي له و لأبويه حتى يمر على حضرة مصيبة ظاهرا و هي السفينة و حينئذ يتصل بالخير الذي في الجدار و لو كان الجدار وسطا و تأخر حديث الغلام لم يصل عيب السفينة إلى الاتصال بعيب الغلام حتى يمر بخير ما في الجدار فيمر بغير المناسب و من شأن الحضرات أن تقلب أعيان الأشياء أعني صفاتها إذا مرت بها فكانت مسألة الغلام وسطا فيلي وجه العيب جهة السفينة و يلي جهة الخير جهة الجدار و استقامت الحكمة فإن قلت فلم جمع بين الله و بين نفسه في ضمير النون أعني نون فأردنا و قال صلى الله عليه و سلم لما سمع بعض الخطباء و قد جمع بين الله تعالى و رسول الله صلى الله عليه و سلم في ضمير واحد في قوله و من يعصهما بئس الخطيب أنت فاعلم أنه من الباب الذي قررناه و هو أنه لا يضاف إلى الحق إلا ما أضافه الحق إلى نفسه أو أمر به رسوله أو من آتاه علما من لدنه كالخضر المنصوص عليه فهذا من ذلك الباب فلما كان هذا الخطيب عريا من العلم اللدني و لم يكن رسول الله صلى الله عليه و سلم تقدم إليه في إباحة مثل هذا لهذا ذمه و قال بئس الخطيب أنت فإنه كان ينبغي له أن لا يجمع بين الحق و الخلق في ضمير واحد إلا بإذن إلهي من رسول أو علم لدني و لم يكن واحد من هذين الأمرين عنده فلهذا ذمه رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في حديث رويناه عنه في خطبة خطبها فذكر الله تعالى فيها و ذكر نفسه صلى الله عليه و سلم ثم جمع بين ربه تعالى و بين نفسه فيها في ضمير واحد فقال من يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فقد رشد و من يعصهما فلا يضر إلا نفسه و لا يضر الله شيئا وَ ما يَنْطِقُ صلى الله عليه و سلم عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى و كذا قال الخضر وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي يعني جميع ما فعله من الأعمال و جميع ما قال من الأقوال في العبارة لموسى عليه السلام عن ذلك فافهم فبهذا قد أبنت لك عن أصولهم ما فيه كفاية فالركبان هم المرادون المجذوبون المصونة أسرارهم في البيض فلا يتخللها هواء مثل القاصرات الطرف من الحور المقصورات في الخيام كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ و من صفاتهم أنهم لا يكشفون وجوههم عند النوم و لا ينامون إلا على ظهورهم لهم التلقي لا يتحركون إلا عن أمر إلهي و لا يسكنون إلا كذلك بإرادة إرادتهم ما يراد بهم و لما كان السكون أمرا عدميا لذلك قرنا به الإرادة دون الأمر و لما كان التحرك أمرا وجوديا لذلك قرنا به الأمر الإلهي إن فهمت و هم رضي الله عنهم لا يزاحمون و لا يزاحمون أكثر ما يجري على ألسنتهم ما شاء الله سخرت لهم السحاب لهم القدم الراسخة في علم الغيوب لهم في كل ليلة معراج روحاني بل في كل نومة من ليل أو نهار لهم استشراف على بواطن العالم فرأوا ملكوت السموات و الأرض يقول الله تعالى وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ و

قال في حق رسول الله صلى الله عليه و سلم سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا من الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ من آياتِنا و هو عين إسرائه و العلماء ورثة الأنبياء أحوالهم الكتمان لو قطعوا إربا إربا ما عرف ما عندهم لهذا قال خضر ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي فالكتمان من أصولهم إلا أن يؤمروا بالإفشاء و الإعلان وَ الله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني و الثلاثون في معرفة الأقطاب المدبرين أصحاب الركاب من الطبقة الثانية)

إن التدبر معشوق لصاحبه ... به تعشقت الأسماء و الدول

عليه عند الذي يقضي سوالفه ... في كل ما يقتضيه كونه العمل

به ترتب ما في الكون من عجب ... فكل كون له في علمه أجل

لقيت من هؤلاء الطبقة جماعة بإشبيلية من بلاد الأندلس منهم أبو يحيى الصنهاجي الضرير كان يسكن بمسجد الزبيدي صحبته إلى أن مات و دفن بجبل عال كثير الرياح بالشرق فكل الناس شق عليهم طلوع الجبل لطوله و كثرة رياحه فسكن الله الريح فلم تهب من الوقت الذي وضعناه في الجبل و أخذ الناس في حفر قبره و قطع حجره إلى أن فرغنا منه و واريناه في روضته و انصرفنا فعند انصرافنا هبت الريح على عادتها فتعجب الناس من ذلك و منهم أيضا صالح البربري و أبو عبد الله الشرفي و أبو الحجاج يوسف الشبربلي فأما صالح فساح أربعين سنة و لزم بإشبيلية مسجد الرطند إلى أربعين سنة على التجريد بالحالة التي كان عليها في سياحته و أما أبو عبد الله الشرفي فكان صاحب خطوة بقي نحوا من خمسين سنة ما أسرج له سراجا في بيته رأيت له عجائب و أما أبو الحجاج الشبربلي من قرية يقال لها شبربل بشرق إشبيلية كان ممن يمشي على الماء و تعاشره الأرواح و ما من واحد من هؤلاء إلا و عاشرته معاشرة مودة و امتزاج و محبة منهم فينا و قد ذكرناهم مع أشياخنا في الدرة الفاخرة عند ذكرنا من انتفعت به في طريق الآخرة فكان هؤلاء الأربعة من أهل هذا المقام و هم من أكابر الأولياء الملامية جعل بأيديهم علم التدبير و التفصيل فلهم الاسم المدبر المفصل و هجيرهم يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ هم العرائس أهل المنصات فلهم الآيات المعتادة و غير المعتادة فالعالم كله عندهم آيات بينات و العامة ليست الآيات عندهم إلا التي هي عندهم غير معتادة فتلك تنبههم إلى تعظيم الله و الله قد جعل الآيات المعتادة لأصناف مختلفين من عباده فمنها للعقلاء مثل قوله تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللهُ من السَّماءِ من ماءٍ فَأَحْيا به الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها من كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فثم آيات للعقلاء كلها معتادة و آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ و آيات لِأُولِي الْأَلْبابِ و آياتٍ لِأُولِي النُّهى و آيات للسامعين و هم أهل الفهم عن الله و آيات للعالمين و آيات للعالمين و آيات للمؤمنين و آيات للمتفكرين و آيات لأهل التذكر فهؤلاء كلهم أصناف نعتهم الله بنعوت مختلفة و آيات مختلفات كلها ذكرها لنا في القرآن إذا بحثت عليها و تدبرتها علمت أنها آيات و دلالات على أمور مختلفة ترجع إلى عين واحدة غفل عن ذلك أكثر الناس و لهذا عدد الأصناف فإن من الآيات المذكورة المعتادة ما يدرك

الناس دلالتها من كونهم ناسا و جنا و ملائكة و هي التي وصف بإدراكها العالم بفتح اللام و من الآيات ما تغمض بحيث لا يدركها إلا من له التفكر السليم و من الآيات ما هي دلالتها مشروطة بأولي الألباب و هم العقلاء الناظرون في لب الأمور لا في قشورها فهم الباحثون عن المعاني و إن كانت الألباب و النهي العقول فلم يكتف سبحانه بلفظة العقل حتى ذكر الآيات لأولي الألباب فما كل عاقل ينظر في لب الأمور و بواطنها فإن أهل الظاهر لهم عقول بلا شك و ليسوا بأولي الألباب و لا شك أن العصاة لهم عقول و لكن ليسوا بأولي نهى فاختلفت صفاتهم إذ كانت كل صفة تعطي صنفا من العلم لا يحصل إلا لمن حاله تلك الصفة فما ذكرها الله سدى و كثر الله ذكر الآيات في القرآن العزيز ففي مواضع أردفها و تلا بعضها بعضا و أردف صفة العارفين بها و في مواضع أفردها فمثل إرداف بعضها على بعض مساقها في سورة الروم فلا يزال يقول تعالى وَمن آيَاتِهِ وَمن آيَاتِهِ وَمن آيَاتِهِ فيتلوها جميع الناس و لا يتنبه لها إلا الأصناف الذين ذكرهم في كل آية خاصة فكان تلك الآيات في حق أولئك أنزلت آيات و في حق غيرهم لمجرد التلاوة ليؤجروا عليها و لما قرأت هذه السورة و أنا في مقام هذه الطبقة و وصلت إلى قوله وَمن آيَاتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغاؤُكُمْ من فَضْلِهِ تعجبت كل العجب من حسن نظم القرآن و جمعه و لما ذا قدم ما كان ينبغي في النظر العقلي في ظاهر الأمر أن يكون على غير هذا النظم فإن النهار لابتغاء الفضل و الليل للمنام كما قال في القصص وَمن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ فأعاد الضمير على الليل وَلِتَبْتَغُوا من فَضْلِهِ يريد في النهار فأضمر و إن كان الضميران يعودان على المعنى المقصود فقد يعمل الصانع بالليل و يبيع و يشتري بالليل كما أنه ينام أيضا و يسكن بالنهار و لكن الغالب في الأمور هو المعتبر فلاح لي من خلف ستارة هذه الآية و حسن العبارة عنها الرافعة سترها و هو قوله مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ أمر زائد على ما يفهم منه في العموم بقرائن الأحوال في ابتغاء الفضل للنهار و المنام لليل ما نذكره و هو أن الله نبه بهذه الآية على إن نشأة الآخرة الحسية لا تشبه هذه النشأة الدنياوية و إنها ليست بعينها بل تركيب آخر و مزاج آخر كما وردت به الشرائع و التعريفات النبوية في مزاج تلك الدار و إن كانت هذه الجواهر عينها بلا شك فإنها التي تبعثر في القبور و تنشر و لكن يختلف التركيب و المزاج بأعراض و صفات تليق بتلك الدار لا تليق بهذه الدار و إن كانت الصورة واحدة في العين و السمع و الأنف و الفم و اليدين و الرجلين بكمال النشأة و لكن الاختلاف بين فمنه ما يشعر به و يحس و منه ما لا يشعر به و لما كانت صورة الإنشاء في الدار الآخرة على صورة هذه لنشأة لم يشعر بما أشرنا إليه و لما كان الحكم يختلف عرفنا إن المزاج اختلف فهذا الفرق بين حظ الحس و العقل فقال تعالى وَمن آيَاتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ و لم يذكر اليقظة و هي من جملة لآيات فذكر المنام دون اليقظة في حال الدنيا فدل على إن اليقظة لا تكون إلا عند الموت و أن الإنسان نائم أبدا ما لم يمت فذكر أنه في منام بالليل و النهار في يقظته و نومه و في الخبر الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ألا ترى أنه لم يأت بالباء في قوله تعالى وَالنَّهارِ و اكتفى بباء الليل ليحقق بهذه المشاركة أنه يريد المنام في حال اليقظة المعتادة فحذفها مما يقوي الوجه الذي أبرزناه في هذه الآية فالمنام هو ما يكون فيه النائم في حال نومه فإذا استيقظ يقول رأيت كذا و كذا فدل إن الإنسان في منام ما دام في هذه النشأة في الدنيا إلى أن يموت فلم يعتبر الحق اليقظة المعتادة عندنا في العموم بل جعل الإنسان في منام في نومه و يقظته كما أوردناه في الخبر

النبوي من قوله صلى الله عليه و سلم الناس نيام فإذا ما توا انتبهوا فوصفهم بالنوم في الحياة الدنيا و العامة لا تعرف النوم في المعتاد إلا ما جرت به العادة أن يسمى نوما فنبه النبي صلى الله عليه و سلم بل صرح أن الإنسان في منام ما دام في الحياة الدنيا حتى ينتبه في الآخرة و الموت أول أحوال الآخرة فصدقه الله بما جاء به في قوله تعالى وَ مِن آيَاتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ و هو النوم العادي وَ النَّهارِ و هو هذا المنام الذي صرح به رسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا جعل الدنيا عبرة جسرا يعبر أي تعبر كما تعبر الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه فكما إن الذي يراه الرائي في حال نومه ما هو مراد لنفسه إنما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية في حال النوم إلى معناها المراد بها في عالم اليقظة إذا استيقظ من نومه كذلك حال الإنسان في الدنيا ما هو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال و قول و عمل في الدنيا إنما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر و يظهر له ما رآه في الدنيا كما يظهر له في الدنيا إذا استيقظ ما رآه في المنام فالدنيا جسر يعبر و لا يعمر كالإنسان في حال ما يراه في نومه يعبر و لا يعمر فإنه إذا استيقظ لا يجد شيئا مما رآه من خير يراه أو شر و دار و بناء و سفر و أحوال حسنة أو سيئة فلا بد أن يعبر له العارف بالعبارة ما رآه فيقول له تدل رؤياك لكذا على كذا فكذلك الحياة الدنيا منام إذا انتقل إلى الآخرة بالموت لم ينتقل معه شيء مما كان في يده و في حسه من دار و أهل و مال كما كان حين استيقظ من نومه لم ير شيئا في يده مما كان له حاصلا في رؤياه في حال نومه فلهذا قال تعالى إننا في منام بالليل و النهار و في الآخرة تكون اليقظة و هناك تعبر الرؤيا فمن نور الله عين بصيرته و عبر رؤياه هنا قبل الموت أفلح و يكون فيها مثل من رأى رؤيا ثم رأى في رؤياه إنه استيقظ فيقص ما رآه و هو في النوم على حاله على بعض الناس الذين يراهم في نومه فيقول رأيت كذا و كذا فيفسره و يعبره له ذلك الشخص بما يراه في علمه بذلك فإذا استيقظ حينئذ يظهر له أنه لم يزل في منام في حال الرؤيا و في حال التعبير لها و هو أصح التعبير و كذلك الفطن اللبيب في هذه الدار مع كونه في منامه يرى أنه استيقظ فيعبر رؤياه في منامه لينتبه و يزدجر و يسلك الطريق الأسد فإذا استيقظ بالموت حمد رؤياه و فرح بمنامه و أثمرت له رؤياه خيرا فلهذه الحقيقة ما ذكر الله في هذه الآية اليقظة و ذكر المنام و أضافه إلينا بالليل و النهار و كان ابتغاء الفضل فيه في حق من رأى في نومه أنه استيقظ في نومه فيعبر رؤياه و هي حالة الدنيا و الله يلهمنا رشد أنفسنا هذا من قوله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ فهذا تفصيل آيات المنام بالليل و النهار و الابتغاء من الفضل و جعله آيات لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ أي يفهمون كما قال وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ أراد الفهم عن الله و قال فيهم صُمٌّ مع كونهم يسمعون بُكْمٌ مع كونهم يتكلمون عُمْيٌ مع كونهم يبصرون فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ فنبهتك على ما أراد بالسمع و الكلام و البصر هنا فهذه الطبقة الركبانية الثانية مأخذهم للأشياء على هذا الحد الذي ذكرناه في هذه الآية و إنما ذكرنا هذا المأخذ لتعرفك بطريقتهم فتتبين لك منزلتهم من غيرهم فلطائفهم بالآيات المنصوبة المعتادة و غير المعتادة قائمة ناظرة إلى نفوس العالم ناظرة إلى الوجوه العرضية التي إليها يتوجهون بسبب أغراضهم ناظرة إلى الحدود الإلهية فيما إليه يتوجهون لا يغفلون عن النظر في ذلك طرفة عين فغفلتهم التي تقتضيها جبلتهم إنما متعلقها منهم عما ضمن لهم فهم متيقظون فيما طلب منهم غافلون عما ضمن لهم حتى لا يخرجون عن حكم الغفلة فإنها من جبلة الإنسان و غير هذه الطائفة صرفتها الغفلة عما يراد منها فإن كان الذي يقع إليه التوجه طاعة نظروا في

دقائق تحصيلها و نظروا إلى الأمر الإلهي الذي يناسبها و الاسم الإلهي الذي له السلطان عليها فيفصل لهم الأمر الإلهي الآية التي يطلبونها فإن كانت الآية معتادة مثل اختلاف الليل و النهار و تسخير السحاب و غير ذلك من الآيات المعتادة التي لا خبر لنفوس العامة بكونها حتى يفقدوها فإذا فقدوها حينئذ خرجوا للاستسقاء و عرفوا في ذلك الوقت موضع دلالتها و قدرها و إنهم كانوا في آية و هم لا يشعرون فإذا جاءتهم و أمطروا عادوا إلى غفلتهم هذا حال العامة كما قال الله فيهم معجلا في هذه الدار هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . . فَلَمَّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ وَ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يقول الله لهم يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا و هكذا يقولون في النار يا لَيْتَنا نُرَدُّ قال تعالى وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ كما عاد أصحاب الفلك إلى شركهم و بغيهم بعد إخلاصهم لله فإذا نظرت هذه الطائفة إلى هذه الآيات أرسلوها مع أمرها الإلهي إلى حيث دعاها و إن كانت الآية غير معتادة نظروا أي اسم إلهي يطلبها فإن طلبها القهار و أخواته فهي آية رهبة و زجر و وعيد أرسلوها على النفوس و إن طلبها أعني تلك الآية الاسم اللطيف و أخواته فهي آية رغبة أرسلوها على الأرواح فأشرق لها نور شعشعاني على النفوس فجنحت بذلك النفوس إلى بارئها فرزقت التوفيق و الهداية و أعطيت التلذذ بالأعمال فقامت فيها بنشاط و تعرت فيها من ملابس الكسل و تبغض إليها معاشرة البطالين و صحبة الغافلين اللاهين عن ذكر الله و يكرهون الملأ و الجلوة و يؤثرون الانفراد و الخلوة و لهذه الطبقة الثانية حقيقة ليلة القدر و كشفها و سرها و معناها و لهم فيها حكم إلهي اختصوا به و هي حظهم من الزمان فانظر ما أشرف إذ حباهم الله من الزمان بأشرفه فإنها خير من ألف شهر فيه زمان رمضان و يوم الجمعة و يوم عاشوراء و يوم عرفة و ليلة القدر فكأنه قال فتضاعف خيرها ثلاثا و ثمانين ضعفا و ثلث ضعف لأنها ثلاث و ثمانون سنة و أربعة أشهر و قد تكون الأربعة الأشهر مما يكون فيها ليلة القدر فيكون التضعيف في كل ليلة قدر أربعة و ثمانين ضعفا فانظر ما في هذا الزمان من الخير و بأي زمان خصت هذه الطائفة وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثامن عشر و الحمد لله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثالث و الثلاثون في معرفة أقطاب النيات و أسرارهم و كيفية أصولهم و يقال لهم النياتيون)

تحيا بها كحياة الأرض بالمطر   الروح للجسم و النيات للعمل
و كل ما تخرج الأشجار من ثمر   فتبصر الزهر و الأشجار بارزة
لها روائح من نتن و من عطر   كذاك تخرج من أعمالنا صور
أعرافها هكذا يقضي به نظري   لولا الشريعة كان المسك يخجل من
له فلا فرق بين النفع و الضرر   إذا كان مستند التكوين أجمعه

تحلها صور تزهو على سرر فالزم شريعته تنعم بها سورا

أو كالعرائس معشوقين للبصر مثل الملوك تراها في أسرتها

روينا من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال إنما الأعمال بالنيات و إنما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعلم أن لمراعاة النيات رجالا على حال مخصوص و نعت خاص أذكرهم إن شاء الله و أذكر أحوالهم و النية لجميع الحركات و السكنات في المكلفين للأعمال كالمطر لما تنبته الأرض فالنية من حيث ذاتها واحدة و تختلف بالمتعلق و هو المنوي فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فإن حظ النية إنما هو القصد للفعل أو تركه و كون ذلك الفعل حسنا أو قبيحا و خيرا أو شرا ما هو من أثر النية و إنما هو من أمر عارض عرض ميزه الشارع و عينه للمكلف فليس للنية أثر البتة من هذا الوجه خاصة كالماء إنما منزلته أن ينزل أو يسبح في الأرض و كون الأرض الميتة تحيا به أو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فتخرج الزهرة الطيبة الريح و المنتنة و الثمرة الطيبة و الخبيثة من خبث مزاج البقعة أو طيبها أو من خبث البزرة أو طيبها قال تعالى يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ثم قال إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فليس للنية في ذلك إلا الإمداد كما قال تعالى يُضِلُّ بِه كَثِيراً وَيَهْدِي بِه كَثِيراً يعني المثل المضروب به في القرآن أي بسببه و هو من القرآن فكما كان الماء سببا في ظهور هذه الروائح المختلفة و الطعوم المختلفة كذلك هي النيات سبب في الأعمال الصالحة و غير الصالحة و معلوم أن القرآن مهداة كله و لكن بالتأويل في المثل المضروب ضل من ضل و به اهتدى من اهتدى فهو من كونه مثلا لم تتغير حقيقته و إنما العيب وقع في عين الفهم كذلك النية أعطت حقيقتها و هو تعلقها بالمنوي و كون ذلك المنوي حسنا أو قبيحا ليس لها و إنما ذلك لصاحب الحكم فيه بالحسن و القبح و قال تعالى إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ أي بينا له طريق السعادة و الشقاء ثم قال إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً هذا راجع للمخاطب المكلف فإن نوى الخير أثمر خيرا و إن نوى الشر أثمر شرا فما أتى عليه إلا من المحل من طيبه أو خبثه يقول الله تعالى وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ أي هذا أوجبته على نفسي كان الله يقول الذي يلزم جانب الحق منكم أن يبين لكم السبيل الموصل إلى سعادتكم و قد فعلت فإنكم لا تعرفونه إلا بإعلامي لكم به و تبييني و سبب ذلك أنه سبق في العلم إن طريق سعادة العباد إنما هو في سبب خاص و سبب شقائهم أيضا إنما هو في طريق خاص و ليس إلا العدول عن طريق السعادة و هو الايمان بالله و بما جاء من عند الله مما ألزمنا فيه الايمان به و لما كان العالم في حال جهل بما في علم الله من تعيين تلك الطريق تعين الإعلام به بصفة الكلام فلا بد من الرسول قال الله تعالى وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً و لا نوجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه و قد أوجب التعريف على نفسه بقوله تعالى وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ مثل قوله وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ و قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و على الحقيقة إنما وجب ذلك على النسبة لا على نفسه فإنه يتعالى أن يجب عليه من أجل حد الواجب الشرعي فكأنه لما تعلق العلم الإلهي أزلا بتعيين الطريق التي فيها سعادتنا و لم يكن للعلم بما هو علم صورة التبليغ و كان التبليغ من صفة الكلام تعين التبليغ

على نسبة كونه متكلما بتعريف الطريق التي فيها سعادة العباد التي عينها العلم فأبان الكلام الإلهي بترجمته عن العلم ما عينه من ذلك فكان الوجوب على النسبة فإنها نسب مختلفة و كذلك سائر النسب الإلهية من إرادة و قدرة و غير ذلك و قد بينا محاضرة الأسماء الإلهية و محاورتها و مجاراتها في حلبة المناظرة على إيجاد هذا العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله في كتاب عنقاء مغرب بوبنا عليه محاضرة أزلية على نشأة أبدية و كذلك في كتاب إنشاء الجداول و الدوائر لنا فقد علمت كيف تعلق الوجوب الإلهي على الحضرة الإلهية إن كنت فطنا لعلم النسب و على هذا يخرج قوله تعالى يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً و كيف يحشر إليه من هو جليسه و في قبضته سمع أبو يزيد البسطامي قارئا يقرأ هذه الآية يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً فبكى حتى ضرب الدمع المنبر بل روى أنه طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر و صاح و قال يا عجبا كيف يحشر إليه من هو جليسه فلما جاء زماننا سألنا عن ذلك فقلت ليس العجب إلا من قول أبي يزيد فاعلموا إنما كان ذلك لأن المتقي جليس الجبار فيتقي سطوته و الاسم الرحمن ما له سطوة من كونه الرحمن إنما الرحمن يعطي اللين و اللطف و العفو و المغفرة فلذلك يحشر إليه من الاسم الجبار الذي يعطي السطوة و الهيبة فإنه جليس المتقين في الدنيا من كونهم متقين و على هذا الأسلوب تأخذ الأسماء الإلهية كلها و كذا تجدها حيث وردت في ألسنة النبوات إذا قصدت حقيقة الاسم و تميزه من غيره فإن له دلالتين دلالة على المسمى به و دلالة على حقيقته التي بها يتميز عن اسم آخر فافهم و اعلم أن هؤلاء الرجال إنما كان سبب اشتغالهم بمعرفة النية كونهم نظروا إلى الكلمة و فيها فعلموا أنها ما ألفت حروفها و جمعت إلا لظهور نشأة قائمة تدل على المعنى الذي جمعت له في الاصطلاح فإذا تلفظ بها المتكلم فإن السامع يكون همه في فهم المعنى الذي جاءت له فإن بذلك تقع الفائدة و لهذا وجدت في ذلك اللسان على هذا الوضع الخاص و لهذا لا يقول هؤلاء الرجال بالسماع المقيد بالنغمات لعلو همتهم و يقولون بالسماع المطلق فإن السماع المطلق لا يؤثر فيهم إلا فهم المعاني و هو السماع الروحاني الإلهي و هو سماع الأكابر و السماع المقيد إنما يؤثر في أصحابه النغم و هو السماع الطبيعي فإذا ادعى من ادعى أنه يسمع في السماع المقيد بالألحان المعنى و يقول لو لا المعنى ما تحركت و يدعي أنه قد خرج عن حكم الطبيعة في ذلك يعني في السبب المحرك فهو غير صادق و قد رأينا من ادعى ذلك من المتشيخين المتطفلين على الطريقة فصاحب هذه الدعوى إذا لم يكن صادقا يكون سريع الفضيحة و ذلك أن هذا المدعي إذا حضر مجلس السماع فاجعل بالك منه فإذا أخذ القوال في القول بتلك النغمات المحركة بالطبع للمزاج القابل أيضا و سرت الأحوال أ النفوس الحيوانية فحركت الهياكل حركة دورية لحكم استدارة الفلك و هو أعني الدور مما يدلك على إن السماع طبيعي لأن اللطيفة الإنسانية ما هي عن الفلك و إنما هي عن الروح المنفوخ منه و هي غير متحيزة فهي فوق الفلك فما لها في الجسم تحريك دوري و لا غير دوري و إنما ذلك للروح الحيواني الذي هو تحت الطبيعة و الفلك فلا تكن جاهلا بنشأتك و لا بمن يحركك فإذا تحرك هذا المدعي و أخذه الحال و دار أو قفز إلى جهة فوق من غير دور و قد غاب عن إحساسه بنفسه و بالمجلس الذي هو فيه فإذا فرغ من حاله و رجع إلى إحساسه فاسأله ما الذي حركه فيقول إن القوال قال كذا و كذا ففهمت منه معنى كذا و كذا فذلك المعنى حركني فقل له ما

حركك سوى حسن النغمة و الفهم إنما وقع لك في حكم التبعية فالطبع حكم على حيوانيتك فلا فرق بينك و بين الجمل في تأثير النغمة فيك فيعز عليه مثل هذا الكلام و يثقل و يقول لك ما عرفتني و ما عرفت ما حركني فاسكت عنه ساعة فإن صاحب هذه الدعوى تكون الغفلة مستولية عليه ثم خذ معه في الكلام الذي يعطي ذلك المعنى فقل له ما أحسن قول الله تعالى حيث يقول و اتل عليه آية من كتاب الله تتضمن ذلك المعنى الذي كان حركه من صوت المغني و حققه عنده حتى يتحققه فيأخذ معك فيه و يتكلم و لا يأخذه لذلك حال و لا حركة و لا فناء و لكن يستحسنه و يقول لقد تتضمن هذه الآية معنى جليلا من المعرفة بالله فما أشد فضيحته في دعواه فقل له يا أخي هذا المعنى بعينه هو الذي ذكرت لي أنه حركك في السماع البارحة لما جاء به القوال في شعره بنغمته الطيبة فلأي معنى سرى فيك الحال البارحة و هذا المعنى موجود فيما قد صغته لك و سقته بكلام الحق تعالى الذي هو أعلى و أصدق و ما رأيتك تهتز مع الاستحسان و حصول الفهم و كنت البارحة يتخبطك الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ كما قال الله تعالى و حجبك عن عين الفهم السماع الطبيعي فما حصل لك في سماعك إلا الجهل بك فمن لا يفرق بين فهمه و حركته كيف يرجى فلاحه فالسماع من عين الفهم هو السماع الإلهي و إذا ورد على صاحبه و كان قويا لما يرد به من الإجمال فغاية فعله في الجسم أن يضجعه لا غير و يغيبه عن إحساسه و لا يصدر منه حركة أصلا بوجه من الوجوه سواء كان من الرجال الأكابر أو الصغار هذا حكم الوارد الإلهي القوي و هو الفارق بينه و بين حكم الوارد الطبيعي فإن الوارد الطبيعي كما قلنا يحركه الحركة الدورية و الهيمان و التخبط فعل المجنون و إنما يضجعه الوارد الإلهي لسبب أذكره لك و ذلك أن نشأة الإنسان مخلوقة من تراب قال تعالى مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ و إن كان فيه من جميع العناصر و لكن العنصر الأعظم التراب قال عز و جل فيه أيضا إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ و الإنسان في قعوده و قيامه بعد عن أصله الأعظم الذي منه نشأ من أكثر جهاته فإن قعوده و قيامه و ركوعه فروع فإذا جاءه الوارد الإلهي و للوارد الإلهي صفة القيومية و هي في الإنسان من حيث جسميته بحكم العرض و روحه المدبر هو الذي كان يقيمه و يقعده فإذا اشتغل الروح الإنساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الإلهي من العلوم الإلهية لم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه و لا قعوده فرجع إلى أصله و هو لصوقه بالأرض المعبر عنه بالاضطجاع و لو كان على سرير فإن السرير هو المانع له من وصوله إلى التراب فإذا فرغ روحه من ذلك التلقي و صدر الوارد إلى ربه رجع الروح إلى تدبير جسده فأقامه من ضجعته هذا سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم و ما سمع قط عن نبي أنه تخبط عند نزول الوحي هذا مع وجود الواسطة في الوحي و هو الملك فكيف إذا كان الوارد برفع الوسائط لا يصح أن يكون منه قط غيبة عن إحساسه و لا يتغير عن حاله الذي هو عليه فإن الوارد الإلهي برفع الوسائط الروحانية يسري في كلية الإنسان و يأخذ كل عضو بل كل جوهر فرد فيه حظه من ذلك الوارد الإلهي من لطيف و كثيف و لا يشعر بذلك جليسه و لا يتغير عليه من حاله الذي هو عليه من جليسه شيء إن كان يأكل بقي على أكله في حاله أو شربه أو حديثه الذي هو في حديثه فإن ذلك الوارد يعم و هو قوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فمن كانت أينيته في ذلك الوقت حالة الأكل أو الشرب أو الحديث أو اللعب أو ما كان بقي على

حاله فلما رأت هذه الطائفة الجليلة هذا الفرق بين الواردات الطبيعية و الروحانية و الإلهية و رأت أن الالتباس قد طرأ على من يزعم أنه في نفسه من رجال الله تعالى أنفوا أن يتصفوا بالجهل و التخليط فإنه محل الوجود الطبيعي فارتقت هممهم إلى الاشتغال بالنيات إذ كان الله قد قال لهم وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ و الإخلاص النية و لهذا قيدها بقوله له و لم يقل مخلصين و هو من الاستخلاص فإن الإنسان قد يخلص نيته للشيطان و يسمى مخلصا فلا يكون في عمله لله شيء و قد يخلص للشركة و قد يخلص لله فلهذا قال تعالى مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لا لغيره و لا لحكم الشركة فشغلوا نفوسهم بالأصل في قبول الأعمال و نيل السعادات و موافقة الطلب الإلهي منهم فيما كلفهم به من الأعمال الخالصة له و هو المعبر عنه بالنية فنسبوا إليها لغلبة شغلهم بها و تحققوا إن الأعمال ليست مطلوبة لأنفسها و إنما هي من حيث ما قصد بها و هو النية في العمل كالمعنى في الكلمة فإن الكلمة ما هي مطلوبة لنفسها و إنما هي لما تضمنته فانظر يا أخي ما أدق نظر هؤلاء الرجال و هذا هو المعبر عنه في الطريق بمحاسبة النفس و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و لقيت من هؤلاء الرجال اثنين أبو عبد الله بن المجاهد و أبو عبد الله بن قسوم بإشبيلية كان هذا مقامهم و كانوا من أقطاب الرجال النياتيين و لما شرعنا في هذا المقام تأسيا بهما و بأصحابهما و امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم الواجب امتثاله في أمره حاسبوا أنفسكم و كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به و ما يفعلونه و يقيدونه في دفتر فإذا كان بعد صلاة العشاء و خلوا في بيوتهم حاسبوا أنفسهم و أحضروا دفترهم و نظروا فيما صدر منهم في يومهم من قول و عمل و قابلوا كل عمل بما يستحقه إن استحق استغفارا استغفروا و إن استحق توبة تابوا و إن استحق شكرا شكروا إلى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم و بعد ذلك ينامون فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر فكنا نقيد ما تحدثنا به نفوسنا و ما تهم به زائدا على كلامنا و أفعالنا و كنت أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت و أحضر الدفتر و أطالبها بجميع ما خطر لها و ما حدثت بنفسها و ما ظهر للحس من ذلك من قول و عمل و ما نوته في ذلك الخاطر و الحديث فقلت الخواطر و الفضول إلا فيما يعني فهذا فائدة هذا الباب و فائدة الاشتغال بالنية و ما في الطريق ما يغفل عنه أكثر من هذا الباب فإن ذلك راجع إلى مراعاة الأنفاس و هي عزيزة و بعد أن عرفتك بأصول هذه الطائفة و ما هو سبب شغلهم بذلك و أنه لهم أمر شرعي و ما لهم في ذلك من الأسرار و العلوم فاعلم أيضا مقامهم في ذلك و ما لهم فهذه الطائفة على قلب يونس عليه السلام فإنه لما ذَهَبَ مُغاضِباً و ظن أن الله لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمة الله فيه و ما نظر ذلك الاتساع الإلهي الرحماني في حق غيره فتناله أمته و اقتصر به على نفسه و الغضب ظلمة القلب فأثرت لعلو منصبه في ظاهره فاسكن في ظلمة بطن الحوت ما شاء الله لينبهه الله على حالته حين كان جنينا في بطن أمه من كان يدبره فيه و هل كان في ذلك الموطن يتصور منه أن يغاضب أو يغاضب بل كان في كنف الله لا يعرف سوى ربه فرده إلى هذه الحالة في بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ عذرا عن أمته في هذا التوحيد أي تفعل ما تريد و تبسط رحمتك على من تشاء سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ مشتق من الظلمة أي ظلمتي عادت على ما أنت ظلمتني بل ما كان في باطني سرى إلى ظاهري و انتقل النور إلى باطني فاستنار فأزال ظلمة

المغاضبة و انتشر فيه نور التوحيد و انبسطت الرحمة فسرى ذلك النور في ظاهره مثل ما سرت ظلمة الغضب فاستجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من ولد آدم ولادتين سوى يونس عليه السلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال وَهُوَ سَقِيمٌ و رباه باليقطين فإن ورقه ناعم و لا ينزل عليه ذباب فإن الطفل لضعفه لا يستطيع أن يزيل الذباب عن نفسه فغطاه بشجرة خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعمة ورقها فإن ورق اليقطين مثل القطن في النعمة بخلاف سائر ورق الأشجار كلها فإن فيها خشونة و أنشأه الله عز و جل نشأة أخرى و لما رأت هذه الطائفة أن يونس عليه السلام ما أتى عليه إلا من باطنه من الصفة التي قامت به و من قصده شغلوا نفوسهم بتمحيص النيات و القصد في حركاتهم كلها حتى لا ينوون إلا ما أمرهم الله به أن ينووه و يقصدوه و هذا غاية ما يقدر عليه رجال الله و هذه الطائفة في الرجال قليلون فإنه مقام ضيق جدا يحتاج صاحبه إلى حضور دائم و أكبر من كان فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه و لهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه في حرب اليمامة فما هو إلا أن رأيت أن الله عز و جل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق لمعرفة عمر باشتغال أبي بكر بباطنه فإذا صدرت منه حركة في ظاهره فما تصدر إلا من إل و هو عزيز و لهذا كان من يفهم المقامات من المتقدمين من أهل الكتاب إذا سمعوا أو يقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول كذا و كذا يقولون هذا كلام ما خرج إلا من إل أي هو كلام إلهي ما هو كلام مخلوق فانظر ما أحسن العلم و في أي مقام ثبتت هذه الطائفة و بأي قائمة استمسكت جعلنا الله منهم فجل أعمالهم في الباطن مساكن السائحين منهم الغيران و الكهوف و في الأمصار ما بناه غيرهم من عباد الله تعالى لا يضعون لبنة على لبنة و لا قصبة على قصبة و هكذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أن انتقل إلى ربه ما بنى قط مسكنا لنفسه و سبب ذلك أنهم رأوا الدنيا جسرا منصوبا من خشب على نهر عظيم و هم عابرون فيه راحلون عنه فهل رأيتم أحدا بنى منزلا على جسر خشب لا و الله و لا سيما و قد عرف أن الأمطار تنزل و أن النهر يعظم بالسيول التي تأتي و أن الجسور تنقطع فكل من بنى على جسر فإنما يعرض به للتلف فلو أن عمار الدنيا يكشف الله عن بصيرتهم حتى يروها جسرا و يروا النهر الذي بنيت عليه أنه خطر قوي ما بنوا الذي بنوا عليه من القصور المشيدة فلم يكن لهم عيون يبصرون بها إن الدنيا قنطرة خشب على نهر عظيم خرار و لا كان لهم سمع يسمعون به قول الرسول العالم بما أوحى الله إليه به إن الدنيا قنطرة فلا بالإيمان عملوا و لا على الرؤية و الكشف حصلوا فهم كما قال الله فيهم وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ في حال سماعهم من الرسول صلى الله عليه و سلم حين قال لهم إن الدنيا قنطرة و أشباه ذلك فلا تشغلوا نفوسكم بعمارتها و انهضوا فما فرغ من قوله صلى الله عليه و سلم حتى رجع كثير منهم إلى عماهم و صممهم مع كونهم مسلمين مؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه بقوله ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ بعد التوبة يقول ما نفع القول فيهم يا ولي لو فرضنا إن الدنيا باقية ألسنا نبصر رحلتنا عنها جيلا بعد جيل فمن أحوال هذه الطائفة مراعاتهم لقلوبهم و أسرارهم متعلقة بالله من حيث معرفة نفوسهم و لا اجتماع لهم بالنهار مع الغافلين بل حركتهم ليلية و نظرهم في الغيب الغالب عليهم مقام الحزن فإن الحزن إذا فقد من القلب خرب فالعارف يأكل الحلوى و العسل و المحقق الكبير يأكل الحنظل فهو كثير

التنغيص لا يلتذ بنعمة أبدا ما دام في هذه الدار لشغله بما كلفه الله من الشكر عليها لقيت منهم بدنيسر عمر الفرقوي و بمدينة فاس عبد الله السماد و العارفون بالنظر إلى هؤلاء كالأطفال الذين لا عقول لهم يفرحون و يلتذون بخشخاشة فما ظنك بالمريدين فما ظنك بالعامة لهم القدم الراسخة في التوحيد و لهم المشافهة في الفهوانية يقدمون النفي على الإثبات لأن التنزيه شأنهم كلفظة لا إله إلا الله و هي أفضل كلمة جاءت بها الرسل و الأنبياء توحيدهم كوني عقلي ليسوا من اللهو في شيء لهم الحضور التام على الدوام و في جميع الأفعال اختصوا بعلم الحياة و الأحياء لهم اليد البيضاء فيعلمون من الحيوان ما لا يعلمه سواهم و لا سيما من كل حيوان يمشي على بطنه لقربه من أصله الذي عنه تكون فإن كل حيوان يبعد عن أصله ينقص من معرفته بأصله على قدر ما بعد منه ألا ترى المريض الذي لا يقدر على القيام و القعود و يبقى طريحا لضعفه و هو رجوعه إلى أصله تراه فقيرا إلى ربه مسكينا ظاهر الضعف و الحاجة بلسان الحال و المقال و ذلك أن أصله حكم عليه لما قرب منه يقول الله خَلَقَكُمْ من ضَعْفٍ و قال خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً فإذا استوى قائما و بعد عن أصله تفرعن و تجبر و ادعى القوة و قال أنا فالرجل من كان مع الله في حال قيامه و صحته كحاله في اضطجاعه من المرض و الضعف و هو عزيز لهم البحث الشديد في النظر في أفعالهم و أفعال غيرهم معهم من أجل النيات التي بها يتوجهون و إليها ينسبون لشدة بحثهم عنها حتى تخلص لهم الأعمال و يخلصوها من غيرهم و لهذا قيل فيهم النياتيون كما قيل الملامية و الصوفية لأحوال خاصة هم عليها فلهم معرفة الهاجس و الهمة و العزم و الإرادة و القصد و هذه كلها أحوال مقدمة للنية و النية هي التي تكون منه عند مباشرة أفعاله و هي المعتبرة في الشرع الإلهي ففيها يبحثون و هي متعلق الإخلاص و كان عالمنا الإمام سهل بن عبد الله يدقق في هذا الشأن و هو الذي نبه على نقر الخاطر و يقول إن النية هو ذلك الهاجس و أنه السبب الأول في حدوث الهم و العزم و الإرادة و القصد فكان يعتمد عليه و هو الصحيح عندنا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع و الثلاثون في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس فعاين منها أمورا أذكرها إن شاء الله)

فالعرش في حقه إن كان إنسان ... إن المحقق بالأنفاس رحمان
له العماء و إحسان فإحسان ... و إن توجه نحو العين يطلبها
يزوره فيه أنصار و أعوان ... مقامه باطن الأعراف يسكنه
كما له من وجود العين إنسان ... له من الليل إن حققت آخره
أو لاح باطنه تقول فرقان ... إن لاح ظاهره تقول قرآن
فهو الكمال الذي ما فيه نقصان ... قد جمع الله فيه كل منقبة

اعلم أيدك الله بروح القدس أن المعلومات مختلفة لأنفسها و أن الإدراكات التي تدرك بها المعلومات مختلفة أيضا لأنفسها كالمعلومات و لكن من حيث أنفسها و ذواتها لا من حيث كونها إدراكات و إن كانت مسألة خلاف عند أرباب النظر و قد جعل الله لكل حقيقة مما يجوز أن يعلم

إدراكا خاصا عادة لا حقيقة أعني محلها و جعل المدرك بهذه الإدراكات لهذه المدركات عينا واحدة وهي ستة أشياء سمع و بصر و شم و لمس و طعم و عقل و إدراك جميعها للأشياء ما عدا العقل ضروري و لكن الأشياء التي ارتبطت بها عادة لا تخطئ أبدا و قد غلط في هذا جماعة من العقلاء و نسبوا الغلط للحس و ليس كذلك و إنما الغلط للحاكم و أما إدراك العقل المعقولات فهو على قسمين منه ضروري مثل سائر الإدراكات و منه ما ليس بضروري بل يفتقر في علمه إلى أدوات ست منها الحواس الخمس التي ذكرناها و منها القوة المفكرة و لا يخلو معلوم يصح أن يعلمه مخلوق أن يكون مدركا بأحد هذه الإدراكات و إنما قلنا إن جماعة غلطت في إدراك الحواس فنسبت إليها الأغاليط و ذلك أنهم رأوا إذا كانوا في سفينة تجري بهم مع الساحل رأوا الساحل يجري بجري السفينة فقد أعطاهم البصر ما ليس بحقيقة و لا معلوم أصلا فإنهم عالمون علما ضروريا أن الساحل لم يتحرك من مكانه و لا يقدرون على إنكار ما شاهدوه من التحرك و كذلك إذا طعموا سكرا أو عسلا فوجدوه مرا و هو حلو فعلموا ضرورة أن حاسة الطعم غلطت عندهم و نقلت ما ليس بصحيح و الأمر عندنا ليس كذلك و لكن القصور و الغلط وقع من الحاكم الذي هو العقل لا من الحواس فإن الحواس إدراكها لما تعطيه حقيقتها ضروري كما إن العقل فيما يدركه بالضرورة لا يخطئ و فيما يدركه بالحواس أو بالفكر قد يغلط فما غلط حس قط و لا ما هو إدراكه ضروري فلا شك أن الحس رأى تحركا بلا شك و وجد طعما مرا بلا شك فأدرك البصر التحرك بذاته و أدرك الطعم قوة المرارة بذاته و جاء عقل فحكم إن الساحل متحرك و أن السكر مر و جاء عقل آخر و قال إن الخلط الصفراوي قام بمحل الطعم فأدرك المرارة و حال ذلك الخلط بين قوة الطعم و بين السكر فاذن فما ذاق الطعم إلا مرارة الصفراء فقد أجمع العقلان من الشخصين على أنه أدرك المرارة بلا شك و اختلف العقلان فيما هو المدرك للطعم فبان إن العقل غلط لا الحس فلا ينسب الغلط أبدا في الحقيقة إلا للحاكم لا للشاهد و عندي في هذه المسألة أمر آخر يخالف ما ادعوه و هو أن الحلاوة التي في الحلو و غير ذلك من المطعومات ليس هو في المطعوم لأمر إذا بحثت عليه وجدت صحة ما ذهبنا إليه و كذا الحكم في سائر الإدراكات و لو كان في العادة فوق العقل مدرك آخر يحكم على العقل و يأخذ عنه كما يحكم العقل على الحس لغلط أيضا ذلك المدرك الحاكم فيما هو للعقل ضروري و كان يقول إن العقل غلط فيما هو له ضروري فإذا تقرر هذا و عرفت كيف رتب الله المدركات و الإدراكات و أن ذلك الارتباط أمر عادي فاعلم إن لله عبادا آخرين خرق لهم العادة في إدراكهم العلوم فمنهم من جعل له إدراك ما يدرك بجميع القوي من المعقولات و المحسوسات بقوة البصر خاصة و آخر بقوة السمع و هكذا بجميع القوي ثم بأمور عرضية خلاف القوي من ضرب و حركة و سكون و غير ذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين و الآخرين فدخل في هذا العلم كل معلوم معقول و محسوس مما يدركه المخلوق فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوي الحسية و المعنوية فلهذا قلنا إن ثم سببا آخر خلاف هذه القوي تدرك به المعلومات و إنما قلنا قد تدرك العلوم بغير قواها المعتادة فحكمنا على هذه الإدراكات لمدركاتها المعتادة بالعادة من أجل المتفرس فينظر صاحب الفراسة في الشخص فيعلم ما يكون منه أو ما خطر له في باطنه أو ما فعل و كذلك الزاجر و

أشباهه و إنما جئنا بهذا كله تأنيسا لما نريد أن ننسبه إلى أهل الله من الأنبياء و الأولياء فيما يدركونه من العلوم على غير الطرق المعتادة فإذا أدركوها نسبوا إلى تلك الصفة التي أدركوا بها المعلومات فيقولون فلان صاحب نظر أي بالنظر يدرك جميع المعلومات و هذا ذقته مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و فلان صاحب سمع و فلان صاحب طعم و صاحب نفس و أنفاس يعني الشم و صاحب لمس و فلان صاحب معنى و هذا خارج عن هؤلاء بل هو كما يقال في العامة صاحب فكر صحيح فمن الناس من أعطى النظر إلى آخر القوي على قدر ما أعطى و هو له عادة إذا استمر ذلك عليه لأنه مشتق من العود أي يعود ذلك عليه في كل نظرة أو في كل شم ما ثم غير ذلك و كذلك أيضا لتعلم إن الأسماء الإلهية مثل هذا و أن كل اسم يعطي حقيقة خاصة ففي قوته أن يعطي كل واحد من الأسماء الإلهية ما تعطيه جميع الأسماء قال تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و كذلك لو ذكر كل اسم لقال فيه إن له الأسماء الحسنى و ذلك لاحدية المسمى فاعلم ذلك فمن الناس من يختص به الاسم الله فتكون معارفه إلهية و منهم من يختص به الاسم الرحمن فتكون معارفه رحمانية كما كانت في القوي الكونية يقال فيها معارف هذا الشخص نظرية و في حق آخر سمعية فهو من عالم النظر و عالم السمع و عالم الأنفاس هكذا تنسب معارفه في الإلهيات إلى الاسم الإلهي الذي فتح له فيه فتندرج فيه حقائق الأسماء كلها فإذا علمت هذا أيضا فاعلم إن الذي يختص بهذا الباب من الأسماء الإلهية لهذا الشخص المعين الاسم الرحمن و الذي يختص به من القوي فينسب إليها قوة الشم و متعلقها الروائح و هي الأنفاس فهو من عالم الأنفاس في نسبة القوي و من الرحمانيين في مراتب الأسماء فنقول إن هذا الشخص المعين في هذا الباب سواء كان زيدا أو عمرا معرفته رحمانية فكل أمر ينسب إلى الاسم الرحمن في كتاب أو سنة فإنه ينسب إلى هذا الشخص فإن هذا الاسم هو الممد له و ليس لاسم إلهي عليه حكم إلا بوساطة هذا الاسم على أي وجه كان و لهذا نقول إن الله سبحانه قد أبطن في مواضع رحمته في عذابه و نقمته كالمريض الذي جعل في عذابه بالمرض رحمته به فيما يكفر عنه من الذنوب فهذه رحمة في نقمة و كذلك من انتقم منه في إقامة الحد من قتل أو ضرب فهو عذاب حاضر فيه رحمة باطنة بها ارتفعت عنه المطالبة في الدار الآخرة كما أنه في نعمته في الدنيا من الاسم المنعم أبطن نقمته فهو ينعم الآن بما به يتعذب لبطون العذاب فيه في الدار الآخرة أو في زمان التوبة فإن الإنسان إذا ناب و نظر و فكر فيما تلذذ به من المحرمات تعود تلك الصور المستحضرة عليه عذابا و كان قبل التوبة حين يستحضرها في ذهنه يلتذ بها غاية اللذة فسبحان من أبطن رحمته في عذابه و عذابه في رحمته و نعمته في نقمته و نقمته في نعمته فالمبطون أبدا هو روح العين الظاهرة أي شيء كان فهذا الشخص لما كانت معرفته رحمانية و كان الاسم الرحمن استوى على العرش فقال تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى كانت همة هذا الشخص عرشية فكما كان العرش للرحمن كانت الهمة لهذه المعرفة محلا لاستوائها فقيل همته عرشية و مقام هذا الشخص باطن الأعراف و هو السور الذي بين أهل السعادة و الشقاوة للاعراف رجال سيذكرون و هم الذين لم تقيدهم صفة كأبي يزيد و غيره و إنما كان مقامه باطن الأعراف لأن معرفته رحمانية و همته عرشية فإن العرش مستوي الرحمن كذلك باطن الأعراف فيه الرحمة كما إن ظاهره فيه العذاب فهذا الشخص له رحمة بالموجودات كلها بالعصاة و

الكفار و غيرهم قال تعالى لسيد هذا المقام و هو محمد صلى الله عليه و سلم حين دعا على رعل و ذكوان و عصية بالعذاب و الانتقام فقال عليك بفلان و فلان و ذكر ما كان منهم قال الله له إن الله ما بعثك سبابا و لا لعانا و لكن بعثك رحمة فنهى عن الدعاء عليهم و سبهم و ما يكرهون و أنزل الله عز و جل عليه وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ فعم العالم أي لترحمهم و تدعوني لهم لا عليهم فيكون عوض قوله لعنهم الله تاب الله عليهم و هداهم كما قال حين جرحوه اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون يريد من كذبه من غير أهل الكتاب و المقلدة من أهل الكتاب لا غيرهم فلهذا قلنا في حق هذا الشخص صاحب هذا المقام إنه رحيم بالعصاة و الكفار فإذا كان حاكما هذا الشخص و أقام الحد أو كان ممن تعين عليه شهادة في إقامة حد فشهد به أو أقامه فلا يقيمه إلا من باب الرحمة و من الاسم الرحمن في حق المحدود و المشهود عليه لا من باب الانتقام و طلب التشفي لا يقتضيه مقام هذا الاسم فلا يعطيه حاله هذا الشخص قال تعالى في قصة إبراهيم إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ و من كان هذا مقامه و معرفته و هذا الاسم الرحمن ينظر إليه فيعاين من الأسرار ذوقا ما بين نسبة الاستواء إلى العرش و ما بين نسبة الأين إلى العماء هل هما على حد واحد أو يختلف و يعلم ما للحق من نعوت الجلال و اللطف معا بين العماء و الاستواء إذ قد كان في العماء و لا عرش فيوصف بالاستواء عليه ثم خلق العرش و استوى عليه بالاسم الرحمن و للعرش حد يتميز به من العماء الذي هو الاسم الرب و للعماء حد يتميز به عن العرش و لا بد من انتقال من صفة إلى صفة فما كان نعته تعالى بين العماء و العرش أو بأي نسبة ظهر بينهما إذ قد تميز كل واحد منهما عن صاحبه بحده و حقيقته كما يتميز العماء الذي فوقه الهواء و تحته الهواء و هو السحاب الرقيق الذي يحمله الهواء الذي تحته و فوقه عن العماء الذي ما فوقه هواء و ما تحته هواء فهو عماء غير محمول فيعلم السامع أن العماء الذي جعل للرب أينية أنه عماء غير محمول ثم جاء قوله تعالى هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ فهل هذا الغمام هو راجع إلى ذلك العماء فيكون العماء حاملا للعرش و يكون العرش مستوي الرحمن فتجمع القيامة بين العماء و العرش أو هو هذا المقام المقصود الذي فوقه هواء و تحته هواء فصاحب هذا المقام يعطي علم ذلك كله ثم إن صاحب هذا المقام يعطي أيضا من العلوم الإلهية من هذا النوع بالاسم الرحمن نزول الرب إلى سماء الدنيا من العرش يكون هذا النزول أو من العماء فإن العماء إنما ورد حين وقع السؤال عن الاسم الرب فقيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه فقال كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء فاسم كان المضمر هو ربنا و قال ينزل ربنا إلى السماء فيدلك هذا على إن نزوله إلى السماء الدنيا من ذلك العماء كما كان استواءه على العرش من ذلك العماء فنسبته إلى السماء الدنيا كنسبته إلى العرش لا فرق فما فارق العرش في نزوله إلى السماء الدنيا و لا فارق العماء في نزوله إلى العرش و لا إلى السماء الدنيا و لما أخبر النبي صلى الله عليه و سلم أن الله يقول في هذا النزول إلى السماء الدنيا هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من سائل فأعطيه هل من داع فأجيبه فهذا كله من باب رحمته و لطفه و هذا حقيقة الاسم الرحمن الذي اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ فنزلت هذه الصفة مع الاسم الرب إلى السماء الدنيا فهو ما أعلمناك به إن كل اسم إلهي يتضمن حكم جميع الأسماء الإلهية من حيث إن المسمى واحد فيعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول الرباني السماوي ما يختص بالاسم

الرحمن منه الذي قال به هل من تائب هل من مستغفر فإن الرحمن يطلب هذا القول بلا شك فهذا حظ ما يعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول بلا واسطة و يعلم نزول الرب من العماء إلى السماء بوساطة الاسم الرحمن لأنه ليس للاسم الرب على صاحب هذا المقام سلطان فإنه كما قلنا الاسم الرحمن فلا يعلم من الاسم الرب و لا غيره أمرا إلا بالاسم الرحمن فيعلم عند ذلك بإعلام الرحمن إياه ما أراد الحق بنزوله من العماء إلى السماء على هذا الوجه هي معرفته ثم مما يختص بعلمه صاحب هذا المقام بوساطة الاسم الرحمن علم قول الله ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن فأتى بياء الإضافة في السعة و العبودية فلم يأخذ من الله إلا قدر ما تعطيه الياء خاصة و يتضمن هذا علمين علما بما فيه من العناية بعبده المؤمن فيأخذه من الاسم الرحمن بذاته و علما بما فيه من سر الإضافة بحرف الياء فيأخذه من الله بترجمة الاسم الرحمن فيعلم إن للسعة هنا المراد بها الصورة التي خلق الإنسان عليها كأنه يقول ما ظهرت أسمائي كلها إلا في النشأة الإنسانية قال تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها أي الأسماء الإلهية التي وجدت عنها الأكوان كلها و لم تعطها الملائكة و قال صلى الله عليه و سلم إن الله خلق آدم على صورته و إن كان الضمير عندنا متوجها أن يعود على آدم فيكون فيه رد على بعض النظار من أهل الأفكار و يتوجه أن يعود على الله لتخلقه بجميع الأسماء الإلهية فعلمت إن هذه السعة إنما قبلها العبد المؤمن لكونه على الصورة كما قبلت المرآة صورة الرائي دون غيرها مما لا صقالة فيه و لا صفاء و لم يكن هذا للسماء لكونها شفافة و لا للأرض لكونها غير مصقولة فدل على إن خلق الإنسان و إن كان عن حركات فلكية هي أبوه و عن عناصر قابلة و هي أمه فإن له من جانب الحق أمرا ما هو في آبائه و لا في أمهاته من ذلك الأمر وسع جلال الله تعالى إذ لو كان ذلك من قبل أبيه الذي هو السماء أو أمه التي هي الأرض أو منهما لكان السماء و الأرض أولى بأن يسعا الحق ممن تولد عنهما و لا سيما و الله تعالى يقول لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يريد في المعنى لا في الجرمية و مع هذا فاختص الإنسان بأمر أعطاه هذه السعة التي ضاق عنها السماء و الأرض فلم تكن له هذه السعة إلا من حيث أمر آخر من الله فضل به على السماء و الأرض فكل واحد من العالم فاضل مفضول فقد فضل كل واحد من العالم من فضله لحكمة الافتقار و النقص الذي هو عليه كل ما سوى الله فإن الإنسان إذا زها بهذه السعة و افتخر على الأرض و السماء جاءه قوله تعالى لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ و إذا زهت السماء و الأرض بهذه الآية على الإنسان جاء قوله ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي فأزال عنه هذا العلم ذلك الزهو و الفخر و عنهما و افتقر الكل إلى ربه و انحجب عن زهوه و نفسه و قوله وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يدل على إن بعض الناس يعلم ذلك و علم هذا من علمه منا من الاسم الرحمن الذي هو له و به تحقق فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً فرحمه عند ما زها بعلم ما فضل به على السماء و الأرض و علم من ذلك أنه ما حصل له من الاسم الرحمن إلا قدر ما كشف له مما فيه دواؤه فإن ذلك الأمر الذي به فضل السماء و الأرض هذا العبد هو أيضا من الاسم الرحمن ما جاد به على هذا العبد و لا تقول إن هذا طعن في كونه نسخة من العالم بل هو على الحقيقة نسخة جامعة باعتبار إن فيه شيئا من السماء بوجه ما و من الأرض بوجه ما و من كل شيء بوجه ما لا من جميع الوجوه فإن الإنسان على الحقيقة من جملة المخلوقات

لا يقال فيه إنه سماء و لا أرض و لا عرش و لكن يقال فيه إنه يشبه السماء من وجه كذا و الأرض من وجه كذا و العرش من وجه كذا و عنصر النار من وجه كذا و ركن الهواء من وجه كذا و الماء و الأرض و كل شيء في العالم فبهذا الاعتبار يكون نسخة و له اسم الإنسان كما للسماء اسم السماء و من علوم صاحب هذا المقام نزول القرآن فرقانا لا قرآنا فإذا علمه قرآنا فليس من الاسم الرحمن و إنما الاسم الرحمن ترجم له عن اسم آخر إلهي يتضمنه الاسم الرحمن و أنه نزل في ليلة مباركة و هي ليلة القدر فعرف بنزوله مقادير الأشياء و أوزانها و عرف بقدره منها كما نزل الرب تعالى في الثلث الباقي من الليل فالليل محل النزول الزماني للحق و صفته التي هي القرآن و كان الثلث الباقي من الليل في نزول الرب غيب محمد صلى الله عليه و سلم و غيب هذا النوع الإنساني فإن الغيب ستر و الليل ستر و سمي هذا الباقي من الليل الثلث لأن هذه النشأة الإنسانية لها البقاء دائما في دار الخلود فإن الثلثين الأولين ذهبا بوجود الثلث الباقي أو الآخر من الليل فيه نزل الحق فأوجب له البقاء أيضا و هو ليل لا يعقبه صباح أبدا فلا يذهب لكن ينتقل من حال إلى حال و من دار إلى دار كما ينتقل الليل من مكان إلى مكان أمام الشمس و إنما يفر أمامها لئلا تذهب عينه إذ كان النور ينافي الظلمة و تنافيه غير أن سلطان النور أقوى فالنور ينفر الظلمة و الظلمة لا تنفر النور و إنما هو النور ينتقل فتظهر الظلمة في الموضع الذي لا عين للنور فيه ألا ترى الحق تسمى بالنور و لم يتسم بالظلمة إذ كان النور وجودا و الظلمة عدما و إذ كان النور لا تغالبه الظلمة بل النور الغالب كذلك الحق لا يغالبه الخلق بل الحق الغالب فسمى نفسه نورا فتذهب السماء و هو الثلث الأول من الليل و تذهب الأرض و هو الثلث الثاني من الليل و يبقى الإنسان في الدار الآخرة أبد الآبدين إلى غير نهاية و هو الثلث الباقي من الليل و هو الولد عن هذين الأبوين السماء و الأرض فنزل القرآن في الليلة المباركة في الثلث الآخر منها و هو الإنسان الكامل ففرق فيه كل أمر حكيم فتميز عن أبويه بالبقاء ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ﴾ هو محمد صلى الله عليه و سلم ألا ترى الشارع كيف قال في ولد الزنا إنه شر الثلاثة و كذلك ولد الحلال خير الثلاثة من هذا الوجه خاصة فإن الماء الذي خلق منه الولد من الرجل و المرأة أراد الخروج و هو الماء الذي تكون منه الولد و هو الأمر الثالث فحرك لما أراد الخروج الأبوين للنكاح ليخرج و كان تحريكه لهما على غير وجه مرضي شرعا يسمى سفاحا فقيل فيه إنه شر الثلاثة أي هو سبب الحركة التي بها انطلق عليهم اسم الشر فجعله ثلاثة أثلاث الأبوان ثلثان و الولد ثالث كذلك قسم الليل على ثلاثة أثلاث ثلثان ذاهبان و هما السماء و الأرض و ثلث باق و هو الإنسان و فيه ظهرت صورة الرحمن و فيه نزل القرآن و إنما سميت السماء و الأرض ليلا لأن الظلمة لها من ذاتها و الإضاءة فيها من غيرها من الأجسام المستنيرة التي هي الشمس و أمثالها فإذا زالت الشمس أظلمت السماء و الأرض فهذا يا أخي قد استفدت علوما لم تكن تعرفها قبل هذا و هي علوم هذا الشخص المحقق بمنزل الأنفاس و كل ما أدركه هذا الشخص فإنما أدركه من الروائح بالقوة الشمية لا غير و قد رأينا منهم جماعة بإشبيلية و بمكة و بالبيت المقدس و فاوضناهم في ذلك مفاوضة حال لا مفاوضة نطق كما أني فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصري بالبصر فكنت أسأل و أجاب و نسأل و نجيب بمجرد النظر ليس بيننا كلام معتاد و لا اصطلاح بالنظر أصلا لكن كنت إذا نظرت إليه علمت جميع ما يريده مني و إذا نظر إلي علم جميع ما نريده منه فيكون نظره

إلي سؤالا أو جوابا و نظري إليه كذلك فنحصل علوما جمة بيننا من غير كلام و يكفي هذا القد ر من بعض علم هذا الشخص فإن علومه كثيرة أحطنا بها فمن أراد أن يعرف مما ذكرناه شيئا فليعلم الفرق بين في في قوله كان في عماء و بين استوى في قوله الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و لم يقل في كما قال في السماء و في الليل و يتبين لك في كل ما ذكرناه مقام جمع الجمع و مقام الجمع و مقام التفرقة و مقام تمييز المراتب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء التاسع عشر

(بسم اللّٰه الرحمن الرحيم)

(الباب الخامس و الثلاثون في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس و أسراره بعد موته رضي اللّٰه عنه)

العبد من كان في حال الحياة به ... كحاله بعد موت الجسم و الروح
و العبد من كان في حال الحجاب به ... نورا كإشراق ذات الأرض من يوح
فحالة الموت لا دعوى تصاحبها ... كما الحياة لها الدعوى بتصريح
في حق قوم و في قوم تكون لهم ... تلك الدعاوي بإيماء و تلويح
فإن فهمت الذي قلناه قمت به ... و زنا تنزه عن نقص و ترجيح
و كنت ممن تزكيه حقائقه ... و لا سبيل إلى طعن و تجريح
و إن جهلت الذي قلناه جئت إلى ... دار السؤال بصدر غير مشروح

اعلم أيدك اللّٰه بروح القدس أن هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس أي شخص كان فإن حاله بعد موته يخالف سائر أحوال الموتى فلنذكر أولا حصر مآخذ أهل اللّٰه العلوم من اللّٰه كما قررناه في الباب قبل هذا و لنذكر ما لهم و آثار تلك المآخذ في ذواتهم فلنقل اعلم يا أخي أن علم أهل اللّٰه المأخوذ من الكشف إنه على صورة الايمان سواء فكل ما يقبله الايمان عليه يكون كشف أهل اللّٰه فإنه حق كله و المخبر به و هو النبي صلى اللّٰه عليه و سلم مخبر به عن كشف صحيح و ذوات العلماء باللّٰه تعالى تكون على صفة الشيء الذي تأخذ منه العلم باللّٰه أي شيء كان و اعلم أن الصفات على نوعين صفات نفسية و صفات معنوية فالصفات المعنوية في الموصوف هي التي إذا رفعتها عن الذات الموصوفة بها لم ترتفع الذات التي كانت موصوفة بها و الصفات النفسية هي التي إذا رفعتها عن الموصوف بها ارتفع الموصوف بها و لم يبق له عين في الوجود العيني و لا في الوجود العقلي حيث ما رفعتها ثم إنه ما من صفة نفسية للموصوف التي هي ليست بشيء زائد على ذاته إلا و لها صفة نفسية بها يمتاز بعضها عن بعض فإنه قد تكون ذات الموصوف مركبة من صفتين نفسيتين إلى ما فوق ذلك و هي الحدود الذاتية و هنا باب مغلق لو فتحناه لظهر ما يذهب بالعقول و يزيل الثقة بالمعلوم و ربما كان يؤول الأمر في ذلك إلى أن يكون السبب الأول من صفات نفس الممكنات كما

أنك إذا جعلت السبب شرطا في وجود المشروط و رفعت الشرط ارتفع المشروط بلا شك و لا يلزم العكس فهذا يطرد و لا ينعكس فتركناه مقفلا لمن يجد مفتاحه فيفتحه وإذا كان الأمر عندنا و عند كل عاقل بهذه المثابة فقد علمت إن الصفات معان لا تقوم بأنفسها و ما لها ظهور إلا في عين الموصوف و الصفات النفسية معان و هي عين الموصوف و المعاني لا تقوم بأنفسها فكيف تكون هي عين الموصوف لا غيره فيوصف الشيء بنفسه و صار قائما بنفسه من حقيقته ألا يقوم بنفسه فإن كل موصوف هو مجموع صفاته النفسية و الصفات لا تقوم بأنفسها و ما ثم ذات غيرها تجمعها و تظهر و قد نبهتك على أمر عظيم لتعرف لما ذا يرجع علم العقلاء من حيث أفكارهم و يتبين لك أن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر و لا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم و أن العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم و هو نور إلهي يختص به من يَشاءُ من عِبادِهِ من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و من لا كشف له لا علم له و لهذا جاءت الرسل و التعريف الإلهي بما تحيله العقول فتضطر إلى التأويل في بعضها لتقبله و تضطر إلى التسليم و العجز في أمور لا تقبل التأويل أصلا و غايته أن يقول له وجه لا يعلمه إلا الله لا تبلغه عقولنا و هذا كله تأنيس للنفس لا علم حتى لا ترد شيئا مما جاءت به النبوة هذا حال المؤمن العاقل و أما غير المؤمن فلا يقبل شيئا من ذلك و قد وردت أخبار كثيرة مما تحيلها العقول منها في الجناب العالي و منها في الحقائق و انقلاب الأعيان فأما التي في الجناب العالي فما وصف الحق به نفسه في كتابه و على لسان رسله مما يجب الايمان به و لا يقبله العقل بدليله على ظاهره إلا إن تأوله بتأويل بعيد فإيمانه إنما هو بتأويله لا بالخبر و لم يكن له كشف إلهي كما كان للنبي فيعرف مراد الحق في ذلك الخبر فوصف نفسه سبحانه بالظرفية الزمانية و المكانية و وصفه بذلك رسوله صلى الله عليه و سلم و جميع الرسل و كلهم على لسان واحد في ذلك لأنهم يتكلمون عن إل واحد و العقلاء أصحاب الأفكار اختلفت مقالاتهم في الله تعالى على قدر نظرهم فالإله الذي يعبد بالعقل مجردا عن الايمان كأنه بل هو إله موضوع بحسب ما أعطاه نظر ذلك العقل فاختلفت حقيقته بالنظر إلى كل عقل و تقابلت العقول و كل طائفة من أهل العقول تجهل الأخرى بالله و إن كانوا من النظار الإسلاميين المتأولين فكل طائفة تكفر الأخرى و الرسل صلوات الله عليهم من آدم ع إلى محمد صلى الله عليه و سلم ما نقل عنهم اختلاف فيما ينسبونه إلى الله من النعوت بل كلهم على لسان واحد في ذلك و الكتب التي جاءوا بها كلها تنطق في حق الله بلسان واحد ما اختلف منهم اثنان يصدق بعضهم بعضا مع طول الأزمان و عدم الاجتماع و ما بينهم من الفرق المنازعين لهم من العقلاء ما اختل نظامهم و كذلك المؤمنون بهم على بصيرة المسلمون المسلمون الذين لم يدخلوا نفوسهم في تأويل فهم أحد رجلين إما رجل آمن و سلم و جعل علم ذلك إليه إلى أن مات و هو المقلد و إما رجل عمل بما علم من فروع الأحكام و اعتقد الايمان بما جاءت به الرسل و الكتب فكشف الله عن بصيرته و صيره ذا بصيرة في شأنه كما فعل بنبيه و رسوله صلى الله عليه و سلم و أهل عنايته فكاشف و أبصر و دعا إلى الله عز و جل على بصيرة كما قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه و سلم مخبرا له أَدْعُوا إِلَى اللّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي و هؤلاء هم العلماء بالله العارفون و إن لم يكونوا رسلا و لا أنبياء فهم على بينة من ربهم في علمهم به و بما جاء من عنده و كذلك وصف نفسه بكثير من صفات المخلوقين من المجيء و الإتيان و التجلي

للأشياء و الحدود و الحجب و الوجه و العين و الأعين و اليدين و الرضي و الكراهة و الغضب و الفرح و التبشبش و كل خبر صحيح ورد في كتاب و سنة و الأخبار أكثر من أن تحصى مما لا يقبلها إلا مؤمن بها من غير تأويل أو بعض أرباب النظر من المؤمنين بتأويل أضطره إليه إيمانه فانظر مرتبة المؤمن ما أعزها و مرتبة أهل الكشف ما أعظمها حيث ألحقت أصحابها بالرسل و الأنبياء عليهم السلام فيما خصوا به من العلم الإلهي لأن العلماء ورثة الأنبياء و ما ورثوا دينارا و لا درهما بل ورثوا العلم يقول صلى الله عليه و سلم إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة فمن كان عنده شيء من هذه الدنيا فليوقفه صدقة على من يراه من الأقربين إلى الله فهو النسب الحقيقي أو يزهد فيه و لا يترك شيئا يورث عنه إن أراد أن يلحق بهم و لا يرث أحدا فالحمد لله الذي أعطانا من هذا المقام الحظ الوافر فهذا بعض ما ورد علينا من الله عز و جل في الله تعالى من الأوصاف و أما في قلب الحقائق فلا خلاف بين العقلاء في أنه لا يكون و دل دليل العقل القاصر من جهة فكره و نظره لا من جهة إيمانه و قبوله إذ لا أعقل من الرسل و أهل الله إن الأعيان لا تنقلب حقيقة في نفسها و إن الصفات و الأعراض في مذهب من يقول إنها أعيان موجودة لا تقوم بأنفسها و لا بد لها من محل قائم بنفسه أو غير قائم بنفسه لكنه في قائم بنفسه و لا بد و مثال الأول السواد مثلا أو أي لون كان لا يقوم إلا بمحل يقال فيه لقيام السواد به أسود و مثال الثاني كالسواد المشرق مثلا فالسواد هو المشرق فإنه نعت له فهذا معنى قولي أو غير قائم بنفسه لكنه في قائم بنفسه و هذه مسألة خلاف بين النظار هل يقوم المعنى بالمعنى فمن قائل به و مانع من ذلك و قد ثبت أن جميع الأعمال كلها أعراض و إنها تفني و لا بقاء لها و إنه ليس لها عين موجودة بعد ذهابها و لا توصف بالانتقال و إن الموت إما عرض موجود في الميت في مذهب بعض النظار و إما نسبة افتراق بعد اجتماع و كذا جميع الأكوان في مذهب بعضهم و هو الصحيح الذي يقتضيه الدليل و على كل حال فإنه لا يقوم بنفسه و وردت الأخبار النبوية بما يناقض هذا كله مع كوننا مجمعين على إن الأعمال أعراض أو نسب فقال الشارع و هو الصادق صاحب العلم الصحيح و الكشف الصريح إن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح يعرفه الناس و لا ينكره أحد فيذبح بين الجنة و النار روى أن يحيىع هو الذي يضجعه و يذبحه بشفرة تكون في يده و الناس ينظرون إليه و ورد أيضا في الخبر أن عمل الإنسان يدخل معه في قبره في صورة حسنة أو قبيحة فيسأله صاحبه فيقول أنا عملك و أن مانع الزكاة يأتيه ماله شجاعا أقرع له زبيبتان و أمثال هذا في الشرع لا تحصى كثرة فأما المؤمنون فيؤمنون بهذا كله من غير تأويل و أما أهل النظر من أهل الايمان و غيرهم فيقولون حمل هذا على ظاهره محال عقلا و له تأويل فيتأولونه بحسب ما يعطيهم نظرهم فيه ثم يقولون أهل الايمان منهم عقيب تأويلهم و الله أعلم يعني في ذلك التأويل الخاص الذي ذهب إليه هل هو المراد لله أم لا و أما حمله على ظاهره فمحال عندهم جملة واحدة و الايمان إنما يتعلق بلفظ الشارع به خاصة هذا هو اعتقاد أهل الأفكار و بعد أن بينا لك هذه الأمور و مراتب الناس فيها فإنها من هذا الباب الذي نحن بصدده فاعلم أنه ما ثم إلا ذوات أوجدها الله تعالى فضلا منه عليها قائمة بأنفسها و كل ما وصفت به فنسب و إضافات بينها و بين الحق من حيث ما وصفت فإذا أوجد الموجد قيل فيه إنه قادر على الإيجاد و لو لا ذاك ما أوجد و إذا خصص الممكن بأمر دون غيره مما يجوز أن يقوم به قيل مريد و لو لا ذلك ما خصصه بهذا دون

غيره و سبب هذا كله إنما تعطيه حقيقة الممكن فالممكنات أعطت هذه النسب فافهم إن كنت ذا لب و نظر إلهي و كشف رحماني و قد قررنا في الباب الذي قبل هذا أن مآخذ العلوم من طرق مختلفة و هي السمع و البصر و الشم و اللمس و الطعم و العقل من حيث ضرورياته و هو ما يدركه بنفسه من غير قوة أخرى و من حيث فكره الصحيح أيضا مما يرجع إلى طرق الحواس أو الضروريات و البديهيات لا غير فذلك يسمى علما و الأمور العارضة الحاصل عنها العلوم أيضا ترجع إلى هذه الأصول لا تنفك عنها و إنما سميت عوارض من أجل أن العادة في إدراك الألوان إن اللمس لا يدركها و إنما يدركها البصر فإذا أدركها الأكمه باللمس و قد رأينا ذلك فقد عرض لحاسة اللمس ما ليس من حقيقتها في العادة أن تدركه و كذلك سائر الطرق إذا عرض لها درك ما ليس من شأنها في العادة أن يدرك بها يقال فيه عرض لها و إنما فعل الله هذا تنبيها لنا أنه ما ثم حقيقة كما يزعم أهل النظر لا ينفذ فيها الاقتدار الإلهي بل تلك الحقيقة إنما هي بجعل الله لها على تلك الصورة و إنها ما أدركت الأشياء المربوط إدراكها بها من كونها بصرا و لا غير ذلك يقول الله بل بجعلنا فيدرك جميع العلوم كلها بحقيقة واحدة من هذه الحقائق إذا شاء الحق فلهذا قلنا عرض لها إدراك ما لم تجر العادة بإدراكها إياه فتعلم قطعا أنه عز و جل قد يكون مما يعرض لها أن تعلم و ترى من ليس كمثله شيء و إن كانت الإدراكات لم تدرك شيئا قط إلا و مثله أشياء كثيرة من جميع المدركات و لم ينف سبحانه عن إدراكه قوة من القوي التي خلقها إلا البصر فقال لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فمنع ذلك شرعا و ما قال لا يدركه السمع و لا العقل و لا غيرهما من القوي الموصوف بها الإنسان كما لم يقل أيضا إن غير البصر يدركه بل ترك الأمر مبهما و أظهر العوارض التي تعرض لهذه القوي في معرض التنبيه أنه ربما وضع ذلك في رؤيتنا من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ كما رأينا أول مرئي و سمعنا أول مسموع و شممنا أول مشموم و طعمنا أول مطعوم و لمسنا أول ملموس و عقلنا أول معقول مما لم يكن له مثل عندنا و إن كان له أمثال في نفس الأمر و لكن في أولية الإدراك سر عجيب في نفي المماثلة له فقد أدرك المدرك من لا مثل له عنده فيقيسه عليه و كون ذلك المدرك يقبل لذاته المثل أو لا يقبله حكم آخر زائد على كونه مدركا لا يحتاج إليه في الإدراك إن كنت ذا فطنة بل نقول إن التوسع الإلهي يقتضي أن لا مثل في الأعيان الموجودة و أن المثلية أمر معقول متوهم فإنه لو كانت المثلية صحيحة ما امتاز شيء عن شيء مما يقال هو مثله فذلك الذي امتاز به الشيء عن الشيء هو عين ذلك الشيء و ما لم يمتاز به عن غيره فما هو إلا عين واحدة فإن قلت رأيناه مفترقا مفارقا ينفصل هذا عن هذا مع كونه يماثله في الحد و الحقيقة يقال له أنت الغالط فإن الذي وقع به الانفصال هو المعبر عنه بأنه تلك العين و ما لم يقع به الانفصال هو الذي توهمت أنه مثل و هذا من أغمض مسائل هذا الباب فما ثم مثل أصلا و لا يقدر على إنكار الأمثال و لكن بالحدود لا غير و لهذا انطلق المثلية من حيث الحقيقة الجامعة المعقولة لا الموجودة فالأمثال معقولة لا موجودة فنقول في الإنسان إنه حيوان ناطق بلا شك و أن زيدا ليس هو عين عمرو من حيث صورته و هو عين عمرو من حيث إنسانيته لا غيره أصلا و إذا لم يكن غيره في إنسانيته فليس مثله بل هو هو فإن حقيقة الإنسانية لا تتبعض بل هي في كل إنسان بعينها لا بجزئيتها فلا مثل لها و هكذا جميع الحقائق كلها فلم تصح المثلية إذا جعلتها غير عين المثل فزيد ليس مثل عمرو من حيث إنسانيته بل هو هو و ليس زيد مثل عمرو في صورته فإن الفرقان

بينهما ظاهر و لولا الفارق لالتبس زيد بعمرو و لم تكن معرفة بالأشياء فما أدرك المدرك أي شيء أدرك إلا من لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ و ذلك لأن الأصل الذي نرجع إليه في وجودنا و هو الله تعالى لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ فلا يكون ما يوجد عنه إلا على حقيقة أنه لا مثل له فإنه كيف يخلق ما لا تعطيه صفته و حقيقته لا تقبل المثل فلا بد أن يكون كل جوهر فرد في العالم لا يقبل المثل إن كنت ذا فطنة و لب فإنه ليس في الإله حقيقة تقبل المثل فلو كان قبول المثل موجودا في العالم لاستند في وجوده من ذلك الوجه إلى غير حقيقة إلهية و ما ثم موجد إلا الله و لا مثل له فما في الوجود شيء له مثل بل كل موجود متميز عن غيره بحقيقة هو عليها في ذاته و هذا هو الذي يعطيه الكشف و العلم الإلهي الحق فإذا أطلقت المثل على الأشياء كما قد تقرر فاعلم أني أطلق ذلك عرفا قال تعالى أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ أي كما انطلق عليكم اسم الأمة كذلك ينطلق اسم أمة على كل دابة و طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ و كما إن كل أمة و كل عين في الوجود ما سوى الحق تفتقر في إيجادها إلى موجد نقول بتلك النسبة في كل واحد إنه مثل للآخر في الافتقار إلى الله و بهذا يصح قطعا إن الله لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ بزيادة الكاف أو بفرض المثل فإنك إذا عرفت أن كل محدث لا يقبل المثلية كما قررناه لك فالحق أولى بهذه الصفة فلم تبق المثلية الواردة في القرآن و غيره إلا في الافتقار إلى الله الموجد أعيان الأشياء ثم ارجع و أقول إن كل واحد من أهل الله لا يخلو أن يكون قد جعل الله علم هذا الشخص بالأشياء في جميع القوي أو في قوة بعينها كما قررنا إما في الشم و هو صاحب علم الأنفاس و إما في النظر فيقال هو صاحب نظر و إما في الضرب و هو من باب اللمس بطريق خاص و لذلك كني عن ذلك بوجود برد الأنامل فينسب صاحب تلك الصفة التي بها تحصل العلوم إليها فيقال هو صاحب كذا كما قررنا إن الصفة هي عين الموصوف في هذا الباب أعني الصفة النفسية فكما رجع المعنى الذي يقال فيه إنه لا يقوم بنفسه صورة قائمة بنفسها رجعت الصورة التي هي هذا العالم معنى لتحققه بذلك المعنى و تألفه به كما تألفت هذه المعاني فصار من تأليفها ذات قائمة بنفسها يقال فيها جسم و إنسان و فرس و نبات فافهم فيصير صاحب علم الذوق ذوقا و صاحب علم الشم شما و معنى ذلك أنه يفعل في غيره ما يفعل الذوق فيه إن كان صاحب ذوق أو ما فعل الشم فيه إن كان صاحب شم فقد التحق في الحكم بمعناه و صار هو في نفسه معنى يدرك به المدرك الأشياء كما يدرك الرائي بالنظر في المرآة الأشياء التي لا يدركها في تلك الحالة إلا بالمرآة كان للشيخ أبي مدين ولد صغير من سوداء و كان أبو مدين صاحب نظر فكان هذا الصبي و هو ابن سبع سنين ينظر و يقول أرى في البحر في موضع صفته كذا و كذا سفنا و قد جرى فيها كذا و كذا فإذا كان بعد أيام و تجيء تلك السفن إلى بجاية مدينة هذا الصبي التي كان فيها يوجد الأمر على ما قاله الصبي فيقال للصبي بما ذا ترى فيقول بعيني ثم يقول لا إنما أراه بقلبي ثم يقول لا إنما أراه بوالدي إذا كان حاضرا و نظرت إليه رأيت هذا الذي أخبركم به و إذا غاب عني لا أرى شيئا من ذلك ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى في العبد الذي يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه يقول فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به الحديث فبه يسمع و يبصر و يتكلم و يبطش و يسعى فهذا معنى قولنا يرجع المحقق بمثل صورة معنى ما تحقق به فكان ينظر بأبيه كما ينظر الإنسان بعينه في المرآة فافهم و هكذا كل صاحب طريق من طرق هذه القوي و قد يجمع الكل واحد فيرى بكل قوة و يسمع بكل قوة و يشم بكل قوة و هو أتم

الجماعة و أما أحوالهم بعد موتهم فعلى قدر ما كانوا عليه في الدنيا من التفرغ لأمر ما معين أو أمور مختلفة على قدر ما تحققوا به في التفرغ له و هم في الآخرة على قدر أحوالهم في الدنيا فمن كان في الدنيا عبدا محضا كان في الآخرة ملكا محضا و من كان في الدنيا يتصف بالملك و لو في جوارحه أنها ملك له نقص من ملكه في الآخرة بقدر ما استوفاه في الدنيا و لو أقام العدل في ذلك و صرفه فيما أوجب الله عليه أن يصرفه فيه شرعا و هو يرى أنه مالك لذلك لغفلة طرأت منه فإن وبال ذلك يعود عليه و يؤثر فيه فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذل في جناب الحق و الحقيقة و لا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزة في نفسه و لو كان مصفوعا في الدنيا و لا أريد بعز الدنيا أن يكون فيها ملكا إلا أن يكون صفته في نفسه العزة و كذلك الذلة و أما أن يكون في ظاهر الأمر ملكا أو غير ذلك فما نبالي في أي مقام و في أي حال أقام الحق عبده في ظاهره و إنما المعتبر في ذلك حاله في نفسه ذكر عبد الكريم بن هوازن القشيري في بعض كتبه و غيره عن رجل من الناس أنه دفن رجلا من الصالحين فلما جعله في قبره نزع الكفن عن خده و وضع خده على التراب ففتح الميت عينيه و قال له يا هذا أ تذللني بين يدي من أعزني فتعجب من ذلك و خرج من القبر و رأيت أنا مثل هذا لعبد الله صاحبي الحبشي في قبره و رآه غاسله و قد هاب أن يغسله في حديث طويل ففتح عينيه في المغتسل و قال له اغسل فمن أحوالهم بعد الموت أنهم أحياء بالحياة النفسية التي بها يسبح كل شيء و من كانت له همة بمعبده في حال عبادته في حياته بحيث أن يكون يحفظها من الداخل فيها حتى لا يتغير عليه الحال إن كان صاحب نفس فإذا مات و دخل أحد بعده معبده ففعل فيه ما لا يليق بصاحبه الذي كان يعمره ظهرت فيه آية و هذا قد رويناه في حكاية عن أبي يزيد البسطامي كان له بيت يتعبد فيه يسمى بيت الأبرار فلما مات أبو يزيد بقي البيت محفوظا محترما لا يفعل فيه إلا ما يليق بالمساجد فاتفق أنه جاء رجل فبات فيه قيل و كان جنبا فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة ففر من البيت فما كان يدخله أحد فيفعل فيه ما لا يليق إلا رأى آية فيبقى أثر مثل هذا الشخص بعد موته يفعل مثل ما كان يفعله في حياته سواء و قد قال بعضهم و كان محبا في الصلاة يا رب إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فاجعلني ذلك فرئي و هو يصلي في قبره و قد مر رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة إسرائه بقبر موسى ع فرآه و هو يصلي في قبره ثم عرج به إلى السماء و ذكر الإسراء و ما جرى له فيه مع الأنبياء و رأى موسى في السماء السادسة و قد رآه و هو يصلي في قبره فمن أحوال هذا الشخص بعد موته مثل هذه الأشياء لا فرق في حقه بين حياته و موته فإنه كان في زمان حياته في الدنيا في صورة الميت حاله الموت فجعله الله في حال موته كمن حاله الحياة جزاء وفاقا و من صفات صاحب هذا المقام في موته إذا نظر الناظر إلى وجهه و هو ميت يقول فيه حي و إذا نظر إلى مجس عروقه يقول فيه ميت فيحار الناظر فيه فإن الله جمع له بين الحياة و الموت في حال حياته و موته و قد رأيت ذلك لوالدي رحمه الله يكاد إنا ما دفناه إلا على شك مما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء و مما كان من سكون عروقه و انقطاع نفسه من صورة الأموات و كان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرني بموته و أنه يموت يوم الأربعاء و كذلك كان فلما كان يوم موته و كان مريضا شديد المرض استوى قاعدا غير مستند و قال لي يا ولدي اليوم يكون الرحيل و اللقاء فقلت له كتب الله سلامتك في سفرك هذا و بارك لك في لقائك ففرح بذلك و قال لي جزاك الله يا ولدي

عني خيرا كل ما كنت أسمعه منك تقوله و لا أعرفه و ربما كنت أنكر بعضه هو ذا أنا أشهده ثم ظهرت على جبينه لمعة بيضاء تخالف لون جسده من غير سوء له نور يتلألأ فشعر بها الوالد ثم إن تلك اللمعة انتشرت على وجهه إلى أن عمت بدنه فقبلته و وادعته و خرجت من عنده و قلت له أنا أسير إلى المسجد الجامع إلى أن يأتيني نعيك فقال لي رح و لا تترك أحدا يدخل علي و جمع أهله و بناته فلما جاء الظهر جاءني نعيه فجئت إليه فوجدته على حالة يشك الناظر فيه بين الحياة و الموت و على تلك الحالة دفناه و كان له مشهد عظيم فسبحان من يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ فصاحب هذا المقام حياته و موته سواء و كل ما قدمناه في هذا الباب من العلم هو علم صاحب هذا المقام فإنه من علم الأنفاس و لهذا ذكرنا ما ذكرنا من ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و الثلاثون في معرفة العيسويين و أقطابهم و أصولهم)

و شفى من علة الحجب	كل من أحيا حقيقته
عندنا شيء من الريب	فهو عيسى لا يناط به
رتبة تسمو على الرتب	فلقد أعطت سجيته
في صريح الوحي و الكتب	بنعوت القدس تعرفه
صفة في سالف الحقب	لم ينلها غير وارثه
في أعاجم و في عرب	فسرت في الكون همته
و بها إزالة النوب	فبها تحيا نفوسهمو

اعلم أيدك الله أنه لما كان شرع محمد صلى الله عليه و سلم تضمن جميع الشرائع المتقدمة و أنه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلا ما قررته الشريعة المحمدية فبتقريرها ثبتت فتعبدنا بها نفوسنا من حيث إن محمدا صلى الله عليه و سلم قررها لا من حيث إن النبي المخصوص بها في وقته قررها فلهذا أوتي رسول الله صلى الله عليه و سلم جوامع الكلم فإذا عمل المحمدي و جميع العالم المكلف اليوم من الإنس و الجن محمدي ليس في العالم اليوم شرع إلهي سوى هذا الشرع المحمدي فلا يخلو هذا العامل من هذه الأمة إن يصادف في عمله فيما يفتح له منه في قلبه و طريقه و يتحقق به طريقة من طرق نبي من الأنبياء المتقدمين مما تتضمنه هذه الشريعة و قررت طريقته و صحبتها نتيجته فإذا فتح له في ذلك فإنه ينتسب إلى صاحب تلك الشريعة فيقال فيه عيسوي أو موسوي أو إبراهيمي و ذلك لتحقيق ما تميز له من المعارف و ظهر له من المقام من جملة ما هو تحت حيطة شريعة محمد صلى الله عليه و سلم فيتميز بتلك النسبة أو بذلك النسب من غيره ليعرف أنه ما ورث من محمد صلى الله عليه و سلم إلا ما لو كان موسى أو غيره من الأنبياء حيا و اتبعه ما ورث إلا ذلك منه و لما تقدمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جعلنا هذا العارف وارثا إذ كان الورث للآخر من الأول فلو لم يكن لذلك الأول شرع مقرر قبل تقرير محمد صلى الله عليه و سلم لساوينا الأنبياء و

الرسل إذ جمعنا زمان شريعة محمد صلى الله عليه و سلم كما يساوينا اليوم الياس و الخضر و عيسى إذا نزل فإن الوقت يحكم عليه إذ لا نبوة تشريع بعد محمد صلى الله عليه و سلم و لا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة أنه محمدي إلا لشخصين إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله فيقال فيه محمدي و إما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام كأبي يزيد و أمثاله فهذا أيضا يقال فيه محمدي و ما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء و لهذا ورد في الخبر أن العلماء ورثة الأنبياء و لم يقل ورثة نبي خاص و المخاطب بهذا علماء هذه الأمة و قد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه و سلم علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم و في رواية كأنبياء بنى إسرائيل فالعيسويون الأول هم الحواريون أتباع عيسى فمن أدرك منهم إلى الآن شرع محمد صلى الله عليه و سلم و آمن به و اتبعه و اتفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة ما كان قبل هذا شرعا لعيسى ع فيرث من عيسى عليه السلام ما ورثه من غير حجاب ثم يرث من عيسى عليه السلام في شريعة محمد صلى الله عليه و سلم ميراث تابع من تابع لا من متبوع و بينهما في الذوق فرقان و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في مثل هذا الشخص أن له الأجر مرتين كذلك له ميراثان و فتحان و ذوقان مختلفان و لا ينسب فيهما إلا إلى ذلك النبي ع فهؤلاء هم العيسويون الثواني و أصولهم توحيد التجريد من طريق المثال لأن وجود عيسى عليه السلام لم يكن عن ذكر بشري و إنما كان عن تمثل روح في صورة بشر و لهذا غلب على أمة عيسى بن مريم دون سائر الأمم القول بالصورة فيصورون في كنائسهم مثلا و يتعبدون في أنفسهم بالتوجه إليها فإن أصل نبيهم ع كان عن تمثل فسرت تلك الحقيقة في أمته إلى الآن و لما جاء شرع محمد صلى الله عليه و سلم و نهى عن الصور و هو صلى الله عليه و سلم قد حوى على حقيقة عيسى و انطوى شرعه في شرعه فشرع لنا صلى الله عليه و سلم أن نعبد الله كأنا نراه فأدخله لنا في الخيال و هذا هو معنى التصوير إلا أنه نهى عنه في الحس أن يظهر في هذه الأمة بصورة حسية ثم إن هذا الشرع الخاص الذي هو اعبد الله كأنك تراه ما قاله محمد صلى الله عليه و سلم لنا بلا واسطة بل قاله لجبريل عليه السلام و هو الذي تمثل لمريم بَشَراً سَوِيًّا عند إيجاد عيسى عليه السلام فكان كما قيل في المثل السائر إياك أعني فاسمعي يا جارة فكنا نحن المرادين بذلك القول و لهذا جاء في آخر الحديث هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا و في رواية جاء ليعلم الناس دينهم و في رواية أتاكم يعلمكم دينكم فما خرجت الروايات عن كوننا المقصودين بالتعليم ثم لتعلم إن الذي لنا من غير شرع عيسى ع قوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك فهذا من أصولهم و كان شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله عيسويا في نهايته و هي كانت بدايتنا أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية ثم نقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي ثم بعد ذلك نقلنا إلى هود عليه السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى جميع النبيين عليهم السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى محمد صلى الله عليه و سلم هكذا كان أمرنا في هذا الطريق ثبته الله علينا و لا حاد بنا عن سواء السبيل فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي أنشأنا الله عليها في هذا الطريق وجه الحق في كل شيء فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود إلا و لنا فيه شهود عين حق نعظمه منه فلا نرمي بشيء من العالم الوجودي و في زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام و يونس عليه السلام يحبون و هم منقطعون عن الناس فأما القوم الذين هم من قوم يونس فرأيت أثر

قدم واحد منهم بالساحل كان صاحبه قد سبقني بقليل فشبرت قدمه في الأرض فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار و نصفا و ربعا بشبري و أخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية و جاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس و ثمانين و خمسمائة و هي السنة التي كنا فيها و ما يتفق في سنة ست و ثمانين مع الإفرنج فكان كما قال ما غادر حرفا و أما الذي في الزمان من أصحاب عيسى فهو ما رويناه من حديث عربشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي النوقي الخبوشاني كتابة قال حدثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي أنا أبو المحاسن علي بن أبي الفضل الفارمدي إنا أحمد بن الحسين بن علي قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد إملاء ثنا يحيى بن أبي طالب ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص و هو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليغز على ضواحيها قال فوجه سعد نضلة في ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق و أغاروا على ضواحيها و أصابوا غنيمة و سبيا فأقبلوا يسوقون الغنيمة و السبي حتى رهقت بهم العصر و كادت الشمس أن تغرب فألجأ نضلة السبي و الغنيمة إلى سفح الجبل ثم قام فاذن فقال الله أكبر الله أكبر قال و مجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيرا يا نضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا نضلة و قال أشهد أن محمدا رسول الله فقال هو الدين و هو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليهما السلام و على رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حي على الصلاة قال طوبى لمن مشى إليها و واظب عليها ثم قال حي على الفلاح قال قد أفلح من أجاب محمدا صلى الله عليه و سلم و هو البقاء لأمته قال الله أكبر الله أكبر قال كبرت كبيرا قال لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص يا نضلة فحرم الله جسدك على النار قال فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم من عباد الله أسمعتنا صوتك فارنا شخصك فإنا وفد الله و وفد رسول الله صلى الله عليه و سلم و وفد عمر بن الخطاب قال فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس و اللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته فقلنا و عليك السلام و رحمة الله و بركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زريب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليهما السلام أسكنني هذا الجبل و دعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير و يكسر الصليب و يتبرأ مما نحلته النصارى ما فعل النبي صلى الله عليه و سلم قلنا قبض فبكى بكاء طويلا حتى خضب لحيته بالدموع ثم قال فمن قام فيكم بعده قلنا أبو بكر قال ما فعل قلنا قبض قال فمن قام فيكم بعده قلنا عمر قال إذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه و سلم فأقرءوا عمر مني السلام و قولوا يا عمر سدد و قارب فقد دنا الأمر و أخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد صلى الله عليه و سلم فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال و النساء بالنساء و انتسبوا في غير مناسبهم و انتموا إلى غير مواليهم و لم يرحم كبيرهم صغيرهم و لم يوقر صغيرهم كبيرهم و ترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به و ترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه و تعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير و الدراهم و كان المطر قيظا و الولد غيظا و طولوا المنابر و فضضوا المصاحف و زخرفوا المساجد و أظهروا الرشي و شيدوا البناء و اتبعوا الهوى و باعوا الدين بالدنيا و

استخفوا الدماء و تقطعت الأرحام و بيع الحكم و أكل الربا و صار التسلط فخرا و الغني عزا و خرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه و ركبت النساء السروج قال ثم غاب عنا فكتب بذلك نضلة إلى سعد و كتب سعد إلى عمر فكتب عمر ائت أنت و من معك من المهاجرين و الأنصار حتى تنزل هذا الجبل فإذا لقيته فأقرئه مني السلام فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل بناحية العراق فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين و الأنصار حتى نزل الجبل أربعين يوما ينادي بالأذان في وقت كل صلاة فلم يجده لم يتابع الراسبي على قوله عن مالك ابن أنس و المعروف في هذا الحديث مالك بن الأزهر عن نافع و ابن الأزهر مجهول قال أبو عبد الله الحاكم لم يسمع بذكر ابن الأزهر في غير هذا الحديث و السؤال عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن أبي بكر هو من حديث ابن لهيعة عن ابن الأزهر قلنا هذا الحديث و إن تكلم في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا كشفا و قوله في زخرفة المساجد و تفضيض المصاحف ليسا على طريق الذم و إنما هما دلالة على اقتراب الساعة و فساد الزمان كدلالة نزول عيسى ع و خروج المهدي و طلوع الشمس من مغربها معلوم كل ذلك إنه ليس على طريق الذم و إنما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة و محمودة هذا الوصي العيسوى بن برثملا لم يزل في ذلك الجبل يتعبد لا يعاشر أحدا و قد بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم أ ترى ذلك الراهب بقي على أحكام النصارى لا و الله فإن شريعة محمد صلى الله عليه و سلم ناسخة يقول صلى الله عليه و سلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني و هذا عيسى إذا نزل ما يؤمنا إلا منا أي بسنتنا و لا يحكم فينا إلا بشرعنا فهذا الراهب ممن هو عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ علمه ربه من عنده ما افترضه عليه من شرع نبينا محمد صلى الله عليه و سلم على الطريق التي اعتادها من الله و هذا عندنا ذوق محقق فإنا أخذنا كثيرا من أحكام محمد صلى الله عليه و سلم المقررة في شرعه عند علماء الرسوم و ما كان عندنا منها علم فأخذناها من هذا الطريق و وجدناها عند علماء الرسوم كما هي عندنا و من تلك الطريق نصحح الأحاديث النبوية و نردها أيضا إذا أعلمنا أنها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و إن قرر الشارع حكم المجتهد و إن أخطأ و لكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون إلا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذا الوصي من الأفراد و طريقه في مآخذ العلوم طريق الخضر صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا و إن اختلف الطريق الموصل إلى العلم الصحيح فإن ذلك لا يقدح في العلم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيمن أعطى الولاية من غير مسألة إن الله يعينه عليها و إن الله يبعث إليه ملكا يسدده يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به قال الخضر وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي و قال عليه السلام إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر ثم إنه قد ثبت عندنا إن النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن قتل الرهبان الذين اعتزلوا الخلق و انفردوا بربهم فقال ذروهم و ما انقطعوا إليه فأتى بلفظ مجمل و لم يأمرنا بأن ندعوهم لعلمه صلى الله عليه و سلم أنهم على بينة من ربهم و قد أمر صلى الله عليه و سلم بالتبليغ و أمرنا أن يبلغ الشاهد الغائب فلولا ما علم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله يتولى تعليمهم مثل ما تولى تعليم الخضر و غيره ما كان كلامه هذا و لا قرره على شرع منسوخ عنده في هذه الملة و هو الصادق في دعواه صلى الله عليه و سلم أنه بعث إلى الناس كافة كما ذكر الله تعالى فيه فعمت رسالته

جميع الخلق و روح هذا التعريف أنه كل من أدركه زمانه و بلغت إليه دعوته لم يتعبده الله إلا بشرعه فإنا نعلم قطعا أنه صلى الله عليه و سلم ما شافه جميع الناس بالخطاب في زمانه فما هو إلا الوجه الذي ذكرنا و هذا الراهب من العيسويين الذين ورثوا عيسى عليه السلام إلى زمان بعثة محمد صلى الله عليه و سلم فلما بعث محمد صلى الله عليه و سلم تعبد الله هذا الراهب بشرعه صلى الله عليه و سلم و علمه من لدنه علما بالرحمة التي آتاه من عنده كان ورثه أيضا حالة عيسوية من محمد صلى الله عليه و سلم فلم يزل عيسويا في الشريعتين ألا ترى هذا الراهب قد أخبر بنزول عيسى عليه السلام و أخبر أنه إذا نزل يقتل الخنزير و يكسر الصليب أ تراه بقي على تحليل لحم الخنزير فلم يزل هذا الراهب عيسويا في الشريعتين فله الأجر مرتين أجر اتباعه نبيه و أجر اتباعه محمدا صلى الله عليه و سلم و هو في انتظار عيسى إلى أن ينزل و هؤلاء الصحابة قد رأوه مع نضلة و ما سألوه عن حاله في الإسلام و الايمان و لا بما يتعبد نفسه من الشرائع لأن النبي صلى الله عليه و سلم ما أمرهم بسؤال مثله فعلمنا قطعا أن النبي صلى الله عليه و سلم لا يقر أحدا على الشرك و علم إن لله عبادا يتولى الحق تعليمهم من لدنه علم ما أنزله على محمد صلى الله عليه و سلم رحمة منه و فضلا و كان فضل الله و لا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة أنه محمدي إلا لشخصين إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله فيقال فيه محمدي و إما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام كأبي يزيد و أمثاله فهذا أيضا يقال فيه محمدي و ما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء و لهذا ورد في الخبر أن العلماء ورثة الأنبياء و لم يقل ورثة نبي خاص و المخاطب بهذا علماء هذه الأمة و قد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه و سلم علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم و في رواية كأنبياء بنى إسرائيل فالعيسويون الأول هم الحواريون أتباع عيسى فمن أدرك منهم إلى الآن شرع محمد صلى الله عليه و سلم و آمن به و اتبعه و اتفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة ما كان قبل هذا شرعا لعيسى ع فيرث من عيسى عليه السلام ما ورثه من غير حجاب ثم يرث من عيسى عليه السلام في شريعة محمد صلى الله عليه و سلم ميراث تابع من تابع لا من متبوع و بينهما في الذوق فرقان و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في مثل هذا الشخص أن له الأجر مرتين كذلك له ميراثان و فتحان و ذوقان مختلفان و لا ينسب فيهما إلا إلى ذلك النبي ع فهؤلاء هم العيسويون الثواني و أصولهم توحيد التجريد من طريق المثال لأن وجود عيسى عليه السلام لم يكن عن ذكر بشري و إنما كان عن تمثل روح في صورة بشر و لهذا غلب على أمة عيسى بن مريم دون سائر الأمم القول بالصورة فيصورون في كنائسهم مثلا و يتعبدون في أنفسهم بالتوجه إليها فإن أصل نبيهم ع كان عن تمثل فسرت تلك الحقيقة في أمته إلى الآن و لما جاء شرع محمد صلى الله عليه و سلم و نهى عن الصور و هو صلى الله عليه و سلم قد حوى على حقيقة عيسى و انطوى شرعه في شرعه فشرع لنا صلى الله عليه و سلم أن نعبد الله كأنا نراه فأدخله لنا في الخيال و هذا هو معنى التصوير إلا أنه نهى عنه في الحس أن يظهر في هذه الأمة بصورة حسية ثم إن هذا الشرع الخاص الذي هو اعبد الله كأنك تراه ما قاله محمد صلى الله عليه و سلم لنا بلا واسطة بل قاله لجبريل عليه السلام و هو الذي تمثل لمريم بَشَراً سَوِيًّا عند إيجاد عيسى عليه السلام فكان كما قيل في المثل السائر إياك أعني فاسمعي يا جارة فكنا نحن المرادين بذلك القول و لهذا جاء في آخر الحديث

هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا و في رواية جاء ليعلم الناس دينهم و في رواية أتاكم يعلمكم دينكم فما خرجت الروايات عن كوننا المقصودين بالتعليم ثم لتعلم إن الذي لنا من غير شرع عيسى ع قوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك فهذا من أصولهم و كان شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله عيسويا في نهايته و هي كانت بدايتنا أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية ثم نقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي ثم بعد ذلك نقلنا إلى هود عليه السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى جميع النبيين عليهم السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى محمد صلى الله عليه و سلم هكذا كان أمرنا في هذا الطريق ثبته الله علينا و لا حاد بنا عن سواء السبيل فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي أنشأنا الله عليها في هذا الطريق وجه الحق في كل شيء فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود إلا و لنا فيه شهود عين حق نعظمه منه فلا نرمي بشيء من العالم الوجودي و في زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام و يونس عليه السلام يحبون و هم منقطعون عن الناس فأما القوم الذين هم من قوم يونس فرأيت أثر قدم واحد منهم بالساحل كان صاحبه قد سبقني بقليل فشبرت قدمه في الأرض فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار و نصفا و ربعا بشبري و أخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية و جاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس و ثمانين و خمسمائة و هي السنة التي كنا فيها و ما يتفق في سنة ست و ثمانين مع الإفرنج فكان كما قال ما غادر حرفا و أما الذي في الزمان من أصحاب عيسى فهو ما رويناه من حديث عربشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي النوقي الخبوشاني كتابة قال حدثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي أنا أبو المحاسن علي بن أبي الفضل الفارمدي إنا أحمد بن الحسين بن علي قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عمر و عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد إملاء ثنا يحيى بن أبي طالب ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص و هو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليغز على ضواحيها قال فوجه سعد نضلة في ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق و أغاروا على ضواحيها و أصابوا غنيمة و سبيا فأقبلوا يسوقون الغنيمة و السبي حتى رهقت بهم العصر و كادت الشمس أن تغرب فألجأ نضلة السبي و الغنيمة إلى سفح الجبل ثم قام فاذن فقال الله أكبر الله أكبر قال و مجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيرا يا نضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا نضلة و قال أشهد أن محمدا رسول الله فقال هو الدين و هو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليهما السلام و على رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حي على الصلاة قال طوبى لمن مشى إليها و واظب عليها ثم قال حي على الفلاح قال قد أفلح من أجاب محمدا صلى الله عليه و سلم و هو البقاء لأمته قال الله أكبر الله أكبر قال كبرت كبيرا قال لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص يا نضلة فحرم الله جسدك على النار قال فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم من عباد الله أسمعتنا صوتك فارنا شخصك فإنا وفد الله و وفد رسول الله صلى الله عليه و سلم و وفد عمر بن الخطاب قال فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس و اللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته فقلنا و عليك السلام و رحمة الله و بركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زريب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليهما

السلام أسكنني هذا الجبل و دعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير و يكسر الصليب و يتبرأ مما نحلته النصارى ما فعل النبي صلى الله عليه و سلم قلنا قبض فبكى بكاء طويلا حتى خضب لحيته بالدموع ثم قال فمن قام فيكم بعده قلنا أبو بكر قال ما فعل قلنا قبض قال فمن قام فيكم بعده قلنا عمر قال إذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه و سلم فأقرءوا عمر مني السلام و قولوا يا عمر سدد و قارب فقد دنا الأمر و أخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد صلى الله عليه و سلم فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال و النساء بالنساء و انتسبوا في غير مناسبهم و انتموا إلى غير مواليهم و لم يرحم كبيرهم صغيرهم و لم يوقر صغيرهم كبيرهم و ترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به و ترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه و تعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير و الدراهم و كان المطر قيظا و الولد غيظا و طولوا المنابر و فضضوا المصاحف و زخرفوا المساجد و أظهروا الرشي و شيدوا البناء و اتبعوا الهوى و باعوا الدين بالدنيا و استخفوا الدماء و تقطعت الأرحام و بيع الحكم و أكل الربا و صار التسلط فخرا و الغني عزا و خرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه و ركبت النساء السروج قال ثم غاب عنا فكتب بذلك نضلة إلى سعد و كتب سعد إلى عمر فكتب عمر ائت أنت و من معك من المهاجرين و الأنصار حتى تنزل هذا الجبل فإذا لقيته فأقرئه مني السلام فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل بناحية العراق فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين و الأنصار حتى نزل الجبل أربعين يوما ينادي بالأذان في وقت كل صلاة فلم يجده لم يتابع الراسبي على قوله عن مالك ابن أنس و المعروف في هذا الحديث مالك بن الأزهر عن نافع و ابن الأزهر مجهول قال أبو عبد الله الحاكم لم يسمع بذكر ابن الأزهر في غير هذا الحديث و السؤال عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن أبي بكر هو من حديث ابن لهيعة عن ابن الأزهر قلنا هذا الحديث و إن تكلم في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا كشفا و قوله في زخرفة المساجد و تفضيض المصاحف ليسا على طريق الذم و إنما هما دلالة على اقتراب الساعة و فساد الزمان كدلالة نزول عيسى ع و خروج المهدي و طلوع الشمس من مغربها معلوم كل ذلك إنه ليس على طريق الذم و إنما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة و محمودة هذا الوصي العيسوي بن برثملا لم يزل في ذلك الجبل يتعبد لا يعاشر أحدا و قد بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم أ ترى ذلك الراهب بقي على أحكام النصارى لا و الله فإن شريعة محمد صلى الله عليه و سلم ناسخة يقول صلى الله عليه و سلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني و هذا عيسى إذا نزل ما يؤمنا إلا منا أي بسنتنا و لا يحكم فينا إلا بشرعنا فهذا الراهب ممن هو عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ علمه ربه من عنده ما افترضه عليه من شرع نبينا محمد صلى الله عليه و سلم على الطريق التي اعتادها من الله و هذا عندنا ذوق محقق فإنا أخذنا كثيرا من أحكام محمد صلى الله عليه و سلم المقررة في شرعه عند علماء الرسوم و ما كان عندنا منها علم فأخذناها من هذا الطريق و وجدناها عند علماء الرسوم كما هي عندنا و من تلك الطريق نصحح الأحاديث النبوية و نردها أيضا إذا أعلمنا أنها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و إن قرر الشارع حكم المجتهد و إن أخطأ و لكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون إلا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذا الوصي من

الأفراد و طريقه في مآخذ العلوم طريق الخضر صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا و إن اختلف الطريق الموصل إلى العلم الصحيح فإن ذلك لا يقدح في العلم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيمن أعطى الولاية من غير مسألة إن الله يعينه عليها و إن الله يبعث إليه ملكا يسدده يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به قال الخضر وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي و قال عليه السلام إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر ثم إنه قد ثبت عندنا إن النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن قتل الرهبان الذين اعتزلوا الخلق و انفردوا بربهم فقال ذروهم و ما انقطعوا إليه فأتى بلفظ مجمل و لم يأمرنا بأن ندعوهم لعلمه صلى الله عليه و سلم أنهم على بينة من ربهم و قد أمر صلى الله عليه و سلم بالتبليغ و أمرنا أن يبلغ الشاهد الغائب فلولا ما علم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله يتولى تعليمهم مثل ما تولى تعليم الخضر و غيره ما كان كلامه هذا و لا قرره على شرع منسوخ عنده في هذه الملة و هو الصادق في دعواه صلى الله عليه و سلم أنه بعث إلى الناس كافة كما ذكر الله تعالى فيه فعمت رسالته جميع الخلق و روح هذا التعريف أنه كل من أدركه زمانه و بلغت إليه دعوته لم يتعبده الله إلا بشرعه فإنا نعلم قطعا أنه صلى الله عليه و سلم ما شافه جميع الناس بالخطاب في زمانه فما هو إلا الوجه الذي ذكرنا و هذا الراهب من العيسويين الذين ورثوا عيسى عليه السلام إلى زمان بعثة محمد صلى الله عليه و سلم فلما بعث محمد صلى الله عليه و سلم تعبد الله هذا الراهب بشرعه صلى الله عليه و سلم و علمه من لدنه علما بالرحمة التي آتاه من عنده كان ورثه أيضا حالة عيسوية من محمد صلى الله عليه و سلم فلم يزل عيسويا في الشريعتين ألا ترى هذا الراهب قد أخبر بنزول عيسى عليه السلام و أخبر أنه إذا نزل يقتل الخنزير و يكسر الصليب أ تراه بقي على تحليل لحم الخنزير فلم يزل هذا الراهب عيسويا في الشريعتين فله الأجر مرتين أجر اتباعه نبيه و أجر اتباعه محمدا صلى الله عليه و سلم و هو في انتظار عيسى إلى أن ينزل و هؤلاء الصحابة قد رأوه مع نضلة و ما سألوه عن حاله في الإسلام و الايمان و لا بما يتعبد نفسه من الشرائع لأن النبي صلى الله عليه و سلم ما أمرهم بسؤال مثله فعلمنا قطعا أن النبي صلى الله عليه و سلم لا يقر أحدا على الشرك و علم إن لله عبادا يتولى الحق تعليمهم من لدنه علم ما أنزله على محمد صلى الله عليه و سلم رحمة منه و فضلا و كان فضل الله عظيما و لو كان ممن يؤدي الجزية لقلنا إن الشرع المحمدي قد قرر له دينه ما دام يعطي الجزية و هذه مسألة دقيقة في عموم رسالته و أنه بظهوره لم يبق شرع إلا ما شرعه و مما شرع تقريرهم على شرعهم ما داموا يعطون الجزية إذا كانوا من أهل الكتاب و كم لله تعالى من هؤلاء العباد في الأرض فأصل العيسويين كما قررناه تجريد التوحيد من الصور الظاهرة في الأمة العيسوية و المثل التي لهم في الكنائس من أجل أنهم على شريعة محمد صلى الله عليه و سلم و لكن الروحانية الحالية التي هم عليها عيسوية في النصارى و موسوية في اليهود من مشكاة محمد صلى الله عليه و سلم من قوله صلى الله عليه و سلم اعبد الله كأنك تراه و الله في قبلة المصلي و إن العبد إذا صلى استقبل ربه و من كل ما ورد في الله من أمثال هذه النسب و ليس للعيسوي من هذه الأمة من الكرامات المشي في الهواء و لكن لهم المشي على الماء و المحمدي يمشي في الهواء بحكم التبعية فإن النبي صلى الله عليه و سلم ليلة أسرى به و كان محمولا قال في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء و لا شك أن عيسى عليه السلام أقوى في اليقين منا بما لا يتقارب فإنه من أولي العزم من الرسل و نحن

نمشي في الهواء بلا شك و قد رأينا خلقا كثيرا ممن يمشي في الهواء في حال مشيهم في الهواء فعلمنا قطعا إن مشينا في الهواء إنما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام قد علم كل منا مشربه فمشينا بحكم التبعية لمحمد صلى الله عليه و سلم من الوجه الخاص الذي له هذا المقام لا من قوة اليقين كما قلنا الذي كنا نفضل به عيسى عليه السلام حاشى لله أن نقول بهذا كما إن أمة عيسى يمشون على الماء بحكم التبعية لا بمساواة يقينهم يقين عيسى عليه السلام فنحن مع الرسل في خرق العوائد الذين اختصوا بها من الله و ظهر أمثالها علينا بحكم التبعية كما مثلناه في كتاب اليقين لنا أن لمماليك الخواص الذين يمسكون نعال أستاذيهم من الأمراء إذا دخلوا على السلطان و بقي بعض الأمراء خارج الباب حين لم يؤذن لهم في الدخول أ ترى المماليك الداخلين مع أستاذيهم أرفع منصبا من الأمراء الذي ما أذن لهم فهل دخلوا إلا بحكم التبعية لأستاذيهم بل كل شخص على رتبته فالأمراء متميزون على الأمراء و المماليك متميزون على المماليك في جنسهم كذلك نحن مع الأنبياء فيما يكون للاتباع من خرق العوائد ثم إن النبي صلى الله عليه و سلم ما مشى في الهواء إلا محمولا على البراق كالراكب و على الرفرف كالمحمول في المحفة فأظهر البراق و الرفرف صورة المقام الذي هو عليه في نفسه بأنه محمول في نفسه و نسبة أيضا إلهية من قوله تعالى الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و من قوله وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فالعرش محمول فهذا حمل كرامة بالحاملين و حال راحة و مجد و عز للمحمولين و قد قررنا لك في غير موضع أن المحمول أعلى من غير المحمول في هذا المقام و أمثاله و أنه لا حول و لا قوة إلا بالله مما اختص به الحملة و إن كان جميع الخلق محمولين و لكن لم يكشف ذلك الحمل لكل أحد و إن كان الحمل على مراتب حمل عن عجز و حمل عن حقيقة كحمل الأثقال و حمل عن شرف و مجد فالعناية بهذه الطائفة أن يكونوا محمولين ظاهرا كما هو الأمر في نفسه باطنا لتبريهم من الدعوى كما قررناه في بابه و للعيسويين همة فعالة و دعاء مقبول و كلمة مسموعة و من علامة العيسويين إذا أردت أن تعرفهم فتنظر كل شخص فيه رحمة بالعالم و شفقة عليه كان من كان و على أي دين كان و بأية نحلة ظهر و تسليم لله فيهم لا ينطقون بما تضيق الصدور له في حق الخلق أجمعين عند خطابهم عباد الله و من علامتهم أنهم ينظرون من كل شيء أحسنه و لا يجري على ألسنتهم إلا الخير و اشتركت في ذلك الطبقة الأولى و الثانية فالأولى مثل ما روى عن عيسى ع أنه رأى خنزيرا فقال له أنج بسلام فقيل له في ذلك فقال أعود لساني قول الخير و أما الثانية فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال في الميتة حين مر عليها ما أحسن بياض أسنانها و قال من كان معه ما أنتن ريحها و أن النبي صلى الله عليه و سلم و إن كان قد أمر بقتل الحيات على وجه خاص و أخبر أن الله يحب الشجاعة و لو على قتل حية و مع هذا فإنه كان بالغار في منى و قد نزلت عليه سورة و المرسلات و بالمرسلات يعرف الغار إلى الآن دخلته تبركا فخرجت حية و ابتدر الصحابة إلى قتلها فأعجزهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله وقاها شركم كما وقاكم شرها فسماه شرا مع كونه مأمورا به مثل قوله تعالى في القصاص وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فسمى القصاص سيئة و ندب إلى العفو فما وقعت عينه صلى الله عليه و سلم إلا على أحسن ما كان في الميتة فهكذا أولياء الله لا ينظرون من كل منظورا لا أحسن ما فيه و هم العمي عن مساوي الخلق لا عن المساوي لأنهم مأمورون باجتنابها كما هم ضم عن سماع

الفحشاء كما هم البكم عن التلفظ بالسوء من القول و إن كان مباحا في بعض المواطن هكذا عرفناهم فسبحان من اصطفاهم و اجتباهم و هداهم إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ فهذا مقام عيسى عليه السلام في محمد صلى الله عليه و سلم لأنه تقدمه بالزمان و نقلت عنه هذه الأحوال قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم حين ذكر في القرآن من ذكر من النبيين و عيسى في جملة من ذكر عليهم السلام أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و إن كان مقام الرسالة يقتضي تبيين الحسن من القبيح ليعلم كما قال تعالى لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فإن بين السوء في حق شخص فبوحي من الله كما قال في شخص بئس أين العشيرة و الخضر قتل الغلام و قال فيه طبع كافرا أو أخبر لو تركه بما يكون منه من السوء في حق أبويه و قال ما فعلت ذلك عن أمري فالذي للرجال من ذواتهم القول الحسن و النظر إلى الحسن و الإصغاء بالسمع إلى الحسن فإن ظهر منهم وقتا ما خلاف هذا من نبي أو ولي مرجوم فذلك عن أمر إلهي ما هو لسانهم فهذا قد ذكرنا من أحوال العيسويين ما يسره الله على لساني وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع و الثلاثون في معرفة الأقطاب العيسويين و أسرارهم)

فاعلم أيدك الله بروح القدس أن

القطب من ثبتت في الأمر أقدامه و العيسوى الذي بيديه قدامه
و العيسوى الذي يوما له رفعت بين النبيين في الإشهاد أعلامه
و جاءه من أبيه كل رائحة كالمسك في شمها بالوحي أعلامه
له الحياة فيحيي من يشاء بها فلا يموت و لا تفنيه أيامه
فلو تراه و قد جاءته آيته تسعى لتظهر في الأكوان أحكامه
مواجها بلسان أنت قلت لهم بأنك الله و هو الله علامة
جوابه قيل ما قد قيل فاعف و لا تنظر لجرم الذي أرداه إجرامه
صلى عليه إله الخلق من رجل أعطى و أعطى الذي أعطاه إكرامه

اعلم أيدك الله بروح القدس إنا قد عرفناك إن العيسوى من الأقطاب هو الذي جمع له الميراثان الميراث الروحاني الذي يقع به الانفعال و الميراث المحمدي و لكن من ذوق عيسى عليه السلام لا بد من ذلك و قد بينا مقاماتهم و أحوالهم فلنذكر في هذا الباب نبذا من أسرارهم فمنها أنهم إذا أرادوا أن يعطوا حالا من الأحوال التي هم عليها و هي تحت سلطانهم لما يرون في ذلك الشخص من الاستعداد إما بالكشف و إما بالتعريف الإلهي فيلمسون ذلك الشخص أو يعانقونه أو يقبلونه أو يعطونه ثوبا من لباسهم أو يقولون له ابسط ثوبك ثم يغرفون له مما يريدون أن يعطوه و الحاضر ينظر أنهم يغرفون في الهواء و يجعلونه في ثوبه على قدر ما يجد لهم من الغرفات ثم يقولون له ضم ثوبك مجموع الأطراف إلى

صدرك أو ألبسه على قدر الحال التي يحبون أن يهبوه إياها فأي شيء فعلوا من ذلك سرى ذلك الحال في ذلك الشخص المأمور المراد به من وقته لا يتأخر و قد رأينا ذلك لبعض شيوخنا جاء لأقوام من العامة فيقول لي هذا شخص عنده استعداد فيقرب منه فإذا لمسه أو صربه بصدره في ظهره قاصدا أن يهبه ما أراد سرى فيه ذلك الحال من ساعته و خرج مما كان فيه و انقطع إلى ربه و كان أيضا له هذه الحال مكي الواسطي المدفون بمكة تلميذ أزدشير كان إذا أخذه الحال يقول لمن يكون حاضرا معه عانقني أو تعرف الحاضر أمره فإذا رآه متلبسا بحاله عانقة فيسري ذلك الحال في هذا الشخص و يتلبس به شكى جابر بن عبد الله لرسول الله صلى الله عليه و سلم أنه لا يثبت على ظهر الفرس فضرب في صدره بيده فما سقط عن ظهر فرس بعد و نخس رسول الله صلى الله عليه و سلم مركوبا كان تحت بعض أصحابه بطيئا يمشي به في آخر الناس فلما نخسه لم يقدر صاحبه على إمساكه و كان يتقدم على جميع الركاب و ركب رسول الله صلى الله عليه و سلم فرسا بطيئا لأبي طلحة يوم أغير على سرح رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم في حق ذلك الفرس إنا وجدناه لبحرا فما سبق بعد ذلك و شكى لرسول الله صلى الله عليه و سلم أبو هريرة أنه ينسى ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له يا أبا هريرة ابسط رداءك فبسط أبو هريرة رداءه فاغترف رسول الله صلى الله عليه و سلم غرفة من الهواء أو ثلاث غرفات و ألقاها في رداء أبي هريرة و قال له ضم رداءك إلى صدرك فضمه إلى صدره فما نسي بعد ذلك شيئا يسمعه و هذا كله من هذا المقام فانظر في سر هذا الأمر أنه ما ظهر شيء من ذلك إلا بحركة محسوسة لإثبات الأسباب التي وضعها الله ليعلم أن الأمر الإلهي لا ينخرم و أنه في نفسه على هذا الحد فيعرف العارف من ذلك نسب الأسماء الإلهية و ما ارتبط بها من وجود الكائنات و أن ذلك تقتضيه الحضرة الإلهية لذاتها فنصرف العالم المحقق بهذه الأمور و التنبيهات الإلهية على إن الحكمة فيما ظهر و أن ذلك لا يتبدل و أن الأسباب لا ترفع أبدا و كل من زعم أنه رفع سببا بغير سبب فما عنده علم لا بما رفع به و لا بما رفع فلم يمنح عبد شيئا أفضل من العلم و العمل به و هذه أحوال الأدباء من عباد الله تعالى و من أسرارهم أيضا أنهم يتكلمون في فصول البلاغة في النطق و يعلمون إعجاز القرآن و لم يعلم منهم و لا حصل لهم من العلم بلسان العرب و التحقق به على الطريقة المعهودة من قراءة كتب الأدب ما يعلم أنهم حصل لهم ذلك من هذه الجهة بل كان ذلك لهم من الهبات الإلهية بطريق خاص يعرفونه من نفوسهم إذا أعطوا العبارة عن الذي يرد عليهم في بواطنهم من الحقائق و هم أميون و إن أحسنوا الكتابة من طريق النقش و لكن هم عوام الناس فينطقون بما هو خارج في المعتاد عن قوتهم إذ لم يكونوا من العرب و إن كانوا من العرب فلم يكونوا إلا بالنسب لا باللسان فيعرف الإعجاز فيه منه فمن هنالك يعرف إعجاز القرآن و ذلك قول الحق قيل لي في بعض الوقائع أ تعرف ما هو إعجاز القرآن قلت لا قال كونه إخبارا عن حق التزم الحق يكن كلامك معجزا فإن المعارض للقرآن أول ما يكذب فيه أنه يجعله من الله و ليس من الله فيقول على الله ما لا يعلم فلا يثمر و لا يثبت فإن الباطل زهوق لا ثبات له ثم يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها بأمور تناسبها في الألفاظ مما لم يقع و لا كانت فهي باطل و الباطل عدم و العدم لا يقاوم الوجود و القرآن إخبار عن أمر وجودي حق في نفس الأمر فلا بد أن يعجز المعارض

عن الإتيان بمثله فمن التزم الحق في أفعاله و أقواله و أحواله فقد امتاز عن أهل زمانه و عن كل من لم يسلك مسلكه فأعجز من أراد التصور على مقامه من غير حق و من أسرارهم أيضا علم الطبائع و تأليفها و تحليلها و منافع العقاقير يعلم ذلك منها كشفا خرج شيخنا أبو عبد الله الغزال كان بالمرية رحمه الله في حال سلوكه من مجلس شيخه أبي العباس بن العريف و كان ابن العريف أديب زمانه فهو بالأحرش بطريق الصماد حية إذ رأى أعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة أو النجم خذني فإني أنفع لكذا و أدفع من المضار كذا حتى ذهل و بقي حائرا من نداء كل شجرة منها تحببا له و تقربا منه فرجع إلى الشيخ و عرفه بذلك فقال له الشيخ ما لهذا خدمتنا أين كان منك الضار النافع حين قالت لك الأشجار إنها نافعة ضارة فقال يا سيدي التوبة قال له الشيخ إن الله فتنك و اختبرك فإني ما دللتك إلا على الله لا على غيره فمن صدق توبتك أن ترجع إلى ذلك الموضع فلا تكلمك تلك الأشجار التي كلمتك إن كنت صادقا في توبتك فرجع أبو عبد الله الغزال إلى الموضع فما سمع شيئا مما كان قد سمعه فسجد لله شكرا و رجع إلى الشيخ فعرفه فقال الشيخ الحمد لله الذي اختارك لنفسه و لم يدفعك إلى كون مثلك من أكوانه تشرف به و هو على الحقيقة يشرف بك فانظر همته رضي الله عنه و إذا علم أسرار الطبائع و وقف على حقائقها علم من الأسماء الإلهية التي علمها الله آدم عليه السلام نصفها و هي علوم عجيبة لما أطلعنا الله عليها من هذه الطريقة رأينا أمرا هائلا و علمنا من سر الله في خلقه و كيف سر الاقتدار الإلهي في كل شيء فلا شيء ينفع إلا به و لا يضر إلا به و لا ينطق إلا به و لا يتحرك إلا به و حجب العالم بالصور فنسبوا كل ذلك إلى أنفسهم و إلى الأشياء و الله يقول يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ و كلامه حق و هو خبر و مثل هذه الأخبار لا يدخلها النسخ فلا فقر إلا إلى الله ففي هذه الآية تسمى الله بكل شيء يفتقر إليه و من هذا الباب يكون الفقير من يفتقر إلى كل شيء و لا يفتقر إليه شيء فيتناول الأسباب على أوضاعها الحكمية لا يخل بشيء منها و هذا الذوق عزيز ما رأينا أحدا عليه فيمن رأيناه و لا نقل إلينا سماعا لا في المتقدم و لا في المتأخر لكن رأينا و نقل إلينا عن جماعة إثبات الأسباب و ليس من هذا الباب فإن الذي نذكره و نطلبه سريان الألوهية في الأسباب أو تجليات الحق خلف حجاب الأسباب في أعيان الأسباب أو سريان الأسباب في الألوهية هذا هو الذي لم نجد له ذائقا إلا قول الله تعالى فهي الآية اليتيمة في القرآن لا يعرف قدرها إذ لا قيمة لها و كل ما لا قيمة له ثبت بالضرورة أنه مجهول القدر و لو اعتقدت فيه النفاسة و من أسرارهم أيضا معرفة النشأتين في الدنيا و هي النشأة الطبيعية و النشأة الروحانية و ما أصلهما و معرفة النشأتين في الدار الآخرة الطبيعية و الروحانية و ما أصلهما و معرفة النشأتين نشأة الدنيا و نشأة الآخرة فهي ستة علوم لا بد من معرفتها و من أسرارهم أنه ما منهم شخص كمل له هذا المقام إلا و يوهب ستمائة قوة إلهية ورثها من جده الأقرب لأبيه فيفعل بها بحسب ما تعطيه فإن شاء أخفاها و إن شاء أظهرها و الإخفاء أعلى فإن العبودة إنما تأخذ من القوي ما تستعين بها على أداء حق أوامر سيدها لثبوت حكم عبوديتها و كل قوة تخرجه عن هذا الباب بالقصد فليس هو مطلوبا لرجال الله فإنهم لا يزاحمون ذا القوة المتين فإن الله ما طلب منهم أن يطلبوا العون منه إلا في عبادته لا أن يظهروا بها ملوكا أربابا كما زعمت طائفة من أهل الكتاب ممن اتخذوا عيسى ربا قالوا إن محمدا يطلب منا أن نعبده كما عبدنا

عيسى فأنزل الله تعالى قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ و من أسرارهم أيضا أنهم لا يتعدون في معارجهم من حيث أبيهم السماء الثانية إلا أن يتوجهوا إلى الجد الأقرب فربما ينتهي بعضهم إلى السدرة المنتهى و هي المرتبة التي تنتهي إليها أعمال العباد لا تتعداها و من هناك يقبلها الحق و هي برزخها إلى يوم القيامة الذي يموت فيه صاحب ذلك العمل ويكفي هذا القدر من علم أسرار هذه الجماعة وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء العشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثامن و الثلاثون في معرفة من اطلع على المقام المحمدي و لم ينله من الأقطاب)

بين النبوة و الولاية فارق ... لكن لها الشرف الأتم الأعظم
يعنو لها الفلك المحيط بسره ... و كذلك القلم العلي الأفخم
إن النبوة و الرسالة كانتا ... وقد انتهت ولها السبيل الأقوم
و أقام بيتا للولاية محكما ... في ذاته فله البقاء الأدوم
لا تطلبنه نهاية يسعى لها ... فيكون عند بلوغه يتهدم
صفة الدوام لذاته نفسية ... فهو الولي فقهره متحكم
يأوي إليه نبيه و رسوله ... و العالم الأعلى و من هو أقدم

ثبت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي الحديث بكماله فهذا الحديث من أشد ما جرعت الأولياء مرارته فإنه قاطع للوصلة بين الإنسان و بين عبوديته و إذا انقطعت الوصلة بين الإنسان و بين عبوديته من أكمل الوجوه انقطعت الوصلة بين الإنسان و بين الله فإن العبد على قدر ما يخرج به عن عبوديته ينقصه من تقريبه من سيده لأنه يزاحمه في أسمائه و أقل المزاحمة الاسمية فأبقى علينا اسم الولي و هو من أسمائه سبحانه و كان هذا الاسم قد نزعه من رسوله و خلع عليه و سماه بالعبد و الرسول و لا يليق بالله أن يسمى بالرسول فهذا الاسم من خصائص العبودية التي لا تصح أن تكون للرب و سبب إطلاق هذا الاسم وجود الرسالة و الرسالة قد انقطعت فارتفع حكم هذا الاسم بارتفاعها من حيث نسبتها بها من الله و لما علم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن في أمته من يجرع مثل هذا الكأس و علم ما يطرأ عليهم في نفوسهم من الألم لذلك رحمهم فجعل لهم نصيبا ليكونوا بذلك عبيد العبيد فقال للصحابة ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ كما أمره الله بالتبليغ لينطلق عليهم أسماء الرسل التي هي مخصوصة بالعبيد و قال صلى الله عليه و سلم رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها يعني حرفا حرفا و هذا لا يكون إلا لمن بلغ الوحي من قرآن أو سنة بلفظه الذي جاء به و هذا لا يكون إلا لنقلة الوحي من المقرءين و المحدثين ليس للفقهاء و لا لمن نقل الحديث على المعنى كما يراه سفيان الثوري و غيره نصيب و لا حظ فيه

فإن الناقل على المعنى إنما نقل إلينا فهمه في ذلك الحديث النبوي و من نقل إلينا فهمه فإنما هو رسول نفسه و لا يحشر يوم القيامة فيمن بلغ الوحي كما سمعه و أدى الرسالة كما يحشر المقرئ و المحدث الناقل لفظ الرسول عينه في صف الرسل عليهم السلام فالصحابة إذا نقلوا الوحي على لفظه فهم رسل رسول الله صلى الله عليه و سلم و التابعون رسل الصحابة و هكذا الأمر جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة فإن شئنا قلنا في المبلغ إلينا أنه رسول الله و إن شئنا أضفناه لمن بلغ عنه و إنما جوزنا حذف الوسائط لأن رسول الله كان يخبره جبريل عليه السلام و ملك من الملائكة و لا نقول فيه رسول جبريل و إنما نقول فيه رسول الله كما قال الله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ و قال عز و جل ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِن رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ مع قوله نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ و مع هذا فما أضافه الله إلا إلى نفسه فهذا القدر بقي لهم من العبودية و هو خير عظيم امتن به عليهم و مهما لم ينقله الشخص بسنده متصلا غير منقطع فليس له هذا المقام و لا شم له رائحة و كان من الأولياء المزاحمين الحق في الاسم الولي فنقصه من عبوديته بقدر هذا الاسم فلهذا اسم المحدث بفتح الدال أولى به من اسم الولي فإن مقام الرسالة لا يناله أحد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا بقدر ما بيناه فهو الذي أبقاه الحق تعالى علينا و من هنا تعرف مقام شرف العبودية و شرف المحدثين نقلة الوحي بالرواية و لهذا اشتد علينا غلق هذا الباب و علمنا إن الله قد طردنا من حال العبودية الاختصاصية التي كان ينبغي لنا أن نكون عليها و أما النبوة فقد بينا هالك فيما تقدم في باب معرفة الأفراد و هم أصحاب الركاب ثم إنه تعالى من باب طردنا من العبودة و مقامها قال تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين و من نحن حتى تقع القسمة بيننا و بينه و هو السيد الفاعل المحرك الذي يقولنا في قولنا إِيَّاكَ نَعْبُدُ و أمثال ذلك مما أضافه إلينا و قد علمنا أن نواصينا بيده في قيامنا و ركوعنا و سجودنا و جلوسنا و في نطقنا يقول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ يقول الله حمدني عبدي تفضلا منه فإنه من قوله بهذه اللفظة و ما قدره حتى يقول السيد قال عبدي و قلت له هذا حجاب مسدل فينبغي للعبد أن يعرف أن لله مكرا خفيا في عباده و كل أحد يمكر به على قدر علمه بربه فيأخذ هذا التكريم الإلهي ابتداء من الله مدرجا في نعمة فإذا صلى و تلا قال الحمد لله يقولها حكاية من حيث ما هو مأمور بها لتصح عبوديته في صلاته و لا ينتظر الجواب و لا يقول ليجاب بل يشتغل بما كلفه سيده به من العمل حتى يكون ذلك الجواب و الإنعام من السيد لا من كونه قال فإن القائل على الحقيقة خالق القول فيه فنسلم من هذا المكر و إن كان منزلة رفيعة و لكن بالنظر إلى من هو في غير هذه المنزلة ممن نزل عنها فما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذا المقام الذي أغلق بابه دوننا إلا ما ذكرناه من عناية الحق بمن كشف له عن ذلك و رزقه علم نقل الوحي بالرواية من كتاب و سنة فما أشرف مقام أهل الرواية من المقرءين و المحدثين جعلنا الله ممن اختص بنقله من قرآن و سنة فإن أهل القرآن هم أهل الله و خاصته و الحديث مثل القرآن بالنص فإنه صلى الله عليه و سلم ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى و ممن تحقق بهذا المقام معنا أبو يزيد البسطامي كشف له منه بعد السؤال و التضرع قدر خرق الإبرة فأراد أن يضع قدمه فيه فاحترق فعلم أنه لا ينال ذوقا و هو كمال العبودة و قد حصل لنا منه صلى الله عليه و سلم شعرة و هذا كثير لمن عرف فما عند الخلق منه إلا ظله و لما أطلعني الله عليه لم يكن عن

سؤال و إنما كان عن عناية من الله ثم إنه أيدني فيه بالأدب رزقا من لدنه و عناية من الله بي فلم يصدر مني هناك ما صدر من أبي يزيد بل اطلعت عليه و جاء الأمر بالرقي في سلمة فعلمت إن ذلك خطاب ابتلاء و أمر ابتلاء لا خطاب تشريف على أنه قد يكون بعض الابتلاء تشريفا فتوقفت و سألت الحجاب فعلم ما أردت فوضع الحجاب بيني و بين المقام و شكر لي ذلك فمنحني منه الشعرة التي ذكرناها اختصاصا إلهيا فشكرت الله على الاختصاص بتلك الشعرة غير طالب بالشكر الزيادة و كيف أطلب الزيادة من ذلك و أنا أسأل الحجاب الذي هو من كمال العبودية فسرت في العبودة و ظهر سلطانها و حيل بيني و بين مرتبة السيادة لله الحمد على ذلك و كم طلبت إليها و ما أجبت و هكذا إن شاء الله أكون في الآخرة عبدا محضا خالصا و لو ملكني جميع العالم ما ملكت منه إلا عبوديته خاصة حتى يقوم بذاتي جميع عبودية العالم و للناس في هذا مراتب فالذي ينبغي للعبد أن لا يزيد على هذا الاسم غيره فإن أطلق الله ألسنة الخلق عليه بأنه ولي الله و رأى أن الله قد أطلق عليه اسما أطلقه تعالى على نفسه فلا يسمعه ممن يسميه به إلا على أنه بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل حتى يشم فيه رائحة العبودية فإن بنية فعيل قد تكون بمعنى الفاعل و إنما قلنا هذا من أجل ما أمرنا أن نتخذه سبحانه وكيلا فيما هو له مما نحن مستخلفون فيه فإن في مثل هذا مكرا خفيا فتحفظ منه و يكفي من التنبيه الإلهي العاصم من المكر كونك مأمورا بذلك فامتثل أمره و اتخذه وكيلا لا تدعى الملك فإن الله تولاك فإنه قال وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ و اسم الصالح من خصائص العبودية و لهذا وصف محمد صلى الله عليه و سلم نفسه بالصلاح فإنه ادعى حالة لا تكون إلا للعبيد الكمل فمنهم من شهد له بها الحق عز و جل بشرى من الله فقال في عبده يحيى عليه السلام نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ و قال في نبيه عيسى عليه السلام وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ و قال في إبراهيم عليه السلام وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ من أجل الثلاثة الأمور التي صدرت منه في الدنيا و هي قوله عن زوجته سارة إنها أخته بتأويل و قوله إِنِّي سَقِيمٌ اعتذارا و قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ إقامة حجة فبهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس إذا سألوه أن يسأل ربه فتح باب الشفاعة فلهذا ذكر صلاحه في الآخرة إذ لم يؤاخذه بذلك كما قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه و سلم لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ و قال عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ فقدم البشرى قبل العتاب و هذه الآية عندنا بشرى خاصة ما فيها عتاب بل هو استفهام لمن أنصف و أعطى أهل العلم حقهم و أما سليمان و أمثاله عليهم السلام فأخبرنا الحق أنه قال وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ و إن كانوا صالحين في نفس الأمر عند الله فهم بين سائل في الصلاح و مشهود له به مع كونه نعتا عبوديا لا يليق بالله فما ظنك بالاسم الولي الذي قد تسمى الله به بمعنى الفاعل فينبغي أن لا ينطلق ذلك الاسم على العبد و إن أطلقه الحق عليه فذلك إليه تعالى و يلزم الإنسان عبوديته و ما يختص به من الأسماء التي لم تنطلق قط على الحق لفظا فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه و سلم فلما أنزل الله تعالى على عبده محمد صلى الله عليه و سلم هذه الآية ليعرف الناس بها فكان الله حكى عن نبيه صلى الله عليه و سلم ما لا بد له أن يقوله و يتلفظ به فجعله تعالى قرآنا يتلى إذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الأمر فقال تعالى إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ فشهد له بالصلاح إذا كان الحق حاكيا في هذه الآية و إن كان آمرا فيكون من المشهودين لهم بالصلاح فعرفنا إن

الله تولاه و أخبرنا أن الله يتولى الصالحين فشهد لنفسه بالصلاح بالوجه الذي ذكرناه و لم ينقل ذلك عن غيره بل نقل ما يقاربه من قول عيسى عليه السلام إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا يقول الله تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ أي فكذلك أنت فكان من فضله نيل مثل هذا المقام فاحفظ يا ولي نفسك في التخلق بأسماء الله الحسنى فإن العلماء لم يختلفوا في التخلق بها فإذا وفقت للتخلق بها فلا تغب في ذلك عن شهود آثارها فيك و لتكن فيها و معها بحكم النيابة عنها فتكون مثل اسم الرسول لا تشارك الحق في إطلاق اسم عليك من أسمائه بذلك المعنى و ألزم الأدب وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب التاسع و الثلاثون في معرفة المنزل الذي يحط إليه الولي إذا طرده الحق تعالى من جواره)

إذا حط الولي فليس إلا عروج و ارتقاء في علو
فإن الحق لا تقييد فيه ففي عين النوى عين الدنو
فحال المجتبى في كل حال سمو في سمو في سمو
فلا حكم عليه بكل وجه و لا تأثير فيه للعلو

اعلم أيدك الله بروح منه إن الله تعالى يقول لإبليس اسجد لآدم فظهر الأمر فيه و قال لآدم و حواء لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فظهر النهي فيهما و التكليف مقسم بين أمر و نهي و هما محمولان على الوجوب حتى تخرجهما عن مقام الوجوب قرينة حال و إن كان مذهبنا فيهما التوقيف فتعين امتثال الأمر و النهي و هذا أول أمر ظهر في العالم الطبيعي و أول نهي و قد أعلمناك أن الخاطر الأول و أن جميع الأوليات لا تكون إلا ربانية و لهذا تصدق و لا تخطئ أبدا و يقطع به صاحبه فسلطانه قوي و لما كان هذا أول أمر و نهي لذلك وقعت العقوبة عند المخالفة و لم يمهل فإذا جاءت الأوامر بالوسائط لم تقو قوة الأول و هي الأوامر الواردة إلينا على ألسنة الرسل و هي على قسمين إما ثوان و هو ما يلقي الله إلى نبيه في نفسه من غير واسطة الملك فيصل إلينا الأمر الإلهي و قد جاز على حضرة كونية فاكتسب منه حالة لم يكن عليها فإن الأسماء الإلهية تلقته في هذه الحضرة الكونية فشاركته بأحكامها في حكمه و إما أن ينزل عليه بذلك الأمر الملك فيكون الأمر الإلهي قد جاز على حضرتين من الكون جبريل و أي ملك كان و أي نبي كان فيكون فعله و أثره في القوة دون الأول و الثاني فلذلك لم تقع المؤاخذة معجلة فأما إمهال إلى الآخرة و إما غفران فلا يؤاخذ بذلك أبدا و فعل الله ذلك رحمة بعباده كما أنه تعالى خص النهي بآدم و حواء و النهي ليس بتكليف عملي فإنه يتضمن أمرا عدميا و هو لا تفعل و من حقيقة الممكن أنه لا يفعل فكأنه قيل له لا تفارق أصلك و الأمر ليس كذلك فإنه يتضمن أمرا وجوديا و هو أن يفعل فكأنه قيل له أخرج عن أصلك فالأمر أشق على النفس من النهي إذ كلف الخروج عن أصله فلو أن إبليس لما عصى و لم يسجد لم يقل ما قال من التكبر و الفضيلة التي نسبها إلى نفسه على غيره فخرج عن عبوديته بقدر ذلك فحلت به عقوبة الله و كانت العقوبة لآدم و حواء لما تكلفا

الخروج عن أصلهما و هو الترك و هو أمر عدمي بالأكل و هو أمر وجودي فشرك الله بين إبليس و آدم و حواء في ضمير واحد و هو كان أشد العقوبة على آدم فقيل لهم اهبطوا بضمير الجماعة و لم يكن الهبوط عقوبة لآدم و حواء و إنما كان عقوبة لإبليس فإن آدم أهبط لصدق الوعد بأن يجعل في الأرض خليفة بعد ما تاب عليه و اجتباه و تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فاعترافه عليه السلام في مقابلة كلام إبليس أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فعرفنا الحق بمقام الاعتراف عند الله و ما ينتجه من السعادة لنتخذه طريقا في مخالفتنا و عرفنا بدعوى إبليس و مقالته لنحذر من مثلها عند مخالفتنا و أهبطت حواء للتناسل و أهبط إبليس للاغواء فكان هبوط آدم و حواء هبوط كرامة و هبوط إبليس هبوط خذلان و عقوبة و اكتساب أوزار فإن معصيته كانت لا تقتضي تأبيد الشقاء فإنه لم يشرك بل افتخر بما خلقه الله عليه و كتبه شقيا و دار الشقاء مخصوصة بأهل الشرك فأنزله الله إلى الأرض ليسن الشرك بالوسوسة في قلوب العباد فإذا أشركوا و تبرأ إبليس من المشرك و من الشرك لم ينفعه تبريه منه فإنه هو الذي قال له اكفر كما أخبر الله تعالى فحار عليه وزر كل مشرك في العالم و إن كان موحدا فإنه من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها فإن الشخص الطبيعي كإبليس و بني آدم لا بد أن يتصور في نفسه مثال ما يريد أن يبرزه فما سن الشرك و وسوس به حتى تصوره في نفسه على الصورة التي إذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فإذا تصورها في نفسه بهذه الصورة فقد خرج التوحيد عن تصوره في نفسه ضرورة فإن الشريك متصور له في نفسه إلى جانب الحق الذي في نفسه متخيلا أعني من العلم بوجوده فما تركه في نفسه وحده فكان إبليس مشركا في نفسه بلا شك و لا ريب و لا بد أن يحفظ في نفسه بقاء صورة الشريك ليمد بها المشركين مع الأنفاس فإنه خائف منهم أن تزول عنهم صفة الشرك فيوحدوا الله فيسعدوا فلا يزال إبليس يحفظ صورة الشرك في نفسه و يراقب بها قلوب المشركين الكائنين في الوقت شرقا و غربا و جنوبا و شمالا و يرد بها الموحدين في المستقبل إلى الشرك ممن ليس بمشرك فلا ينفك إبليس دائما على الشرك فبذلك أشقاه الله لأنه لا يقدر أن يتصور التوحيد نفسا واحدا لملازمته هذه الصفة و حرصه على بقائها في نفس المشرك فإنها لو ذهبت من نفسه لم يجد المشرك من يحدثه في نفسه بالشرك فيذهب الشرك عنه و يكون إبليس لا يتصور الشريك لأنه قد زالت عن نفسه صورة الشريك فيكون لا يعلم أن ذلك المشرك قد زال عن إشراكه فدل إن الشريك يستصحب إبليس دائما فهو أول مشرك بالله و أول من سن الشرك و هو أشقى العالمين فلذلك يطمع في الرحمة من عين المنة و لهذا قلنا إن العقوبة في حق آدم إنما كانت في جمعه مع إبليس في الضمير حيث خاطبهم الحق بالهبوط بالكلام الذي يليق بجلاله و لكن لا بد أن يكون في الكلام الصفة التي يقتضيها لفظ الضمير فإن صورة اللفظ يطلب المعنى الخاص و هذه طريقة لم تجعل العلماء وبالها من ذلك و إنما ذكرنا مسألة آدم تأنيسا لأهل الله تعالى إذا زالوا فحطوا عن مقامهم أن ذلك الانحطاط لا يقضي بشقائهم و لا بد بل يكون هبوطهم كهبوط آدم فإن الله لا يتحيز و لا يتقيد و إذا كان الأمر على هذا الحد و كان الله بهذه الصفة من عدم التقييد فيكون عين هبوط الولي عند الزلة و ما قام به من الذلة و الحياء و الانكسار فيها عين الترقي إلى أعلى مما كان فيه لأن علوه بالمعرفة و الحال و قد يزيد من العلم بالله ما لم يكن عنده و من الحال و هو الذلة و الانكسار ما لم يكن عليهما و هذا هو عين الترقي إلى مقام أشرف فإذا

فقد الإنسان هذه الحالة في زلته و لم يندم و لا انكسر و لا ذل و لا خاف مقام ربه فليس من أهل هذه الطريقة بل ذلك جليس إبليس بل إبليس أحسن حالا منه لأنه يقول لمن يطيعه في الكفر إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ و نحن إنما نتكلم على زلات أهل الله إذا وقعت منهم قال تعالى وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الندم توبة و إنما الإنسان الولي إذا كان في المقام الذي كان و الحال التي كان عليها ملتذا بها فلذته إنما كانت بحاله فإن الله يتعالى أن يلتذ به فلما زل وعرته حالة الذلة و الانكسار زالت ضرورة الحالة التي كان يلتذ بوجودها و هي حالة الطاعة و الموافقة فلما فقدها تخيل أنه انحط من عين الله و إنما تلك الحالة لما زالت عنه انحط عنها إذ كانت حالة تقتضي الرفعة و هو الآن في معراج الذلة و الندم و الافتقار و الانكسار و الاعتراف و الأدب مع الله تعالى و الحياء منه فهو يترقى في هذا المعراج فيجد هذا العبد في غاية هذا المعراج حالة أشرف من الحالة التي كان عليها فعند ذلك يعلم أنه ما انحط و أنه ترقي من حيث لا يشعر أنه في ترق و أخفى الله ذلك عن أوليائه لئلا يجترءوا عليه في المخالفات كما أخفى الاستدراج فيمن أشقاه الله فقال سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ فهم كما قال الله تعالى فيهم وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً كذلك أخفى سبحانه تقريبه و عنايته فيمن أسعده الله بما شغله الله به من البكاء على ذنبه و مشاهدته زلته و نظره إليها في كتابه و ذهل عن إن ذلك الندم يعطيه الترقي عند الله فإنه ما بشره بقبول التوبة فهو متحقق وقوع الزلة حاكم عليه الانكسار و الحياء مما وقع فيه و إن لم يؤاخذه الله بذلك الذنب فكان الاستدراج حاصلا في الخير و الشر و في السعداء و الأشقياء و لقيت بمدينة فاس رجلا عليه كآبة كأنه يخدم في الأتون فسألت أبا العباس الحصار و كان من كبار الشيوخ عنه فإني رأيته يجالسه و يحن إليه فقال لي هذا رجل كان في مقام فانحط عنه فكان في هذا المقام و كان من الحياء و الانكسار بحالة وجبت عليه السكوت عن كلام الخلق فما زلت ألاطفه بمثل هذه الأدوية و أزيل عنه مرض تلك الزلة بمثل هذا العلاج وكان قد مكنني من نفسه فلم أزل به حتى سرى ذلك الدواء في أعضائه فأطلق محياه و فتح له في عين قلبه باب إلى قبوله و مع هذا فكان الحياء يستلزمه و كذلك ينبغي أن تكون زلات الأكابر غالبا نزولهم إلى المباحات لا غير و في حكم النادر تقع منهم الكبائر قيل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه أ يعصي العارف فقال وَكانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً يريد أن معصيتهم بحكم القدر النافذ فيهم لا أنهم يقصدون انتهاك حرمات الله هم بحمد الله إذا كانوا أولياء عند الله تعالى و جل معصومون في هذا المقام فلا تصدر منهم معصية أصلا انتهاكا لحرمة الله كمعاصي الغير فإن الايمان المكتوب في القلوب يمنع من ذلك فمنهم من يعصي غفلة و منهم من يخالف على حضور عن كشف إلهي قد عرفه الله فيه ما قدره عليه قبل وقوعه فهو على بصيرة من أمره و بينة من ربه و هذه الحالة بمنزلة البشرى في قوله لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ فقد أعلمه بالذنوب الواقعة المغفورة فلا حكم لها و لا لسلطانها فيه فإنه إذا جاء وقت ظهورها يكون في صحبتها الاسم الغفار فتنزل بالعبد و يحجب الغفار حكمها فتكون بمنزلة من يلقي في النار و لا يحترق كإبراهيم عليه السلام فكان في النار و لا حكم لها فيه بالحجاب الذي هو المانع كذلك زلة العارف صاحب مقام الكشف للاقدار تحل به النازلة و حكمها بمعزل عنها فلا تؤثر في مقامه بخلاف من تحل فيه و هو على غير بينة و لا بصيرة بما قدر عليه

فهذا يستلزمه الحياء و الندم و الذلة و ذلك ليس كذلك و هنا أسرار إلهية لا يسعنا التعبير عنها و بعد أن فهمناك مراتبهم في هذا المقام و فرقنا لك بين معصية العارفين و بين معاصي العامة من علماء الرسوم و مقلديهم فاعلم أنه حكي عن بعضهم أنه قال اقعد على البساط يريد بساط العبادة و إياك و الانبساط أي التزم ما تعطيه حقيقة العبودة من حيث إنها مكلفة بأمور حدها له سيدها فإنه لو لا تلك الأمور لاقتضي مقامها الإدلال و الفخر و الزهو من أجل مقام من هو عبد له و منزلته كما زها يوما عتبة الغلام و افتخر فقيل له ما هذا الزهو الذي نراه في شمائلك مما لم يكن يعرف قبل ذلك منك فقال و كيف لا أزهو و قد أصبح لي مولى و أصبحت له عبدا فما قبض العبيد من الإدلال و أن يكونوا في الدنيا مثل ما هم في الآخرة إلا التكليف فهم في شغل بأوامر سيدهم إلى أن يفرغوا منها فإذا لم يبق لهم شغل قاموا في مقام الإدلال الذي تقتضيه العبودية و ذلك لا يكون إلا في الدار الآخرة فإن التكليف لهم مع الأنفاس في الدار الدنيا فكل صاحب إدلال في هذه الدار فقد نقص من المعرفة بالله على قدر إدلاله و لا يبلغ درجة غيره ممن ليس له إدلال أبدا فإنه فاتته أنفاس كثيرة في حال إدلاله غاب عما يجب عليه فيها من التكليف الذي يناقض الاشتغال به الإدلال فليست الدنيا بدار إدلال ألا ترى عبد القادر الجيلي مع إدلاله لما حضرته الوفاة و بقي عليه من أنفاسه في هذه الدار ذلك القدر الزماني وضع خده في الأرض و اعترف بأن الذي هو فيه الآن هو الحق الذي ينبغي أن يكون العبد عليه في هذه الدار و سبب ذلك أنه كان في أوقات صاحب إدلال لما كان الحق يعرفه به من حوادث الأكوان و عصم الله أبا السعود تلميذه من ذلك الإدلال فلازم العبودية المكلفة مع الأنفاس إلى حين موته فما حكي أنه تغير عليه الحال عند موته كما تغير على شيخه عبد القادر و حكى لنا الثقة عندنا قال سمعته يقول طريق عبد القادر في طرق الأولياء غريب و طريقنا في طرق عبد القادر غريب رضي الله عن جميعهم و نفعنا بهم و الله يعصمنا من المخالفات و إن كانت قدرت علينا فالله أسأل أن يجعلنا في ارتكابها على بصيرة حتى يكون لنا بها ارتقاء درجات وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الأربعون)

في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من علوم الكون و ترتيبه و غرائبه و أقطابه نظم يتضمن ما ترجمنا عليه

يقول الذي يعطاه كشف حقيقي ... مجاور علم الكون علم إلهي
و ما هو علوي و ما هو سفلي ... و ما هو من علم البرازخ خالص
و في السفل وجه بالحقائق علوي ... له في العلى وجه غريب محقق
و لا هو جني و لا هو إنسي ... و ليس الذي يدريه ملك مخلص
بدا لك شكل مستفاد كياني ... و لكنها الأعيان لما تألفت
فلست تراه و هو للعين مرئي ... فقل فيه ما تهواه يقبله أصله

فما هو غيبي و ما هو حسي　　　فما هو محكوم و ليس بحاكم
فلا هو شرقي و لا هو غربي　　　تنزه عن حصر الجهات ضياؤه
و يسرى مثال منه فينا اتصالي　　　فسبحان من أخفى عن العين ذاته
و لكنه كشف صحيح خيالي　　　نراه إذا كنا و ما هو عينه
فذلك مقصودي بقولي مثالي　　　تجلى لرأي العين في كل صورة

اعلم أيدك الله بروح القدس أن هذا المنزل منزل الكمال و هو مجاور منزل الجلال و الجمال هو من أجل المنازل و النازل فيه أتم نازل اعلم أن خرق العوائد على ثلاثة أقسام قسم منها يرجع إلى ما يدركه البصر أو بعض القوي على حسب ما يظهر لتلك القوة مما ارتبطت في العادة بإدراكه و هو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوة مثل قوله تعالى يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعى و هذا القسم داخل تحت قدرة البشر و هو على قسمين منه ما يرجع إلى قوة نفسية و منه ما يرجع إلى خواص أسماء إذا تلفظ بتلك الأسماء ظهرت تلك الصور في عين الرائي أو في سمعه خيالا و ما ثم في نفس الأمر أعني في المحسوس شيء من صورة مرئية و لا مسموعة و هو فعل الساحر و هو على علم أنه ما ثم شيء مما وقع في الأعين و الأسماع و القسم الآخر الذي هو قوة نفسية يكون عنها فيما تراه العين أو أي إدراك كان ما كان من الأمر الذي ظهر عن خواص الأسماء و الفرق بينهما إن الذي يفعله بطريق الأسماء و هو الساحر يعلم أنه ما ثم شيء من خارج و إنما لها سلطان على خيال الحاضرين فتخطف أبصار الناظرين فيرى صورا في خياله كما يرى النائم في نومه و ما ثم في الخارج شيء مما يدركه و هذا القسم الآخر الذي للقوة النفسية منهم من يعلم أنه ما ثم شيء في الخارج و منهم من لا يعلم ذلك فيعتقد إن الأمر كما رآه ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب مقامات الأولياء في باب الكرامات منه أن عليما الأسود و كان من أكابر أهل الطريق إن بعض الصالحين اجتمع به في قصة أدته إلى أن ضرب عليم الأسود إلى أسطوانة كانت قائمة في المسجد من رخام فإذا هي كلها ذهب فنظر إليها الرجل أسطوانة ذهب فتعجب فقال له يا هذا إن الأعيان لا تنقلب و لكن هكذا تراها لحقيقتك بربك و هي غير ذلك فخرج من كلامه فيما يظهر لمن لا علم له بالأشياء ببادي الرأي أو من أول نظر أن الأسطوانة حجر كما كانت و ليست ذهبا إلا في عين الرائي ثم إن الرجل أبصرها بعد ذلك حجرا كما كانت أول مرة قال تعالى في عصا موسى عليه السلام وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى قالَ هِيَ عَصايَ ثم قال أَلْقِها يا مُوسى فَأَلْقاها من يده في الأرض فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى فلما خاف موسى عليه السلام منها على مجرى العادة في النفوس أنها تخاف من الحيات إذا فاجأتها لما قرن الله بها من الضرر لبني آدم و ما علم موسى مراد الله في ذلك و لو علمه ما خاف فقال الله تعالى له خُذْها وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى أي ترجع عصا كما كانت أو ترجع تراها عصا كما كانت فالآية محتملة فإن الضمير الذي في قوله عز و جل سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى إذا لم تكن عصا في حال كونها في نظر موسى حية لم يجد الضمير على من يعود كما إن الإنسان إذا عودك أمرا ما و هو أنه كان يحسن إليك ثم أساء إليك فتقول له قد تغيرت سيرتك معي ما

أنت هو ذاك الذي كان يحسن إلي و معلوم أنه هو فيقال له سيعود معك إلى سيرته الأولى من الإحسان إليك و هو في صورته ما تغير و لكن تغير عليك فعله معك و قدم الله هذا لموسى عليه السلام توطئة لما سبق في علمه سبحانه أن السحرة تظهر لعينه مثل هذا فيكون عنده علم من ذلك حتى لا يذهل و لا يخاف إذا وقع منهم عند إلقائهم حبالهم و عصيهم و خيل إلى موسى أنها تسعى يقول له فلا تخف إذا رأيت ذلك منهم يقوى جأشه فلما وقع من السحرة ما وقع مما ذكر الله لنا في كتابه و امتلأ الوادي من حبالهم و عصيهم و رآها موسى فيما خيل له حيات تسعى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى فلم يكن نسبة الخوف إليه في هذا الوقت نسبة الخوف الأول فإن الخوف الأول كان من الحية ف وَلّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ حتى أخبره الله تعالى و كان هذا الخوف الآخر الذي ظهر منه للسحرة على الحاضرين لئلا تظهر عليه السحرة بالحجة فيلتبس الأمر على الناس و لهذا قال الله له لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى و لما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه و ما علموا متعلق هذا الخوف أي شيء هو علموا أنه ليس عند موسى من علم السحر شيء فإن الساحر لا يخاف مما يفعله لعلمه أنه لا حقيقة له من خارج و أنه ليس كما يظهر لا عين الناظرين فأمر الله موسى أن يلقي عصاه و أخبر أنها تَلْقَفْ ما صَنَعُوا فلما ألقى موسى عصاه فكانت حية علمت السحرة بأجمعها مما علمت من خوف موسى أنه لو كان ذلك منه و كان ساحرا ما خاف و رأوا عصاه حية حقيقة علموا عند ذلك أنه أمر غيب من الله الذي يدعوهم إلى الايمان به و ما عنده من علم السحر خبر فتلقفت تلك الحية جميع ما كان في الوادي من الحبال و العصي أي تلقفت صور الحيات منها فبدت حبالا و عصيا كما هي و أخذ الله بأبصارهم عن ذلك فإن الله يقول تَلْقَفْ ما صَنَعُوا و ما صنعوا الحبال و لا العصي و إنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات و هي التي تلقفت عصا موسى فتنبه لما ذكرت لك فإن المفسرين ذهلوا عن هذا الإدراك في أخبار الله تعالى فإنه ما قال تلقف حبالهم و عصيهم فكانت الآية عند السحرة خوف موسى و أخذ صور الحيات من الحبال و العصي و علموا إن الذي جاء به موسى من عند الله فآمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم و خروا سجدا عند هذه الآية و قالُوا آمَنّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ رَبِّ مُوسى وَهارُونَ حتى يرتفع الالتباس فإنهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا رب موسى و هارون أي الذي يدعو إليه موسى و هارون فارتفع الإشكال فتوعدهم فرعون بالعذاب فآثروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة و كان من كلامهم ما قص الله علينا و أما العامة فنسبوا ما جاء به موسى إلى أنه من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم و أعلم بالسحر بالتلقف الذي ظهر من حية عصا موسى عليه السلام فقالوا هذا سحر عظيم و لم تكن آية موسى عند السحرة إلا خوفه و أخذ صور الحيات من الحبال و العصي خاصة فمثل هذا خارج عن قوة النفس و عن خواص الأسماء لوجود الخوف الذي ظهر من موسى في أول مرة فكان الفعل من الله و لما واقع السحرة اللبس على أعين الناظرين بتصيير الحبال و العصي حيات في نظرهم أراد الحق أن يأتيهم من بابهم الذي يعرفونه كما قال تعالى وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ فإن الله يراعي في الأمور المناسبات فجعل العصا حية كحيات عصيهم في عموم الناس و لبس على السحرة بما أظهر من خوف موسى فتخيلوا أنه خاف من الحيات و كان موسى في نفس الأمر غير خائف من الحيات لما تقدم له في ذلك من الله في الفعل الأول حين قال له خُذْها وَلا تَخَفْ

فنهاه عن الخوف منها و أعلمه أن ذلك آية له فكان خوفه الثاني على الناس لئلا يلتبس عليهم الدليل و الشبهة و السحرة تظن أنه خاف من الحيات فلبس الله عليهم خوفه كما لبسوا على الناس و هذا غاية الاستقصاء الإلهي في المناسبات في هذا الموطن لأن السحرة لو علمت إن خوف موسى من الغلبة بالحجة لما سارعت إلى الايمان ثم إنه كان لحية موسى التلقف و لم يكن لحياتهم تلقف و لا أثر لأنها حبال و عصي في نفس الأمر فهذا المنزل الذي ذكرناه في هذا الباب أنه مجاور لعلم جزئي من علوم الكون هو هذا العلم الجزئي علم المعجزات لأنه ليس عن قوة نفسية و لا عن خواص أسماء فإن موسى عليه السلام لو كان انفعال العصا حية عن قوة وهمية أو عن أسماء أعطيها ما ولى مدبرا و لم يعقب خوفا فعلمنا أن ثم أمورا تختص بجانب الحق في علمه لا يعرفها من ظهرت على يده تلك الصورة فهذا المنزل مجاور لما جاءت به الأنبياء من كونه ليس عن حيلة و لم يكن مثل معجزات الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء لا علم لهم بذلك و هؤلاء ظهر ذلك عنهم بهمتهم أو قوة نفسهم أو صدقهم قل كيف شئت فلهذا اختصت باسم الكرامات و لم تسم معجزات و لا سميت سحرا فإن المعجزة ما يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها إما صرفا و إما أن تكون ليست من مقدورات البشر العدم قوة النفس و خواص الأسماء و تظهر على أيديهم و إن السحر هو الذي يظهر فيه وجه إلى الحق و هو في نفس الأمر ليس حقا مشتق من السحر الزماني و هو اختلاط الضوء و الظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح و هو ليس بنهار لعدم طلوع الشمس للابصار فكذلك هذا الذي يسمى سحرا ما هو باطل محقق فيكون عدما فإن العين أدركت أمرا ما لا تشك فيه و ما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس في نفسه كما تشهده العين و يظنه الرائي و كرامات الأولياء ليست من قبيل السحر فإن لها حقيقة في نفسها وجودية و ليست بمعجزة فإنه على علم و عن قوة همة و أما قول عليم لحقيقتك بربك تراها ذهبا فإن الأعيان لا تنقلب و ذلك لما رآه قد عظم ذلك الأمر عند ما رآه فقال له العلم بك أشرف مما رأيت فاتصف بالعلم فإنه أعظم من كون الأسطوانة كانت ذهبا في نفس الأمر فأعلمه إن الأعيان لا تنقلب و هو صحيح في نفس الأمر أي أن الحجرية لم ترجع ذهبا فإن حقيقة الحجرية قبلها هذا الجوهر كما قبل الجسم الحرارة فقيل فيه إنه حار فإذا أراد الله أن يكسو هذا الجوهر صورة الذهب خلع عنه صورة الحجر و كساه صورة الذهب فظهر الجوهر أو الجسم الذي كان حجرا ذهبا كما خلع عن الجسم الحار الحرارة و كساه البرد فصار باردا فما انقلبت عين الحرارة برودة و الجسم البارد بعينه هو الذي كان حارا فما انقلبت الأعيان كذلك حكاية عليم الجوهر الذي قبل صورة الذهب عند الضرب هو الذي كان قد قبل صورة الحجر و الجوهر هو الجوهر بعينه فالحجر ما عاد ذهبا و لا الذهب عاد حجرا كما إن الجوهر الهيولاني قبل صورة الماء فقيل هو ماء بلا شك فإذا جعلته في القدر و أغليتها على النار إلى أن يصعد بخارا فتعلم قطعا إن صورة الماء زالت عنه و قبل صورة البخار فصار يطلب الصعود لعنصره الأعظم كما كان إذ قامت به صورة الماء يطلب عنصره الأعظم فيأخذ سفلا فهذا معنى قول عليم في هذا المنزل المختص بالأولياء و الهمة المجاورة لعلم المعجزة أن الأعيان لا تنقلب و قوله لحقيقتك بربك أي إذا اطلعت إلى حقيقتك وجدت نفسك عبدا محضا عاجزا ميتا ضعيفا عدما لا وجود لك كمثل هذا الجوهر ما لم يلبس الصور لم يظهر له عين في الوجود فهذا العبد يلبس صور

الأسماء الإلهية فتظهر بها عينه فأول اسم يلبسه الوجود فيظهر موجودا لنفسه حتى يقبل جميع ما يمكن أن يقبله الموجود من حيث ما هو موجود فيقبل جميع ما يخلع عليه الحق من الأسماء الإلهية فيتصف عند ذلك بالحي و القادر و العليم و المريد و السميع و البصير و المتكلم و الشكور و الرحيم و الخالق و المصور و جميع الأسماء كما اتصف هذا الجسم بالحجر و الذهب و الفضة و النحاس و الماء و الهواء و لم تزل حقيقة الجسمية عن كل واحد مع وجود هذه الصفات كذلك لا يزول عن الإنسان حقيقة كونه عبدا إنسانا مع وجود هذه الأسماء الإلهية فيه فهذا معنى قوله لحقيقتك بربك أي لارتباط حقيقتك بربك فلا تخلو عن صورة إلهية تظهر فيها كذلك هذا الجسم لا يخلو عن صورة يظهر فيها و كما تتنوع أنت بصور الأسماء الإلهية فينطلق عليك بحسب كل صورة اسم غير الاسم الآخر كذلك ينطلق على هذا الجوهر اسم الحجرية و الذهبية للوصف لا لعينه فقد تبينت فيما ذكرناه الثلاثة الأقسام في خرق العوائد و هي المعجزات و الكرامات و السحر و ما ثم خرق عادة أكثر من هذا و لست أعني بالكرامات إلا ما ظهر عن قوة الهمة لا إني أريد بهذا الاصطلاح في هذا الموضع التقريب الإلهي لهذا الشخص فإنه قد يكون ذلك استدراجا و مكرا و إنما أطلقت عليه اسم الكرامة لأنه الغالب و المكر فيه قليل جدا فهذا المنزل مجاور آيات الأنبياء عليهم السلام و هو العلم الجزئي من علوم الكون لا يجاور السحر فإن كرامة الولي و خرق العادة له إنما كانت باتباع الرسول و الجري على سننه فكأنها من آيات ذلك النبي إذ باتباعه ظهرت للمتحقق بالاتباع فلهذا جاورته فأقطاب هذا المنزل كل ولي ظهر عليه خرق عادة عن غير همته فيكون إلى النبوة أقرب ممن ظهر عنه خرق العادة بهمته و الأنبياء هم العبيد على أصلهم فكذلك أقطاب هذا المنزل فكلما قربت أحوالك من أحوال الأنبياء عليهم السلام كنت في العبودة أمكن و كانت لك الحجة و لم يكن للشيطان عليك سلطان كما قال تعالى إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ و قال يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً فلا أثر للشيطان فيهم فكذلك من قرب منهم و لما عاينت هذا المشهد قلت القصيدة التي أولها

تنزلت الأملاك ليلا على قلبي	و دارت عليه مثل دائرة القلب
حذرا من إلقاء اللعين إذا يرى	نزول علوم الغيب عينا على القلب
و ذلك حفظ الله في مثل طورنا	و عصمته في المرسلين بلا ريب

القصيدة بكمالها و هي مذكورة في أول الباب الثلاثين و ثلاثمائة من هذا الكتاب و ترتيب هذا الباب هو ما ذكرناه من مراتب خرق العوائد و أما ما فيه من الغرائب فإلحاق البشر بالروحانيين في التمثل و إلحاق الروحانيين بالبشر في الصورة و ظهور صورة عنهم شبيه الصورة التي يتمثلون بها قال تعالى فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا يسمى روحا مثل ما هو جبريل روح فيحيي الموتى كما يحيي جبريل قال ابن عباس ما وطئ جبريل عليه السلام قط موضعا من الأرض إلا حيي ذلك الموضع و لهذا أخذ السامري قبضة من أثره حين عرفه لما جاء لموسى و قد علم إن وطأته يحيا بها ما وطئه من الأشياء فقبض قبضة من أثر الرسول فرمى بها في العجل الذي صنعه فحيي ذلك العجل و كان ذلك إلقاء من الشيطان في

نفس السامري لأن الشيطان يعلم منزلة الأرواح فوجد السامري في نفسه هذه القوة و ما علم بأنها من إلقاء إبليس فقال وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي و فعل ذلك إبليس من حرصه على إضلاله بما يعتقده من الشريك للّٰه تعالى فخرج عيسى على صورة جبريل في المعنى و الاسم و الصورة الممثلة فالتحقق البشر بالروحاني و التحق الروحاني بصورة البشر في نازلة واحدة و يكفي هذا القدر من هذا الباب فإنه باب واسع لمريم و آسية لحقائق الرسل عليهم السلام فيه مجال رحب فإنه منزل الكمال من حصله ساد على أبناء جنسه و ظهر حاكما على صاحب الجلال و الجمال و هو من مقامات أبي يزيد البسطامي و الأفراد وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الحادي و العشرون

(بسم اللّٰه الرحمن الرحيم)

(الباب الحادي و الأربعون في معرفة أهل الليل و اختلاف طبقاتهم و تباينهم في مراتبهم و أسرار أقطابهم)

ألا إن أهل الليل أهل تنزل — و أهل معاريج و أهل تنقل
فمن صاعد نحو المقام بهمة — و من نازل يبغي اللحوق بأسفل
بحكم التداني و التدلي هما و عن — وجود الترقي و التلقي بمعزل
فإن قلت فيهم إنهم خير عصبة — صدقت فقد حلوا بأكرم منزل
و إن قلت فيهم إنهم شر فتية — صدقت فليسوا بالنبي و لا الولي
فهم لا همو ليسوا بهم و بغيرهم — و لكنهم في معقل متزلزل
عزيز الحمى بين المشاهد و النهي — و بين جنوب في الهبوب و شمال
فما منهمو إلا إمام مسود — إذا أصبحوا نالوا المنى بالتأمل
لهم نظرة لا يعرف الغير حكمها — لهم سطوة في كل تاج مكلل

اعلم أيدك اللّٰه بروح منه أن اللّٰه جعل الليل لأهله مثل الغيب لنفسه فكما لا يشهد أحد فعل اللّٰه في خلقه لحجاب الغيب الذي أرسله دونهم كذلك لا يشهد أحد فعل أهل الليل مع اللّٰه في عباداتهم لحجاب ظلمة الليل التي أرسلها اللّٰه دونهم فهم خير عصبة في حق اللّٰه و هم شر فتية في حق أنفسهم ليسوا بأنبياء تشريع لما ورد من غلق باب النبوة و لا يقال في واحد منهم عندهم إنه ولي لما فيه من المشاركة مع اسم اللّٰه فيقال فيهم أولياء و لا يقولون ذلك عن أنفسهم و إن بشروا فجعل الليل لباسا لأهله يلبسونه فيسترهم هذا اللباس عن أعين الأغيار يتمتعون في خلواتهم الليلية بحبيبهم فيناجونه من غير رقيب لأنه جعل النوم في أعين الرقباء سباتا أي راحة لأهل الليل إلهية كما هو راحة للناس طبيعية فإذا نام الناس استراح هؤلاء مع ربهم و خلوا به حسا و معنى فيما يسألونه من قبول توبة و إجابة دعوة و مغفرة حوبة و غير ذلك فنوم الناس راحة لهم و إن اللّٰه تعالى ينزل إليهم بالليل إلى السماء الدنيا فلا يبقى بينه و بينهم حجاب فلكي و نزوله إليهم رحمة بهم و يتجلى من سماء الدنيا

عليهم كما ورد في الخبر فيقول كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني أ ليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه هو أنا ذا قد تجليت لعبادي هل من داع فاستجيب له هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له حتى ينصدع الفجر فأهل الليل هم الفائزون بهذه الحظوة في هذه الخلوة و هذه المسامرة في محاريبهم فهم قائمون يتلون كلامه و يفتحون أسماعهم لما يقول لهم في كلامه إذا قال يا أَيُّهَا النَّاسُ يصفون و يقولون نحن الناس ما تريد منا يا ربنا في ندائك هذا فيقول لهم عز و جل على لسانهم بتلاوتهم كلامه الذي أنزله اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يا أَيُّهَا النَّاسُ يقولون لبيك ربنا يقول لهم اتقوا ربكم الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ من السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ به من الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ فيقولون يا ربنا خاطبتنا فسمعنا و فهمتنا ففهمنا فيا ربنا وفقنا و استعملنا فيما طلبته منا من عبادتك و تقواك إذ لا حول لنا و لا قوة إلا بك و من نحن حتى تنزل إلينا من علو جلالك و تنادينا و تسألنا و تطلب منا يا أَيُّهَا النَّاسُ يقولون لبيك إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فيقولون يا ربنا أسمعتنا فسمعنا و أعلمتنا فعلمنا فأعصمنا و تعطف علينا فالمنصور من نصرته و المؤيد من أيدته و المخذول من خذلته يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ فيقول الإنسان منهم لبيك يا رب ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ فيقول كرمك يا رب فيقول صدقت يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فيقولون لبيك ربنا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقاتِهِ اتَّقُوا الله وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يقولون و أي قول لنا إلا ما تقولنا و هل لمخلوق حول أو قوة إلا بك فاجعل نطقنا ذكرك و قولنا تلاوة كتابك يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فيقولون لبيك ربنا فيقول تعالى عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ من ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ فيقولون ربنا أغريتنا بأنفسنا لما جعلتها محلا لإيمانك فقلت وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ و قلت سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ و الآيات ليست مطلوبة إلا لما تدل عليه و أنت مدلولها فكأنك تقول في قولك عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ أي ألزمونا و ثابروا علينا و ألظوا بنا ثم قلت لا يَضُرُّكُمْ من ضَلَّ أي حار و تلف حين طلبنا بفكره فأراد أن يدخلنا تحت حكم نظره و عقله إِذَا اهْتَدَيْتُمْ بما عرفتكم به مني في كتابي و على لسان رسولي فعرفتموني بما وصفت لكم به نفسي فما عرفتموني إلا بي فلم تضلوا فكانت لكم هدايتي و تقريبي نورا تمشون به على صراطنا المستقيم فلا يزال دأب أهل الليل هكذا مع الله في كل آية يقرءونها في صلاتهم و في كل ذكر يذكرونه به حتى ينصدع الفجر قال محمد بن عبد الجبار النفري و كان من أهل الليل أوقفني الحق في موقف العلم و ذكر رضي الله عنه ما قال له الحق في موقفه ذلك فكان من جملة ما قال له في ذلك الموقف يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى الليل لي لا للمحمدة و الثناء يقول الله تعالى إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا فاجعل الليل لي كما هو لي فإن في الليل نزولي فلا أراك في النهار في معاشك فإذا جاء الليل و طلبتك و نزلت إليك وجدتك نائما في راحتك و في عالم حياتك و ما ثم إلا ليل و نهار فلا في النهار وجدتك و قد جعلته لك و لم أنزل فيه إليك و سلمته لك و جعلت الليل لي فنزلت إليك فيه لأناجيك و أسامرك و أقضي حوائجك فوجدتك قد نمت عني و أسأت الأدب معي مع دعواك محبتي و إيثار جنابي فقم بين يدي و سلني حتى أعطيك مسألتك و ما طلبتك لتتلو القرآن فتقف مع معانيه فإن معانيه تفرقك عني فآية تمشي بك في جنتي و ما أعددت لأوليائي فيها فأين أنا إذا كنت أنت في جنتي مع الحور المقصورات في الخيام كأنهن الياقوت و المرجان متكئا عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها من إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى

الْجَنَّتَيْنِ دانٍ تسقى من رَحِيقٍ مَخْتُومٍ مِزاجُهُ من تَسْنِيمٍ و آية توقفك مع ملائكتي و هم يدخلون عليك من كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ و آية تستشرف بك على جهنم فتعاين ما أعددت فيها لمن عصاني و أشرك بي من سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لا بارِدٍ وَ لا كَرِيمٍ و ترى الحطمة وَ ما أَدْراكَ ما الْحُطَمَةُ نارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ أي مسلطة فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ أين أنا يا عبدي إذا تلوت هذه الآية و أنت بخاطرك و همتك في الجنة تارة و في جهنم تارة ثم تتلو آية فتمشي بك في القارعة وَ ما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ يوم تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ و ترى في ذلك اليوم من هذه الآية يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ و ترى العرش في ذلك اليوم تحمله ثمانية أملاك و في ذلك اليوم تُعْرَضُونَ فأين أنا و الليل لي فها أنت يا عبدي في النهار في معاشك و في الليل فيما تعطيه تلاوتك من جنة و نار و عرض فأنت بين آخرة و دنيا و برزخ فما تركت لي وقتا تخلو بي فيه إلا جعلته لنفسك و الليل لي يا عبدي لا للمحمدة و الثناء ثم تتلو آية فَأُولئِكَ (مَعَ) الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ فتشاهدهم في تلاوتك و تفكر في مقاماتهم و أحوالهم و ما أعطيت الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ فوقفت بالثناء و المحمدة مع كل طائفة أثنيت عليهم في كتابي فأين أنا و أين خلوتك بي ما عرفني و لا عرف مقدار قولي الليل لي و ما عرف لما ذا نزلت إليك بالليل إلا العارف المحقق الذي لقيه بعض إخوانه فقال له يا أخي اذكرني في خلوتك بربك فأجابه ذلك العبد فقال إذا ذكرتك فلست معه في خلوة فمثل ذلك عرف قدر نزولي إلى السماء الدنيا بالليل و لما ذا نزلت و لمن طلبت فأنا أتلو كتابي عليه بلسانه و هو يسمع فتلك مسامرتي و ذلك العبد هو الملتذ بكلامي فإذا وقف مع معانيه فقد خرج عني بفكره و تأمله فالذي ينبغي له أن يصغي إلي و يخلي سمعه لكلامي حتى أكون أنا في تلك التلاوة كما تلوت عليه و أسمعته أكون أنا الذي أشرح له كلامي و أترجم له عن معناه فتلك مسامرتي معه فيأخذ العلم مني لا من فكره و اعتباره فلا يبالي بذكر جنة و لا نار و لا حساب و لا عرض و لا دنيا و لا آخرة فإنه ما نظرها بعقله و لا بحث عن الآية بفكره و إنما ألقى السمع لما أقوله له و هو شهيد حاضر معي أتولى تعليمه بنفسي فأقول له يا عبدي أردت بهذه الآية كذا و كذا و بهذه الآية الأخرى كذا و كذا هكذا إلى أن ينصدع الفجر فيحصل من العلوم على يقين ما لم يكن عنده فإنه مني سمع القرآن و مني سمع شرحه و تفسير معانيه و ما أردت بذلك الكلام و بتلك الآية و السورة فيكون حسن الأدب معي في استماعه و إصاخته فإن طالبته بالمسامرة في ذلك فيجيبني بحضور و مشاهدة يعرض على جميع ما كلمته به و علمته إياه فإن كان أخذه على الاستيفاء و إلا فنجبر له ما نقصه من ذلك فيكون لي لا له و لا لمخلوق فمثل هذا العبد هو لي و الليل بيني و بينه فإذا انصدع الفجر استويت على عرشي أدبر الأمر أفصل الآيات و يمشي عبدي إلى معاشه و إلى محادثة إخوانه و قد فتحت بيني و بينه بابا في خلقي ينظر إلي منه و انظر إليه منه و الخلق لا يشعرون فأحدثه على ألسنتهم و هم لا يعرفون و يأخذ مني على بصيرة و هم لا

يعلمون فيحسبون أنه يكلمهم و ما يكلم سواى و يظنون أنه يجيبهم و ما يجيب إلا إياي كما قال بعض أصحاب هذه الصفة

يا مؤنسي بالليل إن هجع الورى و محدثي من بينهم بنهاري

و إذ قد أبنت لك عن أهل الليل كيف ينبغي أن يكونوا في ليلهم فإن كنت منهم فقد علمتك الأدب الخاص بأهل الله و كيف ينبغي لهم أن يكونوا مع الله و اعلم أنه تختلف طبقاتهم في ذلك فالزاهد حاله مع الله في ليله من مقام زهده و المتوكل حاله مع الله من مقام توكله و كذلك صاحب كل مقام و لكل مقام لسان هو الترجمان الإلهي فهم متباينون في المراتب بحسب الأحوال و المقامات و أقطاب أهل الليل هم أصحاب المعاني المجردة عن المواد المحسوسة و الخيالية فهم واقفون مع الحق بالحق على الحق من غير حد و لا نهاية و وجود ضد و من أهل الليل من يكون صاحب عروج و ارتقاء و دنو فيتلقاه الحق في الطريق و هو نازل إلى السماء الدنيا فيتدلى إليه فيضع كنفه عليه و كل همة من كل صاحب معراج يتلقاها الحق في ذلك النزول حيث وجدها فمن الهمم من يلقاها الحق في السماء الدنيا و منها من يلقاها في الثانية و فيما بينهما و في الثالثة و فيما بينهما و في الرابعة و فيما بينهما و في الخامسة و فيما بينهما و في السادسة و فيما بينهما و في السابعة و فيما بينهما و في الكرسي و فيما بينهما و في العرش في أول النزول و فيما بينهما و هو مستوي الرحمن فيعطي لتلك الهمة من المعاني و المعارف و الأسرار بحسب المنزل الذي لقيته فيه ثم تنزل معه إلى السماء الدنيا فتقف الهمم بين يديه و يستشرف الحق على من بقي من الهمم من أهل الليل في محاريبهم و ما عرجت فيلقي إليهم الحق تعالى بحسب ما يسألونه في صلاتهم و دعائهم و هم في بيوتهم و في محاريبهم فتسمع تلك الهمم التي لقيته في طريقها ما يكون منه جل جلاله إلى أولئك العبيد فيستفيدون علوما لم تكن عندهم فإنه قد يخطر لهؤلائك الذين ما صعدت هممهم من السؤال للحق في المعارف و الأسرار ما لم يكن في قوة هذه الهمم أن تسألها لقصورها عنها فإذا سمعوا الجواب من الحق الذي يجيب به أولئك القوم الذين في محاريبهم و ما اخترقت هممهم سماء و لا فلكا فيحصل لهم من العلم بالله بقدر ما سأل عنه أولئك الأقوام و ثم هممٌ أخر ارتقت فوق العرش إلى مرتبة النفس فقد تجد الحق هناك وجود تنزيه ما هو وجودها له مثل وجودها له في عالم المساحة و المقدار فيشاهدون مقاما أنزه و منزلا أقدس و بينية لا يحدها التقدير و لا يأخذها التصوير فبينيتها بينية تمييز علوم و مراتب فهوم و من الهمم من يلقاه في العقل الأول و من الهمم ما تلقاه في المقربين من الأرواح المهيمة و من الهمم ما تلقاه في العماء و من الهمم من تلقاه في الأرض المخلوقة من بقية طينة آدم عليه السلام فإذا لقيته هذه الهمم في هذه المراتب أعطاها على قدر تعطشها من المقام الذي بعثها على الترقي إلى هذه المراتب و ينزلون معه إلى السماء الدنيا و على الحقيقة هو ينزلهم إلى السماء الدنيا و ينزل معهم فيستفيدون من العلوم التي يهبها الحق لتلك الهمم التي ما تعدت العرش هكذا كل ليلة ثم تنزل هذه الهمم و قد عرفت ما أكرمها به الحق فاجتمعت بالهمم التي ما برحت من مكانها فوجدتها على طبقات فمنهم من وجد عندهم من العلوم التي لم تتقيد بترق و كان الحق أقرب إليها من حَبْلِ الْوَرِيدِ حين كان مع أولئك في العماء و في السماء الدنيا و ما بينهما قال تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فهو مع كل همة حيث كانت و يجدون همما أرضية قد تقدست عن الأينية و عن مراتب العقول فلم تتقيد بحضرة فتنال من العلوم

التي تليق بهذه الصفة التي وهبهم الحق منها ما حصلوا عليه من المعارف ما يبهت أولئك الهمم و هي من علوم الإطلاق الخارجة عن الحصر الأيني الفلكي و عن الحصر الروحاني العقلي فهم مع كونهم في ظلمة الطبيعة على نور أضاءت به تلك الظلمة لوجود المشاهدة و هؤلاء هم الذين يعرفون أن إدراك الأشياء المرئية إنما هو من اجتماع نور البصر مع نور الجسم المستنير شمسا كان أو سراجا أو ما كان فتظهر المبصرات فلو فقد الجسم المستنير ما ظهر شيء و لو فقد البصر ما أضاء شيء مما يدركه البصر مع النور الخارج أصلاً لا ترى صاحب الكشف إذا أظلم الليل و انغلق عليه باب بيته و يكون معه في تلك الظلمة شخص آخر و قد تساويا في عدم الكشف للمبصرات فيكون أحدهم ممن يكشف له في أوقات فيتجلى له نور يجتمع ذلك النور مع نور البصر فيدرك ما في ذلك البيت المظلم مما أراد الله أن يكشف له منه كله أو بعضه يراه مثل ما يراه بالنهار أو بالسراج و رفيقه الذي هو معه لا يرى إلا الظلمة غير ذلك لا يراه فإن ذلك النور ما تجلى له حتى يجتمع بنور بصره فينفر حجاب الظلمة فلو لم يكن الأمر كما ذكرناه لكان صاحب هذا الكشف مثل صاحبه لا يدرك شيئًا أو يكون رفيقه مثله يدرك الأشياء فيكون إما من أهل الكشف مثله أو يدركه بنور العلم فإن المكاشف يدركه بنور الخيال كما يدركه النائم و رفيقه إلى جانبه مستيقظ لا يرى شيئًا كذلك صاحب الكشف و لو سألت صاحب الكشف هل ترى ظلمة في حال كشفك لقال لا بل يقول أنارت البقعة حتى قلت إن الشمس ما غابت فأدركت المبصرات كما أدركها نهارا و هذه المسألة ما رأيت أحدا نبه عليها إلا أن كان و ما وصل إلي فالكون كله في أصله مظلم فلا يرى إلا بالنورين فإنه يحدث هذا الأمر و نظيره الذي يؤيده إيجاد العالم فإنه من حيث ذاته عدم و لا يكتسب الوجود إلا من كونه قابلا و ذلك لإمكانه و اقتدار الحق المخصص المرجح وجوده على عدمه فلو زال القبول من الممكن لكان كالمحال لا يقبل الإيجاد و قد اشترك المحال و الممكن قبل الترجيح بالوجود في العدم كما أنه مع قبوله لو لم يكن اقتدار الحق ما وجد عين هذا المعدوم الذي هو الممكن فلم تظهر الأعيان المعدومة للوجود إلا بكونها قابلة و هو مثل نور البصر و كون الحق قادرا و هو مثل نور الجسم النير فظهرت الأعيان كما ظهرت المبصرات بالنورين فكما إن الممكن لا يزال قابلا و الحق مقتدرا و مريدا فينحفظ على الممكن إبقاء الوجود إذ له من ذاته العدم كذلك الباصر لا يزال نور بصره في بصره و الشمس متجلية في نورها فتحفظ الأبصار المتعلق بالمبصرات و هي من ذاتها أعني المبصرات غير منورة بل هي مظلمة فاعقل إن كنت تعقل فهذا الأمر أصل ضلال العقلاء و هم لا يشعرون لما لم يعقلوه و هو سر من أسرار الله تعالى جهله أهل النظر و من هذه المسألة يتبين لك قدم الحق و حدوث الخلق لكن على غير الوجه الذي يعقله أهل الكلام و على غير الوجه الذي تعقله الحكماء باللقب لا بالحقيقة فإن الحكماء على الحقيقة هم أهل الله الرسل و الأنبياء و الأولياء إلا أن الحكماء باللقب أقرب إلى العلم من غيرهم حيث لم يعقلوا الله إلا إلها و أهل الكلام من النظار ليس كذلك فأقطاب أهل الليل من يكون الليل في حقهم كالنهار كشفا و شغلا قال تعالى وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ أي تعلمون منهم في الصباح ما تعلمون منهم في الليل إذ كان ليلا عند غيرهم ممن ليس له مقام الكشف بالليل كما لصاحب النور فالليل و الصباح عنده سواء فهذا معنى قوله أَ فَلَا تَعْقِلُونَ فإن ادعت لك نفسك أنك من أهل الليل

فانظر هل لها قدم و كشف فيما ذكرت لك فهو المحك و المعيا ر و لكل ليل في القرآن أمور و علوم لا يعرفها إلا أهل الليل خاصة وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني و الأربعون في معرفة الفتوة و الفتيان و منا زلهم و طبقا تهم و أسرا ر أقطابهم)

لهم قدم في كل فضل و مكرمة	و فتيان صدق لا ملالة عندهم
فهم بين توقير لقوم و مرحمه	مقسمة أحوالهم في جليسهم
و لا تلحق الفتيان في ذاك مندمة	و إن جاء كفؤ آثروه ببرهم
و ما هو موسوم لديهم بسمسمه	لهم من خفايا العلم كل شعيرة
و من كان منهم ممن الله أعلمه	كنجل قسي و الذي كان قبله
فليس يجيبون السفيه بلفظ مه	بذلك حا ز و السبق في كل حلبة
و ليس لها ضد يسمى بمشأمة	بميمنة خصوا تعالى مقامها
و إن كريم القوم من كان أكرمه	فكلتا يدي ربي يمين كريمة
ملابسهم بين الملابس معلمه	إذا خلع الولي على أهله ترى

اعلم أن للفتوة مقام القوة و ما خلق الله من الطبيعة أقوى من الهواء و خلق الإنسان أقوى من الهواء إذا كان مؤمنا كذا ورد في الخبر النبوي عن الله تعالى مع الملائكة لما خلق الأرض و جعلت تميد الحديث بكماله و في آخره يا رب فهل خلقت شيئًا أشد من الريح قال نعم المؤمن يتصدق بيمينه ما تعرف بذلك شماله و قال تعالى إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فنعت الرزاق بالقوة لوجود الكفران بالمنعم من المرزوقين فهو يرزقهم مع كفرهم به و لا يمنع عنهم الرزق و الإنعام و الإحسان بكفرهم مع أن الكفر بالنعم سبب مانع يمنع النعمة فلا يرزق الكافر مع وجود الكفر منه لما رزقه إلا من له القوة فلهذا نعته بذي القوة المتين فإن المتانة في القوة تضاعفها فما اكتفى سبحانه بالقوة حتى وصف نفسه بأنه المتين فيها إذ كانت لقوة لها طبقات في التمكن من القوي فوصف نفسه بالمتانة و هذه صفة أهل الفتوة فإن الفتوة ليس فيها شيء من الضعف إذ هي حالة بين الطفولة و الكهولة و هو عمر الإنسان من زمان بلوغه إلى تمام الأربعين من ولادته يقول الله تعالى في هذا المقام اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً و ذلك حال الفتوة و فيها يسمى فتى و ما قرن معها شيئًا من الضعف ثم قال سبحانه و تعالى ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً يعني ضعف الكهولة إلى آخر العمر و شيبة يعني وقا را أي سكونا لضعفه عن الحركة فإن الوقا ر من الوقر و هو الثقل فقرن مع هذا الضعف الثاني الشيبة التي هي الوقا ر فإن الطفل و إن كان ضعيفا فإنه متحرك جدا و اختلف في حركته هل هي من الطبيعة أو من الروح روى أن إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب قال يا رب ما هذا قال الوقا ر قال اللهم زدني وقا را فهذا حال الفتوة و مقامها و أصحابها

يسمون الفتيان و هم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها و لا يتمكن لأحد أن يكون حاله مكارم الأخلاق ما لم يعلم المحال التي يصرفها فيها و يظهر بها فالفتيان أهل علم وافر و قد أفردنا لها بابا في داخل هذا الكتاب حين تكلمنا على المقامات و الأحوال فمن ادعى الفتوة و ليس عنده علم بما ذكرناه فدعواه كاذبة و هو سريع الفضيحة فلا ينبغي يسمى فتى إلا من علم مقادير الأكوان و مقدار الحضرة الإلهية فيعامل كل موجود على قدره من المعاملة و يقدم من ينبغي أن يقدم و يؤخر ما ينبغي أن يؤخر و تفاصيل هذا المقام و حكم الطائفة فيه استوفيناه في رسالة الأخلاق التي كتبنا بها للفخر محمد بن عمر بن خطيب الري رحمه الله فلنذكر منها في هذا الباب الأصل الذي ينبغي أن يعول عليه و ذلك أنه ليس في وسع الإنسان أن يسع العالم بمكارم أخلاقه إذ كان العالم كله واقفا مع غرضه أو إرادته لا مع ما ينبغي فلما اختلفت الأغراض و الإرادات و طلب كل صاحب غرض أو إرادة من الفتى أن يعامله بحسب غرضه و إرادته و الأغراض متضادة فيكون غرض زيد في عمر و أن يعادي خالدا و يكون غرض خالد في زيد أن يعادي عمرا أو غرضه أن يواليه و يحبه و يوده فإن تفتى مع عمر و عادى خالد أو ذمه خالد و أثنى عليه زيد بالفتوة و كريم الخلق و إن لم يعاد خالدا و والاه و أحبه أثنى عليه خالد و ذمه زيد فلما رأينا أن الأمر على هذا الحد و أنه لا يعم و لم يتمكن عقلا و لا عادة أن يقوم الإنسان في هذه الدنيا أو حيث كان في مقام يرضى المتضادين انبغي للفتى أن يترك هوى نفسه و يرجع إلى خالقه الذي هو مولاه و سيده و يقول أنا عبد و ينبغي للعبد أن يكون بحكم سيده لا بحكم نفسه و لا بحكم غير سيده يتبع مراضيه و يقف عند حدوده و مراسمه و لا يكن ممن جعل مع سيده شريكا في عموديته فيكون مع سيده بحسب ما يحد له و يتصرف فيما يرسم له و لا يبالي وافق أغراض العالم أو خالفهم فإن وافق ما وافق منها فذلك راجع إلى سيده فخرج له توقيع من ديوان سيده على يدي رسول قام الدليل له و العلم بأنه خرج إليه من عند سيده و أن ذلك التوقيع توقيع سيده فقام له إجلالا و أخذ توقيع سيده و مع التوقيع مشافهة فشافه العبيد بما أمره السيد أن يشافههم به و ذلك هو الشرع المقرر و التوقيع هو الكتاب المنزل المسمى قرآنا و الرسول هو جبريل عليه السلام و حاجب الباب الذي يصل إليه الرسول الملكي من عند الله بالتوقيع و المشافهة هو النبي المبشر محمد صلى الله عليه و سلم أو أي نبي كان من الأنبياء في زمان بعثتهم فلزم العبيد مراسم سيدهم التي ضمنها توقيعه و التي جاءت بها المشافهة فلم يكن لهم في نفوسهم ملك و لا تدبير فمن وقف عند حدود سيده و امتثل مراسيمه و لم يخالفه في شيء مما جاءه به على حد ما رسم له من غير زيادة بقياس أو رأى و لا نقصان بتأويل فعامل جنسه من الناس بما أمر أن يعاملهم به من مؤمن و كافر و عاص و منافق و ما ثم إلا هؤلاء الأصناف الأربعة و كل صنف من هؤلاء على طبقات فالمؤمن منه طائع و عاص و ولي و نبي و رسول و ملك و حيوان و نبات و معدن و الكافر منه مشرك و غير مشرك و المنافق منه ينقص في الظاهر عن درك الكافر فإن المنافق له الدرك الأسفل من النار و الكافر له الأعلى و الأسفل و أما العاصي فينقص في الظاهر عن درجة المؤمن المطيع بقدر معصيته فهذا الواقف عند مراسم سيده هو الفتى فكل إنسان لا بد أن يكون جليسا لأكبر منه أو أصغر منه أو مكافئا له إما في السن و إما في الرتبة أو فيهما فالفتى من وقر الكبير في العلم أو في السن و الفتى من رحم الصغير في العلم أو في السن و الفتى من آثر

المكافئ في السن أو في العلم و لست أعني بقولي في العلم إلا المرتبة خاصة فأتينا بالعلم لشرفه فإن الملك قد يكون صغيرا في السن صغيرا في العلم و يكون شخص من رعيته كبيرا في السن كبيرا في العلم فإن عرف الملك قدر ما رسم له الحق في شرعه من توقير الكبير و شرف العلم عامله الملك بذلك و إن لم يفعل فيكون الملك سيئ الملكة فينبغي للفتى أن يعرف شرف المرتبة التي هي السلطنة و أنه نائب الله في عباده و خليفته في بلاده فيعامل من أقامه الله فيها و إن لم يجر الحق على يده بما ينبغي للمرتبة من السمع و الطاعة في المنشط و المكره على حد ما رسم له سيده و ما هو عليه مما أقام الله ذلك السلطان فيه من الأخلاق المحمودة أو المذمومة في الجور و العدل فينبغي للفتى أن يوفي السلطان حقه الذي أوجبه الله له عليه و لا يطلب منه حقه الذي جعله الله له قبل السلطان مما له أن يسامحه فيه إن منعه منه فتوة عليه و رحمة به و تعظيما لمنزلته إذ كان له أن يطلبه به يوم القيامة فالفتى من لا خصم له لأنه فيما عليه يؤديه و فيما له يتركه فليس له خصم فالفتى من لا تصدر منه حركة عبثا جملة واحدة و معنى هذا أن الله سمعه يقول وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلًا و هذه الحركة الصادرة من الفتى مما بينهما و كذلك حركة كل متحرك خلقه الله بين السماء و الأرض فما هي عبث فإن الخالق حكيم فالفتى من يتحرك أو يسكن لحكمة في نفسه و من كان هذا حاله في حركاته فلا تكون حركته عبثا لا في يده و لا في رجله و لا شمه و لا أكله و لا لمسه و لا سمعه و لا بصره و لا باطنه فيعلم كل نفس فيه و ما ينبغي له و ما حكم سيده فيه و مثل هذا لا يكون عبثا و إذا كانت الحركة من غيره فلا ينظرها عبثا فإن الله خلقها أي قدرها و إذا قدرها فما تكون عبثا و لا باطلا فيكون حاضرا مع هذا عند وقوعها في العالم فإن فتح له بالعلم في الحكمة فيها فبخ على بخ و هو صاحب عناية و إن لم يفتح له في العلم بالحكمة فيها فيكفيه حضوره في نفسه إنها حركة مقدرة منسوبة إلى الله و أن الله فيها سرا يعلمه الله فيؤديه هذا القدر من العلم إلى الأدب الإلهي و هذا لا يكون إلا للفتيان أصحاب القوة الحاكمين على طبائع النفوس و العادات و لا يكون في هذا المقام من هذه الطائفة إلا الملامية فإن الله قد ولاهم على نفوسهم و أيدهم بروح منه عليها فلهم التصريف التام و الكلمة الماضية و الحكم الغالب فهم السلاطين في صور العبيد يعرفهم الملأ الأعلى فليس أحد مما سوى الإنس و الجان إلا و يقول بفضله إلا بعض الثقلين فإن الحسد يمنعهم من ذلك فطبقات الفتيان هو ما ذكرناه من يعلم منهم علم الله في الحركات و من لا يعلم علم الله في ذلك على التعيين و إن علم إن ثم أمرا لم يطلعه الله عليه و أما منزلتهم فهو الذي قلنا في أول الباب في قوله ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً و ينظر إلى هذا الإيجاد من الحقائق الإلهية الآية لأخرى و هي قوله إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فهم يعاملون الخلق بالإحسان إليهم مع إساءتهم لهم كإعطاء الله الرزق للمرزوقين الكافرين بالله و نعمه فلهم القوة العظمى على نفوسهم حيث لم يغلبهم هواهم و لا ما جبلت النفس عليه من حب الثناء و الشكر و الاعتراف قال تعالى حاكيا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ فأطلق الله على ألسنتهم فتوة إبراهيم بلسانهم لما كانت الفتوة بهذه المثابة لأنه قام في الله حق القيام و لما أحالهم على الكبير من الأصنام على نية طلب السلامة منهم فإنه قال لهم فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ يريد توبيخهم و لهذا رجعوا إلى أنفسهم و هو قوله تعالى وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ في كل حال و إنما سمي ذلك كذبا لإضافة الفعل في عالم الألفاظ إلى كبيرهم و الكبير

الله على الحقيقة و الله هو الفاعل المكسر للأصنام بيد إبراهيم فإنه يده التي يبطش بها كذا أخبر عن نفسه فكسر هذه الأصنام التي زعموا أنها آلهة لهم ألا ترى المشركين يقولون فيهم ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فاعترفوا إن ثم إلها كبيرا أكبر من هؤلاء كما هو أحسن الخالقين و أرحم الراحمين فهذا الذي قاله إبراهيم عليه السلام صحيح في عقد إبراهيم عليه السلام و إنما أخطأ المشركون حيث لم يفهموا عن إبراهيم ما أراد بقوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ فكان قصد إبراهيم بكبيرهم الله تعالى و إقامة الحجة عليهم و هو موجود في الاعتقادين و كونهم آلهة ذلك على زعمهم و الوقف عليه حسن عندنا تام و ابتدأ إبراهيم بقوله هذا قولي فالخبر محذوف يدل عليه مساق القصة فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ فهم يخبرونكم و لو نطقت الأصنام في ذلك الوقت لنسبت الفعل إلى الله لا إلى إبراهيم فإنه مقرر عند أهل الكشف من أهل طريقنا إن الجماد و النبات و الحيوان قد فطرهم الله على معرفته و تسبيحه بحمده فلا يرون فاعلا إلا الله و من كان هذا في فطرته كيف ينسب الفعل لغير الله فكان إبراهيم على بينة من ربه في الأصنام أنهم لو نطقوا لأضافوا الفعل إلى الله لأنه ما قال لهم سلوهم إلا في معرض الدلالة سواء نطقوا أو سكتوا فإن لم ينطقوا يقول لهم لم تعبدون ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغني عنكم من الله شيئا و لا عن نفسه و لو نطقوا لقالوا إن الله قطعنا قطعا لا يتمكن في الدلالة أن تقول الأصنام غير هذا فإنها لو قالت الصنم الكبير فعل ذلك بنا لكذبت و يكون تقريرا من الله بكفرهم وردا على إبراهيم عليه السلام فإن الكبير ما قطعهم جذاذا و لو قالوا في إبراهيم إنه قطعنا لصدقوا في الإضافة إلى إبراهيم و لم تلزم الدلالة بنطقهم على وحدانية الله ببقاء الكبير فيبطل كون إبراهيم قصد الدلالة فلم تقع و لم يصدق وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ فكانت له الدلالة في نطقهم لو نطقوا كما قررنا و في عدم نطقهم لو لم ينطقوا و مثل هذا ينبغي أن يكون قصد الأنبياء عليهم السلام فهم العلماء صلوات الله عليهم و لهذا رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ فقال الله لمثل هؤلاء أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ فكان من فتوته إن باع نفسه في حق أحدية خالقه لا في حق خالقه لأن الشريك ما ينفي وجود الخالق و إنما يتوجه على نفي الأحدية فلا يقوم في هذا المقام إلا من له القطبية في الفتوة بحيث يدور عليه مقامها و من الفتوة قوله تعالى و إذ قال موسى لفتاه فأطلق عليه باللسان العبراني معنى يعبر عنه في اللسان العربي بالفتى و كان في خدمة موسى عليه السلام و كان موسى في ذلك الوقت حاجب الباب فإنه الشارع في تلك الأمة و رسولها و لكل أمة باب خاص إلهي شارعهم هو حاجب ذلك الباب الذي يدخلون منه على الله تعالى و محمد صلى الله عليه و سلم هو حاجب الحجاب لعموم رسالته دون سائر الأنبياء عليهم السلام فهم حجبته صلى الله عليه و سلم من آدم عليه السلام إلى آخر نبي و رسول و إنما قلنا إنهم حجبته لقوله صلى الله عليه و سلم آدم فمن دونه تحت لوائي فهم نوابه في عالم الخلق و هو روح مجرد عارف بذلك قبل نشأة جسمه قيل له متى كنت نبيا فقال كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين أي لم يوجد آدم بعد إلى أن وصل زمان ظهور جسده المطهر صلى الله عليه و سلم فلم يبق حكم لنائب من نوابه من سائر الحجاب الإلهيين و هم الرسل و الأنبياء عليهم السلام إلا عنت وجوههم لقيومية مقامه إذ كان حاجب الحجاب فقرر من شرعهم ما شاءه بإذن سيده و مرسله و رفع من شرعهم و أمر برفعه و نسخه فربما قال من لا علم له بهذا الأمر إن

موسى عليه السلام كان مستقلا مثل محمد بشرعه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني و صدق صلى الله عليه و سلم فالفتى أبدا في منزل التسخير كما قال عليه السلام خادم القوم سيدهم فمن كانت خدمته سيادته كان عبدا محضا خالصا و تفضل الفتيان بعضهم على بعض بحسب المفتى عليه من المنزلة عند الله بوجه و من الضعف بوجه فأعلاهم من تفتي على الأضعف من ذلك الوجه و أعلاهم أيضا من تفتي على الأعلى عند الله من ذلك الوجه الآخر فالمتفتي على الأضعف كصاحب السفرة و هو الشخص الذي أمره شيخه أن يقرب السفرة إلى الأضياف فأبطأ عليهم من أجل النمل الذي كان فيها فلم ير من الفتوة أن ينفض النمل من السفرة فإن من الفتوة أن يصرفها في الحيوان فوقف إلى أن خرجت النمل من السفرة من ذاتها من غير أن يكون لهذا الشخص في إخراج النمل تعمل قهري فإن الفتيان لهم الفتوة و ليس لهم القهر إلا على نفوسهم خاصة و من لا قوة له لا فتوة له كما أنه من لا قدرة له لا حلم له فقال له الشيخ لقد دققت فهذه مراعاة الأضعف لكنه ما تفتي مع الأضياف حيث أبطأ عن المبادرة إلى كرامتهم فلهذا ربطنا في أول الباب أنه لا يتمكن لأحد إرسال المكارم في العموم لاختلاف لأغراض فينظر الفتى في حق الشخصين المختلفي الأغراض اللذين إذا أرضى الواحد منهما أسخط الآخر و صورة نظره في حق الشخصين أيهما أقرب إلى حكم الوقت و الحال في الشرع فالذي هو أقرب إلى حكم الوقت و الحال في الشرع صرف الفتوة معه فإن اتسع الوقت إلى أن يتفتى مع الآخر بوجه يرضى الله فعل أيضا و إن لم يتسع فقد و في المقام حقه و كان من الفتيان بلا شك و إن كان في رتبة الفعل بالهمة و الفعل بالحس فعل الفتوة مع الواحد حسا و مع الآخر بالهمة دخل رجل على شيخنا أبي العباس العريبي و أنا عنده فتفاوضا في إيصال معروف فقال الرجل يا سيدنا الأقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ من غير توقف إلى الله و أخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن عبد الكريم التميمي الفاسي قال مخبرا عن أبي عبد الله الدقاق كان بمدينة فاس و تذاكروا الفعل بالهمة فقال أبو عبد الله الدقاق فزت بواحدة مالي فيها شريك ما اغتبت أحدا قط و لا اغتبت أحد بحضرتي قط فهذا من الفعل بالهمة حيث تفتي على من عادته أن يغتاب فيكتسب الأوزار أن لا يقدر على الغيبة في مجلسه بحضوره من غير أن يكون من الشيخ نهي له عن ذلك و تفتي أيضا على الذي يذكر بما يكره بحضوره بأنه لا يذكر في فيه بما يكره و كان سيد وقته في هذا الباب خرج مناقبه شيخنا أبو عبد الله بن عبد الكريم المذكور آنفا في كتاب المستفاد في ذكر الصالحين و العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد فقد علمت على الحقيقة أن الفتى من بذلك وسعه و استطاعته في معاملة الخلق على الوجه الذي يرضي الحق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و الأربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين و عامة ذلك المقام)

أنا ختم الولاية دون شك   لورث الهاشمي مع المسيح

كما أني أبو بكر عتيق   أجاهد كل ذي جسم و روح

بأرماح مثقفة طوال   و ترجمة بقرآن فصيح

تنازعني على الوحي الصريح　　أشد على كتيبة كل عقل

على الأحوال بالنبإ الصحيح　　لي الورع الذي يسمو اعتلاء

من الورعين من أهل الفتوح　　وساعدني عليه رجال صدق

و يستثنون سلطنة المبيح　　يوالون الوجوب و كل ندب

الكلام على الورع و أهله و تركه يرد في داخل الكتاب في ذكر المقامات و الأحوال منه إن شاء الله تعالى و الذي يتعلق بهذا الباب الكلام على معرفة طائفة من أقطابه و عموم مقامه فاعلم إن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي كان من عامة هذا المقام و أبا يزيد البسطامي و شيخنا أبا مدين في زماننا كانا من خاصته فأعلى أقطاب الورعين اجتناب الاشتراك في إطلاق اللفظ إذ كان الورع اجتناب المحرمات و كل ما فيه شبهة من جانب المحرم فيجتنب لذلك الشبه و هو المعبر عنه بالشبهات أي الشيء الذي له شبه بما جاء النص الصريح بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع بالحال الذي يوجب له هذا الاسم مثل أكل لحم الخنزير لمن ليس له حال الاضطرار فهو عليه حرام فلهذا قلنا بالحال الذي يوجب له هذا الاسم كما أن المضطر ليس بمخاطب بالتحريم فأكل لحم الخنزير في حق من حاله الاضطرار هو له حلال بلا خلاف و لما كان التحريم معناه المنع من الالتباس به و رأوا أن لذلك أحوالا و أنه ما ثم في الوضع شيء محرم لعينه لهذا قيده الشارع بالأحوال و قد انسحب عليه التحريم للحال فما هو محرم لعينه أولى بالاجتناب فلا بد من اجتنابه باطنا علما و قد يحل هذا المحرم لعينه في ظاهر الحال ما يلزمه و هذا هو التحريم الذي لا يحل أبدا من حيث معناه و لا يصح أن تجيء آية شرعية تحله و هو الاتصاف بأوصاف الحق تعالى التي بها يكون إلها فواجب شرعا و عقلا اجتناب هذه الأسماء الإلهية معنى و إن أطلقت لفظا فينبغي أن لا تطلق لفظا على أحد إلا تلاوة فيكون الذي يطلقها تاليا حاكيا كما قال تعالى لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ من أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فسماه عزيزا رءوفا رحيما فنسميه بتسمية الله إياه و نعتقد أنه صلى الله عليه و سلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أواه منيب فإطلاق الألفاظ التي تطلق على الحق من الوجه الصحيح الذي يليق بالجناب الإلهي لا ينبغي أن تطلق على أحد من خلق الله إلا حيث أطلقها الحق لا غير و إن أباح ذلك فالورع ما هو مع المباح و لا سيما في هذه المسألة خاصة فلا يطلقها مع كون ذلك قد أبيح له فإذا أطلقها على من أطلقها عليه الحق أو الرسول صلى الله عليه و سلم فيكون هذا المطلق تاليا أو مترجما ناقلا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك الإطلاق ثم من الورع عند هؤلاء الرجال أن ينزلوا إلى ما اختصت به الأنبياء و الرسل من الإطلاق فيتورعوا أن يطلقوا عليهم أو على أحد ممن ليس بنبي و لا رسول اللفظ الذي اختصوا به فيطلقون على الرسل الذين ليسوا برسل الله لفظ الورثة و المترجمين فيقولون وصل من السلطان الفلاني إلى السلطان الفلاني ترجمان يقول كذا و كذا فلم يطلقوا على المرسل و لا على المرسل إليه اسم الملك ورعا و أدبا مع الله و أطلقوا عليه اسم السلطان فإن الملك من أسماء الله فاجتنبوا هذا اللفظ أدبا و حرمة و ورعا و قالوا السلطان إذ كان هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله و أطلقوا على الرسول الذي جاء من عنده

اسم الترجمان و لم يطلقوا عليه اسم الرسول لأنه قد أطلق على رسول الله صلى الله عليه و سلم فجعلوه من خصائص النبوة و الرسالة الإلهية أدبا مع رسل الله عليهم السلام و إن كان هذا اللفظ قد أبيح لهم و لم ينهوا عنه و لكن لم يوجب عليهم فكان لزوم الأدب أولى مع من عرفنا الله أنه أعظم منا منزلة عنده و هذا لا يعرفه إلا الأدباء الورعون ثم إن لهؤلاء مرتبة أخرى في الورع و هي أنهم رضي الله عنهم يجتنبون كل أمر تقع فيه المزاحمة بين الأكوان و يطلبون طريقا لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم و لا من مقامهم فلا يزاحمون أحدا في شيء مما يتحققون به في نفوسهم و يتصفون به و يحبون من الله أن يدعوا به في الدنيا و الآخرة و هو ما يكونون عليه من الأخلاق الإلهية فيكونون مع تحققهم بمعانيها و ظهور أحكامها على ظواهرهم من الرحمة بعباد الله و التلطف بهم و الإحسان إليهم و التوكل على الله و القيام بحدود الله و يظهرون في العالم أن جميع ما يرى عليهم إن ذلك فعل الله لا فعلهم و بيد الله لا بيدهم و أن المثنى عليه بذلك الفعل إنما ينبغي أن يتعلق ذلك الثناء بفاعله و فاعله هو الله جل جلاله لا نحن فيتبرءون من أفعالهم الحسنة غاية التبري و من الأوصاف المستحسنة كذلك و كل وصف مذموم شرعا و عرفا يضيفونه إلى أنفسهم أدبا مع الله تعالى و ورعا شافيا كما قال الخضر في العيب فَأَرَدْتُ و في الخير فَأَرادَ رَبُّكَ و كما قال الخليل عليه السلام وَإِذا مَرِضْتُ و لم يقل أمرضني و كما قال تعالى في معرض التعليم لنا وَما أَصابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ هذا و إن كان الحق في هذا الخبر يحكى قولهم و لكن فيه تنبيه في التعليم و كما قال عليه السلام في دعائه و هو مما يؤيد ما ذهبنا إليه في التنبيه في هذه الآية فقال و الخير كله بيديك فأكد بكل و هي كلمة تقتضي الإحاطة في اللسان و قال و الشر ليس إليك و إن كان لم يؤكده و اكتفى بالألف و اللام و نفى أضافه الشر أدبا مع الله و حقيقة و هذه المسألة من أغمض المسائل الإلهية عند أهل الله خاصة و أما أهل النظر فقد اعتمدت كل طائفة منهم على ما اقتضاه دليلها في زعمها و هؤلاء الرجال الغالب عليهم فهم مقاصد الشرع فجروا معه على مقصده و ذلك من بركة الورع و الاحترام الذي احترموا به الجناب الإلهي حقيقة لا مجازا فتح الله لهم بأدبهم عين الفهم في كتبه و فيما جاءت به رسله مما لا تستقل العقول بإدراكه و ما تستقل لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم ففهموا من ذلك كله بهذه العناية ما لم يفهم من لم يتصف بهذه لصفة و لم يكن له هذا المقام و لما كان هذا حال الورعين سلكوا في أمورهم و حركاتهم مسالك العامة فلم يظهر عليهم ما يتميزون به عنهم و استتروا بالأسباب الموضوعة في العالم التي لا يقع الثناء بها على من تلبس بها فلم ينطق على هؤلاء الرجال في العموم اسم صلاح يخرجهم عن صلاح العامة و لا توكل و لا زهد و لا ورع و لا شيء مما يقع عليه اسم ثناء خاص يخرجون به عن العامة و يشار إليهم فيه مع أنهم أهل ورع و توكل و زهد و خلق حسن و قناعة و سخاء و إيثار فأمثال هذا كله اجتنب رجال الله من هؤلاء الطبقة فسموا ورعين في اصطلاح أهل الله لأن الورع الاجتناب و تدبر ما أحسن قول من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه و سلم كيف قال في هذا المقام يعلم رجاله كيف يكونون فيه دع ما يريبك إلى ما لا يريبك و قال استفت قلبك و إن أفتاك المفتون فأحالهم على قلوبهم لما علم ما فيها من سر الله الحاوية عليه في تحصيل هذا المقام ففي القلوب عصمة إلهية لا يشعر بها إلا أهل المراقبة و فيه ستر لهم فإن هؤلاء الرجال لو سألوا و عرف منهم البحث و التفتيش في مثل هذا عند الناس و عند العلماء الذين سألوا في ذلك بالضرورة كان

يشار إليهم و يعتقد فيهم الدين الخالص كبشر الحافي و غيره و هو من أقطاب هذا المقام عرف به و سلم له حكي أن أخت بشر الحافي سألت أحد أئمة الدين في الغزل الذي تغزله في ضوء مشاغل الظاهرية إذا مروا بها ليلا و هي على سطحها فعرفت بهذا السؤال أنها من أهل الورع و لو عملت على حديث استفت قلبك لعلمت أنها ما سألت حتى رابها فكانت تدع ذلك الغزل أو لا تغزل بعد ذلك و تترك الغزل فأفتاها الإمام المسئول و هو أحمد بن حنبل و أثنى عليها بذلك حتى نقل إلينا و سطر في الكتب فأعطانا صلى الله عليه و سلم الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الأغيار خالصا لله مخلصا لا يعلمه إلا الله ثم صاحبه و هو قوله أَلاٰ لِلّٰهِ الدِّينُ الْخٰالِصُ فكل دين وقع فيه ضرب من الاشتراك المحمود أو المذموم فما هو بالدين الخالص الذي لله إن كان الذي وقع به الاشتراك محمودا كمثلة أخت بشر الحافي و إن وقع الاشتراك بالمذموم فليس بدين أصلا فإنه ليس ثم دين إلهي يتعلق به لسان ذم فلما رأى رجال هذا المقام مراعاة النبي صلى الله عليه و سلم ما يحصل في قلب العبد مما قاله و ما أحال به لإنسان على نفسه باجتنابه طلبا للتستر تعملوا في تحصيل ذلك و سلكوا عليه و علموا إن النجاة المطلوبة من الشارع لنا إنما هي في ستر المقام فأعطاهم العمل على هذا و التحقق به الحقيقة الإلهية التي استندوا إليها في ذلك و هو اجتنابه التجلي منه سبحانه لعموم عباده في الدنيا فاقتدوا بربهم في احتجاجه عن خلقه فعلم هؤلاء الرجال أن هذه الدار دار ستر و أن الله ما اكتفى في التعريف بالدين حتى نعته بالخالص فطلبوا طريقا لا يشوبهم فيها شيء من الاشتراك حتى يعاملوا الموطن بما يستحقه أدبا و حكمة و شرعا و اقتداء فاستتروا عن الخلق بجنن الورع الذي لا يشعر به و هو ظاهر الدين و العلم المعهود فإنهم لو سلكوا غير المعهود في الظاهر في العموم من الدين لتميزوا و جاء الأمر على خلاف ما قصدوه فكانت أسماؤهم أسماء العامة فهؤلاء الرجال يحمدهم الله و تحمدهم الأسماء الإلهية القدسية و يحمدهم الملائكة و يحمدهم الأنبياء و الرسل و يحمدهم الحيوان و النبات و الجماد و كل شيء يسبح بحمد الله و أما الثقلان فيجهلونهم إلا أهل التعريف الإلهي فإنهم يحمدونهم و لا يظهرونهم و أما غير أهل التعريف الإلهي من الثقلين فهم فيهم مثل ما هم في حق العامة يذكرونهم بحسب أغراضهم فيهم لا غير فلهم المقام المجهول في العامة أما ثناء الله عليهم فلتعملهم استخلاصهم لله فخلصوا له دينه فأثنى عليهم حيث لم يملكهم كون و لا حكم على عبوديتهم رب غير الله و أما ثناء الأسماء الإلهية عليهم فكونهم تلقوها و علموا تأثيرها و ما أثروا بها في كون من الأكوان فيذكرون بذلك الأمر الذي هو لذلك الاسم الإلهي فيكون حجابا على ذلك الاسم فلما لم يفعلوا ذلك و أضافوا الأثر الصادر على أيديهم للاسم الإلهي الذي هو صاحب الأثر على الحقيقة حمدتهم الأسماء الإلهية بأجمعها و أما ثناء الملائكة فلأنهم ما زاحموهم فيما نسبوه إلى أنفسهم بالنسبة لا بالفعل في قولهم نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ فقال هؤلاء الرجال لا حول و لا قوة إلا بك فلم يدعوا في شيء مما هم علمه من تعظيم الله و نسبوا ذلك إلى الله فأثنت عليهم الملائكة فإنها مع هذه الحال لم تجرح الملائكة و تأدبت معها حيث لم تتعرض للطعن عليها بما صدر منها في حق أبيها آدم عليه السلام و اعتذرت عن الملائكة لإيثارهم جناب الحق و إصابتهم العلم فإنه وقع ما قالوه في بني آدم لا شك من الفساد و سفك الدماء و لهذا سر معلوم و أما ثناء الأنبياء و الرسل عليهم السلام فلكونهم سلموا لهم ما ادعوه أنه لهم من النبوة و الرسالة و

آمنوا بهم و ما توقفوا مع كونهم على أحوالهم من أجزاء النبوة قد اتصفوا بها و لكن مع هذا لم يتسموا بأنبياء و لا برسل و أخلصوا في اتباع آثارهم قدما بقدم كما روى عن الإمام أحمد بن حنبل المتبع المقتدى سيد وقته في تركه أكل لبطيخ لأنه ما ثبت عنده كيف كان يأكله رسول الله صلى الله عليه و سلم فدل ذلك على قوة تباعه كيفيات أحوال الرسول صلى الله عليه و سلم في حركاته و سكناته و جميع أفعاله و أحواله و إنما عرف هذا منه لأنه كان في مقام الوراثة في التبليغ و الإرشاد بالقول و العمل و الحال لأن ذلك أمكن في نفس السامع فهو و أمثاله حفاظ الشريعة على هذه الأمة و أما ثناء الحيوان و النبات و الجماد عليهم فإن هؤلاء الأصناف عرفوا الحركات التي تسمى عبثا من التي لا تسمى عبثا فكل من تحرك فيهم بحركة تكون عبثا عند المتحرك بها لا عند المحرك يعلم الناظر منهم المشاهد لتلك الحركة البعثية أنه صاحب غفلة عن الله و رأت هذه الطائفة أنها لا تتحرك في حيوان و لا نبات و لا جماد بحركة تكون عبثا و يلحق بهذا الباب صيد الملوك و من لا حاجة له بذلك إلا للفرجة و اللهو و اللعب فأثنى من ذكرناه من هؤلاء الأصناف على هذه الطائفة فالله يقول وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً بإمهالكم حيث لم يؤاخذكم سريعا بما رددتم من ذلك غَفُوراً حيث ستر عنكم تسبيح هؤلاء فلم تفقهوه و قال تعالى في حال من مات ممقوتا عند الله فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ فوصف السماء و الأرض بالبكاء على أهل الله و لا يشك مؤمن في كل شيء أنه مسبح و كل مسبح حي عقلا و ورد أن العصفور يأتي يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم قتلني عبثا و كذلك من يقطع شجرة لغير منفعة أو ينقل حجرا لغير فائدة تعود على أحد من خلق الله فلما أعطى الله هذه المعارف لهؤلاء الأصناف لذلك وصفتها بالثناء على هؤلاء الرجال و عرفت ذلك منهم كشفا حسيا مثل ما كان للصحابة سماع تسبيح الحصى و تسبيح الطعام لأنهم ليس بينهم و بين الحركة العبثية دخول بل يجتنبون ذلك جملة واحدة و لما جهل أكثر الثقلين هذه العلوم لذلك لا يعرفون مراتب هؤلاء الرجال فلا يمدحونهم و لا يتعرضون إليهم و لهذا أخبر تعالى أن كل شيء في العالم يسجد لله تعالى من غير تبعيض إلا الناس فقال أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ من في السَّماواتِ وَمن في الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ و لم يبعض وَكَثِيرٌ من النَّاسِ فبعض فإن فهمت ما ذكرناه لك من صفة أصحاب هذا المقام و سلكت طريقهم كنت من المفلحين الفائزين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثالث و العشرون

(الباب الرابع و الأربعون في البهاليل و أئمتهم في البهللة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إذا كنت في طاعة راغبا فلا تكسها حلة الآجل
و كن كالبهاليل في حالهم مع الوقت يجرون كالعاقل
وحوصل من السنبل الحاصل و لا تصبرن إلى قابل
فحوصلة الرزق قد هيئت ليحصل ما ليس بالحاصل

يفتك الذي هو في العاجل　　و لا تبكين على فائت

ولا السين وأرحل مع الراحل　　و سوف فلا تلتفت حكمها

و مت حصلت على طائل　　عساك إذا كنت ذا عزمة

تخبطت في شرك الحابل　　و قل للذي لم يزل وانيا

تريد فيا خيبة السائل　　و ما ظفرت كفكم بالذي

كفعل الفتى الحذر الواجل　　فلو كان فعلك في أمره

يجلي لك الحق كالباطل　　لميزت بيني و بين الذي

يقول الله تعالى وَتَرَى النَّاسَ سُكَارى وَما هُمْ بِسُكَارى و ذلك أن لله قوما كانت عقولهم محجوبة بما كانوا عليه من الأعمال التي كلفهم الحق تعالى في كتابه و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم التصرف فيها شرعا و شرعها لهم و لم يكن لهم علم بأن لله تعالى الحق فجأة لمن خلا به في سره و أطاعه في أمره و هيأ قلبه لنوره من حيث لا يشعر ففجأه الحق على غفلة منه بذلك و عدم علم و استعداد لهائل أمر فذهب بعقله في الذاهبين و أبقى تعالى ذلك الأمر الذي فجأه مشهودا له فهام فيه و مضى معه فبقي في عالم شهادته بروحه الحيواني يأكل و يشرب و يتصرف في ضروراته الحيوانية تصرف الحيوان المفطور على العلم بمنافعه المحسوسة و مضاره من غير تدبير و لا روية و لا فكر ينطق بالحكمة و لا علم له بها و لا يقصد نفعك بها لتتعظ و تتذكر أن الأمور ليست بيدك و أنك عبد مصرف بتصريف حكيم و سقط التكليف عن هؤلاء إذ ليس لهم عقول يقبلون بها و لا يفقهون بها تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ خذ العفو أي القليل مما يجري الله على ألسنتهم من الحكم و المواعظ و هؤلاء هم الذين يسمون عقلاء المجانين يريدون بذلك أن جنونهم ما كان سببه فساد مزاج عن أمر كوني من غذاء أو جوع أو غير ذلك و إنما كان عن تجل إلهي لقلوبهم و فجأة من فجآت الحق فجأتهم فذهبت بعقولهم فعقولهم محبوسة عنده منعمة بشهوده عاكفة في حضرته متنزهة في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول و عرفوا في الظاهر بالمجانين أي المستورين عن تدبير عقولهم فلهذا سموا عقلاء المجانين قيل لأبي السعود بن الشبل البغدادي عاقل زمانه ما تقول في عقلاء المجانين من أهل الله فقال رضي الله عنه هو ملاح و العقلاء منهم أملح قيل له فبما ذا نعرف مجانين الحق من غيرهم فقال مجانين الحق تظهر عليهم آثار القدرة و العقلاء يشهد الحق بشهودهم أخبرني بذلك عنه صاحبه أبو البدر التماسكي رحمه الله و كان ثقة ضابطا عارفا بما ينقل لا يجعل فاء مكان واو فقال الشيخ من شاهد ما شاهدوا و أبقى عليه عقله فذلك أحسن و أمكن فإنه قد أقيم و أعطى من القوة قريبا مما أعطيت الرسل و إن تغيروا في وقت الفجآت فقد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما فجأه الوحي جئث منه رعبا فأتى خديجة ترجف بوادره فقال زملوني زملوني و ذلك من تجلى ملك فكيف به بتجلى ملك فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا جاءه الوحي و نزل الروح الأمين به على قلبه أخذ

عن حسه و سجي و رغا كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه و قد وعى ما جاءه به فيلقيه على الحاضرين و يبلغه للسامعين فمواجده صلى الله عليه و سلم من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة من نزول ملك و وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه و لكن كان منتظرا مستعدا لذلك الهول و مع هذا يؤخذ عن نفسه فلو لا أنه رسول مطلوب بتبليغ الرسالة و سياسة الأمة لذهب الله بعقول الرسل لعظيم ما يشاهدونه فمكنهم الله القوي المتين من القوة بحيث يتمكنون من قبول ما يرد عليهم من الحق و يوصلونه إلى الناس و يعملون به فاعلم إن الناس في هذا المقام على إحدى ثلاث مراتب منهم من يكون وارده أعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون بحكمه يصرفه الحال و لا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال فإن استمر عليه إلى آخر عمره فذلك المسمى في هذه الطريقة بالجنون كأبي عقال المغربي و منهم من يمسك عقله هناك و يبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل و يشرب و يتصرف من غير تدبير و لا روية فهؤلاء يسمون عقلاء المجانين لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات و أما مثل أبي عقال فمجنون مأخوذ عنه بالكلية و لهذا ما أكل و ما شرب من حين أخذ إلى أن مات و ذلك في مدة أربع سنين بمكة فهو مجنون أي مستور مطلق عن عالم حسه و منهم من لا يدوم له حكم ذلك الوارد فيزول عنه الحال فيرجع إلى الناس بعقله فيدبر أمره و يعقل ما يقول و يقال له و يتصرف عن تدبير و روية مثل كل إنسان و ذلك هو النبي و أصحاب الأحوال من الأولياء و منهم من يكون وارده و تجليه مساويا لقوته فلا يرى عليه أثر من ذلك حاكم لكن يشعر عند ما يبصران ثم أمرا ما طرأ عليه شعورا خفيا فإنه لا بد لهذا أن يصغي إليه أي إلى ذلك الوارد حتى يأخذ عنه ما جاءه به من عند الحق فحاله كحال جليسك الذي يكون معك في حديث فيأتي شخص آخر في أمر من عند الملك إليه فيترك الحديث معك و يصغي إلى ما يقول له ذلك الشخص فإذا أوصل إليه ما عنده رجع إليك فحادثك فلو لم تبصره عينك و رأيته يصغي إلى أمر شعرت أن ثم أمرا شغله عنك في ذلك كرجل يحدثك فأخذته فكرة في أمر فصرف حسه إليه في خياله فجمدت عينه و نظره و أنت تحدثه فتنظر إليه غير قابل حديثك فتشعر أن باطنه متفكر في أمر آخر خلاف ما أنت عليه و منهم من تكون قوته أقوى من الوارد فإذا أتاه الوارد و هو معك في حديث لم تشعر به و هو يأخذ من الوارد ما يلقى إليه و يأخذ عنك ما تحدثه به أو يحدثك به و ما ثم أمر رابع في واردات الحق على قلوب أهل هذه الطريقة و هي مسألة غلط فيها بعض أهل الطريق في الفرق بين النبي و الولي فقالوا الأنبياء يصرفون الأحوال و الأولياء تصرفهم الأحوال فالأنبياء مالكون أحوالهم و الأولياء مملوكون لأحوالهم و الأمر إنما هو كما فصلناه لك و قد بينا لك لما ذا يرد الرسول و يحفظ عليه عقله مع كونه يؤخذ و لا بد عن حسه في وقت وارد الحق على قلبه بالوحي المنزل فافهم ذلك و تحققه و قد لقينا جماعة منهم و عاشرناهم و اقتبسنا من فوائدهم و لقد كنت واقفا على واحد منهم و الناس قد اجتمعوا عليه و هو ينظر إليهم و هو يقول لهم أطيعوا الله يا مساكين فإنكم من طين خلقتم و أخاف عليكم أن تطبخ النار هذه الأواني فتردها فخارا فهل رأيتم قط آنية من طين تكون فخارا من غير أن تطبخها نار يا مساكين لا يغرنكم إبليس بكونه يدخل النار معكم و تقولون الله يقول لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ إبليس خلقه الله من نار فهو يرجع إلى أصله و أنتم من طين تتحكم النار في مفاصلكم يا مساكين

انظروا إلى إشارة الحق في خطابه لإبليس بقوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ و هنا قف و لا تقرأ ما بعدها فقال له جهنم منك و هو قوله خَلَقَ الْجَانَّ من مارجٍ من نارٍ فمن دخل بيته و جاء إلى داره و اجتمع بأهله ما هو مثل الغريب الوارد عليه فهو رجع إلى ما به افتخر قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي من نارٍ فسروره رجوعه إلى أصله و أنتم يا مناحيس تتفخر بالنار طينتكم فلا تسمعوا من إبليس و لا تطيعوا و اهربوا إلى محل النور تسعدوا يا مساكين أنتم عمي ما تبصرون الذي أبصره أنا تقولون سقف هذا المسجد ما يمسكه إلا هذه الأسطوانات أنتم تبصرونها أسطوانات من رخام و أنا أبصرها رجالا يذكرون الله و يمجدونه بالرجال تقوم السموات فكيف هذا المسجد ما أدري إما أنا هو الأعمى لا أبصر الأسطوانات حجارة و إما أنتم هم العمي لا تبصرون هذه الأسطوانات رجالا و الله يا إخوتي ما أدري لا و الله أنتم هم العمي ثم استشهدني دون الجماعة فقال يا شاب ألست أقول الحق قلت بلى ثم جلست إلى جانبه فجعل يضحك و قال يا ناس الأستاه المنتنة تصفر بعضها لبعض و هذا الشاب منتن مثلي هذه المناسبة جعلته يجلس إلى جانبي و يصدقني أنتم الساعة تحسبونه عاقلا و أنا مجنون هو أجن مني بكثير و إنما أنتم كما أعماكم الله عن رؤية هذه الأسطوانات رجالا أعماكم أيضا عن جنون هذا الشاب ثم أخذ بيدي و قال قم امش بنا عن هؤلاء فخرجت معه فلما فارق الناس ترك يدي من يده و انصرف عني و هو من أكبر من لقيته من المعتوهين كنت إذا سألته ما الذي ذهب بعقلك يقول لي أنت هو المجنون حقا و لو كان لي عقل كنت تقول لي ما الذي ذهب بعقلك أين عقلي حتى يخاطبك قد أخذه معه ما أدري ما يفعل به و تركني هنا في جملة الدواب آكل و أشرب و هو يدبرني قلت له فمن يركبك إذا كنت دابة قال أنا دابة وحشية لا أركب ففهمت أنه يريد خروجه عن عالم الإنس و أنه في مفاوز المعرفة فلا حكم للانس عليه و كذلك كان محفوظا من أذى الصبيان و غيرهم كثير السكوت مبهوتا دائم الاعتبار يلازم المسجد و يصلي في أوقات فربما كنت أسأله عند ما أراه يصلي أقول له أراك تصلي يقول لي لا و الله إنما أراه يقيمني و يقعدني ما أدري ما يريد بي أقول له فهل تنوي في صلاتك هذه أداء ما افترض الله عليك فيقول لي أي شيء تكون النية أقول له القصد بهذه الأعمال القربة إليه فيضحك و يقول أنا أقول له أراه يقيمني و يقعدني فكيف أنوي القربة إلى من هو معي و أنا أشهده و لا يغيب عني هذا كلام المجانين ما عندكم عقول ثم لتعلم إن هؤلاء البهاليل كبهلول و سعدون من المتقدمين و أبي وهب الفاضل و أمثالهم منهم المسرور و منهم المحزون و هم في ذلك بحسب الوارد الأول الذي ذهب بعقولهم فإن كان وارد قهر قبضهم كيعقوب الكوراني كان بالجسر الأبيض رأيته و كان على هذا القدم و كذلك مسعود الحبشي رأيته بدمشق ممتزجا بين القبض و البسط الغالب عليه البهت و إن كان وارد لطف بسطهم رأيت من هذا الصنف جماعة كأبي الحجاج الغليري و أبي الحسن علي السلاوي و الناس لا يعرفون ما ذهب بعقولهم شغلهم ما تجلى لهم عن تدبير نفوسهم فسخر الله لهم الخلق فهم مشتغلون بمصالحهم عن طيب نفس فأشهى ما إلى الناس أن يأكل واحد من هؤلاء عنده أو يقبل منه ثوبا تسخيرا إلهيا فجمع الله لهم بين الراحتين حيث يأكلون ما يشتهون و لا يحاسبون و لا يسألون و جعل لهم القبول في قلوب الخلق و المحبة و العطف عليهم و استراحوا من التكليف و لهم عند الله أجر من أحسن عملا في مدة أعمارهم التي ذهبت بغير عمل لأنه سبحانه هو الذي أخذهم

إليه فحفظ عليهم نتائج الأعمال التي لو لم يذهب بعقولهم لعملوها من الخير كمن بات نائما على وضوء و في نفسه أن يقوم من الليل يصلي فيأخذ الله بروحه فينام حتى يصبح فإن الله يكتب له أجر من قام ليلة لأنه الذي حبسه عنده في حال نومه فالمخاطب بالتكليف منهم و هو روحهم غائب في شهود الحق الذي ظهر سلطانه فيهم فما لهم أذن واعية لحفظ السماع من خارج و تعقل ما جاء به و لقد ذقت هذا المقام و مر على وقت أؤدي فيه الصلوات الخمس إماما بالجماعة على ما قيل لي بإتمام الركوع و السجود و جميع أحوال الصلاة من أفعال و أقوال و أنا في هذا كله لا علم لي بذلك لا بالجماعة و لا بالمحل و لا بالحال و لا بشيء من عالم الحس لشهود غلب على غبت فيه عني و عن غيري و أخبرت أني كنت إذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة و أصلي بالناس فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم و لا علم له بذلك فعلمت إن الله حفظ على وقتي و لم يجر على لساني ذنب كما فعل بالشبلي في ولهه لكنه كان الشبلي يرد في أوقات الصلوات على ما روى عنه فلا أدري هل كان يعقل رده أو كان مثل ما كنت فيه فإن الراوي ما فصل فلما قيل للجنيد عنه قال الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب إلا أني كنت في أوقات في حال غيبتي أشاهد ذاتي في النور الأعم و التجلي الأعظم بالعرش العظيم يصلي بها و أنا عرى عن الحركة بمعزل عن نفسي و أشاهدها بين يديه راكعة و ساجدة و أنا أعلم أني أنا ذلك الراكع و الساجد كرؤية النائم و اليد في ناصيتي و كنت أتعجب من ذلك و اعلم أن ذلك ليس غيري و لا هو أنا و من هناك عرفت المكلف و التكليف و المكلف اسم فاعل و اسم مفعول فقد أبنت لك حالة المأخوذين عنهم من المجانين الإلهيين إبانة ذائق بشهود حاصل وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس و الأربعون في معرفة من عاد بعد ما وصل و من جعله يعود)

و تفصيل آيات لو أنك تعقل … وجودك عن تدبير أمر محقق
برب يرى الأشياء تعلو و تسفل … فيا أيها الإنسان ما غر ذاتكم
علمت الذي قد كنت بالأمس تجهل … فإن كنت ذا عقل و فهم و فطنة
لقرب و بعد بالذي أنت تعمل … و ذلك أن تدري بأنك قابل
فذاك الذي بالعبد أولى و أجمل … فخف رب تدبير و تفصيل مجمل
لعل بشارات بسعدك تحصل … إذا كان هذا حالك اليوم دائبا
و في الخلق يقضي ما يشاء و يفصل … فإن جلال الحق يعظم قدره
إليه و يقضي ما يشاء و يعدل … إذا أخذ المولى قلوب عباده
و رد الذي قد شاء لما كان يأمل … فمن شاء أبقاه لديه مكرما
و ما ثم إلا هؤلاء فأجملوا … و ذاك نبي أو رسول و وارث

و الاثنان قد راحا فما لك تعدل　　　و لم يبق إلا واحد و هو وارث

ليغبطه فيها الذي هو أفضل　　　فسبحان من خص الولي براحة

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم العلماء ورثة الأنبياء و إن الأنبياء ما ورثوا دينارا و لا درهما ورثوا العلم و لما كانت حالته صلى الله عليه و سلم في ابتداء أمره صلى الله عليه و سلم إن الله تعالى وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل عليه السلام فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه عناية من الله سبحانه به صلى الله عليه و سلم إلى أن فجأه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة و عرفه بنبوته فلما تقررت عنده أرسل إلى الناس كافة بَشِيراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً فبلغ الرسالة و أدى الأمانة و دعا إلى الله عز و جل عَلَى بَصِيرَةٍ فالوارث الكامل من الأولياء منا من انقطع إلى الله بشريعة رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أن فتح الله له في قلبه في فهم ما أنزل الله عز و جل على نبيه و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم بتجل إلهي في باطنه فرزقه الفهم في كتابه عز و جل و جعله من المحدثين في هذه الأمة فقام له هذا مقام الملك الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم رده الله إلى الخلق يرشدهم إلى صلاح قلوبهم مع الله و يفرق لهم بين الخواطر المحمودة و المذمومة و يبين لهم مقاصد الشرع و ما ثبت من الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما لم يثبت بإعلام من الله أتاه رحمة من عنده و علمه من لدنه علما فيرقى هممهم إلى طلب الأنفس بالمقام الأقدس و يرغبهم فيما عند الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم في تبليغ رسالته غير إن الوارث لا يحدث شريعة و لا ينسخ حكما مقررا لكن يبين فإنه عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ و بصيرة في علمه وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ بصدق اتباعه و هو الذي أشركه الله تعالى مع رسوله صلى الله عليه و سلم في الصفة التي يدعو بها إلى الله فأخبر و قال أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي و هم الورثة فهم يدعون إلى الله على بصيرة و كذلك شركهم مع الأنبياء عليهم السلام في المحنة و ما ابتلوا به فقال إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ و هم الورثة فشرك بينهم في البلاء كما شرك بينهم في الدعوة إلى الله فكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه كثيرا ما يقول من علامات صدق المريد في إرادته فراره عن الخلق و هذه حالة الرسول صلى الله عليه و سلم في خروجه و انقطاعه عن الناس في غار حراء للتحنث ثم يقول و من علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق فما زال رسول الله صلى الله عليه و سلم يتحنث في انقطاعه حتى فجأه الحق ثم قال و من علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق يريد حالة بعثه صلى الله عليه و سلم بالرسالة إلى الناس و يعني في حق الورثة بالإرشاد و حفظ الشريعة عليهم فأراد الشيخ بهذا صفة الكمال في الورث النبوي فإن لله عبادا إذا فجأهم الحق أخذهم إليه و لم يردهم إلى العالم و شغلهم به و قد وقع هذا كثيرا و لكن كمال الورث النبوي الرسالي في الرجوع إلى الخلق فإن اعترضك هنا قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا إنما ذلك فيمن رجع إلى شهواته الطبيعية و لذاته و ما تاب منه إلى الله و أما الرجوع إلى الله تعالى بالإرشاد فلا يقول لو لاح لهم بارقة من الحقيقة ما رجعوا إلى ما تابوا إلى الله منه و لو رأوا وجه الحق فيه فإن موطن التكليف و الأدب يمنعهم من ذلك و أما قول الآخر من أكابر الرجال لما قيل له فلان يزعم أنه

وصل فقال إلى سقر فإنه يريد بهذا أنه من زعم أن الله محدود يوصل إليه و هو القائل وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ أو ثم أمر إذا وصل إليه سقطت عنه الأعمال المشروعة و أنه غير مخاطب بها مع وجود عقل التكليف عنده و إن ذلك الوصول أعطاه ذلك فهو هذا الذي قال فيه الشيخ إلى سقر أي هذا لا يصح بل الوصول إلى الله بقطع كل ما دونه حتى يكون الإنسان يأخذ عن ربه فهذا لا تمنعه الطائفة بلا خلاف و كان شيخنا أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي يقول بيننا و بين الحق المطلوب عقبة كئود و نحن في أسفل العقبة من جهة الطبيعة فلا نزال نصعد في تلك العقبة حتى نصل إلى أعلاها فإذا استشرفنا على ما وراءها من هناك لم نرجع فإن وراءها ما لا يمكن الرجوع عنه و هو قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا يريد إلى رأس العقبة فمن رجع من الناس إنما رجع من قبل الوصول إلى رأس العقبة و الإشراف على ما وراءها فالسبب الموجب للرجوع مع هذا إنما هو طلب الكمال و لكن لا ينزل بل يدعوهم من مقامه ذلك و هو قوله عَلى بَصِيرَةٍ فيشهد فيعرف المدعو على شهود محقق و الذي لم يرد ماله وجه إلى العالم فيبقى هناك واقفا و هو أيضا المسمى بالواقف فإنه ما وراء تلك العقبة تكليف و لا ينحدر منها إلا من مات إلا أنه منهم أعني من الواقفين من يكون مستهلكا فيما يشاهده هنالك و قد وجد منهم جماعة و قد دامت هذه الحالة على أبي يزيد البسطامي و هذا كان حال أبي عقال المغربي و غيره و اعلم أنه بعد ما أعلمتك ما معنى الوصول إلى الله أن الواصلين على مراتب منهم من يكون وصوله إلى اسم ذاتي لا يدل إلا على الله تعالى من حيث هو دليل على الذات كالاسماء الأعلام عندنا لا تدل على معنى آخر مع ذلك يعقل فهذا يكون حاله الاستهلاك كالملائكة المهيمن في جلال الله تعالى و الملائكة الكروبيين فلا يعرفون سواه و لا يعرفهم سواه سبحانه و منهم من يصل إلى الله من حيث الاسم الذي أوصله إلى الله أو من حيث الاسم الذي يتجلى له من الله و يأخذه من الاسم الذي أوصله إليه سبحانه ثم إن هذين الرجلين المذكورين أو الشخصين فإنه قد يكون منهم النساء إذا وصلوا فإن كان وصولهم من حيث الاسم الذي أوصلهم فشاهدوه فكان لهم عين يقين فلا يخلو ذلك الاسم إما أن يطلب صفة فعل كخالق و بارئ أو صفة صفة كالشكور و الحسيب أو صفة تنزيه كالغني فيكون بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم و من ثم يكون مشربه و ذوقه و ريه و وجوده لا يتعداه فيكون الغالب عليه عندنا في حاله ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي فتضيفه إليه و به تدعوه فتقول عبد الشكور و عبد الباري و عبد الغني و عبد الجليل و عبد الرزاق و إن كان وصولهم إلى اسم غير الاسم الذي أوصلهم فإنه يأتي بعلم غريب لا يعطيه حاله بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم فيتكلم بغرائب العلم في ذلك المقام و قد يكون في ذلك العلم ما ينكره عليه من لا علم له بطريق القوم و يرى الناس أن علمه فوق حاله و هو عندنا أعلى من الذي وصل إلى مشاهدة الاسم الذي أوصله فإن هذا لا يأتي بعلم غريب لا يناسب حاله فيرى الناس أن علمه تحت حاله و دونه يقول أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه العارف فوق ما يقول و العالم تحت ما يقول فبهذا قد حصرنا لك مراتب الواصلين فمنهم من يعود و منهم من لا يعود ثم إن الراجعين على قسمين منهم من يرجع اختيارا كأبي مدين و منهم من يرجع اضطرارا مجبورا كأبي يزيد لما خلع عليه الحق الصفات التي بها ينبغي أن يكون وارثا وراثة إرشاد و هداية خطا خطوة من عنده فغشي عليه فإذا النداء ردوا على حبيبي فلا صبر له عني فمثل هذا لا

يرغب في الخروج إلى الناس و هو صاحب حال و أما العالي من الرجال و هم الأكابر و هم الذين ورثوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم عبوديته فإن أمروا بالتبليغ فيحتالون في ستر مقامهم عن أعين الناس ليظهروا عند الناس بما لا يعلمون في العادة أنهم من أهل الاختصاص الإلهي فيجمعون بين الدعوة إلى الله و بين ستر المقام فيدعونهم بقراءة الحديث و كتب الرقائق و حكايات كلام المشايخ حتى لا تعرفهم العامة إلا أنهم نقلة لا أنهم يتكلمون عن أحوالهم من مقام القربة هذا إذا كانوا مأمورين و لا بد و إن لم يكونوا مأمورين بذلك فهم مع العامة التي لم تزل مستورة الحال لا يعتقد فيهم خير و لا شر ثم إن من الرجال الواصلين من لا يكشف لهم عن العلم بالأسماء الإلهية التي تدبرهم و لكن لهم نظر إلى الأعمال المشروعة التي يسلكون بها و هي ثمانية يد و رجل و بطن و لسان و سمع و بصر و فرج و قلب ما ثم غير ذلك فهؤلاء يفتح لهم عند وصولهم في عالم المناسبات فينظرون فيما يفتح لهم عند الوصول إلى الباب الذي قرعوه فعند ما يفتح لهم يعرفون فيما يتجلى لهم من الغيب أي باب ذلك الباب الذي فتح لهم فإن كان المشهود لهم يطلب اليد بمناسبة تظهر لهم كان صاحب يد و إن كان يطلب البصر بمناسبة كان صاحب بصر و هكذا جميع الأعضاء و من ذلك الجنس تكون كراماته إن كان وليا و معجزاته إن كان نبيا و من ذلك الجنس تكون منازله و معارفه كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فيمن يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يركع ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء فتحت له الثمانية الأبواب من الجنة يدخل من أيها شاء كذلك هذا الشخص يفتح له من أعمال أعضائه إذا كملت طهارته و صفا سره أي شيء كان مما تعطيه أعمال أعضائه المكلفة و قد بينا هذه المراتب العملية على الأعضاء في كتاب مواقع النجوم ثم إن الله سبحانه يمدهم من الأنوار بما يناسبهم و هي ثمانية من حضرة النور فمنهم من يكون إمداده من نور البرق و هو المشهد الذاتي و هو على ضربين خلب و غير خلب فإن لم ينتج مثل صفات التنزيه فهو البرق الخلب و إن أنتج و لا ينتج إلا أمرا واحدا لأنه ليس لله صفة نفسية سوى واحدة هي عين ذاته لا يصح أن تكون اثنان فإن اتفق أن يحصل له من هذا النور البرقي في بعض كشف تعريف إلهي لا يكون برق خلب و منهم من يكون إمداده من حضرة النور نور الشمس و منهم من يكون إمداده من نور البدر و منهم من يكون إمداده من نور القمر و منهم من يكون إمداده من نور الهلال و منهم من يكون إمداده من نور السراج و منهم من يكون إمداده من نور النجوم و منهم من يكون إمداده من نور النار و ما ثم نور أكثر و قد ذكرنا مراتب هذه الأنوار في مواقع النجوم أيضا فيكون إدراكهم على قدر مراتب أنوارهم فتتميز المراتب بتمييز الأنوار و تتميز الرجال بتمييز المراتب و من الرجال الواصلين من ليس لهم معرفة بهذا المقام و لا بالأسماء الإلهية و لكن لهم وصول إلى حقائق الأنبياء و لطائفهم فإذا وصلوا فتح لهم باب من لطائف الأنبياء على قدر ما كانوا عليه من الأعمال في وقت الفتح فمنهم من يتجلى له حقيقة موسى عليه السلام فيكون موسوي المشهد و منهم من يتجلى له لطيفة عيسى و هكذا سائر الرسل فينسب إلى ذلك الرسول بالوراثة و لكن من حيث شريعة محمد صلى الله عليه و سلم المقررة من شرع ذلك النبي الذي تجلى له فيجد هذا الواصل أنه كان محققا في عمله الموجب لفتحه من جهة ظاهره أو باطنه شرع نبي متقدم مثل قوله تعالى أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي فإن ذلك من شرع موسى و قرره الشارع لنا فيمن خرج عنه وقت الصلاة بنوم أو

نسيان فهؤلاء يأخذون من لطائف الأنبياء عليهم السلام و لقينا منهم جماعة و ليس لهؤلاء في الأنوار و لا في الأعضاء و لا في الأسماء الإلهية ذوق و لا شرب و لا شرب و من الواصلين أيضا إلى الله تعالى الوصول الذي بيناه من يجمع الله له الجميع و منهم من يكون له من ذلك مرتبتان و أكثر على قدر رزقه الذي قسمه الله له منه و كل إنسان من هؤلاء إذا رد إلى الخلق بالإرشاد و الهداية لا يتعدى ذوقه في أي مرتبة كان وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و الأربعون في معرفة العلم القليل و من حصله من الصالحين)

العلم بالأشياء علم واحد ... و الكثر في المعلوم لا في ذاته

و الأشعري يرى و يزعم أنه ... متعدد في ذاته و صفاته

إن الحقيقة قد أبت ما قاله ... و لو أنه من فكره و هباته

الحق أبلج لا خفاء بأنه ... متوحد في عينه و سماته

قال الله عز و جل وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً فكان شيخنا أبو مدين يقول إذا سمع من يتلو هذه الآية القليل أعطيناه ما هو لنا بل هو معار عندنا و الكثير منه لم نصل إليه فنحن الجاهلون على الدوام و قال من هذا الباب خضر لموسى عليه السلام لما رأى الطائر الذي وقع على حرف السفينة و نقر في البحر بمنقاره أ تدري ما يقول هذا الطائر في نقرة في الماء قال موسى عليه السلام لا أدري قال يا موسى يقول هذا الطائر ما نقص علمي و علمك من علم الله إلا ما نقص من هذا البحر منقاري و المراد المعلومات بذلك لا العلم فإن العلم لو تعدد أدى أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى و هو محال فإن المعلومات لا نهاية لها فلو كان لكل معلوم علم لزم ما قلناه و معلوم أن الله يعلم ما لا يتناهى فعلمه واحد فلا بد أن يكون للعلم عين واحدة لأنه لا يتعلق بالمعلوم حتى يكون موجودا و ما هو ذلك العلم هل هو ذات العالم أو أمر زائد في ذلك خلاف بين النظار في علم الحق سبحانه و معلوم أن علم الله متعلق بما لا يتناهى فبطل أن يكون لكل معلوم علم و سواء زعمت أن العلم عين ذات العالم أو صفة زائدة على ذاته إلا أن تكون ممن يقول في الصفات إنها نسب و إن كنت ممن يقول إن العلم نسبة خاصة فالنسب لا تتصف بالوجود نعم و لا بالعدم كالأحوال فيمكن على هذا أن يكون لكل معلوم علم و قد علمنا إن المعلومات لا تتناهى فالنسب لا تتناهى و لا يلزم من ذلك محال كحدوث التعلقات عند ابن الخطيب و الاسترسال عند إمام الحرمين و بعد أن فهمت ما قررناه في هذه المسألة فقل بعد ذلك ما شئت من نسبة الكثرة للعلم و القلة فما وصف الله العلم بالقلة إلا العلم الذي أعطى الله عباده و هو قوله وَما أُوتِيتُمْ أي أعطيتم فجعله هبة و قال في حق عبده خضر وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً و قال علم القرآن فهذا كله يدلك على أنه نسبة لأن الواحد في ذاته لا يتصف بالقلة و لا بالكثرة لأنه لا يتعدد و بهذا نقول إن الواحد ليس بعدد و إن كان العدد منه ينشأ أ لا ترى أن العالم و إن استند إلى الله و لم يلزم أن يكون الله من العالم كذلك الواحد و إن نشأ منه العدد فإنه لا يكون بهذا من العدد فالوحدة للواحد نعت نفسي لا يقبل العدد و إن أضيف إليه فإن كان العلم نسبة فإطلاق القلة و

الكثرة عليه إطلاق حقيقي و إن كان غير ذلك فإطلاق القلة و الكثرة عليه إطلاق مجازي و كلام العرب مبني على الحقيقة و المجاز عند الناس و إن كنا قد خالفناهم في هذه المسألة بالنظر إلى القرآن فإنا ننفي أن يكون في القرآن مجاز بل في كلام العرب و ليس هذا موضع شرح هذه المسألة و الذي يتعلق بهذا الباب علم الوهب لا علم الكسب فإنه لو أراد الله العلم المكتسب لم يقل أُوتِيتُمْ بل كان يقول أوتيتم الطريق إلى تحصيله لا هو و كان يقول في خضر وَعَلَّمْنٰاهُ طريق اكتساب العلوم لم يقل شيئا من هذا و نحن نعلم أن ثم علما اكتسبناه من أفكارنا و من حواسنا و ثم علما لم نكتسبه بشيء من عندنا بل هبة من الله عز و جل أنزله في قلوبنا و على أسرارنا فوجدناه من غير سبب ظاهر و هي مسألة دقيقة فإن أكثر الناس يتخيلون أن العلوم الحاصلة عن التقوى علوم وهب و ليست كذلك و إنما هي علوم مكتسبة بالتقوى فإن التقوى جعلها الله طريقا إلى حصول هذا العلم فقال إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً و قال وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ كما جعل الفكر الصحيح سببا لحصول العلم لكن بترتيب المقدمات كما جعل البصر سببا لحصول العلم بالمبصرات و العلم الوهبي لا يحصل عن سبب بل من لدنه سبحانه فاعلم ذلك حتى لا تختلط عليك حقائق الأسماء الإلهية فإن الوهاب هو الذي تكون أعطياته على هذا الحد بخلاف الاسم الإلهي الكريم و الجواد و السخي فإنه من لا يعرف حقائق الأمور لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية و من لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية لا يعرف تنزيل الثناء على الوجه اللائق به فلهذا نبهتك لتنتبه فلا تكون من الجاهلين فالنبوات كلها علوم وهبية لأن النبوة ليست مكتسبة فالشرائع كلها من علوم الوهب عند أهل الإسلام الذين هم أهله و أريد بالاكتساب في العلوم ما يكون للعبد فيه تعمل كما إن الوهب ما ليس للعبد فيه تعمل و إنما قلنا هذا من أجل الاستعدادات التي جعلت العالم يقبل هذا العلم الوهبي و الكسبي فإنه لا بد من الاستعداد فإن وجد بعض الاستعدادات مما يتعمل الإنسان في تحصيلها كان العلم الحاصل عنها مكتسبا كمن عمل بما علم فأورثه الله علم ما لم يكن يعلم و أشباه ذلك فالشرائع كلها علوم وهبية و ممن حصل علوم وهب مما ليس بشرع جماعة قليلة من الأولياء منهم الخضر على التعيين فإنه قال من لدنه و الذي عرفناه من الأنبياء عليهم السلام آدم و الياس و زكريا و يحيى و عيسى و إدريس و إسماعيل و إن كان قد حصله جميع الأنبياء عليهم السلام و لكن ما ذكرنا منهم إلا من حصل لنا التعريف به و سموا لنا من الوجه الذي نأخذ عن الله تعالى منه فلهذا سمينا هؤلاء و لم نذكر غيرهم فأما قوله تعالى وَمٰا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِيلاً فليس بنص في الوهب و لكن له وجهان وجه يطلبه أوتيتم و وجه يطلبه قليلا من الاستقلال أي ما أعطيتم من العلم إلا ما تستقلون بحمله و ما لا تطيقونه ما أعطيناكموه فإنكم ما تستقلون به فيدخل في هذا العطاء علوم النظر فإنها علوم تستقل العقول بإدراكها و اختلف أصحابنا في العلم المحدث هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا فمن منع أن تعرف ذات الله منع من ذلك و من لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله و لكن ما نقل إلينا إنه حصل لأحد في الدنيا و ما أدري في الآخرة ما يكون فإنا قد علمنا أن محمدا صلى الله عليه و سلم قد علم علم الأولين و الآخرين و قد قال صلى الله عليه و سلم عن نفسه إنه يحمد الله غدا يوم القيامة بمحامد عند ما يطلب من الله عز و جل فتح باب الشفاعة أخبر أن الله تعالى يعلمه إياها في ذلك الوقت لا يعلمها الآن فلو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الأولين و الآخرين و هو صلى الله

عليه و سلم الصادق في قوله فحصل من هذا إن أحدا لم يتعلق علمه بما لا يتناهى و لهذا ما تكلم الناس إلا في إمكانه هل يمكن أم لا و ما كل ممكن واقع و وقوع الممكنات من المسائل المغلقة وكيف يكون ثم ممكن و لا يقع و هو المعقول عندنا في كل وقت فإن ترجيح أحد الممكنين أو الممكنات يمنع من وقوع ما ليس بمرجح في الحال فإن كان الذي لم يقع في الوجود من الممكنات مرجحا عدم وقوعه في الوجود فيكون عدمه مرجحا فقد وقع الممكن فإنه لا يلزم فيه من حيث الإمكان إلا اتصافه بكونه مرجحا سواء ترجح عدمه أو وجوده و إذا كان كذلك فقد وقع كل ممكن بلا شك و إن لم تتناه الممكنات فإن الترجيح ينسحب عليها و هي مسألة دقيقة فإن الممكنات و إن كانت لا تتناهى و هي معدومة فإنها عندنا مشهودة للحق عز و جل من كونه يرى فإنا لا نعلل الرؤية بالوجود و إنما نعلل الرؤية للأشياء بكون المرئي مستعد القبول تعلق الرؤية به سواء كان معدوما أو موجودا و كل ممكن مستعد للرؤية فالممكنات و إن لم تتناه فهي مرئية لله عز و جل لا من حيث نسبة العلم بل من نسبة خري تسمى رؤية كانت ما كانت قال تعالى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَرى و لم يقل هنا أ لم يعلم بأن الله يعلم و قال تَجْرِي بِأَعْيُنِنا أي بحيث نراها و قال أيضا لموسى و هارون إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الرابع و العشرون

(بسم اللّٰه الرحمن الرحيم)

(الباب السابع و الأربعون)

في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية و مقاماتها وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن إليها مع علو مقامه و ما السر الذي يتجلى له حتى يدعوه إلى ذلك

أتيت إلى بحر البداية اغترف	و لما رأيت الحق بالأول اتصف
فيشهدني في غاية الحال اعترف	بلذة ظمآن لا شرب شربة
على كبد حراء فاعمل لها وقف	فيا بردها من شربة مستلذة
ترى ربها في الوقت بالعجب يتصف	فإن لذاك الشرب في القلب لذة
و لا ما يرى فيه من الزهو و الصلف	و لا يحجبنه عجبه عن شهوده
فما خلف إلا و مثل لها سلف	فإن له فيمن تقدم أسوة
بأسماء حق بالحقيقة مكتنف	وراثة مختار و نعت محقق
لقوم أتوا من بعدهم ما لهم خلف	و إن نهايات الرجال بداية
له خلف بل عنده الأمر قد وقف	كمثل رسول اللّٰه في طوره فما

اعلم أن العالم لما كان أكرى الشكل لهذا حن الإنسان في نهايته إلى بدايته فكان خروجنا من العدم إلى الوجود به سبحانه و إليه نرجع كما قال

عز و جل وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و قال وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ و قال وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ و إِلَى اللهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ ألا تراك إذا بدأت وضع دائرة فإنك عند ما تبتدئ بها لا تزال تديرها إلى أن تنتهي إلى أولها و حينئذ تكون دائرة و لو لم يكن الأمر كذلك لكنا إذا خرجنا من عنده خطا مستقيما لم نرجع إليه و لم يكن يصدق قوله و هو الصادق وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و كل أمر و كل موجود فهو دائرة يعود إلى ما كان منه بدؤه و أن الله تعالى قد عين لكل موجود مرتبته في علمه فمن الموجودات من خلقت في مراتبها و وقفت و لم تبرح فلم يكن لها بداية و لا نهاية بل يقال وجدت فإن البدء ما تعقل حقيقته إلا بظهور ما يكون بعده مما ينتقل إليه و هذا ما انتقل فعين بدئه هو عين وجوده لا غير و من الموجودات ما كان وجودها أولا في مراتبها ثم نزل بها إلى عالم طبيعتها و هي الأجسام المولدة من العناصر و لا كلها بل أجسام الثقلين و أقام الله لها في تلك المرتبة المعينة لها التي أنزلت منها على غير علم منها بها داعيا يدعو كل شخص إليها فلا يزال يرتقي بالأعمال الصالحة حتى يصل إليها أو يطلبها بالأعمال التي لا يرتضيها الحق فداعي الحق إذا قام بقلب العبد إنما يدعوه من مقامه الذي تكون غايته إليه إذا سلك و لما كان كل وارد ملذوذا لذيذا فإنه جديد غريب لطيف لهذا يحن إليه دائما و من ذلك حب الأوطان قال ابن الرومي

مآرب قضاها الشباب هنالكا ... و حبب أوطان الرجال إليهمو

عهود الصبي فيها فحنوا لذلكا ... إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو

و لما لم يتمكن للتائب أن يرد عليه وارد التوبة إلا حتى ينتبه من سنة الغفلة فيعرف ما هو فيه من الأعمال التي مالها إلى هلاكه و عطبه خاف و رأى أنه في أسر هواه و أنه مقتول بسيف أعماله القبيحة فقال له حاجب الباب قد رسم الملك أنك إذا أقلعت عن هذه المخالفات و رجعت إليه و وقفت عند حدوده و مراسمه أنه يعطيك الأمان من عقابه و يحسن إليك و يكون من جملة إحسانه أن كل قبيح أتيته ترد صورته حسنة ثم أعطاه التوقيع الإلهي فإذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمن يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً إِلَّا من تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُوْلٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ و لما قرأ وحشي هذا التوقيع قال و من لي بأن أوفق إلى العمل الصالح الذي اشترطه علينا في التبديل فجاء في الجواب توقيع آخر فيه مكتوب إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ فقال وحشي ما أدري هل أنا ممن شاء أن يغفر له أم لا فجاء في الجواب توقيع ثالث فيه مكتوب يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فلما قرأ وحشي هذا التوقيع قال الآن فأسلم رجعنا إلى التوقيع الأول فنقول فلما قرأ هذا التوقيع الصادق الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا من خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ قال له حاجب الباب و هو الشارع إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له فلما ورد عليه هذا الأمان عقيب ذلك الخوف الشديد وجد للأمان حلاوة و لذة لم يكن يعرفها قبل ذلك و قد قيل في ذلك أحلى من الأمن عند الخائف الوجل فعند ما يحصل له طعم هذه اللذة و شرع في الأعمال الصالحة و تطهر محله و استعد لمجالسة الملك فإنه يقول أنا جليس من ذكرني و تفوت معرفته به

سبحانه و علم ما يستحقه جلاله و علم قدر من عصاه استحيا كل الحياء و ذهبت لذته التي وجدها عند ورود وارد توبته عليه و اطلع و رأى الحضرة الإلهية تطالبه بالأدب و الشكر على ما أولاه من النعم فيكثر همه و غمه و تنتفي لذته و لهذا ترى العلماء بالله لا يرون في نومهم ما يراه المريدون أصحاب البدايات من الأنوار فإن المبتدئ يستحضر مستحسنات أعماله و أحواله فيرى نتائجها و العالمون ينامون على رؤية تقصير و تفريط لما يستحقه الجناب العالي فلا يرى في النوم إلا ما يهمهم من ظلمات و رعد و برق و كل أمر مخوف فإن النوم تابع للحس و لما كانت النفس بطبعها تحب الأمور الملذوذة و قد فقدت لذة التوبة في حال معرفتها و نهايتها لذلك حنت إلى بدايتها من أجل ما اقترن بذلك الموطن من اللذة مع علو مقامه و يكون هذا الحنان استراحة لهمه و غمه الذي أعطته معرفته بالله فهو مثل الذي يلتذ بالأماني فهذا سبب حنين أصحاب النهايات إلى بدايتهم و أما المنازل السفلية فهي ما تعطيه الأعمال البدنية من المقامات العلوية كالصلاة و الجهاد و الصوم و كل عمل حسي و ما تعطيه أيضا الأعمال النفسية و هي الرياضات من تحمل الأذى و الصبر عليه و الرضي بالقليل من ملذوذات النفوس و القناعة بالموجود و إن لم تكن به الكفاية و حبس النفس عن الشكوى فإن كل عمل من هذه الأعمال الرياضية و المجاهدات له نتائج مخصوصة و لكل عمل حال و مقام و قد أبان عن بعض ذلك الشارع ليستدل بما ذكره على ما سكت عنه من حيث اختلاف النتائج لاختلاف الصفات و تعريفا بأن النوافل من كل عبادة مفروضة صفتها من صفة فريضتها و لهذا تكمل له منها إذا كانت فريضته ناقصة ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فيقول الله انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كان انتقص منها شيئًا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم و أما الحديث الآخر في صفات العبادات فإنه ورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال الصلاة نور و الصدقة برهان و الصبر ضياء و القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها فجعل النور للصلاة و البرهان للصدقة و هي الزكاة و الضياء للصوم و الحج و هو المعبر عنه بالصبر لما فيها من المشقة للجوع و العطش و ما يتعلق بأفعال الحج و جعل لا إله إلا الله في خبر آخر لا يزنها شيء و نوافل كل فريضة من هذه الفرائض من جنسها فصفتها كصفتها ثم أدخل في قوله كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها و هو الذي باعها من الله قال تعالى إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ أو موبقها و هو الذي اشترى الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فعم بقوله كل الناس يغدو فبائع نفسه جميع أحكام الشريعة نافلتها و فريضتها و مباحها و مكروهها فما من عبادة شرعها الله تعالى لعباده إلا و هي مرتبطة باسم إلهي أو حقيقة إلهية من ذلك الاسم يعطيه في عبادته تلك ما يعطيه في الدنيا في قلبه من منازله و علومه و معارفه و في أحواله من كراماته و آياته و في آخرته في جناته في درجاته و رؤية خالقه في الكثيب في جنة عدن خاصة في مراتبه و قد قال الله عز و جل في المصلي إنه يناجيه و هو نور فيناجيه الله تعالى من اسمه النور لا من اسم آخر فكما أن النور ينفر كل ظلمة كذلك الصلاة تقطع كل شغل بخلاف سائر الأعمال فإنها لا نعم ترك كل ما سواها مثل الصلاة فلهذا كانت نورا يبشره الله بذلك أنه إذا ناجاه من اسمه النور انفرد به و أزال

كل كون بشهوده عند مناجاته ثم شرعها في المناجاة سرا و جهرا ليجمع له فيها بين الذكرين ذكر السر و هو الذكر في نفسه و ذكر العلانية و هو الذكر في الملإ العبد في صلاته يذكر الله في ملأ الملائكة و من حضر من الموجودات السامعين و هو ما يجهر به من القراءة في الصلاة قال الله تعالى في الخبر الثابت عنه إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه قد يريد بذلك الملائكة المقربين الكروبيين خاصة الذين اختصهم لحضرته فلهذا الفضل شرع لهم في الصلاة الجهر بالقراءة و السر فكل عبد صلى و لم تزل عنه صلاته كل شيء دونها فما صلى و ما هي نور في حقه و كل من أسر القراءة في نفسه و لم يشاهد ذكر الله له في نفسه فما أسر فإنه و إن أسر في الظاهر و أحضر في نفسه ما أحضره من الأكوان من أهل و ولد و أصحاب من عالم الدنيا و عالم الآخرة و أحضر الملائكة في خاطره فما أسر في قراءته و لا كان ممن ذكر الله في نفسه لعدم المناسبة فإن الله إذا ذكر العبد في نفسه لم يطلع أحد من المخلوقين على ما في نفس الباري من ذكره عبده كذلك ينبغي أن يكون العبد فيما أسره فإنه ما يناجي في صلاته إلا ربه في حال قراءته و تسبيحاته و دعائه و كذلك إذا ذكره في ملأ في ظاهره و في باطنه فأما في ظاهره فبين و أما في باطنه فما يحضر معه في نفسه من المخلوقين و هو ما يجهر به من القراءة في الصلاة و التسبيحات و الدعاء ثم إنه ليس في العبادات ما يلحق العبد بمقامات المقربين و هو أعلى مقام أولياء الله من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن إلا الصلاة قال تعالى وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ فإن الله في هذه الحالة يباهي به المقربين من ملائكته و ذلك أنه يقول لهم يا ملائكتي أنا قربتكم ابتداء و جعلتكم من خواص ملائكتي و هذا عبدي جعلت بينه و بين مقام القربة حجبا كثيرة و موانع عظيمة من أغراض نفسية و شهوات حسية و تدبير أهل و مال و ولد و خدم و أصحاب و أهوال عظام فقطع كل ذلك و جاهد حتى سجد و اقترب فكان من المقربين فانظروا ما خصصتكم به يا ملائكتي من شرف المقام حيث ما ابتليتكم بهذه الموانع و لا كلفتكم مشاقها فاعرفوا قدر هذا العبد و راعوا له حق ما قاساه في طريقه من أجلي فيقول الملائكة يا ربنا لو كنا ممن يتنعم بالجنان و تكون محلا لإقامتنا ألست كنت تعين لنا فيه منازل تقتضيها أعمالنا ربنا نحن نسألك أن تهبها لهذا العبد فيعطيه الله ما سألته فيه الملائكة فانظروا ما أشرف الصلاة و أفضل ما فيها ذكر الله من الأقوال و السجود من الأفعال و من أقوالها سمع الله لمن حمده فإنه من أفضل أحوال العبد في الصلاة للنيابة عن الحق فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يقول تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ الظاهر للتحريم و التحليل الذي فيها وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ يعني فيها من أفعالها و ينبغي للمحقق أنه لا يذكر الله إلا بالأذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تاليا فيجمع بين الذكر و التلاوة معا في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين و الذاكرين أعني الفضيلة فيكون فتحه في ذلك من ذلك القبيل و علمه و سره و حاله و مقامه و منزله و إذا ذكره من غير أن يقصد الذكر الوارد في القرآن فهو ذاكر لا غير فينقصه من الفضيلة على قدر ما نقصه من القصد و لو كان ذلك الذكر من القرآن غير أنه لم يقصده و قد ثبت أن الأعمال بالنيات و إنما لامرئ ما نوى فينبغي لك إذا قلت لا إله إلا الله أن تقصد بذلك التهليل الوارد في القرآن مثل قوله تعالى فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ و كذلك التسبيح و التكبير و التحميد و أنت تعلم أن أنفاس الإنسان نفيسة و النفس إذا مضى لا يعود فينبغي لك أن تخرجه في الأنفس و الأعز فهذا قد نبهتك على نسبة النورية من الصلاة

و أما اقتران البرهان بالصدقة فهو إن الله تعالى جبل الإنسان على الشح و قال إِنَّ الْإِنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً يعني في أصل نشأته إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً و قال وَ مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فنسب الشح لنفس الإنسان و أصل ذلك إنه استفاد وجوده من الله ففطر على الاستفادة لا على الإفادة فما تعطي حقيقته أن يتصدق فإذا تصدق كانت صدقته برهانا على أنه قد وقى شح نفسه الذي جبله الله عليه فلذلك قال الصدقة برهان و لما كانت الشمس ضياء يكشف به كل ما تنبسط عليه لمن كان له بصر فإن الكشف إنما يكون بضياء النور لا بالنور فإن النور ما له سوى تنفير الظلمة و بالضياء يقع الكشف و إن النور حجاب كما هي الظلمة حجاب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في حق ربه تعالى حجابه النور و قال إن لله سبعين حجابا من نور و ظلمة أو سبعين ألفا و قيل له صلى الله عليه و سلم أ رأيت ربك فقال صلى الله عليه و سلم نور إني أراه فجعل الصبر الذي هو الصوم و الحج ضياء أي يكشف به إذا كنت متلبسا به ما تعطيه حقيقة الضوء من إدراك الأشياء قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ربه تعالى إنه قال كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي و أنا أجزي به و قال صلى الله عليه و سلم لرجل عليك بالصوم فإنه لا مثل له و قال تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فالصوم صفة صمدانية و هو التنزه عن التغذي و حقيقة المخلوق التغذي فلما أراد العبد أن يتصف بما ليس من حقيقته أن يتصف به و كان اتصافه به شرعا لقوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قال الله له الصوم لي لا لك أي أنا هو الذي لا ينبغي لي أن أطعم و أشرب و إذا كان بهذه المثابة و كان سبب دخولك فيه كوني شرعته لك فأنا أجزي به كأنه يقول و أنا جزاؤه لأن صفة التنزه عن الطعام و الشراب تطلبني و قد تلبست بها و ما هي حقيقتك و ما هي لك و أنت متصف بها في حال صومك فهي تدخلك علي فإن الصبر حبس النفس و قد حبستها بأمري عما تعطيه حقيقتها من الطعام و الشراب فلهذا قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره و تلك الفرحة لروحه الحيواني لا غير و فرحة عند لقاء ربه و تلك الفرحة لنفسه الناطقة أي لطيفته الربانية فأورثه الصوم لقاء الله و هو المشاهدة فكان الصوم أتم من الصلاة لأنه أنتج لقاء الله و مشاهدته و الصلاة مناجاة لا مشاهدة و الحجاب يصحبها فإن الله يقول وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَراءِ حِجابٍ و كذلك كلم الله موسى و لذلك طلب الرؤية فقرن الكلام بالحجاب و المناجاة مكالمة يقول الله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل يقول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ يقول الله حمدني عبدي و الصوم لا ينقسم فهو لله لا للعبد أجره من حيث ما هو لله و هنا سر شريف فقلنا إن المشاهدة و المناجاة لا يجتمعان فإن المشاهدة للبهت و الكلام للفهم فأنت في حال الكلام مع ما يتكلم به لا مع المتكلم أي شيء كان فافهم القرآن تفهم الفرقان فبهذا قد حصل لك الفرق بين الصلاة و الصوم و الصدقة و أما قولنا إن الله جزاء الصائم للقائه ربه في الفرح به الذي قرنه به فسر ذلك في قوله في سورة يوسف مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ و أما الحج فلما فيه من الصبر و هو حبس الإنسان نفسه عن النكاح و لبس المخيط و الصفرة كما حبس الإنسان نفسه عن الطعام في الصوم و الشراب و النكاح و لما لم يعم الحج مسك الإنسان نفسه عن الطعام و الشراب إلا عن النكاح و الغيبة لذلك تأخر في القواعد التي بنى الإسلام عليها فكان حكمه حكم للصائم و المصلي حال صومه و صلاته في

التنزه عن مباشرة السكن و ذلك التنزه يقول الله هو لي لا لك حيث كان و لما كان النكاح سببا لظهور المولدات من ذلك أعطاه الله إذ تركه من أجله بدله كن في الآخرة و لأوليائه في الدنيا بسم الله لمن أراد الله أن يظهر على يده أثرا فيقول العبد في الآخرة للشيء يريده كُنْ فَيَكُونُ ذلك الشيء و ليس قوله إلا من كونه حاجا أو صائما و لهذا شرك بين الحج و الصوم في لفظة الصبر فقال و الصبر ضياء هذا و إن لم يكن فيه صوم واجب فإن ترك الطعام فيه لشغله بالدعاء في ذلك اليوم من الظهر و هو السنة في ذلك اليوم في ذلك الموضع للحاج خاصة فالمشتغل فيه لا شك أن الجوع جوع العادة يلزمه و الطائفة تسمى الجوع في الموتات الأربعة الموت الأبيض و هو مناسب للضياء فإن لأهل الله أربع موتات موت أبيض و هو الجوع و موت أحمر و هو مخالفة النفس في هواها و موت أخضر و هو طرح الرقاع في اللباس بعضها على بعض و موت أسود و هو تحمل أذى الخلق بل مطلق الأذى و إنما سميت لبس المرقعات موتا أخضر لأن حالته حالة الأرض في اختلاف النبات فيه و الأزهار فأشبه اختلاف الرقاع و أما الموت الأسود لاحتمال الأذى فإن في ذلك غم النفس و الغم ظلمة النفس و الظلمة تشبه في الألوان السواد و الموت الأحمر مخالفة النفس شبيه بحمرة الدم فإنه من خالف هواه فقد ذبح نفسه و سيأتي إن شاء الله في هذا الكتاب أبواب مفردات في شهادة التوحيد و الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و هي قواعد الإسلام التي بنى عليها و من أراد أن يعرف من أسرار الصلاة شيئًا و ما تنتج كل صلاة من المعارف و ما لها من الأرواح النبوية و الحركات الفلكية فلينظر في كتابنا المسمى بالتنزلات الموصلية و هذا القدر في هذا الباب كاف في المقصود و لنذكر بعض أسرار من المعارف كما ترجمنا عليه بطريق الإيجاز

(فصل) بل وصل سر إلهي قالت الملائكة وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و هكذا كل موجود ما عدا الثقلين و إن كان الثقلان أيضا مخلوقين في مقامهما غير أن الثقلين لهما في علم الله مقامات معينة مقدرة عنده غيبت عنهما إليها ينتهي كل شخص منهما بانتهاء أنفاسه فآخر نفس هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه و لهذا دعوا إلى السلوك فسلكوا علوا بإجابة الدعوة المشروعة و سفلا بإجابة الأمر الإرادي من حيث لا يعلمون إلا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوكه إلى المقام المعلوم الذي خلق له و منهم شقي و سعيد و كل موجود سواهما فمخلوق في مقامه فلم ينزل عنه فلم يؤمر بسلوك إليه لأنه فيه من ملك و حيوان و نبات و معدن فهو سعيد عند الله لا شقاء يناله فقد دخل الثقلان في قول الملائكة وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ عند الله و لا يتمكن لمخلوق من العالم أن يكون له علم بمقامه إلا بتعريف إلهي لا بكونه فيه فإن كل ما سوى الله ممكن و من شأن الممكن أن لا يقبل مقاما معينا لذاته و إنما ذلك لمرجحه بحسب ما سبق في علمه به و المعلوم هو الذي أعطاه العلم به و لا يعلم هو ما يكون عليه و هذا هو سر القدر المتحكم في الخلق إذ كان علم المرجح لا يقبل التغيير لاستحالة عدم القديم و علمه بتعيين المقامات قديم فلذلك لا ينعدم و هذه المسألة من أغمض المسائل العقلية و مما يدلك على إن علمه سبحانه بالأشياء ليس زائدا على ذاته بل ذاته هي المتعلقة من كونها علما بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه خلافا لبعض النظار فإن ذلك يؤدي إلى نقص الذات عن درجة الكمال و يؤدي إلى أن تكون الذات قد حكم عليها أمر زائد أوجب لها ذلك الزائد حكما يقتضيه و يبطل كون الذات تفعل ما تشاء و

تختار لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فتحقق هذه المسألة و تفرغ إليها فإنها غامضة جدا في مسائل الحيرة لا يهتدي إليها عقل على الحقيقة من حيث فكره بل بكشف إلهي نبوي ثم نرجع و نقول إن جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسألة لعدم الكشف فقالت بطريق القوة و لفكر الفاسد إن الكامل من بنى آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقا و لم تقيد صنفا و لا مرتبة من المراتب التي تقع عليها الفضلية لمن هو فيها على غيره ثم عللت فقالت إن لبني آدم الترقي مع الأنفاس و ليس للملائكة هذا فإنها خلقت في مقامها و ما علمت الجماعة القائلة بهذا هذه الحقيقة التي نبهنا عليها و الصحيح الترقي أن لنا و للملائكة و لغيرهم و هو لازم للكل دنيا و برزخا و آخره هذا لكل متصف بالموت في العلم ألا ترى الملائكة مع كونها لها مقامات معلومة لا تتعداها و ما حرمت مزيد العلم فإن الله قد عرفنا أنه علمهم الأسماء على لسان آدم عليه السلام فزادهم علما إلهيا لم يكن عندهم بالأسماء الإلهية فسبحوه و قدسوه بها فساوتنا الملائكة في الترقي بالعلم لا بالعمل كما لا نترقى نحن بأعمال الآخرة لزوال التكليف فنحن و إياهم على السواء في ذلك في الآخرة فما ارتقينا نحن في الدنيا إلى المقام الذي قبضنا عليه و هو المقام الذي خلق فيه غيرنا ابتداء لشرفنا على غيرنا و إنما كان ذلك ليبلونا لا غير فلم يفهم القائلون بذلك ما أراده الله مع وجود النصوص في القرآن مثل قوله لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا و لا يقال كونهم خلقوا على الصورة أدى إلى ذلك الابتلاء فإن الجان شاركونا في هذه المرتبة و ليس لهم حظ في الصورة فاعلم و الله الموفق (وصل سر إلهي) نهاية الدائرة مجاورة لبدايتها و هي تطلب النقطة لذاتها و النقطة لا تطلبها فصح نهاية أهل الترقي من العالم و صح افتقار العالم إلى الله و غنى الله عن العالم و تبين أنه كل جزء من العالم يمكن أن يكون سببا في وجود عالم آخر مثله لا أكمل منه إلى ما لا يتناهى فإن محيط الدائرة نقط متجاورة في أحياز متجاورة ليس بين حيزين حيز ثالث و لا بين النقطتين المفروضتين أو الموجودتين فيهما نقطة ثالثة لأنه لا حيز بينهما فكل نقطة يمكن أن يكون عنها محيط و ذلك المحيط الآخر حكمه حكم المحيط الأول إلى ما لا نهاية له و النهاية في العالم حاصلة و الغاية من العالم غير حاصلة فلا تزال الآخرة دائمة التكوين عن العالم فإنهم يقولون في الجنان للشيء يريدونه كن فيكون فلا يتوهمون أمرا ما و لا يخطر لهم خاطر في تكوين أمر ما إلا و يتكون بين أيديهم و كذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطر خوف من عذاب أكبر مما هم فيه إلا تكون فيهم أو لهم ذلك العذاب و هو عين حصول الخاطر فإن الدار الآخرة تقتضي تكوين العالم عن العالم لكن حسا و بمجرد حصول الخاطر و الهم و الإرادة و التمني و الشهوة كل ذلك محسوس و ليس ذلك في الدنيا أعني من الفعل بالهمة لكل أحد و قد كان ذلك في الدنيا لغير الولي كصاحب العين و الغرانية بإفريقية و لكن ما يكون بسرعة تكوين الشيء بالهمة في الدار الآخرة و هذا في الدار الدنيا نادر شاذ كقضيب البان و غيره و هو في الدار الآخرة للجميع فصدق قول الإمام أبي حامد ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه ليس أكمل من الصورة التي خلق عليها الإنسان الكامل فلو كان لكان في العالم ما هو أكمل من الصورة التي هي الحضرة الإلهية (وصل سر إلهي) كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساو لصاحبه و ينتهي إلى نقطة من المحيط و النقطة في ذاتها ما تعددت و لا تزيدت مع كثرة الخطوط الخارجة منها إلى المحيط و هي تقابل كل نقطة من المحيط بذاتها إذ لو كان ما تقابل به نقطة من المحيط غير ما تقابل به نقطة أخرى لانقسمت و لم يصح أن تكون

واحدة و هي واحدة فما قابلت النقط كلها على كثرتها إلا بذاتها فقد ظهرت الكثرة عن الواحد العين و لم يتكثر هو في ذاته فبطل قول من قال إنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد فذلك الخط الخارج من النقطة إلى النقطة الواحدة من المحيط هو الوجه الحاصل الذي لكل موجود من خالقه سبحانه و هو قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فالإرادة هنا هو ذلك الخط الذي فرضناه خارجا من نقطة الدائرة إلى المحيط و هو التوجه الإلهي الذي عين تلك النقطة في المحيط بالإيجاد لأن ذلك المحيط هو عين دائرة الممكنات و النقطة التي في الوسط المعينة لنقطة الدائرة المحيطة هي الواجب الوجود لنفسه و تلك الدائرة المفروضة دائرة أجناس الممكنات و هي محصورة في جوهر متحيز و جوهر غير متحيز و أكوان و ألوان و الذي لا ينحصر وجود الأنواع و الأشخاص و هو ما يحدث من كل نقطة من كل دائرة من الدوائر فإنه يحدث فيها دوائر الأنواع و عن دوائر أنواع و أشخاص فاعلم ذلك و الأصل النقطة الأولى لهذا كله و ذلك الخط المتصل من النقطة إلى النقطة المعينة من محيطها يمتد منها إلى ما يتولد عنها من النقط في نصف الدائرة الخارجة عنها و عن ذلك النصف تخرج دوائر كاملة و علة ذلك الامتياز بين الواجب الوجود لنفسه و بين الممكن فلا يتمكن أن يظهر عن الممكن الذي هو دائرة الأجناس دائرة كاملة فإنها كانت تدخل بالمشاركة فيما وقع به الامتياز و ذلك محال فتكوين دائرة كاملة من الأجناس محال ليتبين نقص الممكن عن كمال الواجب الوجود لنفسه و صورة الأمر فيها هكذا صورة شكل الأجناس و الأنواع من غير قصد للحصر إذ للأنواع أنواع حتى ينتهي إلى النوع الأخير كما ينتهي إلى جنس

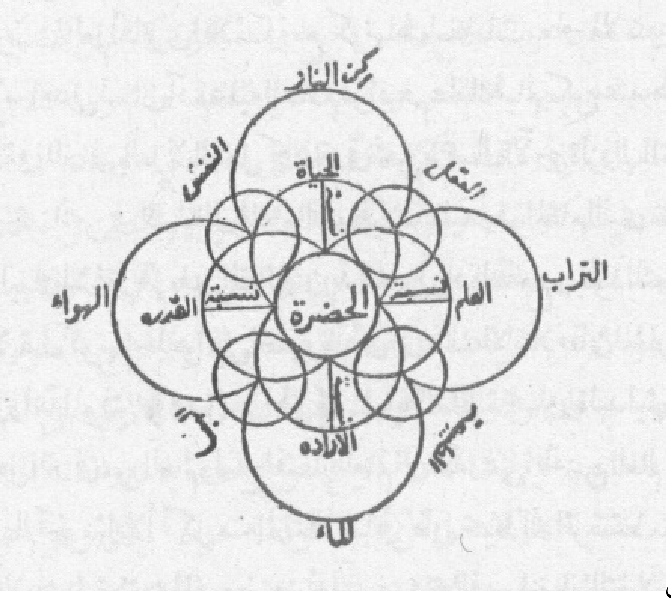

الأجناس

و اعلم أن لنفوس الثقلين و نفوس الحيوان قوتين قوة علمية و قوة عملية عند أهل الكشف و قد ظهر ذلك في العموم من الحيوان كالنحل و العناكب و الطيور التي تتخذ الأوكار و غيرهم من الحيوانات و لنفوس الثقلين دون سائر الحيوان قوة ثالثة ليست للحيوان و لا للنفس الكلية و هي القوة المفكرة فيكتسب بعض العلوم من الفكر هذا النوع الإنساني و يشارك سائر العالم في أخذ العلوم من الفيض الإلهي و بعض علومها كالحيوان بالفطرة كتلقي الطفل ثدي أمه للرضاعة و قبوله للبن و ليس لغير الإنسان اكتساب علوم تبقي معه من طريق فكر فالفكر من الإنسان

بمنزلة الحقيقة الإلهية المنصوص عليها بقوله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ و قوله تعالى في الخبر الصحيح عنه ما ترددت في شيء أنا فاعله و ليس للعقل الأول هذه الحقيقة و لا للنفس الكلية فهذا أيضا مما اختص به الإنسان من الصورة التي لم يخلق غيره عليها و نحن نعلم أن الإنسان الكامل موجود على الصورة و نحن نقطع أنه ما أوجد الله غير الإنسان على ذلك فإنما ورد وقوع ذلك و لا عدم وقوعه لا على لسان نبي و لا في كتاب منزل و إن غلط في ذلك جماعة فإنهم لم يستندوا فيه إلى تعريف إلهي و إنما يحتجون بالخبر و ليس في الخبر ما يدل على إن غير الإنسان الكامل ما خلق على الصورة و يمكن صحة ذلك و يمكن عدم صحته (وصل سر إلهي) الطبيعة بين النفس و الهباء و هو رأى الإمام أبي حامد و لا يمكن أن تكون مرتبتها إلا هنالك فكل جسم قبل الهباء إلى آخر موجود من الأجسام فهو طبيعي و كل ما تولد من الأجسام الطبيعية من الأمور و القوي و الأرواح الجزئية و الملائكة و الأنوار فللطبيعة فيها حكم إلهي قد جعله الله تعالى و قدره فحكم الطبيعة من الهباء إلى ما دونه و حكم النفس الكلية من الطبيعة فما دونها و ما فوق النفس فلا حكم للطبيعة و لا للنفس فيه و فيما ذكرناه خلاف كثير بين أصحاب النظر من غير طريقنا من الحكماء فإن المتكلم لا حظ له في هذا العلم من كونه متكلما بخلاف الحكيم فإن الحكيم عبارة عمن جمع العلم الإلهي و الطبيعي و الرياضي و المنطقي و ما ثم إلا هذه الأربع المراتب من العلوم و تختلف الطريق في تحصيلها بين الفكر و الوهب و هو الفيض الإلهي و عليه طريقة أصحابنا ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرق إليه من الفساد و الصحة فيه مظنونة فلا يوثق بما يعطيه و أعني بأصحابنا أصحاب القلوب و المشاهدات و المكاشفات لا العباد و لا الزهاد و لا مطلق الصوفية إلا أهل الحقائق و التحقيق منهم و لهذا يقال في علوم النبوة و الولاية إنها وراء طور العقل ليس للعقل فيها دخول بفكر لكن له القبول خاصة عند السليم العقل الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فكرية يكون من ذلك فساد نظره و علوم الأسرار كثيرة وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثامن و الأربعون في معرفة إنما كان كذا لكذا و هو إثبات العلة و السبب)

علم من حاز رتبة الحكم … إنما كان هكذا لكذا

فيكن سيركم إلى العدم … لا تعلل وجود خالقنا

أول في الحدوث و القدم … و هو الأول الذي ما له

أول مسألة من هذا الباب ما السبب الموجب لوجود العالم حتى يقال فيه إنما وجد العالم لكذا و ذلك الأمر المتوقف عليه صحة وجوده إما أن تكون علة فتطلب معلولها لذاتها و إذا كان هذا فهل يصح أن يكون للمعلول علتان فما زاد أو لا يصح و ذلك في النظر العقلي لا في الوضعيات و إذا تعددت العلل فهل تعددها يرجع إلى أعيان وجودية أو هل هي نسب لأمر واحد و ثم أمور يتوقف صحة وجودها على شرط يتقدمها أو شروط و يجمع ذلك كله اسم السبب و للشرط حكم و للعلة حكم فهل العالم في افتقاره إلى السبب الموجب لوجوده افتقار المعلول إلى العلة أو افتقار المشروط إلى الشرط و أيهما كان لم يكن الآخر فإن العلة تطلب المعلول لذاتها و الشرط لا يطلب المشروط لذاته فالعلم مشروط بالحياة

و لا يلزم من وجود الحياة وجود العلم و ليس كون العالم عالما كذلك فإن العلم علة في كون العالم عالما فلو ارتفع العلم ارتفع كونه عالما فهو من هذا الوجه يشبه الشرط إذ لو ارتفعت الحياة ارتفع العلم و لو ارتفع كونه عالما ارتفع العلم فتميز عن الشرط إذ لو ارتفع العلم لم يلزم ارتفاع الحياة فهاتان مرتبتان معقولتان قد تميزتا تسمى الواحدة علة و تسمى الأخرى شرطا فهل نسبة العالم في وجوده إلى الحق نسبة المعلول أو نسبة المشروط محال أن تكون نسبة المشروط على المذهبين فإنا لا نقول في المشروط يكون و لا بد و إنما نقول إذا كان فلا بد من وجود شرطه المصحح لوجوده و نقول في العالم على مذهب المتكلم الأشعري إنه لا بد من كونه لأن العلم سبق بكونه و محال وقوع خلاف المعلوم و هذا لا يقال في المشروط و على مذهب المخالف و هم الحكماء فلا بد من كونه لأن الله اقتضى وجود العالم لذاته فلا بد من كونه ما دام موصوفا بذاته بخلاف الشرط فلا فرق إذن بين المتكلم الأشعري و الحكيم في وجوب وجود العالم بالغير فلنسم تعلق العلم بكون العالم أزلا علة كما يسمى الحكيم الذات علة و لا فرق و لا يلزم مساوقة المعلول علته في جميع المراتب فالعلة متقدمة على معلولها بالمرتبة بلا شك سواء كان ذلك سبق العلم أو ذات الحق و لا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه و بين الممكن بون زماني و لا تقدير زماني لأن كلامنا في أول موجود ممكن و الزمان من جملة الممكنات فإن كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات و إن لم يكن أمرا وجوديا و كان نسبة فحدثت النسبة بحدوث الموجود المعلول حدوثا عقليا لا حدوثا وجوديا و إذا لم يعقل بين الحق و الخلق بون زماني فلم يبق إلا الرتبة فلا يصح أن يكون أبدا الخلق في رتبة الحق كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها فالذي هرب منه المتكلم في زعمه و شنع به على الحكيم القائل بالعلة يلزمه في سبق العلم بكون المعلوم لأن سبق العلم يطلب كون المعلوم لذاته و لا بد و لا يعقل بينهما بون مقدر فهذا قد نبهناك على بعض ما ينبغي في هذه المسألة فالعالم لم يبرح في رتبة إمكانه سواء كان معدوما أو موجودا و الحق تعالى لم يبرح في مرتبة وجوب وجوده لنفسه سواء كان العالم أو لم يكن فلو دخل العالم في الوجوب النفسي لزم قدم العالم و مساوقته في هذه الرتبة لواجب الوجود لنفسه و هو الله و لم يدخل بل بقي على إمكانه و افتقاره إلى موجدة و سببه و هو الله تعالى فلم يبق معقول البينية بين الحق و الخلق إلا التمييز بالصفة النفسية فبهذا نفرق بين الحق و الخلق فافهم و أما قولنا هل يكون في العقل للأمر المعلول علتان فلا يصح أن يكون للمعلول العقلي علتان بل إن كان معلولا فعن علة واحدة لأنه لا فائدة للعلة إلا أن يكون لها أثر في المعلول و أما إن اتفق أن يكون من شرط المعلول أن يكون على صفة بها يقبل أن يكون معلولا لهذه العلة و لا يمكن أن يكون هذا علة لذلك المعلول نفسه إلا أن يكون ذلك المعلول بتلك الصفة النفسية فلا بد منها و لا يلزم من هذا أن تكون تلك الصفة النفسية علة له فإنها صفة نفسية و الشيء لا يكون علة لنفسه فإنه يؤدي إلى أن تكون العلة عين المعلول فيكون الشيء متقدما على نفسه بالرتبة و هذا محال فكون الشيء علة لنفسه محال فإن العالم لو لم يكن في نفسه على صفة يقبل الاتصاف بالوجود و العدم على السواء لم يصح أن يكون معلولا لعلته المرجحة له أحد الجائزين بالنظر إلى نفسه فإن المحال لا يقبل صفة الإيجاد فلا يكون الحق علة له فبطل أن يكون كونه ممكنا علة له و بطل أن يكون للشيء علتان فإن الأثر للعلة في المعلول إنما كان وجوده فما حكم العلة الأخرى فيه إن كان وجوده فقد حصل من

إحداهما فلم يبق للآخر أثر فإن قيل باجتماعهما كان المعلول عن ذلك الاجتماع فكان عنهما قلنا فكل واحد منهما إذا انفرد لا يكون علة و لا يصح عليه اسم العلية و قد صح فبطل أن يكون كونه علة متوقفا على أمر آخر فإن قال و ما المانع أن تكون العلة بالاجتماع قلنا إنما يكون الشيء علة لنفسه لهذا المعلول عنه لا لغيره فيكون معلولا لذلك الغير لأن ذلك الغير كسبه العلية و كل مكتسب لا يكون صفة نفسية و لو قلنا باجتماعهما كان علة فلا يخلو ذلك الاجتماع أن يكون أمرا زائدا على نفس كل واحد منهما أو هو عينهما لا جائز أن يكون عينهما فإنا نعقل عين كل واحد منهما و لا اجتماع فلا بد أن يكون زائدا فذلك الزائد لا بد أن يكون وجودا أو عدما أو لا وجودا و لا عدما أو وجودا و عدما معا فهذا القسم الرابع محال بالبديهة و محال أن يكون وجودا للتسلسل اللازم له بما يلزمه من ملزومه أو الدور فيكون علة لمن هو معلول له و هذا محال و محال أن يكون عدما لأن العدم نفي محض و لا يتصف النفي المحض بالأثر و محال أن يكون لا وجود و لا عدم كالنسب إذ لا حقيقة للنسب في الوجود فإنها أمور إضافية تحدث و لا يكون ما يحدث علة لما هو عنه حادث فبطل إن يكون للشيء علتان في العقل و أما في الوضعيات فقد يعتبر الشرع أمورا تكون بالمجموع سببا في ترتيب الحكم هذا لا يمنع فإذ قد علمت هذا فهو أدل دليل على توحيد الله تعالى كونه علة في وجود العالم غير أن إطلاق هذا اللفظ عليه لم يرد به الشرع فلا نطلقه عليه و لا ندعوه به فهذا توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك قال الله عز و جل لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا و معنى هذا لم يوجدا يعني العالم العلوي و هو السماء و السفلي و هو الأرض فحقق هذه المسألة في ذهنك فإنها نافعة في نفي الشريك و نفي التحديد عن الله تعالى فلا حد لذاته و لا شريك له في ملكه لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

إنما عللوا الذي	عللوه لكونه
هو معلول علمه	ليس معلول عينه
فانظروا ما نصصته	فهو من سر بينه
فصل الأمر نفسه	عن سواه ببينة
في سر محقق	إنني سر عونه
فلبست الرداء من	طلبي عين صونه

(مسألة أخرى)

إنما كان كذا لكذا إنما انقسم العالم إلى شقي و سعيد للأسماء الإلهية فإن الرتبة الإلهية تطلب لذاتها إن يكون في العالم بلاء و عافية و لا يلزم من ذلك دوام شيء من ذلك إلا أن يشاء الله فقد كان و لا عالم و هو مسمى بهذه الأسماء فالأمر في هذا مثل الشرط و المشروط ما هو مثل العلة و المعلول فلا يصح المشروط ما لم يصح وجود الشرط و قد يكون الشرط و إن لم يقع المشروط فلما رأينا البلاء و العافية قلنا لا بد لهما من شرط و هو كون الحق إلها يسمى بالمبلي و المعذب و المنعم و كما إن كل ممكن قابل لأحد الحكمين أعني الضدين هو قابل أيضا لانتفاء أحد الضدين

فالعالم كله ممكن فجائز أن ينتفي عنه أحد الحكمين فلا يلزم الخلود في الدار الآخرة في العذاب و لا في النعيم بل ذلك كله ممكن فإن ورد الخبر الإلهي الذي يفيد العلم بالنص الذي لا يحتمل التأويل بخلود العالم في أحد الحكمين أو بوقوع كل حكم في جزء من العالم معين و خلود ذلك الجزء فيه إلى ما لا يتناهى قبلناه و قلنا به و ما ورد من الشارع أن العالم الذي هو في جهنم الذين هم أهلها و لا يخرجون منها أن بقاءهم فيها لوجود العذاب فكما ارتفع حكم العذاب عن ممكن ما و هم أهل الجنة كذلك يجوز أن يرتفع عن أهل النار وجود العذاب مع كونهم في النار لقوله وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ و قال سبقت رحمتي غضبي و لا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط فيكون الله إلها بجميع أسمائه و لا عذاب في العالم و لا ألم لأنه ليس ارتفاعه عن ممكن ما بأولى من ارتفاعه عن جميع الممكنات فلم يبق بأيدينا من طريق العقل دليل على وجود العذاب دائما و لا غيره فليس إلا النصوص المتواترة أو الكشف الذي لا يدخله شبهة فليس للعقل رده إذا ورد من الصادق النص الصريح أو الكشف الواضح

(مسألة أخرى من هذا الباب)

إنما صحت الصورة لآدم لخلقه باليدين فاجتمع فيه حقائق العالم بأسره و العالم يطلب الأسماء الإلهية فقد اجتمع فيه الأسماء الإلهية و لهذا خص آدم عليه السلام بعلم الأسماء كلها التي لها توجه إلى العالم و لم يكن ذلك العلم أعطاه الله للملائكة و هم العالم الأعلى الأشرف قال الله عز و جل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها و لم يقل بعضها و قال عَرَضَهُمْ و لم يقل عرضها فدل على أنه عرض المسمين لا الأسماء و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فإن كان هذا الدعاء دعا به قبل نزول سورة البقرة عليه فلا معارضة بين الخبر و الآية عند من يقول بأن الأسماء هنا هي الأسماء الإلهية فإنه صلى الله عليه و سلم لم يكن له علم بما خص الله به آدم على الملائكة كما قال صلى الله عليه و سلم ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ و إن كان دعا به بعد نزول سورة البقرة فيكون يريد قوله كلها الأسماء الإلهية التي تطلب الآثار في العالم و ما تعبد به من أسماء التنزيه و التقديس و كذلك قوله صلى الله عليه و سلم في حديث الشفاعة فأحمد ربي بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن مع قوله في حديث الضربة فعلمت علم الأولين و الآخرين و من علم الأولين علم الأسماء التي علمها الله آدم و ربما يكون من علم الآخرين علم هذه المحامد التي يحمد بها ربه يوم القيامة

(مسألة أخرى من هذا الباب)

إنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم لكون الله تعالى خلقه على صورته فالخليفة لا بد أن يظهر فيما استخلف عليه بصورة مستخلفه و إلا فليس بخليفة له فيهم فأعطاه الأمر و النهي و سماه بالخليفة و جعل البيعة له بالسمع و الطاعة في المنشط و المكره و العسر و اليسر و أمر الله سبحانه عباده بالطاعة لله و لرسوله و الطاعة لأولي الأمر منهم فجمع رسول الله صلى الله عليه و سلم بين الرسالة و الخلافة كداود عليه السلام فإن الله نص على خلافته عن الله بقوله تعالى فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ و أجمل خلافة آدم عليه السلام و ما كل

رسول خليفة فمن أمر و نهى و عاقب و عفا و أمر الله بطاعته و جمعت له هذه الصفات كان خليفة و من بلغ أمر الله و نهيه و لم يكن له من نفسه إذن من الله تعالى أن يأمر و ينهى فهو رسول يبلغ رسالات ربه و بهذا بان لك الفرقان بين الرسول و الخليفة و لهذا جاء بالألف و اللام في قوله تعالى من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ و قال عز و جل يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ أي فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم مما قال فيه صلى الله عليه و سلم إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ و هو كل أمر جاء في كتاب الله تعالى ثم قال وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله صلى الله عليه و سلم فلو كان يعني بذلك ما بلغ إلينا من أمر الله تعالى لم تكن ثم فائدة زائدة فلا بد أن يوليه رتبة الأمر و النهي فيأمر و ينهى فنحن مأمورون بطاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الله بأمره و قال تعالى من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ و طاعتنا له فيما أمر به صلى الله عليه و سلم و نهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون قرآنا قال الله عز و جل وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فأضاف النهي إليه صلى الله عليه و سلم فأتى بالألف و اللام في الرسول يريد بهما التعريف و العهد أي الرسول الذي استخلفناه عنا فجعلنا له أن يأمر و ينهى زائدا على تبليغ أمرنا و نهينا إلى عبادنا ثم قال تعالى في الآية عينها وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ أي إذا ولي عليكم خليفة عن رسولي أو وليتموه من عندكم كما شرع لكم فاسمعوا له و أطيعوا و لو كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف فإن في طاعتكم إياه طاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا لم يستأنف في أولي الأمر أطيعوا و اكتفى بقوله أَطِيعُوا الرَّسُولَ و لم يكتف بقوله أَطِيعُوا اللهَ عن قوله أَطِيعُوا الرَّسُولَ ففصل لكونه تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و استأنف القول بقوله وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فهذا دليل على أنه تعالى قد شرع له صلى الله عليه و سلم أن يأمر و ينهى و ليس لأولي الأمر أن يشرعوا شريعة إنما لهم الأمر و النهي فيما هو مباح لهم و لنا فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عن مباح و أطعناهم في ذلك أجرنا في ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه عليه من أمر و نهي و هذا من كرم الله بنا و لا يشعر بذلك أهل الغفلة منا

(مسألة أخرى من هذا الباب)

إنما أمرت الملائكة و الخلق أجمعون بالسجود و جعل معه القربة فقال وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ و قال صلى الله عليه و سلم أقرب ما يكون العبد من الله في سجوده ليعلموا أن الحق في نسبة الفوق إليه من قوله وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ و يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ كنسبة التحت إليه فإن السجود طلب السفل بوجهه كما إن القيام يطلب الفوق إذا رفع وجهه بالدعاء و يديه و قد جعل الله السجود حالة القرب من الله فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت و لا التحت عن الفوق فإنه خالق الفوق و التحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول إلى السماء الدنيا و لم يقيده النزول إلى السماء الدنيا عن الاستواء على العرش كما لم يقيده سبحانه الاستواء و النزول عن أن يكون معنا أينما كنا كما قال تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ بالمعنى الذي يليق به و على الوجه الذي أراده كما قال أيضا ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي كما قال عنه هود عليه السلام ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها و قال تعالى أيضا في حق الميت وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ فنسب القرب إليه من الميت و قال أيضا عز و جل وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ يعني الإنسان مع قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

(مسألة دورية من هذا الباب و هذه صورتها)

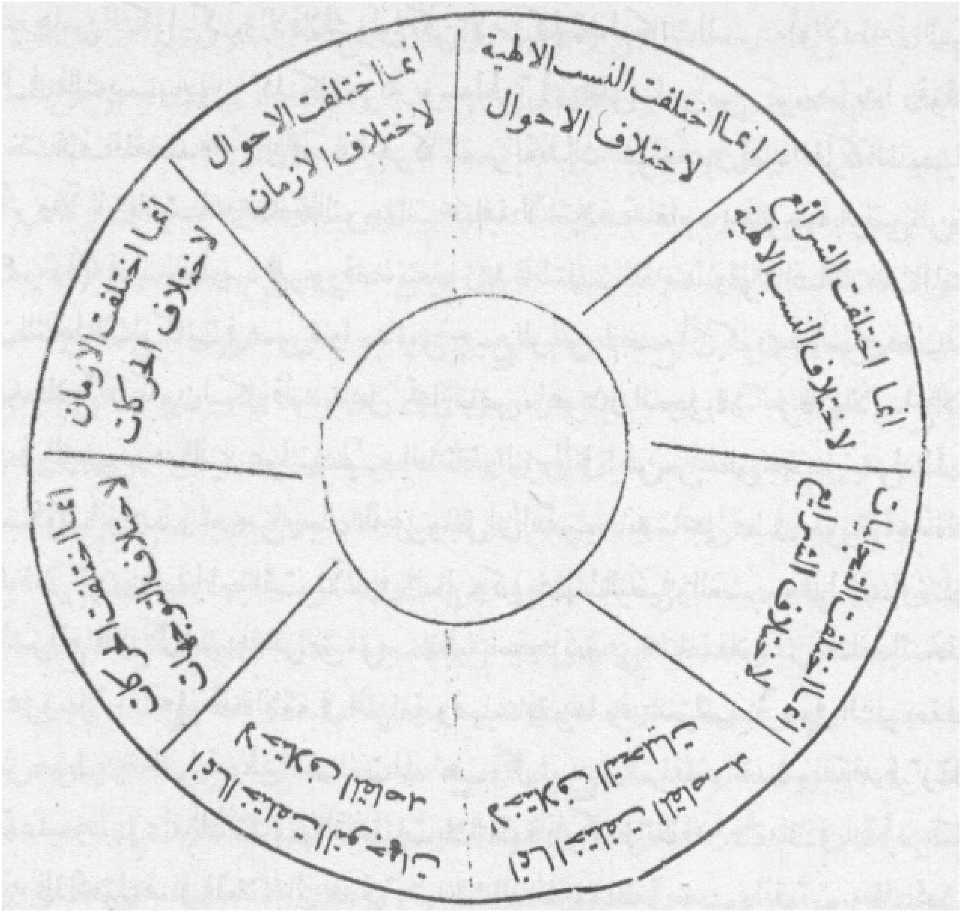

إنما قلنا اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية لأنه لو كانت النسبة الإلهية لتحليل أمر ما في الشرع كالنسبة لتحريم ذلك الأمر عينه في الشرع لما صح تغيير الحكم و قد ثبت تغيير الحكم و لما صح أيضا قوله تعالى لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً و قد صح أن لكل أمة شرعة و منهاجا جاءها بذلك نبيها و رسولها فنسخ و أثبت فعلمنا بالقطع أن نسبته تعالى فيما شرعه إلى محمد صلى الله عليه و سلم خلاف نسبته إلى نبي آخر و إلا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه و هي الموجبة للتشريع الخاص لكان الشرع واحدا من كل وجه فإن قيل فلم اختلفت النسب الإلهية قلنا لاختلاف الأحوال فمن حاله المرض يدعو يا معافي و يا شافي و من حاله الجوع يقول يا رزاق و من حاله الغرق يقول يا مغيث فاختلفت النسب لاختلاف الأحوال و هو قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و قوله صلى الله عليه و سلم لما وصف ربه تعالى بيده الميزان يخفض و يرفع فلحالة الوزن قيل فيه الخافض الرافع فظهرت هذه النسب فهكذا في اختلاف أحوال الخلق و قولنا إنما اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان فإن اختلاف أحوال الخلق سببها اختلاف الأزمان عليها فحالها في زمان الربيع يخالف حالها في زمان الصيف و حالها في زمان الصيف يخالف حالها في زمان الخريف و حالها في زمان الخريف يخالف حالها في زمان الشتاء و حالها في زمان الشتاء يخالف حالها في زمان الربيع يقول بعض العلماء بما تفعله الأزمان في الأجسام الطبيعية تعرضوا لهواء زمان الربيع فإنه يفعل في

أبدانكم ما يفعل في أشجاركم و تحفظوا من هواء زمان الخريف فإنه يفعل في أبدانكم كما يفعل في أشجاركم و قد نص الله تعالى على إننا من جملة نبات الأرض فقال وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً أراد فنبتم نباتا لأن مصدر أنبتكم إنما هو إنباتا كما قال في نسبة التكوين إلى نفس المأمور به فقال تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فجعل التكوين إليه كذلك نسب ظهور النبات إلى النبات فافهم فلذلك قلنا إنما اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان و أما قولنا إنما اختلفت الأزمان لاختلاف الحركات فأعني بالحركات الحركات الفلكية فإنه باختلاف الحركات الفلكية حدث زمان الليل و النهار و تعينت السنون و الشهور و الفصول و هذه المعبر عنها بالأزمان و قولنا اختلفت الحركات لاختلاف التوجهات أريد بذلك توجه الحق عليها بالإيجاد لقوله تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ فلو كان التوجه واحدا عليها لما اختلفت الحركات و هي مختلفة فدل إن التوجه الذي حرك القمر في فلكه ما هو التوجه الذي حرك الشمس و لا غيرها من الكواكب و الأفلاك و لو لم يكن الأمر كذلك لكانت السرعة أو الإبطاء في الكل على السواء قال تعالى كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ فلكل حركة توجه إلهي أي تعلق خاص من كونه مريدا و قولنا إنما اختلفت التوجهات لاختلاف المقاصد فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجه عين قصد الحركة الشمسية بذلك التوجه لم يتميز أثر عن أثر و الآثار بلا شك مختلفة فالتوجهات مختلفة لاختلاف المقاصد فتوجهه بالرضى عن زيد غير توجهه بالغضب على عمرو فإنه قصد تعذيب عمرو و قصد تنعيم زيد فاختلفت المقاصد و قولنا إنما اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات فإن التجليات لو كانت في صورة واحدة من جميع الوجوه لم يصح أن يكون لها سوى قصد واحد و قد ثبت اختلاف القصد فلا بد أن يكون لكل قصد خاص تجل خاص ما هو عين التجلي للآخر فإن الاتساع الإلهي يعطي أن لا يتكرر شيء في الوجود و هو الذي عولت عليه الطائفة و الناس في لبس من خلق جديد يقول الشيخ أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب و غيره من رجال الله عز و جل إن الله سبحانه ما تجلى قط في صورة واحدة لشخصين و لا في صورة واحدة مرتين و لهذا اختلفت الآثار في العالم وكني عنها بالرضى و الغضب و قولنا إنما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع فإن كل شريعة طريق موصلة إليه سبحانه و هي مختلفة فلا بد أن تختلف التجليات كما تختلف العطايا ألا تراه عز و جل إذا تجلى لهذه الأمة في القيامة و فيها منافقوها و قد اختلف نظرهم في الشريعة فصار كل مجتهد على شرع خاص هو طريقه إلى الله و لهذا اختلفت المذاهب و كل شرع في شريعة واحدة و الله قد قرر ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم عندنا فاختلفت التجليات بلا شك فإن كل طائفة قد اعتقدت في الله أمرا ما إن تجلى لها في خلافه أنكرته فإذا تحول لها في العلامة التي قد قررتها تلك الطائفة مع الله في نفسها أقرت به فإذا تجلى للأشعري في صورة اعتقاد من يخالفه في عقده في الله و تجلى للمخالف في صورة اعتقاد الأشعري مثلا أنكره كل واحد من الطائفتين كما ورد و هكذا في جميع الطوائف فإذا تجلى لكل طائفة في صورة اعتقادها فيه تعالى و هي العلامة التي ذكرها مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقروا له بأنه ربهم و هو هو لم يكن غيره فاختلفت التجليات لاختلاف الشرائع و قولنا إنما اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الإلهية قد تقدم و دار الدور فكل شيء أخذته من هذه المسائل صلح أن يكون أولا و آخرا و وسطا و

هكذا كل أمر دوري يقبل كل جزء منه بالفرض الأولية و الآخرية و ما بينهما و قد ذكرنا مثل هذا الشكل الدوري في التدبيرات الإلهية مضاهيا لقول المتقدم إذ قال العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان تحجبه السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك راع يعضده الجيش الجيش أعوان يكفلهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعية عبيد تعبدهم العدل العدل مألوف فيه صلاح العالم العالم بستان و دار الدور و يكفي هذا القدر من الإيماء إلى العلل و الأسباب مخافة التطويل فإن هذا الباب واسع جدا إذ كان العالم كله مرتبطا بعضه ببعض أسباب و مسببات و علل و معلولات وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الخامس و العشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب التاسع و الأربعون)

في معرفة قوله صلى الله عليه و سلم إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن معرفة هذا المنزل و رجاله

نفس الرحمن ليس له في سوى الرحمن مستند
حكمه في كل طائفة ما لها ركن و لا سند
يمن الأكوان منزله و هو لا روح و لا جسد
ما له حد يعينه و هو المطلوب و الصمد
فجميع الخلق يطلبه ثم لم يظفر به أحد
أحد ما مثله أحد بكمال النعت منفرد

اعلم يا ولي أن لله عبادا من حيث اسمه الرحمن و هو قوله وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً يقول تعالى يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً و لله عباد يأتي إليهم الرحمن من اسمه الرب فإن الله يقول قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فكماله من الاسم الله الأسماء الحسنى كذلك له من الاسم الرحمن الأسماء الحسنى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا و قال وَجاءَ رَبُّكَ فثم إتيان عام مثل هذا و هو الإتيان للفصل و القضاء و ثم إتيان خاص بالرحمة لمن اعتنى به من عباده قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لما اشتد كربه من المنازعين إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن و هو ما مشى إلى اليمن لكن النفس أدركه من قبل اليمن و ما أدركه حتى أتاه فجاء بالتنفيس من الشدة و الضيق الذي كان فيه بالأنصار رضي الله عن جميعهم فتقدم إليه النفس في باطنه و قلبه مبشرا بما يظهره الله من نصرة الدين و إقامته على أيدي الأنصار و لقد جرى لنا في حديث الأنصار ما نذكره إن شاء الله و ذلك أنه عندنا بدمشق رجل من أهل الفضل و الأدب و الدين يقال له يحيى بن الأخفش من أهل مراكش كان أبوه يدرس العربية بها فكتب إلي يوما من منزله بدمشق و أنا بها يقول لي في كتابه يا ولي رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم البارحة بجامع

دمشق و قد نزل بمقصورة الخطابة إلى جانب خزانه المصحف المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه و الناس يهرعون إليه و يدخلون عليه يبايعونه فبقيت واقفا حتى خف الناس فدخلت عليه و أخذت يده فقال لي هل تعرف محمدا قلت له يا رسول الله من محمد فقال له ابن العربي قال فقلت له نعم أعرفه فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم إنا قد أمرناه بأمر فقل له يقول لك رسول الله انهض لما أمرت به و اصحبه أنت فإنك تنتفع بصحبته و قل له يقول لك رسول الله امتدح الأنصار و لتعين منهم سعد بن عبادة و لا بد ثم استدعى بحسان بن ثابت فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم يا حسان حفظه بيتا يوصله إلى محمد بن العربي يبني عليه و ينسج على منواله في العروض و الروي فقال حسان يا يحيى خذ إليك و أنشدني بيتا و هو

شغف السهاد بمقلتي و مزاري   فعلى الدموع معولي و مشاري

و ما زال يردده علي حتى حفظته ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا مدح الأنصار فاكتبه بخط بين و احمله ليلة الخميس إلى تربة هذا الذي تسمونها قبر الست فستجد عندها شخصا اسمه حامد فادفع إليه المديح فلما أخبرني بذلك هذا الرائي و فقه الله عملت القصيدة من وقتي من غير فكرة و لا روية و لا تثبط و دفعت القصيدة إليه فكتب إلى أنه لما جاء قبر الست وصل إليه بعد العشاء الآخرة قال فرأيت رجلا عند القبر فقال لي ابتداء أنت يحيى الذي جاء من عند فلان و سماني قال فقلت له نعم قال فأين القصيد الذي مدح به الأنصار عن أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت هو ذا عندي فناولته إياه فقرب من الشمعة ليقرأ القصيدة فلم أره يخبر ذلك الخط فقلت له تأمرني أنشدك إياها قال نعم فأنشدته إياها و هذا نص القصيدة

قال ابن ثابت الذي فخرت به   فقر الكلام و نشأة الأشعار

شغف السهاد بمقلتي و مزاري   فعلى الدموع معولي و مشاري

و كانت أمي تنسب إلى الأنصار فقلت

فلذا جعلت رويه الراء التي   هي من حروف الرد و التكرار

فأقول مبتدئا لطاعة أحمد   في مدح قوم سادة أبرار

إني امرؤ من جملة الأنصار   فإذا مدحتهمو مدحت نجاري

بسيوفهم قام الهدى و بهم علت   أنواره في رأس كل منار

قاموا بنصر الهاشمي محمد   المصطفى المختار من مختار

صحبوا النبي بنية و عزائم   فازوا بهن حميدة الآثار

باعوا نفوسهمو لنصرة دينه   و لذاك ما صحبوه بالإيثار

يأتيه من يمن مع الأقدار — عنهم كنى المختار بالنفس الذي

يوم السقيفة جملة الأنصار — سعد سليل عبادة فخرت به

نزلت بدين الله و الأخيار — لله آساد لكل كريهة

دين الهدى بالعسكر الجرار — عزوا بدين الله في إعزازهم

و بهم ترى يوم الورود فخاري — فيهم علا يوم القيامة مشهدي

في مدحهم ما كنت بالمكثار — لو أنني صغت الكلام قلائدا

لحقت بهم أعداؤه بتبار — كرش النبي و عيبة لرسوله

آساد غاب في الوغى بنهار — رهبان ليلا يقرءون كلامه

و قصة الرؤيا طويلة فاقتصرت من ذلك على ما نحتاج إليه في هذا الباب من ذكر الأنصار ثم نرجع فنقول فما جاءت الأنصار إلا بعد أن نفس الله عن نبيه بما بشره به فلقيته الأنصار في حال اتساع و انشراح و سرور و تلقاها صلى الله عليه و سلم تلقي الغني بربه فكان معها و المهاجرين عونا على إقامة دين الله كما أمرهم الله قال الله عز و جل وَ اللهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ فلله الأسماء الحسنى و لها آثار و تحكم في خلقه و هي المتوجهة من الله تعالى على إيجاد الممكنات و ما تحوي عليه من المعاني التي لا نهاية لها و الله من حيث ذاته غني عن العالمين و إنما عرفنا الله تعالى أنه غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ ليعلمنا أنه سبحانه ما أوجدنا إلا لنا لا لنفسه و ما خلقنا لعبادته إلا ليعود ثواب ذلك العمل و فضله إلينا و لذلك ما خص بهذا الخطاب إلا الثقلين فقال تعالى وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و لا نشك أن كل ما خلق من الملائكة و غيرهم من العالم ما خلقهم إلا مسبحين بحمده و ما خص بهذه الصفة غير الثقلين أعني صفة العبادة و هي الذلة فما خلقهم حين خلقهم إذ لا و إنما خلقهم ليذلوا و خلق ما سواهم إذ لا في أصل خلقهم فما جعل العلة في سوى الثقلين الذلة كما جعلها فينا و ذلك أنه ما تكبر أحد من خلق الله على أمر الله غير الثقلين و لا عصى الله أحد من خلق الله سوى الثقلين فأمر إبليس فعصى و نهى آدم عليه السلام أن يقرب الشجرة فكان من أمره ما قال الله لنا في كتابه وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ و أما الملائكة فقد شهد لهم الله بأنهم لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ردا على من تكلم بما لا ينبغي في حق الملكين ببابل من المفسرين بما لا يليق بهم و لا يعطيه ظاهر الآية لكن الإنسان يجترئ على الله تعالى فيقول فيه ما لا يليق بجلاله فكيف لا يقول في الملائكة فكما كذب الإنسان ربه في أمور فيكون هذا القائل قد كذب ربه في قوله في حق الملائكة لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ و في صحيح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الله عز و جل يقول الله عز و جل كذبني ابن آدم و لم يكن ينبغي له ذلك و شتمني ابن آدم و لم يكن ينبغي له ذلك الحديث فلا أحد أصبر على أذى من الله كذا ورد أيضا في الخبر و هو سبحانه يرزقهم و يحسن إليهم و هم في حقه بهذه الصفة فاعلم إن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون سائر الموجودات إن سائر المخلوقات توجه على إيجادهم من الأسماء الإلهية أسماء الجبروت و

الكبرياء و العظمة و القهر و العزة فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي و تعرف إليهم حين أوجدهم بهذه الأسماء فلم يتمكن لمن خلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه و لا إن يجد في نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله فكيف على من خلقه و قد أشهده أنه في قبضته و تحت قهره و شهدوا كشفا نواصبهم و نواصي كل دابة بيده في القرآن العزيز ما من دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ثم قال متمما إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و الأخذ بالناصية عند العرب إذلال هذا هو المقرر عرفا عندنا فمن كان حاله في شهود نظره إلى ربه أخذ النواصي بيده و يرى ناصيته من جملة النواصي كيف يتصور منه عز أو كبرياء على خالقه مع هذا الكشف و أما الثقلان فخلقهم بأسماء اللطف و الحنان و الرأفة و الرحمة و التنزل الإلهي فعند ما خرجوا لم يروا عظمة و لا عزا و لا كبرياء و رأوا نفوسهم مستندة في وجودها إلى رحمة و عطف و تنزل و لم يبد الله لهم من جلاله و لا كبريائه و لا عظمته في خروجهم إلى الدنيا شيئًا يشغلهم عن نفوسهم ألا تراهم في الأخذ الذي عرض لهم من ظهورهم حين قال لهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ هل قال أحد منهم نعم لا و الله بل قالُوا بَلى فأقروا له بالربوبية لأنهم في قبضة الآخذ محصورون فلو شهدوا أن نواصيهم بيد الله شهادة عين أو إيمان كشهادة عين كشهادة الأخذ ما عصوا الله طرفة عين و كانوا مثل سائر المخلوقات يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ فلما ظهروا عن هذه الأسماء الرحمانية قالوا يا ربنا لم خلقتنا قال لتعبدون أي لتكونوا أذلاء بين يدي فلم يروا صفة قهر و لا جناب عزة تذلهم و لا سيما و قد قال لهم لتذلوا إلي فأضاف فعل الإذلال إليهم فزادوا بذلك كبرا فلو قال لهم ما خلقتكم إلا لأذلكم لفرقوا و خافوا فإنها كلمة قهر فكانوا يبادرون إلى الذلة من نفوسهم خوفا من هذه الكلمة كما قال للسماوات و الأرض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً فلو لم يقل كرها فإنها كلمة قهر حيثما أتت فلهذا قلنا ما أوجد كل ما عدا الثقلين و لا خاطبهم إلا بصفة القهر و الجبروت فلما قال للثقلين عن السبب الذي لأجله أوجدهم و خلقهم نظروا إلى الأسماء التي وجدوا عنها فما رأوا اسما إلهيا منها يقتضي أخذهم و عقوبتهم إن عصوا أمره و نهيه و تكبروا على أمره فلم يطيعوه و عصوه ف عَصى آدَمُ رَبَّهُ و هو أول الناس و عصى إبليس ربه فسرت المخالفة من هذين الأصلين في جميع الثقلين يقول النبي صلى الله عليه و سلم عن آدم لما جحد و نسي ما وهبه لداود من عمره فنسي آدم فنسيت ذريته و جحد آدم فجحدت ذريته إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ فعصمه و لكن من التكبر على الله لا من تكبر بعضهم على بعض و على سائر المخلوقين فما عصم أحد من ذلك ابتداء فإن الله قد شاء أن يتخذ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا و لكن إذا اعتنى الله بعبده ففي الحالة الثانية يرزقه التوفيق و العناية فيلزم ما خلق له من العبادة فيلحق بسائر المخلوقات و هو عزيز الوجود و أين العبد الذي هو في نفسه مع أنفاسه عبد لله دائما فلا يدل أحد من الثقلين إلا عن قهر يجده فهو في ذله مجبور فإذا وجد ذلك حينئذ يلتفت إلى الأسماء التي عنها وجد و هي أسماء الرحمة فيطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق و الحرج الذي ما اعتاده فيحن إلى جهتها و يعرف أن لها قوة و سلطانا فتنفس عنه ما يجده من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن نفس الرحمن فأشار إلى الاسم الذي خلق به الثقلين و قرن معه جهة القوة فقال من قبل اليمن و القبل الناحية و الجهة و اليمن من اليمين و هو القوة قال الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أراد بالقوة فإن اليمين محل القوة وَالسَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ و كذلك كان لما نظر إليه الاسم الرحمن الذي عنه وجد كان النصر على أيدي الأنصار و كذلك قوله يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ فإن المتقي هو الحذر الخائف الوجل و لا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرءوف و يتقيه و إنما مشهود المتقي السريع الحساب الشديد العقاب المتكبر الجبار فيتقي و يخاف فيؤمنه الله تعالى بأن يحشره إلى الرحمن فيأمن سطوة الجبار القهار و لهذا قال تعالى فينا إن رحمته سبقت غضبه لأنه بالرحمة أوجدنا لم يوجدنا بصفة القهر وكذلك تأخرت المعصية فتأخر الغضب عن الرحمة في الثقلين فالله يجعل حكمهما في الآخرة كذلك و لو كانت بعد حين ألا ترى الله تعالى إذا ذكر أسماءه لنا يبتدئ بأسماء الرحمة و يؤخر أسماء الكبرياء لأنا لا نعرفها فإذا قدم لنا أسماء الرحمة عرفناها و حننا إليها عند ذلك يتبعها أسماء الكبرياء لنأخذها بحكم التبعية فقال تعالى هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فهذا نعت يعم الجميع و ليس واحدته بأولى من الآخر ثم ابتدأ فقال هُوَ الرَّحْمنُ فعرفنا الرحمن الرَّحِيمُ لأنا عنه وجدنا ثم قال بعد ذلك هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ ابتداء ليجعله فصلا بين الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ و بين الْعَزِيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ فقال الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ و هذا كله من نعوت الرحمن ثم جاء و قال الْعَزِيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ فقبلنا هذه النعوت بعد أن آنسنا بأسماء اللطف و الحنان و أسماء الاشتراك التي لها وجه إلى الرحمة و وجه إلى الكبرياء و هو الله و الملك فلما جاء بأسماء العظمة و المحل قد تأنس بترادف الأسماء الكثيرة الموجبة الرحمة قبلنا أسماء العظمة لما رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها حيث كانت نعوتا لها فقبلناها ضمنا تبعا لأسمائنا ثم إنه لما علم الخالق أن صاحب القلب و العلم بالله و بمواقع خطابه إذا سمع مثل أسماء العظمة لا بد أن تؤثر فيه أثر خوف و قبض نعتها بعد ذلك و أردفها بأسماء لا تختص بالرحمة على الإطلاق و لا تعرى عن العظمة على الإطلاق فقال هُوَ اللهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و هذا كله تعليم من الله عباده و تنزل إليهم فمنازل أصحاب هذا الباب هي هذه الأسماء المذكورة و حضراتها و لهذا قدم سبحانه في كتابه بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ في كل سورة إذ كانت السور تحوي على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة و الاقتدار فقدم أسماء الرحمة تأنيسا و بشرى و لهذا قالوا في سورة التوبة إنها و الأنفال سورة واحدة حيث لم يفصل بينهما بالبسملة و في ذلك خلاف منقول بين علماء هذا الشأن من الصحابة و لما علم الله تعالى ما يجري من الخلاف في هذه الأمة في حذف البسملة من سورة براءة فمن ذهب إلى أنها سورة مستقلة و كان القرآن عنده مائة و ثلاث عشرة سورة فيحتاج إلى مائة و ثلاث عشرة بسملة أظهر لهم في سورة النمل بسملة ليكمل العدد و جاء بها كما جاء بها في أوائل السور بعينها فإن لغة سليمان عليه السلام لم تكن عربية و إنما كانت أخرى فما كتب لغة هذا اللفظ في كتابه و إنما كتب لفظة بلغته تقتضي معناها باللسان العربي إذا عبر عنها بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ٢٧ و أتى بها محذوفة الألف كما جاءت في أوائل السور ليعلم أن المقصود بها هو المقصود بها في أوائل السور و لم يعمل ذلك في بِسْمِ اللهِ مَجْراها و اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ فأثبت الألف هناك ليفرق ما بين اسم البسملة و غيرها و لهذا تتضمن سورة التوبة من صفات الرحمة و التنزل الإلهي كثيرا فإن فيها شراء الله نفوس المؤمنين منهم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ و أي تنزل أعظم من أن يشتري السيد ملكه من عبده و هل يكون في الرحمة أبلغ من هذا فلا بد أن تكون التوبة و الأنفال سورة

واحدة أو تكون بسملة النمل السليمانية لسورة التوبة ثم انظر في اسمها سورة التوبة و التوبة تطلب الرحمة ما تطلب التبري و إن ابتدأ عز و جل بالتبري فقد ختم بآية لم يأت بها و لا وجدت إلا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين فإن كنت تعقل علمت ما في هذه السورة من الرحمة المدرجة و لا سيما في قوله تعالى وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ و ذلك كله رحمة بنا لنحذر الوقوع فيه و الاتصاف بتلك الصفات فإن القرآن علينا نزل فلم تتضمن سورة من القرآن في حقنا رحمة أعظم من هذه السورة لأنه كثر من الأمور التي ينبغي أن يتقيها المؤمن و يجتنبها فلو لم يعرفنا الحق تعالى بها ربما وقعنا فيها و لا نشعر فهي سورة رحمة للمؤمنين و إذ و قد عرفناك بمنازله فاعلم أن رجاله هم كل من كان حاله من أهل الله حال من أحاطت به الأسماء الجبروتية من جميع عالمه العلوي و السفلي فيقع منه اللجأ و التضرع إلى أسماء الرحمة فيتجلى له الاسم الرحمن الذي له الأسماء الحسنى و الذي به على العرش استوى فيهبه الاقتدار الإلهي فيمحو به آثار الأسماء القهرية فيتسع له المجال فينشرح الصدر و يجري النفس و يسرى فيه روح الحياة و تأتي إليه وفود الأسماء الرحمانية و الحقائق الإلهية بالتهاني و البشائر فمن كانت هذه حالته و يعرفها ذوقا من نفسه و هو من رجال هذا المقام فلا يغالط نفسه و كل إنسان أعلم بحاله و لا ينفعك أن تنزل نفسك عند الناس منزلة ليست لك في نفس الأمر و قد نصحتك و أبنت لك عن طريق القوم فلا تكن من الجاهلين بما عرفناك به وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ف إِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخمسون في معرفة رجال الحيرة و العجز)

و لم يحركان برهانا بأن جهلا ... من قال يعلم أن الله خالقه
فليس حاضركم مثل الذي غفلا ... لا يعلم الله إلا الله فانتبهوا
كذا هو الحكم فيه عند من عقلا ... العجز عن درك الإدراك معرفة
هو النزيه فلا تضرب له مثلا ... هو الإله فلا تحصى محامده

اعلم أيدك الله بروح منه أن سبب الحيرة في علمنا بالله طلبنا معرفة ذاته جل و تعالى بأحد الطريقين إما بطريق الأدلة العقلية و إما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة و الدليل السمعي قد أومأ إليها و ما صرح و الدليل العقلي قد منع من إدراك حقيقة ذاته من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو سبحانه في نفسه عليها و ما أدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب لا غير و سمي هذا معرفة و الشارع قد نسب إلى نفسه أمورا وصف نفسه بها تحيلها الأدلة العقلية إلا بتأويل بعيد يمكن أن يكون مقصودا للشارع و يمكن أن لا يكون و قد لزمه الايمان و التصديق بما وصف به نفسه لقيام الأدلة عنده بصدق هذه الأخبار عنه إنه أخبر بها عن نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله فتعارض هذه الأمور مع طلبه معرفة ذاته تعالى أو الجمع بين الدليلين المتعارضين أوقعهم في الحيرة فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل و استقصوها غاية الاستقصاء إلى أن أداهم ذلك النظر إلى العجز و الحيرة فيه من نبي أو صديق قال صلى الله عليه و سلم اللهم زدني فيك تحيرا فإنه كلما

زاده الحق علما به زاده ذلك العلم حيرة و لا سيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة بما لا يتقارب قال النبي صلى الله عليه و سلم بعد ما بذل جهده في الثناء على خالقه بما أوحى به إليه لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك و قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذا المقام و كان من رجاله العجز عن درك الإدراك إدراك أي إذا علمت إن ثم من لا يعلم ذلك هو العلم بالله تعالى فكان الدليل على العلم به عدم العلم به و الله قد أمرنا بالعلم بتوحيده و ما أمرنا بالعلم بذاته بل نهى عن ذلك بقوله وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ و نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن التفكر في ذات الله تعالى إذ من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ كيف يوصل إلى معرفة ذاته فقال الله تعالى آمرا بالعلم بتوحيده فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ فالمعرفة به من كونه إلها و المعرفة بما ينبغي للإله أن يكون عليه من الصفات التي يمتاز بها عن من ليس بإله و عن المألوه هي المأمور بها شرعا فلا يعرف الله إلا الله فقامت الأدلة العقلية القاطعة على أنه إله واحد عند أهل النظر و أهل الكشف فلا إله إلا هو ثم بعد هذا الدليل العقلي على توحيده و العلم الضروري العقلي بوجوده و رأينا أهل طريق الله تعالى من رسول و نبي و ولي قد جاءوا بأمور من المعرفة بنعوت الإله في طريقهم إحالتها الأدلة العقلية و جاءت بصحتها الألفاظ النبوية و الأخبار الإلهية فبحث أهل الطريق عن هذه المعاني ليحصلوا منها على أمر يتميزون به عن أهل النظر الذين وقفوا حيث بلغت بهم أفكارهم مع تحققهم صدق الأخبار فقالوا نعلم أن ثم طورا آخر وراء طور إدراك العقل الذي يستقل به و هو للأنبياء و كبار الأولياء به يقبلون هذه الأمور الواردة عليهم في الجناب الإلهي فعملت هذه الطائفة في تحصيل ذلك بطريق الخلوات و الأذكار المشروعة لصفاء القلوب و طهارتها من دنس الفكر إذ كان المفكر لا يفكر إلا في المحدثات لا في ذات الحق و ما ينبغي أن يكون عليه في نفسه الذي هو مسمى الله و لم يجد صفة إثبات نفسية فأخذ ينظر في كل صفة يمكن أن يقبلها المحدث الممكن يسلبها عن الله لئلا يلزمه حكم تلك الصفة كما لزمت الممكن الحادث مثل ما فعل بعض النظار من المتكلمين في أمور أثبتوها و طردوها شاهدا و غائبا و يستحيل على ذات الحق أن تجتمع مع الممكن في صفة فإن كل صفة يتصف بها الممكن يزول وجودها بزوال الموصوف بها أو تزول هي مع بقاء الممكن كصفات المعاني و الأولى كصفات النفس ثم إن كل صفة منها ممكنة فإذا طردوها شاهدا و غائبا فقد وصفوا واجب الوجود لنفسه بما هو ممكن لنفسه و الواجب الوجود لنفسه لا يقبل ما يمكن أن يكون و يمكن أن لا يكون فإذا بطل الاتصاف به من حيث حقيقة ذلك الوصف لم يبق إلا الاشتراك في اللفظ إذ قد بطل الاشتراك في الحد و الحقيقة فلا يجمع صفة الحق و صفة العبد حد واحد أصلا فاذن بطل طرد ما قالوه و طردوه شاهدا و غائبا فلم يكن قولنا في الله إنه عالم على حد ما نقول في الممكن الحادث إنه عالم من طريق حد العلم و حقيقته فإن نسبة العلم إلى الله تخالف نسبة العلم إلى الخلق الممكن و لو كان عين العلم القديم هو عين العلم المحدث لجمعهما حد واحد ذاتي أعني العلمين و استحال عليه ما يستحيل على مثله من حيث ذاته و وجدنا الأمر على خلاف ذلك فتعملت هذه الطائفة في تحصيل شيء مما وردت به الأخبار الإلهية من جانب الحق و شرعت في صقالة قلوبها بالأذكار و تلاوة القرآن و تفريغ المحل من النظر في الممكنات و الحضور و المراقبة مع طهارة الظاهر بالوقوف عند الحدود المشروعة من غض البصر عن الأمور

التي نهى أن ينظر إليها من العورات و غيرها و إرساله في الأشياء التي تعطيه الاعتبار و الإستبصار و كذلك سمعه و لسانه و يده و رجله و بطنه و فرجه و قلبه و ما ثم في ظاهره سوى هذه السبعة و القلب ثامنها و يزيل التفكر عن نفسه جملة واحدة فإنه مفرق لهمه و يعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه عسى الله أن يفتح له الباب إليه و يعلم ما لم يكن يعلم مما علمته الرسل و أهل الله مما لم تستقل العقول بإدراكه و إحالته فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب حصل له تجل إلهي أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه فينسب إلى الله منه أمرا لم يكن قبل ذلك يجرأ على نسبته إلى الله سبحانه و لا يصفه به إلا قدر ما جاءت به الأنباء الإلهية فيأخذها تقليدا و الآن يأخذ ذلك كشفا موافقا مؤيدا عنده لما نطقت به الكتب المنزلة و جاء على ألسنة الرسل عليهم السلام فكان يطلقها إيمانا حاكيا من غير تحقيق لمعانيها و لا يزيد عليها و الآن يطلق في نفسه عليه تعالى ذلك علما محققا من أجل ذلك الأمر الذي تجلى له فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الأمر و يعرف معنى ما يطلقه و ما حقيقة ذلك فيتخيل في أول تجل أنه قد بلغ المقصود و حاز الأمر و أنه ليس وراء ذلك شيء يطلب سوى دوام ذلك فيقوم له تجل آخر بحكم آخر ما هو ذلك الأول و المتجلي واحد لا يشك فيه فيكون حكمه فيه حكم الأول ثم تتوالى عليه التجليات باختلاف أحكامها فيه فيعلم عند ذلك أن الأمر ما له نهاية يوقف عندها و يعلم أن الإنية الإلهية ما أدركها و أن الهوية لا يصح أن تتجلى له و أنها روح كل تجل فيزيد حيرة لكن فيها لذة و هي أعظم من حيرة أصحاب الأفكار بما لا يتقارب فإن أصحاب الأفكار ما برحوا بأفكارهم في الأكوان فلهم أن يحاروا و يعجزوا و هؤلاء ارتفعوا عن الأكوان و ما بقي لهم شهود إلا فيه فهو مشهودهم و الأمر بهذه المثابة فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النظار في معارضات الدلالات عليه فقوله صلى الله عليه و سلم أو قول من يقول من هذا المقام زدني فيك تحيرا طلب لتوالي التجليات عليه فهذا الفرق بين حيرة أهل الله و حيرة أهل النظر فصاحب العقل ينشد

و في كل شيء له آية　　　تدل على أنه واحد

و صاحب التجلي ينشد قولنا في ذلك

و في كل شيء له آية　　　تدل على أنه عينه

فبينهما ما بين كلمتيهما فما في الوجود إلا الله و لا يعرف الله إلا الله و من هذه الحقيقة قال من قال أنا الله كأبي يزيد و سبحاني كغيره من رجال الله المتقدمين و هي من بعض تخريجات أقوالهم رضي الله عنهم فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين فقد وصل غير أن أصحابنا اليوم يجدون غاية الألم حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام فما أعظم تلك التجليات و إنما منعهم أن يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب المنزلة و الرسل عليهم السلام عدم إنصاف السامعين من الفقهاء و أولي الأمر لما يسارعون إليه في تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام في جنب الله و تركوا معنى قوله تعالى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ كما قال له صلى الله عليه و سلم ربه عز و جل عند ذكره الأنبياء و الرسل عليهم السلام أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ فأغلق الفقهاء هذا الباب من أجل

المدعين الكاذبين في دعواهم و نعم ما فعلوا و ما على الصادقين في هذا من ضرر لأن الكلام و العبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب و في ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك كفاية لهم فيوردونها يستريحون إليها من تعجب و فرح و ضحك و تبشش و نزول و معية و محبة و شوق و ما أشبه ذلك مما لو انفرد بالعبارة عنه الولي كفر و ربما قتل و أكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقا و شربا فأنكروا مثل هذا من العارفين حسدا من عند أنفسهم إذ لو استحال إطلاق مثل هذا على الله تعالى ما أطلقه على نفسه و لا أطلقته رسله عليهم السلام عليه و منعهم الحسد أن يعلموا أن ذلك رد على كتاب الله و تحجير على رحمة الله أن تنال بعض عباد الله و أكثر العامة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار تقليدا لهم لا بل بحمد الله أقل العامة و أما الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول إلى مشاهدة هذه الحقائق لشغلهم بما دفعوا إليه فساعدوا علماء الرسوم فيما ذهبوا إليه إلا القليل منهم فإنهم اتهموا علماء الرسوم في ذلك لما رأوه من انكبابهم على حطام الدنيا و هم في غنى عنه و حب الجاه و الرئاسة و تمشية أغراض الملوك فيما لا يجوز و بقي العلماء بالله تحت ذل العجز و الحصر معهم كرسول كذبه قومه و ما آمن به واحد منهم و لم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم يحرس حتى نزل وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فانظر ما يقاسيه في نفسه العالم بالله فسبحان من أعمى بصائرهم حيث أسلموا و سلموا و آمنوا بما به كفروا فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق لا ممن عرف الحق بالرجال وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الحادي و الخمسون في معرفة رجال من أهل الورع قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن)

إن الكلام لفي القبس — يا من تحقق بالنفس
لدى المحقق في البلس — و كذا الهبات من العلوم
في نفس نفسهم نفس — لله قوم ما لهم
أهل المشاهد في الغلس — و هم الذين هموهم
و في الشهادة كالعسس — شغفهم الخلائف في الغيوب
في سورة تتلى عبس — أعلى الإله مقامهم
فابحث و لا تك تختلس — فيها لطائف سرهم
في حاله لم يبتئس — من كان ذا علم بها

اعلم أيدك الله بروح القدس أن رجال هذا الباب هم الزهاد الذين كان الورع سبب زهدهم و ذلك أن القوم تورعوا في المكاسب على أشد ما يكون من عزائم الشريعة فكلما حاك له في نفوسهم شيء تركوه عملا على قوله صلى الله عليه و سلم دع ما يريبك إلى ما لا يريبك و قوله استفت قلبك و قال بعضهم ما رأيت أسهل علي من الورع كل ما حاك له في نفسي شيء تركته إلى أن جعل الله لهم علامات يعرفون بها الحلال

من الحرام في المطاعم و غيرها إلى أن ارتقوا عن العلامات إلى خرق العوائد عندهم في الشيء المتورع فيه فيستعملونه فيظن من لا علم له بذلك أنه أتى حراما و ليس كذلك فاتسع عليهم ذلك الضيق و الحرج و قد ذقنا هذا من نفوسنا و زال عنهم ما كانوا يجدونه في نفوسهم من البحث و التفتيش عن ذلك و هذه العلامة و هذا الحال التي ارتقوا إليها لا تكون أبدا إلا من نفس الرحمن رحمهم بذلك الرحمن لما رآهم فيه من التعب و الضيق و الحرج و تهمة الناس في مكاسبهم و ما يؤديهم إليه هذا الفعل من سوء الظن بعباد الله فنفس الرحمن عنهم بما جعل لهم من العلامات في الشيء و في حق قوم بالمقام الذي ارتقوا إليه الذي ذكرناه فيأكلون طيبا و يستعملون طيبا فالطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات و استراحوا إذ كانوا على بينة من ربهم في مطاعمهم و مشاربهم و أداهم التحقق بالورع إلى الزهد في الكسب إذ كان مبني اكتسابهم الورع ليأكلوا مما يعلمون أن ذلك حلال لهم استعماله ثم عملوا على ذلك الورع في المنطق من أجل الغيبة و الكلام فيما يخوض الإنسان فيه من الفضول فرأوا أن السبب الموجب لذلك مجالسة الناس و معاشرتهم و ربما قدروا على مسك نفوسهم عن الكلام بما لا ينبغي لكن بعضهم أو أكثرهم عجز أن يمنع الناس بحضوره عن الكلام بالفضول و ما لا يعنيهم فأداهم أيضا هذا الحرج إلى الزهد في الناس فآثروا العزلة و الانقطاع عن الناس باتخاذ الخلوات و غلق بابهم عن قصد الناس إليهم و آخرون بالسياحة في الجبال و الشعاب و السواحل و بطون الأودية فنفس الله عنهم من اسمه الرحمن بوجوه مختلفة من الأنس به أعطاهم ذلك نفس الرحمن فأسمعهم أذكار الأحجار و خرير المياه و هبوب الرياح و مناطق الطير و تسبيح كل أمة من المخلوقات و محادثتهم معه و سلامهم عليه فآنس بهم من وحشته و عاد في جماعة و خلق ما لهم كلام إلا في تسبيح أو تعظيم أو ذكر آلاء إلهية أو تعريف بما ينبغي و هو جليس لهم و يسمع جوارحه و كل جزء فيه يكلمه بما أنعم الله عليه به فتغمره النعم فيزيد في العبادة و منهم من ينفس عنه بالأنس بالوحوش رأينا ذلك فتغدو عليه و تروح مستأنسة به و تكلمه بما يزيده حرصا على عبادة ربه و منهم من يجالسه الروحانيون من الجان و لكن هو دون الجماعة في الرتبة إذا لم يكن له حال سوى هذا لأنهم قريب من الأنس في الفضول و الكيس من الناس من يهرب منهم كما يهرب من الناس فإن مجالستهم رديئة جدا قليل أن تنتج خيرا لأن أصلهم نار و النار كثيرة الحركة و من كثرت حركته كان الفضول أسرع إليه في كل شيء فهم أشد فتنة على جليسهم من الناس فإنهم قد اجتمعوا مع الناس في كشف عورات الناس التي ينبغي للعاقل أن لا يطلع عليها غير أن الإنس لا تؤثر مجالسة الإنسان إياهم تكبرا و مجالسة الجن ليست كذلك فإنهم بالطبع يؤثرون في جليسهم التكبر على الناس و على كل عبد لله و كل عبد لله رأى لنفسه شفوفا على غيره تكبرا فإنه يمقته الله في نفسه من حيث لا يشعر و هذا من المكر الخفي و عين مقت الله إياه هو ما يجده من التكبر على من ليس له مثل هذا و يتخيل أنه في الحاصل و هو في الفائت ثم اعلم أن الجان هم أجهل العالم الطبيعي بالله و يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان و ما يجري في العالم مما يحصل لهم من استراق السمع من الملإ الأعلى فيظن جليسهم أن ذلك كرامة الله به و هيهات لما ظنوا و لهذا ما ترى أحدا قط جالسهم فحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة غاية الرجل الذي تعتني به أرواح الجن أن يمنحوه من علم خواص النبات و الأحجار و الأسماء و الحروف و هو علم السيمياء فلم يكتسب منهم إلا العلم الذي

ذمته ألسنة الشرائع و من ادعى صحبتهم و هو صادق في دعواه فاسألوه عن مسألة في العلم الإلهي ما تجد عنده من ذلك ذوقا أصلا فرجال الله يفرون من صحبتهم أشد فرارا منهم من الناس فإنه لا بد أن تحصل صحبتهم في نفس من يصحبهم تكبرا على الغير بالطبع و ازدراء بمن ليس له في صحبتهم قدم و قد رأينا جماعة ممن صحبوهم حقيقة و ظهرت لهم براهين على صحة ما ادعوه من صحبتهم و كانوا أهل جد و اجتهاد و عبادة و لكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله و رأينا فيهم عزة و تكبرا فما زلنا بهم حتى حلنا بينهم و بين صحبتهم لإنصافهم و طلبهم الأنفس كما أيضا رأينا ضد ذلك منهم فما أفلح و لا يفلح من هذه صفته إذا كان صادقا و أما الكاذب فلا نشتغل به و منهم من نفس الرحمن عنه بمجالسة الملائكة و نعم الجلساء هم هم أنوار خالصة لا فضول عندهم و عندهم العلم الإلهي الذي لا مرية فيه فيرى جليسهم في مزيد علم بالله دائما مع الأنفاس فمن ادعى مجالسة الملإ الأعلى و لم يستفد في نفسه علما بربه فليس بصحيح الدعوى و إنما هو صاحب خيال فاسد و منهم من ينفس الرحمن عنه بأنس بالله في باطنه و تجليات دائمة معنويات فلا يزال في كل نفس صاحب علم بجال جديد بالله و أنس جديد و منهم من ينفس الرحمن عنه ذلك الضيق بمشاهدته عالم الخيال يستصحبه ذلك دائما كما يستصحب الرؤيا النائم فيخاطب و يخاطب و لا يزال في صور دائما في لذة و في نكاح إن جاءته شهوة جماع و لا تكليف عليه ما دام في تلك الحال لغيبته عن إحساسه في الشاهد فينكح و يلتذ و يولد له في عالم الخيال أولاد فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه و منهم من يخرج ولده إلى عالم لشهادة و هو خيال على أصله مشهود للحس و هذا من الأسرار الإلهية العجيبة و لا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال و ما من طبقة ذكرناها إلا و قد رأينا منهم جماعة من رجال و نساء بإشبيلية و تلمسان و بمكة و بمواضع كثيرة و كانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه و أما نحن فلا نحتاج مع أحد منهم لبرهان فيما يدعيه فإن الله قد جعل لكل صنف علامة يعرف بها فإذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها من حيث لا يشعر وكم رأينا ممن يدعي ذلك كاذبا أو صاحب خيال فاسد فإن علمنا منه أنه يرجع نصحناه و إن رأيناه عاشقا لحاله محجوبا بخياله الفاسد تركناه و أصدق من رأينا في هذا الباب من النساء فاطمة بنت ابن المثنى بإشبيلية خدمتها و هي بنت خمس و تسعين سنة و شمس أم الفقراء بمرشانة و أم الزهراء بإشبيلية أيضا و كلبهار بمكة تدعى ست غزالة و من الرجال أبو العباس بن المنذر من أهل إشبيلية و أبو الحجاج الشبربلي من قرية بشرف إشبيلية تسمى شبربل و يوسف بن صخر بقرطبة و هذا قد أعربنا لك عن أحوال رجال هذا الباب و ما أنتج لهم الزهد في الناس و ما وجدوه من نفس الرحمن لذلك و على هذا الحد تكون أعمال الجوارح كلها يجمعها ترك الفضول في كل عضو بما يستحقه ظاهرا و باطنا فأولها الجوارح و أعلاها في الباطن الفكر فلا يتفكر فيما لا يعنيه فإن ذلك يؤديه إلى الهوس و الأماني و عدم المسابقة بحضور النية في أداء العبادات فإن الإنسان لا يخلو فكره في أحد أمرين إما فيما عنده من الدنيا و إما فيما ليس عنده منها فإن فكر فيما عنده فليس له دواء عند الطائفة إلا الخروج عنه و الزهد فيه صرح بذلك أبو حامد و غيره و إن فكر فيما ليس عنده فهو عند الطائفة عديم العقل أخرق لا دواء له إلا المداومة على الذكر و مجالسة أهل الله الذين الغالب على ظواهرهم المراقبة و الحياء من الله وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني و الخمسون في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف إلى عالم الشهادة إذا أبصره)

لم ير الحق جهارا علنا　　كل من خاف على هيكله

راجعا للكون يبغي البدنا　　فتراه عند ما يشهده

للذي يحذر منه الجبنا　　و ترى الشجعان قد ما طلبا

اعلم أيدك الله بروح منه أن النفوس الإنسانية قد جبلها الله على الجزع في أصل نشأتها فالشجاعة و الإقدام لها أمر عرضي و الجزع في الإنسان أقوى منه في الحيوانات إلا الصرصر تقول العرب أجبن من صرصر و سبب قوته في الإنسان العقل و الفكر الذي ميزه الله بهما على سائر الحيوان و ما يشجع الإنسان إلا القوة الوهمية كما أنه أيضا بهذه القوة يزيد جبنا و جزعا في مواضع مخصوصة فإن الوهم سلطان قوي و سبب ذلك أن اللطيفة الإنسانية متولدة بين الروح الإلهي الذي هو النفس الرحماني و بين الجسم المسوي المعدل من الأركان المعدلة من الطبيعة التي جعلها الله مقهورة تحت النفس الكلية كما جعل الأركان مقهورة تحت حكم سلطان الأفلاك ثم إن الجسم الحيواني مقهور تحت سلطان الأركان التي هي العناصر فهو مقهور لمقهور عن مقهور و هو النفس عن مقهور و هو العقل فهو في الدرجة الخامسة من القهر من وجه فهو أضعف الضعفاء قال الله عز و جل الله الذي خلقكم من ضعف فالضعف أصله ثم جعل له قوة عارضة و هو قوله ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثم رده إلى أصله من الضعف فقال عز و جل ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً فهذا الضعف الأخير إنما أعده لإقامة النشأة الآخرة عليه كما قامت نشأة الدنيا على الضعف و لقد علمتم النشأة الأولى و إنما كان هذا ليلازم ذاته الذلة و الافتقار و طلب المعونة و الحاجة لي خالقه و مع هذا كله يذهل عن أصله و يتيه بما عرض له من القوة فيدعي و يقول أنا و يمني نفسه بمقابلة لأهوال العظام فإذا قرصة برغوث أظهر الجزع لوجود الألم و بادر لإزالة ذلك الضرر و لم يقر به قرار حتى يجده فيقتله و ما عسى أن يكون البرغوث حتى يعتني به هذا الاعتناء و يزلزله عن مضجعه و لا يأخذه نوم فأين تلك الدعوى و الإقدام على الأهوال العظام و قد فضحته قرصة برغوث أو بعوضة هذا أصله ذلك ليعلم أن إقدامه على الأهوال العظام إنما هو بغيره لا بنفسه و هو ما يؤيده الله به من ذلك كما قال وَ أَيَّدْنَاهُ أي قويناه و لهذا شرع وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ في كل ركعة و لا حول و لا قوة إلا بالله و لما علم الإنسان أنه لو لا جود الله عز و جل لم يظهر له عين في الوجود و أن أصله لم يكن شيئا مذكورا قال تعالى وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً فللوجود لذة و حلاوة و هو الخير و لتوهم العدم العيني ألم شديد عظيم في النفوس لا يعرف قدر ذلك إلا العلماء و لكن كل نفس تجزع من العدم أن تلحق به كما هو حالها فمهما رأت أمرا تتوهم فيه أنه يلحقها بعدم عينها أو بما يقاربه هربت منه و ارتاعت و خافت على عينها و بما كانت أيضا عن الروح الإلهي الذي هو نفس الرحمن و لهذا كني عنه بالنفخ لمناسبة النفس فقال و نفخت فيه من روحي و كذا جعل عيسى ينفخ في صورة طينية كهيئة الطير فما ظهرت الأرواح إلا من الأنفاس غير أن للمحل الذي تمر به أثرا فيها بلا شك ألا ترى الريح إذا مرت على شيء نتن جاءت ريح منتنة إلى مشمك و إذا مرت بشيء عطر جاءت بريح طيبة لذلك اختلفت أرواح الناس فروح طيبة لجسد

طيب ما أشركت قط و لا كانت محلا لسفساف الأخلاق كأرواح الأنبياء و الأولياء و الملائكة و روح خبيث لجسد خبيث لم تزل مشركة محلا لسفساف الأخلاق و ذلك إنما كان لغلبة بعض الطبائع أعني الأخلاط على بعض في أصل نشأة الجسد التي هي سبب طيب الروح و وجود مكارم الأخلاق و سفسافها و خبث الروح فصحة الأرواح و عافيتها مكارم أخلاقها التي اكتسبتها من نشأة بدنها العنصري فجاءت بكل طيب و مليح و مرض الأرواح سفساف الأخلاق و مذمومها التي اكتسبتها أيضا من نشأة بدنها العنصري فجاءت بكل خبيث و قبيح ألا ترى الشمس إذا أفاضت نورها على جسم الزجاج الأخضر ظهر النور في الحائط أو في الجسم الذي تطرح الشعاع عليه أخضر و إن كان الزجاج أحمر طرح الشعاع أحمر في رأى العين فانصبغ في الناظر بلون المحل و ذلك للطافته يقبل الأشياء بسرعة و لما كان الهواء من أقوى الأشياء و كان الروح نفسا و هو شبيه بالهواء كانت القوة له فكان أصل نشأة الأرواح من هذه القوة و اكتسبت الضعف من المزاج الطبيعي البدني فإنه ما ظهر لها عين إلا بعد أثر المزاج الطبيعي فيها فخرجت ضعيفة لأنها إلى الجسم أقرب في ظهور عينها فإذا قبلت القوة إنما تقبلها من أصلها الذي هو النفس الرحماني المعبر عنه بالروح المنفوخ منه المضاف إلى الله فهي قابلة للقوة كما هي قابلة للضعف و كلاهما بحكم الأصل و هي إلى البدن أقرب لأنها أحدث عهدا به فغلب ضعفها على قوتها فلو تجردت عن المادة ظهرت قوتها الأصلية التي لها من النفخ الإلهي و لم يكن شيء أشد تكبرا منها فألزمها الله الصورة الطبيعية دائما في الدنيا و في البرزخ في النوم و بعد الموت فلا ترى نفسها أبدا مجردة عن المادة و في الآخرة لا تزال في أجسادها يبعثها الله من صور البرزخ في الأجساد التي أنشأها لها يوم القيامة و بها تدخل الجنة و النار ذلك ليلزمها الضعف الطبيعي فلا تزال فقيرة أبدا ألا تراها في أوقات غفلتها عن نفسها كيف يكون منها التهجم و الإقدام على المقام الإلهي فتدعى الربوبية كفرعون و تقول في غلبة ذلك الحال عليها أنا الله و سبحاني كما قال ذلك بعض العارفين و ذلك لغلبة الحال عليه و لهذا لم يصدر مثل هذا اللفظ من رسول و لا نبي و لا ولي كامل في علمه و حضوره و لزومه باب المقام الذي له و أدبه و مراعاة المادة التي هو فيها و بها ظهر فهو ردم ملآن بضعفه و فقره مع شهوده أصله علما و حالا و كشفا و علمه بأصله و مقام خلافته من وجه آخر لو كان حالا له لأدعى الألوهة فإن الأمر الخارج في النفخ من النافخ له من حكمه بقدر ذلك فلو ادعاه ما ادعى محالا و بذلك القدر الذي فيه من القوة الإلهية التي أظهرها النفخ توجه عليه التكليف فإنه عين المكلف و أضيفت الأفعال إليه و قيل له قل وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و لا حول و لا قوة إلا بالله فإنه أصلك الذي إليه ترجع فصدقت المعتزلة في إضافة الأفعال إلى العباد من وجه بدليل شرعي و صدق المخالف في إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى من وجه بدليل شرعي أيضا و عقلي و قالت بالكسب في أفعال العباد للعباد بقوله تعالى لَها ما كَسَبَتْ و قال في المصورين على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم أين من ذهب يخلق كخلقي فأضاف الخلق إلى العباد و قال في عيسى عليه السلام وَإِذْ تَخْلُقُ من الطِّينِ فنسب الخلق إليه عليه السلام و هو إيجاده صورة الطائر في الطين ثم أمره أن ينفخ فيه فقامت تلك الصورة التي صورها عيسى عليه السلام طائرا حيا و قوله بِإِذْنِ الله يعني الأمر الذي أمره الله به من خلقه صورة الطائر و النفخ و إبراء الأكمه و الأبرص و إحيائه الميت فأخبر أن عيسى عليه السلام لم ينبعث إلى ذلك من نفسه و

إنما كان عن أمر الله ليكون ذلك و إحياء الموتى من آياته على ما يدعيه فلولا أن الإنسان من حيث حقيقته من ذلك النفس الرحماني ما صح و لا ثبت أن يكون عن نفخه طائر يطير بجناحيه و لما كانت حقيقة الإنسان هكذا خوفه الله بما ذكر من صفة المتكبرين و ما لهم و اسوداد وجوههم كل ذلك دواء للأرواح لتقف مع ضعف مزاجها الأقرب في ظهور عينها فالإنسان ابن أمه حقيقة بلا شك فالروح ابن طبيعة بدنه و هي أمه التي أرضعته و نشأ في بطنها و تغذى بدمها فحكمه حكمها فلا يستغني عن غذاء في بقاء هيكله (تتميم) فلما كان الغالب هذا على الإنسان رجعنا إلى المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة عند ما يرى ما يهوله في كشفه مثل صاحبنا أحمد العصاد الحريري رحمه الله فإنه كان إذا أخذ سريع الرجوع إلى حسه باهتزاز و اضطراب فكنت أعتبه و أقول له في ذلك فيقول أخاف و أجبن من عدم عيني لما أراه و لو علم المسكين أنه لو فارق المواد رجع النفس إلى مستقره و هو عينه و رجع كل شيء إلى أصله و لكن لو كان ذلك لانعدمت الفائدة في حق العبد فيما يظهر و ليس الأمر كذلك و لذلك قلنا و هو عينه أي عين العبد فالبقاء الذي أراده الحق أولى به بوجود هذا الهيكل العنصري في الدنيا الطبيعي في الآخرة و الذي يثبت هنالك أعني عند الوارد إنما يثبت إذا دخل عبدا كما إن الذي لا يثبت إنما دخل و في نفسه شيء من الربوبية فخاف من زوالها هناك فهرب إلى الوجود الذي ظهرت فيه ربانيته و لهذا تكون فائدته قليلة و الثابت يدخل عبدا قابلا بهمة محترقة إلى أصله ليهبه من عوارفه ما عوده فإذا خرج خرج نورا يستضاء به فمثل الداخل إلى ذلك الجناب العالي بربوبيته مثل من يدخل بسراج موقود و مثل الذي يدخل بعبوديته مثل من يدخل بفتيلة لا ضوء فيها أو بقبضة حشيش فيها نار غير مشتعلة فإذا دخلا بهذه المثابة هب عليهما نفس من الرحمن فطفئ لذلك الهبوب السراج و اشتعل الحشيش فخرج صاحب السراج في ظلمة و خرج صاحب الحشيش في نور يستضاء به فانظر ما أعطاه الاستعداد فكل هارب من هناك إنما يخاف على سراجه أن ينطفئ فهو يخاف على ربوبيته أن تزول فيفر إلى محل ظهورها و لكن ما يخرج إلا و قد طفئ سراجه و لو خرج به موقدا كما دخل و لم يؤثر فيه ذلك الهبوب لأدعى الربوبية حقا و لكن من عصمة الله له كان ذلك و من دخل عبدا لا يخاف و إذا اشتعلت فتيلته هنالك عرف من أشعلها و رأى المنة له سبحانه في ذلك فخرج عبدا منورا كما قال تعالى سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ يعني عبدا فكان في خروجه إلى أمته داعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً كما دخل عبدا ذليلا عارفا بما دخل و على من دخل فمن وفقه الله تعالى و لزم عبوديته في جميع أحواله و إن عرف أصليه فيرجح الأصل الأقرب إليه جانب أمه فإنه ابن أمه بلا شك ألا ترى إلى السنة في تلقين الميت عند حصوله في قبره يقال له يا عبد الله و يا ابن أمة الله فينسب إلى أمه سترا من الله عليها فأضيف إلى أمه لأنها أحق به لظهور نشأته و وجود عينه فهو لأبيه ابن فراش و هو ابن لأمه حقيقة فافهم ما أعطيناك من المعرفة بك في هذا الباب وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و الخمسون في معرفة ما يلقي المريد على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ)

فكن في نعت من لاذا إذا لم تلق أستاذا

و قطع نفسه و الليل فافلاذا أفلاذا

و تسبيحا و قرآنا فاسهده بمن حاذى

و أضعفه و أحياه فلما لم يقل ما ذا

فكان له الذي يبغيه تلميذا و أستاذا

و جاءته معارفه زرافات و أفذاذا

فهذا قد أبنت له فلا ينفك عن هذا

اعلم أيدك الله و نورك أنه أول ما يجب على الداخل في هذه الطريقة الإلهية المشروعة طلب الأستاذ حتى يجده و ليعمل في هذه المدة التي يطلب فيها الأستاذ الأعمال التي أذكرها به و هي أن يلزم نفسه تسعة أشياء فإنها بسائط الأعداد فيكون له في التوحيد إذا عمل عليها قدم راسخة و لهذا جعل الله الأفلاك تسعة أفلاك فانظر ما ظهر من الحكمة الإلهية في حركات هذه التسعة فاجعل منها أربعة في ظاهرك و خمسة في باطنك فالتي في ظاهرك الجوع و السهر و الصمت و العزلة فاثنان فاعلان و هما الجوع و العزلة و اثنان منفعلان و هما السهر و الصمت و أعني بالصمت ترك كلام الناس و الاشتغال بذكر القلب و نطق النفس عن نطق اللسان إلا فيما أوجب الله عليه مثل قراءة أم القرآن أو ما تَيَسَّرَ من الْقُرْآنِ في الصلاة و التكبير فيها و ما شرع من التسبيح و الأذكار و الدعاء و التشهد و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أن تسلم منها فتتفرغ لذكر القلب بصمت اللسان فالجوع يتضمن السهر و الصمت تتضمنه العزلة و أما الخمسة الباطنة فهي الصدق و التوكل و الصبر و العزيمة و اليقين فهذه التسعة أمهات الخير تتضمن الخير كله و الطريقة مجموعة فيها فألزمها حتى تجد الشيخ (وصل شارح) و أنا أذكر لك من شأن كل واحدة من هذه الخصال ما يحرضك على العمل بها و الدءوب عليها و الله ينفعنا و إياك و يجعلنا من أهل عنايته و لنبتدئ بالظاهرة أولا و لنقل أما العزلة و هي رأس الأربعة المعتبرة التي ذكرناها عند الطائفة أخبرني أخي في الله تعالى عبد المجيد بن سلمة خطيب مرشانة الزيتون من أعمال إشبيلية من بلاد الأندلس و كان من أهل الجد و الاجتهاد في العبادة فأخبرني سنة ست و ثمانين و خمسمائة قال كنت بمنزلي بمرشانة ليلة من الليالي فقمت إلى حزبي من الليل فبينا أنا واقف في مصلاي و باب الدار و باب البيت علي مغلق و إذا بشخص قد دخل علي و سلم و ما أدري كيف دخل فجزعت منه و أوجزت في صلاتي فلما سلمت قال لي يا عبد المجيد من تأنس بالله لم يجزع ثم نفض الثوب الذي كان تحتي أصلي عليه و رمى به و بسط تحتي حصيرا صغيرا كان عنده و قال لي صل على هذا قال ثم أخذني و خرج بي من الدار ثم من البلد و مشى بي في أرض لا أعرفها و ما كنت أدري أين أنا من أرض الله فذكرنا الله تعالى في تلك الأماكن ثم ردني إلى بيتي حيث كنت قال فقلت له يا أخي بما ذا يكون الأبدال أبدالا فقال لي بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في القوت ثم سماها لي الجوع و السهر و الصمت و العزلة قلبا ثم قال لي عبد المجيد هذا هو الحصير فصليت عليه و هذا الرجل كان من أكابرهم يقال له معاذ بن أشرس فأما العزلة

فهي أن يعتزل المريد كل صفة مذمومة و كل خلق دنيء هذه عزلته في حاله و أما في قلبه فهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله من أهل و مال و ولد و صاحب و كل ما يحول بينه و بين ذكر ربه بقلبه حتى عن خواطره و لا يكن له هم إلا واحد و هو تعلقه بالله و أما في حسه فعزلته في ابتداء حاله الانقطاع عن الناس و عن المألوفات إما في بيته و إما بالسياحة في أرض الله فإن كان في مدينة فبحيث لا يعرف و إن لم يكن في مدينة فيلزم السواحل و الجبال و الأماكن البعيدة من الناس فإن أنست به الوحوش و تألفت به و أنطقها الله في حقه فكلمته أو لم تكلمه فليعتزل عن الوحوش و الحيوانات و يرغب إلى الله تعالى في أن لا يشغله بسواه و ليثابر على الذكر الخفي و إن كان من حفاظ القرآن فيكون له منه حزب في كل ليلة يقوم به في صلاته لئلا ينساه و لا يكثر الأوراد و لا الحركات و ليرد اشتغاله إلى قلبه دائما هكذا يكون دأبه و ديدنه و أما الصمت فهو أن لا يتكلم مع مخلوق من الوحوش و الحشرات التي لزمته في سياحته أو في موضع عزلته و إن ظهر له أحد من الجن أو من الملإ الأعلى فيغمض عينه عنهم و لا يشغل نفسه بالحديث معهم و إن كلموه فإن تفرض عليه الجواب أجاب بقدر أداء الفرض بغير مزيد و إن لم يتفرض عليه سكت عنهم و اشتغل بنفسه فإنهم إذا رأوه على هذه الحالة اجتنبوه و لم يتعرضوا له و احتجبوا عنه فإنهم قد علموا أنه من شغل مشغولا بالله عن شغله به عاقبه الله أشد عقوبة و أما صمته في نفسه عن حديث نفسه فلا يحدث نفسه بشيء مما يرجو تحصيله من الله فيما انقطع إليه فإنه تضييع للوقت فيما ليس بحاصل فإنه من الأماني و إذا عود نفسه بحديث نفسه حال بينه و بين ذكر الله في قلبه فإن القلب لا يتسع للحديث و الذكر معا فيفوته السبب المطلوب منه في عزلته و صمته و هو ذكر الله تعالى الذي تتجلى به مرآة قلبه فيحصل له تجلي ربه و أما الجوع فهو التقليل من الطعام فلا يتناول منه إلا قدر ما يقيم صلبه لعبادة ربه في صلاة فريضته فإن التنفل في الصلاة قاعدا بما يجده من الضعف لقلة الغذاء أنفع و أفضل و أقوى في تحصيل مراده من الله من القوة التي تحصل له من الغذاء لأداء النوافل قائما فإن الشبع داع إلى الفضول فإن البطن إذا شبع طغت الجوارح و تصرفت في الفضول من الحركة و النظر و السماع و الكلام و هذه كلها قواطع له عن المقصود و أما السهر فإن الجوع يولده لقلة الرطوبة و الأبخرة الجالبة للنوم و لا سيما شرب الماء فإنه نوم كله و شهوته كاذبة و فائدة السهر التيقظ للاشتغال مع الله بما هو بصدده دائما فإنه إذا نام انتقل إلى عالم البرزخ بحسب ما نام عليه لا يزيد فيفوته خير كثير مما لا يعلمه إلا في حال السهر و أنه إذا التزم ذلك سرى السهر إلى عين القلب و انجلى عين البصيرة بملازمة الذكر فيرى من الخير ما شاء الله تعالى و في حصول هذه الأربعة التي هي أساس المعرفة لأهل الله و قد اعتنى بها الحارث بن أسد المحاسبي أكثر من غيره و هي معرفة الله و معرفة النفس و معرفة الدنيا و معرفة الشيطان و قد ذكر بعضهم معرفة الهوى بدلا من معرفة الله و أنشدوا في ذلك

أني بليت بأربع يرمينني بالنبل من قوس لها توتير

إبليس و الدنيا و نفسي و الهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

و قال الآخر

إبليس و الدنيا و نفسي و الهوى كيف الخلاص و كلهم أعدائي

و أما الخمسة الباطنة فإنه حدثتني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي قالت رأيت في منامي شخصا كان يتعاهدني في وقائعي و ما رأيت له شخصا قط في عالم الحس فقال لها تقصدين الطريق قالت فقلت له إي و الله أقصد الطريق و لكن لا أدري بما ذا قالت فقال لي بخمسة و هي التوكل و اليقين و الصبر و العزيمة و الصدق فعرضت رؤياها علي فقلت لها هذا مذهب القوم و سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في داخل الكتاب فإن لها أبوابا تخصها و كذلك الأربعة التي ذكرناها لها أيضا أبواب تخصها في الفصل الثاني من فصول هذا الكتاب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء السادس و العشرون

(الباب الرابع و الخمسون في معرفة الإشارات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

علم الإشارة تقريب و إبعاد و سيرها فيك تأويب و إسئاد

فابحث عليه فإن الله صيره لمن يقوم به إفك و إلحاد

تنبيه عصمة من قال الإله له كن فاستوى كائنا و القوم إشهاد

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الإشارة عند أهل طريق الله تؤذن بالبعد أو حضور الغير قال بعض الشيوخ في محاسن المجالس الإشارة نداء على رأس البعد و بوح بعين العلة يريد أن ذلك تصريح بحصول المرض فإن العلة مرض و هو قولنا أو حضور الغير و لا يريد بالعلة هنا السبب و لا العلة التي اصطلح عليها العقلاء من أهل النظر و صورة لمرض فيها إن المشير غاب عنه وجه الحق في ذلك الغير و من غاب عنه وجه الحق في الأشياء تمكنت منه الدعوى و الدعوى عين المرض و قد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلا الله و نحن و إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به و من كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم و الإشارة قد ثبتت و ظهر حكمها فلا بد من بيان ما هو المراد بها فاعلم إن الله عز و جل لما خلق الخلق خلق الإنسان أطوارا فمنا العالم و الجاهل و منا المنصف و المعاند و منا القاهر و منا المقهور و منا الحاكم و منا المحكوم و منا المتحكم و منا المتحكم فيه و منا الرئيس و الرءوس و منا الأمير و المأمور و منا الملك و السوقة و منا الحاسد و المحسود و ما خلق الله أشق و لا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهي الذين منحهم أسراره في خلقه و فهمهم معاني كتابه و إشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام و لما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم كما ذكرناه عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك و الإلحاد إلى الإشارة فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ إشارات و إن كان ذلك حقيقة و تفسيرا لمعانيه النافعة و رد ذلك كله إلى نفوسهم مع تقريرهم إياه في العموم و فيما نزل فيه كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم فعم به سبحانه عندهم الوجهين كما قال

تعالى سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ يعني الآيات المنزلة في الآفاق و في أنفسهم فكل آية منزلة لها وجهان وجه يرونه في نفوسهم و وجه آخر يرونه فيما خرج عنهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك و لا يقولون في ذلك إنه تفسير وقاية لشرهم و تشنيعهم في ذلك بالكفر عليه و ذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق و اقتدوا في ذلك بسنن الهدى فإن الله كان قادرا على تنصيص ما تأوله أهل الله في كتابه و مع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم و لو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك و يعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية و يقر القاصر بفضل غير القاصر فيها و كلهم في مجرى واحد و مع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكهم و ذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء و أن العلم لا يحصل إلا بالقلم المعتاد في العرف و صدقوا فإن أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم إلا بالتعلم و هو الإعلام الرحماني الرباني قال تعالى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ فإنه القائل أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ و قال تعالى خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ فهو سبحانه معلم الإنسان فلا نشك أن أهل الله هم ورثة الرسل عليهم السلام و الله يقول في حق الرسول وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ و قال في حق عيسى وَيُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ و قال في حق خضر صاحب موسى عليه السلام وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً فصدق علماء الرسوم عندنا فيما قالوا إن العلم لا يكون إلا بالتعلم و أخطئوا في اعتقادهم إن الله لا يعلم من ليس بنبي و لا رسول يقول الله يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ و هي العلم و جاء بمن و هي نكرة و لكن علماء الرسوم لما آثروا الدنيا على الآخرة و آثروا جانب الخلق على جانب الحق و تعودوا أخذ العلم من الكتب و من أفواه الرجال الذين من جنسهم و رأوا في زعمهم أنهم من أهل الله بما علموا و امتازوا به عن العامة حجبهم ذلك عن إن يعلموا أن لله عبادا تولى الله تعليمهم في سرائرهم بما أنزله في كتبه و على ألسنة رسله و هو العلم الصحيح عن العالم المعلم الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه و لا غير مؤمن فإن الذين قالوا إن الله لا يعلم الجزئيات ما أرادوا نفي العلم عنه بها و إنما قصدوا بذلك أنه تعالى لا يتجدد له علم بشيء بل علمها مندرجة في علمه بالكليات فأثبتوا له العلم سبحانه مع كونهم غير مؤمنين و قصدوا تنزيهه سبحانه في ذلك و إن أخطئوا في التعبير عن ذلك فتولى الله بعنايته لبعض عباده تعليمهم بنفسه بإلهامه و إفهامه إياهم فألهمها فجورها و تقواها في أثر قوله وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فبين لها الفجور من التقوى إلهاما من الله لها لتجتنب الفجور و تعمل بالتقوى كما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه كان تنزيل الفهم من الله على قلوب بعض المؤمنين به فالأنبياء عليهم السلام ما قالت على الله ما لم يقل لها و لا أخرجت ذلك من نفوسها و لا من أفكارها و لا تعملت فيه بل جاءت به من عند الله كما قال تعالى تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ و قال فيه إنه لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ و إذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان و رويته و علماء الرسوم يعلمون ذلك فينبغي إن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه و بيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم فيكون شرحه

أيضا تنزيلا من عند الله على قلوب أهل الله كما كان الأصل و كذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا الباب ما هو الا فهم يؤتيه الله من شاء من عباده في هذا القرآن فجعل ذلك عطاء من الله يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله فأهل الله أولى به من غيرهم فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم و أعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به و ألحقهم بالذين يَعْلَمُونَ ظاهِراً من الْحَياةِ الدُّنيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ وَ هُمْ في إنكارهم على أهل الله يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا و صانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات فإذا كان في غد يوم القيامة يكون الأمر في الكل كما قال القائل

سوف ترى إذا انجلى الغبار أ فرس تحتك أم حمار

كما يتميز المحقق من أهل الله من المدعي في الأهلية غدا يوم القيامة قال بعضهم

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

أين عالم الرسوم من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين أخبر عن نفسه أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرا هل هذا إلا من الفهم الذي أعطاه الله في القرآن فاسم الفقيه أولى بهذه الطائفة من صاحب علم الرسوم فإن الله يقول فيهم لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ فأقامهم مقام الرسول في التفقه في الدين و الإنذار و هو الذي يدعو إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ كما يدعو رسول الله صلى الله عليه و سلم على بصيرة لا على غلبة ظن كما يحكم عالم الرسوم فشتان بين من هو فيما يفتي به و يقوله على بصيرة منه في دعائه إلى الله و هو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ و بين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه ثم إن من شأن عالم الرسوم في الذب عن نفسه إنه يجهل من يقول فهمني ربي و يرى أنه أفضل منه و أنه صاحب العلم إذ يقول من هو من أهل الله إن الله ألقى في سرى مراده بهذا الحكم في هذه الآية أو يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في واقعتي فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه و بحكمه عنده قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه في هذا المقام و صحته يخاطب علماء الرسوم أخذتم علمكم ميتا عن ميت و أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي و أنتم تقولون حدثني فلان و أين هو قالوا مات عن فلان و أين هو قالوا مات و كان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول ما نريد نأكل قديدا هاتوا ائتوني بلحم طري يرفع هِمم أصحابه هذا قول فلان أي شيء قلت أنت ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدني أي حدثوا عن ربكم و اتركوا فلانا و فلانا فإن أولئك أكلوه لحما طريا و الواهب لم يمت و هو أقرب إليكم من حَبْلِ الْوَرِيدِ و الفيض الإلهي و المبشرات ما سد بابها و هي من أجزاء النبوة و الطريق واضحة و الباب مفتوح و العمل مشروع و الله يهرول لتلقى من أتى إليه يسعى و ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ و هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا فمن كان معك بهذه المثابة من القرب مع دعواك العلم بذلك و الايمان به لم تترك الأخذ عنه و الحديث معه و تأخذ عن غيره و لا تأخذ عنه فتكون حديث عهد بربك يكون المطر فوق رتبتك حيث برز إليه

رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه حين نزل و حسر عن رأسه حتى أصابه الماء فقيل له في ذلك فقال إنه حديث عهد بربه تعليما لنا و تنبيها ثم لتعلم إن أصحابنا ما اصطلحوا على ما جاءوا به في شرح كتاب الله بالإشارة دون غيرها من الألفاظ إلا بتعليم إلهي جهله علماء الرسوم و ذلك أن الإشارة لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير لا من جهة المشار إليه و إذا سألتهم عن شرح مرادهم بالإشارة أجروها عند السائل من علماء الرسوم مجرى الغالب مثال ذلك الإنسان يكون في أمر ضاق به صدره و هو مفكر فيه فينادي رجل رجلا آخر اسمه فرج فيقول يا فرج فيسمعه هذا الشخص الذي ضاق صدره فيستبشر و يقول جاء فرج الله إن شاء الله يعني من هذا الضيق الذي هو فيه و ينشرح صدره كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم في مصالحة المشركين لما صدوه عن البيت فجاء رجل من المشركين اسمه سهيل فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم سهل الأمر أخذه فالا فكان كما تفاءل به رسول الله صلى الله عليه و سلم فانتظم الأمر على يد سهيل و ما كان أبوه قصد ذلك حين سماه به و إنما جعله له اسما علما يعرف به من غيره و إن كان ما قصد أبوه تحسين اسم ابنه إلا الخير و لما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة استعملوها فيما بينهم و لكنهم بينوا معناها و محلها و وقتها فلا يستعملونها فيما بينهم و لا في أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم أو لأمر يقوم في نفوسهم و اصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم و سلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم كما سلكت العرب في كلامها من التشبيهات و الاستعارات ليفهم بعضهم عن بعض فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص الصريح و إذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها فلا يعرف الجليس الأجنبي ما هم فيه و لا ما يقولون و من أعجب الأشياء في هذه الطريقة و لا يوجد إلا فيها إنه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين و النجاة و أهل الهندسة و الحساب و التعليم و المتكلمين و الفلاسفة إلا و لهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله لا بد من ذلك إلا أهل هذه الطريقة خاصة إذا دخلها المريد الصادق و بهذا يعرف صدقه عندهم و ما عنده خبر بما اصطلحوا عليه فإذا فتح الله له عين فهمه و أخذ عن ربه في أول ذوقه و ما يكون عنده خبر بما اصطلحوا عليه و لم يعلم أن قوما من أهل الله اصطلحوا على ألفاظ مخصوصة فإذا قعد معهم و تكلموا باصطلاحهم على تلك الألفاظ التي لا يعرفها سواهم أو من أخذها عنهم فهم هذا المريد الصادق جميع ما يتكلمون به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح و يشاركهم في الكلام بها معهم و لا يستغرب ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضروريا لا يقدر على دفعه و كأنه ما زال يعلمه و لا يدري كيف حصل له و الدخيل من غير هذه الطائفة لا يجد ذلك إلا بموقف فهذا معنى الإشارة عند القوم و لا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير أو في تآليفهم و مصنفاتهم لا غير وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس و الخمسون في معرفة الخواطر الشيطانية)

لو أن الله يفهمنا الذي فيها من الحكم

رأيت الأمر يعلو عن مجال الفكر و الهمم

الخواطر أربعة لا خامس لها خاطر رباني و خاطر ملكي و خاطر نفسي و خاطر شيطاني و لا خامس هناك و قد ذكرنا معرفة الخواطر في هذا الكتاب و في بعض كتبنا فلنذكر في هذا الباب الخاطر الشيطاني خاصة اعلم أن الشياطين قسمان قسم معنوي و قسم حسي ثم القسم الحسي من ذلك على قسمين شيطاني إنسي و شيطاني جني يقول الله عز و جل شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ فجعلهم أهل افتراء على الله و حدث فيما بينهما في الإنسان شيطان معنوي و ذلك أن شيطان الجن و الإنس إذا ألقى منهم في قلب الإنسان أمرا ما يبعده عن الله به فقد يلقي أمرا خاصا و هو خصوص مسألة بعينها و قد يلقي أمرا عاما و يتركه فإن كان أمرا عاما فتح له في ذلك طريقا إلى أمور لا يفطن لها الجني و لا الإنسي تتفقه فيه النفس و تستنبط من تلك الشبه أمورا إذا تكلم بها تعلم إبليس الغواية فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أو لا شيطان الإنس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية لأن كل واحد من شياطين الإنس و الجن يجهلون ذلك و ما قصدوه على التعيين و إنما أرادوا بالقصد الأول فتح هذا الباب عليه لأنهم علموا إن في قوته و فطنته أن يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك و سبب ذلك الأصل الأول فإنه اتخذه أصلا صحيحا و عول عليه فلا يزل التفقه فيه يسرقه حتى خرج به عن ذلك الأصل و على هذا جرى أهل البدع و الأهواء فإن الشياطين ألقت إليهم أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فينسب ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل و لو علموا إن الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلم منه و أكثر ما ظهر ذلك في الشيعة و لا سيما في الإمامية منهم فدخلت عليهم شياطين الجن أولا بحب أهل البيت و استفراغ الحب فيهم و رأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله و كذلك هو لو وقفوا و لا يزيدون عليه إلا أنهم تعدوا من حب أهل البيت إلى طريقين منهم من تعدى إلى بغض الصحابة و سبهم حيث لم يقدموهم و تخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية فكان منهم ما قد عرف و استفاض و طائفة زادت إلى سب الصحابة القدح في رسول الله صلى الله عليه و سلم و في جبريل عليه السلام و في الله جل جلاله حيث لم ينصوا على رتبتهم و تقديمهم في الخلافة للناس حتى أنشد بعضهم ما كان من بعث الأمين أمينا و هذا كله واقع من أصل صحيح و هو حب أهل البيت أنتج في نظرهم فاسدا فضلوا و أضلوا فانظر ما أدى إليه الغلو في الدين أخرجهم عن الحد فانعكس أمرهم إلى الضد قال تعالى يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ و طائفة ألقت إليهم الشياطين أصلا صحيحا لا يشكون فيه إن النبي صلى الله عليه و سلم قال من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها ثم تركتهم بعد ما حببت إليهم العمل على هذا فجعل بعض الناس لحرصه على الخير يتفقه لكونه يريد تحصيل أجور من عمل بها فإذا سن سنة حسنة يخاف إذا نسبها إلى نفسه لا تقبل منه فيضع لأجل قبولها حديثا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك و يتأول أن ذلك داخل في حكم قوله من سن سنة حسنة فأجاز الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أن يقول عليه صلى

الله عليه و سلم ما لم يقله و لا فاه به لسانه و يرى أن ذلك خير فإن الأصول تعضده فإذا أخطر له الملك قوله صلى الله عليه و سلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار و أخطر له أيضا قوله صلى الله عليه و سلم ليس كذب علي ككذب على أحد من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يتأول ذلك كله بإلقاء الشيطان في خاطره فيقول له إنما ذلك إذا دعا إلى ضلالة و أنا ما سننت إلا خيرا فهو مأجور بالضرورة من كونه سن سنة حسنة و مأزور من كونه كذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال عنه إنه صرح بما لم يقله صلى الله عليه و سلم وكذلك إن كان من أهل الخلوات و الرياضات و استعجل الرئاسة من قبل أن يفتح الله عليه بابا من أبواب عبوديته فيلزم طريق الصدق و لا يقف مع رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل ما وقف الأول و أنه يجري إلى الافتراء على الله فينسب ذلك الذي سنه إلى الله تعالى و يتأول أنه لا فاعل إلا الله و أنه تعالى المنطق عباده و يصير من وقته لذلك أشعريا مجبورا و يقول هذا كله خير فإني ما قصدت إلا أن أعضد تلك السنة الحسنة فلم أر أشد في تقويتها من أني أسندها إلى الله تعالى كما هي في نفس الأمر خلق الله تعالى أجراها الله على لساني هذا كله يحدث به نفسه لا يقول ذلك لأحد فإذا كان مع الناس يريهم أن ذلك جاءه من عند الله كما يجيء لأولياء الله على تلك الطريق فإذا أخطر له الملك قول الله تعالى وَ من أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمن قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللهُ يتأول ذلك مع نفسه و يقول ما أنا مخاطب بهذه الآية و إنما خوطب بها أهل الدعوى الذين ينسبون الفعل إلى أنفسهم فإنه قال افترى فنسب فعل الافتراء إلى هذا القائل و أنا أقول إن الأفعال كلها لله تعالى لا إلي فهو الذي قال على لساني ألا ترى النبي صلى الله عليه و سلم قال في الصلاة إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فكذلك هذا ثم قال أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ فأضاف القول إليه و كذلك قوله إلي و من أنا حتى أقول إلي إذ الله هو المتكلم و هو السميع ثم قال سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللهُ و ما أقول أنا ذلك بل الإنزال كله من الله فإذا تفقه في نفسه في هذا كله افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً و زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فهذا أصل صحيح لهاتين الطائفتين قد ألقاه الشيطان إليهما و تركه عندهما و بقي يتفقه في ذلك فقها نفسيا فإن لم يكن الإنسان على بصيرة و تمييز من خواطره حتى يفرق بين إلقاء الشيطان و إن كان خيرا و بين إلقاء الملك و النفس و يميز بينهما ميزا صحيحا و إلا فلا يفعل فإنه لا يفلح أبدا فإن الشيطان لا يأتي إلى كل طائفة إلا بما هو الغالب عليها و ليس غرضه من الصالحين إلا أن يجهلوه في الأخذ عنه فإذا جهلوه و نسبوا ذلك إلى الله و لم يعرفوا على أي طريق وصل إليهم كأنه قنع منهم بهذا القدر من الجهل و عرف أنهم تحت سلطانه فلا يزال يستدرجه في خيريته حتى يتمكن منه في تصديق خواطره و أنها من الله فيسلخه من دينه كما تنسلخ الحية من جلدها ألا ترى صورة الجلد المسلوخ منها على صورة الحية كذلك هذا الأمر جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام في صورة شخص شيخ في ظاهر الحس لأن الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء عليهم السلام من سبيل فخواطر الأنبياء عليهم السلام كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية لا حظ للشيطان في قلوبهم و من يحفظ من الأولياء في علم الله يكون بهذه المثابة في العصمة مما يلقى لا في العصمة من وصوله إليه فالولي المعتنى به على علامة من الله فيما يلقي إليه الشيطان و سبب ذلك أنه ليس بمشرع و الأنبياء مشرعون فلذلك عصمت بواطنهم فقال لعيسى عليه السلام يا

عيسى قل لا إله إلا الله و رضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر فقال عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لا إله إلا الله فرجع خاسئا و من هنا تعلم الفرق بين العلم بالشيء و بين الايمان به و أن السعادة في الايمان و هو أن تقول ما تعلمه و ما قلته لقول رسولك الأول الذي هو موسى عليه السلام لقول هذا الرسول الثاني الذي هو محمد صلى الله عليه و سلم لا لعلمك و لا للقول الأول فحينئذ لك يشهد بالإيمان و مالك السعادة و إذا قلت ذلك لا لقوله و أظهرت أنك قلت ذلك لقوله كنت منافقا قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يريد أهل الكتاب حيث قالوا ما قالوه لأمر نبيهم عيسى أو موسى أو من كان من أهل الايمان بذلك من الكتب المتقدمة و لهذا قال لهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثم قال لهم آمَنُوا بأنبيائي قولوا لا إله إلا الله لقول محمد صلى الله عليه و سلم لا لعلمكم بذلك و لا لإيمانكم بنبيكم الأول فتجمعوا بين الإيمانين فيكون لكم أجران فيقنع الشيطان من الإنسان أن يلبس عليه بهذا القدر فلا يفرق بين ما هو من عند الله من حيث ما هو من عند الله و لا بين طريق الملك و النفس و الشيطان فالله يجعل لك علامة تعرف بها مراتب خواطرك و مما تعرف به الخواطر الشيطانية و إن كانت في لطاعة بعدم الثبوت على الأمر الواحد و سرعة الاستبدال من خاطر بأمر ما إلى خاطر بأمر آخر فإنه حريص و هو مخلوق من لهب النار و لهب النار سريع الحركة فأصل إبليس عدم البقاء على حالة واحدة في أصل نشأته فهو بحكم أصله و الإنسان له الثبوت فإنه من التراب فله البرد و اليبس فهو ثابت في شغله و كذلك الخواطر النفسية ثابتة ما لم يزلزلها الملك أو الشيطان و متعلق أصل الخواطر الشيطانية إنما هو المحظور فعلا كان أو تركا ثم يليه المكروه فعلا كان أو تركا فالأول في العامة و الثاني في العباد من العامة و قد يتعلق بالمباح في حق المبتدي من أهل طريق الله و يأتي بالمندوب في حق المتوسطين من أهل الله أصحاب السماع فإنه يستدرج كل طائفة من حيث ما هو الغالب عليها فإنه عالم بمواقع المكر و الاستدراج و يأتي العارفين بالواجبات فلا يزال بهم حتى نووا مع الله فعل أمر ما من الطاعات و هو في نفس الأمر عهد يعهده مع الله فإذا استوثق منه في ذلك و عزم و ما بقي إلا الفعل أقام له عبادة أخرى أفضل منها شرعا فيرى العارف أن يقطع زمانه بالأولى فيترك الأول و يشرع في الثاني فيفرح إبليس حيث جعله ينقض عهد الله من بعد ميثاقه و العارف لا خبر له بذلك فلو عرف من أول أن ذلك من الشيطان عرف كيف يرده و كيف يأخذه كما فعل عيسى عليه السلام و كل متمكن من أهل الله من ورثة الأنبياء فيراها مع كونها حسنة هي خواطر شيطانية و كذا جاء للمنافق من أهل الكتاب قال له أ لم تعلم أن نبيك قد بشر بهذا الرجل و قد علمت أنه هو و النبوة تجمعهما فقل له أنك رسول الله لقول نبيك لا لقوله و لا فرق بينهما فيقول المنافق عند ذلك أنك رسول الله فأكذبهم الله فقال تعالى إذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ على ما قررهم الشيطان فقال الله وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ في أنهم قالوا ذلك لقولك لا في قولهم أنك رسول الله و لو أراد ذلك كان نفيا لرسالته صلى الله عليه و سلم فقد أعلمتك بمداخل الشيطان إلى نفوس العالم لتحذره و تسأل الله أن يعطيك علامة تعرفه بها و قد أعطاك الله في العامة ميزان الشريعة و ميز لك بين فرائضه و مندوباته و مباحه و محظوره و مكروهه و نص على ذلك في كتابه و على لسان رسوله فإذا خطر لك خاطر في محظور أو مكروه فتعلم أنه من الشيطان بلا شك و إذا خطر لك خاطر في مباح فتعلم أنه من النفس بلا شك فخاطر الشيطان بالمحظور و المكروه

اجتنبه فعلا كان أو تركا و المباح أنت مخير فيه فإن غلب عليك طلب الأرباح فاجتنب المباح و اشتغل بالواجب أو المندوب غير أنك إذا تصرفت في المباح فتصرف فيه على حضور أنه مباح و أن الشارع لو لا ما أباحه لك ما تصرفت فيه فتكون مأجورا في مباحك لا من حيث كونه مباحا إلا من حيث إيمانك به أنه شرع من عند الله فإن الحكم لا ينتقل بعد موت رسول الله صلى الله عليه و سلم فإن الحكم هو عين الشرع و قد سد ذلك الباب فالمباح مباح لا يكون واجبا و لا محظورا أبدا و كذلك كل واحد من الأحكام و إن خطر لك خاطر في فرض فقم إليه بلا شك فإنه من الملك و إذا خطر لك خاطر في مندوب فاحفظ أول الخاطر فإنه قد يكون من إبليس فأثبت عليه فإذا خطر لك أن تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه و أولى فلا تعدل عن الأول و أثبت عليه و احفظ الثاني و افعل الأول و لا بد فإذا فرغت منه اشرع في الثاني فافعله أيضا فإن الشيطان يرجع خاسئا بلا شك حيث لم يتفق له مقصوده و بهذا الدواء يذهب مرض الشيطان من نفسك و تكون عمري المقام ما يلقاك الشيطان في فج إلا سلك فجا غير فجك إذا عاملته بمثل هذا فحافظ على ما نبهتك عليه فإن الله قد أثنى على الذين يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ و يكفي هذا القدر وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و الخمسون) في معرفة الاستقراء و صحته من سقمه

للاستقراء حد في المعاني ... يلازمه القوي من الرجال
له حكم و لا يعطيك علما ... فصورته كمنزلة الظلال
مزاحمة الدليل بقوم فيها ... و أين العين من شخص المثال
لمعطيك النزول إلى سفال ... منازلة الظنون و إن منها
فلا تحكم بالاستقراء قطعا ... فما عين الغزالة كالغزال
و إن ظهرت بالاستقراء علوم ... فما حكم التضمر كالهزال

خرج مسلم في صحيحه أن الله يقول شفعت الملائكة و شفع النبيون و شفع المؤمنون و بقي أرحم الراحمين فسمى نفسه عز و جل أرحم الراحمين و قال إنه خَيْرُ الْغافِرِينَ و قال في الصحيح أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فإذا استقرينا الوجود إن الكرام الأصول لا يصدر منهم إلا مكارم الأخلاق من الإحسان للمحسن و التجاوز عن المسيء و العفو عن الزلة و إقالة العثرة و قبول المعذرة و الصفح عن الجاني و أمثال هذا مما هو من مكارم الأخلاق و استقرينا ذلك فوجدنا لا يخطئ بقول شاعر العرب في ذلك أن الجياد على أعراقها تجري

و الحق أولى بصفة مكارم الأخلاق من المخلوقين فهنا تكون صحة الاستقراء في الإلهيات و أما سقم الاستقراء فلا يصح في العقائد فإن مبناها على الأدلة الواضحة فإنه لو استقرينا كل من ظهرت منه صنعة وجدناه جسما و نقول إن العالم صنعة الحق و فعله و قد تتبعنا الصناع فما وجدنا صانعا إلا ذا جسم فالحق جسم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و تتبعنا الأدلة في المحدثات فما وجدنا عالما لنفسه و إنما الدليل

يعطي أن لا يكون عالم إلا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما و حكمها فيمن قامت به أن يكون عالما و قد علمنا إن الحق عالم فلا بد أن يكون له علم و يكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به كلا بل هو الله العالم الحي القادر القاهر الخبير كل ذلك لنفسه لا بأمر زائد على ذاته إذ لو كان ذلك بأمر زائد على نفسه و هي صفات كمال لا يكون كمال الذات إلا بها فيكون كماله بزائد على ذاته و تتصف ذاته بالنقص إذا لم يقم به هذا الزائد فهذا من الاستقراء و هذا الذي دعا المتكلمين أن يقولوا في صفات الحق لا هي هو و لا هي غيره و فيما ذكرناه ضرب من الاستقراء الذي لا يليق بالجناب العالي ثم إنه لما استشعر القائلون بالزائد سلكوا في العبارة عن ذلك مسلكا آخر فقالوا ما عقلناه بالاستقراء و إنما قلنا أعطى الدليل أنه لا يكون عالم إلا من قام به العلم و لا بد أن يكون أمرا زائدا على ذات العالم لأنه من صفات المعاني يقدر رفعه مع بقاء الذات فلما أعطى الدليل ذلك طردناه شاهدا و غائبا يعني في الحق و الخلق و هذا هرب منهم و عدول عن عين الصواب ثم إنهم أكدوا ذلك بقولهم ما ذكرناه عنهم إن صفاته لا هي هو و لا هي غيره و حدوا الغيرين بحد يمنعه غيرهم و إذا سألتهم هل هي أمر زائد اعترفوا بأنها أمر زائد و هذا هو عين الاستقراء فلهذا قلنا إن الاستقراء في العلم بالله لا يصح و إن الاستقراء على الحقيقة لا يفيد علما و إنما أثبتناه في مكارم الأخلاق شرعا و عرفا لا عقلا فإن العقل يدل عليه سبحانه إنه فَعّالٌ لما يُرِيدُ لا يقاس بالمخلوق و لا يقاس المخلوق عليه و إنما الأدلة الشرعية أتت بأمور تقرر عندنا منها إنه يعامل عباده بالإحسان و على قدر ظنهم به قال تعالى وَبَدا لَهُمْ من الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ في الطرفين للوازم قررها الشارع قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في شأن النائم عن الصلاة إذا استيقظ أو الناسي إذا تذكر و قد خرج وقت الصلاة فيصليها هل يثبتها دائما في كل يوم في ذلك الوقت فلما سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم فبين أنه سبحانه ما يحمد خلقا من مكارم الأخلاق إلا و الحق تعالى أولى به بأن يعامل به خلقه و لا يذم شيئا من سفساف الأخلاق إلا و كان الجناب الإلهي أبعد منه ففي مثل هذا الفن يسوغ الاستقراء بهذه الدلالات الشرعية و أما غير ذلك فلا يكون فقد أبنت لك صحة الاستقراء من سقمه في المعاملات و أما الاستقراء في التجليات فرأينا إن الهيولى الصناعية تقبل بعض الصور لا كلها فوجدنا الخشب يقبل صورة الكرسي و المنبر و التخت و الباب و لم نره يقبل صورة القميص و لا الرداء و لا السراويل و رأينا الشقة تقبل ذلك و لا تقبل صورة السكين و السيف ثم رأينا الماء يقبل صورة لون الأوعية و ما يتجلى فيها من المتلونات فيتصف بالزرقة و البياض و الحمرة سئل الجنيد رحمه الله عن المعرفة و العارف فقال لون الماء لون إنائه ثم استقرأنا عالم الأركان كلها و الأفلاك فوجدنا كل ركن منها و كل فلك يقبل صورا مخصوصة و بعضها أكثر قبولا من بعض ثم نظرنا في الهيولى الكل فوجدناها تقبل جميع صور الأجسام و الأشكال فنظرنا في الأمور فرأيناها كلما لطفت قبلت الصور الكثيرة فنظرنا في الأرواح فوجدناها أقبل للتشكل في الصور من سائر ما ذكرناه ثم نظرنا في الخيال فوجدناه يقبل ما له صورة و يصور ما ليست له صورة فكان أوسع من الأرواح في التنوع في الصور ثم جئنا إلى الغيب في التجليات فوجدنا الأمر أوسع مما ذكرناه و رأيناه قد جعل ذلك أسماء كل اسم منها يقبل صورا لا نهاية لها في التجليات و علمنا إن الحق وراء ذلك كله لا

تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فجاء في عدم الإدراك بالاسم اللطيف إذ كانت اللطافة مما ينبو الحس عن إدراكها فتعقل و لا تشهد فتسمى في وصفه الذي تنزه أن يدرك فيه باللطيف الخبير أي تلطف عن إدراك المحدثات و مع هذا فإنه يعلم و يعقل أن ثم أمرا يستند إليه فأتى بالاسم الخبير على وزن فعيل و فعيل يرد بمعنى المفعول كقتيل بمعنى مقتول و جريح بمعنى مجروح و هو المراد هنا و الأوجه و قد يرد بمعنى الفاعل كعليم بمعنى عالم و قد يكون أيضا هو المراد هنا و لكنه يبعد فإن دلالة مساق الآية لا تعطي ذلك فإن مساقها في إدراك الأبصار لا في إدراك البصائر فإن الله قد ندبنا إلى التوصل بالعلم به فقال فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ و لا يعلم حتى ننظر في الأدلة فيؤدينا النظر فيها إلى العلم به على قدر ما تعطينا القوة في ذلك فلهذا رجحنا خبير هنا بمعنى المفعول أي أن الله يعلم و يعقل و لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فهذا القدر مما يتعلق بهذا الباب من الاستقراء و أما كونه لا يفيد العلم في هذا الموطن فإنه ما من أصل ذكرناه يقبل صورا ما إلا يجوز بل يقع و قد وقع أنه يتكرر في تلك الصور مراتب عديدة و هذا قد ورد في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل مرارا على صورة دحية الكلبي و لما لم يصح عندنا في التجلي الإلهي أن يتكرر تجل إلهي لشخص واحد مرتين و لا يظهر في صورة واحدة لشخصين علمنا إن الاستقراء لا يفيد علما فإن جناب التجلي لا يقبل التكرار فخرج عن حكم الاستقراء من وجه عدم التكرار و لحق به من حيث التحول في الصور و قد ورد التحول في حديث مسلم في حديث الشفاعة من كتاب الايمان فلا يعول على الاستقراء في شيء من الأشياء لا في الأحوال و لا في المقامات و لا في المنازل و لا في المنازلات وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع و الخمسون في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال و معرفة النفس)

لا تحكمن بإلهام تجده فقد ... يكون في غير ما يرضاه واهبه
واجعل شريعتك المثلى مصححة ... فإنها ثمر يجنيه كاسبه
له الإساءة و الحسنى معا فكما ... تعلى طرائقه تردى مذاهبه
فاحذره إن له في كل طائفة ... حكما إذا جهلت فينا مكاسبه
لا تطلبن من الإلهام صورته ... فإن وسواس إبليس يصاحبه
في شكله و على ترتيب صورته ... و إن تميز فالمعنى يقاربه

قال الله تعالى وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها من قوله أيضا كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ من عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً فجعل النفس محلا قابلا لما تلهمه من الفجور و التقوى فتميز الفجور فتجتنبه و التقوى فتسلك طريقه و من وجه آخر تطلبه الآية و هو أنه بما ألهمها عراها أن يكون لها في الفجور و التقوى كسب أو تعمل و إنما هي محل لظهور الفعل فجورا كان أو تقوى شرعا فهي برزخ وسط بين هذين الحكمين و لم ينسب سبحانه إلى نفسه خاطر المباح و لا الهامة فيها به و سبب ذلك أن المباح ذاتي لها فبنفس ما خلق عينها

ظهر عين المباح فهو من صفاتها النفسية التي لا تعقل النفس إلا به فهو على الحقيقة أعني خاطر المباح نعت خاص كالضحك للإنسان و إن لم يكن من الفصول المقومة فهو حد لازم رسمي فإن من خاصية النفس دفع المضار و استجلاب المنافع و هذا لا يوجد في أقسام أحكام الشرع إلا في قسم المباح خاصة فإنه الذي يستوي فعله و تركه فلا أجر فيه و لا وزر شرعا و هو قوله و ما سواها من التسوية و هو الاعتدال في الشيء فسواك فعدلك يمن بذلك على الإنسان و ما في أقسام أحكام الشريعة قسم يقتضي العدل و يعطي الاعتدال إلا قسم المباح فهي تطلبه بذاتها و خاصيتها فلذلك لم يصفها بأنها ملهمة فيه و ما ذكر سبحانه من الملهم لها بالفجور و التقوى فأضمر الفاعل فالظاهر أن الضمير المضمر يعود على المضمر في سواها و هو الله تعالى و من نظر في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم إن للملك في الإنسان لمة و للشيطان لمة يعني بالطاعة و هي التقوى و المعصية و هي الفجور فيكون الضمير في فَأَلْهَمَهَا للملك في التقوى و للشيطان في الفجور و لم يجمعهما في ضمير واحد لبعد المناسبة بينهما و كل بقضاء الله و قدره و لا يصح أن يقال في هذا الموضع إن الله هو الملهم بالتقوى و إن الشيطان هو الملهم بالفجور لما في هذا من الجهل و سوء الأدب لما في ذلك من غلبة أحد الخاطرين و الفجور أغلب من التقوى و أيضا لقوله تعالى ما أَصابَكَ من حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَما أَصابَكَ من سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ فإنه في تلك الآية ظاهر الاسم و السيئة فيها ما هي شرعا فتكون فجورا و إنما هي مما يسوءه و لا يوافق غرضه و هو في الظاهر قولهم فإنهم كانوا يتطيرون به صلى الله عليه و سلم أعني الكافرين فأمره سبحانه أن يقول كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً أي ما يحدث فيهم من الكوائن يقول الله عنهم إنهم يقولون إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ من عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ أي ما يسوءهم ف من عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ و هو قوله طائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ فالفاعل في فَأَلْهَمَها مضمر فإن كان الله هنا في الضمير هو الملهم بالتقوى و الشيطان هو الملهم بالفجور فقد جمع الله و الشيطان ضمير واحد و هذا غاية في سوء الأدب مع الله و ما أحسن ما جاء بالواو العاطفة في قوله وَتَقْواها فتعالى الله الملك القدوس أن يجتمع مع المطرود من رحمة الله في ضمير مع احتمال الأمر في ذلك و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم بئس الخطيب أنت لما سمعه قد جمع بين الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم في ضمير واحد فقال و من يعصهما و ما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ جمع بين الله و بين نفسه في ضمير واحد إلا بوحي من الله و هو قوله من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ و قال وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى و نحن يلزمنا ملازمة الأدب فيما لم نؤمر به و لا نهينا عنه كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله بئس الخطيب أنت و كذلك لا يترجح أن تنسب الإلهام بالفجور إلى الله فلم يبق بعد هذا الاستقصاء أن يكون الضمير في فَأَلْهَمَها بالفجور إلا الشيطان و بالواو بالتقوى إلا الملك فمقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بخالق و في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم بئس الخطيب كفاية لمن أنار الله بصيرته فقد أعلمك برتبة نفسك و إنها ليست بأمارة بالسوء من حيث ذاتها و إنما ينسب إليها ذلك من حيث إنها قابلة لإلهام الشيطان بالفجور و لجهلها بالحكم المشروع في ذلك كنفس أمرت صاحبها بارتكاب أمر لم تعلم تحريمه في الشرع أو قامت عندها شبهة بإباحة ذلك فيراه من مذهبه التحريم فيقول إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ كشرب النبيذ بين محلله و محرمه و نكاح الربيبة التي لم يجتمع فيها

الشرطان و مثل هذا في الشريعة كثير و كلا المذهبين شرع مقرر صحيح إذا كانا عن اجتهاد مع أن أحدهما أخطأ دليل الشارع الذي حكم به في تلك المسألة أو لو حكم فيها و المجتهدان مأجوران و قد يكون في المسألة أحد المجتهدين مصيبا و قد يكون كل واحد منهما مخطئا فإن الحكم في تلك المسألة شرعا ليس بمنحصر ثم إن قول الله تعالى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فما هو حكم الله عليها بذلك و إنما الله حكى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز و هل أصابت في هذه الإضافة أ و لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه بل الذي هو لها أنها لوامة نفسها إذا قبلت من الشيطان ما يأمرها به فهذا الإخبار عن النفس أنها أمارة بالسوء ما هو حكم الله عليها و لا من قول يوسف عليه السلام فبطل التمسك بهذه الآية لما دل عليه الظاهر و الدليل إذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به و أما قوله تعالى في هذا المقام كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلاءِ وَهٰؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ فهو إبانة عن حقيقة صحيحة بما هو الأمر عليه في نفسه من أنه لا حول و لا قوة إلا بالله و قوله وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً أي ممنوعا يقول إن الله يعطي على الدوام و المحال تقبل على قدر حقائق استعداداتها كما تقول إن الشمس تنبسط أنوارها على الموجودات و ما تبخل بنورها على أحد و تقبل المحال ذلك النور على قدر استعدادها و كل محل يضيف الأثر إلى الشمس و يغفل عن استعداده فالشخص المبرود يلتذ بحرارتها و الجسم المحرور يتألم بحرارتها و النور من حيث ذاته واحد و كل واحد من الشخصين يتألم بما به يتنعم صاحبه فلو كان ذلك للنور وحده لأعطى حقيقة واحدة و كذلك أعطى ما في قوته غير أنه للقابل حكم في ذلك و لا بد فإن النتيجة لا تكون إلا عن مقدمتين فيسود وجه القصار الذي يبيض الثوب فإن استعداد الثوب تعطي الشمس فيه التبيض و وجه القصار تعطي الشمس فيه السواد و كذلك النفخة الواحدة من النافخ و هي الهواء تطفئ السراج و تشعل النار الذي في الحشيش و الهواء في نفسه واحد فترد الآية من كتاب الله واحدة العين على الأسماع فسامع يفهم منها أمرا واحد أو سامع آخر لا يفهم منها ذلك الأمر و يفهم منها أمرا آخر و آخر يفهم منها أمورا كثيرة و لهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها لاختلاف استعداد الأفهام و هكذا في التجليات الإلهية فالمتجلي من حيث هو في نفسه واحد العين و اختلفت التجليات أعني صورها بحسب استعدادات المتجلي لهم و كذلك في العطايا الإلهية سواء فإذا فهمت هذا علمت إن عطاء الله ليس بممنوع إلا أنك تحب أن يعطيك ما لا يقبله استعدادك و تنسب المنع إليه فيما طلبته منه و لم تجعل بالك إلى الاستعداد فقد يستعد الشخص للسؤال و ما عنده استعداد لقبول ما سأل فيه فلو أعطيه بدلا من المنع و يقول إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و يصدق في ذلك و لكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الإلهية في العالم و ما تعطيه حقائق الأشياء و الكل من عند الله فمنعه عطاء و عطاؤه منع و لكن بقي لك أن تعلم لكذا و من كذا فقد عرفتك بالنفس و أنها المحركة للجوارح بما يغلب عليها أما من ذاتها أو مما تقبله من الملك أو الشيطان فيما يلهمها به فعلم الإلهام هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أوقره في نفسك و لكن بقي عليك إن تنظر على يدي من ألهمك و على أي طريق جاءك ذلك الإلهام من ملك أو شيطان و ما يخرج من قبيل الأمر و النهي المشروع فهو العلم اللدني ما هو الإلهام فالعلم بالطاعة الهامي و العلم نتائج الطاعة لدني ففرق ما بين العلم اللدني و الإلهام فالإلهام عارض طارئ يزول و يجيء غيره و العلم اللدني ثابت لا يبرح فمنه ما يكون في أصل

الخلقة و الجبلة كعلم الحيوانات و الأطفال الصغار ببعض منافعهم و مضارهم فهو علم ضروري لا إلهام و أما قوله وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ فإنه يريد في أصل نشأتها فطرها الله على ذلك و الإلهام هو ما يلهمه العبد من الأمور التي لم يكن يعرفها قبل ذلك و العلم اللدني الذي لا يكون في أصل الخلقة فهو العلم الذي تنتجه الأعمال فيرحم الله بعض عباده بأن يوفقه لعمل صالح فيعمل به فيورثه الله من ذلك علما من لدنه لم يكن يعلمه قبل ذلك و لا يلزم من العلم اللدني أن يكون في مادة و الإلهام لا يكون إلا في مواد و العلم يصيب و لا بد و الإلهام قد يصيب و قد يخطئ فالمصيب منه يسمى علم الإلهام و ما يخطئ منه يسمى إلهاما لا علما أي لا علم إلهام وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثامن و الخمسون)

في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين و معرفة علم إلهي فاض على القلب ففرق خواطره و شتتها

إذا أعطاك بالإلهام علما تحققه فأنت به سعيد
كمثل النحل مختلف المعاني قوي في مبانيه سديد
فتلقى طيبا عن طيب أصل و أنت لحالها أبدا شهيد
و في الأشجار و الشم الرواسي لها من فعلها قصر مشيد
فلا تعجزك للعلياء نحل و أنت السيد الندب الجليد
فمنك القصد خيرا و اختيارا كما لك في منازلك القصود
فحقق و التمس علما وحيدا كمثلك إنك الخلق الجديد

اعلم أيدك الله بروح منه أن الله عز و جل أمرنا بالعلم بوحدانيته في ألوهيته غير أن النفوس لما سمعت ذلك منه مع كونها قد نظرت بفكرها و دلت على وجود الحق بالأدلة العقلية بل بضرورة العقل بعلم وجود الباري تعالى ثم دلت على توحيد هذا الموجود الذي خلقها و أنه من المحال أن يوجد واجبا الوجود لنفسه و لا ينبغي أن يكون إلا واحدا ثم استدلوا على ما ينبغي أن يكون عليه من هو واجب الوجود لنفسه من النسب التي ظهر عنه بها ما ظهر من الممكنات و دل على إمكان الرسالة ثم جاء الرسول و أظهر من الدلائل على صدقه أنه رسول من الله إلينا فعرفنا بالأدلة العقلية أنه رسول الله فلم نشك و قام لنا الدليل العقلي على صدق ما يخبر به فيما ينسب إليه و رآه قد أتى في أخباره عنه تعالى بنسب و أمور كان الدليل العقلي يحيلها و يرمي بها فتوقف العقل و أنهم معرفته و قدح في دليله هذا الإنباء الإلهي بما نسبه لنفسه و لا يقدر على تكذيب المخبر ثم كان من بعض ما قال له هذا الشارع اعرف ربك و هذا العاقل لو لم يعلم ربه الذي هو الأصل المعول عليه ما صدق هذا الرسول فلا بد أن يكون العلم الذي طلب منه الرسول أن يعلم به ربه غير العلم الذي أعطاه دليله و هو أن يتعمل في تحصيل علم من الله بالله يقبل به على بصيرة هذه الأمور التي نسبها الله إلى نفسه و وصف نفسه بها التي أحالها العقل بدليله فانقدح له بتصديقه الرسول إن ثم

وراء العقل و ما يعطيه بفكره أمرا آخر يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه الأدلة العقلية بل تحيله قولا واحدا فإذا علمه بهذه القوة التي عرف أنها وراء طور العقل هل يبقى له الحكم فيما كان يحيله العقل من حيث فكره أولا على ما كان عليه أم لا يبقى فإن لم يبق له الحكم بأن ذلك محال فلا بد أن يعثر على الوجه الذي وقع له منه الغلط بلا شك و أن ذلك الذي اتخذه دليلا على إحالة ذلك على الله لم يكن دليلا في نفس الأمر و إذا كان هذا فما ذلك الأمر مما هو وراء طور العقل فإن العقل قد يصيب و قد يخطئ و إن بقي للعقل بعد كشفه و تحقيقه لصحة هذا الأمر الذي نسبه الله لنفسه و وصف به نفسه و قبلته عقول الأنبياء و قبله عقل هذا المكاشف بلا شك و لا ريب و مع هذا فإنه يحكم على الله بأن ذلك الأمر محال عقلا من حيث فكره لا من حيث قبوله و حينئذ يصح أن يكون ذلك المقام وراء طور العقل من جهة أخذه عن الفكر لا من جهة أخذه عن الله هذا و من أعجب الأمور عندنا إن يكون الإنسان يقلد فكره و نظره و هو محدث مثله و قوة من قوى الإنسان التي خلقها الله فيه و جعل تلك القوة خديمة للعقل و يقلدها العقل فيما تعطيه هذه القوة و يعلم أنها لا تتعدى مرتبتها و أنها تعجز في نفسها عن إن يكون لها حكم قوة أخرى مثل القوة الحافظة و المصورة و المتخيلة و القوي التي هي الحواس من لمس و طعم و شم و سمع و بصر و مع هذا القصور كله يقلدها العقل في معرفة ربه و لا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط و كل صاحب فكر تحت حكم هذا الغلط بلا شك إلا من نور الله بصيرته فعرف إن الله قد أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فأعطى السمع خلقه فلا يتعدى إدراكه و جعل العقل فقيرا إليه يستمد منه معرفة الأصوات و تقطيع الحروف و تغيير الألفاظ و تنوع اللغات فيفرق بين صوت الطير و هبوب الرياح و صرير الباب و خرير الماء و صياح الإنسان و يعار الشاة و ثؤاج الكباش و خوار البقر و رغاء الإبل و ما أشبه هذه الأصوات كلها و ليس في قوة لعقل من حيث ذاته إدراك شيء من هذا ما لم يوصله إليه السمع و كذلك القوة البصرية جعل الله العقل فقيرا إليها فيما توصله إليه من المبصرات فلا يعرف الخضرة و لا الصفرة و لا الزرقة و لا البياض و لا السواد و لا ما بينهما من الألوان ما لم ينعم البصر على العقل بها و هكذا جميع القوي المعروفة بالحواس ثم إن الخيال فقير إلى هذه الحواس فلا يتخيل أصلا إلا ما تعطيه هذه القوي ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوي لا يبقى في الخيال منها شيء فهو فقير إلى الحواس و إلى القوة الحافظة ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع تحول بينها و بين الخيال فيفوت الخيال أمور كثيرة من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف لوجود المانع فافتقر إلى القوة المذكرة فتذكره ما غاب عنه فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك ثم إن القوة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال افتقرت إلى القوة المصورة لتركب بها مما ضبطه الخيال من الأمور صورة دليل على أمر ما و برهان تستند فيه إلى المحسوسات أو الضرورات و هي أمور مركوزة في الجبلة فإذا تصور الفكر ذلك الدليل حينئذ يأخذه العقل منه فيحكم به على المدلول و ما من قوة إلا و لها موانع و أغاليط فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت فانظر يا أخي ما أفقر العقل حيث لا يعرف شيئا مما ذكرناه إلا بوساطة هذه القوي و فيها من العلل ما فيها فإذا أنفق للعقل أن يحصل شيئا من هذه الأمور بهذه الطرق ثم أخبره الله بأمر ما توقف في قبوله و قال إن الفكر يرده فما أجهل هذا العقل بقدر ربه كيف قلد فكره و

جرح ربه فقد علمنا إن العقل ما عنده شيء من حيث نفسه و أن الذي يكتسبه من العلوم إنما هو من كونه عنده صفة القبول فإذا كان بهذه المثابة فقبوله من ربه لما يخبر به عن نفسه تعالى أولى من قبوله من فكره و قد عرف أن فكره مقلد لخياله و أن خياله مقلد لحواسه و مع تقليده فهو غير قوي على إمساك ما عنده ما لم تساعده على ذلك القوة الحافظة و المذكرة و مع هذه المعرفة بأن القوي لا تتعدى خلقها و ما تعطيه حقيقتها و أنه بالنظر إلى ذاته لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها لا يقبل قول من يقول له إن ثم قوة أخرى وراءك تعطيك خلاف ما أعطتك القوة المفكرة نالها أهل الله من الملائكة و الأنبياء و الأولياء و نطقت بها الكتب المنزلة فاقبل منها هذه الأخبار الإلهية فتقليد الحق أولى وقد رأيت عقول الأنبياء على كثرتهم و الأولياء قد قبلتها و آمنت بها و صدقتها و رأت أن تقليدها ربها في معرفة نفسه أولى من تقليد أفكارها فما لك أيها العاقل المنكر لها لا تقبلها ممن جاء بها و لا سيما عقول تقول إنها في محل الايمان بالله و رسله وكتبه ولما رأت عقول أهل الايمان بالله تعالى إن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية علمت إن ثم علما آخر بالله لا تصل إليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات و الخلوات و المجاهدات و قطع العلائق و الانفراد و الجلوس مع الله بتفريغ المحل و تقديس القلب عن شوائب الأفكار إذ كان متعلق الأفكار الأكوان و اتخذت هذه الطريقة من الأنبياء و الرسل و سمعت أن الحق جل جلاله ينزل إلى عباده و يستعطفهم فعلمت إن الطريق إليه من جهته أقرب إليه من الطريق من فكرها و لا سيما أهل الايمان و قد سمعت قوله تعالى من أتاني يسعى أتيته هرولة و إن قلبه وسع جلال الله و عظمته فتوجه إليه بكله و انقطع من كل ما يأخذ عنه من هذه القوي فعند هذا التوجه أفاض الله عليه من نوره علما إلهيا عرفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة و التجلي لا يقبله كون و لا يرده و لذلك قال إِنَّ فِي ذَلِكَ يشير إلى العلم بالله من حيث المشاهدة لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ و لم يقل غير ذلك فإن القلب معلوم بالتقليب في الأحوال دائما فهو لا يبقى على حالة واحدة فكذلك التجليات الإلهية فمن لم يشهد التجليات بقلبه ينكرها فإن العقل يقيد و غيره من القوي إلا القلب فإنه لا يتقيد و هو سريع التقلب في كل حال و لذا قال الشارع إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فهو يتقلب بتقلب التجليات و العقل ليس كذلك فالقلب هو القوة التي وراء طور العقل فلو أراد الحق في هذه الآية بالقلب أنه العقل ما قال لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فإن كل إنسان له عقل و ما كل إنسان يعطي هذه القوة التي وراء طور العقل المسماة قلبا في هذه الآية فلذلك قال لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فالتقليب في القلب نظير التحول الإلهي في الصور فلا تكون معرفة الحق من الحق إلا بالقلب لا بالعقل ثم يقبلها العقل من القلب كما يقبل من الفكر فلا يسعه سبحانه إلا أن يقلب ما عندك و معنى قلب ما عندك هو أنك علقت المعرفة به عز و جل و ضبطت عندك في علمك أمرا ما و أعلى أمر ضبطته في علمك به أنه لا ينضبط سبحانه و لا يتقيد و لا يشبه شيئا و لا يشبه شيء فلا ينضبط مضبوط لتميزه عما ينضبط فقد انضبط ما لا ينضبط مثل قولك العجز عن درك الإدراك إدراك و الحق إنما وسعه القلب و معنى ذلك أن لا يحكم على الحق تعالى بأنه لا يقبل و لا يقبل فإن ذات الحق و أنيته مجهولة عند الكون و لا سيما و قد أخبر جل جلاله عن نفسه بالنقيضين في الكتاب و السنة فشبه في موضع و نزه في موضع ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و شبيه بقوله وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فتفرقت خواطر التشبيه و

تشتت خواطر التنزيه فإن المنزه على الحقيقة قد قيده و حصره في تنزيهه و أخلى عنه التشبيه و المشبه أيضا قيده و حصره في التشبيه و أخلى عنه التنزيه و الحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين فلا ينزه تنزيها يخرج عن التشبيه و لا يشبه تشبيها يخرج عن التنزيه فلا تطلق و لا تقيد لتميزه عن التقييد و لو تميز تقيد في إطلاقه و لو تقيد في إطلاقه لم يكن هو فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال و هو المطلق بما سمي به نفسه من أسماء الكمال و هو الواحد الحق الجلي الخفي لا إله إلا هو العلي العظيم (وصل) و أما أسرار أهل الإلهام المستدلين فلا تتجاوز سدرة المنتهى فإن إليها تنتهي أعمال بنى آدم و نهاية كل أمر إلى ما منه بدا فإن قال لك عارف ممن لا علم له بهذا الأمر إن الكرسي موضع القدمين فقل له ذلك عالم الخلق و الأمر و التكليف إنما انقسم من السدرة فإنه قطع أربع مراتب و السدرة هي المرتبة الخامسة فنزل من قلم إلى لوح إلى عرش إلى كرسي إلى سدرة فظهر الواجب من القلم و المندوب من اللوح و المحظور من العرش و المكروه من الكرسي و المباح من السدرة و المباح قسم النفس و إليها تنتهي نفوس عالم السعادة و لأصولها و هي الزقوم تنتهي نفوس أهل الشقاء و قد بيناها في كتاب التنزلات الموصلية في باب يوم الإثنين و إذا ظهرت قسمة الأحكام من السدرة فإذا صعدت الأعمال التي لا تخلو من أحد هذه الأحكام لا بد أن تكون نهايتها إلى الموضع الذي منه ظهرت إذ لا تعرف من كونها منقسمة إلى السدرة ثم يكون من العقل الذي هو القلم نظر إلى الأعمال المفروضة فيمدها بحسب ما يرى فيها و يكون من اللوح نظر إلى الأعمال المندوب إليها فيمدها بحسب ما يرى فيها و يكون من العرش نظر إلى المحظورات و هو مستوي الرحمن فلا ينظرها إلا بعين الرحمة و لهذا يكون مال أصحابها إلى الرحمة و يكون من الكرسي نظر إلى الأعمال المكروهة فينظر إليها بحسب ما يرى فيها و هو تحت حيطة العرش و العرش مستوي الرحمن و الكرسي موضع القدمين فيسرع العفو و التجاوز عن أصحاب المكروه من الأعمال و لهذا يؤجر تاركها و لا يؤاخذ فاعلها فكتاب الأبرار في عليين و يدخل فيهم العصاة أهل الكبائر و الصغائر و أما كتاب الفجار ففي سجين و فيه أصول السدرة التي هي شجرة الزقوم فهناك تنتهي أعمال الفجار في أسفل سافلين فإن رحمهم الرحمن من عرش الرحمانية بالنظرة التي ذكرناها جعل لهم نعيما في منزلهم فلا يموتون فيه و لا يحيون فهم في نعيم النار دائمون مؤبدون كنعيم النائم بالرؤيا التي يراها في حال نومه من السرور و ربما يكون في فراشه مريضا ذا بؤس و فقر و يرى نفسه في المنام ذا سلطان و نعمة و ملك فإن نظرت إلى النائم من حيث ما يراه في منامه و يلتذ به قلت إنه في نعيم و صدقت و إن نظرت إليه من حيث ما تراه في فراشه الخشن و مرضه و يأسه و فقره و كلومه قلت إنه في عذاب هكذا يكون أهل النار ف لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَ لاَ يَحْيى أي لا يستيقظ أبدا من نومته فتلك الرحمة التي يرحم الله بها أهل النار الذين هم أهلها و أمثالها كالمحرور منهم بتنعم بالزمهرير و المقرور منهم يجعل في الحرور و قد يكون عذابهم توهم وقوع العذاب بهم و ذلك كله بعد قوله لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ العذاب وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ذلك زمان عذابهم و أخذهم بجرائمهم قبل أن تلحقهم الرحمة التي سبقت الغضب الإلهي فإذا اطلع أهل الجنان في هذه الحالة على أهل النار و رأوا منازلهم في النار و ما أعد الله فيها و ما هي عليه من قبح المنظر قالوا معذبون و إذا كوشفوا على الحسن المعنوي الإلهي في خلق ذلك المسمى قبحا و رأوا ما هم فيه في نومتهم و علموا أحوال أمزجتهم قالوا منعمون فسبحان

القادر على ما يشاء لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فقد فهمت قول الله تعالى لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى و قول رسول الله صلى الله عليه و سلم أما أهل النا ر الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها و لا يحيون وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب التاس و الخمسون في معرفة الزمان الموجود و المقد ر)

إن الزمان إذا حققت حاصله	محقق فهو بالأوهام معلوم
مثل الطبيعة في التأثير قوته	و العين منها و منه فيه معدوم
به تعينت الأشياء و ليس له	عين يكون عليه منه تحكيم
العقل يعجز عن إدراك صورته	لذا نقول بأن الدهر موهوم
لو لا التنزه ما سمي الإله به	وجوده فله في القلب تعظيم
أصل الزمان إذا أنصفت من أزل	فحكمه أزلي و هو محكوم
مثل الخلأ امتداد ما له طرف	في غير جسم بوهم فيه تجسيم

اعلم أولا أن الله تعالى هو الأول الذي لا أولية لشيء قبله و لا أولية لشيء يكون قائما به أو غير قائم به معه فهو الواحد سبحانه في أوليته فلا شيء واجب الوجود لنفسه إلا هو فهو الغني بذاته على الإطلاق عن العالمين قال تعالى فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ بالدليل العقلي و الشرعي فوجود العالم لا يخلو ما أن يكون وجوده عن الله لنفسه سبحانه أو لأمر زائد ما هو نفسه إذ لو كان نفسه لم يكن زائدا و لو كان نفسه أيضا لكان مركبا في نفسه و كانت الأولية لذلك الأمر الزائد و قد فرضنا أنه لا أولية لشيء معه و لا قبله فإذا لم يكن ذلك الأمر الزائد نفسه فلا يخلو إما أن يكون وجودا أو لا وجودا محال أن يكون لا وجود فإن لا وجود لا يصح أن يكون له أثر إيجاد فيما هو موصوف بأن لا وجود و هو العالم فليس أحدهما بأولى بتأثير الإيجاد من الآخر إذ كلاهما أن لا وجود فإن لا وجود لا أثر له لأنه عدم و محال أن يكون وجودا فإنه لا يخلو عند ذلك إما أن يكون وجوده لنفسه أو لا يكون محال أن يكون وجوده لنفسه فإنه قد قام الدليل على إحالة أن يكون في الوجود اثنان واجبا الوجود لأنفسهما فلم يبق إلا أن يكون وجوده بغيره و لا معنى لا مكان العالم إلا أن وجوده بغيره فهو العالم إذن أو من العالم و لو كان وجود العالم عن الله لنسبة ما لولاها ما وجد العالم تسمى تلك النسبة إرادة أو مشيئة أو علما أو ما شئت مما يطلبه وجود الممكن فيكون الحق تعالى بلا شك لا يفعل شيئا إلا بتلك النسبة و لا معنى للافتقا ر إلا هذا و هو محال على الله فإن الله له الغني على الإطلاق فهو كما قال غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فإن قيل إن المراد بالنسبة عين ذاته قلنا فالشيء لا يكون مفتقرا إلى نفسه فإنه غني لنفسه فيكون الشيء الواحد فقيرا من حيث ما هو غني كل ذلك لنفسه و هو محال و قد نفينا الأمر الزائد فاقتضى ذلك أن يكون وجود العالم من حيث ما هو موجود بغيره مرتبطا بالواجب الوجود لنفسه و إن عين الممكن محل تأثير الواجب الوجود لنفسه بالإيجاد و لا يعقل إلا هكذا فمشيئته و إرادته و علمه و قدرته ذاته تعالى الله أن يتكثر في ذاته

علوا كبيرا بل له الوحدة المطلقة و هو الواحد الأحد الله الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ فيكون مقدمة وَلَمْ يُولَدْ فيكون نتيجة وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ فيكون به وجود العالم نتيجة عن مقدمتين عن الحق و الكفؤ تعالى الله و بهذا وصف نفسه سبحانه في كتابه لما سئل النبي صلى الله عليه و سلم عن صفة ربه فنزلت سورة الإخلاص تخلصت من الاشتراك مع غيره تعالى الله في تلك النعوت المقدسة و الأوصاف فما من شيء نفاه في هذه السورة و لا أثبته إلا و ذلك المنفي أو المثبت مقالة في الله لبعض الناس و بعد أن بينا لك ما ينبغي أن يكون عليه من نحن مفتقرون إليه و هو الله سبحانه فلنبين ما بوبنا عليه فاعلم أن نسبة الأزل إلى الله نسبة الزمان إلينا و نسبة الأزل نعت سلبي لا عين له فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود فيكون الزمان للممكن نسبة متوهمة الوجود لا موجودة لأن كل شيء تفرضه يصح عنه السؤال بمتى و متى سؤال عن زمان فلا بد أن يكون الزمان أمرا متوهما لا وجودا و لهذا أطلقه الحق على نفسه في قوله وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً وِلِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ و في السنة تقرير قول السائل أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه و لو كان الزمان أمرا وجوديا في نفسه ما صح تنزيه الحق عن التقييد إذ كان حكم الزمان يقيده فعرفنا أن هذه الصيغ ما تحتها أمر وجودي ثم نقول إن لفظة الزمان اختلف الناس في معقولها و مدلولها فالحكماء تطلقه بإزاء أمور مختلفة و أكثرهم على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك و المتكلمون يطلقونه بإزاء أمر آخر و هو مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى و العرب تطلقه و تريد به الليل و النهار و هو مطلوبنا في هذا الباب و الليل و النهار فصلا اليوم فمن طلوع الشمس إلى غروبها يسمى نهارا و من غروب الشمس إلى ما طلوعها يسمى ليلا و هذه العين المفصلة تسمى يوما و أظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى و ما في الوجود العيني إلا وجود المتحرك لا غير و ما هو عين الزمان فرجع محصول ذلك إلى أن الزمان أمر متوهم لا حقيقة له و إذا تقرر هذا فاليوم المعقول المقدر هو المعبر عنه بالزمان الموجود و به تظهر الجمعات و الشهور و السنون و الدهور و تسمى أيا و تقدر بهذا اليوم الأصغر المعتاد الذي فصله الليل و النهار فالزمان المقدر هو ما زاد على هذا اليوم الأصغر الذي تقدر به سائر الأيام الكبار فيقال في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ و قال في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ و قال عليه السلام في أيام الدجال يوم كسنة و يوم كشهر و يوم كجمعة و سائر أيامه كأيامكم فقد يكون هذا الشدة الهول فرفع الإشكال ظاهر إتمام الحديث في قول عائشة فكيف يفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال يقدر لها فلو لا أن الأمر في حركات الأفلاك على ما هو عليه باق ما اختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعمل صورتها أهل هذا العلم فيعلمون بها الأوقات في أيام الغيم إذ لا ظهور للشمس فيكون في أول خروج الدجال تكثر الغيوم و تتوالى بحيث أن يستوي في رأى العين وجود الليل و النهار و هو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا و بين السماء و الحركات كما هي فتظهر الحركات في الصنائع العملية التي عملها أهل صنعة العلماء بالهيئة و مجاري النجوم فيقدرون بها الليل و النهار و ساعات الصلوات بلا شك و لو كان ذلك اليوم الذي هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر للصلوات فإنا ننتظر زوال الشمس فما لم نزل لا نصلي الظهر المشروع و لو أقامت لا تزول ما مقداره عشرون ألف سنة لم يكلفنا الله غير ذلك فلما قرر الشارع العبادة بالتقدير عرفنا أن حركات الأفلاك على بابها لم يختل نظامها فقد أعلمتك ما هو الزمان و ما معنى

نسبة الوجود إليه و نسبة التقدير فالأيام كثيرة و منها كبير و صغير فأصغرها الزمن الفرد و عليه يخرج كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فسمى الزمن الفرد يوما لأن الشأن يحدث فيه فهو أصغر الأزمان و أدقها و لا حد لأكبرها يوقف عنده و بينهما أيام متوسطة أولها اليوم المعلوم في العرف و تفصله الساعات و الساعات تفصلها الدرج و الدرج تفصله الدقائق و هكذا إلى ما لا يتناهى عند بعض الناس فإنهم يفصلون الدقائق إلى ثوان فلما دخلها حكم العدد كان حكمها العدد و العدد لا يتناهى فالتفصيل في ذلك لا ينتهي و بعض الناس يقولون بالتناهي في ذلك و ينظرونه من حيث المعدود و هم الذين يثبتون أن للزمان عينا موجودة و كل ما دخل في الوجود فهو متناه بلا شك و المخالف يقول المعدود من كونه يعد ما دخل في الوجود فلا يوصف بالتناهي فإن العدد لا يتصف بالتناهي و بهذا يحتج منكر الجوهر الفرد و إن الجسم ينقسم إلى ما لا نهاية له في العقل و هي مسألة خلاف بين أهل النظر حدثت من عدم الإنصاف و البحث عن مدلول الألفاظ و قد ورد في الخبر الصحيح أن من أسماء الله الدهر و معقولية الدهر معلومة نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء السابع و العشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الستون)

في معرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي و في أي دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى و أية روحانية لنا

و هي البنات لعالم الأفلاك ... أن لعناصر أمهات أربع
في عالم الأركان و الأملاك ... عنها تولدنا فكان وجودنا
من حكم سنبلة بلا إشراك ... جعل الإله غذاءنا بسنابل
سبع بقول ليس من أفاك ... وكذاك ضاعف أجرنا بسنابل
بتكرر الأضواء و الأحلاك ... و زماننا سبع من الآلاف جا

المركبات الركن الواحد الماء المركب مما يلي الأرض لأنه بارد رطب فلم يكن له قوة الصعود فبقي على الأرض تمسكه بما فيها من اليبوسة عليها و الآخر النار و هي أكرة الأثير مما يلي السماء لأنه حار يابس فلم يكن له طبع النزول إلى الأرض فبقي مما يلي السماء من أجل حرارته و اليبوسة تمسكه هناك وحدث ما بين النار و الماء ركن الهواء من حرارة النار و رطوبة الماء فلا يستطيع أن يلحق بالنار فإن ثقل الرطوبة يمنعه أن يكون بحيث النار و إن طلبت الرطوبة تنزله إلى أن يكون بحيث الماء تمنعه الحرارة من النزول فلما تمانعا لم يبق إلا أن يكون بين الماء و النار لأنهما يتجاذبانه على السواء فذلك المسمى هواء فقد بان لك مراتب العناصر و ماهيتها و من أين ظهرت و أصل الطبيعة و لما دارت الأفلاك و مخضت الأركان بما حملته مما ألقت فيها في هذا النكاح المعنوي و ظهرت المولدات من كل ركن بحسب ما يقتضيه حقيقة ذلك الركن فظهرت

أمم العالم و ظهرت الحركة المنكوسة و الحركة الأفقية فلما انتهى الحكم إلى السنبلة ظهرت النشأة الإنسانية بتقدير العزيز العليم فأنشأ الله عز و جل الإنسان من حيث جسمه خلقا سويا و أعطاه الحركة المستقيمة و جعل الله لها من الولاية في العالم العنصري سبعة آلاف سنة و ينتقل الحكم إلى الميزان و هو زمان القيامة و فيه يضع الله الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا و لما لم يكن الحكم له بما أودع الله فيه من العدل في الدنيا شرع الموازين فلم يعمل بها إلا القليل من الناس و هم النبيون خاصة و من كان محفوظا من الأولياء و لما كانت القيامة محل سلطان الميزان لم تظلم نفس شيئا قال الله تعالى وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ يعني من العمل أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ و لما كان للعذراء السبعة من الأعداد كانت لها السبعة و السبعون و السبعمائة من الأعداد في تضاعف الأجور و ضرب الأمثال في الصدقات فقال تعالى مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ إلى سبعة آلاف إلى سبعين ألفا إلى سبعمائة ألف إلى ما لا نهاية له و لكن من حساب السبعة و إنما كانت الفروض المقدرة في الفلك الأطلس اثني عشر فرضا لأن منتهى أسماء العدد إلى اثني عشر اسما و هو من الواحد إلى العشرة إلى المائة و هو الحادي عشر إلى الألف و هو الثاني عشر و ليس وراءه مرتبة أخرى و يكون التركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية له بهذه الأسماء خاصة و يدخل الناس الجنة و النار و ذلك في أول الحادية إحدى عشرة درجة من الجوزاء و تستقر كل طائفة في دارها و لا يبقى في النار من يخرج بشفاعة و لا بعناية إلهية و يذبح الموت بين الجنة و النار و يرجع الحكم في أهل الجنة بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودع الله في حركات الفلك الأقصى و به يقع التكوين في الجنة بحسب ما تعطيه نشأة الدار الآخرة فإن الحكم أبدا في القوابل فإن الحركة واحدة و آثارها تختلف بحسب القوابل و سبب ذلك حتى لا يستقل أحد من الخلق بفعل و لا بأمر دون مشاركة فيتميز بذلك فعل الله الذي يفعل لا بمشاركة من فعل المخلوق فالمخلوق أبدا في محل الافتقار و العجز و الله الغني العزيز و يكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الذي أودعه الله تعالى في حركات الفلك الأقصى و في الكواكب الثابتة و في سباحة الدراري السبعة و المطموسة الأنوار فهي كواكب لكنها ليست بثواقب فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة فيقرب حكم النار من حكم الدنيا فليس بعذاب خالص و لا بنعيم خالص و لهذا قال تعالى لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى فلم يخلصه إلى أحد الوجهين و كذلك قال صلى الله عليه و سلم أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها و لا يحيون و قد قدمنا في الباب الذي قبل هذا صورة النعيم و العذاب و سبب ذلك أنه بقي ما أودع الله عليهم في الأفلاك و حركات الكواكب من الأمر الإلهي و تغير منه على قدر ما تغير من صور الأفلاك بالتبديل و من الكواكب بالطمس و الانتثار فاختلف حكمها بزيادة و نقص لأن التغيير وقع في الصور لا في الذوات و اعلم أن الله تعالى لما تسمى بالملك رتب العالم ترتيب المملكة فجعل له خواص من عباده و هم الملائكة المهيمة جلساء الحق تعالى بالذكر لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ثم اتخذ حاجبا من الكروبيين واحدا أعطاه علمه في خلقه و هو علم مفصل في إجمال فعلمه سبحانه كان فيه مجلى له و سمي ذلك الملك نونا فلا يزال معتكفا في حضرة علمه عز و جل و هو رأس

الديوان الإلهي و الحق من كونه عليما لا يحتجب عنه ثم عين من ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة سماه القلم و جعل منزلته دون النون و اتخذه كاتبا فيعلمه الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه بوساطة النون و لكن من العلم الإجمالي و مما يحوي عليه العلم الإجمالي علم التفصيل و هو من بعض علوم الإجمال لأن العلوم لها مراتب من جملتها علم التفصيل فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملة إلا علم التفصيل مطلقا و بعض العلوم المفصلة لا غير و اتخذ هذا الملك كاتب ديوانه و تجلى له من اسمه القادر فأمده من هذا التجلي الإلهي و جعل نظره إلى جهة عالم التدوين و التسطير فخلق له لوحا و أمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصة و أنزله منه منزلة التلميذ من الأستاذ فتوجهت عليه هنا الإرادة الإلهية فخصصت له هذا القدر من العلوم المفصلة و له تجليان من الحق بلا واسطة و ليس للنون سوى تجل واحد في مقام أشرف فإنه لا يدل تعدد التجليات و لا كثرتها على الأشرفية و إنما الأشرف من له المقام الأعم فأمر الله النون أن يمد القلم بثلاثمائة و ستين علما من علوم الإجمال تحت كل علم تفاصيل و لكن معينة منحصرة لم يعطه غيرها يتضمن كل علم إجمالي من تلك العلوم ثلاثمائة و ستين علما من علوم التفصيل فإذا ضربت ثلاثمائة و ستين في مثلها فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصة ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا لا يزيد و لا ينقص و لهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاثمائة و ستين درجة و كل درجة مجملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق و الثواني و الثوالث إلى ما شاء الله سبحانه مما يظهره في خلقه إلى يوم القيامة و سمي هذا القلم الكاتب ثم إن الله سبحانه و تعالى أمر أن يولي على عالم الخلق اثني عشر واليا يكون مقرهم في الفلك الأقصى منا في بروج فقسم الفلك الأقصى اثني عشر قسما جعل كل قسم منها برجا لسكنى هؤلاء الولاة مثل أبراج سور المدينة فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها كل وال على تخت في برجه و رفع الله الحجاب الذي بينهم و بين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا أسماءهم و مراتبهم و ما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة فارتقم ذلك كله في نفوسهم و علموه علما محفوظا لا يتبدل و لا يتغير ثم جعل الله لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان أوامرهم إلى نوابهم و جعل بين كل حاجبين سفيرا يمشي بينهما بما يلقى إليه كل واحد منهما و عين الله لهؤلاء الذين جعلهم الله حجابا لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها و أنزلهم إليها و هي الثمانية و العشرون منزلة التي تسمى المنازل التي ذكرها الله في كتابه فقال وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ يعني في سيره ينزل كل ليلة منزلة منها إلى أن ينتهي إلى آخرها ثم يدور دورة أخرى لِتَعْلَمُوا بسيره و سير الشمس فيها و الخنس عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فصله الحق لنا تفصيلا فاسكن في هذه المنازل هذه الملائكة و هم حجاب أولئك الولاة الذين في الفلك الأقصى ثم إن الله تعالى أمر هؤلاء الولاة أن يجعلوا نوابا لهم و نقباء في السموات السبع في كل سماء نقيبا كالحاجب لهم ينظر في مصالح العالم العنصري بما يلقون إليهم هؤلاء الولاة و يأمرونهم به و هو قوله وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساما نيرة مستديرة و نفخ فيها أرواحها و أنزلها في السموات السبع في كل سماء واحد منهم و قال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر واليا بوساطة الحجاب الذين هم ثمانية و عشرون كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من

هؤلاء السبعة النقباء فلكا يسبح فيه هو له كالجواد للراكب و هكذا الحجاب لهم أفلاك يسبحون فيها إذ كان لهم التصرف في حوادث العالم و الاستشراف عليه و لهم سدنة و أعوان يزيدون على الألف و أعطاهم الله مراكب سماها أفلاكا فهم أيضا يسبحون فيها و هي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلا من ملك السموات و الأرض فيدور الولاة و هؤلاء الحجاب و النقباء و السدنة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة و الكل مسخرون في حقنا إذ كنا المقصود من العالم قال تعالى وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ و أنزل الله في التوراة يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي و هكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كل يوم على أحوال أهل ملكه يقول تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ لأنه يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بلسان حال و لسان مقال وَ لا يَؤُدُهُ حفظ العالم وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فما له شغل إلا بها يقول تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ و لو لا وجود الملك ما سمي الملك ملكا فحفظه لملكه حفظه لبقاء اسم الملك عليه و إن كان كما قال فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فما جاء باسم الملك فإن أسماء الإضافة لا تكون إلا بالمضاف فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته و لا يمشي بالعدل فيهم و لا يعاملهم بالإحسان الذي يليق بهم فقد عزل نفسه في نفس الأمر و يقول الفقهاء إن الحاكم إذا فسق أو جار فقد انعزل شرعا و لكن عندنا انعزل شرعا فيما فسق فيه خاصة لأنه ما حكم بما شرع له أن يحكم به فقد أثبتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ولاة مع جورهم فقال عليه السلام فينا و فيهم فإن عدلوا فلكم و لهم و إن جاروا فلكم و عليهم و نهى أن نخرج يدا من طاعة و ما خص بذلك واليا من وال فلذلك زدنا في عزله شرعا إنما ذلك فيما فسق فيه فالملك مأمور أن يحفظ نفسه من الخروج مما حد له من الأحكام في رعاياه و في نفسه فإنه وال على نفسه كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته فالإنسان راع على نفسه فما زاد و لذلك قال صلى الله عليه و سلم إن لنفسك عليك حقا و لعينك عليك حقا الحديث فمن لم يف لمن بايعه بما بايعه عليه فقد عزل نفسه و ليس بملك و إن كان حاكما فما كل حاكم يكون سلطانا فإن السلطان من تكون له الحجة لا عليه و لهذا جعل الله الأفلاك تدور علينا كل يوم دورة لتنظر الولاة ما تدعو حاجة الخلق إليهم فيسدون الخلل و ينفذون أحكام الله تعالى من كونه مريدا في خلقه لا من كونه آمرا فينفذون أحكامه التي أمرهم سبحانه أن ينفذوها فيهم و هو القضاء و القدر في أزمان مختلفة فكل شيء بقضاء و قدر حتى العجز و الكيس و كل صغير و كبير مستطر في اللوح المحفوظ فما فيه إلا ما يقع و لا ينفذ هؤلاء الولاة في العالم إلا ما فيه و الله على كل شيء رقيب و مع هذا كله فإن الله له مع كل واحد من المملكة أمر خاص في نفسه يعلمه الولاة و الحجاب و النقباء فهم لا يفقدون مشاهدة ذلك الوجه ذلك ليعلموا أن الله قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و أنه رقيب على كل نفس بما كسبت و إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و لما جعل الله زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة و أقعد من أقعد منهم في برجه و مسكنه الذي فيه تخت ملكه و أنزل من أنزل من الحجاب و النقباء إلى منازلهم في سماواتهم و جعل في كل سماء ملائكة مسخرة تحت أيدي هؤلاء الولاة و جعل تسخيرهم على طبقات فمنهم أهل العروج بالليل و النهار من الحق إلينا و منا إلى الحق في كل صباح و مساء و ما يقولون إلا خيرا في حقنا و منهم المستغفرون لمن في الأرض و منهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الإلهية

عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لِمَنْ فِي الْأَرْضِ و منهم الموكلون بإيصال الشرائع و منهم أيضا الموكلون باللمات و منهم الموكلون بالإلهام و هم الموصلون العلوم إلى القلوب و منهم الموكلون بالأرحام و منهم الموكلون بتصوير ما يكون الله في الأرحام و منهم الموكلون بنفخ الأرواح و منهم الموكلون بالأرزاق و منهم الموكلون بالأمطار و لذلك قالوا وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و ما من حادث يحدث الله في العالم إلا و قد وكل الله بإجرائه ملائكة و لكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة كما منهم أيضا الصافات و الزاجرات و التاليات و المقسمات و المرسلات و الناشرات و النازعات و الناشطات و السابقات و السابحات و الملقيات و المدبرات و مع هذا فما يزالون تحت سلطان هؤلاء الولاة إلا الأرواح المهيمة فهم خصائص الله و من دونهم فإنهم ينفذون أوامر الله في خلقه ثم إن العامة ما تشاهد إلا منازلهم و الخاصة يشهدونهم في منازلهم كما أيضا تشاهد العامة أجرام الكواكب و لا تشاهد أعيان الحجاب و لا النقباء و جعل الله في العالم العنصري خلقا من جنسهم فمنهم الرسل و الخلفاء و السلاطين و الملوك و ولاة أمور العالم و جعل الله بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم الله ولاة في الأرض من أهلها بينهم و بين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات و رقائق تمتد إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين منهم بحسب استعداد أنهم فمن كان استعداده قويا حسنا قبل ذلك الأمر على صورته طاهرا مطهرا فكان والي عدل و إمام فضل و من كان استعداده رديئا قبل ذلك الأمر الظاهر و رده إلى شكله من الرداءة و القبح فكان والي جور و نائب ظلم و بخل فلا يلومن إلا نفسه فقد أبنت لك سلطنة العالم العلوي على العالم السفلي و كيف رتب الله ملكه هذا الترتيب العجيب و ما ذكرنا من ذلك إلا الأمهات لا غير يقول الله تعالى وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و قال يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ و يكفي هذا القدر من هذا الباب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في كتاب التنزلات الموصلية ذكرنا حديث هؤلاء الولاة و النواب و الحجاب و ما ولاهم الله عليه من التأثير في العالم العنصري الروحاني من ذلك ما تعرضنا لما تعطيه من الطبيعة و الأمور البدنية و تكلمنا فيها على كل ما ذكرناه مفصلا في باب يوم الأحد و هو باب الإمام و بينا ما بيد كل نائب من السبعة النقباء في باب يوم الأحد و سائر الأيام إلى يوم السبت و بينا مقامات أرواح الأنبياء عليهم السلام في ذلك و جعلنا هذه الألقاب الروحانية لأرواح الأنبياء عليهم السلام و بينا مراتبهم في الرؤية و الحجاب يوم القيامة و ما يتكلمون به في أتباعهم من أهل السعادة و الشقاء و ذلك منه في باب يوم الإثنين بلسان آدم و ترجمة القمر و جاء بديعا في شأنه و الله المؤيد و الموفق لا رب غيره

(الباب الحادي و الستون في معرفة جهنم و أعظم المخلوقات فيها عذابا و معرفة بعض العالم العلوي)

إن السماء تعود رتقا مثل ما	كانت و أنجمها يزول ضياؤها
هذا لينصفك المقيم بأرضها	و عليه قام عمادها و بناؤها
فأشد خلق الله آلاما بها	من كان منها خلقه فسماؤها
تكسوه حلة ناره من نورها	فلذاك يعظم في النفوس بلاؤها

اعلم عصمنا الله و إياك أن جهنم من أعظم المخلوقات و هي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة و المشركون و هي لهاتين الطائفتين دار مقامة و الكافرون و المنافقون و أهل الكبائر من المؤمنين قال تعالى وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً ثم يخرج بالشفاعة ممن ذكرنا و بالامتنان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه و سميت جهنم جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر و هي تحوي على حرور و زمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته و الحرور على أقصى درجاته و بين أعلاها و قعرها خمس و سبعون مائة من السنين و اختلف الناس في خلقها هل خلقت بعد أم لم تخلق و الخلاف مشهور فيها و كل واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجة عنده و كذلك اختلفوا في الجنة و أما عندنا و عند أصحابنا أهل الكشف و التعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فأما قولنا مخلوقة فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى دارا فإذا دخلها لم ير إلا سورا دائرا على فضاء و ساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت و غرف و سراديب و مهالك و مخازن و ما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن أن يجعل فيها من الآلات التي تستعمل في عذاب الداخل فيها و هي دار حرورها هواء محترق لا جمر لها سوى بنى آدم و الأحجار المتخذة آلهة و الجن لهبها قال تعالى وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ و قال إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ من دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ و قال تعالى فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ و تحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن و الإنس الذين يدخلونها و أوجدها الله بطالع الثور و لذلك كان خلقها في الصورة صورة الجاموس سواء هذا الذي يعول عليه عندنا و بهذه الصورة رآها أبو الحكم بن برجان في كشفه و قد تمثل لبعض الناس من أهل الكشف في صورة حية فيتخيل إن تلك الصورة هي التي خلقها الله عليها كأبي القاسم بن قسي و أمثاله و لما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور و كانت الشمس و الأحمر في القوس و كان سائر الدراري في الجدي و خلقها الله تعالى من تجلى قوله في حديث مسلم جعت فلم تطعمني و ظمئت فلم تسقني و مرضت فلم تعدني و هذا أعظم نزول نزله الحق إلى عباده في اللطف بهم فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعاذنا الله و إياكم منها فلذلك تجبرت على الجبابرة و قصمت المتكبرين و جميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي و لا يكون ذلك إلا عند دخول الخلق فيها من الجن و الإنس متى دخلوها و أما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها و لا في نفس ملائكتها بل هي و من فيها من زبانيتها في رحمة الله منغمسون ملتذون يسبحون لا يَفْتُرُونَ يقول تعالى وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى أي ينزل بكم غضبي فأضاف الغضب إليه و إذا نزل بهم كانوا محلاله و جهنم إنما هي مكان لهم و هم النازلون فيها و هم محل الغضب و هو النازل بهم فإن الغضب هنا هو عين الألم فمن لا معرفة له ممن يدعي طريقتنا و يريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل و القوة و المناسبة في الصفات فيقول إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي و إن الاسم القاهر هو ربها و المتجلي لها و لو كان الأمر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عما وجدت له من التسلط على الجبابرة و لم يتمكن لها أن تقول هَلْ من مَزِيدٍ و لا إن تقول أكل بعضي بعضا فنزول الحق برحمته إليها التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و حنانه وسع لها المجال في الدعوى و التسلط على من تجبر على من أحسن إليها هذا الإحسان و جميع ما تفعله بالكفار من باب شكر

المنعم حيث أنعم عليها فما تعرف منه سبحانه إلا لنعمة المطلقة التي لا يشوبها ما يقابلها فالناس غالطون في شأن خلقها و من أعجب ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أ تعرفون ما هذه الهدة قالوا الله و رسوله اعلم قال حجر ألقى من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها فكان وصوله إلى قعرها و سقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ من كلامه صلى الله عليه و سلم إلا و الصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم الله أكبر فعلم علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذاك المنافق و أنه منذ خلقه الله يهوى في نار جهنم و بلغ عمره سبعين سنة فلما مات حصل في قعرها قال تعالى إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ فكان سماعهم تلك الهدة التي أسمعهم الله ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوة و ما ألطف تعريفه و ما أحسن إشارته و ما أعذب كلامه صلى الله عليه و سلم و لقد سألت الله أن يمثل لي من شأنها ما شاء فمثل لي حالة خصامهم فيها و هو قوله تعالى إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النّارِ و قوله تعالى قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ لضلالهم و آلهتهم إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ وَ ما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ و هم أهل النار الذين هم أهلها الذين يقول الله فيهم وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ يريد بالمجرمين أهل النار الذين يعمرونها و لا يخرجون منها يمتازون عن الذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين و سابق العناية الإلهية في الموحدين فهذا مثل لي في وقت منها فما شبهت خصامهم فيها إلا كخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم إذا استدل أحدهم فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة التي أطلعني الله عليها و رأيت الرحمة كلها في التسليم و التلقي من النبوة و الوقوف عند الكتاب و السنة و لقد عمي الناس عن قوله صلى الله عليه و سلم عند نبي لا ينبغي تنازع و حضور حديثه صلى الله عليه و سلم كحضوره لا ينبغي أن يكون عند إيراده تنازع و لا يرفع السامع صوته عند سرد الحديث النبوي فإن الله يقول لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ و لا فرق عند أهل الله بين صوت النبي أو حكاية قوله فما لنا إلا التهيؤ لقبول ما يرد به المحدث من كلام النبوة من غير جدال سواء كان ذلك الحديث جوابا عن سؤال أو ابتداء كلام فالوقوف عند كلامه في المسألة أو في النازلة واجب فمتى ما قيل قال الله أو قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ينبغي أن يقبل و يتأدب السامع و لا يرفع صوته على صوت المحدث إذا قال ما قال الله أو سرد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول الله تعالى فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلامَ اللّهِ و ما تلاه إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما سمعه السامع إلا منه ثم إذا شاركه السامع في حال كلامه فهو ليس بسامع فإنه من الآداب التي أدب الله نبيه صلى الله عليه و سلم قوله وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ و الله يقول لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ و توعد على ذلك بحبط العمل من حيث لا يشعر الإنسان فإنه يتخيل في رده و خصامه أنه يذب عن دين الله و هذا من مكر الله الذي قال فيه سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ و قال وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فالعاقل المؤمن الناصح نفسه إذا سمع من يقول قال الله تعالى أو قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فلينصت و يصغ و يتأدب و يتفهم ما قال الله أو ما قال رسوله صلى الله عليه و سلم يقول الله وَ إِذا قُرِئَ

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فأوقع الترجي مع هذه الصفة و ما قطع بالرحمة فكيف حال من خاصم و رفع صوته و داخل التالي و سأرد الحديث النبوي في الكلام و أرجو أن يكون الترجي الإلهي واجبا كما يراه العلماء و لما عاينت هذا المحل رأيت عجبا و في هذه الرؤية رأيت اعتماد الماء على الهواء و هو من أعجب الأشياء في عمارة الأحياز و إن جوهرين لا يكونان في حيز واحد و إن الحيز لن شغله و في هذه الرؤية علمت إبطال التوالد و أن المحرك للأشياء هو الله تعالى و أن السبب لا أثر له في الفعل جملة واحدة و في هذه الرؤية علمت إن الألطف أقوى من الأكثف فإن الهواء ألطف من الماء بلا شك و قد منعه و لم يقاومه الماء في القوة و منعه من النزول فإني رأيت نفسي في الهواء و الماء فوقي و يمنعه الهواء من النزول إلى الأرض و في هذه الرؤية علمت علوما جمة كثيرة و في هذه الرؤية رأيت من دركات أهل النار من كونها جهنم لا من كونها نارا ما شاء الله أن يطلعني منها و رأيت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت في درجة نحو خمسة أدراج و رأيت مهالكها ثم زج بي في الماء علوا فاخترقته و قد رأيت عجبا و علمت في أحوال مخاصمتهم حيث يختصمون في الجحيم و أن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال و أن عذابهم في جهنم ما هو من جهنم و إنما جهنم دار سكناهم و سجنهم و الله يخلق الآلام فيهم متى شاء فعذابهم من الله و هم محل له و خلق الله لجهنم سبعة أبواب لكل باب جزء من العالم و من العذاب مقسوم و هذه الأبواب السبعة مفتحة و فيها باب ثامن مغلق لا يفتح و هو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى و على كل باب ملك من الملائكة ملائكة السموات السبع عرفت أسماءهم هنالك و ذهبت عن حفظي إلا إسماعيل فهو بقي على ذكري و أما الكواكب كلها فهي في جهنم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق و كذلك الشمس و القمر و الطلوع و الغروب لهما في جهنم دائما فشمسها شارقة لا مشرقة و التكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار من الكائنات و ما تغير فيها من الصور في التبديل و الانتثار و لهذا قال تعالى النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا و الحالة مستمرة ففي البرزخ يكون العرض و في الدار الآخرة يكون الدخول فذوات الكواكب فيها صورتها صورة الكسوف عندنا سواء غير أن وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف ميزانها اليوم فإن كسوفها ما ينجلي و هو كسوف في ذاتها لا في أعيننا و الهواء فيها فيه تطفيف فيحول بين الأبصار و بين إدراك الأنوار كلها فتبصر الأعين الكواكب المنتثرة غير نيرة الأجرام كما يعلم قطعا إن الشمس هنا في ذاتها نيرة و أن الحجاب القمري هو الذي منع البصر أن يدركها أو يدرك نور القمر أو ما كان مكسوفا و لهذا في زمان كسوف شيء منها في موضع يكون في موضع آخر أكثر من ذلك و في موضع آخر لا يكون منه شيء فلما اختلفت الأبصار في إدراك ذلك لاختلاف الأماكن علمنا قطعا إن ثم أمرا عارضا عرض في الطريق حال بين البصر و بينها أو بين نورها كالقمر يحول بينك و بين إدراك جرم الشمس و ظل الأرض يحول بينك و بين نور القمر لا بينك و بين جرمه مثل ما حال القمر بينك و بين جرم الشمس و ذلك بحسب ما يكون منك و يكون منه و هكذا سائر الكواكب وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ كما إن أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ فإن ذلك الكسوف كله على اختلاف أنواعه خشوع من المكسوف عن تجل إلهي حصل له و حد جهنم بعد الفراغ من الحساب و دخول أهل الجنة الجنة من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين فهذا كله يزيد في جهنم

مما هو الآن ليس مخلوقا فيها و لكن ذلك معد حتى يظهر إلا الأماكن التي قد عينها الله من الأرض فإنها ترجع إلى الجنة يوم القيامة مثل الروضة التي بين منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين قبره صلى الله عليه و سلم و كل مكان عينه الشارع و كل نهر فإن ذلك كله يصير إلى الجنة و ما بقي فيعود نارا كله و هو من جهنم و لهذا كان يقول عبد الله بن عمر إذا رأى البحر يقول يا بحر متى تعود نارا و قال تعالى وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ أي أججت نارا من سجرت التنور إذا أوقدته و كان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر و يقول التيمم أعجب إلي منه و لو كشف الله عن أبصار الخلق اليوم لرأوه يتأجج نارا و لكن الله يظهر ما يشاء و يخفي ما يشاء ليعلم أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و أكثر ما يجري هذا الأهل الورع فيرى الطعام الحرام صاحب الورع المحفوظ خنزيرا أو عذرة و الشراب خمرا لا يشك فيما يراه و يراه جليسه قرصة خبز طيبة و يرى الشراب ماء عذبا فيا ليت شعري من هو صاحب الحس الصحيح من صاحب الخيال هل الذي أدرك الحكم الشرعي صورة أو هل الذي أدرك المحسوس في العادة على حاله و هذا مما يقوي مذهب المعتزلة في أن القبيح قبيح لنفسه و الحسن حسن لنفسه و أن الإدراك الصحيح إنما هو لمن أدرك الشراب الحرام خمرا فلولا أنه قبيح لنفسه ما صح هذا الكشف لصاحبه و لو كان فعله عين تعلق الخطاب بالحرمة و القبح ما ظهر ذلك الطعام خنزيرا فإن الفعل ما وقع من المكلف فإن الله أظهر له صورته و أنه قبيح حتى لا يقدم على أكله و هذا بعينه يتصور فيمن يدركه طعاما على حاله في العادة و لكن هذا أحق في الشرع فعلم قطعا إن الذي يراه طعاما على عادته قد حيل بينه و بين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح و لو كان الشيء قبيحا بالقبح الوضعي لم يصدق قول الشارع في الإخبار عنه إنه قبيح أو حسن فإنه خبر بالشيء على خلاف ما هو عليه فإن الأحكام أخبار بلا شك عند كل عاقل عارف بالكلام فإن الله أخبرنا أن هذا حرام و هذا حلال و لذا قال تعالى في ذم من قال عن الله ما لم يقل وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ فإنه ألحق الحكم بالخبر لأنه خبر بلا شك إلا أنه ليس في قوة البشر في أكثر الأشياء إدراك قبح الأشياء و لا حسنها فإذا عرفنا الحق بها عرفناها و منها ما يدرك قبحه عقلا في عرفنا مثل كالكذب و كفر المنعم و حسنه عقلا مثل الصدق و شكر المنعم و كون الإثم يتعلق ببعض أنواع الصدق و الأجر يتعلق ببعض أنواع الكذب فذلك لله يعطي الأجر على ما شاءه من قبح و حسن و لا يدل ذلك على حسن الشيء و لا قبحه كالكذب في نجاة مؤمن من هلاك يؤجر عليه الإنسان و إن كان الكذب قبيحا في ذاته و الصدق كالغيبة يأثم بها الإنسان و إن كان الصدق حسنا في ذاته فذاك أمر شرعي يعطي فضله من شاء و يمنعه من شاء كما قال يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ و اعلم أن أشد الخلق عذابا في النار إبليس الذي سن الشرك و كل مخالفة و سبب ذلك أنه مخلوق من النار فعذابه بما خلق منه ألا ترى النفس به تكون حياة الجسم الحساس فإذا منع بالشنق أو الخنق خروج ذلك النفس انعكس راجعا إلى القلب فأحرقه من ساعته فهلك لحينه فبالنفس كانت حياته و به كان هلاكه و هلاكه على الحقيقة بالنفس من كونه متنفسا لا من كونه ذا نفس و لا من كونه متنفسا فقط بل من كونه يجذب بالقوة الجاذبة نفس الهواء البارد إلى قلبه و يخرج بالقوة الدافعة النفس الحار المحرق من قلبه فبسبب هذه الأحوال بها تكون حياته فإن الذي يرمى

في النا ر هو متنفس و لكن لا يخلو من أحد الوجهين إما إنه لا يتنفس في النا ر فتكون حالته حالة المشنوق الذي يخنق بالحبل فيقتله نفسه و إما أن يتنفس فيجذب بالقوة الجاذبة هواء نا ريا محرقا إذا وصل إلى قلبه أحرقه فلهذا قلنا في سبب الحياة هذه الأمور كلها فعذاب إبليس في جهنم بما فيها من الزمهرير فإنه يقابل النا ر الذي هو أصل نشأة إبليس فيكون عذابه بالزمهرير و بما هو نا ر مركبة فيه من ركن الهواء و الماء و التراب فلا بد أن يتعذب بالنا ر على قد ر مخصوص و عامة عذابه بما يناقض ما هو الغالب عليه في أصل خلقه و النا ر نا ران نا ر حسية و هي المسلطة على إحساسه و حيوانيته و ظاهر جسمه و باطنه و نا ر معنوية و هي التي تطلع على الأفئدة و بها يتعذب روحه المدبر لهيكله الذي أمر فعصى فمخالفته عذبته و هي عين جهله بمن استكبر عليه فلا عذاب على الأرواح أشد من الجهل فإنه غبن كله و لهذا سمي يَوْمُ التَّغابُنِ يريد يوم عذاب النفوس فيقول يا ويلتا عَلى ما فَرَّطْتُ و هو يَوْمَ الْحَسْرَةِ يقول يوم الكشف من حسرت عن الشيء إذا كشفت عنه فكأنه يقول يا ليتني حسرت عن هذا الأمر في الدنيا فأكون على بصيرة من أمري فيغتبن في نفسه و التغابن يد رك في ذلك اليوم الكل الطائع و العاصي فالطائع يقول يا ليتني بذلت جهدي و وفيت حق استطاعتي و تدبرت كلام ربي فعملت بمقتضاه مع كونه سعيدا و المخالف يقول يا ليتني لم أخالف ربي فيما أمرني به و نهاني ف ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ و سيأتي هذا في باب يوم القيامة إن شاء الله و لما أعلمناك بمرتبة النفس و التنفس إنما جئنا به لتعلم إن جهنم لما اختص بآلام أهلها صفة الغضب الإلهي و اختص بوجودها التنزل الرحماني الإلهي و جاء في الخبر الصحيح نفس الرحمن مشعرا بصفة الغضب فكان التنفس ملحقا صفة الغضب بمن حل به و لهذا لما أتى نفس الرحمن من قبل اليمن حل الغضب الإلهي بالكفا ر بالقتل و السيف الذي وقعت بهم الأنصا ر فنفس الله بذلك عن دينه و نبيه صلى الله عليه و سلم فإن ذا الغضب إذا وجد على من يرسل غضبه نفس عنه ما يجده من أ لم الغضب و أكمل الصورة في محمد صلى الله عليه و سلم فقام به على الكفا ر لأجل ردهم كلمة الله صفة الغضب فنفس الرحمن عنه بما أمره به من السيف و نفس عنه بأصحابه و أنصا ره فوجد الراحة فإنه وجد حيث يرسل غضبه فافهم من هذا آلام أهل النا ر و الصورة الحجابية المحمدية على الغضب الإلهي على أعداء الله و إن الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم و نفس الله عن دينه و هو أمره و كلامه و هو عين علمه في خلقه و علمه ذاته جل و تعالى و قد بينا لك أمر جهنم من حيث ما هي دا ر فلنبين إن شاء الله في الباب الذي يلي هذا الباب مراتب أهل النا ر ثم اعلم أن الله قد جعل فيها مائة درك في مقابلة درج الجنة و لكل د رك قوم مخصوصون لهم من الغضب الإلهي الحال بهم آلام مخصوصة و أن المتولي عذابهم من الولاة الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب القائم و الإقليد و الحامد و النائب و السادن و الجابر فهؤلاء الأملاك من الولاة هم الذين يرسلون عليهم العذاب بإذن الله تعالى و مالك هو الخا زن و أما بقية الولاة مع هؤلاء الذين ذكرناهم و هم الحائر و السائق و الماتح و العادل و الدائم و الحافظ فإن جميعهم يكونون مع أهل الجنا ن و خا زن الجنان رضوان و إمدادهم إلى أهل النا ر مثل إمدادهم إلى أهل الجنة فإنهم يمدونهم بحقائقهم و حقائقهم لا تختلف فيقبل كل طائفة من أهل الدا رين منهم بحسب ما تعطيهم نشأتهم فيقع العذاب بما به يقع النعيم من أجل المحل كما قلنا في المبرود إنه يتنعم بحر الشمس و المحرور يتعذب بحر الشمس فنفس ما وقع به

النعيم به عينه وقع به الألم عند الآخر فالله ينشئنا نشأة النعماء كما قال تعالى في حق الأبرار تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ أي هم في خلقهم على هذه الصفة و نشأة أهل النار تخالف نشأة أهل الجنان فإن نشأة الجنة إنما هو من الحق سبحانه على أيدي الولاة خاصة و نشأة أهل النار على أيدي الولاة و الحجاب و النقباء و السدنة على كثرتهم فإنه لا يحصي عددهم إلا الله و لكل ملك منهم في هذه النشأة الدنياوية و نشأة النار و نشأة أهلها حكم سخره الله في ذلك فهم كالفعلة في المملكة و إنشاء الدار المبنية و سيأتي إن شاء الله ذكر الجنة و ما فيها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني و الستون في مراتب أهل النار)

مراتب النار بالأعمال تمتاز ... و ليس فيها اختصاصات و إنجاز

بوزن أفعال قد جاء العذاب له ... بشرى و إن عذبوا فيها بما حازوا

لا يخرجون من النار و لو خرجوا ... تعذبوا فلهم ذل و إعزاز

فذلهم كونهم في النار ما برحوا ... و عزهم ما لهم حد إذا جازوا

في قولنا إن تأملتم لذي نظر ... محقق في علوم الوهب إعجاز

فيه اختصار بديع لفظه حسن ... فيه لطائف آيات و إيجاز

قال الجليل لأهل الحق بينهمو ... يا أيها المجرمون اليوم فامتازوا

مثل الملوك تراهم في نعيمهم ... و لبسهم عند أهل الكشف أخزاز

و من جسومهم في النار تحسبهم ... كأنهم مثل ما قد قال إعجاز

قولنا بوزن أفعال أريد قوله تعالى لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً و هو من أوزان جمع القلة فإن أوزان جمع القلة أربعة افعل مثل أكلب و أفعال مثل أحقاب و فعلة مثل فتية و أفعلة مثل أحمرة و جمع ذلك بعض الأدباء في بيت من الشعر فقال

بأفعل و بأفعال و أفعلة ... و فعلة يجمع الأدنى من العدد

يقول الله تعالى من كرمه لإبليس و عموم رحمته حين قال له أَ رَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ . . . لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ فما جاء إبليس إلا بأمر الله تعالى فهو أمر إلهي يتضمن وعيدا و تهديدا و كان ابتلاء شديدا في حقنا ليريه تعالى أن في ذريته من ليس لإبليس عليه سلطان و لا قوة ثم إن الذي خذلهم الله من العباد جعلهم طائفتين طائفة لا تضرهم الذنوب التي وقعت منهم و هو قوله وَ اللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا فلا تمسهم النار بما تاب الله عليهم و استغفار الملإ الأعلى لهم و دعائه لهذه الطائفة و طائفة أخرى أخذهم الله

بذنوبهم و الذين أخذهم الله بذنوبهم قسمهم بقسمين قسم أخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين و هم أهل الكبائر من المؤمنين و بالعناية الإلهية و هم أهل التوحيد بالنظر العقلي و قسم آخر أبقاهم الله في النار و هذا القسم هم أهل النار الذين هم أهلها و هم المجرمون خاصة الذين يقول الله فيهم وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ أي المستحقون بأن يكونوا أهلا لسكنى هذه الدار التي هي جهنم يعمرونها ممن يخرج منها إلى الدار الآخرة التي هي الجنة و هؤلاء المجرمون أربع طوائف كلها في النار لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا و هم المتكبرون على الله كفرعون و أمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه و نفاها عن الله فقال يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ من إِلٰهٍ غَيْرِي و قال أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى يريد أنه ما في السماء إله غيري و كذلك نمرود و غيره و الطائفة الثانية المشركون و هم الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فقالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى و قالوا أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ و الطائفة الثالثة المعطلة و هم الذين نفوا الإله جملة واحدة فلم يثبتوا إلها للعالم و لا من العالم و الطائفة الرابعة المنافقون و هم الذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف الثلاثة للقهر الذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم و أموالهم و ذراريهم و هم في نفوسهم على ما هم عليه من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث فهؤلاء أربعة أصناف هم الذين هم أهل النار لا يخرجون منها من جن و إنس و إنما كانوا أربعة لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتينا من بين أيدينا و من خلفنا و عن أيماننا و عن شمائلنا فيأتي للمشرك من بين يديه و يأتي للمعطل من خلفه و يأتي إلى المتكبر من عن يمينه و يأتي إلى المنافق من عن شماله و هو الجانب الأضعف فإنه أضعف الطوائف كما إن الشمال أضعف من اليمين و جعل المتكبر من اليمين لأنه محل القوة فتكبر لقوته التي أحسها من نفسه و جاء للمشرك من بين يديه فإنه رأى إذ كان بين يديه جهة عينية فأثبت وجود الله و لم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك مع الله في ألوهيته و جاء للمعطل من خلفه فإن الخلف ما هو محل النظر فقال له ما ثم شيء أي ما في الوجود إله ثم قال الله تعالى في جهنم لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ فهذه أربع مراتب لهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم و هي منازل عذابهم فإذا ضربت الأربعة التي هي المراتب التي دخل عليهم منها إبليس في السبعة الأبواب كان الخارج ثمانية و عشرين منزلا و كذلك جعل الله المنازل التي قدرها الله للإنسان المفرد و هو القمر و غيره من السيارة الخنس الكنس تسير فيها و تنزلها لإيجاد الكائنات فيكون عند هذا السير ما يتكون من الأفعال في العالم العنصري فإن هذه السيارة قد انحصرت في أربع طبائع مضروبة في ذواتها و هن سبعة فخرج منها منازلها الثمانية و العشرون ذلك بتقدير العزيز العليم كما قال كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و كان مما ظهر عن هذا التسيير الإلهي في هذه الثمانية و العشرين وجود ثمانية و عشرين حرفا ألف الله الكلمات منها و ظهر الكفر في العالم و الايمان بأن تكلم كل شخص بما في نفسه من إيمان و كفر و كذب و صدق لتقوم الحجة لله على عباده ظاهرا بما تلفظوا به و وكل بهم ملائكة يكتبون ما تلفظوا به قال تعالى كِراماً كاتِبِينَ و قال ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ فجعل منازل النار ثمانية و عشرين منزلا و جهنم كلها مائة درك من أعلاها إلى أسفلها نظائر درج الجنة التي ينزل فيها السعداء و في كل درك من هذه الدركات ثمانية و عشرون منزلا فإذا ضربت ثمانية و عشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفين و ثمانمائة منزل فهي الثمانية و العشرون مائة فما برحت الثمانية و العشرون تصحبنا و هذه منازل

النا ر فلكل طائفة من الأربع سبعمائة نوع من العذاب و هم أربع طوائف فالمجموع ثمان و عشرون مائة نوع من العذاب كما لأهل الجنة سواء من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ فالمجموع سبعمائة و هم أربعة طوائف رسل و أنبياء و أولياء و مؤمنون فلكل متصدق من هؤلاء الأربعة سبعمائة ضعف من النعيم في عملهم فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي و موازنته في خلقه في الدارين الجنة و النار لإقامة العدل على السواء في باب جزاء النعيم و جزاء العذاب فبهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنة و أهل النار للتساوي في عدد الدرج و الدرك و يقع الامتياز بأمر آخر و ذلك أن النار امتازت عن الجنة بأنه ليس في النار دركات اختصاص إلهي و لا عذاب اختصاص إلهي من الله فإن الله ما عرفنا قط إنه اختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا أنه يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ و بفضله فالجنة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير و أهل الجنة ينعمون بأعمالهم و بغير أعمالهم في جنات الاختصاص فلأهل السعادة ثلاث جنات جنة أعمال و جنة اختصاص و جنة ميراث و ذلك أنه ما من شخص من الجن و الإنس إلا و له في الجنة موضع و في النار موضع و ذلك لإمكانه الأصلي فإنه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم أو يوجد فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم و قبول العذاب فالجنة تطلب الجميع و الجميع يطلبها و النار تطلب الجميع و الجميع يطلبها فإن الله يقول وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ أي أنتم قابلون لذلك و لكن حقت الكلمة و سبق العلم و نفذت المشيئة فلا راد لأمره و لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ فينزل أهل الجنة في الجنة على أعمالهم و لهم جنات الميراث و هي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة و لهم جنات الاختصاص يقول الله تعالى تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا فهذه الجنة التي حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الذين هم أهلها إذ لم يكن في علم الله أن يدخلوها و لم يقل في أهل النار إنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار و هذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه فما نزل من نزل في النار من أهلها إلا بأعمالهم و لهذا يبقى فيها أماكن خالية و هي الأماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها فيخلق الله خلقا يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا و هو قوله صلى الله عليه و سلم فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي حسبي حسبي فإنه تعالى يقول لها هَلِ امْتَلَأْتِ فتقول هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فإنه قال للجنة و النار لكل واحدة منكما ملؤها فما اشترط لهما إلا أن يملأهما خلقا و ما اشترط عذاب من يملأها بهم و لا نعيمهم و إن الجنة أوسع من النار بلا شك فإن عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ فما ظنك بطولها فهي للنار كمحيط الدائرة مما يحوي عليه و في التنزلات الموصلية رسمناها و بيناها على ما هي عليه في نفسها في باب يوم الإثنين و النار عرضها قدر الخط الذي يميز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة فأين هذا الضيق من تلك السعة و سبب هذا الاتساع جنات الاختصاص الإلهي فورد في الخبر أنه يبقى أيضا في الجنة أماكن ما فيها أحد فيخلق الله خلقا للنعيم يعمرها بهم و هو أن يضع الرحمن فيها قدمه و ليس ذلك إلا في جنات الاختصاص فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فمن كرمه أنه تعالى ما أنزل أهل النار إلا على أعمالهم خاصة و أما قوله تعالى زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ فذلك لطائفة مخصوصة و هم الأئمة المضلون يقول تعالى وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ و هم الذين أضلوا العباد و أدخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل

فضلوا و أضلوا و قالوا لهم اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ يقول الله وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ من خَطاياهُمْ من شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ في هذا القول بل هم حاملون خطاياهم و الذين أضلوهم يحملون أيضا خطاياهم و خطايا هؤلاء مع خطاياهم و لا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء يقول صلى الله عليه و سلم من سن سنة سيئة فله وزرها و وزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا فهو قوله ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً فهؤلاء قيل فيهم زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ فما أنزلوا من النار إلا منازل استحقاق بخلاف الجنة فإن أهل الجنة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفار في النار بأعمالهم و أنزلوا أيضا منازل وراثة و منازل اختصاص و ليس ذلك في أهل النار و لا بد لأهل النار من فضل الله و رحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النار لأنهم ليسوا بخارجين من النار أبدا فلا يموتون فيها و لا يحيون فتتخدر جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها و ثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب و العمل نعيما خياليا مثل ما يراه النائم و جلده كما قال تعالى كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ هو كما قلنا خدرها فزمان النضج و التبديل يفقدون الآلام لأنه إذا انقضى زمان الإنضاج خمدت النار في حقهم فيكونون في النار كالأمة التي دخلتها و ليست من أهلها فأماتهم الله فيها إماتة فلا يحسون بما تفعله النار في أبدانهم الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه و هذا من فضل الله و رحمته و أما أبواب جهنم فقد ذكر الله من صفات أصحابها بعض ما ذكر و لكن من هؤلاء الأربع الطوائف الذين هم أهلها و من خرج بالشفاعة أو العناية ممن دخلها فقد جاء ببعض ما وصف الله به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك و هي باب الجحيم و باب سقر و باب السعير و باب الحطمة و باب لظى و باب الحامية و باب الهاوية و سميت الأبواب بصفات ما وراءها مما أعدت له و وصف الداخلون فيها بما ذكر الله تعالى في مثل قوله في لظى إنها تَدْعُوا من أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى وَ جَمَعَ فَأَوْعى و قال ما يقول أهل سقر إذا قيل لهم ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ من الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ و قال في أهل الجحيم إنه يكذب بِيَوْمِ الدِّينِ وَ ما يُكَذِّبُ به إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ فوصفه بالإثم و الاعتداء ثم قال فيهم ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ به تُكَذِّبُونَ و هكذا في الحطمة و السعير و غير ذلك مما جاء به القرآن أو السنة فهذا قد ذكرنا الأمهات و الطبقات و أما مناسبات الأعمال لهذه المنازل فكثيرة جدا يطول الشرح فيها و لو شرعنا في ذلك طال علينا المدى فإن المجال رحب و لكن الأعمال مذكورة و لعذاب عليها مذكور فمتى وقفت على شيء من ذلك و كنت على نور من ربك و بينة فإن الله يطلعك عليه بكرمه و الذي شرطنا في هذا الباب و ترجمنا عليه إنما كان ذكر المراتب و قد ذكرناها و بيناها و نبهنا على مواضع يجول فيها نظر الناظر من كتابي هذا من الآيات التي استشهدنا بها في هذا الباب من أوله من أمر الله إبليس بما ذكر له فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهي أمر يعود عليه منه من حيث ما هو ممتثل أم لا و أشباه هذه التنبيهات إن وفقت لذلك عثرت على علوم جمة إلهية مما يختص بأهل الشقاء و النار و هذا القدر في هذا الباب كاف وَ الله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث و الستون في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا و البعث)

مراتب برزخيات لها سور | بين القيامة و الدنيا لذي نظر
قبل الممات عليه اليوم فاعتبروا | تحوي على حكم ما قد كان صاحبها
تبدي العجائب لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ | لها على الكل أقدام و سلطنة
تقيد و هي لا عين و لا أثر | لها مجال رحيب في الوجود بلا
فكيف يخرج عن أحكامها بشر | تقول للحق كن و الحق خالقها
فيها الدلائل و الإعجاز و العبر | فيها العلوم و فيها كل قاصمة
و لا انقضى غرض فينا و لا وطر | لو لا الخيال لكنا اليوم في عدم
الشرع جاء به و العقل و النظر | كان سلطانها إن كنت تعقلها
تنفك عن صور إلا أتت صور | من الحروف لها كاف الصفات فما

قولنا كان سلطانها برفع سلطانها أي سلطان الخيال هو عين كان و هو معنى قوله صلى الله عليه و سلم اعبد الله كأنك تراه فهي خبر و سلطانها مبتدأ تقدير الكلام سلطان حضرة الخيال من الألفاظ هو كان اعلم أن البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين لا يكون متطرفا أبدا كالخط الفاصل بين الظل و الشمس و كقوله تعالى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ و معنى لا يَبْغِيانِ أي لا يختلط أحدهما بالآخر و إن عجز الحس عن الفصل بينهما و العقل يقضي أن بينهما حاجزا يفصل بينهما فذلك الحاجز المعقول هو البرزخ فإن أدرك بالحس فهو أحد الأمرين ما هو البرزخ و كل أمرين يفتقران إذا تجاورا إلى برزخ ليس هو عين أحدهما و فيه قوة كل واحد منهما و لما كان البرزخ أمرا فاصلا بين معلوم و غير معلوم و بين معدوم و موجود و بين منفي و مثبت و بين معقول و غير معقول سمي برزخا اصطلاحا و هو معقول في نفسه و ليس إلا الخيال فإنك إذا أدركته و كنت عاقلا تعلم أنك أدركت شيئا وجوديا وقع بصرك عليه و تعلم قط ما بدليل أنه ما ثم شيء رأسا و أصلا فما هو هذا الذي أثبت له شيئية وجودية و نفيتها عنه في حال إثباتك إياها فالخيال لا موجود و لا معدوم و لا معلوم و لا مجهول و لا منفي و لا مثبت كما يدرك الإنسان صورته في المرآة يعلم قطعا أنه أدرك صورته بوجه و يعلم قطعا أنه ما أدرك صورته بوجه لما يرى فيها من الدقة إذا كان جرم المرآة صغيرا و يعلم أن صورته أكبر من التي رأى بما لا يتقارب و إذا كان جرم المرآة كبيرا فيرى صورته في غاية الكبر و يقطع أن صورته أصغر مما رأى و لا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته و يعلم أنه ليس في المرآة صورته و لا هي بينه و بين المرآة و لا هو انعكاس شعاع البصرة إلى الصورة المرئية فيها من خارج سواء كانت صورته أو غيرها إذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها و ما هي عليه و في رؤيتها في السيف من الطول أو العرض يتبين لك ما ذكرنا مع علمه أنه رأى صورته بلا شك فليس بصادق و لا كاذب في قوله إنه رأى صورته ما رأى صورته فما تلك الصورة المرئية و أين محلها و ما شأنها فهي منفية ثابتة موجودة معدومة معلومة مجهولة أظهر الله سبحانه هذه الحقيقة

لعبده ضرب مثال ليعلم و يتحقق أنه إذا عجز و حار في درك حقيقة هذا و هو من العالم و لم يحصل عنده علم بحقيقته فهو بخالقها أعجز و أجهل و أشد حيرة و نبهه بذلك أن تجليات الحق له أرق و ألطف معنى من هذا الذي قد حارت العقول فيه و عجزت عن إدراك حقيقته إلى أن بلغ عجزها أن تقول هل لهذا ماهية أو لا ماهية له فإنها لا تلحقه بالعدم المحض و قد أدرك البصر شيئًا ما و لا بالوجود المحض و قد علمت أنه ما ثم شيء و لا بالإمكان المحض و إلى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه و بعد موته فيرى الأعراض صورا قائمة بنفسها تخاطبه و يخاطبها أجسادا لا يشك فيها و المكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه و الميت بعد موته كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضا و يرى الموت كبشا أملح يذبح و الموت نسبة مفارقة عن اجتماع فسبحان من يجهل فلا يعلم و يعلم فلا يجهل لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و من الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس و من الناس من يدركه بعين الخيال و أعني في حال اليقظة و أما في النوم فبعين الخيال قطعا فإذا أراد الإنسان أن يفرق في حال يقظته حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة فلينظر إلى المتخيل و ليقيده بنظره فإن اختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكوينات و هو لا ينكر أنه ذلك بعينه و لا يقيده النظر عن اختلاف التكوينات فيه كالناظر إلى الحرباء في اختلاف الألوان عليها فذلك عين الخيال بلا شك ما هو عين الحس فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس و قليل من يتفطن إلى هذا ممن يدعي كشف الأرواح النارية و النورية إذا تمثلت لعينه صورا مدركة لا يدري بما أدركها هل بعين الخيال أو بعين الحس و كلاهما أعني الإدراكين بحاسة العين فإنها تعطي الإدراك بعين الخيال و بعين الحس و هو علم دقيق أعني العلم بالفصل بين العينين و بين حاسة العين و عين الحس و إذا أدركت العين المتخيل و لم تغفل عنه و رأته لا تختلف عليه التكوينات و لا رأته في مواضع مختلفات معا في حال واحدة و الذات واحدة لا يشك فيها و لا انتقلت و لا تحولت في أكوان مختلفة فتعلم أنها محسوسة لا متخيلة و أنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال و من هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى و هو منزه عن الصورة و المثال و ضبط الإدراك إياه و تقييده و من هنا تعرف ما ورد في الخبر الصحيح من كون الباري يتحلى في أدنى صورة من التي رأوه فيها و في تحوله في صورة يعرفونها و قد كانوا أنكروه و تعوذوا منه فيعلم بأي عين تراه فقد أعلمتك أن الخيال يدرك بنفسه نريد بعين الخيال أو يدرك بالبصر و ما الصحيح في ذلك حتى نعتمد عليه و لنا في ذلك

إذا تجلى حبيبي بأي عين أراه

بعينه لا بعيني فما يراه سواه

تنزيها لمقامه و تصديقا بكلامه فإنه القائل لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ و لم يخص دارا من دار بل أرسلها آية مطلقة و مسألة معينة محققة فلا يدركه سواه فبعينه سبحانه أراه في الخبر الصحيح كنت بصره الذي يبصر به فتيقظ أيها الغافل النائم عن مثل هذا و انتبه فلقد فتحت عليك بابا من المعارف لا تصل إليه الأفكار لكن تصل إلى قبوله العقول إما بالعناية الإلهية أو بجلاء القلوب بالذكر و التلاوة فيقبل العقل ما يعطيه التجلي و يعلم أن ذلك خارج عن قوة نفسه من حيث فكره و أن فكره لا يعطيه ذلك أبدا فيشكر الله تعالى الذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا و هي

نشأة الرسل و الأنبياء و أهل العناية من الأولياء و ذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره فتحقق يا أخي بعد هذا من يتجلى لك من خلف هذا الباب فهي مسألة عظيمة حارت فيها الألباب ثم إن الشارع و هو الصادق سمي هذا الباب الذي هو الحضرة البرزخية التي تنتقل إليها بعد الموت و نشهد نفوسنا فيها بالصور و الناقور و الصور هنا جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور و ينقر في الناقور و هو هو بعينه و اختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال و الصفات و اختلفت الصفات فاختلفت الأسماء فصارت أسماؤه كهو يحار فيها من عادته يفلي الحقائق و لا يرمى منها بشيء فإنه لا يتحقق له أن النقر أصل في وجود اسم الناقور أو الناقور أصل في وجود اسم النقر كمسألة النحوي هل الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل ثم فارق مسألة النحوي بشيء آخر حتى لا يشبه مسألة النحوي في الاشتقاق بقوله يُنْفَخُ فِي الصُّورِ و لم يقل في المنفوخ فيه فهل كونه صورا أصل في وجود النفخ أو وجود نفخ أصل في وجود اسم الصور و لما ذكر الله تعديل صورة الإنسان قال وَ نَفَخْتُ فِيهِ و قال في عيسى عليه السلام قبل خلق صورته فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا فظهرت الصورة فوقعت الحيرة ما هو الأصل هل الصورة في وجود النفخ أو النفخ في وجود الصورة فهذا من ذلك القبيل و لا سيما و جبريل عليه السلام في الوقت المذكور في حال التمثل بالبشر و مريم قد تخيلت أنه بشر فهل أدركته بالبصر الحسي أو بعين الخيال فتكون ممن أدرك الخيال بالخيال و إذا كان هذا فينفتح عليك ما هو أعظم و هو هل في قوة الخيال أن يعطي صورة حسية حقيقة فلا يكون للحس فضل على الخيال لأن الحس يعطي الصور للخيال فكيف يكون المؤثر فيه مؤثرا فيمن هو مؤثر فيه فما هو مؤثر فيما هو مؤثر فيه و هذا محال عقلا فتفطن لهذه الكنوز فإن كنت حصلتها ما يكون في العالم أعني منك إلا من يساويك في ذلك و اعلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما سئل عن الصور ما هو فقال صلى الله عليه و سلم هو قرن من نور ألقمه إسرافيل فأخبر أن شكله شكل القرن فوصف بالسعة و الضيق فإن القرن واسع ضيق و هو عندنا على خلاف ما يتخيله أهل النظر في الفرق بين ما هو أعلى القرن و أسفله و نذكره إن شاء الله بعد هذا في هذا الباب فاعلم إن سعة هذا القرن في غاية السعة لا شيء من الأكوان أوسع منه و ذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء و على ما ليس بشيء و يتصور العدم المحض و المحال و الواجب و الإمكان و يجعل الوجود عدما و العدم وجودا و فيه يقول النبي صلى الله عليه و سلم أي من حضرة هذا اعبد الله كأنك تراه و الله في قبلة المصلي أي تخيله في قبلتك و أنت تواجهه لتراقبه و تستحيي منه و تلزم الأدب معه في صلاتك فإنك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب فلولا أن الشارع علم أن عندك حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال لك كأنك تراه ببصرك فإن الدليل العقلي يمنع من كان فإنه يحيل بدليله التشبيه و البصر فما أدرك شيئا سوى الجدار فعلمنا إن الشارع خاطبك أن تتخيل أنك تواجه الحق في قبلتك المشروع لك استقبالها و الله يقول فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ و وجه الشيء حقيقته و عينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة و التصور فلهذا كان واسعا و أما ما فيه من الضيق فإنه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمرا من الأمور الحسية و المعنوية و النسب و الإضافة و جلال الله و ذاته إلا بالصورة و لو رام أن يدرك شيئا من غير صورة لم تعط حقيقته ذلك لأنه عين الوهم لا غيره فمن هنا هو ضيق في غاية الضيق فإنه لا يجرد المعاني عن المواد أصلا و لهذا كان الحس

أقرب شيء إليه فإنه من الحس أخذ الصور و في الصور الحسية يجلي المعاني فهذا من ضيقه و إنما كان هذا حتى لا يتصف بعدم التقييد و بإطلاق الوجود و بالفعال لما يريد إلا الله تعالى وحده ليس كمثله شيء فالخيال أوسع المعلومات و مع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء قد عجز أن يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها فيرى العلم في صورة لبن أو عسل و خمر و لؤلؤ و يرى الإسلام في صورة قبة و عمد و يرى القرآن في صورة سمن و عسل و يرى الدين في صورة قيد و يرى الحق في صورة إنسان و في صورة نور فهو الواسع الضيق و الله واسع على الإطلاق عليم بما أوجد الله عليه خلقه كما قال تعالى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى أي بين الأمور على ما هي عليه بإعطاء كل شيء خلقه و أما كون القرن من نور فإن النور سبب الكشف و الظهور إذ لو لا النور ما أدرك البصر شيئا فجعل الله هذا الخيال نورا يدرك به تصوير كل شيء أي أمر كان كما ذكرناه فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجودا فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية فنوره لا يشبه الأنوار و به تدرك التجليات و هو نور عين الخيال لا نور عين الحس فافهم فإنه ينفعك معرفة كونه نورا فتعلم الإصابة فيه ممن لا يعلم ذلك و هو الذي يقول هذا خيال فاسد و ذلك لعدم معرفة هذا القائل بإدراك النور الخيالي الذي أعطاه الله تعالى كما إن هذا القائل يخطئ الحس في بعض مدركاته و إدراكه صحيح و الحكم لغيره لا إليه فالحاكم أخطأ لا الحس كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك و ما له حكم و إنما الحكم لغيره و هو العقل فلا ينسب إليه الخطاء فإنه ما ثم خيال فاسد قط بل هو صحيح كله و أما أصحابنا فغلطوا في هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقه المركز و أعلاه الفلك الأعلى الذي لا فلك فوقه و أن الصور التي يحوي عليها صور العالم فجعلوا واسع القرن الأعلى و ضيقه الأسفل من العالم و ليس الأمر كما زعموا بل لما كان الخيال كما قلنا يصور الحق فمن دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق و أسفله الواسع و هكذا خلقه الله فأول ما خلق منه الضيق و آخر ما خلق منه ما اتسع و هو الذي يلي رأس الحيوان و لا شك أن حضرة الأفعال و الأكوان أوسع و لهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم إلا بقدر ما يعلمه من العالم ثم إنه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة إلى الضيق قليلا قليلا فتقل علومه كلما رقى في العلم بذات الحق كشفا إلى أن لا يبقى له معلوم إلا الحق وحده و هو أضيق ما في القرن فضيقه هو الأعلى على الحقيقة و فيه الشرف التام و هو الأول الذي نظهر منه إذا أنبته الله في رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضيق و أسفله تسع و هو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الأول ألا ترى الحق سبحانه أول ما خلق القلم أو قل العقل كما قال فما خلق إلا واحدا ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم و كذلك العدد منشؤه من الواحد ثم الذي يقبل الثاني لا من الواحد الوجود ثم يقبل التضعيف و التركيب في المراتب فيتسع اتساعا عظيما إلى ما لا يتناهى فإذا انتهيت فيه من الاتساع إلى حد ما من الآلاف و غيرها ثم تطلب الواحد الذي نشأ منه العدد لا يزال في ذلك تقلل العدد و يزول عنك ذلك الاتساع الذي كنت فيه حتى تنتهي إلى الاثنين التي بوجودها ظهر العدد إذ كان الواحد أولاها فالواحد أضيق الأشياء و ليس بالنظر إلى ذاته بعدد في نفسه و لكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين اسمه و عينه أبدا فاعلم ذلك و الناس في وصف الصور بالقرن على خلاف ما ذكرناه و بعد ما قررناه فلتعلم إن الله سبحانه إذا قبض لأرواح

من هذه الأجسام الطبيعية حيث كانت و العنصرية أودعها صورا جسدية في مجموع هذا القرن النوري فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن و بنورها و هو إدراك حقيقي و من الصور هنالك ما هي مقيدة عن التصرف و منها ما هي مطلقة كأرواح الأنبياء كلهم و أرواح الشهداء و منها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار و منها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه و هو الذي تصدق رؤياه أبدا و كل رؤيا صادقة و لا تخطئ فإذا أخطأت الرؤيا فالرؤيا ما أخطأت و لكن العابر الذي يعبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة أ لا تراه صلى الله عليه و سلم ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور أصبت بعضا و أخطأت بعضا و كذلك قال في الرجل الذي رأى في النوم ضربت عنقه فوقع رأسه فجعل الرأس يتدهده و هو يكلمه فذكر له رسول الله أن الشيطان يلعب به فعلم رسول الله صلى الله عليه و سلم صورة ما رآه و ما قال له خيالك فاسد فإنه رأى حقا و لكن أخطأ في التأويل فأخبره صلى الله عليه و سلم بحقيقة ما رآه ذلك النائم و كذلك قوم فرعون يعرضون على النار في تلك الصور غدوة و عشية و لا يدخلونها فإنهم محبوسون في ذلك القرن و في تلك الصورة و يوم القيامة يدخلون أشد العذاب و هو العذاب المحسوس لا المتخيل الذي كان لهم في حال موتهم بالعرض فتدرك بعين الخيال الصور الخيالية و الصور المحسوسة معا فيدرك المتخيل الذي هو الإنسان بعين خياله وقتا ما هو متخيل كقوله صلى الله عليه و سلم مثلت لي الجنة في عرض هذا الحائط فأدرك ذلك بعين حسه و إنما قلنا بعين حسه لأنه تقدم حين رأى الجنة ليأخذ قطفا منها و تأخر حين رأى النار و هو في صلاته و نحن نعرف أن عنده من القوة بحيث إنه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسه ما أثر في جسمه تقدما و لا تأخرا فإنا نجد ذلك و ما نحن في قوته و لا في طبقته صلى الله عليه و سلم و كل إنسان في البرزخ مرهون بكسبه محبوس في صور أعماله إلى أن يبعث يوم القيامة من تلك الصور في النشأة الآخرة وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثامن و العشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الرابع و الستون في معرفة القيامة و منازلها و كيفية البعث)

يطير عن كل نوام به و سنه   يوم المعارج من خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
لا تأخذنها لما يقضي الإله سنه   و الأرض من حذر عليه ساهرة
من الخوارج أهل الألسن اللسنه   فكن غريبا و لا تركن لطائفة
فخذ على يده تجزى به حسنة   و إن رأيت امرأ يسعى لمفسدة
تريك فتنته يوما كمثل سنه   و لتعتصم حذرا بالكهف من رجل
و لم يزل في هواه خالعا رسنه   قد مد خطوته في غير طاعته

اعلم أنه إنما سمي هذا اليوم يوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم لرب العالمين في النشأة الآخرة التي ذكرناها في البرزخ في الباب الذي قبل هذا الباب و لقيامهم أيضا إذا جاء الحق للفصل و القضاء وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا قال الله تعالى يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أي من أجل رب العالمين حين يأتي و جاء بالاسم الرب إذ كان الرب المالك فله صفة القهر و له صفة الرحمة و لم يأت بالاسم الرحمن لأنه لا بد من الغضب في ذلك اليوم كما سيرد في هذا الباب و لا بد من الحساب و الإتيان بجهنم و الموازين و هذه كلها ليست من صفات الرحمة المطلقة التي يطلبها الاسم الرحمن غير أنه سبحانه أتى باسم إلهي تكون الرحمة فيه أغلب و هو الاسم الرب فإنه من الإصلاح و التربية فتقوى ما في المالك و السيد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر فتسبق رحمته غضبه و يكثر التجاوز عن سيئات أكثر الناس فأول ما أبين و أقول ما قال الله في ذلك اليوم من امتداد الأرض و قبض السماء و سقوطها على الأرض و مجيء الملائكة و مجيء الرب في ذلك اليوم و أين يكون الخلق حين تمد الأرض و تبدل صورتها و تجيء جهنم و ما يكون من شأنها ثم أسوق حديث مواقف القيامة في خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ و حديث الشفاعة اعلم يا أخي أن الناس إذا قاموا من قبورهم على ما سنورده إن شاء الله و أراد الله أن يبدل الأرض غير الأرض و تمد الأرض بإذن الله و يكون الجسر دون الظلمة فيكون الخلق عليه عند ما يبدل الله الأرض كيف يشاء إما بالصورة و إما بأرض أخرى ما نيم عليها تسمى الساهرة فيمدها سبحانه مد الأديم يقول تعالى وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ و يزيد في سعتها ما شاء أضعاف ما كانت من أحد و عشرين جزءا إلى تسعة و تسعين جزءا حتى لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ثم إنه سبحانه يقبض السماء إليه فيطويها بيمينه كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ثم يرميها على الأرض التي مدها واهية و هو قوله وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ و يرد الخلق إلى الأرض التي مدها فيقفون منتظرين ما يصنع الله بهم فإذا وهت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها فيرى أهل الأرض خلقا عظيما أضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون إن الله نزل فيهم لما يرون من عظم المملكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون أ فيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا و هو آت فتصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحي الأرض محيطين بالعالم الإنس و الجن و هؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل أهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله أيضا و يرمي بكوكبها في النار و هو المسمى كاتبا و هم أكثر عددا من السماء الأولى فتقول الخلائق أ فيكم ربنا فتفزع الملائكة من قولهم فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا و هو آت فيفعلون فعل الأولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم ينزل أهل السماء الثالثة و يرمي بكوكبها المسمى الزهرة في النار و يقبضها الله بيمينه فتقول الخلائق أ فيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا و هو آت فلا يزال الأمر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل أهل السماء السابعة فيرون خلقا أكثر من جميع من نزل فتقول الخلائق أ فيكم ربنا فتقول الملائكة سُبْحَانَ رَبِّنَا قد جاء ربنا وإِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا فيأتي الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ و على المجنة اليسرى جهنم و يكون إتيانه إتيان الملك فإنه يقول ملك (مالك) يَوْمِ الدِّينِ و هو ذلك اليوم فسمي بالملك و يصطف الملائكة عليهم السلام سبعة صفوف محيطة بالخلائق فإذا أبصر الناس جهنم لها فوران و تغيظ على الجبابرة المتكبرين فيفرون الخلق بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا و فزعا و هو الفزع الأكبر إلا الطائفة التي لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ

الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير إن النبيين تفزع على أممها للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم سلم سلم و كان الله قد أمر أن تنصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين و ذلك قبل مجيء الرب تعالى فإذا فر الناس خوفا من جهنم و فرقا لعظيم ما يرون من الهول في ذلك اليوم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه و تعالى إلى المحشر و تناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا فينادي بعضهم بعضا فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ و الرسل تقول اللهم سلم سلم و يخافون أشد الخوف على أممهم و الأمم يخافون على أنفسهم و المطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة و لا ظواهرهم أيضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم النبيون عليه من الخوف على أممهم فينادي مناد من قبل الله يسمعه أهل الموقف لا يدرون أو لا أدري هل ذلك نداء الحق سبحانه بنفسه أو نداء عن أمره سبحانه يقول في ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم فإنه قال لنا يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ تعليما له و تنبيها ليقول كرمك و لقد سمعت شيخنا الشنخنة يقول يوما و هو يبكي يا قوم لا تفعلوا بكرمه أخرجنا و لم نكن شيئًا و علمنا ما لم نكن نعلم و امتن علينا ابتداء بالإيمان به و بكتبه و رسله و نحن لا نعقل أ فتراه يعذبنا بعد أن عقلنا و آمنا حاشى كرمه سبحانه من ذلك فأبكاني بكاء فرح و بكى الحاضرون ثم نرجع و نقول فيقول الحق في ذلك النداء أين الذين كانت تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ فيؤتى بهم إلى الجنة ثم يسمعون من قبل الحق نداء ثانيا لا أدري هل ذلك نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق أين الذين كانوا لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ و تلك الزيادة كما قلنا من جنات الاختصاص فيؤمر بهم إلى الجنة ثم يسمعون نداء ثالثا لا أدري هل هو نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم أين الذين صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ لِيَجْزِيَ اللهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ فيؤمر بهم إلى الجنة فبعد هذا النداء يخرج عنق من النار فإذا أشرف على الخلائق و له عينان و لسان فصيح يقول يا أهل الموقف إني وكلت منكم بثلاث كما كان النداء الأول ثلاث مرات لثلاث طوائف من أهل السعادة و هذا كله قبل الحساب و الناس وقوف قد ألجمهم العرق و اشتد الخوف و تصدعت القلوب لهول المطلع فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم إني وكلت بكل جبار عنيد فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فإذا لم يترك أحدا منهم في الموقف نادى نداء ثانيا يا أهل الموقف إني وكلت بمن آذى الله و رسوله فيلقطهم كما يلقط الطائر حب السمسم من بين الخلائق فإذا لم يترك منهم أحد نادى ثالثة يا أهل الموقف إني وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله فيلقط أهل التصاوير و هم الذين يصورون صورا في الكنائس لتعبد تلك الصور و الذين يصورون الأصنام و هو قوله تعالى أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ فكانوا ينحتون لهم الأخشاب و الأحجار ليعبدوها من دون الله فهؤلاء هم المصورون فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطير حب

السمسم فإذا أخذهم الله عن آخرهم بقي الناس و فيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصدها أولئك من عباداتها حتى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحا تحيا بها و ليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصورين فيقفون ما شاء الله ينتظرون ما فعل الله بهم و العرق قد ألجمهم فحدثنا شيخنا القصار بمكة سنة تسع و تسعين و خمسمائة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة و هو يونس ابن يحيى بن الحسين بن أبي البركات الهاشمي العباسي من لفظه و أنا أسمع قال حدثنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي قال حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الخياط المغربي قال قرئ على أبي سهل محمود بن عمر بن إسحاق العكبري و أنا أسمع قيل له حدثكم رضي الله عنكم أبو بكر محمد بن الحسن النقاش فقال نعم حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري المروزي قال حدثنا محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله قال حدثنا سلمة بن صالح قال أنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل عن غياث بن المسيب عن عبد الرحمن بن غنم و زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال كنت جالسا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه و عنده عبد الله بن عباس رضي الله عنه و حوله عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن في القيامة لخمسين موقفا كل موقف منها ألف سنة فأول موقف إذا خرج الناس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة عراة حفاة جياعا عطاشا فمن خرج من قبره مؤمنا بربه مؤمنا بنبيه مؤمنا بجنته و ناره مؤمنا بالبعث و القيامة مؤمنا بالقضاء و القدر خيره و شره مصدقا بما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم من عند ربه نجا و فاز و غنم و سعد و من شك في شيء من هذا بقي في جوعه و عطشه و غمه و كربه ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يساقون من ذلك المقام إلى المحشر فيقفون على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران في حر الشمس و النار عن أيمانهم و النار عن شمائلهم و النار من بين أيديهم و النار من خلفهم و الشمس من فوق رءوسهم و لا ظل إلا ظل العرش فمن لقي الله تبارك و تعالى شاهدا له بالإخلاص مقرا بنبيه صلى الله عليه و سلم بريئا من الشرك و من السحر و بريئا من إهراق دماء المسلمين ناصحا لله و لرسوله محبا لمن أطاع الله و رسوله مبغضا لمن عصى الله و رسوله استظل تحت ظل عرش الرحمن و نجا من غمه و من حاد عن ذلك و وقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة أو تغير قلبه أو شك في شيء من دينه بقي ألف سنة في الحر و الهم و العذاب حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يساق الخلق إلى النور و الظلمة فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام فمن لقي الله تبارك و تعالى لم يشرك به شيئا و لم يدخل في قلبه شيء من النفاق و لم يشك في شيء من أمر دينه و أعطى الحق من نفسه و قال الحق و أنصف الناس من نفسه و أطاع الله في السر و العلانية و رضي بقضاء الله و قنع بما أعطاه الله خرج من الظلمة إلى النور في مقدار طرفة العين مبيضا وجهه قد نجا من الغموم كلها و من خالف في شيء منها بقي في الغم و الهم ألف سنة ثم خرج منها مسودا وجهه و هو في مشيئة الله يفعل به ما يشاء ثم يساق الخلق إلى سرادقات الحساب و هي عشر سرادقات يقفون في كل سرادق منها ألف سنة فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم فإن لم يكن وقع في شيء منها جاز إلى السرادق الثاني فيسأل عن الأهواء فإن كان نجا منها جاز إلى السرادق الثالث فيسأل عن

عقوق الوالدين فإن لم يكن عاقا جاز إلى السرادق الرابع فيسأل عن حقوق من فوض الله إليه أمورهم و عن تعليمهم القرآن و عن أمر دينهم و تأديبهم فإن كان قد فعل جاز إلى السرادق الخامس فيسأل عما ملكت يمينه فإن كان محسنا إليهم جاز إلى السرادق السادس فيسأل عن حق قرابته فإن كان قد أدى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع فيسأل عن صلة الرحم فإن كان وصولا لرحمه جاز إلى السرادق الثامن فيسأل عن الحسد فإن كان لم يكن حاسدا جاز إلى السرادق التاسع فيسأل عن المكر فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السرادق العاشر فيسأل عن الخديعة فإن لم يكن خدع أحدا نجا و نزل في ظل عرش الله تعالى قارة عينه فرحا قلبه ضاحكا فوه و إن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كل موقف منها ألف عام جائعا عطشانا حزنا مغموما مهموما لا ينفعه شفاعة شافع ثم يحشرون إلى أخذ كتبهم بإيمانهم و شمائلهم فيحبسون عند ذلك في خمسة عشر موقفا كل موقف منها ألف سنة فيسألون في أول موقف منها عن الصدقات و ما فرض الله عليهم في أموالهم فمن أداها كاملة جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن قول الحق و العفو عن الناس فمن عفا عفا الله عنه و جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الأمر بالمعروف فإن كان آمرا بالمعروف جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن النهي عن المنكر فإن كان ناهيا عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن حسن الخلق فإن كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الحب في الله و البغض في الله فإن كان محبا في الله مبغضا في الله جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن مال الحرام فإن لم يكن أخذ شيئًا جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن شرب الخمر فإن لم يكن شرب من الخمر شيئًا جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن الفروج الحرام فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن قول الزور فإن لم يكن قاله جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الايمان الكاذبة فإن لم يكن حلفها جاز إلى الموقف الثاني عشر فيسأل عن أكل الربا فإن لم يكن أكله جاز إلى الموقف الثالث عشر فيسأل عن قذف المحصنات فإن لم يكن قذف المحصنات أو افترى على أحد جاز إلى الموقف الرابع عشر فيسأل عن شهادة الزور فإن لم يكن شهدها جاز إلى الموقف الخامس عشر فيسأل عن البهتان فإن لم يكن بهت مسلما مر فنزل تحت لواء الحمد و أعطى كتابه بيمينه و نجا من غم الكتاب و هوله و حوسب حِساباً يَسِيراً و إن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب ثم خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقي في كل موقف من هذه الخمسة عشر موقفا ألف سنة في الغم و الهول و الهم و الحزن و الجوع و العطش حتى يقضي الله عز و جل فيه بما يشاء ثم يقام الناس في قراءة كتبهم ألف عام فمن كان سخيا قد قدم ماله ليوم فقره و حاجته و فاقته قرأ كتابه و هون عليه قراءته و كسي من ثياب الجنة و توج من تيجان الجنة و أقعد تحت ظل عرش الرحمن آمنا مطمئنا و إن كان بخيلا لم يقدم ماله ليوم فقره و فاقته أعطى كِتابَهُ بِشِمالِهِ و يقطع له من مقطعات النيران يقاوم على رءوس الخلائق ألف عام في الجوع و العطش و العرى و الهم و الغم و الحزن و الفضيحة حتى يقضي الله عز و جل فيه بما يشاء ثم يحشر الناس إلى الميزان فيقومون عند الميزان ألف عام فمن رجح ميزانه بحسناته فاز و نجا في طرفة عين و من خف ميزانه من حسناته و ثقلت سيئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغم و الهم و الحزن و العذاب و الجوع و العطش حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يدعي بالخلق إلى الموقف بين يدي الله في اثني عشر موقفا كل موقف منها مقدار ألف عام فيسأل في

أول موقف عن عتق الرقاب فإن كان أعتق رقبة أعتق الله رقبته من النار و جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن القرآن و حقه و قراءته فإن جاء بذلك تاما جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الجهاد فإن كان جاهد في سبيل الله محتسبا جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن الغيبة فإن لم يكن اغتاب جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن النميمة فإن لم يكن نماما جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الكذب فإن لم يكن كذابا جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن طلب العلم فإن كان طلب العلم و عمل به جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن العجب فإن لم يكن معجبا بنفسه في دينه و دنياه أو في شيء من عمله جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن التكبر فإن لم يكن تكبر على أحد جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن القنوط من رحمة الله فإن لم يكن قنط من رحمة الله جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأمن من مكر الله فإن لم يكن أمن من مكر الله جاز إلى الموقف الثاني عشر فيسأل عن حق جاره فإن كان أدى حق جاره أقيم بين يدي الله تعالى قريرا عينه فرحا قلبه مبيضا وجهه كاسيا ضاحكا مستبشرا فيرحب به ربه و يبشره برضاه عنه فيفرح عند ذلك فرحا لا يعلمه أحد إلا الله فإن لم يأت بواحدة منهن تامة و مات غير تائب حبس عند كل موقف ألف عام حتى يقضي الله عز و جل فيه بما يشاء ثم يؤمر بالخلائق إلى الصراط فينتهون إلى الصراط و قد ضربت عليه الجسور على جهنم أدق من الشعر و أحد من السيف و قد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام و لهيب جهنم بجانبها يلتهب و عليها حسك و كلاليب و خطاطيف و هي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها و على كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعود و ألف عام استواء و ألف عام هبوط و ذلك قول الله عز و جل إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ يعني على تلك الجسور و ملائكة يرصدون الخلق عليها ليسأل العبد عن الايمان بالله فإن جاء به مؤمنا مخلصا لا شك فيه و لا زيغ جاز إلى الجسر الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر الرابع فيسأل عن الصيام فإن جاء به تاما جاز إلى الجسر الخامس فيسأل عن حجة الإسلام فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر السادس فيسأل عن الطهر فإن جاء به تاما جاز إلى الجسر السابع فيسأل عن المظالم فإن كان لم يظلم أحدا جاز إلى الجنة و إن كان قصر في واحدة منهن حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضي الله عز و جل فيه بما يشاء و ذكر الحديث إلى آخره و سيأتي بقية الحديث إن شاء الله في باب الجنة فإنه يختص بالجنة و لم نذكر النشأة الأخرى التي يحشر فيها الإنسان في باب البرزخ لأنها نشأة محسوسة غير خيالية و القيامة أمر محقق موجود حسي مثل ما هو الإنسان في الدنيا فلذلك أخرنا ذكرها إلى هذا الباب (وصل) اعلم أن الناس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام و لم نتعرض لمذهب من يحمل الإعادة و النشأة لآخرة على أمور عقلية غير محسوسة فإن ذلك على خلاف ما هو الأمر عليه لأنه جهل إن ثم نشأتين نشأة الأجسام و نشأة الأرواح و هي النشأة المعنوية فأثبتوا المعنوية و لم يثبتوا المحسوسة و نحن نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانية المعنوية لا بما خالف فيه و أن عين موت الإنسان هو قيامته لكن القيامة الصغرى فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول من مات فقد قامت قيامته و إن الحشر جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية هذا كله أقول به كما يقول المخالف و إلى هنا ينتهي حديثه في القيامة و يختلف في ذلك بعينه من

يقول بالتناسخ و من لا يقول به و كلهم عقلاء أصحاب نظر و يحتجون في ذلك كله بظواهر آيات من الكتاب و أخبار من السنة إن أوردناها و تكلمنا عليها طال الباب في الخوض معهم في تحقيق ما قالوه و ما منهم من نحل نحلة في ذلك إلا و له وجه حق صحيح و إن القائل به فهم بعض مراد الشارع و نقصه علم ما فهمه غيره من إثبات الحشر المحسوس في الأجسام المحسوسة و الميزان المحسوس و الصراط المحسوس و النار و الجنة المحسوستان كل ذلك حق و أعظم في القدرة و في علم الطبيعة بقاء الأجسام الطبيعية في الدارين إلى غير مدة متناهية بل مستمرة الوجود و أن الناس ما عرفوا من أمر الطبيعة إلا قدر ما أطلعهم الحق عليه من ذلك مما ظهر لهم في مدد حركات الأفلاك و الكواكب السبعة و لهذا جعلوا العمر الطبيعي مائة و عشرين سنة الذي اقتضاه هذا الحكم فإذا زاد الإنسان على هذه المدة وقع في العمر المجهول و إن كان من الطبيعة و لم يخرج عنها و لكن ليس في قوة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص فكما زاد على العمر الطبيعي سنة و أكثر جاز أن يزيد على ذلك آلافا من السنين و جاز أن يمتد عمره دائما و لولا أن الشرع عرف بانقضاء مدة هذه الدار و أن كل نفس ذائقة الموت و عرف بالإعادة و عرف بالدار الآخرة و عرف بأن الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية ما عرفنا ذلك و ما خرجنا في كل حال من موت و إقامة و بعث أخروي و نشأة أخرى و جنان و نعيم و نار و عذاب بأكل محسوس و شرب محسوس و نكاح محسوس و لباس على المجرى الطبيعي فعلم الله أوسع و أتم و الجمع بين العقل و الحس و العقول و المحسوس أعظم في القدرة و أتم في الكمال الإلهي ليستمر له سبحانه في كل صنف من الممكنات حكم عالم الغيب و الشهادة و يثبت حكم الاسم الظاهر و الباطن في كل صنف فإن فهمت فقد وفقت و تعلم أن العلم الذي أطلع عليه النبيون و المؤمنون من قبل الحق أعم تعلقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجردة عن الفيض الإلهي فالأولى بكل ناصح نفسه الرجوع إلى ما قالته الأنبياء و الرسل على الوجهين المعقول و المحسوس إذ لا دليل للعقل يحيل ما جاءت به الشرائع على تأويل مثبتي المحسوس من ذلك و المعقول فالإمكان باق حكمه و المرجح موجود فبما ذا يحيل و ما أحسن قول القائل

لا تبعث الأجسام قلت إليكما	زعم المنجم و الطبيب كلاهما
أو صح قولي فالخسار عليكما	إن صح قولكما فلست بخاسر

فقوله فالخسار عليكما يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ما جاءتهم به الرسل عليهم السلام و قوله فلست بخاسر فإني مؤمن أيضا بالأمور المعنوية المعقولة مثلكم و زدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به و لم يرد القائل به أنه يشك بقوله إن صح و إنما ذلك على مذهبك أيها المخاطب و هذا يستعمل مثله كثيرا فتدبر كلامي هذا و ألزم الايمان نفسك تربح و تسعد إن شاء الله تعالى و بعد أن تقرر هذا فاعلم إن الخلاف الذي وقع بين المؤمنين القائلين في ذلك بالحس و المحسوس إنما هو راجع إلى كيفية الإعادة فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة تكون في الناس مثل ما بدأهم بنكاح و تناسل و ابتداء خلق من طين و نفخ كما جرى من خلق آدم و حواء و سائر البنين من نكاح و اجتماع إلى آخر مولود في العالم البشرى الإنساني و كل ذلك في زمان صغير و مدة قصيرة على حسب ما يقدره الحق تعالى هكذا زعم الشيخ أبو القاسم بن قسي في خلع النعلين له في قوله

تعالى كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فلا أدري هل هو مذهبه أو هل قصد شرح المتكلم به و هو خلف الله الذي جاء بذلك الكلام و كان من الأمين و منهم من قال بالخبر المروي إن السماء تمطر مطرا شبه المني تمخض به الأرض فتنشأ منه النشأة الآخرة و أما قوله تعالى عندنا كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ هو قوله وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ و قوله كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا و قد علمنا إن النشأة الأولى أوجدها الله تعالى على غير مثال سبق فهكذا النشأة الآخرة يوجدها الله تعالى على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك و قد ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم من صفة نشأة أهل الجنة و النار ما يخالف ما هي عليه هذه النشأة الدنيا فعلمنا إن ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشئها عليه و هو أعظم في القدرة و أما قوله وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ فلا يقدح فيما قلنا فإنه لو كانت النشأة الأولى عن اختراع فكر و تدبر و نظر إلى أن خلق أمرا فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقا آخر مما يقارب ذلك و يزيد عليه أقرب للاختراع و الاستحضار في حق من يستفيد الأمور بفكره و الله منزه عن ذلك و متعال عنه علوا كبيرا فهو الذي يفيد العالم و لا يستفيد و لا يتجدد له علم بشيء بل هو عالم بتفصيل ما لا يتناهى بعلم كلي فعلم التفصيل في عين الإجمال و هكذا ينبغي لجلاله أن يكون فينشئ الله النشأة الآخرة على عجب الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا و هو أصلها فعليه تركب النشأة الآخرة فأما أبو حامد فرأى إن العجب المذكور في الخبر أنه النفس و عليها تنشأ النشأة الآخرة و قال غيره مثل أبي زيد الرقراقي هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغير عليه تنشأ النشأة الأخرى و كل ذلك محتمل و لا يقدح في شيء من الأصول بل كلها توجيهات معقولة يحتمل كل توجيه منها أن يكون مقصودا و الذي وقع لي به الكشف الذي لا أشك فيه إن المراد بعجب الذنب هو ما تقوم عليه النشأة و هو لا يبلى أي لا يقبل البلى فإذا أنشأ الله النشأة الآخرة و سواها و عدلها و إن كانت هي الجواهر بأعيانها فإن الذوات الخارجة إلى الوجود من العدم لا تنعدم أعيانها بعد وجودها و لكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات و الامتزاجات التي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فإذا تهيأت هذه الصور كانت كالحشيش المحرق و هو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنارية التي فيه لقبول الاشتعال و الصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها و تمر النفخة التي تليها و هي الأخرى إلى الصورة المستعدة للاشتعال و هي النشأة الأخرى فتشتعل بأرواحها فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها الله به فمن ناطق بالحمد لله و من ناطق يقول مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا و من ناطق يقول سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ و كل ناطق ينطق بحسب علمه و ما كان عليه و نسي حاله في البرزخ و يتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما تخيله المستيقظ و قد كان حين مات و انتقل إلى البرزخ كان كالمستيقظ هناك و أن الحياة الدنيا كانت له كالمنام و في الآخرة يعتقد في أمر الدنيا و البرزخ أنه منام في منام و أن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة و هو في ذلك الحال يقول إن الإنسان في الدنيا كان في منام ثم انتقل بالموت إلى البرزخ فكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنه استيقظ من النوم ثم بعد ذلك في النشأة الآخرة هي اليقظة التي لا نوم فيها و لا نوم بعدها لأهل السعادة لكن لأهل النار و فيها راحتهم كما قدمنا و قال رسول الله صلى الله عليه و

سلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فالدنيا بالنسبة إلى البرزخ نوم و منام فإن البرزخ أقرب إلى الأمر الحق فهو أولى باليقظة و البرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام فاعلم ذلك فإذا قام الناس و مدت الأرض وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ و انكدرت النجوم و كورت الشمس وَخَسَفَ الْقَمَرُ و حشر الوحوش و سجرت البحار و زوجت النفوس بأبدانها و نزلت الملائكة عَلَى أَرْجَائِهَا أعني أرجاء السموات و أتى ربنا في ظُلَلٍ من الْغَمَامِ و نادى المنادي يا أهل السعادة فأخذ منهم الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم و خرج العنق من النار فقبض الثلاث لطوائف الذين ذكرناهم و ماج الناس و اشتد الحر و ألجم الناس العرق و عظم الخطب و جل الأمر و كان البهت فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً و جيء بجهنم و طال الوقوف بالناس و لم يعلموا ما يريد الحق بهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول الناس بعضهم لبعض تعالوا ننطلق إلى أبينا آدم فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه فقد طال وقوفنا فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك فيقول آدم إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله و ذكر خطيئته فيستحي من ربه أن يسأله فيأتون إلى نوح بمثل ذلك فيقول لهم مثل ما قال آدم و يذكر دعوته على قومه و قوله وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً فموضع المؤاخذة عليه قوله وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاء ثم يأتون إلى إبراهيم عليه السلام بمثل ذلك فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدم فيقول كما قال من تقدم و يذكر كذباته الثلاث ثم يأتون إلى موسى و عيسى و يقولون لكل واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيبونهم مثل جواب آدم فيأتون إلى محمد صلى الله عليه و سلم و هو سيد الناس يوم القيامة فيقولون له مثل ما قالوا للأنبياء فيقول محمد صلى الله عليه و سلم أنا لها و هو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة فيأتي و يسجد و يحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع إلى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن في الشفاعة للملائكة و الرسل و الأنبياء و المؤمنين فبهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فإنه شفع عند الله أن تشفع الملائكة و الرسل و مع هذا تأدب صلى الله عليه و سلم و قال أنا سيد الناس و لم يقل سيد الخلائق فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم السلام كلهم و لم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام عليهم من اختصاصه بعلم الأسماء كلها فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة و الناس من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة و إظهار ما له من الجاه عند الله إذ كان القهر الإلهي و الجبروت الأعظم قد أخرس الجميع و كان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام و أعظم في يوم اشتدت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الإلهي الذي تجلى فيه الحق في ذلك اليوم و لم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم فدل بالمجموع على عظيم قدره صلى الله عليه و سلم حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلهية على مناجاة الحق فيما سأل فيه فأجابه الحق سبحانه فعلقت الموازين و نشرت الصحف و نصب الصراط و بديء بالشفاعة فأول ما شفعت الملائكة ثم النبيون ثم المؤمنون و بقي أرحم الراحمين و هنا تفصيل عظيم يطول الكلام فيه فإنه مقام عظيم غير أن الحق يتجلى في ذلك اليوم فيقول لتتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى تبقي هذه الأمة و فيها منافقوها فيتجلى لهم الحق في أدنى صورة من الصور التي كان تجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول أنا ربكم فيقولون

نعوذ بالله منك ها نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل و تعالى هل بينكم و بينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله إلا سجد و من كان يسجد إتقاء و رياء جعل الله ظهره طبقة نحاس كلما أراد أن يسجد خر على قفاه و ذلك قوله يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ . . . وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ يعني في الدنيا و الساق التي كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتد الحرب و عظم أمرها و كذلك الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ أي دخلت الأهوال و الأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة فإذا وقعت الشفاعة و لم يبق في النار مؤمن شرعي أصلا و لا من عمل عملا مشروعا من حيث ما هو مشروع بلسان نبي و لو كان مِثْقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فما فوق ذلك في الصغر إلا خرج بشفاعة النبيين و المؤمنين و بقي أهل التوحيد الذين علموا التوحيد بالأدلة العقلية و لم يشركوا بالله شيئًا و لا آمنوا إيمانا شرعيا و لم يعملوا خيرا قط من حيث ما اتبعوا فيه نبيا من الأنبياء فلم يكن عندهم ذرة من إيمان فما دونها فيخرجهم أرحم الراحمين و ما عملوا خيرا قط يعني مشروعا من حيث ما هو مشروع و لا خير أعظم من الايمان و ما عملوه و هذا حديث عثمان بن عفان في الصحيح لمسلم بن الحجاج قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من مات و هو يعلم و لم يقل يؤمن أنه لا إله إلا الله دخل الجنة و لا قال يقول بل أفرد العلم ففي هؤلاء تسبق عناية الله في النار فإن النار بذاتها لا تقبل تخليد موحد لله بأي وجه كان و أتم وجوهه الايمان عن علم فجمع بين العلم و الايمان فإن قلت فإن إبليس يعلم أن الله واحد قلنا صدقت و لكنه أول من سن الشرك فعليه إثم المشركين و إثمهم إنهم لا يخرجون من النار هذا إذا ثبت أنه مات موحدا و ما يدريك لعله مات مشركا لشبهة طرأت عليه في نظره و قد تقدم الكلام على هذه المسألة فيما مضى من الأبواب فإبليس ليس بخارج من النار فالله يعلم أي ذلك كان و هنا علوم كثيرة و فيها طول يخرجنا عن المقصود من الاختصار إيرادها و لكن مع هذا فلا بد أن نذكر نبذة من كل موطن مشهور من مواطن القيامة كالعرض و أخذ الكتب و الميزان و الصراط و الأعراف و ذبح الموت و المأدبة التي تكون في ميدان الجنة فهذه سبعة مواطن لا غير و هي أمهات للسبعة الأبواب التي للنار و السبعة الأبواب التي للجنة فإن الباب الثامن هو لجنة الرؤية و هو الباب المغلق الذي في النار و هو باب الحجاب فلا يفتح أبدا فإن أهل النار محجوبون عن ربهم الأول و هو العرض اعلم أنه قد ورد في الخبر أن رسول الله ص سئل عن قوله تعالى فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً فقال ذلك العرض يا عائشة من نوقش الحساب عذب و هو مثل عرض الجيش أعني عرض الأعمال لا لأنها زي أهل الموقف و الله الملك فيُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ كما يعرف الأجناد هنا بزيهم الثاني الكتب قال تعالى اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً و قال فَأَمَّا من أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ و هو المؤمن السعيد وَأَمَّا من أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ و هو المنافق فإن الكافر لا كتاب له فالمنافق سلب عنه الايمان و ما أخذ منه الإسلام فقيل في المنافق إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فيدخل فيه المعطل و المشرك و المتكبر على الله و لم يتعرض للإسلام فإن المنافق ينقاد ظاهرا ليحفظ ماله و أهله و

دمه و يكون في باطنه واحدا من هؤلاء الثلاثة و إنما قلنا إن هذه الآية تعم الثلاثة فإن قوله لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ معناه لا يصدق بالله و الذين لا يصدقون بالله هم طائفتان طائفة لا تصدق بوجود الله و هم المعطلة و طائفة لا تصدق بتوحيد الله و هم المشركون و قوله العظيم في هذه الآية يدخل فيها المتكبر على الله فإنه لو اعتقد عظمة الله التي يستحقها من يسمى بالله لم يتكبر عليه و هؤلاء الثلاثة مع هذا المنافق الذي تميز عنهم بخصوص وصف هم أهل النار الذين هم أهلها وَأَمَّا من أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ فهم الذين أوتوا الكتاب فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا به ثَمَناً قَلِيلًا فإذا كان يوم القيامة قيل له خذه من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الأعمال فإنه حين نبذه وراء ظهره ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ أي تيقن قال الشاعر فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج أي تيقنوا ورد في الصحيح يقول الله له يوم القيامة أ ظننت أنك ملاقي و قال تعالى وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ. الثالث الموازين فتوضع الموازين لوزن الأعمال فيجعل فيها الكتب بما عملوا و آخر ما يوضع في الميزان قول الإنسان الحمد لله و لهذا قال صلى الله عليه و سلم الحمد لله تملأ الميزان فإنه يلقى في الميزان جميع أعمال العباد إلا كلمة لا إله إلا الله فيبقى من ملئه تحميدة فتجعل فيمتلئ بها فإن كفة ميزان كل أحد بقدر عمله من غير زيادة و لا نقصان و كل ذكر و عمل يدخل الميزان إلا لا إله إلا الله كما قلنا و سبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده فيجعل هذا الخير في موازنته و لا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك و لا يجتمع توحيد و شرك في ميزان أحد لأنه إن قال لا إله إلا الله معتقدا لها فما أشرك و إن أشرك فما اعتقد لا إله إلا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم يكن لكلمة لا إله إلا الله من يعادلها في الكفة الأخرى و لا يرجحها شيء فلهذا لا تدخل الميزان و أما المشركون فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً أي لا قدر لهم و لا يوزن لهم عمل و لا من هو من أمثالهم ممن كذب بلقاء الله و كفر بآياته فإن أعمال خير المشرك محبوطة فلا يكون لشرهم ما يوازنه فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً و أما صاحب السجلات فإنه شخص لم يعمل خير قط إلا أنه تلفظ يوما بكلمة لا إله إلا الله مخلصا فتوضع له في مقابلة التسعة و التسعين سجلا من أعمال الشر كل سجل منها كما بين المغرب و المشرق و ذلك لأنه ما له عمل خير غيرها فترجح كفتها بالجميع و تطيش السجلات فيتعجب من ذلك و لا يدخل الموازين إلا أعمال الجوارح شرها و خيرها السمع و البصر و اللسان و اليد و البطن و الفرج و الرجل و أما الأعمال الباطنة فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل و هو الميزان الحكمي المعنوي محسوس لمحسوس و معنى لمعنى يقابل كل شيء بمثله فلهذا توزن الأعمال من حيث ما هي مكتوبة. الرابع الصراط و هو الصراط المشروع الذي كان هنا معنى ينصب هنالك حسا محسوسا يقول الله لنا وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ و لما تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية خط خطا و خط عن جنبتيه خوطا هكذا و هذا هو صراط التوحيد و لوازمه و حقوقه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام و حسابهم على الله أراد بقوله و حسابهم على الله أنه لا يعلم أنهم قالوها معتقدين لها إلا الله فالمشرك

لا قدم له على صراط التوحيد و له قدم على صراط الوجود و المعطل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف إلى النار مع المعطلة و من هو من أهل النار الذين هم أهلها إلا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا إلى الجنة و فيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من نعيم الجنان ثم يصرفون إلى النار و هذا من عدل الله فقوبلوا بأعمالهم و الطائفة التي لا تخلد في النار إنما تمسك و تسأل و تعذب على الصراط و الصراط على متن جهنم غائب فيها و الكلاليب التي فيه بها يمسكهم الله عليه و لما كان الصراط في النار و ما ثم طريق إلى الجنة إلا عليه قال تعالى وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا و من عرف معنى هذا القول عرف مكان جهنم ما هو و لو قاله النبي صلى الله عليه و سلم لما سئل عنه لقلته فما سكت عنه و قال في الجواب في علم الله إلا بأمر إلهي فإنه ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى و ما هو من أمور الدنيا فسكوتنا عنه هو الأدب و قد أتى في صفة الصراط أنه أدق من الشعر و أحد من السيف و كذا هو علم الشريعة في الدنيا لا يعلم وجه الحق في المسألة عند الله و لا من هو المصيب من المجتهدين بعينه و لذلك تعبدنا بغلبات الظنون بعد بذل المجهود في طلب الدليل لا في المتواتر و لا في خبر الواحد الصحيح المعلوم فإن المتواتر و إن أفاد العلم فإن العلم المستفاد من التواتر إنما هو عين هذا اللفظ أو العلم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله أو عمل به و مطلوبنا بالعلم ما يفهم من ذلك القول و العمل حتى يحكم في المسألة على القطع و هذا لا يوصل إليه إلا بالنص الصريح المتواتر و هذا لا يوجد إلا نادرا مثل قوله تعالى تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ في كونها عشرة خاصة فحكمها بالشرع أحد من السيف و أدق من الشعر في الدنيا فالمصيب للحكم واحد لا بعينه و الكل مصيب للأجر فالشرع هنا هو الصراط المستقيم و لا يزال في كل ركعة من الصلاة يقول اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ فهو أحد من السيف و أدق من الشعر فظهوره في الآخرة محسوس أبين و أوضح من ظهوره في الدنيا إلا لمن دعا إلى الله على بصيرة كالرسول و أتباعه فألحقهم الله بدرجة الأنبياء في الدعاء إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أي على علم و كشف و قد ورد في خبر أن الصراط يظهر يوم القيامة متنه للابصار على قدر نور المارين عليه فيكون دقيقا في حق قوم و عريضا في حق آخرين يصدق هذا الخبر قوله تعالى نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ و السعي مشي و ما ثم طريق إلا الصراط و إنما قال بِأَيْمانِهِمْ لأن المؤمن في الآخرة لا شمال له كما أن أهل النار لا يمين لهم هذا بعض أحوال ما يكون على الصراط و أما الكلاليب و الخطاطيف و الحسك كما ذكرنا هي من صور أعمال بنى آدم تمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينتهضون إلى الجنة و لا يقعون في النار حتى تدركهم الشفاعة و العناية الإلهية كما قررنا فمن تجاوز هنا تجاوز الله عنه هناك و من أنظر معسرا أنظره الله و من عفا عفا الله عنه و من استقصى حقه هنا من عباده استقصى الله حقه منه هناك و من شدد على هذه الأمة شدد الله عليه و إنما هي أعمالكم ترد عليكم فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده كان ما كان و كانوا ما كانوا الخامس الأعراف و أما الأعراف فسور بين الجنة و النار باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ و هو ما يلي الجنة منه وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ و هو ما يلي النار منه يكون عليه من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون إلى النار و ينظرون إلى الجنة و ما لهم رجحان بما يدخلهم أحد الدارين فإذا دعوا إلى السجود و هو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف فيسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة و

قد كانوا ينظرون إلى النار بما لهم من السيئات و ينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات و يرون رحمة الله فيطمعون و سبب طمعهم أيضا إنهم من أهل لا إله إلا الله و لا يرونها في ميزانهم و يعلمون إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ و لو جاءت ذرة لإحدى الكفتين لرجحت بها لأنهما في غاية الاعتدال فيطمعون في كرم الله و عدله و أنه لا بد أن يكون لكلمة لا إله إلا الله عناية بصاحبها يظهر لها أثر عليهم يقول عز و جل فيهم وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ كما نادوا أيضا إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ و الظلم هنا الشرك لا غير السادس ذبح الموت الموت و إن كان نسبة فإن الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح و ينادي يا أهل الجنة فيشرئبون و ينادي يا أهل النار فيشرئبون و ليس في النار في ذلك الوقت إلا أهلها الذين هم أهلها فيقال للفريقين أ تعرفون هذا و هو بين الجنة و النار فيقولون هو الموت و يأتي يحيى عليه السلام و بيده الشفرة فيضجعه و يذبحه و ينادي مناديا أهل الجنة خلود فلا موت و يا أهل النار خلود فلا موت و ذلك هو يَوْمَ الْحَسْرَةِ فأما أهل الجنة إذا رأوا الموت سروا برؤيته سرورا عظيما و يقولون له بارك الله لنا فيك لقد خلصتنا من نكد الدنيا و كنت خير وارد علينا و خير تحفة أهداها الحق إلينا فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول الموت تحفة المؤمن و أما أهل النار إذا أبصروه يفرقون منه و يقولون له لقد كنت شر وارد علينا حلت بيننا و بين ما كنا فيه من الخير و الدعة ثم يقولون له عسى تميتنا فنستريح مما نحن فيه و إنما سمي يوم الحسرة لأنه حسر للجميع أي ظهر عن صفة الخلود الدائم للطائفتين ثم تغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده و تنطبق النار على أهلها و يدخل بعضها في بعض ليعظم انضغاط أهلها فيها و يرجع أسفلها أعلاها و أعلاها أسفلها و ترى الناس و الشياطين فيها كقطع اللحم في القدر إذ كان تحتها النار العظيمة تغلي كَغَلْيِ الْحَمِيمِ فتدور بمن فيها علوا و سفلا كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً بتبديل الجلود السابع المأدبة و هي مأدبة الملك لأهل الجنة و في ذلك الوقت يجتمع أهل النار في مندبة فأهل الجنة في المأدب و أهل النار في المنادب و طعامهم في تلك المأدبة زيادة كبد النون و أرض الميدان درمكة بيضاء مثل القرصة و يخرج من الثور الطحال لأهل النار فيأكل أهل الجنة من زيادة كبد النون و هو حيوان بحري مائي فهو من عنصر الحياة المناسبة للجنة و الكبد بيت الدم و هو بيت الحياة و الحياة حارة رطبة و بخار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن فهو بشارة لأهل الجنة ببقاء الحياة عليهم و أما الطحال في جسم الحيوان فهو بيت الأوساخ فإن فيه تجتمع أوساخ البدن و هو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطي لأهل النار يأكلونه و هو من الثور و الثور حيوان ترابي طبعه البرد و اليبس و جهنم على صورة الجاموس و الطحال من الثور لغذاء أهل النار أشد مناسبة فبما في الطحال من الدمية لا يموت أهل النار و بما فيه من أوساخ البدن و من الدم الفاسد المؤلم لا يحيون و لا ينعمون فيورثهم أكله سقما و مرضا ثم يدخل أهل الجنة الجنة فَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثامن و العشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الخامس و الستون في معرفة الجنة و منازلها و درجاتها و ما يتعلق بهذا الباب)

مراتب الجنة المحسوسة انقسمت	إلى منازل و الأعمال تطلبها
فكل ذي عمل تجري ركائبه	به إليها و رسل الله تحجبها
وجنة الاختصاصات التي انفهقت	للمكرمين جنان الورث تعقبها
نور الكواكب كنا نستضيء بها	و نورنا اليوم في عدن مكوكبها
لو أن غير صراط العرش مركبنا	لزال عند ورود الشرع مركبها
فصالح العمل المشروع يظهرها	نورا و من ذاته الإجلال يكسبها

اعلم أيدنا الله و إياك أن الجنة جنتان جنة محسوسة و جنة معنوية و العقل يعقلهما معا كما إن العالم عالمان عالم لطيف و عالم كثيف و عالم غيب و عالم شهادة و النفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم و المعارف من طريق نظرها و فكرها و ما وصلت إليه من ذلك بالأدلة العقلية و نعيم بما تحمله من اللذات و الشهوات مما يناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل و شرب و نكاح و لباس و روائح و نغمات طيبة تتعلق بها الأسماع و جمال حي في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر في نساء كاعبات و وجوه حسان و ألوان متنوعة و أشجار و أنهار كل ذلك تنقله الحواس إلى النفس الناطقة فتلتذ به من جهة طبيعتها و لو لم يلتذ به إلا الروح الحساس الحيواني لا النفس الناطقة لكان الحيوان يلتذ بالوجه الجميل من المرأة المستحسنة و الغلام الحسن الوجه و الألوان و المصاغ فلما لم نر شيئا من الحيوان يلتذ بشيء من ذلك علمنا قطعا إن النفس الناطقة هي التي تلتذ بجميع ما تعطيه القوة الحسية مما تشاركها في إدراكه الحيوانات و مما لا تشاركها فيه و اعلم أن الله خلق هذه الجنة المحسوسة بطالع الأسد الذي هو الإقليد و برجه هو الأسد و خلق الجنة المعنوية التي هي روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهي من صفة الكمال و الابتهاج و السرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم و الجنة المعقولة كالروح و قواه و لهذا سماها الحق تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتنعمون فيها حسا و معنى فالمعنى الذي هو اللطيفة الإنسانية و الجنة أيضا أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها و لهذا تطلب ملأها من الساكنين و قد ورد في خبر عن النبي صلى الله عليه و سلم أن الجنة اشتاقت إلى بلال و علي و عمار و سلمان فوصفها بالشوق إلى هؤلاء و ما أحسن موافقة هذه الأسماء لما في شوقها من المعاني فإن الشوق من المشتاق فيه ضرب ألم لطلب اللقاء و بلال من أبل الرجل من مرضه و استبل و يقال بل الرجل من دائه و بلال معناه و سلمان من السلامة من الآلام و الأمراض و عما رأى بعمارتها بأهلها يزول ألمها فإن الله سبحانه يتجلى لعباده فيها فعلي يعلو بذلك التجلي شأنها على النار التي هي أختها حيث فازت بدرجة التجلي و الرؤية إذ كانت النار دار حجاب فانظر في موافقة هذه الأسماء الأربعة لصورة حال الجنة حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين و الناس على أربع مراتب في هذه المسألة فمنهم من يشتهي و يشتهى و هم الأكابر من رجال الله من رسول و نبي و ولي كامل و منهم من يشتهي

و لا يشتهي و هم أصحاب الأحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله الذين غلب معناهم على حسهم و هم دون الطبقة الأولى فإنهم أصحاب أحوال و منهم من يشتهي و لا يشتهي و هم عصاة المؤمنين و منهم من لا يشتهي و لا يشتهي و هم المكذبون بيَوْمِ الدِّينِ و القائلون بنفي الجنة المحسوسة و لا خامس لهؤلاء الأربعة الأصناف و اعلم أن الجنات ثلاث جنات جنة اختصاص إلهي و هي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل و حدهم من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخا إلى انقضاء ستة أعوام و يعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء و من أهلها المجانين الذين ما عقلوا و من أهلها أهل التوحيد العلمي و من أهلها أهل الفترات و من لم تصل إليهم دعوة رسول و الجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا و من المؤمنين و هي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها و الجنة الثالثة جنة الأعمال و هي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر و سواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أنه فضله في هذا المقام بهذه الحالة فما من عمل من الأعمال إلا و له جنة و يقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لبلال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما وطئت منها موضعا إلا سمعت خشخشتك أمامي فقال يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت و لا توضأت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بهما فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لبلال بم نلت أن تكون مطرقا بين يدي تحجبني من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة فلما ذكر له ذلك قال له صلى الله عليه و سلم بهما فما من فريضة و لا نافلة و لا فعل خير و لا ترك محرم و مكروه إلا و له جنة مخصوصة و نعيم خاص يناله من دخلها و التفاضل على مراتب فمنها بالسن و لكن في الطاعة و الإسلام فيفضل الكبير السن على الصغير السن إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل بالسن فإنه أقدم منه فيه و يفضل أيضا بالزمان فإن العمل في رمضان و في يوم الجمعة و في ليلة القدر و في عشر ذي الحجة و في عاشوراء أعظم من سائر الأزمان و كل زمان عينه الشارع و تقع المفاضلة بالمكان كالمصلي في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصلي في مسجد المدينة و كذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى و هكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على سائر المساجد و يتفاضلون أيضا بالأحوال فإن الصلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشخص وحده و أشباه هذا و يتفاضلون بالأعمال فإن الصلاة أفضل من إماطة الأذى و قد فضل الله الأعمال بعضها على بعض و يتفاضلون أيضا في نفس العمل الواحد كالمتصدق على رحمه فيكون صاحب صلة رحم و صدقة و المتصدق على غير رحمه دونه في الأجر و كذلك من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل ممن أهدى لغير شريف أو بره أو أحسن إليه و وجوه المفاضلة كثيرة في الشرع و إن كانت محصورة و لكن أريتك منها أنموذجا تعرف به ما قصدناه بالمفاضلة و الرسل عليهم السلام إنما ظهر فضلها في الجنة على غيرها بجنة الاختصاص و أما بالعمل فهم في جنات الأعمال بحسب الأحوال كما ذكرنا و كل من فضل غيره ممن ليس في مقامه فمن جنات الاختصاص لا من جنات الأعمال و من الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالا كثيرة فيصرف سمعه فيما ينبغي في زمان تصريفه بصره في

زمان تصريفه يده في زمان صومه في زمان صدقته في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل و ترك فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك و لذلك لما ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم الثمانية الأبواب من الجنة أن يدخل من أيها شاء قال أبو بكر يا رسول الله و ما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر فأراد أبو بكر بذلك القول ما ذكرنا أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تعم أبواب الجنة و من هنا أيضا تعرف النشأة الآخرة فكما لا تشبه الجنة الدنيا في أحوالها كلها و إن اجتمعت في الأسماء كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا و إن اجتمعتا في الأسماء و الصورة الشخصية فإن الروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسية و قد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة فيكون الإنسان بعينه في أماكن كثيرة و أما عامة الناس فيدركون ذلك في المنام و لقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع و أخذتها بشرى من الله فإنها مطابقة لحديث نبوي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام فقال صلى الله عليه و سلم مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطا فأكمله إلا لبنة واحدة فكنت أنا تلك اللبنة فلا رسول بعدي و لا نبي فشبه النبوة بالحائط و الأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط و هو تشبيه في غاية الحسن فإن مسمى الحائط هنا المشار إليه لم يصح ظهوره إلا باللبن فكان صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين فكنت بمكة سنة تسع و تسعين و خمسمائة أرى فيما يرى النائم الكعبة مبنية بلبن فضة و ذهب لبنة فضة و لبنة ذهب و قد كملت بالبناء و ما بقي فيها شيء و أنا أنظر إليها و إلى حسنها فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني و الشامي هو إلى الركن الشامي أقرب فوجدت موضع لبنتين لبنة فضة و لبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب و في الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين فكنت أنا عين تينك اللبنتين و كمل الحائط و لم يبق في الكعبة شيء ينقص و أنا واقف أنظر و اعلم إني واقف و اعلم إني عين تينك اللبنتين لا أشك في ذلك و أنهما عين ذاتي و استيقظت فشكرت الله تعالى و قلت متأولا إني في الاتباع في صنفي كرسول الله صلى الله عليه و سلم في الأنبياء عليهم السلام و عسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ و ذكرت حديث النبي صلى الله عليه و سلم في ضربه المثل بالحائط و أنه كان تلك اللبنة فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر فأخبرني في تأويلها بما وقع لي و ما سميت له الرائي من هو فالله أسأل أن يتمها علي بكرمه فإن الاختصاص الإلهي لا يقبل التحجير و لا الموازنة و لا العمل و إن ذلِكَ من فَضْلِ اللهِ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ من يَشاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ و اعلم أن جنة الأعمال مائة درجة لا غير كما إن النار مائة درك غير أن كل درجة تنقسم إلى منازل فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الأمة المحمدية و ما تفضل به على سائر الأمم فإنها خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ بشهادة الحق في القرآن و تعريفه و هذه المائة درجة في كل جنة من الثمان الجنات و صورتها جنة في جنة و أعلاها جنة عدن و هي قصبة الجنة فيها الكثيب الذي يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى و هي أعلى جنة في الجنات هي في الجنات بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن إنما هي جنة الفردوس و هي أوسط الجنات التي دون جنة عدن و أفضلها

ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة و أما الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن و هي لرسول الله صلى الله عليه و سلم حصلت له بدعاء أمته فعل ذلك الحق سبحانه حكمة أخفاها فإنا بسببه نلنا السعادة من الله و به كنا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و به ختم الله بنا الأمم كما ختم به النبيين و هو صلى الله عليه و سلم بشر كما أمر أن يقول و لنا وجه خاص إلى الله عز و جل نناجيه منه و يناجينا و هكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه فأمرنا عن أمر الله أن ندعو له بالوسيلة حتى ينزل فيها و ينالها بدعاء أمته فافهم هذا الفضل العظيم و هذا من باب الغيرة الإلهية إن فهمت فلقد كرم الله هذا النبي و هذه الأمة فتحوى درجات الجنة من الدرج فيها على خمسة آلاف درج و مائة درج و خمسة أدراج لا غير و قد تزيد على هذا العدد بلا شك و لكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجري مجرى الأنواع من الأجناس و الذي اختصت به هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم من هذه الأدراج اثنا عشر درجا لا غير لا يشاركها فيها أحد من الأمم كما فضل صلى الله عليه و سلم غيره من الرسل في الآخرة بالوسيلة و فتح باب الشفاعة و في الدنيا بست لم يعطها نبي قبله كما ورد في الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج فذكر منها عموم رسالته و تحليل الغنائم و النصر بالرعب و جعلت له الأرض كلها مسجدا و جعلت تربتها له طهورا و أعطى مفاتيح خزائن الأرض ثم اعلم أن أهل الجنة أربعة أصناف الرسل و هم الأنبياء و الأولياء و هم أتباع الرسل على بصيرة و بينة من ربهم و المؤمنون و هم المصدقون بهم عليهم السلام و العلماء بتوحيد الله إنه لا إله إلا هو من حيث الأدلة العقلية قال الله تعالى شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ و هؤلاء هم الذين أريده بالعلماء و فيهم يقول الله تعالى يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ و الطريق الموصلة إلى العلم بالله طريقان لا ثالث لهما و من وحد الله من غير هذين الطريقين فهو مقلد في توحيده (الطريق الواحدة) طريق الكشف و هو علم ضروري يحصل عند الكشف يجده الإنسان في نفسه لا يقبل معه شبهة و لا يقدر على دفعه و لا يعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى ما يجده في نفسه إلا أن بعضهم قال يعطي الدليل و المدلول في كشفه فإنه ما لا يعرف إلا بالدليل فلا بد أن يكشف له عن الدليل و كان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبد الله بن الكتاني بمدينة فاس سمعت ذلك منه و أخبر عن حاله و صدق و أخطأ في إن الأمر لا يكون إلا كذلك فإن غيره يجد ذلك في نفسه ذوقا من غير أن يكشف له عن الدليل و أما أن يحصل له عن تجل إلهي يحصل له و هم الرسل و الأنبياء و بعض الأولياء (و الطريق الثاني) طريق الفكر و الاستدلال بالبرهان العقلي و هذا الطريق دون الطريق الأول فإن صاحب النظر في الدليل قد تدخل عليه الشبه القادحة في دليله فيتكلف الكشف عنها و البحث عن وجه الحق في الأمر المطلوب و ما ثم طريق ثالث فهؤلاء هم أولو العلم الذين شهدوا بتوحيد الله و لفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد الله دلالة و نظر زيادة علم على التوحيد بتوحيد في الذات بأدلة قطعية لا يعطاها كل أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها و هؤلاء الأربع الطوائف يتميزون في جنات عدن عند رؤية الحق في الكثيب الأبيض و هم فيه على أربعة مقامات طائفة منهم أصحاب منابر و هي الطبقة العليا الرسل و الأنبياء و الطائفة الثانية هم الأولياء ورثة الأنبياء قولا و عملا و حالا و هم على بينة من ربهم و هم أصحاب الأسرة و العرش و الطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر

البرهاني العقلي و هم أصحاب الكراسي و الطبقة الرابعة و هم المؤمنون المقلدون في توحيدهم و لهم المراتب و هم في الحشر مقدمون على أصحاب النظر العقلي و هم في الكثيب عند النظر يتقدمون على المقلدين فإذا أراد الله أن يتجلى لعباده في الزور العام نادى منادي الحق في الجنات كلها يا أهل الجنان حي على المنة العظمى و المكانة الزلفى و المنظر الأعلى هلموا إلى زيارة ربكم في جنة عدن فيبادرون إلى جنة عدن فيدخلونها و كل طائفة قد عرفت مرتبتها و منزلتها فيجلسون ثم يؤمر بالموائد فتنصب بين أيديهم موائد اختصاص ما رأوا مثلها و لا تخيلوه في حياتهم و لا في جناتهم جنات الأعمال و كذلك الطعام ما ذاقوا مثله في منازلهم و كذلك ما تناولوه من الشراب فإذا فرغوا من ذلك خلعت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلها فيما تقدم و مصداق ذلك قوله صلى الله عليه و سلم في الجنة فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فإذا فرغوا من ذلك قاموا إلى كثيب من المسك الأبيض فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم بالله لا على قدر عملهم فإن العمل مخصوص بنعيم الجنان لا بمشاهدة الرحمن فبينا هم على ذلك إذا بنور قد بهرهم فيخرون سجدا فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهرا و في بصائرهم باطنا و في أجزاء أبدانهم كلها و في لطائف نفوسهم فيرجع كل شخص منهم عينا كله و سمعا كله فيرى بذاته كلها لا تقيده الجهات و يسمع بذاته كلها فهذا يعطيهم ذلك النور فيه يطيقون المشاهدة و الرؤية و هي أتم من المشاهدة فيأتيهم رسول من الله يقول لهم تأهبوا لرؤية ربكم جل جلاله فها هو يتجلى لكم فيتأهبون فيتجلى الحق جل جلاله و بينه و بين خلقه ثلاثة حجب حجاب العزة و حجاب الكبرياء و حجاب العظمة فلا يستطيعون نظرا إلى تلك الحجب فيقول الله جل جلاله لأعظم الحجبة عنده ارفعوا الحجب بيني و بين عبادي حتى يروني فترفع الحجب فيتجلى لهم الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف إلى أبصارهم و كلهم بصر واحد فينفهق عليهم نور يسرى في ذواتهم فيكونون به سمعا كلهم و قد أبهتهم جمال الرب و أشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من حديث النقاش في مواقف القيامة و هذا تمامه فيقول الله جل جلاله سلام عليكم عبادي و مرحبا بكم حياكم الله سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحي القيوم طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ طابت لكم الجنة فطيبوا أنفسكم بالنعيم المقيم و الثواب من الكريم و الخلود الدائم أنتم المؤمنون الآمنون و أنا الله المؤمن المهيمن شققت لكم اسما من أسمائي لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ أنتم أوليائي و جيراني و أصفيائي و خاصتي و أهل محبتي و في داري سلام عليكم يا معشر عبادي المسلمين أنتم المسلمون و أنا السلام و داري دار السلام سأريكم وجهي كما سمعتم كلامي فإذا تجليت لكم و كشفت عن وجهي الحجب فاحمدوني و ادخلوا إلى داري غير محجوبين عني بِسَلامٍ آمِنِينَ فردوا علي و اجلسوا حولي حتى تنظروا إلي و تروني من قريب فأتحفكم بتحفي و أجيزكم بجوائزي و أخصكم بنوري و أغشيكم بجمالي و أهب لكم من ملكي و أفاكهكم بضحكي و أغلفكم بيدي و أشمكم روحي أنا ربكم الذي كنتم تعبدوني و لم تروني و تحبوني و تخافوني و عزتي و جلالي و علوي و كبريائي و بهائي و سناي إني عنكم راض و أحبكم و أحب ما تحبون و لكم عندي ما تشتهي أنفسكم و تلذ أعينكم و لكم عندي ما تدعون و ما شئتم و كل ما شئتم أشاء فاسألوني و لا تحتشموا و لا تستحيوا و لا تستوحشوا و إني أنا الله الجواد الغني الملي الوفي

الصادق و هذه داري قد أسكنتكموها و جنتي قد أبحتكموها و نفسي قد أريتكموها و هذه يدي ذات الندى و الطل مبسوطة ممتدة عليكم لا أقبضها عنكم و أنا أنظر إليكم لا أصرف بصري عنكم فاسألوني ما شئتم و اشتهيتم فقد آنستكم بنفسي و أنا لكم جليس و أنيس فلا حاجة و لا فاقة بعد هذا و لا بؤس و لا مسكنة و لا ضعف و لا هرم و لا سخط و لا حرج و لا تحويل أبدا سرمدا نعيمكم نعيم الأبد و أنتم الآمنون المقيمون الماكثون المكرمون المنعمون و أنتم السادة الأشراف الذين أطعتموني و اجتنبتم محارمي فارفعوا إلي حوائجكم أقضها لكم و كرامة و نعمة قال فيقولون ربنا ما كان هذا أملنا و لا أمنيتنا و لكن حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم أبدا أبدا و رضي نفسك عنا فيقول لهم العلي الأعلى مالك الملك السخي الكريم تبارك و تعالى فهذا وجهي بارز لكم أبدا سرمدا فانظروا إليه و أبشروا فإن نفسي عنكم راضية فتمتعوا و قوموا إلى أزواجكم فعانقوا و أنكحوا و إلى ولائدكم ففاكهوا و إلى غرفكم فادخلوا و إلى بساتينكم فتنزهوا و إلى دوابكم فاركبوا و إلى فرشكم فاتكئوا و إلى جواريكم و سراريكم في الجنان فاستأنسوا و إلى هداياكم من ربكم فأقبلوا و إلى كسوتكم فالبسوا و إلى مجالسكم فتحدثوا ثم قيلوا قائلة لا نوم فيها و لا غائلة في ظل ظليل و أمن مقيل و مجاورة الجليل ثم روحوا إلى نهر الكوثر و الكافور و الماء المطهر و التسنيم و السلسبيل و الزنجبيل فاغتسلوا و تنعموا طوبى لكم وَ حُسْنُ مَآبٍ ثم روحوا فاتكئوا على الرفارف الخضر و العبقري الحسان و الفرش المرفوعة في الظل الممدود و الماء المسكوب و الفاكهة الكثيرة لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلاً من رَبٍّ رَحِيمٍ ثم تلا هذه الآية أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا إلى هنا انتهى حديث أبي بكر النقاش الذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث المواقف ثم إن الحق تعالى بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب و يتجلى لعباده فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رءوسكم فليس هذا موطن سجود يا عبادي ما دعوتكم إلا لتنعموا بمشاهدتي فيمسكهم في ذلك ما شاء الله فيقول لهم هل بقي لكم شيء بعد هذا فيقولون يا ربنا و أي شيء بقي و قد نجيتنا من النار و أدخلتنا دار رضوانك و أنزلتنا بجوارك و خلعت علينا ملابس كرمك و أريتنا وجهك فيقول الحق جل جلاله بقي لكم فيقولون يا ربنا و ما ذاك الذي بقي فيقول دوام رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا فما أحلاها من كلمة و ما ألذها من بشرى فبدأ سبحانه بالكلام خلقنا فقال كُنْ فأول شيء كان لنا منه السماع فختم بما به بدأ فقال هذه المقالة فختم بالسماع و هو هذه البشرى و تتفاضل الناس في رؤيته سبحانه و يتفاوتون فيها تفاوتا عظيما على قدر علمهم فمنهم و منهم ثم يقول سبحانه لملائكته ردوهم إلى قصورهم فلا يهتدون لأمرين لما طرأ عليهم من سكر الرؤية و لما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها فلو لا أن الملائكة تدل بهم ما عرفوا منازلهم فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور و الولدان فيرون جميع ملكهم قد كسي بهاء و جمالا و نورا من وجوههم أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نورا و بهاء و جمالا ما تركناكم عليه فيقول لهم أهلهم و كذا كم أنتم قد زدتم من البهاء و الجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم إيانا فينعم بعضهم ببعض و اعلم أن الراحة و الرحمة مطلقة في الجنة كلها و إن كانت الرحمة ليست بأمر

وجودي و إنما هي عبارة عن الأمر الذي يلتذ و يتنعم به المرحوم و ذلك هو الأمر الوجودي فكل من في الجنة متنعم و كل ما فيها نعيم فحركتهم ما فيها نصب و أعمالهم ما فيها لغوب إلا راحة النوم ما عندهم لأنهم ما ينامون فما عندهم من نعيم النوم شيء و نعيم النوم هو الذي يتنعم به أهل النار خاصة فراحة النوم محلها جهنم و من رحمة الله بأهل النار في أيام عذابهم خمود النار عنهم ثم تسعر بعد ذلك عليهم فيخف عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النار قال تعالى كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً و هذا يدلك أن النار محسوسة بلا شك فإن النار ما تتصف بهذا الوصف إلا من كون قيامها بالأجسام لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها و لا الزيادة و لا النقص و إنما هو الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنارية و إن حملنا هذه الآية على الوجه الآخر قلنا قوله تعالى كُلَّمَا خَبَتْ يعني النار المسلطة على أجسامهم زِدْنَاهُمْ يعني المعذبين سَعِيراً فإنه لم يقل زدناها و معنى ذلك أن العذاب ينقلب إلى بواطنهم و هو أشد العذاب الحسي يشغلهم عن العذاب المعنوي فإذا خبت النار في ظواهرهم و وجدوا الراحة من حيث حسهم سلط الله عليهم في بواطنهم التفكر فيما كانوا فرطوا فيه من الأمور التي لو عملوا بها لنالوا السعادة و تسلط عليهم الوهم بسلطانه فيتوهمون عذابا أشد مما كانوا فيه فيكون عذابهم بذلك التوهم في نفوسهم أشد من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم و تلك النار التي أعطاها الوهم هي النار الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ وهي التي قلنا فيها

النار ناران نار كلها لهب	و نار معنى على الأرواح تطلع
وهي التي ما لها سفع ولا لهب	لكن لها ألم في القلب ينطبع

و كذلك أهل الجنة يعطيهم الله من الأماني و النعيم المتوهم فوق ما هم عليه فما هو إلا أن الشخص منهم يتوهم ذلك أو يتمناه فيكون فيه بحسب ما يتوهمه إن تمناه معنى كان معنى أو توهمه حسا كان محسوسا أي ذلك كان و ذلك النعيم من جنات الاختصاص و نعيمها و هو جزاء لمن كان يتوهم هنا و يتمنى أن لو قدر و تمكن أن يكون ممن لا يعصي الله طرفة عين و أن يكون من أهل طاعته و أن يلحق بالصالحين من عباده و لكن قصرت به العناية في الدنيا فيعطي هذا التمني في الجنة فيكون له ما تمناه و توهمه و أراحه الله في الدنيا من تلك الأعمال الشاقة و لحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العلى و قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في الرجل الذي لا قوة له و لا مال له فيرى رب المال الموفق يتصدق و يعطي في فك الرقاب و يوسع على الناس و يصل الرحم و يبني المساجد و يعمل أعمالا لا يمكن أن يصل إليها إلا رب المال و يرى أيضا من هو أجلد منه على العبادات التي ليس في قوة جسمه أن يقوم بها و يتمنى أنه لو كان له مثل صاحبه من المال و القوة لعمل مثل عمله قال صلى الله عليه و سلم فهما في الأجر سواء و معنى ذلك أنه يعطي في الجنة مثل ذلك التمني من النعيم الذي أنتجته تلك الأعمال فيكون له ما تمنى و هو أقوى في اللذة و التنعم مما لو وجده في الجنة قبل هذا التمني فلما انفعل عن تمنيه كان النعيم به أعلى فمن جنات الاختصاص ما يخلق الله له من همته و تمنيه فهو اختصاص عن عمل معقول متوهم و تمن لم يكن له وجود ثمرة في الدنيا و هو الذي عنينا

بالاختصاص في قولنا

ما بين أعمال و بين اختصاص	مراتب الجنة مقسومة
نجب من أعمالكم لا مناص	فيا أولي الألباب سبقا على
من أثر الأعمال غير الخلاص	إن بلي لم تعط أطفالنا
فهو اختصاص ما لديه انتقاص	لأنه لم يك شرعا لهم

فأردنا بالاختصاص الثاني ما لا يكون عن تمن و لا توهم و أردنا بالاختصاص الأول ما يكون عن تمن و توهم الذي هو جزاء عن تمن و توهم في الدنيا و أما الأماني المذمومة فهي التي لا يكون لها ثمرة و لكن صاحبها يتنعم بها في الحال كما قيل

أماني إن تحصل تكن أحسن المنى	و إلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

و لكن تكون حسرة في المال و فيها قال الله تعالى وَغَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللهِ و فيها يقال أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا لأنه لا مفاضلة بين الخير و الشر فما كان خير أصحاب الجنة أفضل و أحسن إلا من كونه واقعا وجوديا محسوسا فهو أفضل من الخير الذي كان الكافر يتوهمه في الدنيا و يظن أنه يصل إليه بكفره لجهله فلهذا قال فيه خير و أحسن الله فأتى ببنية المفاضلة و هي أفعل من كذا فافهم هذا المعنى وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و الستون في معرفة سر الشريعة ظاهرا و باطنا و أي اسم إلهي أوجدها)

فأبى الجليل يشاهد الإجلالا	طلب الجليل من الجليل جلالا
عبد الإله يصاحب الإدلالا	لما رأى عز الإله و جوده
متجبرا متكبرا مختالا	و قد اطمأن بنفسه متعززا
فأذله سلطانها إذلالا	أنهى إليه شريعة معصومة
يا من تبارك جده و تعالى	نادى العبيد بفاقة و بذلة

قال الله عز و جل قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا و قال تعالى وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا فاعلم إن الأسماء الإلهية لسان حال تعطيها الحقائق فاجعل بالك لما تسمع و لا تتوهم الكثرة و لا الاجتماع الوجودي و إنما أورد في هذا الباب ترتيب حقائق معقولة كثيرة من جهة النسب لا من جهة وجود عيني فإن ذات الحق واحدة من حيث ما هي ذات ثم إنه لما علمنا من وجودنا و افتقارنا و إمكاننا أنه لا بد لنا من مرجح نستند إليه و أن ذلك المستند لا بد أن يطلب وجودنا منه نسبا مختلفة كنى الشارع عنها بالأسماء الحسنى فسمى بها من كونه متكلما في مرتبة وجوبية وجوده الإلهي الذي لا يصح أن يشارك فيه فإنه إله واحد لا إله غيره فأقول

بعد هذا التقرير في ابتداء هذا الأمر و التأثير و الترجيح في العالم الممكن إن الأسماء اجتمعت بحضرة المسمى و نظرت في حقائقها و معانيها فطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها فإن الخالق الذي هو المقدر و العالم و المدبر و المفصل و الباري و المصور و الرزاق و المحيي و المميت و الوارث و الشكور و جميع الأسماء الإلهية نظروا في ذواتهم و لم يروا مخلوقا و لا مدبرا و لا مفصلا و لا مصورا و لا مرزوقا فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي تظهر أحكامنا فيها فيظهر سلطاننا فلجأت الأسماء الإلهية التي تطلبها بعض حقائق العالم بعد ظهور عينه إلى الاسم الباري فقالوا له عسى توجد هذه الأعيان لتظهر أحكامنا و يثبت سلطاننا إذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال الباري ذلك راجع إلى الاسم القادر فإني تحت حيطته و كان أصل هذا أن الممكنات في حال عدمها سألت الأسماء الإلهية سؤال حال ذلة و افتقار و قالت لها إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضا و عن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا و كسوتمونا حلة الوجود أنعمتم علينا بذلك و قمنا بما ينبغي لكم من الإجلال و التعظيم و أنتم أيضا كانت السلطنة تصح لكم في ظهورنا بالفعل و اليوم أنتم علينا سلاطين بالقوة و الصلاحية فهذا الذي نطلبه منكم هو في حقكم أكثر منه في حقنا فقالت الأسماء إن هذا الذي ذكرته الممكنات صحيح فتحركوا في طلب ذلك فلما لجئوا إلى الاسم القادر قال القادر أنا تحت حيطة المريد فلا أوجد عينا منكم إلا باختصاصه و لا يمكنني الممكن من نفسه إلا أن يأتيه أمر الآمر من ربه فإذا أمره بالتكوين و قال له كن مكنني من نفسه و تعلقت بإيجاده فكونته من حينه فالجئوا إلى الاسم المريد عسى أنه يرجح و يخصص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ نجتمع أنا و الآمر و المتكلم و نوجدكم فلجئوا إلى الاسم المريد فقالوا له إن الاسم القادر سألناه في إيجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر و لكن ما عندي خبر ما حكم الاسم العالم فيكم هل سبق علمه بإيجادكم فنخصص أو لم يسبق فإنا تحت حيطة الاسم العالم فسيروا إليه و اذكروا له قضيتكم فساروا إلى الاسم العالم و ذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد و قد سبق علمي بإيجادكم و لكن الأدب أولى فإن لنا حضرة مهيمنة علينا و هي الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فإنها حضرة الجمع فاجتمعت الأسماء كلها في حضرة الله فقال ما بالكم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامع لحقائقكم و إني دليل على مسمى و هو ذات مقدسة له نعوت الكمال و التنزيه فقفوا حتى أدخل على مدلولي فدخل على مدلوله فقال له ما قالته الممكنات و ما تحاورت فيه الأسماء فقال اخرج و قل لكل واحد من الأسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فإني الواحد لنفسي من حيث نفسي و الممكنات إنما تطلب مرتبتي و تطلبها مرتبتي و الأسماء الإلهية كلها للمرتبة لا لي إلا الواحد خاصة فهو اسم خصيص بي لا يشاركني في حقيقته من كل وجه أحد لا من و الأسماء و لا من المراتب و لا من الممكنات فخرج الاسم الله و معه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات و الأسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم و المريد و القائل و القادر فظهر الممكن الأول من الممكنات بتخصيص المريد و حكم العالم فلما ظهرت الأعيان و الآثار في الأكوان و تسلط بعضها على بعض و قهر بعضها بعضا بحسب ما تستند إليه من الأسماء فادى إلى منازعة و خصام فقالوا إنا نخاف علينا أن يفسد نظامنا و نلحق بالعدم الذي كنا فيه فنبهت الممكنات الأسماء بما ألقى

إليها الاسم العليم و المدبر و قالوا أنتم أيها الأسماء لو كان حكمكم على ميزان معلوم و حد مرسوم بإمام ترجعون إليه يحفظ علينا وجودنا و نحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا و لكم فالجئوا إلى الله عسى يقدم من يحد لكم حدا تقفون عنده و إلا هلكنا و تعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة و عين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا إن الاسم المدبر هو ينهي أمركم فانهوا إلى المدبر الأمر فقال أنا لها فدخل و خرج بأمر الحق إلى الاسم الرب و قال له افعل ما تقتضيه المصلحة في بقاء أعيان هذه الممكنات فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به الوزير الواحد الاسم المدبر و الوزير الآخر المفصل قال تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ الذي هو الإمام فانظر ما أحكم كلام الله تعالى حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الأمر عليه فحد الاسم الرب لهم الحدود و وضع لهم المراسم لإصلاح المملكة و ليبلوهم أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا و جعل الله ذلك على قسمين قسم يسمى سياسة حكمية ألقاها في فطر نفوس الأكابر من الناس فحدوا حدودا و وضعوا نواميس بقوة وجدوها في نفوسهم كل مدينة و جهة و إقليم بحسب ما يقتضيه مزاج تلك الناحية و طباعهم لعلمهم بما تعطيه الحكمة فانحفظت بذلك أموال الناس و دماؤهم و أهلوهم و أرحامهم و أنسابهم و سموها نواميس و معناها أسباب خير لأن الناموس في العرف الاصطلاحي هو الذي يأتي بالخير و الجاسوس يستعمل في الشر فهذه هي النواميس الحكمية التي وضعها العقلاء عن إلهام من الله من حيث لا يشعرون لمصالح العالم و نظمه و ارتباطه في مواضع لم يكن عندهم شرع إلهي منزل و لا علم لواضع هذه النواميس بأن هذه الأمور مقربة إلى الله و لا تورث جنة و لا نارا و لا شيئا من أسباب الآخرة و لا علموا أن ثم آخرة و بعثا محسوسا بعد الموت في أجسام طبيعية و دارا فيها أكل و شرب و لباس و نكاح و فرح و دارا فيها عذاب و آلام فإن وجود ذلك ممكن و عدمه ممكن و لا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين بل رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها فلهذا كان مبني نواميسهم و مصالحهم على إبقاء الصلاح في هذه الدار ثم انفردوا في نفوسهم بالعلوم الإلهية من توحيد الله و ما ينبغي لجلاله من التعظيم و التقديس و صفات التنزيه و عدم المثل و التشبيه و نبه من يدري و من علم ذلك من لا يدري و حرضوا الناس على النظر الصحيح و أعلموهم أن للعقول من حيث أفكارها حدا تقف عنده لا تتجاوزه و أن لله على قلوب بعض عباده فيضا إلهيا يعلمهم فيه من لدنه علما و لم يبعد ذلك عندهم و إن الله قد أودع في العالم العلوي أمورا استدلوا عليها بوجود آثارها في العالم العنصري و هو قوله تعالى وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فبحثوا عن حقائق نفوسهم لما رأوا أن الصورة الجسدية إذا ماتت ما نقص من أعضائها شيء فعلموا أن المدرك و المحرك لهذا الجسد إنما هو أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الأمر الزائد فعرفوا نفوسهم ثم رأوا أنه يعلم بعد ما كان يجهل فعلموا أنها و إن كانت أشرف من أجسادها فإن الفقر و الفاقة يصحبها فاعتلوا بالنظر من شيء إلى شيء و كلما وصلوا إلى شيء رأوه مفتقرا إلى شيء آخر حتى انتهى بهم النظر إلى شيء لا يفتقر إلى شيء و لا مثله شيء و لا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء فوقفوا عنده و قالوا هذا هو الأول و ينبغي أن يكون واحدا لذاته من حيث ذاته و أن أوليته لا تقبل الثاني و لا أحديته لأنه لا شبه له و لا مناسب فوحدوه توحيد وجود ثم لما رأوا أن الممكنات لأنفسها لا تترجح لذاتها علموا أن هذا الواحد أفادها الوجود فافتقرت إليه و عظمته بأن سلبت عنه جميع ما تصف ذواتها به فهذا حد العقل فبينا هم كذلك

إذ قام شخص من جنسهم لم يكن عندهم من المكانة في العلم بحيث أن يعتقدوا فيه أنه ذو فكر صحيح و نظر صائب فقال لهم أنا رسول الله إليكم فقالوا الإنصاف أولى انظروا في نفس دعواه هل ادعى ما هو ممكن أو ادعى ما هو محال فقالوا إنه قد ثبت عندنا بالدليل أن لله فيضا إلهيا يجوز أن يمنحه من يشاء كما أفاض ذلك على أرواح هذه الأفلاك و هذه العقول و الكل قد اشتركوا في الإمكان و ليس بعض الممكنات بأولى من بعض فيما هو ممكن فما بقي لنا نظر إلا في صدق هذا المدعي أو كذبه و لا نقدم على شيء من هذين الحكمين بغير دليل فإنه سوء أدب مع علمنا فقالوا هل لك دليل على صدق ما تدعيه فجاءهم بالدلائل فنظروا في دلالته و في أدلته و نظروا أن هذا الشخص ما عنده خبر مما تنتجه الأفكار و لا عرف منه فعلموا إن الذي أوحى في كل سماء أمرها كان مما أوحاه في كل سماء وجود هذا الشخص و ما جاء به فأسرعوا إليه بالإيمان به و صدقوه و علموا أن الله قد أطلعه على ما أودعه في العالم العلوي من المعارف ما لم تصل إليه أفكارهم ثم أعطاه من المعرفة بالله ما لم يكن عندهم و رأوا نزوله في المعارف بالله إلى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك و إلى الكبير العقل الصحيح النظر بما يصلح لعقله من ذلك فعلموا أن الرجل عنده من الفيض الإلهي ما هو وراء طور العقل و أن الله قد أعطاه من العلم به و القدرة عليه ما لم يعطه إياهم فقالوا بفضله و تقدمه عليهم و آمنوا به و صدقوه و اتبعوه فعين لهم الأفعال المقربة إلى الله تعالى و أعلمهم بما خلق الله من الممكنات فيما غاب عنهم و ما يكون منه سبحانه فيهم في المستقبل و جاءهم بالبعث و النشور و الحشر و الجنة و النار ثم إنه تتابعت الرسل على اختلاف الأزمان و اختلاف الأحوال و كل واحد منهم يصدق صاحبه ما اختلفوا قط في الأصول التي استندوا إليها و عبروا عنها و إن اختلفت الأحكام فتنزلت الشرائع و نزلت الأحكام و كان الحكم بحسب الزمان و الحال كما قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً﴾ فاتفقت أصولهم من غير خلاف في شيء من ذلك و فرقوا في هذه السياسات النبوية المشروعة من عند الله بينها و بين ما وضعت الحكماء من السياسات الحكمية التي اقتضاها نظرهم و علموا أن هذا الأمر أتم و أنه من عند الله بلا شك فقبلوا ما أعلمهم به من الغيوب و آمنوا بالرسل و ما عاند أحد منهم إلا من لم ينصح نفسه في علمه و اتبع هواه و طلب الرئاسة على أبناء جنسه و جهل نفسه و قدره و جهل ربه فكان أصل وضع الشريعة في العالم و سببها طلب صلاح العالم و معرفة ما جهل من الله مما لا يقبله العقل أي لا يستقل به العقل من حيث نظره فنزلت بهذه المعرفة الكتب المنزلة و نطقت بها ألسنة الرسل و الأنبياء عليهم السلام فعلمت العقلاء عند ذلك أنها نقصها من العلم بالله أمور تممتها لهم الرسل و لا أعني بالعقلاء المتكلمين اليوم في الحكمة و إنما أعني بالعقلاء من كان على طريقتهم من الشغل بنفسه و الرياضات و المجاهدات و الخلوات و التهيؤ لواردات ما يأتيهم في قلوبهم عند صفائها من العالم العلوي الموحى في السموات العلى فهؤلائك أعني بالعقلاء فإن أصحاب اللقلقة و الكلام و الجدل الذين استعملوا أفكارهم في مواد الألفاظ التي صدرت عن الأوائل و غابوا عن الأمر الذي أخذها عنه أولئك الرجال و أما أمثال هؤلاء الذين عندنا اليوم لا قدر لهم عند كل عاقل فإنهم يستهزئون بالدين و يستخفون بعباد الله و لا يعظم عندهم إلا من هو معهم على مدرجتهم قد استولى على قلوبهم حب الدنيا و طلب الجاه و الرئاسة فأذلهم الله كما أذلوا العلم و حقرهم و صغرهم و ألجأهم إلى أبواب

الملوك و الولاة من الجهال فاذلتهم الملوك و الولاة فأمثال هؤلاء لا يعتبر قولهم فإن قلوبهم قد ختم الله عليها و فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ مع الدعوى العريضة أنهم أفضل العالم عند نفوسهم فالفقيه المفتي في دين الله مع قلة ورعه بكل وجه أحسن حالا من هؤلاء فإن صاحب الايمان مع كونه أخذه تقليدا هو أحسن حالا من هؤلاء العقلاء على زعمهم و حاشى العاقل أن يكون بمثل هذه الصفة و قد أدركنا ممن كان على حالهم قليلا و كانوا أعرف الناس بمقدار الرسل و من أعظمهم تبعا لسنن الرسول صلى الله عليه و سلم و أشدهم محافظة على سننه عارفين بما ينبغي لجلال الحق من التعظيم عالمين بما خص الله عباده من النبيين و أتباعهم من الأولياء من العلم بالله من جهة الفيض الإلهي الاختصاصي الخارج عن التعلم المعتاد من الدرس و الاجتهاد ما لا يقدر العقل من حيث فكره أن يصل إليه و لقد سمعت واحدا من أكابرهم و قد رأى مما فتح الله به علي من العلم به سبحانه من غير نظر و لا قراءة بل من خلوة خلوت بها مع الله و لم أكن من أهل الطلب فقال الحمد لله الذي أنا في زمان رأيت فيه من آتاه الله رحمة من عنده و علمه من لدنه علما فالله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع و الستون في معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله و هو الايمان)

شهد الله لم يزل أزلا أنه لا إله إلا هو الله

ثم أملاكه بذا شهدت أنه لا إله إلا هو الله

و أولو العلم كلهم شهدوا أنه لا إله إلا هو الله

ثم قال الرسول قولوا معي إنه لا إله إلا هو الله

أفضل ما قلته و قال به من قبلنا لا إله إلا هو الله

ما عدا الإنس كلهم شهدوا أنه لا إله إلا هو الله

قال الله جل ثناؤه في كتابه العزيز شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ثم قال إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله الحديث فقال سبحانه وَأُولُوا الْعِلْمِ لم يقل و أولو الايمان فإن شهادته بالتوحيد لنفسه ما هي عن خبر فيكون إيمانا و لهذا الشاهد فيما يشهد به لا يكون إلا عن علم و إلا فلا تصح شهادته ثم إنه عز و جل عطف الملائكة و أولي العلم على نفسه بالواو و هو حرف يعطي الاشتراك و لا اشتراك هنا إلا في الشهادة قطعا ثم أضافهم إلى العلم لا إلى الايمان فعلمنا أنه أراد من حصل له التوحيد من طريق العلم النظري أو الضروري لا من طريق الخبر كأنه يقول و شهدت الملائكة بتوحيدي بالعلم الضروري من التجلي الذي أفادهم العلم و قام لهم مقام النظر الصحيح في الأدلة فشهدت لي بالتوحيد كما شهدت لنفسي و أولو العلم بالنظر العقلي الذي جعلته في عبادي ثم جاء بالإيمان بعد ذلك في الرتبة الثانية من العلماء و هو الذي يعول عليه في

السعادة فإن الله به أمر و سميناه علما لكون المخبر هو الله فقال فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ و قال تعالى وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلٰهٌ واحِدٌ حين قسم المراتب في آخر سورة إبراهيم من القرآن العزيز و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في الصحيح من أمات و هو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة و لم يقل هنا يؤمن فإن الايمان موقوف على الخبر و قد قال وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا و قد علمنا أن لله عبادا كانوا في فترات و هم موحدون علما و ما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم عامة فيلزم أهل كل زمان الايمان فعم بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من جهة الخبر الصدق الذي يفيد العلم لا من جهة الايمان و غير المؤمن فالإيمان لا يصح وجوده إلا بعد مجيء الرسول و الرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثم إلها و أن ذاك الإله واحد لا بد من ذلك لأن الرسول من جنس من أرسل إليهم فلا يختص واحد من الجنس دون غيره إلا لعدم المعارض و هو الشريك فلا بد أن يكون عالما بتوحيد من أرسله و هو الله تعالى و لا بد أن يتقدمه العلم بأن هذا الإله هو على صفة يمكن أن يبعث رسولا بنسبة خاصة ما هي ذاته و حينئذ ينظر في صدق دعوى هذا الرسول أنه رسول من عند الله لامكان ذلك عنده و هذه في العلم مراتب معقولة يتوقف العلم ببعضها على بعض و ليس هذا كله حظ المؤمن فإن مرتبة الايمان و هو التصديق بأن هذا رسول من عند الله لا تكون إلا بعد حصول هذا العلم الذي ذكرناه فإذا جاءت الدلالات على صدقه بأنه رسول الله لا بتوحيد مرسله حينئذ تتأهب العقلاء أولو الألباب و الأحلام و النهى لما يورده في رسالته هذا الرسول فأول شيء قال في رسالته إن الله الذي أرسلني يقول لكم قولوا لا إله إلا الله فعلم أولو الألباب أن العالم بتوحيد الله لا يلزمه أن يتلفظ به فلما سمع من الرسول الأمر بالتلفظ به و أن ذلك ليس من مدلول دليل العلم بتوحيد الله تلفظ به هذا العالم الموحد إيمانا و تصديقا بهذا الرسول فإذا قال العالم لا إله إلا الله لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم له قل لا إله إلا الله عن أمر الله سمي مؤمنا فإن الرسول أوجب عليه أن يقولها و قد كان في نفسه عالما بها و مخيرا في نفسه في التلفظ بها و عدم التلفظ بها فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث الدليل فمن مات و هو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة بلا شك و لا ريب و هو من السعداء فأما من كان في الفترات فيبعثه الله أمة وحده كقُسّ بن ساعدة لا تابع لأنه ليس بمؤمن و لا هو متبوع لأنه ليس برسول من عند الله بل هو عالم بالله و بما علم من الكوائن الحادثة في العالم بأي وجه علمها و ليس لمخلوق أن يشرع ما لم يأذن به الله و لا أن يوجب وقوع ممكن من عالم الغيب يجوز خلافه في دليله على جهة القربة إلى الله إلا بوحي من الله و أخبار و هنا نكت لمن له قلب و فطنة لقوله تعالى وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و قوله إنه أودع اللوح المحفوظ جميع ما يجريه في خلقه إلى يوم القيامة و مما أوحى الله في سماواته و أودعه في لوحه بعثة الرسل فتؤخذ من اللوح كشفا و اطلاعا و تؤخذ من السماء نظرا و اختبارا و علمهم ببعثة الرسل علمهم بما يجيئون به من القربات إلى الله و بأزمانهم و أمكنتهم و حلاهم و ما يكون من الناس بعد الموت و ما يكون منهم في البعث و الحشر و مآلهم إلى السعادة و الشقاء من جنة و نار و أن الله جعل بروج الفلك و منازله و سباحة كواكبه أدلة على حكم ما يجريه الله في العالم الطبيعي و العنصري من حر و برد و يبس و رطوبة في حار و بارد و رطب و يابس فمنها ما يقتضي وجود الأجسام في حركات معلومة و منها ما يقتضي وجود الأرواح و منها ما

يقتضي بقاء مدة السموات و هو العلم الذي أشار إليه أبو طالب المكي من أن الفلك يدور بأنفاس العالم و مع رؤيتهم لذلك كله هم فيه متفاضلون بعضهم على بعض فمنهم الكامل المحقق المدقق و منهم من ينزل عن درجته بالتفاضل في النزول و قد رأينا جماعة من أصحاب خط الرمل و العلماء بتقادير حركات الأفلاك و تسيير كواكبها و الاقترانات و مقاديرها و منازل اقتراناتها و ما يحدث الله عند ذلك من الحكم في خلقه كالأسباب المعتادة في العامة التي لا يجهلها أحد و لا يكفر القائل بها فهذه أيضا معتادة عند العلماء بها فإنها تعطي بحسب تأليف طباعها مما لا يعطيه حالها في غير اقترانها بغيرها فيخبون بأمور جزئية تقع على حد ما أخبروا به و إن كان ذلك الأمر واقعا بحكم الاتفاق بالنظر إليه و إن كان علما في نفس الأمر فإن الناظر فيه ما هو على يقين و إن قطع به في نفسه لغموض الأمر فما يصح أن يكون مع الإنصاف على يقين من نفسه أنه ما فاتته دقيقة في نظره و لا فات لمن مهد له السبيل قبله من غير نبي يخبر عن الله فإن المتأخر على حساب المتقدم يعتمد فلما رأينا ذلك علمنا أن لله أسرارا في خلقه و من حصل في هذه المرتبة من العلم لم يكن أحد أقوى في الايمان منه بما جاءت به الرسل و ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم من عند الله إلا من يدعو إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ كالرسول و أتباعه و إن كلامنا في المفاضلة إنما هو بين هؤلاء و بين المؤمنين أهل التقليد لا بين الرسل و أولياء الله و خاصته الذين تولى الله تعليمهم فأتاهم رحمة من عنده و علمهم من لدنه علما فهم فيما علموه بحكم القطع لا بحكم الاتفاق يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم في علم الخط إن نبيا من الأنبياء بعث به قيل هو إدريس عليه السلام فأوحى الله إليه في تلك الأشكال التي أقامها الله له مقام الملك لغيره و كما يجيء الملك من غير قصد من النبي لمجيئه كذلك يجيء شكل الخط من غير قصد الضارب صاحب الخط إليه و هذه هي الأمهات خاصة ثم شرع له أن يشرع و هي السنة التي يرى الرسول أن يضعها في العالم و أصلها الوحي كذلك ما يولد صاحب الخط عن الأمهات من الأولاد و أولاد الأولاد فتفصح له تلك الأشكال عن الأمر المطلوب على ما هو عليه و الضمير فيه كالنية في العمل فلا يخطئ قال عليه السلام في العلماء العالمين بالخط فمن وافق خطه يعني خط ذلك النبي فذاك يقول فقد أصاب الحق فهذا مثل من يدعو إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ من اتباع الرسل فقوله فإن وافق فما جعله علما عنده لكونه لا يقطع به و إن كان علما في نفس الأمر فهذا الفرق بين هؤلاء و بين من يدعو إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ و من هو عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ فاعلم العلماء بالله بعد ملائكة الله رسل الله و أولياؤه ثم العلماء بالأدلة و من دونهم و إن وافق العلم في نفس الأمر فليس هو عند نفسه بعالم للتردد الإمكاني الذي يجده في نفسه المنصف فما هو مؤمن إلا بما جاء في كتاب الله على التعيين و ما جاء عن رسوله على الجملة لا على التفصيل إلا ما حصل له من ذلك تواترا و لهذا قيل للمؤمنين آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فقد بانت لك مراتب الخلق في العلم بالله فإذا جاء الرسول و بين يديه العلماء بالله و غير العلماء بالله و قال للجميع قولوا لا إله إلا الله علمنا على القطع أنه صلى الله عليه و سلم في ذلك القول معلم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين و علمنا أنه في ذلك القول أيضا معلم للعلماء بالله و توحيده إن التلفظ به واجب و أنه العاصم لهم من سفك دمائهم و أخذ أموالهم و سبي ذراريهم و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام و حسابهم

على الله و لم يقل حتى يعلموا فإن فيهم العلماء فالحكم هنا للقول لا للعلم و الحكم يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ في هذا للعلم لا للقول فقالها هنا العالم و المؤمن و المنافق الذي ليس بعالم و لا مؤمن فإذا قالوا هذه الكلمة عصموا دماءهم و أموالهم إلا بحقها في الدنيا و الآخرة و حسابهم على الله في الآخرة من أجل المنافق و من ترتب عليه حق لأحد فلم يؤخذ منه و أما في الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعة فإن قول لا إله إلا الله لا يسقطها في الدنيا و لا في الآخرة و أما حسابهم على الله في الآخرة يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ فيعلمون بقرينة الحال أنه سؤال و استفهام عن إجابتهم بالقلوب فيقولون لا عِلْمَ لَنا أي لم نطلع على القلوب إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ تأكيد و تأييد لما ذكرنا ثم قال صلى الله عليه و سلم من اسمه الملك بنى الإسلام على خمس فصيره ملكا شهادة أن لا إله إلا الله و هي القلب و أن محمدا رسول الله حاجب الباب و إقام الصلاة الجنبة اليمنى و إيتاء الزكاة الجنبة اليسرى و صيام رمضان التقدمة و الحج الساقة و ربما كانت الصلاة التقدمة لكونها نورا فهي تحجب الملك و قد ورد في الخبر أن حجابه النور و تكون الزكاة الميمنة لأنها إنفاق يحتاج إلى قوة لإخراج ما كان يملكه عن ملكه و يكون الحج الميسرة لما فيه من الإنفاق و القرابين حيث تجتمع بالزكاة في الصدقة و الهدية و كلاهما من أعمال الأيدي و يكون الصوم في الساقة فإن الخلف نظير الأمام و هو ضياء فإن الصبر ضياء يريد الصوم و الضياء من النور فهو أولى بالساقة للموازنة فإن الآخر يمشي على أثر الأول و هكذا يكون الايمان الإلهي يوم القيامة فيأتي الايمان يوم القيامة في صورة ملك على هذه الصفة فأهل لا إله إلا الله في القلب و أهل الصلاة في التقدمة و أهل الزكاة و هي الصدقة في الميمنة و أهل الحج في الميسرة و أهل الصيام في الساقة جعلنا الله ممن قام بناء بيته على هذه القواعد فكان بيته الايمان و حده من القبلة الصلاة و من الشمال الصوم و من الغرب صدقة السر و من الشرق الحج فلقد سعد ساكنه و اعلم أن لا إله إلا الله كلمة نفي و إثبات و هي أفضل كلمة قالتها الأنبياء قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة فيه إشارة لدعاء العارفين بالله و أفضل ما قلته أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله و هو حديث صحيح رواية و معنى فالنفي لا بد أن يرد على ثابت فينفيه فإنه إن ورد النفي على ما ليس بثابت و هو النفي أثبته لأن ورود النفي على النفي إثبات كما إن عدم العدم وجود فما نفى هذا النافي بقوله لا إله أخبرونا فقد استفهمناكم و المثبت أيضا هل حكمه حكم المنفي من أنه لا يثبت إلا المنفي أو حكمه حكم آخر يتميز به عن حكم النفي فأي شيء نفى هذا النافي و أي شيء أثبت هذا المثبت هذا كله لا بد من تحقيقه إن شاء الله فاعلم إن النفي ورد على أعيان من المخلوقات لما وصفت بالألوهية و نسبت إليها و قيل فيها آلهة و لهذا تعجب من تعجب من المشركين لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الله الواحد فأخبرنا الله عنه أنه قال أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ فسموها آلهة و هي ليست بهذه الصفة فورد حكم النفي على هذه النسبة الثابتة عندهم إليها لا في نفس الأمر لا على نفي الألوهية لأنه لو نفى النفي لكان عين الإثبات لما زعمه المشرك فكأنه يقول للمشرك هذا القول الذي قلت لا يصح أي ما هو الأمر كما زعمت و لا بد من إله و قد انتفت الكثرة من الآلهة بحرف الإيجاب الذي هو قوله إلا و أوجبوا هذه النسبة إلى المذكور بعد حرف الإيجاب و هو مسمى الله فقالوا لا إله إلا الله فلم تثبت نسبة الألوهة لله بإثبات المثبت لأنه سبحانه إله لنفسه فأثبت المثبت بقوله إلا الله هذا

الأمر في نفس من لم يكن يعتقد انفراده سبحانه بهذا الوصف فإن ثبت الثبت محال و ليس نفي المنفي بمحال فعلى الحقيقة ما عبد المشرك إلا الله لأنه لو لم يعتقد الألوهة في الشريك ما عبده وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ و لذلك غار الحق لهذا الوصف فعاقبهم في الدنيا إذ لم يحترموه و رزقهم و سمع دعاءهم و أجابهم إذا سألوا إلههم في زعمهم لعلمه سبحانه أنهم ما لجئوا إلا لهذه المرتبة و إن أخطئوا في النسبة فشقوا في الآخرة شقاء الأبد حيث نبههم الرسول على توحيد من تجب له هذه النسبة فلم ينظروا و لا نصحوا نفوسهم و لهذا كانت دلالة كل رسول بحسب ما كان الغالب على أهل زمانه لتقوم عليهم الحجة فتكون لله الحجة البالغة فعمت هذه الكلمة مرتبة العدم و الوجود فلم تبق مرتبة إلا و هي داخلة تحت النفي و الإثبات فلها الشمول فمن قائل لا إله إلا الله بنفسه و من قائل لا إله إلا الله بنعته و من قائل لا إله إلا الله بربه و من قائل لا إله إلا الله بنعت ربه و من قائل لا إله إلا الله بحاله و من قائل لا إله إلا الله بحكمه و هو المؤمن خاصة و الخمسة الباقون ما لهم في الايمان مدخل أما من قال لا إله إلا الله بنفسه فهو الذي قالها من تجليه لنفسه فرأى استفادة وجوده من غيره فأعطته رؤية نفسه أن يقول لا إله إلا الله و هو التوحيد الذاتي الذي أشارت إليه طائفة من المحققين و أما القائل لا إله إلا الله بنعته فهو الذي وحده بعلمه فإن نعته العلم بتوحيد الله و أحديته فنطقه علمه و الفرق بينه و بين الأول أن الأول عن شهود و هذا الثاني عن وجود و الوجود قد يكون عن شهود و قد لا يكون و أما القائل لا إله إلا الله بربه فهو الذي رأى أن الحق عين الوجود لا أمر آخر و أن اتصاف الممكنات بالوجود هو ظهور الحق لنفسه بأعيانها و ذلك أن استفادتها الوجود لها من الله إنما هو من حيث وجوده فإن الوجود المستفاد و هو الظاهر و هو عين الحكم به على هذه الأعيان فقال لا إله إلا الله بربه و أما القائل لا إله إلا الله بنعت ربه فإنه رأى أن الحق سبحانه من حيث أحديته و ذاته ما هو مسمى الله و الرب فإنه لا يقبل الإضافة و رأى أن مسمى الرب يقتضي المربوب و مسمى الله يطلب المألوه و رأى أنهم لما استفادوا منه الوجود ثبت له اسم الرب إذ كان المربوب يطلبه فالمربوب أصل في ثبوت الاسم الرب و وجود الحق أصل في وجود الممكنات و رأى أن لا إله إلا الله لا تطلبه عين الذات فقال لا إله إلا الله بنعت الرب الذي نعته به المربوب فالعلم بنا أصل في علمنا به يقول عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه فوجودنا موقوف على وجوده و العلم به موقوف على العلم بنا فهو أصل في وجه و نحن أصل في وجه و أما القائل لا إله إلا الله بحاله فهو الذي يستند في أموره إلى غير الله فإذا لم يتفق له حصول ما طلب تحصيله ممن استند إليه و سدت الأبواب في وجهه من جميع الجهات رجع إلى الله اضطرارا فقال لا إله إلا الله بحاله و هؤلاء الأصناف كلهم لا يتصفون بالإيمان لأنه ما فيهم من قالها عن تقليد و أما من قال لا إله إلا الله بحكمه فهو الذي قالها لقول الشارع حيث أوجب عليه أن يقولها و حكم عليه أن يقولها و لو لا هذا الحكم ما قالها على جهة القربة إلى الله و ربما لو قالها قالها معلما أو معلما دخلت على شيخنا أبي العباس العريبي من أهل العليا و كان مستهترا بذكر الاسم الله لا يزيد عليه شيئا فقلت له يا سيدي لم لا تقول لا إله إلا الله فقال لي يا ولدي الأنفاس بيد الله ما هي بيدي فأخاف أن يقبض الله روحي عند ما قول لا له فأقبض في وحشة النفي و سألت شيخنا آخر عن ذلك فقال لي ما رأت عيني و لا سمعت أذني من يقول أنا الله غير الله فلم أجد من أنفى فأقول كما سمعته يقول الله الله و إنما تعبدنا بهذا الاسم في التوحيد لأنه

الاسم الجامع المنعوت بجميع الأسماء الإلهية و ما نقل إنه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة بخلاف غيره من الأسماء مثل إله و غيره و بهذا القدر من القول إذا قيل لقول الشارع يثبت الايمان و إنما قال الشارع حتى يقولوا لا إله إلا الله و لم يقل محمد رسول الله لتضمن هذه الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة فإن القائل لا إله إلا الله لا يكون مؤمنا إلا إذا قالها لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فإذا قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لهذا لم يقل قولوا محمد رسول الله و قال في غير القول و هو الايمان و الايمان معنى من المعاني ما هو مما يدرك بالحس فقرن بالإيمان بالله الايمان به و بما جاء به يعني من عنده مما له أن يشرعه من غير نقل عن الله فقال في حديث ابن عمر لما ذكر الايمان بالله و بالصلاة و الزكاة و الحج و الصوم و كل هذا جاء من عند الله قال في حديث ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و يؤمنوا بي و بما جئت به من أجل المنافق المقلد فإنه يقولها من غير إيمان بقلبه و لا اعتقاد و الجاحد المنافق يقولها لا لقوله مع علمه بأنه رسول الله من كتابه لا من دليله العقلي و اعلم أن التلفظ بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد فيه سر إلهي عرفنا به الحق سبحانه و هو أن الإله الواحد الذي جاء بوصفه و نعته الشارع ما هو التوحيد الإلهي الذي أدركه العقل فإن ذلك لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد فهذا التوحيد من حيث ما يعلمه الشارع ما هو التوحيد من حيث ما أثبته النظر العقلي و إذا كان الإله الذي دعانا الشرع إلى عبادته و توحيده إنما هو في رتبة كونه إلها لا في ذاته صح أن تنعته بما نعته به من النزول و الاستواء و المعية و التردد و التدبر و ما أشبه ذلك من الصفات التي لا يقبلها توحيد العقل المحض المجرد عن الشرع فهذا المعبود ينبغي أن تقرن شهادة الرسول برسالته بشهادة توحيد مرسله و لهذا يضاف إليه فيقال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله كل يوم ثلاثين مرة في أذان الخمس الصلوات و في الإقامة و المتلفظون بهذه الشهادة الرسالية التفصيل فيهم كالتفصيل في شهادة التوحيد فلنمش بها على ذلك الأسلوب من المراتب و في الايمان بالله و برسوله الايمان بكل ما جاء به من عند الله و من عنده مما سنه و شرعه و يدخل فيما سنه الايمان بسنة من سن سنة حسنة فاستمر الشرع و حدوث العبادة المرغب فيها مما لا ينسخ حكما ثابتا إلى يوم القيامة و هذا الحكم خاص بهذه الأمة و أعني بالحكم تسميتها سنة تشريفا لهذه الأمة و كانت في حق غيرهم من الأمم السالفة تسمى رهبانية قال تعالى وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها فمن قال بدعة في هذه الأمة مما سماها الشارع سنة فما أصاب السنة إلا أن يكون ما بلغه ذلك و الاتباع أولى من الابتداع و الفرق بين الاتباع و الابتداع معقول و لهذا جنح الشارع إلى تسميتها سنة و ما سماها بدعة لأن الابتداع إظهار أمر على غير مثال هذا أصله و لهذا قال الحق تعالى عن نفسه بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أي موجدها على غير مثال سبق فلو شرع الإنسان اليوم أمرا لا أصل له في الشرع لكان ذلك إبداعا و لم يكن يسوغ لنا الأخذ به فعدل الشارع عن لفظ الابتداع إلى لفظ السنة إذ كانت السنة مشروعة و قد شرع الله لمحمد صلى الله عليه و سلم الاقتداء بهدي الأنبياء عليهم السلام وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الجزء الثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسيرا على أهل التيقظ و الذكاء تبصر ترى سر الطهارة واضحا
إذا جانب البحر اللدني و احتمى فكم طاهر لم يتصف بطهارة
و لم يفن عن بحر الحقيقة ما زكا و لو غاص في البحر الأجاج حياته
على السنة المثلى حليفا لمن مضى إذا استجمر الإنسان وترا فقد مشى
و فارق من يهواه من باطن الردا فإن شفع استجماره عاد خاسرا
بخيلا بما يهوى على فطرة الأولى و إن غسل الكفين وترا و لم يزل
إذا لم يلح سيف التوكل منتضى فما غسلت كف خضيب و معصم
و صح له رفع الستور متى يشأ إذا صح غسل الوجه صح حياؤه
و لا وقفت كفاه في ساحة القفا و إن لم يمس الماء لمة رأسه
تسخرها الأغيار في منزل التوي فما انفك من رق العبودية التي
تناقص معنى الطهر للحين و انتفى و إن لم ير الكرسي في غسل رجله
بريئا من الدعوى وفيا بما أدعي إذا مضمض الإنسان فاه و لم يكن
و مستنثر أودى به كبره الردي و مستنشق ما شم ريح اتصاله
إلى أحسن الأقوال و اكتف و اقتفى صماخاه ما تنفك تطهر إن صغا
على طهره يمسح و في سره خفا و إن لبس الجرموق و هو مسافر
بمنزله فالمسح يوم بلا قضا ثلاثة أيام و إن كان حاضرا
و لو قطعت مني المفاصل و الكلي و في المسح سر لا أبوح بذكره
لكل مريد لم يرد ظاهر الدنا و يتلوه مسح في الجبائر بين
تيممه يكفيه من طيب الثرى و إن عدم الماء القراح فإنه
و صيره شفعا فنعم الذي أتى و يوتره وجها و كفا فإن أبي
كما عمت اللذات أجزاءه العلى إذا أجنب الإنسان علم طهوره
بإخراجه بين الترائب و المطا أ لم تر أن الله نبه خلقه

و لو غاب بالذات النزيهة ما جنا فذاك الذي أجنى عليه طهوره
يعيد و يقضي ما تضمن و احتوى فإن نسي الإنسان ركنا فإنه
فلم يأنس الزلفى و ما بلغ المنى و إن لم يكن ركنا و عطل سنة
و ليس جهول بالأمور كمن دري و ذلك في كل العبادات شائع
من أحزابهم تحظى بتقريب مصطفى فهذا طهور العارفين فإن تكن
توارى عن الأبصار أعظم منتشى إذا كان هذا ظاهر الأمر فالذي

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أنه لما كانت الطهارة النظافة علمنا أنها صفة تنزيه و هي معنوية و حسية طهارة قلب و طهارة أعضاء معينة فالمعنوية طهارة النفس من سفساف الأخلاق و مذمومها و طهارة العقل من دنس الأفكار و الشبه و طهارة السر من النظر إلى الأغيار و طهارة الأعضاء فاعلم إن لكل عضو طهارة معنوية ذكرناها في كتاب التنزلات الموصلية في أبواب الطهارة منه و طهارة الحس من الأمور المستقذرة التي تستخبثها النفوس طبعا و عادة و هاتان الطهارتان مشروعتان فالطهارة الحسية الظاهرة نوعان النوع الواحد قد ذكرناه و هو النظافة و النوع الآخر أفعال معينة مخصوصة في محال معينة مخصوصة لأحوال موجبة مخصوصة لا يزاد فيها و لا ينقص منها شرعا و لهذه الطهارة المذكورة ثلاثة أسماء شرعا وضوء و غسل و تيمم و تكون هذه الطهارة بثلاثة أشياء اثنان مجمع عليهما و واحد مختلف فيه فالمجمع عليهما الماء الطلق و التراب سواء فارق الأرض أ و لم يفارقها و الواحد المختلف فيه في الوضوء خاصة نبيذ التمر و ما فارق الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض إذا كان في الأرض فإنه مختلف فيه ما عدا التراب كما ذكرنا و هذه الطهارة قد تكون عبادة مستقلة كما قال صلى الله عليه و سلم فيها نُورٌ عَلى نُورٍ و قد تكون شرطا في صحة عبادة مشروعة مخصوصة لا تصح تلك العبادة شرعا إلا بوجودها أو الأفضلية فالأول كالوضوء على الوضوء نور على نور و الثاني لرفع المانع عن فعل العبادة التي لا تصح لا بهذه الطهارة و استباحة فعلها و هو الأصل في تشريعها و مما تقع به هذه الطهارة ما يكون رافعا للمانع مبيحا للفعل معا و هو الماء بلا خلاف و نبيذ التمر في الوضوء بخلاف و منه ما تقع به الإباحة للفعل المعين في الوقت المفروض وقوعه و لا يرفع المانع بخلاف و هو التراب و عندي إنه يرفع المانع في الوقت و لا بد و كون الشارع حكم بالطهارة إذا وجد الماء حكم آخر منه كما عاد حكم المانع بعد ما كان ارتفع و ما عدا التراب مما فارق الأرض بخلاف قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ بنصف اللام و خفضه إلى الكعبين وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ (أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ) فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ و قال تعالى وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ و زاي الرجز هنا بدل من السين على قراءة من قرأ الزراط بالزاي و هي لغة قرأ ابن كثير بها أعني

بالسين و حمزة بالزاي و باقي القراء بالصاد سمعت شيخا و كنت أقرأ عليه القرآن يقال له محمد بن خلف بن صاف اللخمي بمسجده المعروف به بقوس الحنية بإشبيلية من بلاد الأندلس سنة ثمان و سبعين و خمسمائة فقرأت السراط بالسين لابن كثير فقال لي سأل بعض ناقلي اللغة بعض الأعراب كيف تقولون صقر أو سقر فقال له ما أدري ما تقول و لكنني أظنك تسأل عن الزقر فقال فزادني لغة ثالثة ما كنت أعرفها قال الفراء الرجس القذر و لا شك أن الماء يزيل القذر و الطهور الشرعي يذهب قذر الشيطان قال تعالى وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ قال إمرؤ القيس

و إن كنت قد ساءتك مني خليقة　　　فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

فكنى بالثوب عن الود و الوصلة و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في خبر عن ربه سبحانه ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن و من أسمائه سبحانه الْمُؤْمِنُ فمن تخلق به فقد طهر قلبه لأن القلب محل الايمان و كانت السعة الإلهية و التجلي الرباني (و الطهارة عامة) و هي الغسل للفناء الذي عم ذاته لوجود اللذة بالكون عند الجماع أريها السهى و تريني القمر (و خاصة) و هي الوضوء المخصص بعض الأعضاء بالاغتسال و المسح و هو تنبيه على مقامات معلومة و تجليات شريفة منها القوة و الكلام و الأنفاس و الصدق و التواضع و الحياء و السماع و الثبات فهذه أعضاء الوضوء و هي مقامات شريفة لها نتائج في القرب إلى الله و هذه الطاهرة الروحانية بأحد أمرين إما سر الحياة أو بأصل النشء الطبيعي العنصري فالوضوء بسر الحياة لمشاهدة الحي القيوم أو بأصل النشء في الأب الذي هو أصل الأبناء و هو الأرض و التراب و ليس إلا النظر و التفكر في ذاتك لتعرف من أوجدك فإنه أحالك عليك في قوله تعالى وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ و في قول رسوله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه أحالك عليك بالتفصيل و أخفاك عنك بالإجمال لتنظر و تستدل فقال في التفصيل وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ و هو آدم عليه السلام هنا ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ و هي نشأة الأبناء في الأرحام مساقط النطف و مواقع النجوم فكنى عن ذلك بالقرار المكين ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً و قد تم البدن على التفصيل فإن اللحم يتضمن العروق و الأعصاب

و في كل طور له آية　　　تدل على إنني مفتقر

ثم أجمل خلق النفس الناطقة الذي هو بها إنسان في هذه الآية فقال ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ عرفك بذلك أن المزاج لا أثر له في لطيفتك و إن لم يكن نصا لكن هو ظاهر و أبين منه قوله فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ و هو ما ذكره في التفصيل من التقلب في الأطوار فقال فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ فقرنه بالمشيئة فالظاهر أنه لو اقتضى المزاج روحا خاصا معينا ما قال فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ و أي حرف نكرة مثل حرف ما فإنه حرف يقع على كل شيء فأبان لك أن المزاج لا يطلب صورة بعينها و لكن بعد حصولها تحتاج إلى هذا المزاج و ترجع به فإنه بما فيه من القوي التي لا تدبره إلا بها فإنه بقواه لها كالآلات لصانع النجارة أو البناء مثلا إذا هيئت و أتقنت و فرغ منها تطلب بذاتها و حالها صانعا يعمل بها ما صنعت له و ما تعين زيدا و لا عمرا و لا خالدا و لا واحدا بعينه فإذا جاء من جاء من أهل الصنعة مكنته الآلة من نفسها تمكينا ذاتيا لا تتصف بالاختيار فيه

فجعل يعمل بها صنعته بصرف كل آلة لما هيئت له فمنها مكملة و هي المخلقة يعني التامة الخلقة و منها غير مكملة و هي غير المخلقة فينقص العامل من العمل على قد ر ما نقص من جودة الآلة ذلك ليعلم أن الكمال الذاتي لله سبحانه فبين لك الحق مرتبة جسدك و روحك لتنظر و تفكر فتعتبر أن الله ما خلقك سدى و إن طال المدى و أما القصد الذي هو النية شرط في صحة هذا النظر بخلاف قال تعالى فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً أي اقصدوا التراب الذي ما فيه ما يمنع من استعماله في هذه العبادة من نجاسة و لم يقل ذلك في طهارة الماء فإنه أحال على الماء المطلق لا المضاف فإن الماء المضاف مقيد بما أضيف إليه عند العرب فإذا قلت للعربي أعطني ما جاء إليك بالماء الذي هو غير مضاف ما يفهم العرب منه غير ذلك و ما أرسل رسول و لا أنزل كتاب إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين يقول تعالى إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فلهذا لم يقل بالقصد في الماء لأنه سر الحياة فيعطي الحياة بذاته سواء قصد أم لم يقصد بخلاف التراب فإنه إن لم يقصد الصعيد الطيب فليس بنافع لأنه جسد كثيف لا يسرى فروحه القصد فإن القصد معنى روحاني فافتقر المتيمم للقصد الخاص في التراب أو الأرض بخلاف أيضا و لم يفتقر المتوضئ بالماء بخلاف فقال اغسلوا و لم يقل تيمموا ماء طيبا فإن قالوا إنما الأعمال بالنيات و هي القصد و الوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقول و نحن نقول به و لكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء و الماء ما هو العمل و القصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء بهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل لا من حيث ما هو عمل بماء فالماء هنا تابع للعمل و العمل هو المقصود بالنية و هنالك القصد للصعيد الطيب و العمل به تبع يحتاج إلى نية أخرى عند الشروع في الفعل كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء و الغسل و جميع الأعمال المشروعة إلى الإخلاص المأمور به و هو النية بخلاف قال تعالى وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و في هذه الآية نظر و هذه مسألة ما حققها الفقهاء على الطريقة التي سلكنا فيها و في تحقيقها فافهم و لم يقل في الماء تيمموا الماء فيفتقر إلى روح من النية و الماء في نفسه روح فإنه يعطي الحياة من ذاته قال تعالى وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فإن كل شيء يسبح بحمد الله و لا يسبح إلا حي فالماء أصل الحياة في الأشياء و لهذا وقع الخلاف بين علماء الشريعة في النية في الوضوء هل هي شرط في صحته أو ليست بشرط في صحته و السر ما ذكرناه فإن قيل إن الإمام الذي لا يرى النية في الوضوء يراها في غسل الجنابة و كلا العبادتين بالماء و هو سر الحياة فيهما قلنا لما كانت الجنابة ماء و قد اعتبر الشرع الطهارة منها لدنس حكمي فيها لامتزاج ماء الجنابة بما في الأخلاط و كون الجنابة ماء مستحيلا من دم فشاركت الماء في سر الحياة فتمانعا فلم يقو الماء وحده على إزالة حكم الجنابة لما ذكرنا فافتقر إلى روح مؤيد له عند الاغتسال فاحتاج إلى مساعدة النية فاجتمع حكم النية و هي روح معنوي و حكم الماء فازالا بالغسل حكم الجنابة بلا شك كأبي حنيفة و من قال بقوله في هذه المسألة و من راعى كون ماء الجنابة لا يقوى قوة الماء المطلق لأنه ماء استحال من دم كماء الجنابة إلى مما زجته بالأخلاط و مفارقته إياه بالكثافة و اللونية قال قد ضعف ماء الجنابة عن مقاومة الماء المطلق فلم يفتقر عنده إلى نية كالحسن بن حي و المخالف لهما من العلماء ما تفطنوا لما رأياه هذان الإمامان و من ذهب مذهبهما فاجعل بالك لما بينته لك و رجح ما شئت (وصل) و بعد أن تحققت هذا فاعلم إن الماء ماءان ماء

ملطف مقطر في غاية الصفاء و التخليص و هو ماء الغيث فإنه ماء مستحيل من أبخرة كثيفة قد أزال التقطير ما كان تعلق به من الكثافة و ذلك هو العلم الشرعي اللدني فإنه عن رياضة و مجاهدة و تخليص فطهر به ذاتك لمناجاة ربك و الماء الآخر ماء لم يبلغ في للطافة هذا المبلغ و هو ماء العيون و الأنهار فإنه ينبع من الأحجار ممتزجا بحسب البقعة التي ينبع بها و يجري عليها فيختلف طعمه فمنه عَذْبٌ فُراتٌ و منه مِلْحٌ أُجاجٌ و منه مر زعاق و ماء الغيث على حالة واحدة ماء نمير خالص سلسال سائغ شرابه و هذه علوم الأفكار الصحيحة و العقول فإن علوم العقل المستفادة من الفكر يشوبها التغير لأنها بحسب مزاج المتفكر من العقلاء لأنه لا ينظر إلا في مواد محسوسة كونية في الخيال و على مثل هذا تقوم براهينها فتختلف مقالاتهم في الشيء الواحد أو تختلف مقالة الناظر الواحد في الشيء الواحد في أزمان مختلفة لاختلاف الأمزجة و التخليط و الأمشاج الذي في نشأتهم فاختلفت أقاويلهم في الشيء الواحد و في الأصول التي يبنون عليها فروعهم و العلم اللدني الإلهي المشروع ذو طعم واحد و إن اختلفت مطاعمه فما اختلفت في الطيب فطيب و أطيب فهو خالص ما شابه كدر لأنه تخلص من حكم المزاج الطبيعي و تأثير المنابيع فيه فكانت الأنبياء و الأولياء و كل مخبر عن الله على قول واحد في الله إن لم يزد فلا ينقص و لا تخالف يصدق بعضهم بعضا كما لم يختلف ماء السماء حال النزول فليكن اعتمادك و طهورك في قلبك بمثل هذا العلم و ليس إلا العلم بالشرع المشبه بماء الغيث و إن لم تفعل فما نصحت نفسك و تكون في ذاتك و طهورك بحسب ما تكون البقعة التي نبع منها ذلك الماء فإن فرقت بين عذبه و ملحه فاعلم إنك سليم الحاسة و هذه مسألة لم أجد أحدا نبه عليها فإن آكل السكر بالحلاوة في السكر كذلك و في مرارة الصبر ليس بصحيح و لا يقتضيه الدليل العقلي و قد نبهناك إن تنبهت فانظر ثم يا وليي استدرك استعمال علوم الشريعة في ذاتك و علوم الأولياء و العقلاء الذين أخذوها عن الله بالرياضات و الخلوات و المجاهدات و الاعتزال عن فضول الجوارح و خواطر النفوس و إن لم تفرق بين هذه المياه فاعلم إنك سيئ المزاج قد غلب عليك خلط من أخلاطك فما لنا فيك من حيلة إلا أن يتداركَ الله برحمته نفسك فإذا استعملت من ماء هذه العلوم في طهارتك ما دللتك عليه و هو العلم المشروع طهرت صفاتك و روحانيتك به كما طهرت أعضاءك بالماء و نظفتها فأول طهارتك غسل يديك قبل إدخالهما في الإناء عند قيامك من نوم الليل بلا خلاف و وجوب غسلهما من نوم النهار بخلاف و اليد محل القوة و التصريف فطهورهما بعلم لا حول في اليسرى و لا قوة إلا بالله العلي العظيم في اليمنى و اليدان محل القبض و الإمساك بخلا و شحا فطهرهما بالبسط و الإنفاق كرما و جودا و سخاء و نوم الليل غفلتك عن علم عالم غيبك و نوم النهار غفلتك عن علم عالم شهادتك فهذا عين تخلقك و تحققك بعالم الغيب و الشهادة من الأسماء الحسنى المضافة ثم بعد هذا الاستنجاء و الاستجمار و الجمع بينهما أفضل من الإفراد فهما طهارتان نور في نور مرغب فيهما سنة و قرآنا فإن استنجيت و هو استعمال الماء في طهارة السوأتين لما قام بهما من الأذى و هما محل الستر و الصوم كما هما محل إخراج الخبث و الأذى القائم بباطنك و هو ما تعلق بباطنك من الأفكار الرديئة و الشبه المضلة كما ورد في الصحيح أن الشيطان يأتي إلى الإنسان في قلبه فيقول له من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول فمن خلق الله فطهارة هذا القلب من هذا الأذى ما قال له رسول الله صلى الله عليه و

سلم الاستعاذة و الانتهاء و هما عورتان أي مائلتان إلى ما يوسوس به نفسه من الأمور القادحة في الدين أصلا و فرعا فإن الدبر هو الأصل في الأذى فإنه ما وجد إلا لهذا و الفرجان الآخران في الرجل و المرأة فرعان عن هذا الأصل ففيهما وجه إلى الخير و وجه إلى الشر و هو النكاح و السفاح ألا ترى النجاسة إذا وردت على الماء القليل أثرت فيه فلم يستعمل و إذا ورد الماء على النجاسة أذهب حكمها كذلك الشبه إذا وردت على القلوب الضعيفة الايمان الضعيفة الرأي أثرت فيها و إذا وردت على البحر استهلكت فيه كذلك القلوب القوية المؤيدة بالعلم و روح القدس كذلك الشبه إذا جاء بها شيطان الإنس و الجن إلى المتضلع من العلم الإلهي الريان منه قلب عينها و عرف كيف يرد نحاسها ذهبا و قزديرها فضة بإكسير العلم اللدني الذي عنده من عناية الرحمة الإلهية التي أتاه الله بها و عرف وجه الحق منها و آثر فيها فهذا سر الاستنجاء الروحاني فإن استجمر هذا المتوضئ و لم يستنج فاعلم إن ذلك طهور المقلد فإن الجمرة الجماعة و يد الله مع الجماعة و لا يأكل الذئب إلى القاصية و هي التي بعدت عن الجماعة و خرجت عنها و ذلك مخالفة الإجماع و الاستجمار معناه جمع أحجار أقلها ثلاثة إلى ما فوقها من الأوتار لأن الوتر هو الله فلا يزال الوتر مشهودك و الوتر طلب الثأر و هو هنا ما ألقاه الشيطان من الشبه في إيمانك فتجمع الأحجار للإنقاء من ذلك الخبث القائم بالعضو فالمقلد إذا وجد شبهة في نفسه هرب إلى الجماعة أهل السنة فإن يد الله كما جاء مع الجماعة و يد الله تأييده و قوته و قد نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن مفارقة الجماعة و لهذا قام الإجماع في الدلالة على الحكم المشروع مقام النص من الكتاب أو السنة المتواترة التي تفيد العلم فهذا يكون استجمارك في هذه الطهارة ثم مضمض بالذكر الحسن لتزيل به الذكر القبيح من النميمة و الغيبة و الجهر بالسوء من القول فلتكن مضمضتك بالتلاوة و ذكر الله و إصلاح ذات البين و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قال تعالى لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ و قال مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ و قال لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ و ما أشبه ذلك فهذه طهارة فيك و قد فتحت لك الباب فاجر في وضوئك و غسلك و تيممك في أعضائك على هذا الأسلوب فهو الذي طلبه الحق منك و قد استوفينا الكلام على هذه الطهارة في التنزلات الموصلية فانظرها هنالك نثرا و نظما و قد رميت بك على الطريق و لتصرف هذه الطهارة بكمالها في كل مكلف منك فإن كل مكلف منك مأمور بجميع العبادات كلها من طهور و صلاة و زكاة و صيام و حج و جهاد و غير ذلك من الأعمال المشروعة و كل مكلف فيك تصرفه في هذه العبادات بحسب ما تطلبه حقيقته لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها و قد أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى أي بين كيف تستعمله فيها و هم ثمانية أصناف لا يزيدون لكن قد ينقصون في بعض الأشخاص و هم العين و الأذن و اللسان و اليد و البطن و الفرج و الرجل و القلب لا زائد في الإنسان عليهم لكن قد ينقصون في بعض أشخاص هذا النوع الإنساني كالأكمه و الأخرس و الأصم و أصحاب العاهات فمن بقي من هؤلاء المكلفين منك فالخطاب يترتب عليه و من خطاب الشارع تعلم جميع ما يتعلق بكل عضو من هؤلاء الأعضاء من لتكاليف و هم كالآلة للنفس المخاطبة المكلفة بتدبير هذا البدن و أنت المسئول عنهم في إقامة العدل فيهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا انقطع شسع نعله خلع الأخرى حتى يعدل بين رجليه و لا يمشي في نعل واحد و قد بيناها بكمالها و ما لها من

الأنوار و الكرامات و المنازل و الأسرار و التجليات في كتابنا المسمى مواقع النجوم ما سبقنا في علمنا في هذا الطريق إلى ترتيبه أصلا و قيدته في أحد عشر يوما في شهر رمضان بمدينة المرية سنة خمس و تسعين و خمسمائة يغني عن الأستاذ بل الأستاذ محتاج إليه فإن الأستاذين فيهم العالي و الأعلى و هذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه ليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبدنا بها فمن حصل لديه فليعتمد بتوفيق الله عليه فإنه عظيم المنفعة و ما جعلني أن أعرفك بمنزلته إلا أني رأيت الحق في النوم مرتين و هو يقول لي أنصح عبادي و هذا من أكبر نصيحة نصحتك بها و الله الموفق و بيده الهداية و ليس لنا من الأمر شيء و لقد صدق الكذوب إبليس رسول الله صلى الله عليه و سلم حين اجتمع به فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ما عندك فقال إبليس لتعلم يا رسول الله أن الله خلقك للهداية و ما بيدك من الهداية شيء و إن الله خلقني للغواية و ما بيدي من الغواية شيء لم يزده على ذلك و انصرف و حالت الملائكة بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم (وصل) و بعد أن نبهتك على ما نبهتك عليه مما تقع لك به الفائدة فاعلم أن الله خاطب الإنسان بجملته و ما خص ظاهره من باطنه و لا باطنه من ظاهره فتوفرت دواعي الناس أكثرهم إلى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم و غفلوا عن الأحكام المشروعة في بواطنهم إلا القليل و هم أهل طريق الله فإنهم بحثوا في ذلك ظاهرا و باطنا فما من حكم قرروه شرعا في ظواهرهم إلا و رأوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى بواطنهم أخذوا على ذلك جميع أحكام الشرائع فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهرا و باطنا ففازوا حين خسر الأكثرون و نبغت طائفة ثالثة ضلت و أضلت فأخذت الأحكام الشرعية و صرفتها في بواطنهم و ما تركت من حكم الشريعة في الظواهر شيئا تسمى الباطنية و هم في ذلك على مذاهب مختلفة و قد ذكر الإمام أبو حامد في كتاب المستظهري له في الرد عليهم شيئا من مذاهبهم و بين خطأهم فيها و السعادة إنما هي مع أهل الظاهر و هم في الطرف و النقيض من أهل الباطن و السعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر و الباطن و هم العلماء بالله و بأحكامه و كان في نفسي إن أخر الله في عمري أن أضع كتابا كبيرا أقرر فيه مسائل الشرع كلها كما وردت في أماكنها الظاهرة و أقررها فإذا استوفينا المسألة المشروعة في ظاهر الحكم جعلنا إلى جانبها حكمها في باطن الإنسان فيسري حكم الشرع في الظاهر و الباطن فإن أهل طريق الله و إن كان هذا غرضهم و مقصدهم و لكن ما كل أحد منهم يفتح الله له في الفهم حتى يعرف ميزان ذلك الحكم في باطنه فقصدنا في هذا الكتاب إلى الأمر العام من العبادات و هي الطهارة و الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج و التلفظ بلا إله إلا الله محمد رسول الله فاعتنيت بهذه الخمسة لكونها من قواعد الإسلام التي بني الإسلام عليها و هي كالأركان للبيت فالإيمان هو عين البيت و مجموعه و باب البيت الذي يدخل منه إليه و هذا الباب له مصراعان و هما التلفظ بالشهادتين و أركان البيت أربعة و هي الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج فجردنا العناية في إقامة هذا البيت لنسكن فيه و يقينا من زمهرير نفس جهنم و حرورها قال النبي صلى الله عليه و سلم اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء و نفس في الصيف فما كان من سموم و حرور فهو من نفسها و ما كان من برد و زمهرير فهو من نفسها فاتخذ الناس البيوت لتقيهم حر الشمس و برد الهواء فينبغي للعاقل أن يقيم لنفسه بيتا يكنه يوم القيامة من هذين النفسين في ذلك

اليوم لأن جهنم في ذلك اليوم تأتي بنفسها تسعى إلى الموقف تَفُورُ تَكادُ تَمَيَّزُ من الْغَيْظِ على أعداء الله فمن كان في مثل هذا البيت وقاه الله من شرها و سطوتها و لما كانت الطهارة شرطا في صحة الصلاة أفردنا لها بابا قدمناه بين يدي باب الصلاة ثم يتلوها الزكاة ثم الصوم ثم الحج و يكفي في هذا الكتاب هذا القدر من العبادات فأتتبع أمهات مسائل كل باب منها و أقررها بالحكم الكلي باسمها في الظاهر ثم انتقل إلى حكم تلك المسألة عينها في الباطن إلى أن أفرغ منها و الله يؤيد و يعين (بيان و إيضاح) فأول ذلك تسميتها طهارة و قد ذكرنا ذلك في أول الباب ظاهرا و باطنا فلنشرع إن شاء الله في أحكامها و هو أن ننظر في وجوبها و على من تجب و متى تجب و في أفعالها و فيما به تفعل و في نواقضها و في صفة الأشياء التي تفعل من أجلها كما فعلته علماء الشريعة و قررته في كتبها و قد انحصر في هذا أمر الطهارة و لننظر ذلك ظاهرا و باطنا و إنما نومئ إليه ظاهرا حتى لا يفتقر الناظر فيها إلى كتب الفقهاء فيغنيه ما ذكرناه و لا نتعرض للادلة التي للعلماء على ثبوت هذا الحكم من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس في مذهب من يقول به لطرد علة جامعة يراها بين المنطوق عليه و المسكوت عنه لا أتعرض إلى أصول الفقه في ذلك و لا إلى الأدلة إذ العامة ليس منصبها النظر في الدليل فنحن نذكر أمهات فروع الأحكام و مذاهب الناس فيها من وجوب و غير وجوب (وصل) نقول أولا أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف على وجوب الطهارة على كل من لزمته الصلاة إذا دخل وقتها و أنها تجب على البالغ حد الحلم العاقل و اختلف الناس هل من شرط وجوبها الإسلام أم لا هذا حكم الظاهر فأما الباطن في ذلك و هي الطهارة الباطنة فنقول إن باطن الصلاة و روحها إنما هو مناجاة الحق تعالى حيث قال قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين الحديث فذكر المناجاة يقول العبد كذا فيقول الله كذا فمتى أراد العبد مناجاة ربه في أي فعل كان تعينت عليه طهارة قلبه من كل شيء يخرجه عن مناجاة ربه في ذلك الفعل و متى لم يتصف بهذه الطهارة في وقت مناجاته فما ناجاه و قد أساء الأدب فهو بالطرد أحق و سأذكر في أفعالها تقاسيم هذه الطهارة في الحكم إن شاء الله و أما قول العلماء إنها تجب على البالغ العاقل بالإجماع و اختلفوا في الإسلام فكذلك عندنا تجب هذه الطهارة على العاقل و هو الذي يعقل عن الله أمره و نهيه و ما يلقيه الله في سره و يفرق بين خواطر قلبه فيما هو من الله أو من نفسه أو من لمة الملك أو من لمة الشيطان و ذلك هو الإنسان فإذا بلغ في المعرفة و التمييز إلى هذا الحد و عقل عن الله ما يريد منه و سمع قول الله تعالى وسعني قلب عبدي وجب عليه عند ذلك استعمال هذه الطهارة في قلبه و في كل عضو يتعلق به على الحد المشروع فإن طهارة البصر مثلا في الباطن هو النظر في الأشياء بحكم الاعتبار و عينه فلا يرسل بصره عبثا و لا يكون مثل هذا إلا لمن تحقق باستعمال الطهارة المشروعة في محلها كلها قال تعالى إِنَّ في ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ فجعلها للابصار و الاعتبار إنما هو للبصائر فذكر الأبصار لأنها الأسباب المؤدية إلى الباطن ما يعتبر فيه عين البصيرة و هكذا جميع الأعضاء كلها و أما قول العلماء في هذه الطهارة هل من شرط وجوبها الإسلام فهو قولهم هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة و إن المنافق إذا توضأ هل أدى واجبا أم لا و هي مسألة خلاف تعم جميع الأحكام المشروعة فمذهبنا أن جميع الناس كافة من مؤمن و كافر و منافق مكلفون مخاطبون بأصول الشريعة و فروعها و أنهم مؤاخذون يوم القيامة بالأصول و بالفروع و لهذا كان المنافق في الدَّرْكِ

الْأَسْفَلِ من النَّارِ و هو باطن النار و إن المنافق معذب بالنار الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إذ أتى في الدنيا بصورة ظاهر الحكم المشروع من التلفظ بالشهادة و إظهار تصديق الرسل و الأعمال الظاهرة و ما عندهم في بواطنهم من الايمان مثقال ذرة فبهذا القدر تميزوا من الكفار و قيل فيهم إنهم منافقون قال تعالى إِنَّ (الله جامِعُ) الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً فذكر الدار فالمنافقون يعذبون في أسفل جهنم و الكافرون لهم عذاب في الأعلى و الأسفل فإن الله قد رتب مراتب و طبقات للعذاب في نار جهنم لأعمال مخصوصة بأعضاء مخصوصة على ميزان معلوم لا يتعداه فالمؤمن ليس للنار اطلاع على محل إيمانه البتة فما له نصيب في النار الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ و إن خرج عنه هناك فإن عنايته سارية في محله من الإنسان و إنما يخرج عنه ليحميه و يرد عنه من عذاب الله ما شاء الله كما خرج عنه في الدنيا إذا أوقع المعصية قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في المؤمن يشرب الخمر و يسرق و يزني إنه لا يفعل شيئا من ذلك و هو مؤمن حال فعله و قال إن الايمان يخرج عنه في ذلك الوقت حال الفعل و تأول الناس هذا الحديث على غير وجهه لأنهم ما فهموا مقصود الشارع و فسروا الايمان بالأعمال فقالوا إنه أراد العمل فأبان النبي صلى الله عليه و سلم مراده بذلك في الحديث الآخر فقال صلى الله عليه و سلم إن العبد إذا زنى خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه الايمان فاعلم أن الحكمة الإلهية في ذلك أن العبد إذا شرع في المخالفة التي هو بها مؤمن أنها مخالفة و معصية فقد عرض نفسه بفعله إياها لنزول عذاب الله عليه و إيقاع العقوبة به و أن ذلك الفعل يستدعي وقوع البلاء به من الله فيخرج عنه إيمانه الذي في قلبه حتى يكون عليه مثل الظلة فإذا نزل البلاء من الله يطلبه تلقاه إيمانه فيرده عنه فإن الايمان لا يقاومه شيء و يمنعه من الوصول إليه رحمة من الله و ما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه و سلم بيان و لهذا قلنا إن العبد المؤمن لا يخلص له أبدا معصية لا تكون مشوبة بطاعة و هي كونه مؤمنا بها أنها معصية فهو من الذين خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً فقال الله عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ و التوبة الرجوع فمعناه أن يرجع عليهم بالرحمة فإنه تعالى تمم الآية بقوله إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و قال العلماء إن عسى من الله واجبة فإنه لا مانع له ثم نرجع و نقول إنه لما كان الايمان عين طهارة الباطن لم يتمكن أن يتصور الخلاف فيه كما تصور في الطهارة الظاهرة إلا بوجه دقيق يكون حكم الظاهر فيه في الباطن حكم الباطن في طهارة الظاهر فنقول من ذلك الوجه هل من شرط طهارة الباطن بالإيمان التلفظ به فينطق اللسان بما يعتقده القلب من ذلك أم لا فيكون في عالم الغيب إذا لم يظهر بما يعتقده في الباطن منافقا كمنافق الظاهر في عالم الشهادة فإن المؤمن يعتقد وجوب الصلاة مثلا و لا يصلي و لا يتطهر كما أن المنافق يصلي و يتطهر و لا يؤمن بوجوبها عليه بقلبه و لا يعتقده أو لا يفعله لقول ذلك الرسول الذي شرعه له فهذا معنى ذلك إذا حققت النظر فيه حتى يسري الحكم في الظاهر و الباطن على صورة ما هو في الظاهر من الخلاف و الإجماع فاعلم ذلك (وصل) و أما أفعال هذه الطهارة فقد ورد بها الكتاب و السنة و بين فرضها من سننها من استحباب أفعال فيها و لهذه الطهارة شروط و أركان و صفات و عدد و حدود معينة في محالها فمن شروطها النية و هي القصد بفعلها على جهة القربة إلى الله تعالى عند الشروع في الفعل فمن الناس من ذهب إلى أنها شرط في صحة ذلك الفعل الذي لا يصح إلا بوجودها و ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب و لا بد و هو مذهبنا و به نقول في

الطهارة الظاهرة و الباطنة وهي عندنا في الباطن آكد و أوجب لأن النية من صفات الباطن أيضا فحكمها في طهارة الباطن أقوى لأنها تحكم في موضع سلطانها و الظاهر غريب عنها فلهذا لم يختلف في علمنا في الباطن و اختلف في ذلك في الظاهر و قد تقدم من الكلام في النية طرف يغني و ذهب آخرون إلى أنها ليست بشرط صحة و أغنى ما ذكرناه في طهارة الوضوء بالماء (وصل) اختلف علماء الشريعة في غسل اليد قبل إدخالها في الإناء الذي تريد الوضوء منه على أربعة أقوال فمن قائل إن غسلهما سنة بإطلاق و من قائل إن ذلك مستحب لمن يشك في طهارة يده و من قائل إن غسل اليد واجب على القائم من النوم في الإناء الذي يريد الوضوء منه و من قائل إن ذلك واجب على المنتبه من نوم الليل خاصة و هذا حصر مذاهب العلماء في علمي في هذه المسألة و لكل قائل حجة من الاستدلال يدل بها على قوله و ليس كتابنا هذا موضع إيراد أدلتهم و تتميم حكم هذه المسألة في الباطن غسل اليد هو طهارتها بما كلفه الشارع فيها بتركه و ذلك على قسمين منه ما هو واجب و منه ما هو مندوب إليه و الواجب عندنا و الفرض على السواء لفظان متواردان على معنى واحد فلا فرق عندنا إذا قلت أوجب أو فرض ثم نقول فالواجب إذا كانت اليد على شيء يحكم الشرع فيه عليها أنها غاصبة أو بكونه مسروقا أو بكونه وقعت فيه خيانة و كل ما لم يجوز لها الشارع أن تتصرف فيه و الفروق في هذه الأحوال بينة فواجب طهارتها عن هذا كله و سيرد بما ذا تطهر في موضعه إن شاء الله فواجبة عليها هذه الطهارة و أما الطهارة المندوب إليها فهي ترك ما في اليد من الدنيا مما هو مباح له إمساكه فندبه الشرع إلى إخراجه عن يده رغبة فيما عند الله و ذلك هو الزهد و هي تجارة فإن لها عوضا عند الله على ما تركته و الترك أعلى من الإمساك و هذه مسألة إجماع في كل ملة و نحلة شرعا و عقلا فإن الناس مجمعون على أن الزهد في الدنيا و ترك جمع حطامها و الخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل هذا هو المندوب إليه في طهر اليد و هو السنة و أما المذهب في الاستحباب في طهارة اليد عند الشاك في طهارتها فهو الخروج عن المال الذي في يده لشبهة قامت له فيه قدحت في حله فليس له إمساكه و هذا هو الورع ما هو الزهد و إن كان له وجه إلى الحل فالمستحب تركه و لا بد فإن مراعاة الحرمة أولى فإنك في إمساكه مسئول و في تركه للشبهة التي قامت عندك فيه غير مسئول بل أنت إلى المثوبة على ذلك أقرب و هذا في الطهارة المندوب إليها أولى و الاستحباب في الترك للمباح أولى و أما اختلافهم في وجوب غسلها من النوم مطلقا و فيمن قيد ذلك بنوم الليل فاعلم أن الليل غيب لأنه محل الستر و لذلك جعل الليل لباسا و النهار شهادة لأنه محل الظهور و الحركة و لذلك جعله معاشا لابتغاء الفضل يعني طلب الرزق هنا من وجهه فالفضل المبتغي فيه من الزيادة و من الشرف و هو زيادة الفضائل فإنه يجمع ما ليس له برزق فهو فضول لأنه يجمعه لوارثه أو لغيره فإن رزق الإنسان ما هو ما يجمعه و إنما هو ما يتغذى به فاعلم أن النائم في عالم الغيب بلا شك و إذا كان النوم بالليل فهو غيب في غيب فيكون حكمه أقوى و النوم بالنهار غيب في شهادة فيكون حكمه أضعف ألا تراه جعل ﴿النَّوْمَ سُبَاتاً﴾ فهو راحة بلا شك و هو بالليل أقوى فإنه فيه أشد استغراقا من نوم النهار و الغيب أصل فالليل أصل و الشهادة فرع فالنهار فرع ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ﴾ فالنهار مسلوخ من الليل فالليل لما كان يستر الأشياء و لا يبين حقائق صورها للابصار أشبه الجهل فإن الجهل بالشيء لا يبين حكمه فمن جهل الشرع

في شيء لم يعلم حكمه فيه و لما كان النائم في حال نومه لا يعلم شيئًا من أمور الظاهر في عالم الشهادة في حق الناس كان النوم جهلا محضا إلا في حق من تنام عينه ولا ينام قلبه كرسول الله صلى الله عليه و سلم و من شاء الله من ورثته في الحال و لما كان النهار يوضح الأشياء و يبين صور ذواتها و يظهر للمتقي ما يتقى من الأمور المضرة و ما لا يتقيه أشبه العلم فإن العلم هو المبين حكم الشرع في الأشياء و لما كان النائم بالنهار متصفا بالجهل لأجل نومه لأن النوم من أضداد العلم ربما مد يده و هو لا علم له أو رجله فيفسد شيئًا مما لو كان مستيقظا لم يتعرض إلى فساده أوجب عليه الشرع الطهارة بالمعلم من نوم الجهل إذا استيقظ فيعلم بيقظته حكم الشرع في ذلك فإنه ما كان يدري في حال نوم جهالته حيث جالت يده هل فيما أبيح له ملكه أو في ما لم يبح له ملكه كالمغصوب و أمثاله كما ذكرنا كما راعى المخالف قوله أين باتت يده و اشتركا في النوم و إنما ذكر الشارع المبيت لأن غالب النوم فيه و هو أبدا يراعي الأغلب فجعل هذا الحكم في نوم الليل و مراعاة النوم أولى من مراعاة نوم الليل و يقول مراعي نوم الليل لذكر المبيت فإنه لما كان الإنسان إذا نام بالنهار قد يكون هناك إنسان أو جماعة إذا رأوا النائم يتحرك بيده أو برجله فتؤديه حركته تلك إلى كسر جرة أو غيرها أو صبي صغير رضيع تحصل يده على فمه فتؤذيه أو يمسك عنه خروج النفس فيموت و قد رأينا ذلك فيكون المستيقظ الحاضر يمنع من ذلك بإزالة الطفل القريب منه أو الجرة أو ما كان من أجل ضوء النهار الذي كشفه به و يقظته كذلك العالم مع الجاهل إذا رآه يتصرف بما لا علم له به بحكم الشرع فيه نبهه أو حال الشرع بينه و بين ذلك الفعل فوجب غسل اليد عندنا و لا بد باطنا على الغافل و هو النائم بالنهار الجاهل و هو النائم بالليل و أما اعتبارنا بالطهارة قبل إدخالها في الإناء فإنه بالعلم و العمل خوطبنا فالعلم الماء و العمل الغسل و بهما تحصل الطهارة فغسلها قبل إدخالها في إناء الوضوء هو ما يقرره في نفسه من القصد الجميل في ذلك الفعل إلى جناب الحق الذي فيه سعادته عند الشروع في الفعل على التفصيل فهذا معنى غسل اليد قبل إدخالها في إناء الوضوء في طهارة الباطن (وصل) المضمضة و الاستنشاق اختلف علماء الشريعة فيهما على ثلاثة أقوال فمن قائل إنهما سنتان و من قائل إنهما فرض و من قائل إن المضمضة سنة و الاستنشاق فرض هذا حكمهما في الظاهر قد نقلناه فأما حكمهما في الباطن فمنهما ما هو فرض و منهما ما هو سنة فأما المضمضة فالفرض منها التلفظ بلا إله إلا الله فإن بها يتطهر لسانك من الشرك و صدرك فإن حروفها من الصدر و اللسان و كذلك في كل فرض أوجب الله عليك التلفظ به مما لا ينوب فيه عنك غيرك فيسقط عنك كفرض الكفاية كرجل أبصر أعمى على بعد يريد السقوط في حفرة يتأذى بالسقوط فيها أو يهلك فيتعين عليه فرضا أن ينادي به يحذره من السقوط بما يفهم عنه لكونه لا يلحقه فإن سبقه إنسان إلى ذلك سقط عنه ذلك الفرض الذي كان تعين عليه فإن تكلم به فهو خير له و ليس بفرض عليه فإذا تمضمض في باطنه بهذا و أمثاله فقد أصاب خيرا و قال خيرا و هو حسن القول و صدق اللسان طهور من الكذب و الجهر بالقول الحسن طهور من الجهر بالسُّوءِ من الْقَوْلِ و إن كان جزاء بقوله إِلَّا من ظُلِمَ و لكن السكوت عنه أفضل و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر طهور من نقيضيهما فمثل هذا فرض المضمضة و سننها و كذلك الاستنشاق فاعلم إن الاستنشاق في الباطن لما كان الأنف في عرف العرب محل العزة و الكبرياء و لهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه و قد اتفق هذا

على رغم أنفه و الرغام التراب أي حطك الله من كبريائك و عزك إلى مقام الذلة و الصغا ر فكنى عنه بالتراب فإن الأرض سماها الله ذلولا على المبالغة فإن أذل الأذلاء من وطئه الذليل و العبيد أذلاء و هم يطئون الأرض بالمشي عليها في مناكبها فلهذا سماها ببنية المبالغة و لا يندفع هذا و لا تزول الكبرياء من الباطن إلا باستعمال أحكام العبودية و الذلة و الافتقار و لهذا شرع الاستنثار في الاستنشاق فقيل له اجعل في أنفك ماء ثم استنثر و الماء هنا علمك بعبوديتك إذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله و هو الاستنثار و منه فرض و استعماله في الباطن فرض بلا شك و أما كونه سنة فمعناه أنك لو تركته صح وضوؤك و محله في هذا القدر أنك لو تركت معاملتك لعبدك أو لمن هو تحت أمرك و هنا سر خفي يتضمنه رب أعطني كذا أو لمن هو دونك بالتواضع و أظهرت العزة و حكم الرئاسة لمصلحة تراها أباحها لك الشارع فلم تستنشق جاز حكم طهارتك دون استعمال هذا الفعل و إن كان استعمالها أفضل فهذا موضع سقوط فرضها فلهذا قلنا قد يكون سنة و قد يكون فرضا لعلمنا أنه لو أجمع أهل مدينة على ترك سنة وجب قتالهم و لو تركها واحد لم يقتل فإن النبي صلى الله عليه و سلم كان لا يغير على مدينة إذا جاءها ليلا حتى يصبح فإن سمع أذانا أمسك و إلا أغار و كان يتلو إذا لم يسمع أذانا إنا إذا نزلنا بساحة قوم فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ و ما من حكم من أحكام فرائض الشريعة و سننها و استحباباتها إلا و لها في الباطن حكم أو أزيد على قدر ما يفتح للعبد في ذلك فرضا كان أو سنة أو مستحبا لا بد من ذلك و حد ذلك في سائر العبادات المشروعة كلها و بهذا يتميز حكم الظاهر من الباطن فإن الظاهر يسرى في الباطن و ليس في الباطن أمر مشروع يسرى في الظاهر بل هو عليه مقصور فإن الباطن معان كلها و الظاهر أفعال محسوسة فينتقل من المحسوس إلى المعنى و لا ينتقل من المعنى إلى الحس

(باب التحديد في غسل الوجه)

لا خلاف إن غسل الوجه فرض و حكمه في الباطن المراقبة و الحياء من الله مطلقا و ذلك أن لا تتعدى حدود الله تعالى و اختلف علماء الرسوم في تحديد غسل الوجه في الوضوء في ثلاثة مواضع منها البياض الذي بين العذار و الأذن و الثاني ما سدل من اللحية و الثالث غسل اللحية فأما البياض المذكور فمن قائل إنه من الوجه و من قائل إنه ليس من الوجه و أما ما انسدل من اللحية فمن قائل بوجوب إمرار الماء عليه و من قائل بأن ذلك لا يجب و أما تخليل اللحية فمن قائل بوجوب تخليلها و من قائل إنه لا يجب (وصل في حكم ما ذكرناه في الباطن) أما غسل الوجه مطلقا من غير نظر إلى تحديد الأمر في ذلك فإن منه ما هو فرض و منه ما ليس بفرض فأما الفرض فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك و أما السنة منه الحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك فالله أولى أن تستحيي منه مع علمك أنه ما من جزء فيك إلا و هو يراه منك و لكن حكمه في أفعالك من حيث أنت مكلف ما ذكرناه و قد ورد به الخبر و كذلك النظر إلى عورة امرأتك و إن كان قد أبيح لك ذلك و لكن استعمال الحياء فيها أفضل و أولى فيسقط الفرض فيه أعني في الحياء في مثل قوله لا يَسْتَحْيِي من الْحَقِّ فما يتعين منه فهو فرض عليك و ما لا يتعين عليك فهو سنة و استحباب فإن شئت فعلته و هو أولى و إن شئت لم تفعله فيراقب الإنسان أفعاله و ترك أفعاله ظاهرا و

باطنا و يراقب آثار ربه في قلبه فإن وجه قلبه هو المعتبر و وجه الإنسان و كل شيء حقيقته و ذاته و عينه يقال وجه الشيء و وجه المسألة و وجه الحكم و يريد بهذا الوجه حقيقة المسمى و عينه و ذاته قال تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ و الوجوه التي هي في مقدم الإنسان ليست توصف بالظنون و إنما الظن لحقيقة الإنسان فالحياء خير كله و الحياء من الايمان و الحياء لا يأتي إلا بخير و أما البياض الذي بين العذار و الأذن و هو الحد الفاصل بين الوجه و الأذن فهو الحد بين ما كلف الإنسان من العمل في وجهه و العمل في سمعه فالعمل في ذلك إدخال الحد في المحدود فالأولى بالإنسان أن يصرف حياءه في سمعه كما صرفه في بصره فكما أنه من الحياء غض البصر عن محارم الله قال تعالى لرسوله صلى الله عليه و سلم قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ باطن هاتين الآيتين خطاب النفس و العقل كذلك يلزمه الحياء من الله أن يسمع ما لا يحل له سماعه من غيبة و سوء قول من متكلم بما لا ينبغي و لا يحل له التلفظ به فإن ذلك البياض بين العذار و الأذن و هو محل الشبهة و صورة الشبهة في ذلك أن يقول إنما أصغيت إليه لأرد عليه و عن الشخص الذي اغتيب و هذا من فقه النفس فقوله هذا هو من العذار فإنه من العذر أي الإنسان إذا عوتب في ذلك يعتذر بما ذكرناه و أمثاله و يقول إنما أصغيت لأحقق سماعي قوله حتى أنهاه عن ذلك على يقين فكنى عنه بالعذار و يكون فيمن لا عذار له موضع العذار فمن رأى وجوب ذلك عليه غسله بما قال تعالى الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ أي بين لهم الحسن من ذلك من القبيح وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ أي عقلوا ما أردنا و هو من لب الشيء المصون بالقشر و من لم ير وجوب ذلك عليه إن شاء غسل و إن شاء ترك كمن يسمع ممن لا يقدر على رد الكلام في وجهه من ذي سلطان يخاف من تعديه عليه فإن قدر على القيام من مجلسه انصرف فذلك غسله إن شاء و إن ترجح عنده الجلوس لأمر يراه مظنونا عنده جلس و لم يبرح و هذا عند من لا يرى وجوب ذلك عليه و أما غسل ما انسدل من اللحية و تخليلها فهي الأمور العوارض فإن اللحية شيء يعرض في الوجه ما هي من الوجه و لا تؤخذ في حده مثل ما يعرض لك في ذاتك من المسائل الخارجة عن ذاتك فأنت فيها بحكم ذلك العارض فإن تعين عليك طهارة نفسك من ذلك العارض فهو اعتبار قول من يقول بوجوب غسل ذلك و إن لم يتعين عليك طهارته فطهرته استحبابا أو تركته لكونه ما تعين عليك و لكن هو نقص في الجملة فهذا قول من يقول ليس بواجب و هو مذهب الآخرين و قد بينا لك فيما تقدم من مثل هذا الباب أن حكم الباطن في هذه الأمور بخلاف حكم الظاهر فيما فيه وجه إلى الفرضية و وجه إلى السنة و الاستحباب فالفرض لا بد من العمل به فعلا كان أو تركا و غير الفرض فيه إن تنزله في الامتثال منزلة الفرض و هو أولى فعلا و تركا و ذلك سار في سائر العبادات

(باب في غسل اليدين و الذراعين في الوضوء إلى المرافق)

أجمع العلماء بالشريعة على غسل اليدين و الذراعين في الوضوء بالماء و اختلفوا في إدخال المرافق في الغسل و مذهبنا الخروج إلى محل الإجماع في الفعل فإن الإجماع في الحكم لا يتصور فمن قائل بوجوب إدخالها في الغسل و من قائل بترك الوجوب و لا خلاف عند القائلين بترك الوجوب

في استحباب إدخالها في الغسل (وصل حكم الباطن في ذلك) أقول بعد تقرير حكم الظاهر الذي تعبدنا الله إن غسل اليدين و الذراعين و هما المعصمان فغسل اليدين بالكرم و الجود و السخاء و الإيثار و الهبات و أداء الأمانات و هو الذي لا يصح عنده الإيثار كما يغسلهما أيضا مع الذراعين بالاعتصام إلى المرافق بالتوكل و الاعتضاد فإن المؤمن كثير بأخيه فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان إذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشرع في العضد و إن هذا و أشباهه من نعوت اليدين و الخلاف في حد اليدين أكثره إلى الآباط و أقله إلى الفصل الذي يسمى منه الذراع فبقي إدخال المرافق و المرافق في الباطن هي رؤية الأسباب التي يرتفق بها العبد و تأنس بها نفسه فإن الإنسان في أصل خلقه خُلِقَ هَلُوعاً يخاف الفقر الذي تعطيه حقيقته من حيث إمكانه فيجنح إلى ما يرتفق به و يميل إليه فمن رأى إدخال المرافق في غسله واجبا رأى أن الأسباب إنما وضعها الله حكمة منه في خلقه لما علم من ضعف يقينهم فيريد أن لا يعطل حكمة الله لا على طريق الاعتماد عليها فإن ذلك يقدح في اعتماده على الله و من رأى أنه لا يوجبها في الغسل رأى سكون النفس إلى الأسباب أنه لا يخلص له مقام الاعتماد على الله حالا مع وجود رؤية الأسباب و كل من يقول إنها لا تجب يستحب إدخالها في الغسل كذلك رؤية الأسباب مستحبة عند الجميع و إن اختلفت أحكامهم فيها فإن الله ربط الحكمة بوجودها

(باب في مسح الرأس)

اتفق علماء الشريعة على إن مسحه من فرائض الوضوء و اختلفوا في القدر الواجب منه فمن قائل بوجوب مسحه كله و من قائل بوجوب مسح بعضه و اختلفوا في حد البعض فمن قائل بوجوب الثلث و من قائل بوجوب الثلثين و من قائل بالربع و من قائل لا حد للبعض و تكلم بعض هؤلاء في حد القدر الذي يمسح به من اليد فمن قائل إن مسحه بأقل من ثلاثة أصابع لم يجزه و من قائل لا حد للبعض لا في الممسوح و لا فيما يمسح به و أصل هذا الخلاف وجود الباء في قوله تعالى بِرُؤُسِكُمْ (وصل حكم المسح في الباطن) فأما حكم مسح الرأس في الباطن اعتبارا فإن لرأس من الرئاسة و هي العلو و الارتفاع و منه رئيس القوم أي سيدهم الذي له الرئاسة عليهم و لما كان أعلى ما في البدن في ظاهر العين و جميع البدن تحته سمي رأسا إذ كان الرئيس فوق المرءوس بالمرتبة و له جهة فوق و قد وصف الله نفسه بالفوقية لشرفها قال تعالى يَخافُونَ رَبَّهُمْ من فَوْقِهِمْ و قال وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ فكان الرأس أقرب عضو في البدن إلى الحق لمناسبة الفوق ثم له شرف آخر بالمعنى الذي رأس به على أجزاء البدن كلها و هو كونه محلا جامعا حاملا لجميع القوي كلها المحسوسة و المعقولة المعنوية فلما كانت له أيضا هذه الرئاسة من هذه الجهة سمي رأسا ثم إن العقل الذي جعله الله أشرف ما في الإنسان جعل محله أعلى ما في الرأس و هو اليافوخ فجعله مما يلي جهة الفوقية و لما كان الرأس محلا لجميع القوي الظاهرة و الباطنة و لكل قوة منها حكم و سلطان و فخر يورثه ذلك عزة على غيره كقصر الملك على سائر دور السوقة و جعله الله محال هذه القوي من الرأس مختلفة حتى عمت الرأس كله أعلاه و وسطه و مقدمه و مؤخره و كل قوة كما ذكرنا لها عزة و سلطان و كبرياء في نفسها و رياسة فوجب أن يمسحه كله و هو اعتبار من يقول بوجوب مسح الرأس كله لهذه الرئاسة السارية فيه كله من

جهة حمله لهذه القوي المختلفة الأماكن فيه بالتواضع و الإقناع لله فيكون لكل قوة إذا عم المسح مسح مخصوص من مناسبة دعواها فيردعها بما يخصها من المسح فيعم بالمسح جميع الرأس و من يرى أن للرأس رأسا عليه كما إن الولاة من جهة السلطان يرجع أمرهم إليه فإنه الذي ولاهم رأى كل وال أن فوقه وال عليه هو أعلى منه له سلطان على سلطانه كالقوة المصورة لها سلطان على القوة الخيالية فهي رئيسة عليها و إن كانت لها رياسة أعني القوة الخيالية فمن رأى هذا من العلماء قال بمسح بعض الرأس و هو التهمم بالأعلى ثم اختلف أصحابنا في هذا البعض فكل عارف قال بحسب ما أعطاه الله من الإدراك في مراتب هذه القوي فهو بحسب ما يراه و يعتبره فأخذ يمسح في هذه العبادة و هي التذلل و إزالة الكبرياء و الشموخ بالتواضع و العبودية لأنه في طهارة العبادة يطلب الوصلة بربه لأن المصلي في مقام مناجاة ربه و هي الوصلة المطلوبة بالطهارة و العزيز الرئيس إذا دخل على من ولاة تلك العزة و الرئاسة نزل عن رياسته و ذله عن عزه بعز من دخل عليه و هو سيده الذي أوجده فيقف بين يديه وقوف غيره من العبيد الذين أنزلوا نفوسهم بطلب الأجرة منزلة لا جانب فوقف هذا العبد في محل الإذلال لا بصفة الإدلال بالدال اليابسة فمن غلب على خاطره رياسة بعض القوي على غيرها وجب عليه مسح ذلك البعض من أجل الوصلة التي يطلبها بهذه العبادة و لهذا لم يشرع مسح الرأس في التيمم لأن وضع التراب على الرأس من علامة الفراق و هو المصيبة العظمى إذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه فلما كان المطلوب بهذه العبادة الوصلة لا الفرقة لهذا لم يشرع مسح الرأس في التيمم فامسح على حد ما ذكرناه لك و نبهناك عليه و تفصيل رياسات القوي معلوم عند الطائفة لا أحتاج إلى ذكره و أما التبعيض في اليد التي يمسح بها و اختلافهم في ذلك فاعمل فيه كما تعمل في الممسوح سواء فإن المزيل لهذه الرئاسة أسباب مختلفة في القدرة على ذلك و محل ذلك اليد فمن مزيل بصفة القهر و من مزيل بسياسة و ترغيب كما يمسح الإنسان بيده رأس اليتيم جبرا لانكساره بلطف و حنان فلهذا ترجع بعضية اليد في المسح و كليته فاعلم ذلك و لما كان الموجب لهذا الخلاف عند العلماء وجود الباء في قوله بِرُؤُسِكُمْ فمن جعلها للتبعيض بعض المسح و من جعلها زائدة للتوكيد في المسح عم بالمسح جميع الرأس و إن الباء في هذا الموضع هو وجود القدرة الحادثة فلا يخلو إما أن يكون لها أثر في المقدور فتصح البعضية و هو قول المعتزلي و غيره و إما أن لا يكون لها أثر في المقدور بوجه من الوجوه فهي زائدة كما يقول الأشعري فيسقط حكمها فتعم القدرة القديمة مسح الرأس كله لم تبعض مسحه القدرة الحادثة و يكون حد مراعاة التوكيد من كونها زائدة للتوكيد هو الاكتساب الذي قالت به الأشاعرة و هو قوله تعالى في غير موضع من كتابه بإضافة الكسب و العمل إلى المخلوق فلهذا جعلوا زيادتها لمعنى يسمى التوكيد أ لا ترى العرب تقابل الزائد بالزائد في كلامها تريد بذلك التوكيد و تجيب به القائل إذا أكد قوله يقول القائل إن زيدا قائم أو يقول ما زيد قائما فيقول السامع في جواب إن زيدا قائم ما زيد قائما و في جواب ما إن زيدا قائم فيثبت ما نفاه القائل أو ينفي ما أثبته القائل فإن أكد القائل إيجابه فقال إن زيدا لقائم فأدخل اللام لتأكيد ثبوت القيام أدخل المجيب الباء في مقابلة اللام لتأكيد نفي ما أثبته القائل فيقول ما زيد بقائم و يسمى مثل هذا زائدا لأن الكلام يستقل دونه و لكن إذا قصد المتكلم خلاف التبعيض و أتى بذلك الحرف للتأكيد فإن قصد التبعيض لم يكن زائدا ذلك الحرف جملة واحدة و

الصورة واحدة في الظاهر و لكن تختلف في المعنى و المراعاة إنما هي لقصد المتكلم الواضع لتلك الصورة فإذا جهلنا المعنى الذي لأجله خلق سبحانه لتمكن من فعل بعض الأعمال نجد ذلك من نفوسنا و لا ننكره و هي الحركة الاختيارية كما جعل سبحانه فينا المانع من بعض الأفعال الظاهرة فينا و نجد ذلك من نفوسنا كحركة المرتعش الذي لا اختيار للمرتعش فيها لم ندر لما يرجع ذلك التمكن الذي نجده من نفوسنا هل يرجع إلى أن يكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكننا أو عن الإرادة المخلوقة فينا فيكون التمكن أثر الإرادة لا أثر القدرة الحادثة من هنا منشا الخلاف بين أصحاب النظر في هذه المسألة و عليه ينبغي كون الإنسان مكلفا لعين التمكن الذي يجده من نفسه و لا يحقق بعقله لما ذا يرجع ذلك التمكن هل لكونه قادرا أو لكونه مختارا و إن كان مجبورا في اختياره و لكن بذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه يصح أن يكون مكلفا و لهذا قال تعالى لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ ما آتاها فقد أعطاها أمرا وجوديا و لا يقال أعطاها لا شيء و ما رأينا شيئا أعطاها بلا خلاف إلا التمكن الذي هو وسعها لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا و ما يدري لما ذا يرجع هذا التمكن و هذا الوسع هل لأحدهما أعني الإرادة أو القدرة أو لأمر زائد عليهما أو لهما و لا يعرف ذلك إلا بالكشف و لا يتمكن لنا إظهار الحق في هذه المسألة لأن ذلك لا يرفع الخلاف من العالم فيه كما ارتفع عندنا الخلاف فيها بالكشف و كيف يرتفع الخلاف من العالم و المسألة معقولة و كل مسألة معقولة لا بد من الخلاف فيها لاختلاف الفطر في النظر فقد عرفت مسح الرأس ما هو في هذه الطريقة و بقي من حكمه المسح على العمامة و ما في ذلك من الحكم (وصل في المسح على العمامة) فمن علماء الشريعة من أجاز المسح على العمامة و منع من ذلك جماعة فالذي منع لأنه خلاف مدلول الآية فإنه لا يفهم من الرأس العمامة فإن تغطية الرأس أمر عارض و المجيز ذلك لأجل ورود الخبر الوارد في مسلم و هو حديث قد تكلم فيه و قال فيه أبو عمر بن عبد البر انه معلول (وصل مسح العمامة في الباطن) و أما حكم المسح على العمامة في الباطن فاعلم إن الأمور العوارض لا يعارض بها الأصول و لا تقدح فيها فالذي ينبغي لك أن تنظر ما السبب الموجب لطرو ذلك العارض فلا يخلو إما أن يكون مما يستغني عنه أو يكون مما يحصل الضرر بفقده فلا يستغني عنه فإن استغنى عنه فلا حكم له في إزالة حكم الأصل و إن لم يستغن عنه و حصل الضرر بفقده كان حكمه حكم الأصل و ناب منابه و إن بقي من الأصل جزء ما ينبغي أن يراعى ذلك الجزء الذي بقي و لا بد و يبقى ما بقي من الأصل ينوب عنه هذا الأمر العارض الذي يحصل الضرر بفقده هذا مذهبنا فيه و لهذا ورد في الحديث الذي ذكرنا أنه معلول عند بعض علماء هذا الشأن إن المسح وقع على الناصية و العمامة معا فقد مس الماء الشعرفقد حصل حكم الأصل في مذهب من يقول بمسح بعض الرأس فلو لبس العمامة للزينة لم يجز له المسح عليها بخلاف المريض الذي يشد العمامة على رأسه لمرضه فما ورد ما يقاوم نص القرآن في هذه المسألة (إيضاح) فإذا عرض لأهل هذه الطريقة عارض يقدح في الأصل كفعل السبب للمتجرد عن الأسباب أو التبختر و الرئاسة في الحرب فإن كلامنا في مسح الرأس و له التواضع و التكبر ضرب المثل به أولى ليصل فهم السامع إلى المقصود مما يريده في هذه العبادة فإن أثر ذلك الزهو إظهار الكبر في عبودية الإنسان فنسيان كبرياء ربه عليه و عزته سبحانه و حجبه عن ذلك فلا يفعل و يطرح الكبرياء عن نفسه و لا بد و لا

يجوز له التكبر في ذلك الموطن لقدحه في الأصل و إن لم يؤثر في نفسه بل ذلك أمر ظاهر في عين العدو و هو في نفسه في ذلته و افتقاره جاز له صورة التكبر في الظاهر لقرينة الحال بحكم الموطن فإنه لم يؤثر في الأصل هكذا حكم المسح على العمامة عندنا فاعلم ذلك فقد علمت حكم المسح على العمامة في الباطن ما هو و كذلك المسح ببعض اليد على العمامة و هو إن قدح أخذك للسبب في اعتمادك على الله بقلبك فلا تأخذه و لا تستعمله ما لم يؤد إلى ما هو أعظم منه في البعد عن الله و إن لم يؤثر في الاعتماد عليه فامسح ببعض يدك و لا حرج عليك فإن طرح السبب من اليد بعض أفعال اليد لأن مجموع اليد في المعنى أمور كثيرة فإنها تتصرف تصرفات كثيرة مختلفات المعاني في الأمور المشروعة و الأحكام فإن لها القبض و البسط و الاعتدال قال تعالى وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ و هو كناية عن البخل وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ و هو كناية عن السرف و كذلك مدح قوما بمثل هذا فقال تعالى وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً و هو العدل في الإنفاق و كذلك قال تعالى وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ و هو هنا البخل فنسب ذلك كله إلى الأيدي فلهذا قلنا لها أفعال كثيرة و لو لا وجود الكثرة ما صحت البعضية لأن الواحد لا يتبعض (وصل في توقيت المسح على الرأس) بقي من تحقيق هذه المسألة التوقيت في المسح على الرأس هل في تكراره فضيلة أم لا فمن الناس من قال إنه لا فضيلة فيه و منهم من قال إن فيه فضيلة و هذا يستحب في جميع أفعال الوضوء في جملة أعضائه سواء غير أنه يقوى في بعض الأعضاء و يضعف في بعض الأعضاء أعني التكرار و لا خلاف في وجوب الواحدة إذا عمت العضو فأما مذهبنا في الأصل فلا تكرار في العالم للاتساع الإلهي فنمنع هذا اللفظ و لا نمنع وجود الأمثال بالتشابه الصوري فنعلم قطعا أن الحركات يشبه بعضها بعضا في الصورة و إن كانت كل واحدة منها ليست عين الأخرى فمذهبنا أن ننظر حكم الشارع في ذلك فإن عدد بالأمثال عددنا بالأمثال كما نقول عقيب الصلاة سبحان الله ثلاثا و ثلاثين فمثل هذا إلا نمنعه فقد يقع التعدد في عمل الوضوء تأكيد الإزالة حكم الغفلات السريعة الحكم في الإنسان فعلى فهذا يكون في التكرار فضيلة فإن تيقن بالحضور فلا فضيلة فإن الفضل هو الزائد و ما زاد هذا المتوضئ حكما بوجود غفلة أو سهو فيكرر فلم تصح الزيادة و لكن الصحيح عندنا إن التكرار فيه فضيلة لأنه نور على قدر ما حده الشارع المبين للاحكام و قد ورد في الكتاب و السنة في تشبيه نور الله بالمصباح في الزجاجة في المشكاة الآية بكمالها و قال في آخرها نُورٌ عَلى نُورٍ أي ورد في نور على نور كالدليلين و الثلاثة على المدلول الواحد و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في الوضوء على الوضوء نُورٌ عَلى نُورٍ و لا فرق بين ورود الوضوء على الوضوء و بين ورود الغرفة الثانية الواردة على الأولى في الوضوء و تكرار العمل من العامل يوجب تكرار الثواب و التجلي فأما في الأعضاء كلها فالثابت التكرار و ما كان الخلاف إلا في الرأس و الأذنين و الرجلين و قد أومأنا إلى ما ينبغي في ذلك

(باب مسح الأذنين و تجديد الماء لهما)

اختلف الناس في مسح الأذنين و تجديد الماء لهما فمن قائل إنه سنة و من قائل إنه فرض و من قائل بتجديد الماء لهما و من قائل لا يجدد لهما الماء و هل تفرد بالمسح وحدها أو تمسح مع الرأس خاصة أو تمسح مع الوجه خاصة أو يمسح ما أقبل منهما مع الوجه و ما أدبر منهما مع

الرأس و لكل حالة من هذه الأحوال قائل بها (وصل في حكمهما في الباطن) فأما حكمهما في الباطن فإنه عضو مستقل يجب تجديد الماء له فيمسح باستماع القول الأحسن و لا بد و يقع التفاضل في الأحسن فثم حسن و أحسن و أعلاه حسنا ذكر الله بالقرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر اللهمن القرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها إلا الله هذا أعني بذكر الله من القرآن و ما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله فإن فيه الأحكام المشروعة و فيه قصص الفراعنة و حكايات أقوالهم و كفرهم و إن كان فيه الأجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالإصغاء إلى القارئ إذا قرأه أو بإصغاء الإنسان إلى نفسه إذا تلاه و لكن ذكر الله في القرآن أحسن و أتم من حكاية قول الكافر في الله ما لا ينبغي له في القرآن أيضا و أما ما أقبل من ظاهر الأذن و ما أدبر فهو ما ظهر من حكم ذلك الذكر من القرآن و ما بطن و ما أسر منه و ما أعلن و ما فهم منه و ما جهل فسلم كلمات المتشابه في حق الله إلى الله فهي مما أدبر من باطن الأذن فتسلم إلى مراد الله تعالى فيها حين تسمعها الأذن تتلى و ما علم كالآيات المحكمات في حق الله و ما تدل عليه من الأكوان فهي مما أقبل من ظاهر الأذن فيعلم مراد الله بها فيكون الحكم بحسب ما تعلق به العلم فاعمل بحسب ما أشرنا به إليك في هذا التفصيل و الأولى أن يكون حكم الأذنين حكم المضمضة و الاستنشاق و الاستنثار

(باب غسل الرجلين)

اعلم أن صورتها في توقيت الغسل بالأعداد صورة الرأس و قد ذكرنا ذلك اتفق العلماء على أن الرجلين من أعضاء الوضوء و اختلفوا في صورة طهارتها هل ذلك بالغسل أو بالمسح أو بالتخيير بينهما فأي شيء فعل منهما فقد سقط عنه الآخر و أدى الواجب هذا إذا لم يكن عليهما خف و مذهبنا التخيير و الجمع أولى و ما من قول إلا و به قائل فالمسح بظاهر الكتاب و الغسل بالسنة و محتمل الآية بالعدول عن الظاهر منها (وصل حكم الرجلين في الباطن و أما حكم ذلك في الباطن) فاعلم أن السعي إلى الجماعات و كثرة الخطا إلى المساجد و الثبات يوم الزحف مما تطهر به الاقدام فلتكن طهارتك رجليك بما ذكرناه و أمثاله و لا تمش بالنميمة بين الناس ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ و من هذا ما هو فرض أعني من هذه الأفعال بمنزلة المرة الواحدة في غسل عضو الوضوء الرجل و غيره و منه ما هو سنة و هو ما زاد على الفرض و هو مشيك فيما ندبك الشرع إلى السعي فيه و ما أوجبه عليك فالواجب عليك نقل الاقدام إلى مصلاك و المندوب و المستحب و السنة و ما شئت فقل من ذلك مثل نقل الاقدام إلى المساجد من قرب و بعد فإن ذلك ليس بواجب و إن كان الواجب من ذلك عند بعض الناس مسجد إلا بعينه و جماعة لا بعينها فعلى هذا يكون غسل رجليك في الباطن من طريق المعنى و اعلم أن الغسل يتضمن المسح بوجه فمن غسل فقد اندرج المسح فيه كاندراج نور الكواكب في نور الشمس و من مسح فلم يغسل إلا في مذهب من يرى و ينقل عن العرب إن المسح لغة في الغسل فيكون من الألفاظ المترادفة و الصحيح في المعنى في حكم الباطن أن يستعمل المسح فيما يقتضي الخصوص من الأعمال و الغسل فيما يقتضي العموم هذه هي الطريقة المثلى و لهذا ذهبنا إلى التخيير بحسب الوقت فإنه قد يكون يسعى إلى فضيلة خاصة في حاجة معينة لشخص بعينه فذلك بمنزلة المسح و قد يسعى إلى الملك في حاجة تعم جميع الرعايا و حاجات فيدخل ذلك الشخص في هذا العموم

فهذا بمنزلة الغسل الذي اندرج فيه المسح (بيان و إتمام) و أما القراءة في قوله وَأَرْجُلَكُمْ بفتح اللام و كسرها من أجل حرف الواو على أن يكون عطفا على الممسوح بالخفض و على المغسول بالفتح فمذهبنا أن الفتح في اللام لا يخرجه عن الممسوح فإن هذه الواو قد تكون واو مع و واو المعية تنصب تقول قام زيد و عمرا و استوى الماء و الخشبة و ما أنت و قصعة من ثريد و مررت بزيد و عمرا تريد مع عمرو و كذلك من قرأ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ بفتح اللام فحجة من يقول بالمسح في هذه الآية أقوى لأنه يشارك القائل بالغسل في الدلالة التي اعتبرها و هي فتح اللام و لم يشاركه من يقول بالغسل في خفض اللام فمن أصحابنا من يرجح الخاص على العام و منهم من يرجح العام على الخاص كل ذلك مطلقا و مذهبنا نحن على غير ذلك إنما نمشي مع الحق بحكم الحال فنعمم حيث عمم و نخصص حيث خصص و لا نحدث حكما فإنه من أحدث حكما فقد أحدث في نفسه ربوبية و من أحدث في نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديته بقدر تلك المسألة و إذا انتقص من عبودته بقدر ذلك ينقص من تجلى الحق له و إذا انتقص من تجلى الحق له انتقص علمه بربه و إذا انتقص علمه بربه جهل منه سبحانه و تعالى بقدر ما نقصه فإن ظهر لذلك الذي نقصه حكم في العالم أو في عالمه لم يعرفه فلهذا كان مذهبنا أن لا نحدث حكما جملة واحدة

(باب في ترتيب أفعال الوضوء)

اختلف العلماء في ترتيب أفعال الوضوء على ما ورد في نسق الآية فمن قائل بوجوب الترتيب و من قائل بعدم وجوبه و هذا في الأفعال المفروضة و أما في ترتيب الأفعال المفروضة مع الأفعال المسنونة فاختلافهم في ذلك بين سنة و استحباب (وصل في حكم ذلك في الباطن) و أما حكم ذلك في الباطن فلا ترتيب إنما تفعل من ذلك بحسب ما تعين عليك في الوقت فإن تعين عليك ما يناسب رأسك فعلت به و بدأت به و كذلك ما بقي و سواء كان ذلك في السنن من الأفعال أو في الفرائض فالحكم للوقت

(باب في الموالاة في الوضوء)

فمن قائل إن الموالاة فرض مع الذكر و عدم العذر ساقط مع النسيان و مع الذكر عند العذر ما لم يتفاحش التفاوت و من قائل إن الموالاة ليست بواجبة و هذا كله من حقيقة في نسق الآية فقد يعطف بالواو في الأشياء المتلاحقة على الفور و قد يعطف بها الأشياء المتراخية و قد يعطف بها و يكون الفعلان معا و هذا لا يسوغ في الوضوء إلا أن ينغمس في نهر أو يصب عليه أشخاص الماء في حال واحدة لكل عضو (وصل الموالاة في الباطن) و مذهبنا في حكم الموالاة في الباطن أنها ليست بواجبة و ذلك مثل الترتيب سواء فإنا نفعل من ذلك بحسب ما يقتضيه الوقت و قد ذكرنا نظير هذه المسألة في رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار فأعمالنا في هذه الطريق بحسب حكم الوقت و ما يعطي فإن الإنسان قد كتبت عليه الغفلات فلا يتمكن له مع ذلك الموالاة و لكن ساعة و ساعة فليس في مقدور البشر مراقبة الله في السر و العلن مع الأنفاس فالموالاة على العموم لا تحصل إلا أن يبذل المجهود من نفسه في الاستحضار و المراقبة في جميع أفعاله قال تعالى اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دائِمُونَ و المراد بها أنهم كلما جاء وقتها فعلوها و إن كان بين الصلاتين أمور فلهذا حصل الدوام في فعل خاص مربوط بأوقات متباينة و أما مع

استصحاب الأنفاس فذلك من خصائص الملإ الأعلى الذين يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ فهذه هي الموالاة و إن حصلت لبعض رجال الله فنادرة الوقوع و أما قول عائشة كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكر الله على كل أحيانه فإن كانت نقلته عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا نشك فيه و إن كانت أرادت بذلك أن أفعاله الظاهرة كلها ما وقع منه مباح قط و أنه لم يزل في واجب أو مندوب فذلك ممكن و هو ظاهر من مرتبته فإنه معلم أمته بحركاته و سكناته للاقتداء فهو ذاكر على الدوام و أما باطنه عليه السلام فلا علم لها به إلا بإخباره صلى الله عليه و سلم و مع هذا يتصور تحصيله عندنا مع التصرف في المباح مع حضوره فيه أنه مباح و كذا إذا أحضر حكم الشرع في جميع حركاته و سكناته بهذه المثابة فيكون ممن حصل الموالاة في عباداته انتهى الجزء الحادي و الثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب في المسح على الخفين)

أما المسح على الخفين فاختلف علماء الشريعة فيه فمن قائل بجوازه على الإطلاق و من قائل بمنع جوازه على الإطلاق كابن عباس و رواية عن مالك و من قائل بجواز المسح عليهما في السفر دون الحضر (وصل في حكم الباطن فيه) فأما حكم الباطن في المسح على الخفين فاعلم أنه أمر يعرض للشخص يشق على من عرض له انتزاعه كما يشق انتزاع الخف على لابسه فانتقل حكم الطهارة إليه فمسح عليه و لما كانت الطهارة تنزيها و كان الحق هو الذي يقصده المنزه بالتنزيه كما قال تعالى سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ و العزة المنع فذكر أنه امتنعت ذاته أن تكون محلا لما وصفه به الملحدون فالحق منزه الذات لنفسه ما تنزه بتنزيه عبده إياه فتنزيه العلماء بالله الحق سبحانه إنما هو علم لا عمل إذ لو كان التنزيه من الخلق إلهم عملا لكان الله الذي هو المنزه سبحانه محلا لأثر هذا العمل فتفطن لهذه الإشارة فإنها في غاية اللطف و الحسن فهو سبحانه لا يقبل تنزيه عباده من حيث إنهم عاملون فإنه لا يرى التنزيه عملا إلا الجاهل من العباد فإن العالم تراه علما و إذا تكلم به إنما تكلم به على جهة التعريف مما هو الأمر عليه في نفسه الذي هو قوله و ذكره فأثر عمله إنما هو في علمه بتنزيه خالقه فأخرجه بالقول و الذكر من القوة إلى الفعل فربما أثر ذلك في نفوس السامعين ممن كان لا يعتقد في الله أنه بذلك النعت من التنزيه فالعبد حجاب على الحق فإن ظاهر الآثار إنما تدرك في العموم و تنسب للأسباب التي وضعها الحق و لهذا يقول العبد فعلت و صنعت و صمت و صليت و يضيف إلى نفسه جميع أفعاله كلها لحجابه عن خالقها فيه و منه و مجريها فكما صار الخف حجابا بين المتوضئ و بين إيصال الوضوء إلى الرجل و انتقل حكم الطهارة إلى الخف كذلك تنزيه الإنسان خالقه و هو الطهارة و التقديس لما لم يتمكن في نفس الأمر إيصال أثر ذلك التنزيه إلى الحق لأنه منزه لذاته انتقل حكم أثر ذلك التنزيه إلى الإنسان المنزه الذي هو حجاب على خالقه من حيث إن للتنزيه العملي أثرا في المنزه و قبله الإنسان كما قبل الخف الطهارة بالمسح المشروع فيكون العبد هو الذي نزه نفسه عن الجهل الذي قام بنفس الجاهل الذي نسب إلى الحق ما لا يليق به و لا تقبله ذاته يقول الله في الخبر الصحيح إنه رجل العبد التي يسعى بها و الحس إنما يبصر العبد يسعى برجله فلما لبس الخف و هو عين ذات العبد انتقل حكم الطهارة

إليه إنما هي أعمالكم ترد عليكم فمتعلق الحكم الخف و من هذا الباب كان جواز المسح على الإطلاق سفرا و حضرا فالحضر منه هو التنزيه الذي يعود عليك فتقول سبحاني في هذه الحالة كما نقل عن رجال الله فكان مشهد من قال سبحاني هذا المقام الذي ذكرناه و السفر هو التنزيه الذي ينتقل من تلفظك به في التعليم إلى سمع المتعلم السامع فيؤثر في نفس السامع حصول ذلك العلم فتطهر محله من الجهل الذي كان عليه في تلك المسألة هذا القدر من انتقاله من العالم المعلم إلى المتعلم يسمى سفرا لأنه أسفر له بهذا التعليم بما هو الأمر عليه فطهر محله و من هذا الباب أيضا إن لباس الخف و ما في معناه من جرموق و جورب مما يلبس و يستر حد الوضوء من الرجل عرفا و عادة و لما كان من أسماء الرجل في اللسان القدم كان هذا مما يقوي القدمية في القدم إذ كان القدم يقال في اللسان بالاشتراك إذ هو عبارة عن الثبوت يقال لفلان في هذا الأمر سابقة قدم يريد أن له أساسا ثابتا قديما في هذا الأمر كما يقال في الرجل بالاشتراك أيضا أعني إطلاق هذه اللفظة في اللسان يقال رجل من جراد أي قطعة و جماعة من جراد فإذا قال قائل إن الرجل يسخن بالخف يعلم قطعا أنه يريد العضو الخاص المعروف فقرائن الأحوال و دلالات الألفاظ بالصفات تعين ما كان مبهما بالاشتراك فانتقل حكم الطهارة إلى الخف بعد ما كان متعلقها الرجل و لكن إذا كان ملبوسا فيطهر مما يمكن أن يتعلق به مما يمنع من ذلك حكما و عينا و كذلك لما نسب القدم إلى الله تعالى في حديث يضع الجبار فيها قدمه ربما وقع في نفس بعض العقلاء أن نسبة القدم إلى الله تعالى ما هو على حد ما ينسب إلى الإنسان أو لكل ذي رجل و قدم و أن المراد به مثلا أمر آخر و غفلوا عن أقدام المتجسدين من الأرواح فأزال الله سبحانه هذا التوهم من القائل به بما نسب إلى نفسه من الهرولة التي هي الإسراع في المشي مع تقدم وصف القدم فالحق بمن يمشي على رجلين لا بمن يمشي على البطن مع التحقق ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لا بد من ذلك فلا نصفه و لا ننسب إليه إلا ما نسبه إلى نفسه أو وصف نفسه به فما نسب الهرولة إليه إلا ليعلم أنه أراد القدم الذي يقبل صفة السعي و حكمه على ما يليق بجلاله لأنه المجهول الذي لا يعرف و لا يقال هو النكرة التي لا تتعرف قال تعالى وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً و ما نقول أراد بنسبة القدم ما عينته المنزهة على زعمها و اقتصرت عليه فجاء بالهرولة لإثبات القدمية و أقامه مقام الخف للقدم في إزالة الاشتراك المتوهم فانتقل التنزيه إلى الهرولة من القدم و قد كان القائل بالتنزيه مشتغلا بتنزيه القدم فلما جاءت الهرولة انتقل التنزيه إليها كما انتقل حكم طهارة القدم إلى الخف فنزه العبد ربه عن الهرولة المعتادة في العرف و إنها على حسب ما يليق بجلاله سبحانه فإنه لا يقدر أن لا يصفه بها إذ كان الحق أعلم بنفسه و قد أثبت لنفسه هذه الصفة فمن رد نسبتها إليه فليس بمؤمن و لكن الذي يجب عليه أن يرد العلم بها إلى الله أعني علم النسبة و أما معقولية الهرولة فما خاطب أهل اللسان إلا بما يعقلونه فالهرولة معقولة و صورة النسبة مجهولة و كذلك جميع ما وصف به نفسه مما توصف به المحدثات و ليس الغرض مما ذكرنا إلا جواز انتقال الطهارة من محل إلى محل آخر بضرب من المناسبة و الشبه و إنما قلنا بالجواز لا بالوجوب فإن الوجوب يناقض الجواز و لصاحب الخف أن يجرد خفه و يغسل رجليه شرعا أو يمسحها بالماء على ما يقتضيه مذهبه في ذلك و لا مانع له من ذلك و كذلك هذا العاقل قد يبقى على تنزيهه للقدم و لا ينتقل إلى الهرولة و يزيلها عن هذه القدم بحكم ما يسبق إلى الفهم إذ أبين إن القدم ما تشبه نسبتها إلى الحق نسبة

أقدامنا إلينا من كل الوجوه فلهذا لم يتعلق الوجوب بالمسح و كان حكمه الجواز (وصل) و أما من أجازه سفرا و منعه في الحضر فذلك إذا كان التنزيه عملا فلا أثر له إلا في المتعلم السامع القابل فيسافر التنزيه من العالم المعلم إلى المتعلم على راحلة التلفظ و الكلام بعبارة أو إشارة من المعلم إلى المتعلم (وصل) و أما من منع جوازه على الإطلاق فإن حقيقة التنزيه إنما هي لله سبحانه فإنه المنزه لذاته و العبد لا يكون منزها أبدا و لا يصح و إن تنزه عن شيء ما لم يتنزه عن شيء آخر فمن حقيقته أنه لا يقبل التنزيه على الإطلاق و إذا كان بهذه الصفة لا يجوز تنزيهه فإنه خلاف العلم و الأمور العارضة لا أثر لها في الحقائق فإن قبول العبد لآثار التنزيه يدل على عدم التنزيه عن قبول الآثار فيه فهذا وجه منع جواز المسح على الخف و ما في معناه على الإطلاق إن فهمت (وصل و تتميم) و أما الإشارة بالخفين فإن المراد بهما النشأتان نشأة الجسم و نشأة الروح و لكل نشأة ما يليق بها من الطهارة فافهم

(باب تحديد محل المسح من الخف و ما في معناه)

اختلف علماء الشريعة في تحديد المسح على الخف فمن قائل إن القدر الواجب من ذلك مسح أعلى الخف و ما زاد على ذلك فمستحب و هو مسح أسفل الخف بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه و قد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يمسح أعلى الخف و من قائل بوجوب مسح ظهورهما و بطونهما و من قائل بوجوب مسح ظهورهما فقط و لا يستحب صاحب هذا القول مسح بطونهما و من قائل إن الواجب مسح باطن الخف و مسح الأعلى مستحب و هو قول أشهب (وصل في حكم الباطن في ذلك) اعلم أن التنزيه المعبر عنه هنا بطهارة المسح متعلقة إما الحق كما قدمنا و إما العبد الذي نزهة و القسمة منحصرة فما ثم إلا عبد و رب و خالق و مخلوق و لنا في هذه المسألة لفظة أعلى و أسفل و صفة العلو لله تعالى لأنه رَفِيعُ الدَّرَجاتِ لذاته قال تعالى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى و ما في القرآن أقرب نسبة إلى مسح أعلى الخف من هذه الآية و السفل لنا و كذلك أيضا ظاهر الخف و باطنه أعني هاتين اللفظتين قد يكون الحق له حكم الظاهر و الباطن و قد يكون حكم الظاهر له في خرق العوائد و حكم الباطن له في نفس العوائد و هي أكثر الآيات الدالة على الله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فتارة يعلق التنزيه بالأعلى سبحانه و تعالى حقيقة و هو حد الواجب من ذلك و يستحب إطلاق التنزيه على العبد من حيث إن عمله لذلك يعود عليه و هذا على مذهب من يرى أن الواجب مسح أعلى الخف و يستحب مسح أسفله و تارة يعلق التنزيه بالحق سبحانه ظاهرا و باطنا و هو الذي لا يرى في الوجود إلا الله لغلبة سلطان المشاهدة و التجليات عليه فيرى الحق ظاهرا و باطنا فلا يقع منه تنزيه إلا على الحق سبحانه و التنزيه نسبة عدمية لا وجودية و هو الذي يوجب مسح ظهور الخفين و بطونهما و تارة يعلق التنزيه بالله تعالى لكماله في ذاته و لا يستحب تنزيه الخلق للنقص الذاتي الذي هو له فيقع في الكذب إن نزهة فيرى أنه لو تنزه الممكن يوما ما من جهة ما لصفة كمال هو عليها لكان من حيث تلك الصفة غنيا عن الله و مقاوما له و محال على الخلق أن يكونوا على صفة يكون لهم بها الغني عن الله فإنهم من جميع الوجوه فقراء إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فمنع من استحباب مسح أسفل الخف و قال ما ثم منزه إلا الله

العلي الظاهر إلى عباده بنعوت الجلال و هذا كما قلنا مذهب من يرى مسح أعلى الخف و لا يستحب مسح أسفله و تارة يعلق التنزيه أعني وجوبه من اسمه الباطن و يقول إن الباطن محل يبعد العثور على ما يستحقه من نعوت الجلال لبطونه فيكون الواجب تنزيه الحق في اسمه الباطن من أثر الحجاب الذي حكم عليه إن يكون باطنا لا يدرك و الله أعلى و أجل أن يحوطه حجاب فوجب تنزيهه من حيث اسمه الباطن فهذا وجه من أوجب مسح الباطن من الخف كأشهب و استحب مسح أعلاه و هو الاسم الظاهر فيقول و استحب تنزيه الحق في اسمه الظاهر و هو تجليه في الصورة لعباده فينزهه عن التقييد بها و لكن التنزيه الذي لا يخرجه عن العلم أنه عين تلك الصورة فإنه أعلم بنفسه من العقل به و من كل عالم سواه به و قد قال عن نفسه إنه هو الذي يتجلى لعباده في تلك الصورة كما ذكره مسلم في صحيحه فيكون تنزيهه عند ذلك أنه لا يتقيد بصورة أي لا تقيده صورة بل يتجلى في أي صورة يظهر بها لعباده و من هذه الحقيقة التي هو عليها في نفسه ذكر لنا في خلقنا بعد تسويتنا و تعديلنا في أي صورة ما شاء ركبنا كما أنه في أي صورة شاء تجلى لعباده و هنا سر إلهي نبهك عليه لتعرفه به فنزهه صاحب هذا المذهب في ظهوره استحبابا عن دوام التجلي في تلك الصورة بالإقامة فيها في عينك فافهم فهذا حكم الباطن في تحديد المحل

(باب في نوع محل المسح و هو ما يستر به الرجل من خف أو جورب)

اعلم أن القائلين بالمسح على الخفين متفقون على المسح عليهما بلا شك و اختلفوا في المسح على الجور بين فمن قائل بالمنع على الإطلاق و من قائل بالجواز على الإطلاق و من قائل بالجواز إذا كان على صفة خاصة فأما إن يكون من الكثافة و الثخانة بحيث أن لا يصل ماء المسح إلى الرجل أو يكون مبطنا بجلد يجوز المشي فيه أي يمكن المشي فيه (وصل حكمه في الباطن) فأما حكم الباطن في ذلك فقد تقدم في الخوف و بقي حكم الجورب فالمقرر إن الجورب مثل الخف في الصفة الحجابية فإن العبد حجاب دون خالقه و لهذا ورد من عرف نفسه عرف ربه فإنه الدليل عليه و الدليل و المدلول و إن ارتبطا بالوجه الخاص فهما ضدان لا يجتمعان و قد قلنا فيما تقدم إن الخف هو أدل على الرجل في إزالة الاشتراك من لفظة الرجل التي تطلق عليه و كذلك الهرولة و قد مضى ذلك إلا أن الجورب و إن ستر الرجل لا يقوى قوة الخف للتخلل الذي فيه فإن الماء ينفذ و يتخلل مسامه سريعا و الخف ليس كذلك و حكمه في الباطن أن من العباد عباد الله من يكون في الدلالة على الله أقوى من غيره فهو بمنزلة الجورب كما ثبت في الأثر عن الله في صفة أولياء الله حدثني غير واحد عمن حدثه يبلغ به النبي صلى الله عليه و سلم أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم يا رسول الله من أولياء الله فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين إذا رؤوا ذكر الله ذكره الحافظ أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء له و ذلك لما قلناه مما يرى عليهم من قوة الدلالة على الله تعالى من الاستهتار بذكره سبحانه و ما هم عليه من الذلة و الطاعة و الافتقار مع الأنفاس إلى الله فإذا أراد الناس أن ينزهوهم لم يتمكن لهم تنزيههم إلا بتنزيه الله فإنهم ما يذكرونهم إلا بالله لما تعطيهم أحوالهم الصادقة مع الله فإن كان الخف مبطنا بجلد فهو الملامي الذي يستر نفسه و حاله مع الله عن العالم السفلي أن يدركوا مرتبة ولايته عند الله كما يستتر الجورب عن الأرض أن تدركه و تصيبه بالجلد الذي حال بين الأرض و بينه و هو الصفة التي استتر بها هذا الملامي

من المباحات عن العالم الأسفل المحجوب فلم يدركوا منه إلا تلك الصفة التي لم يتميز بها عن عامة المؤمنين و هو من خلف تلك الصفة في مقام الولاية مع الله و بقي أعلى الجورب من جانب الأعلى مع الله سبحانه بلا حائل بينه و بين ربه عز و جل و قد فتحت لك باب الاعتبار شرعا و هو الجواز من الصورة التي ظهر حكمها في الحس إلى ما يناسبه في ذاتك أو في جناب الحق مما يدل على الحق هذا معنى الاعتبار فإنه من عبرت الوادي إذا قطعته و جزته

(باب في صفة الممسوح عليه)

أجمع من يقول بجواز المسح على جواز المسح على الخف الصحيح و اختلفوا في المخرق فمن قائل بجوازه إذا كان الخرق يسيرا من غير حد و من قائل بتحديد الخرق اليسير بثلاثة أصابع و من قائل بجوازه ما دام ينطلق عليه اسم الخف و إن تفاحش خرقه و هو الأوجه عندي و من قائل بمنع المسح إذا كان الخرق في مقدم الخف و إن كان يسيرا و الذي أقول به إن هذه المسألة لا أصل لها و لا نص فيها في كتاب و لا سنة فكان الأولى إهمالها و أن لا نشتغل بها و إن الحق في ذلك إذ و قد وقع في ذلك من الخلاف بين علماء الشريعة ما أحوجنا إلى الكلام فيها و إن الحق في ذلك عندنا إنما هو مع من قال يجوز ما دام يسمى خفا (وصل في حكم الباطن في ذلك) و هو أن نقول إنما سمي الخف خفا من الخفاء لأنه يستر الرجل مطلقا فإذا انخرق و ظهر من الرجل شيء مسح على ما ظهر منه و مسح على الخف و ذلك ما دام يسمى خفا لا بد من هذا الشرط و فيه سر عجيب للفطن المصيب إن الخافي هو الظاهر أيضا يقول إمرؤ القيس خفاهن من أنفاقهن أي أبرزهن و أظهرهن و إنما قلنا بمسح ما ظهر لأنا قد أمرنا في كتاب الله بمسح الأرجل فإذا ظهر مسحناه و أما في الباطن فظاهر الشريعة ستر على حقيقة حكم التوحيد بنسبة كل شيء إلى الله فالطهارة في الشريعة متعلقها و هي أن تصحبها التوحيد بأن تراها حكم الله في خلقه لا حكم المخلوق مثل السياسات الحكمية فالشرع حكم الله لا حكم العقل كما يراه بعضهم فطهارة الشريعة رؤيتها من الله الواحد الحق و لهذا لا ينبغي لنا أن نطعن في حكم مجتهد لأن الشرع الذي هو حكم الله قد قرر ذلك الحكم فهو شرع الله بتقريره إياه و هي مسألة يقع في محظورها أصحاب المذاهب كلهم لعدم استحضارهم لما نبهنا عليه مع كونهم عالمين به و لكنهم غفلوا عن استحضاره فأساءوا الأدب مع الله في ذلك حين فاز بذلك الأدباء من عباد الله فمن خطأ مجتهدا بعينه فقد خطأ الحق فيما قرره حكما فإذا انخرق الشرع فظهر في مسألة ما حكم من أحكام التوحيد مما تزيل حكم الشرع مطلقا انتقل الحكم الطهارة ذلك التوحيد المؤثر في إزالة حكم الشريعة كمن ينسب الأفعال كلها إلى الله من جميع الوجوه فلا يبالي فيما يظهر عليه من مخالفة أو موافقة فمثل هذا التوحيد يجب التنزيه منه لظهور هذا الأثر فإنه خرق للشريعة و رفع لحكم الله كما لا يجوز المسح مع زوال اسم الخف فإن كان الخرق يبقى اسم الخف عليه كان الحكم كما قررناه من المسح على الخف و مسح ما ظهر من الرجل و هو أن يبين في ذلك التوحيد المعين في هذه المسألة الوجه المشروع و هو أن نقول وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ فالأعمال خلق لله مع كونها منسوبة إلينا فلم ينسبها من جميع الوجوه فلم يؤثر في المسح و يكون الحكم في ذلك كما قررناه و أهل طريقنا اختلفوا في هذه المسألة اختلافا كثيرا على صورة ما

اختلف فيه أهل المسح على الخف سواء فأما من حده بثلاثة أصابع فراعى ظهور التوحيد في ثلاث منازل و هو حكم الشرع في الإنسان في معناه و في حسه و في خياله فإذا عم التوحيد هذه الثلاثة لم يجز الأخذ به و انتقل إلى مسح الرجل أو غسله كما ينتقل تنزيه الإنسان نفسه عن مثل هذا التوحيد حيث أزال حكم الشرع منه فحكم حكم من زال عنه اسم الخف

(باب في توقيت المسح)

اختلف في ذلك فمن قائل بالتوقيت فيه ثلاثة أيام و لياليهن للمسافر و يوما و ليلة للمقيم و من قائل بأن لا توقيت و ليمسح ما بدا له ما لم يقم مانع كالجنابة (وصل حكمه في الباطن) فأما الحكم في ذلك في الباطن على مذهب القائل بالتوقيت فقد قررنا في المسح على الخف في باب العالم و المتعلم أن ذلك سفر حيث انتقل الأمر من المعلم إلى المتعلم و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا علم الناس شرائعهم كرر الكلمة ثلاث مرات حتى تفهم عنه لأنه مأمور بالبيان و الإبلاغ هذا معنى مسح المسافر ثلاثا و أما توقيت الحاضر بيوم و ليلة فإنه ليس له في نفسه إلا قيام ذلك الأمر فيعلمه فلا يعيد عليه لنفسه لأنه قد ظهر له و هو من نفسه على يقين و ما هو على يقين من قبول غيره لذلك عند التعليم فيكرره ثلاث مرات ليتيقن أن قد فهم عنه و من لم يقل بالتحديد نظر إلى فطر المتعلمين فمنهم من يفهم بأول مرة و منهم من لا يفهم إلا بعد تفصيل و تكرار المرة بعد المرة حتى يفهم فلا يوقت عددا بعينه في حال تعليمه غيره الذي هو بمنزلة السفر و لا ينظره في نفسه الذي هو بمنزلة الحضر فإنه في نفسه قد يمكن أن يتصور فيما ظهر له أنه ربما يكون شبهة فيحقق النظر فيه مرارا فلا توقيت و أما حكم الجنابة في إزالة الخف فالجنابة هي الغربة و الجنيب الغريب فإذا وقع في القلب أمر غريب يقدح في الشرع جرد النظر في ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع مثل أن يخطر له خاطر البرهمى المنكر للشريعة فلا يقبل دليل الشرع على إبطال هذا القول الذي خطر له فإنه محل النزاع فلا بد أن ينزع من الاستدلال بالشرع إلى الاستدلال بما تعطيه أدلة النظر و سواء وقع ذلك له كالحضر أو لغيره كالسفر كما إن الجنب سواء كان مسافرا أو حاضرا لا بد من إزالة الخف

(باب في شرط المسح على الخفين)

فمن قائل إن من شرط المسح أن يكون الرجلان طاهرتين بطهر الوضوء و من قائل إنه ليس من شرطه إلا طهارتهما من النجاسة و به أقول و القول الأول أحوط و بقي شرط آخر أن لا يكون خف على خف فمن قائل بجواز المسح عليهما و به أقول و من قائل بالمنع و هكذا حكم الجرموق (وصل في حكم الباطن في ذلك) و أما حكم الباطن في ذلك فإن الطهر المعقول في الباطن هو التنزيه كما قررناه عقلا و شرعا و هذه الطهارة الخاصة للرجلين طهارة شرعية و قد وصف نفسه تعالى بأن له الهرولة لمن أقبل إليه يسعى و السعي و الهرولة من صفات الأرجل فمن نزه الحق عن الهرولة فقد أكذب الحق فيما وصف به نفسه و إن كان العقل لا يقبل من حيث دليله هذه النسبة إليه تعالى و الايمان يقبلها و ينفي التشبيه بقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و بالدليل النظري و لا تتأول الهرولة الإلهية بتضعيف الإقبال الإلهي على العبد و تأكيده و لا غير ذلك من ضروب التأويلات المنزهة و إنما تأول ذلك من تأوله من العقلاء بتضاعف الإقبال الإلهي بجزيل الثواب على العبد إذا أتى إلى ربه

يسعى بالعبادات التي فيها المشي كالسعي إلى المساجد و السعي في الطواف و إلى الطواف و إلى الحج و إلى عيادة المرضى و إلى قضاء حوائج الناس و تشييع الجنائز و كل عبادة فيها سعى قرب محلها أو بعد قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ فطهر الوضوء وصف الحق بأنه يهرول و الطهر الذي هو النظافة هو تنزيه الحق أن لا يرفع عنه ما وصف به نفسه و أما ما لم يصف به نفسه مما هو من نعوت الممكنات فتنزيهه عن أن يوصف بشيء من ذلك هو للعقل فالعقل تحت حكم الشرع إذا نطق الشرع في صفات الحق بما نطق فليس له رد ذلك إن كان مؤمنا و يكون المنطوق و الموصوف بتلك الصفة قابلا أي جائز القبول أو مجهول القبول فيلزم العقل قبول الوصف المشروع و إن جهل قبول الموصوف له و لهذا ذهبنا في طهر الرجلين إلى الطهر اللغوي الذي هو النظافة و التنزيه من النجاسة فلا يلزمنا شيء مما يتفرع من هذه المسألة من المسائل على مذهب القائلين بطهر الوضوء و أما إذا لبس خفا على خف فهو وصف الحق نفسه بالهرولة فإن الهرولة صفة للسعي و السعي صفة للرجل فقد يكون السعي بهرولة و قد لا يكون و إذا كان هذا فالهرولة من صفات السعي فبين الهرولة و بين القدم أمر آخر و هو السعي فهو كالخف على الخف و قد تقدم الكلام عليه فافهم

(باب في معرفة ناقض طهارة المسح على الخف)

الاتفاق على إن نواقضها نواقض الوضوء كلها و سيأتي بابه في هذا الباب فيما بعد اختلف العلماء في نزع الخف هل هو ناقض للطهارة أم لا فمن قائل إن الطهارة تبطل و يستأنف الوضوء و من قائل تبطل طهارة القدمين خاصة فيغسلهما و لا بد على ما تقدم من الاختلاف في الموالاة و من قائل لا يؤثر نزع الخف في طهارة القدم و به أقول و إن استأنف الوضوء فهو أحوط و لا يؤثر في طهارته كلها إلا أن يحدث ما ينقض كما سيأتي (وصل في حكم الباطن في ذلك) أما حكم الباطن فيمن قال تبطل الطهارة كلها فهو سريان التنزيه في الموصوف فإذا قبل تنزيها بعينه قبل سائر ما يعقل فيه التنزيه كذلك إن بطل تنزيه ما في حق الموصوف سرى البطلان في النعوت كلها نعوت التنزيه و من قال تبطل طهارة الرجل خاصة هو أن يزيل الشرع عن الحق وصفا ما على التعيين فلا يلزم منه إزالة كل وصف يقتضي التشبيه فإن الله سبحانه نزه نفسه أن يلد و ما نزه نفسه عن أن يتردد في الأمر يريد فعله و لا نزه نفسه عن التدبر و لا نزه نفسه عن الغضب و من قائل بأنه على طهره و إن نزع الخف لا حكم له و لا تأثير في الطهارة التي كان موصوفا بها في حال لبسه خفه يقول و إن نزه الحق نفسه عن أن يلد فالوصف له باق فإنه قال لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ فأبقى الأمر على حكمه بقوله تعالى لَوْ أَرادَ و هذا مثل قوله تعالى لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ و قوله ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و هذا رد على من يقول إن الإله لذاته أوجد الممكن لا لنسبة إرادة و لا سبق علم و الصحيح ما قاله الشارع و إن لم تكن تلك النسبة أمرا وجوديا زائدا فاعلم ذلك

(أبواب المياه)

قد تقدم الكلام في أول الباب في الفرق بين ماء الغيث و ماء العيون و بينا من ذلك ما فيه غنية فلنذكر في هذه الأبواب حكم ما نزعت إليه

علماء الشريعة في الظاهر بما يناسبه من طهارة الباطن

(باب في مطلق المياه)

أجمع العلماء على إن جميع المياه طاهرة في نفسها مطهرة غيرها إلا ماء البحر فإن فيه خلافا و كذلك أيضا اتفقوا على إن ما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالبا إنه لا يسلب عنه صفة التطهير إلا الماء الآجن فإن ابن سيرين خالف فيه و الذي أذهب إليه أن كل ما ينطلق عليه اسم الماء مطلقا فإنه طاهر مطهر سواء كان ماء البحر أو الآجن و اتفقوا أيضا على إن الماء الذي غيرت النجاسة لونه أو طعمه أو ريحه أو كل هذه الأوصاف أنه لا تجوز به الطهارة فإن لم يتغير الماء و لا واحد من أوصافه بقي على أصله من الطهارة و التطهير و لم يؤثر ما وقع فيه من النجاسة إلا أني أعرف في هذه المسألة خلافا في قليل الماء يقع فيه قليل النجاسة بحيث أن لا يتغير من أوصافه شيء (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن فيما ذكرناه فاعلم إن الماء هو الحياة التي تحيا بها القلوب فيحصل به الطهارة لكل قلب من الجهل قال تعالى أَ وَمن كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي به في النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُماتِ لَيسَ بِخارِجٍ مِنْها هذا ضرب مثل في الكفر و الايمان و العلم و الجهل و أما ماء البحر الذي وقع فيه الخلاف الشاذ فكونه مخلوقا من صفة الغضب و الغضب يكون عنه الطرد و البعد في حق المغضوب عليه و الطهارة مؤدية إلى القرب و الوصلة فهذا سبب الخلاف في الباطن و أما العلة في الظاهر فتغير الطعم فمن رأى أن الغضب لله يؤدي إلى القرب من الله و الوصلة به رأى الوضوء بماء البحر و إليه أذهب و من اتسع في علم التوحيد و لم يلزم الأدب الشرعي فلم يغضب لله و لا لنفسه لم ير الوضوء بماء البحر لأنه مخلوق من الغضب فيخاف أن يؤثر فيه غضبا فتقوم به صفة الغضب و حاله لا تعطي ذلك فإن التوحيد يمنعه من الغضب لأنه في نظره ما ثم من يغضب عليه لاحدية العين عنده في جميع الأفعال المنسوبة إلى العالم إذ لو كان عنده مغضوب عليه لم يكن توحيد فإن موجب الغضب إنما هو الفعل و لا فاعل إلا الله و هذه المسألة من أشكل المسائل عند القوم و إن كانت عندنا هينة الخطب لمعرفتنا بمواضع الأدب الإلهي الذي شرعه لنا ثم التخلق بالأخلاق الإلهية و منها الغضب الذي وصف به نفسه في كتابه فقال تعالى وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ و قوله في آية اللعان وَالْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها و قد جاءت السنة بأن الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله فهذا الذي لا يغضب لا يرى إلا الله فيحكم عليه حاله و هذا مقام الحيرة فالويل له إن غضب هنا و الويل له إن لم يغضب في الآخرة فهو محجوج بكل حال دنيا و آخرة و الغضب لله أسلم و أنجى و أحسن بالإنسان فإن فيه لزوم الأدب المشروع و لما كان الغضب في أصل جبلة الإنسان كالجبن و الحرص و الشرة بين الحق له مصارف إذا وقع من العبد و اتصف به و للتسليم محال و مواضع قد شرعت التزم بها الأدباء حالا و غاب عنها أصحاب الأحوال و لعدم التسليم محال و مواضع قد شرعت فالأديب هو الواقف من غير حكم حتى يحكم الشارع الحق وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ فإذا حكم وقف الأديب حيث حكم لا يزيد و لا ينقص و الغضب صفة باطنة في الإنسان قد يكون لها أثر في الظاهر و قد لا يكون فإن الحال أغلب و الأحوال يعلو بعضها على بعض في القهر و الغلبة على من قامت بهم فإن جمع بين وجود الرحمة على المغضوب عليه في قلبه و

حكم الغضب لله في حسه و ظاهره فإن أهل طريق الله نظروا أي الطريقين أعلى و أحق فمنا من قال بأن الغضب القائم بالنفس أعلى و منا من قال وجود الرحمة في القلب و إرسال حكم الغضب لله في الظاهر أعلى و ليس بيد العبد فيه شيء و إنما العبد مصرف فهو بحسب ما يقام فيه و يرد به و ما للإنسان في تركه و عدم تركه للشيء فعل بل هو مجبور في اختيا ره إذا كا ن مؤمنا فإنا قيدنا الغضب أن يكون لله و أما الغضب لغير الله فالطبع البشري يقتضي الغضب و الرضي يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر و أرضى كما يرضى البشر الحديث و قد علمنا به حالا و خلقا لله الحمد على ذلك و أما حكم الماء الآجن في الباطن دون غيره مما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالبا فاعلم إن الله سبحانه ما نزه الماء عن شيء يتغير به مما لا ينفك عنه غالبا إلا الماء الآجن فقال تعالى في صفة أهل الجنة الموصوفة بالطها رة فِيها أَنْهارٌ من ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ يقال أسن الماء و أجن إذا تغير و هو الماء المخزون في الصها ريج و كل ماء مخزون يتغير بطول المكث فإذا عرض للعلم الذي به حياة القلوب من المزاج الطبيعي أمر أثر فيه كالعلم بأن الله رحيم فإذا رأى رحمته بعباد الله كما يراها من نفسه من الرقة و الشفقة التي يجد ألمها في نفسه فيطلب العبد إزالة ذلك الألم الذي يجده في نفسه برحمة هذا الذي أدركته الرحمة عليه من المخلوقين قام له قيام الرقة به و حمل ذلك على رحمة الله فتغيرت عنده رحمة الله بالقياس على رحمته فلم ينبغ له أن يطهر نفسه لعبادة ربه بمثل هذه الرحمة الإلهية و قد تغيرت عنده و علة ذلك أن الحق ما وصف نفسه بالرقة في رحمته فالحق يقول لك هنا لا تجعل طبيعتك حاكمة على حيا تك الإلهية و من يرى الوضوء بالماء الآجن لم يفرق فإن الحق قد وصف نفسه في مواضع بما يقتضيه الطبع البشري فيجري الكل مجرى واحدا و الأولى ما ذكرناه أولا أن لا نزيد على حكم الله شيئًا فيما ذكر عن نفسه و أما حكم الباطن في العلم القليل إذا وردت عليه الشبه المضلة و أثرت فيه التغير فإنه لا يجوز له استعمال ذلك العلم فإنه غير واثق به و إن كان عارفا بأن لذلك العلم وجها إلى الحق و لكن ليس في قوته لضعف علمه معرفة تعيين ذلك الوجه فيعدل عند ذلك إلى العلم الذي يستهلك الشبه و هو العلم الذي يأخذه عن الايمان من طريق الشرع و العمل به فإنه العلم الواسع الذي لا يقبل الشبه لأنه يقلب عينها بالوجه الحق الذي تحمله فيصرفها في موضعها فتكون علما بعد ما كانت بكونها شبهة جهلا فإن نور الايمان تندرج فيه أنوار العلوم اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس و طريقه واضحة أيضا في رجوع الشبه علما لأنه يزيل حكمها و يريه نور الايمان وجه الحق فيها فيراها عدما و العدم لا أثر له و لا تأثير في الوجود فاعلم ذلك و اعلم أن نور الايمان هنا عبارة عن أمر الشرع أي ألزم ما قلت لك و أمرتك به سواء وجدت عليه دليلا عقليا أو لم تجد كالإيمان في الجناب الإلهي بالهرولة و الضحك و التبشش و التعجب من غير تكييف و لا تشبيه مع معقولية ذلك من اللسان لكن نجهل النسبة لاستنادنا إلى قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و هي أعني هذه الآية أصل في التنزيه لأهله و أصل في التشبيه لأهله

(باب في الماء تخالطه النجاسة و لم تغير أحد أوصافه)

اختلف علماء الشريعة في الماء تخالطه النجاسة و لم تغير أحد أوصافه فمن قائل إنه طاهر مطهر سواء كان قليلا أو كثيرا و به أقول إلا أني

أقول إنه مطهر غير طاهر في نفسه لأنا نعلم قطعا إن النجاسة خالطته لكن الشرع عفا عنها و لا أعرف هذا القول لأحد و هو معقول و ما عندنا من الشرع دليل إنه طاهر في نفسه لكنه طهور و إن احتجوا علينا بأن رسول الله ص قال خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء قلنا ما قال إنه طاهر في نفسه و إنما قال فيه إنه طهور و الطهور هو الماء و التراب الذي يطهر غيره فإنا كما قلنا نعلم قطعا إن الماء حامل النجاسة عقلا و لكن الشارع ما جعل لها أثرا في طهارة الإنسان به و لا سماه نجسا فقد يريد الشارع التعريف بحقيقة الأمر و هو أن الماء في نفسه طاهر بكل وجه أبدا لم يحكم عليه بنجاسة أي أن النجاسة ليست بصفة له و إنما أجزاء النجس تجاور أجزاءه فلما عسر الفصل بين أجزاء البول مثلا و بين أجزاء الماء و كثرت أجزاء النجاسة على أجزاء الماء فغيرت أحد أوصافه منع من الوضوء به شرعا على الحد المعتبر في الشرع و إذا غلبت أجزاء الماء على أجزاء النجاسة فلم يتغير أحد أوصافه لم يعتبرها الشارع و لا جعل لها حكما في الطهارة بها فإنا نعلم قطعا إن المتطهر استعمل الماء و النجاسة معا في طهارته الشرعية و الحكم للشرع في استعمال الأشياء لا للعقل و لم يرد شرع قط بأنه طاهر ليست فيه نجاسة إلا باعتبار ما ذكرناه من عدم تداخل الجواهر و هو أمر معقول فما بقي إلا تجاورها فاعتبر الشرع تلك المجاورة في موضع و لم يعتبرها في موضع فلذلك لم يجز الطهارة به في الموضع الذي اعتبرها و أجاز الطهارة به في الموضع الذي لم يعتبرها و لم يقل فيه إنه ليس فيه نجاسة فالحكم في الماء على ما ذكرناه على أربع مراتب إذا خالطته النجاسة أو لم تخالطه حكم بأنه طاهر مطهر و حكم بأنه طاهر غير مطهر و حكم بأنه غير مطهر و لا طاهر و حكم بأنه مطهر غير طاهر فالطاهر المطهر هو الماء الذي لم تخالطه نجاسة و الطاهر غير المطهر هو الماء الذي يخالطه ما ليس بنجس بحيث أن يزيل عنه اسم الماء المطلق مثل ماء الزعفران و غيره و حكم بأنه غير طاهر و لا مطهر و هو الماء الذي غيرت النجاسة أحد أوصافه و صاحب هذا الحكم يرد الحديث الذي احتج به علينا فإن الشارع قال لا ينجسه شيء فكيف اعتبره هذا المحتج به هنا و لم يعتبره في الوجه الذي ذهبنا إليه في أنه مطهر غير طاهر و يلزمه ذلك ضرورة و ليس عنده دليل شرعي يرده و الحكم الرابع مطهر غير طاهر و هو الفصل الذي نحن بسبيله فإنه الماء الذي خالطته النجاسة و لم تغير أحد أوصافه و من قائل بالفرق بين القليل و الكثير فقالوا إن كان كثيرا لم ينجس و إن كان قليلا كان نجسا و لم يحد فيه حدا بل قال بأنه ينجس و لو لم يتغير أحد أوصافه ثم اختلف هؤلاء في الحد بين القليل و الكثير و الخلاف في نفس الحد مشهور في المذاهب لا في نص الشرع الصحيح فإن الأحاديث في ذلك قد تكلم فيها مثل حديث القلتين و حديث الأربعين قلة ثم الخلاف بينهم في حد القلة و يتفرع على هذا الباب مسائل كثيرة مثل ورود الماء على النجاسة و ورود النجاسة على الماء و البول في الماء الدائم و غير ذلك و للناس في ذلك مذاهب كثيرة ليس هذا الكتاب موضعها فإنا ما قصدنا استقصاء جميع ما يتعلق من الأحكام بهذه الطهارة من جهة تفريع المسائل و إنما القصد الأمهات منها لأجل الاعتبار فيها بحكم الباطن فجردنا في هذا الباب نحوا من ثمانين بابا نذكرها إن شاء الله كلها بابا بابا و هكذا أفعل إن شاء الله في سائر العبادات التي عزمنا على ذكرها في هذا الكتاب من صلاة و زكاة و صيام و حج و الله المؤيد لا رب غيره (وصل في حكم الباطن و أما حكم الباطن فيما ذكرناه في هذا الباب) و هو الماء الذي تخالطه النجاسة

و لم تغير أحد أوصافه فهو العلم الإلهي الذي يقتضي التنزيه عن صفات البشر فإذا خالطه من علم الصفات التي تتوهم منها المناسبة بينه و بين خلقه فوقع في نفس العالم به من ذلك نوع تشويش فاستهلك ذلك القدر من العلم بالصفات التي يقع بها الاشتراك في العلم الذي يقتضي التنزيه من جهة دليل العقل و من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في دليل السمع فيبقى العلم بالله على أصله من طهارة التنزيه عقلا و شرعا مع كوننا نصفه بمثل هذه الصفات التي توهم التشبيه فإنه ما غيرت أوصافه تعالى فيثبت كل ذلك له مع تحقق ليس كمثله شيء و أما حكم القليل و الكثير في ذلك و اختلاف الناس في النجاسة إن كان الماء قليلا فالقلة و الكثرة في الماء الطهور هو راجع إلى الأدلة الحاصلة عند العالم بالله فإن كان صاحب دليل واحد و طرأت عليه في علمه بتنزيه الحق في أي وجه كان شبهة أثرت في دليله زال كونه علما كما زال كون هذا الماء طاهرا مطهرا و إن كان صاحب أدلة كثيرة على مدلول واحد فإن الشبهة تستهلك فيه فإنها إذا قدحت في دليل منها لم يلتفت إليها و اعتمد على باقي أدلته فلم تؤثر هذه الشبهة في علمه و إنما أثرت في دليل خاص لا في جميع أدلته فهذا معنى الكثرة في الماء الذي لا تغير النجاسة حكمه و أما من قال بترك الحد في ذلك و إن الماء يفسد فإنه يعتبر أحدية العين لا أحدية الدليل فيقول إن العلم تقدح فيه هذه الشبهة في زمان تصوره إياها و الزمان دقيق فربما مات في ذلك الزمان و هو غير مستحضر سائر الأدلة لضيق الزمان فيفسد عنده و في هذا الباب تفريع كثير لا يحتاج إلى إيراده و هذا القدر قد وقع به الاكتفاء في المطلوب

(باب الماء يخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غير أحد أوصافه الثلاثة)

أما الماء الذي يخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالبا متى غير أحد أوصافه الثلاثة فإنه طاهر غير مطهر عند الجميع إلا بعض الأئمة فإنه عنده مطهر ما لم يكن التغير عن طبخ (وصل حكم الباطن) فأما حكم الباطن في ذلك فهو أن العلم بالله من حيث العقل الذي حصل له من طريق الفكر إذا خالطه وصف شرعي مما جاء الشرع به فإن ذلك العلم بالله طاهر في نفسه غير مطهر لما دل عليه من صفة التشبيه كقولهم في صفة كلام الله إنه كسلسلة على صفوان فأتى بكاف الصفة و الشرع كله ظاهر مقبول ما جاء به فلم يقدر العقل ينفك عن دليله في نفي التشبيه و سلم للشرع ما جاء به من غير تأويل و من رأى أنه مطهر على أصله ما لم يطبخ فأراد بالطبخ الأمر الطبيعي و هو أن لا يأخذ ذلك الوصف من الشارع الذي هو مخبر عن الله و أخذه عن فهمه و نظره بضرب قياس على نفسه من حيث إمكانه و طبيعته فهو طاهر غير مطهر فاعلم ذلك

(باب في الماء المستعمل في الطهارة)

الماء المستعمل في الطهارة اختلف فيه علماء الشريعة على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا تجوز الطهارة به و من قائل تجوز الطهارة به و به أقول و من قائل بكراهة الطهارة به و لا يجوز التيمم بوجوده و قول رابع شاذ و هو أنه نجس (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن فيه فاعلم إن سبب هذا الخلاف هو أنه لا يخلو أن ينطلق على ذلك الماء اسم الماء المطلق أو لا ينطلق فمن رأى أنه ينطلق قال بجواز الطهارة به و

من رأى أنه قد أثر في إطلاقه استعماله لم يجز ذلك أو كرهه على قدر ما يقوى عنده و أما من قال بنجاسته فقول غير معتبر و إن كان القائل به من المعتبرين و هو أبو يوسف فاعلم إن العلم بتوحيد الله هو الطهور على الإطلاق فإذا استعملته في أحدية الأفعال ثم بعد هذا الاستعمال رددته إلى توحيد الذات اختلف العلماء بالله بمثل هذا الاختلاف في الماء المستعمل فمن العارفين من قال إن هذا التوحيد لا يقبله الحق من حيث ذاته فلا يستعمل بعد ذلك في العلم بالذات و من العارفين من قال يقبله لأنا ما أثبتنا عينا زائدة و النسب ليست بأمر وجودي فتؤثر في توحيد الذات فبقي العلم بالتوحيد على أصله من الطهارة و أما من قال بأنه نجس فإن التوحيد المطلق لا ينبغي إلا لله تعالى فإذا استعملت هذا التوحيد في أحدية كل أحد التي بها يقع له التميز عن غيره فقد صار لها حكم الكون الممكن فهذا معنى النجاسة فلا ينبغي أن ينسب إلى الله مثل هذا التوحيد لأن تمييزه في أحديته عن خلقه ليس عن اشتراك كما تتميز الممكنات بعضها عن بعض بخصوص وصفها و هي أحديتها

(باب في طهارة أسآر المسلمين و بهيمة الأنعام)

اتفق العلماء بالشريعة على طهارة أسآر المسلمين و بهيمة الأنعام و اختلفوا فيما عدا ذلك فمن قائل بطهارة كل حيوان و من قائل استثني و اختلف أهل الاستثناء خلافا كثيرا (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن في ذلك فإن سؤر المؤمن و كل حيوان فهو طاهر فإن الايمان و الحياة عين الطهارة في الحي و المؤمن إذ بالحياة كان التسبيح من الحي لله تعالى و إذ بالإيمان كان قبول ما يرد به الشرع مما يحيله العقل أو لا يحيله من المؤمن بلا شك و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من عرف نفسه عرف ربه فما بقي للعبد من العلم بعد معرفته بنفسه الذي هو سؤره و كل حيوان فإنه مشارك للإنسان المؤمن في الدلالة فسؤره مثل ذلك بذلك القدر مما بقي يعرف ربه و أما أصحاب الخلاف في الاستثناء فما نظروا في المؤمن و لا في الحيوان من كونه حيوانا و لا مؤمنا فهو بحسب ما نظر فيه هذا المستثنى و يجري معه الحكم و التفصيل فيه يطول و إنما اشترطنا المؤمن دون الإنسان وحده إذ كان الايمان يعطي من المعرفة بالله ما يعطيه الحيوان و الإنسان و زيادة مما لا يدركه الإنسان من حيث إنسانيته و لا حيوانيته بل من كونه مؤمنا فلهذا قلنا سؤر المؤمن فإنه أتم في المعرفة

(باب في الطهارة بالأسآر)

اختلف العلماء بالشريعة في الطهارة بالأسآر على خمسة أقوال فمن قائل إنها طاهرة بإطلاق و به نقول و من قائل إنه لا يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة و من قائل إنه يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم تكن جنبا أو حائضا و من قائل لا يجوز لكل واحد منهما أن يتطهر بفضل طهور صاحبه و لكن يشرعان معا و من قائل إنه لا يجوز أصلا و من قائل يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم تخل به (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم الباطن في ذلك فاعلم إن الرجل يزيد على المرأة درجة فإذا اتخذا دليلا على العلم بالله من حيث ما هما رجل و امرأة لا غير فمن رأى أن لزيادة الدرجة في الدلالة فضلا على من ليس لها تلك الدرجة نقصه من العلم بذلك القدر فمن لم يجز الطهارة بذلك قال إنما

يدل من كونه رجلا و امرأة أي من كونهما فاعلا و منفعلا على علم خاص في الإله و هو العلم بالمؤثر فيه و هذا يوجد في كل فاعل و منفعل فلا يجوز أن يوجد مثل هذا في العلم بالله و لا يتطهر به القلب من الجهل بالله و من أجازه قال جل المعرفة بالله أن يكون خالقنا و خالق الممكنات كلها و إذا ثبت افتقارنا إليه و غناه عنا فلا نبالي بما فاتنا من العلم به و بهذا الاعتبار نأخذ ما بقي من الأقسام مثل الشروع معا غير إن في الشروع معا زيادة في المعرفة و هي عدم التقييد بالزمان و هو حال الوقوف على وجه الدليل و هو أيضا كالنظر في دلالتهما من حيث ما يشتركان فيه و ليس إلا الإنسانية و مثل طهارة المرأة بفضل الرجل فإنه يعطي في الدلالة ما تعطي المرأة و زيادة و مثل طهور الرجل بفضل المرأة ما لم تكن جنبا بالتغرب عن موطن الأنوثة و هو منفعل فقد اشترك مع الأنثى التي انفعلت عنه فإنه منفعل عن موجدة و من تغرب عن موطن الأنوثة من تشبيهها بالرجل فإن ذلك يقدح في أنوثتها أو حائضا و هي صفة تمنع من مناجاة الحق في الصلاة و المطلوب من العلم بالله القربة و الحال في الحيض البعد من الله من حيث تناجيه فالمعرفة بهذه الصفة تكون معرفة حجابية من الاسم البعيد و أما قول القائل ما لم تخل به فإن لم تخل به جازت الطهارة و إن خلت به لم تجز فاعلم إن العالم بالله كما يعلم أن ذاته منفعلة في وجود عينها عن الله و لا يعرف أنه يرضي الله و يغضبه بأفعاله إذ قد وقع التكليف فما عرفه معرفة تامة فقد خلى بالمعرفة و هذا يقدح في طهارة تلك المعرفة و إذا عثر على إن له أثرا في ذلك الجناب مثل قوله تعالى أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فأعطى الدعاء من الداعي في نفس المدعو الإجابة و لا معنى للانفعال إلا مثل هذا فهذا حقيقة قوله ما لم تخل به

(باب الوضوء بنبيذ التمر)

اختلف علماء الشريعة في الوضوء بنبيذ التمر فأجاز الوضوء به بعضهم و منع به الوضوء أكثر العلماء و بالمنع أقول لعدم صحة الخبر النبوي فيه الذي اتخذوه دليلا و لو صح الحديث لم يكن قوله نصا في الوضوء به فإنه قال صلى الله عليه و سلم فيه تمرة طيبة و ماء طهور أي جمع النبيذ بين التمر و الماء فسمي نبيذا فكان الماء طهورا قبل الامتزاج و إن صح قوله فيه شراب طهور لم يكن نصا في الوضوء به و لا بد فقد يمكن أن يطهر به الثوب من النجاسة فإن الله ما شرع لنا في الطهارة للصلاة عند عدم الماء إلا التيمم بالتراب خاصة (وصل حكم الباطن في ذلك) و أما حكم الباطن في ذلك فإن الواقف في معرفته بالله على الدليل المشروع الذي هو فرع في الدلالة عن الدليل العقلي الذي هو الأصل و ليس عند صاحب الدليل المشروع علم بما ثبت به كون الشرع دليلا في العلم بالإله فضعف في الدلالة و إن سماه ماء طهورا و تمرة طيبة فذلك لامتزاج الدليلين و المقلد لا يقدر على الفصل بين الدليلين فمن حيث يتضمن ذلك الامتزاج الدليل العقلي يجوز الأخذ به في الدلالة فيجيز الوضوء بنبيذ التمر و من حيث الجهل بما فيه من تضمنه الدلالة العقلية لا يجوز الأخذ به و هو على غير بصيرة في ثبوت هذا الفرع فلم يجز الوضوء بنبيذ التمر فإنه سماه شرابا و أزال عنه اسم الماء فافهم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(أبواب نواقض الوضوء)

حكم ذلك في الباطن أعني ناقض الوضوء أنه كل ما يقدح في الأدلة العقلية و الأدلة الشرعية في المعرفة بالله أما في العقلية فمن الشبه الواردة و أما في الشرعية فمن ضعف الطريق الموصل إليها و هو عدم الثقة بالرواة أو غرائب المتون فإن ذلك مما يضعف به الخبر فكل ما يخرجك عن العلم بالله و بتوحيده و بأسمائه الحسنى و ما يجب لله أن يكون عليه و ما يجوز و ما يستحيل عليه عقلا إلا أن يرد به خبر متواتر في كتاب أو سنة فإن ذلك كله ناقض لطهارة القلب بمعرفة الله و توحيده و أسمائه فلنذكرها مفصلة كما وردت في الوضوء الظاهر إن شاء الله (باب

انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس)

اختلف علماء الشريعة في انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس على ثلاثة مذاهب فاعتبر قوم في ذلك الخارج وحده من أي موضع خرج و على أي وجه خرج و بين هؤلاء اختلاف في أمور و اعتبر قوم المخرجين القبل و الدبر من أي شيء خرج و على أي وجه خرج من صحة و مرض و اعتبر آخرون الخارج و المخرج و صفة الخروج و به أقول (وصل حكم الباطن في ذلك) فأما حكم هذه المذاهب في المعاني في الباطن فمن اعتبر الخارج وحده و هو الذي ينظر في اللفظ الخارج من الإنسان فهو الذي يؤثر في طهارة إيمانه مثل أن يقول في يمينه برئت من الإسلام إن كان كذا وكذا أو ما كان إلا كذا وكذا فإن هذا و إن صدق في يمينه و بر و لم يحنث فإنه لا يرجع إلى الإسلام سالما كذا قال صلى الله عليه و سلم و مثل من يتكلم بالكلمة من سخط الله ليضحك بها الناس ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفا و لا يراعى من خرجت منه من مؤمن و كافر و من اعتبر المخرجين فهو المنافق و المرتاب فكل ما خرج منهما لا ينفعهما في الآخرة فإن الخارج قد يكون نجسا كالكفر من التلفظ به و قد يكون غير نجس كالإيمان و ما كان مثل هذا من المخرجين المنافق و المرتاب لأن المخرجين خبيثان لم ينفع ما ليس بنجس كظهور الايمان و ما في القلب منه شيء و هو قوله تعالى عنهم حيث قالوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ و هو كخروج الطاهر أعني الذي ليس بنجس وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ و هو كخروج ما هو نجس فقال تعالى فيهم أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا فأثر في الطهارة و أما من اعتبر الخارج و المخرجين و صفة الخروج فقد عرفت الخارج و المخرجين و ما بقي إلا صفة الخروج فصفة الخروج في الطهارة كالخروج على صفة المرض كالمقلد في الكفر أو الصحة و هو العالم بالحق الصحيح و يجحده فلا يؤمن قال تعالى في مثل هؤلاء الذين عرفوا الحق و جحدوا بما دلهم عليه وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ثم ذكر العلة فقال ظلما و علوا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ انتهى الجزء الثاني و الثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب حكم النوم في نقض الوضوء)

اختلف العلماء في النوم على ثلاثة مذاهب فمن قائل إنه حدث فأوجبوا الوضوء في قليله و كثيره و من قائل إنه ليس بحدث فلم يوجب منه وضوء إلا أن تيقن بالحدث فالناقض للوضوء هو الحدث لا النوم و إن شك في الحدث فالشك غير مؤثر في الطهارة فإن الشرع لم يعتبر الشك في هذا الموضع و به أقول و من قائل بالفرق بين النوم القليل الخفيف كالسنة فلم يوجب منه وضوء و بين الكثير المستثقل فأوجب منه الوضوء

(وصل حكمه في الباطن) اعلم أن القلب له حالة غفلة فذلك النوم القليل و حالة موت و نوم عن التيقظ و الانتباه لما كلفه الله به من النظر و الاستدلال و الذكر و التذكر و هاتان الحالتان مزيلتان طهارة القلب التي هي العلم بالله و لنا في ذلك ما ينبه الغافل و السالك

يا نائما كم ذا الرقاد و أنت تدعى فانتبه
كان الإله يقوم عنك بما دعا لو نمت به
لكن قلبك غافل عما دعاك و منتبه
في عالم الكون الذي يرديك مهما مت به
فانظر لنفسك قبل سيرك إن زادك مشتبه

(باب الحكم في لمس النساء)

اختلف علماء الشريعة في لمس النساء باليد أو بغير ذلك من الأعضاء الحساسة فمن قائل إنه من لمس امرأته دون حجاب أو قبلها على غير حجاب فعليه الوضوء سواء التذ أو لم يلتذ و اختلف قول صاحب هذا المذهب في الملموس فمرة سوى بينهما في إيجاب الوضوء و مرة فرق بينهما و فرق أيضا صاحب هذا القول بين أن يلمس ذوات المحارم و الزوجة و من قائل بإيجاب الوضوء من اللمس إذا قارنته اللذة و عند أصحاب هذا القول تفصيل كثير و من قائل بأن لمس النساء لا ينقض الوضوء و به أقول و الاحتياط أن يتوضأ للخلاف الذي في هذه المسألة اللامس و الملموس (وصل حكم اللمس في الباطن) فأما حكم اللمس في القلب فالنساء عبارة و كناية عن الشهوات فإذا لمست الشهوة القلب و لمسها و التبس بها و التبست به و حالت بينه و بين ما يجب عليه من مراقبة الله فيها فقد انتقض وضوؤه و إن لم تحل بينه و بين مراقبة الله فيها فهو على طهارته فإن طهارة القلب الحضور مع الله و لا يبالي في متعلق الشهوة من حرام أو حلال إذا اعتقد التحريم في الحرام و التحليل في الحلال فلا تؤثر في طهارته فإذا اعتقد التحريم في الحلال المنصوص عليه بالحل أو التحليل المنصوص عليه بالتحريم من أجل الشهوة بالنظر إلى الرجوع في ذلك إلى قول إمام يرى ذلك مع علمه إن الشارع قرر حكم المجتهد و قرر قبول عمل القلب له إذا عمل به و قد كان قبل الشهوة يعرف ذلك القول و لا يعمل عليه و لا يقول به و إنما رجع إليه بسبب لمس الشهوة قلبه فمثل هذا تؤثر في طهارته فعليه الوضوء بلا خلاف عند أهل القلوب و أما في الظاهر فلنا في هذه المسألة نظر و قد تصدعنا فيها مع علماء الرسوم

(باب في لمس الذكر)

اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا وضوء عليه و به أقول و الاحتياط الوضوء في كل مسألة مختلف فيها فإن الاحتياط النزوح إلى موطن الإجماع و الاتفاق مهما قدر على ذلك و من قائل فيه الوضوء و قوم فرقوا بين مسه بحال لذة أو باطن اليد و بين من مسه بظاهر كفه و لغير لذة و فصلوا في ذلك (وصل حكم ذلك في الباطن) اعلم أن الله ما جعل سبب إيجاد الكائنات الممكنات سبحانه و تعالى إلا الإرادة و

الأمر الإلهي و لأجل هذا أخذ من أخذ الإرادة في حد الأمر قال الله تعالى إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فأتى في الإرادة و الأمر و لم يذكر معنى ثالثا يسمى القدرة فيخرج قوله وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ على أنه عين قوله للأشياء كن إذا أراد تكوينها و لا شك أن اليد محل القدرة و لما كان النكاح سبب ظهور المولدات فمن نسب القدرة إليه في إيجاد العين الممكنة التي ظهرت و هو مس الذكر باليد فلا يخلو ما أن يغفل عن الاقتدار الإلهي في قول كن أو لا يغفل فإن غفل انتقضت طهارته حيث نسب وجود الولد للنكاح و إن لم يغفل بقي على طهارته

(باب الوضوء مما مست النار)

اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم في الوضوء مما مست النار و ما عدا الصدر الأول فلم يختلفوا في إن ذلك لا يوجب الوضوء إلا في لحوم الإبل و بالوضوء من لحوم الإبل أقول تعبدا و هو عبادة مستقلة مع كونه ما انتقضت طهارته بأكل لحوم الإبل فالصلاة بالوضوء المتقدم جائزة و هو عاص إن لم يتوضأ من لحوم الإبل و هذا القول ما قال به أحد فيما اعلم قبلنا و إن نوى فيه رفع المانع فهو أحوط و اختلف الأئمة في الوضوء من لحوم الإبل فمن قائل بإيجاب الوضوء منه و من قائل لا يجب (وصل حكم الباطن في ذلك) النار الذي يجد الإنسان في نفسه و هي التي تنضج كبده هي مما يجري عليه من الأمور التي لا توافق غرضه الطبيعي فإن تلقاها بالتسليم و الرضي أو الصبر مع الله فيها كما تسمى الله تعالى بالصبور لقوله إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ و أمهلهم و لم يؤاخذهم و قول رسول الله صلى الله عليه و سلم ليس شخص اصبر على أذى من الله حلما منه و إذا كان العبد بهذه المثابة لم تؤثر في طهارته فإن تسخط و أثر فيه و لا سيما لحوم الإبل فإن الشارع سماها شياطين فتلك لمة الشيطان في القلب فانتقضت طهارته لأن محل اللمة القلب كما يطهر منها بلمة الملك و إنما لحوم الإبل بلمة الشيطان لأن الشيطان خلق من مارجٍ من نارٍ و المارج لهب النار و الشارع كما قلنا سمي الإبل شياطين و نهى عن الصلاة في معاطنها و ما علل إلا بكونها شياطين و هم البعداء و الصلاة حال قربة و مناجاة فاعتبرنا في الباطن حكم الوضوء من لحوم الإبل و نقض الطهارة بهذا و لو كانت لمته بخير فإنه أضمر في ذلك الخير شرا لا يتفطن له إلا العالم المحقق العارف بالأمور الإلهية كيف ترد على القلوب

(باب الضحك في الصلاة من نواقض الوضوء)

اعلم أن الضحك في الصلاة أوجب منه الوضوء بعضهم و منعه بعضهم و بالمنع أقول (وصل حكم الباطن فيه) إن الإنسان في صلاته تختلف عليه الأحوال مع الله في تلاوته إذا كان من أهل الله ممن يتدبر القرآن فآية تحزنه فيبكي و آية تسره فيضحك و آية تبهته فلا يضحك و لا يبكي و آية تفيده علما و آية تجعله مستغفرا و داعيا فطهارته باقية على أصلها و قد رأينا من أحواله دائما الضحك في صلاة و غير صلاة كالسلاوي و أمثاله نفعنا الله به و كأبي يزيد طيفور بن عيسى ابن شروشان البسطامي روى عنه أبو موسى الديبلي أنه قال ضحكت زمانا و بكيت زمانا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي و أما إذا غفل عن تلاوته و تدبرها و مناجاة ربه بزكائه و لهوه و أمثال ذلك مما يخرجه عن الحضور مع الله في صلاته فهذا ضحكه في الباطن في الصلاة في مذهب من يقول بنقض طهارته و من هذه حاله فقد انتقضت طهارته و وجب عليه

استئناف طهارة قلبه مرة أخرى

(باب الوضوء من حمل الميت)

قالت به طائفة من العلماء و منع أكثر العلماء من ذلك و بالمنع أقول (وصل حكم الباطن فيه) أما حكم الباطن في ذلك فإنه يتعلق بعلم المناسبة فلا يجتمع شيء مع شيء إلا لمناسبة بينهما قال أبو حامد الغزالي رأى بعض أهل هذا الشأن بالحرم غرابا و حمامة و رأى أن المناسبة بينهما تبعد فتعجب و ما عرف سبب أنس كل واحد منهما بصاحبه فأشار إليهما فدرجا فإذا بكل واحد منهما عرج فعرف أن العرج جمع بينهما و كان رجل من التجار يقول لشيخنا أبي مدين أريد منك إذا رأيت فقيرا يحتاج إلى شيء تعرفني حتى يكون ذلك على يدي فجاءه يوما فقير عريان يحتاج إلى ثوب و كان مقام الشيخ و حاله في ذلك عدم الاعتماد على غير الله في جميع أموره في حق نفسه و في حق غيره فإن الشيوخ قد أجمعوا على أنه من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره فتذكر أبو مدين رغبة التاجر فخرج مع الفقير إلى دكان التاجر ليأخذ منه ثوبا فماشاه إنسان أنكره الشيخ فسأله عن دينه فإذا هو مشرك فعرف المناسبة و تاب إلى الله من ذلك الخاطر فالتفت فإذا بالرجل قد فارقه و لم يعرف حيث ذهب فلما أخبرت بحكايته و أنا أعرف بلادنا ما في بلاد الإسلام منها دينان أصلا فعلمت إن الله أرسل إليه من خاطره ذلك شخصا ينبهه فإن الله علمنا منه أنه يخلق من أنفاس العالم خلقا فكذلك من هذا الباب من حمل ميتا فلمناسبة بينهما و هو الموت فأما موت عن الأكوان و أما موت عن الحق فالميت عن الحق يتوضأ و الميت عن الأكوان باق على وضوئه

(باب نقض الوضوء من زوال العقل)

اتفق علماء الشريعة أن زوال العقل ينقض الطهارة (وصل حكم الباطن فيه) أن العقل إذا كان المزيل لحكمه في الإلهيات النص المتواتر من الشرع الذي لا يدخله احتمال و لا إشكال فيه فهو على أكمل الطهارة لأن طهارة الايمان مع وجود النص تعطي العلم الحق و الكشف و إذا زال عقله بشبهة فقد انتقضت طهارته و يستأنف النظر في دليل آخر أو في إزالة تلك الشبهة

(أبواب الأفعال التي تشترط هذه الطهارة في فعلها)

اتفق العلماء على أن الوضوء شرط من شروط الصلاة و اختلفوا هل هو شرط صحة أو شرط وجوب و أعني بالوضوء الطهارة المشروعة و هي عندنا شرط وجوب و الطهارة عندنا عبادة مستقلة و قد تكون شرطا في عبادة أخرى شرط صحة أو شرط وجوب و قد تكون مستحبة و سنة في عبادة أخرى (وصل حكم الباطن في ذلك) طهارة القلب شرط في مناجاة الحق أو مشاهدته شرط وجوب و شرط صحة معا و سبب ذلك إننا في موطن التكليف و يطلب الايمان منا بالله و بما جاء من عنده و بالرسول و الرسل و هذه إشارة أن الأمر ليس بمقصور إلا أنه عال و أعلى وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ رَفِيعُ الدَّرَجاتِ يرفع درجات من يشاء و تارة يكون العلم شرطا في صحة الايمان و شرط وجوب فيه و تارة يكون الايمان شرطا في صحة علم الكشف و شرط وجوب فيه إلا أن الايمان فيه طهارة للقلب من الحجاب و العلم

طها رة للقلب من الجهل و الشك و النفاق فطهر قلبك بالطها رتين تسم بذلك في العالمين و تحوز به علم القبضتين فإن الله قد أوجب الايما ن علينا بنفسه و من نفسه أسماؤه وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رُسُلِهِ مع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض رسلا و أنبياء ثم نهانا أن نفضل بين الأنبياء قياسا أو نظرا فإن العبد لا يحكم على الله بشيء

(باب الطها رة لصلاة الجنائز و لسجود التلاوة)

اختلف أهل العلم رضي الله عنهم في الطها رة للصلاة على الجنائز و لسجود التلاوة فمن قائل إنها شرط من شروطها و من قائل ليست بشرط و به أقول (وصل في حكم الباطن في ذلك) أما حكم الباطن في ذلك كله فإنا نقول كل عمل مشروع لا تتقدمه طها رة الايما ن لا يصح ذلك العمل بفقده فيجب وجود الايمان في كل عمل مشروع فمن قال لا يجب الوضوء لصلاة الجنا زة و سجود التلاوة لم ير استحضا ر للموتى و السجود للتلاوة لا في الايمان في الدعاء و اكتفى بالإيمان إلا صلى عن استحضا ره عند الشروع في الفعل و هذا سبب عدم الإجابة و من رأى أن الطها رة شرط كانت الإجابة و لا بد فيما يدعونيه

(باب الطها رة لمس المصحف)

اختلف أهل العلم في الطها رة هل هي شرط في مس المصحف أم لا فأوجبها قوم و منعها قوم و بالمنع أقول إلا أن فعلها بالطها رة أفضل أعني مس المصحف (وصل في حكم الباطن في ذلك) هل يحترم الدليل لاحترام المدلول فعندنا نعم يحترم الدليل لاحترام المدلول و عند غيرنا لا يلزم فإن الدليل يضاد المدلول فلا يجتمعان فإن احترم الدليل فلأمر آخر لا لكونه دليلا على محترم و المصحف دليل على كلام الله و قد أمرنا باحترامه و مسه على الطها رة من احترامه فاعلم إنا قد نأخذ العالم دليلا على الله و نذهل عما يتضمن مسمى العالم من محمود و مذموم و قد نأخذ فرعون و أمثاله من المتكبرين دليلا على وجود الصانع لأنه صنعة و اتفق أن عينته في الدلالة على الخصوص و لا يجب احترامه بل يجب مقته و عدم حرمته و قد نأخذ موسى عليه السلام من حيث إنه صنعته دليلا على وجود الصانع و اتفق أن عينته في الدلالة على الخصوص و قد وجب علينا احترامه و تعظيمه من وجه آخر لا من وجه كونه دليلا فلهذا عظمنا المصحف لكون الشا رع أمرنا باحترامه و تعظيمه لا لكونه دليلا ثم له حرمة أخرى لكونه دليلا و به نعلل احترامه في وقت ما فإنه نقول فيه إنه كلام الله و إن كنا نحن الكا تبين له بأيدينا

(باب إيجاب الوضوء على الجنب عند إرادة النوم أو معاودة الجماع أو الأكل أو الشرب)

اختلف علماء الشريعة فيما ذكرناه في هذه الترجمة فمن قائل بإيجابه و من قائل باستحبابه و به أقول (وصل حكم الباطن في ذلك) و أما حكم الباطن في ذلك إحضا ر النية للذي انتقضت طها رته الشرعية لشهوة أغفلته عن رؤية الحق عند استحكامها فإذا أراد أن ينام نوى في النوم إعطاء حق العين فتلك طها رة الجنب إذا أراد أن ينام فإن الجنابة نقضت طها رته و هي الغربة عن موطن الايما ن الذي كان يجب عليه الحضور معه لو لا استحكام سلطان الشهوة الذي أفناه عن نفسه و عن كل ما سواه و كذلك إذا أراد أن يعاود الجماع ينوي الولد المؤمن لكثرة

أتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم و ليكثر الذاكرين الله بهذا الجماع و كذلك إذا أراد أن يأكل أو يشرب ينوي إعطاء النفس حقها و هذه النية فيما ذكرناه هي طهارة لكل ذلك

(باب الوضوء للطواف)

اعلم أن الوضوء للطواف اشترطه قوم و لم يشترطه قوم و به أقول و إن كان الطواف بالطهارة أفضل (وصل حكم الباطن في ذلك) و ذلك أنه من رأى أن الطواف بالبيت لكونه منسوبا إلى الله كالعرش المنسوب إلى استواء الرحمن و رأى الملائكة حافين به و هم المطهرون الكرام البررة اشترط الوضوء في الطواف بكعبة قلبه الذي وسع الحق جل جلاله يقول تعالى ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي و هو نزوله في تجليه تعالى إلى قلب عبده و قد بيناه في مواقع النجوم في منزل التنزل الذاتي من فلك القلب و من رأى أن الحق لا يتقيد بما أضاف إليه و إنما قصد بذلك التشريف منفعة المكلف لم يشترط الطهارة للطواف و أما في القلب فعدم اشتراط الطهارة في وقت نظر العقل في إثبات الشرع في المعرفة الأولى إما ابتداء و إما إذا نزل إليها بالتعليم لمن أراد أن يعرف الله بالأدلة النظرية

(باب الوضوء لقراءة القرآن)

اختلف العلماء في الوضوء لقراءة القرآن فمن قائل إنه تجوز قراءة القرآن لمن هو على غير طهارة و به أقول و من قائل لا يجوز أن يقرأ القرآن إلا على وضوء و هو الأفضل بلا خلاف و كذلك كل ما ذكرناه مما يجوز فعله عندنا و عند غيرنا على غير وضوء إن الأفضل أن لا يفعل شيئا من ذلك إلا على وضوء (وصل حكم الباطن في ذلك) أما حكم الباطن في ذلك فإن قارئ القرآن نائب الحق سبحانه في الترجمة عنه بكلامه و من صفاته سبحانه القدوس و معناه الطاهر فينبغي للعبد إذا ناب مناب الحق في كلامه بتلاوته أن يكون مقدسا أي طاهرا في ظاهره بالوضوء المشروع و في باطنه بالإيمان و الحضور و التدبر و شبه ذلك و أن يقدم تلاوة الحق عليه ابتداء ثم يتلوه مترجما عن الحق ما تلاه عليه و كلمه به فأما يترجم في تلاوته تلك للحاضر عنده ليذكره و إما أن يترجم بلسانه ليسمعه فيحصل الآخر للسمع كما لو كان المصحف بيده يتلو فيه أخذ البصر حقه من النظر إلى كلام الله من حيث ما هو مكتوب كما أخذه السمع من حيث ما هو اللسان ناطق به مصوت و كذلك لو ألقى المصحف في حجره و مشى بيده على الحروف لأخذت هذه الأعضاء حظها من ذلك و هكذا كان يتلو شيخنا أبو عبد الله ابن المجاهد و أبو عبد الله ابن قيسوم و أبو الحجاج الشربلي لم أر من أشياخنا من يحافظ على مثل هذه التلاوة إلا هؤلاء الثلاثة

(أبواب الاغتسال أحكام طهارة الغسل)

هذا الغسل المشروع في هذا الباب هو تعميم الطهارة بالماء لجميع ظاهر البدن بغير خلاف و فيما يمكن إيصال الماء إليه من البدن و إن لم يكن ظاهرا بخلاف كداخل الفم و ما أشبهه و سيأتي ذكره و ذكر أسباب هذه الطهارة و منها واجب و سنة و مستحب (الاعتبار في ذلك) فأما اعتبار هذه الطهارة تعميم طهارة النفس من كل ما أمرت بالطهارة منه و به من الأعمال ظاهرا مما يتعلق بالأعضاء و باطنا بما يتعلق بالنفس

من مصارف صفاتها لا من صفاتها و إنما قلنا من مصارف صفاتها فإن صفاتها لازمة لها في أصل خلقتها لا تنفك عنها حتى إن بعض أصحابنا قد جعلها عين ذاتها و أنها صفات نفسية لها كالحرص و البخل و النميمة و كل وصف مذموم فمتعلق الذم الذي أمرنا بالطهارة منه ما هو عين الصفة و إنما هو عين المصرف فالإنسان لا يتطهر من الحرص و إنما يتطهر من صرف الحرص على جمع حطام الدنيا و حرامها فيتطهر بالحرص عينه على حكم ما تطهر منه بالمصرف أيضا و هو أن يتطهر بالحرص على طلب العلم و تحصيل أسباب الخير و الأعمال الصالحة و الحرص على جمع أسباب سعادته فإن عين الحرص ما يتمكن زواله فالحرص بوجه تكون سعادة الحريص بالحرص و بوجه تكون شقاوة الحريص فلهذا قلنا بالمصرف لا بعين الصفة و على هذا نأخذ جميع الصفات التي علق الذم بها إنما علق الذم بمصارفها لا بأعيانها فعموم طهارة الباطن و الظاهر في هذا الاغتسال إنما متعلقة مصارف الصفات و لا يعلم مصارف الصفات إلا من يعلم مكارم الأخلاق فيتطهر بها و يعلم سفساف الأخلاق فيتطهر منها و ما خفي منها مما لا يدركه يتلقاه من الشارع و هو كل عمل يرضي الله فيتطهر به من كل عمل لا يرضيه فيتطهر منه قال الله تعالى وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ و لهذا سقنا في هذا الكتاب أبوابا متقابلة كالتوبة و تركها و الورع و تركه و الزهد و تركه مما سيأتي أبوابه إن شاء الله تعالى و هي كثيرة و هذه الطهارة أيضا واجبة كالتطهير بإيتاء الزكاة مثلا فهو غسل واجب و كإعطائها للفقراء من ذوي الأرحام و هو مندوب إليه و كتخصيص أهل الدين منهم دون غيرهم من ذوي الأرحام و هو مستحب و هكذا يسرى حكم هذه الطهارة في جميع باطن الإنسان و ظاهره من العلم و الجهل و الكفر و الايمان و الشرك و التوحيد و الإثبات و التعطيل و هكذا في الأعمال كلها المشروعة يطهرها بالموافقة من المخالفة فهذا معنى الاغتسال الواجب منه و غير الواجب و سأورد من تفصيل مسائل هذه الطهارة ما يجري مجرى الأمهات على حسب ما يذكر منها في ظاهر حكم الشرع في الاغتسال بالماء و إنما تفريع هذه الطهارة لا يحصى و لا يسعه كتاب لو ذكرناها مسألة مسألة و قد أعطينا فيها و بينا طريقة الأخذ بها فخذها على ذلك الأنموذج إن أردت أن تكون من عباد الله الذين اختصهم لخدمته و اصطنعهم لنفسه و رضي عنهم فرضوا عنه جعلنا الله من العلماء العمال و لا حال بيننا و بين الاستعمال بما يرضيه سبحانه من الأعمال في الأقوال و الأفعال و الأحوال فأما الاغتسالات المشروعة فمنها ما اتفق على وجوبه و منها ما اختلف في وجوبه و منها ما اتفق على استحبابه و هي اغتسالات كثيرة كالغسل من التقاء الختانين و الغسل من إنزال الماء الدافق على علم و الغسل من إنزاله على غير علم كالذي يجد الماء و لا يذكر احتلاما و الغسل من إنزال الماء الدافق على غير وجه الالتذاذ و الغسل من الحيض و غسل المستحاضة عند الصلوات و غسل يوم الجمعة و الغسل لصلاة الجمعة و الغسل عند الإسلام و الغسل للإحرام و الاغتسال لدخول مكة و الاغتسال للوقوف بعرفة و الاغتسال من غسل الميت و أما الاعتبارات في هذه الأغسال فأنا أذكرها قبل ذكر تفصيل أمهات المسائل المشروعة في الاغتسال بالماء و اعتباراتها فمن ذلك

(باب الاغتسال من غسل الميت)

لما كان الميت شرع غسله و هو لا فعل له إذ كان غيره المكلف بغسله تنبيها لغاسله أن يكون بين يدي ربه في تطهيره بتوفيقه و استعماله في طاعته و ما يجري عليه من أفعال خالقه به و فيه كالميت بين يدي غاسله فلا يرى غسله بهذا الاعتبار بغسله للميت و إنما يرى أن الله هو مطهره و يرى نفسه كالآلة يفعل بها الله ذلك الفعل كما يرى الغاسل الماء آلة في تحصيل غسل الميت إذ لولا الماء ما صح اسم الغاسل لهذا الذي يغسله و الماء لا يتصور منه الدعوى في أنه غسل الميت فإن الماء ما تحرك إليه و لا قصد غسله و إنما قصد بالماء غسل الميت غاسله كذلك الغاسل لا يرى في قصده أنه قصد غسل الميت بالماء و إنما يرى نفسه مع الماء آلتين قصد الله بهما غسل هذا الميت فالله المطهر لا هو و لا الماء و لكن الله طهر الميت بالغاسل و بالماء فمثل هذا لا يغتسل من غسل الميت فهذا اعتبار من يرى أنه لا يجب الغسل من غسل الميت و أما من غسل ميتا و غاب في غسله عن أن الله هو مطهره و ادعى ذلك الفعل لنفسه و أضافه إليها و رأى أنه لولاه ما طهر هذا الميت وجب عليه أن يغتسل و يتطهر من هذه الدعوى بالتوجه و الحضور مع الله في المستأنف و التذكر لما غفل عنه من تطهير الله هذا الميت على يده فمن اعتبر هذا أوجب الاغتسال من غسل الميت و أما حكم الاغتسال من غسل الميت بالماء في ظاهر حكم الشرع فليس مذهبي القول بوجوبه و لكن إن اغتسل من ذلك فهو أولى و أفضل بلا خلاف

(باب الاغتسال للوقوف بعرفة)

لما كان الوقوف بعرفة بصفة الذل و الافتقار و الدعاء و الابتهال بالتعري من لباس المخيط و الموضع الذي يقف فيه الحاج يسمى عرفة علمنا اعتبارا أن ذلك موقف العلماء العارفين بالله فإن الله يقول إِنَّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِهِ الْعُلَماءُ و قال تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ من الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا من الْحَقِّ و سيأتي الكلام إن شاء الله على هذا النوع في باب الحج من هذا الكتاب و لما رأى هذا المعتبر العالم تجرده عن المخيط اعتبر في تأليف الأدلة و تركيبها لحصول المعرفة بالله من طريق النظر الفكري بتركيب المقدمات و تأليفها فتظهر من ذلك صورة المعرفة بربه كالخائط الذي يؤلف قطع القميص بعضها إلى بعض فتظهر صورة القميص قيل له بتجريده المخيط حصل المعرفة بربك أو العلم بالله من التجلي الإلهي أو الرباني و اطرح عنك في هذا الموقف و هذا اليوم النظر العقلي بتأليف المقدمات و اشتغل اليوم بتحصيل المعرفة بربك من الامتنان الإلهي و الوهب الرباني من الواهب الذي يعطي لينعم فإنه الذي يقذف في نفسك العلم به على كل حال سواء نظرت في تأليف المقدمات أو لم تنظر فعامله سبحانه بالتجريد فإنه أولى بك و لا تلتفت إلى تأليفك المقدمات النظرية في العلم بالله فإن ذلك ظلمة في المعرفة لا يراها إلا البصير إذ لا مناسبة بين ما تؤلفه من ذلك و بين ما تستحقه ذاته جل و تعالى علوا كبيرا و من كان يطلب منه هذه الحالة في ذلك الموقف الكريم و المشهد الخطير العظيم كيف لا يغتسل و يتطهر في باطنه و قلبه عن التعلق في معرفته بربه بغيره فيزيل عنه قذر مشاهدة الأغيار و درنها بعلم الحق بالحق دون علمه بنفسه إذ لا دليل عليه إلا هو لأن المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد و أنت في عرفة و العلم يتعدى إلى مفعولين و لهذا يحصل لصاحب هذا المشهد عند العلمين إذا خرج من عرفة يريد المزدلفة و هي جمع يحصل له علم آخر يكون معلومه الله كما كان معلومه في عرفات

الرب تعالى و هذا المفعول الواحد الحاصل لك في هذا اليوم هو علمك بربك لا بنفسك فتعرف الحق بالحق فيكون الحق الذي اغتسلت به يعطي تلك المعرفة به و يكون المغتسل منه اسم مفعول عين نفسك في دعواها في معرفة ربها بنفسها من طريق التعمل في تحصيلها و أين الدليل من الدليل هيهات و عزته ما تعرفه إن عرفته إلا به فافهم فهذا غسلك للوقوف بعرفة إن وفقت له و الله المؤيد و الملهم

(باب الاغتسال لدخول مكة زادها الله تشريفا)

اعلم أن دخول مكة هو القدوم على الله في حضرته فلا بد من تجديد طهارة لقلبك مما اكتسبه من الغفلات من زمان إحرامك من الميقات ظاهرا بالماء و باطنا بالعلم و الحضور فطهارة الظاهر الاغتسال بالماء عبادة و تنظيفا و طهارة الباطن و هو القلب بالتبري طلبا للولاء فإنه لا ولاء للحق إلا بالبراءة من الخلق حيث كان نظرك إليهم بنفسك لا بالله فمن كان حاله الحضور الدائم مع الله لم يغتسل لدخول مكة إلا الغسل الظاهر بالماء لإقامة السنة و أما لباطن فلا إلا عند رؤية البيت فإنه يتطهر باطنا بحياء خاص لمشاهدة بيته الخاص كذا و الطواف به الذين هم الطائفون كالحافين من حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ إذ كان بيت الله بلا واسطة منذ خلق الله الدنيا ما جرت عليه يد مخلوق بكسب و ليكن الاسم الإلهي الذي يتطهر به الاسم الأول من الأسماء الحسنى فإنه من نعوت البيت فتحصل المناسبة قال تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً أي جعلت فيه البركة لعبادي و الهدى فمن رأى البيت و لم يجد عنده زيادة إلهية فما نال من بركة البيت شيئا لأن البركة الزيادة فما أضافه الحق فدل على أن قصده غير صحيح فإن تعجيل الطعام للضيف سنة فليجعل اغتساله أولا لا يجعله ثانيا لما تقدمه من غسل الإحرام فإنه طهارة خاص تليق بمشاهدة البيت و الطواف به لا مناسبة بينه و بين الاغتسال للإحرام إلا من وجه ما فإذا زعم أنه تطهر بهذا الطهر و فرغ من طوافه يتفقد باطنه فإن الله ما جعل البركة فيه و الهدى و هو البيان أي يتبين له ذلك الذي زاده ربه من العلم به فما جعلت البركة في البيت إلا أن يكون يعطي خازنه للطائف به القادم عليه من خلع البركة و القرب و العناية و البيان الذي هو الهدى في الأمور المشكلة في الأحوال و المسائل المبهمات الإلهية في العلم بالله ما يليق بمثل ذلك البيت المصطفى محل يمين الحق المبايع المقبل المسجود عليه فإن هذا البيت خزانة الله من البركات و الهدى و قد نبه الشارع إشارة بذكر الكنز الذي فيه و أي كنز أعظم مما ذكر الله من البركة و الهدى حيث جعلهما عين البيت فكنزه من أضيف إليه و هو الله فلينظر الطائف القادم إذا فرغ من طوافه إلى قلبه فإن وجد زيادة من معرفة ربه و بيانا في معرفته لم تكن عنده فيعلم عند ذلك صحة اغتساله لدخول مكة و إن لم يجد شيئا من ذلك فيعلم أنه ما تطهر و ما قدم على ربه و لا طاف ببيته فإنه من المحال أن ينزل أحد على كريم غني و يدخل بيته و لا يضيفه فإذا لم يجد الزيادة فما زاد على غسله بالماء و قدومه على الأحجار المبنية فهو صاحب عناء و خيبة في قلبه و ما له سوى أجر الأعمال الظاهرة في الآخرة في الجنان و هو الحاصل لعامة المؤمنين فإن جاور جاور الأحجار لا العين و إن رجع إلى بلده رجع بخفي حنين جعلنا الله من أصحاب القلوب أهل الله و خاصته آمين بعزته فإن اعترف المصاب بعدم الزيادة و ما رزئ به كان له أجر المصاب من الأجور في الآخرة و حرم المعرفة في العاجل

(باب الاغتسال للإحرام)

اعتبار ه تطهير الجوارح مما لا يجوز للمحرم أن يفعله و تطهير الباطن من كل ما خلف وراءه فكما تركه حسا من أهل و مال و ولد و قدم على بيت الله بظاهره فلا يلتفت بقلبه إلا إلى ما توجه إليه و يمنع أن يدخل قلبه أو يخطر له شيء مما خلفه وراءه بالتوبة و الرجوع إلى الله و لهذا سمي غسل الإحرام لما يحرم عليه ظاهرا و باطنا فإن لم تكن هذه حالته فليس بمحرم باطنا فإن البواب قد نام و غفل و بقي الباب بلا حافظ فلم تجد خواطر النفوس و لا خواطر الشياطين من يمنعها من الدخول إلى قلبه فهو يقول لبيك بلسانه و يتخيل أنه يجيب نداء ربه بالقدوم عليه و هو يجيب نداء خاطر نفسه أو شيطانه الذي يناديه في قلبه يا فلان فيقول لبيك فيقول له الخاطر بحسب ما بعثه به صاحبه من نفس أو شيطان و ما جاءه به من غير ما شرع له من الإقبال عليه في تلك الحالة فيقول له صاحب ذلك الخاطر عند قوله لبيك اللهم لبيك أهلا و سهلا لبيت من يعطيك الحرمان و الخيبة و الخسران المبين و يفرح بأن جعله إلها و لباه فلو لا فضل الله و رحمته بلسان الباطن و الحال و ما تقدم من النية لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ من وجودكم بقلوبكم إلى ما خلفتموه حسا وراء ظهوركم عَذابٌ عَظِيمٌ فيغفر الله لهم ما حدثوا به أنفسهم و ما أخطر لهم الشيطان في تلك الحالة بعناية التلبية الظاهرة لا غير و ما أعطاهم في قلوبهم ما أعطاه لأهل الاغتسال الباطن من المحرمين

(باب الاغتسال عند الإسلام و هو سنة بل فرض)

الاغتسال عند الإسلام مشروع و قد ورد به الخبر النبوي و أما اعتباره في الباطن فإن الإسلام الانقياد فإذا أظهر الإنسان انقياد الظاهر كان مسلما ظاهرا فيجب عليه الانقياد بباطنه حتى يكون مسلما باطنا كما كان ظاهرا فهو هنا تطهير الباطن عند الإسلام بالإيمان قال تعالى في حق طائفة قالت آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ و هو الطهارة الباطنة النافعة المنجية من التخليد في النار

(باب الاغتسال لصلاة الجمعة)

اعتباره في الباطن طهارة القلب لاجتماعه بربه و اجتماع همته عليه لمناجاته برفع الحجاب عن قلبه و لهذا قال من يرى أن الجمعة تصح بالاثنين و تقام و به أقول يقول تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين الحديث و ما ذكر ثالثا يقول العبد كذا فأقول له كذا فلا بد من طلب منه هذه الحالة أن يتطهر لها طهرا خاصا بل أقول إن لكل حالة للعبد مع الله تعالى طهارة خاصة فإنه مقام وصلة و لهذا شرعت الجمعة ركعتين فالأولى من العبد لله بما يقول و الثانية من الله للعبد بما يخبر به في إجابته قول عبده أو يخبر به الملأ الأعلى بحسب ما يفوه به العبد في صلاته غير أنه في صلاة الجمعة بمقتضى ما شرع له أن يجهر بالقراءة و لا بد فيقول الله للملإ الأعلى حمدني عبدي أو ما قال من إجابة و ثناء و تفويض و تمجيد

(باب الاغتسال ليوم الجمعة)

الاعتبار الطهارة بالأزل للزمان اليومي من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة فإن الله قد شرع حقا واجبا على كل عبد أن يغتسل في كل سبعة

أيام فغسل يوم الجمعة لليوم لا للصلاة فكانت الطهارة لصلاة الجمعة طهارة الحال و هذه طهارة الزمان فإن العلماء اختلفوا فمن قائل إن الغسل إنما هو ليوم الجمعة و هو مذهبنا فإن أوقعه قبل صلاة الجمعة و نوى أيضا الاغتسال لصلاة الجمعة فهو أفضل و من قائل إنه لصلاة الجمعة في يوم الجمعة و هو الأفضل بلا خلاف حتى لو تركه قبل الصلاة وجب عليه أن يغتسل ما لم تغرب الشمس و لما قلنا إن جمع العبد على الحق في هذا اليوم الزماني كانت نسبة هذا اليوم إلى جناب الحق ما يدخل الأزل من التقديرات الزمانية فيه بتعيين توجهات الحق لإيجاد الكائنات في الأزمان المختلفات التي يصحبها القبل و البعد و الآن لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ فاعلم ذلك فإنه دقيق جدا فمن اغتسل لصلاة الجمعة فقد جمع بين الغسل للحال و الزمان و من اغتسل ليوم الجمعة بعد الصلاة فقد أفرد و هو قدح في مسمى الجمعة فالأظهر أنه مشروع في يوم الجمعة و لصلاة الجمعة و هو الأوجه و ما يبعد أن يكون مقصود الشارع به ذلك

(باب غسل المستحاضة و سيرد و نبين فيه مذهبنا)

و أما اعتباره فالاستحاضة مرض و العبد مأمور بتصحيح عبادته لا يدخلها شيء من المرض فمهما اعتل في عبادة ما من عباداته تطهر من تلك العلة و أزالها حتى يعبد الله عبدا خالصا محضا لا تشوبه علة و لا مرض في عبادته و لا عبودته

(باب الاغتسال من الحيض)

الحيض ركضة شيطان فيجب الاغتسال منه قال تعالى إنه رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فيجب تطهير القلب من لمة الشيطان إذا نزلت به و مسه في باطنه و تطهيرها بلمة الملك و القصة البيضاء هي العلامة أو من بعض العلامات على عناية الله بهذا القلب حيث طرد عنه و أزال ركضة الشيطان فيستعمل لمة الملك عند ذلك و هو تطهير القلب و إن كنيت عن ذلك بالإصبعين و كلاهما رحمة فإنه أضافهما إلى الرحمن فلو لا رحم الله عبده بتلك اللمة الشيطانية ما حصل له ثواب مخالفته بالتبديل في العدول عنه إلى العمل بلمة الملك فله أجران فلهذا قلنا إنه أضافهما إلى الاسم الرحمن فإذا أزاغه جاهد نفسه أن لا يفعل ما أماله إليه فجوزي أجر المجاهد فإن عمل و تاب أثر الفعل بعد مجاهدة فساعد الشيطان عليه القدر السابق بالفعل فوقع منه الفعل و رأى أن ذلك من الشيطان مؤمنا بذلك مصدقا كما قال موسى عليه السلام هذا من عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ و تاب عقيب وقوع الفعل و أعني بالتوبة هنا الندم فإنه معظم أركان التوبة و قد ورد أن الندم توبة كان له أجر شهيد لوقوع الفعل منه و الشهيد حي ليس بميت و أي حياة أعظم أو أكمل من حياة القلوب مع الله في أي فعل كان فإن الحضور مع الايمان عند وقوع المخالفة يرد ذلك العمل حيا بحياة الحضور يستغفر له إلى يوم القيامة فهذا من عناية الاسم الرحمن الذي أضاف الإصبعين إليه فالشيطان يسعى في تضعيف الخير للعبد و هو لا يشعر فإن الحرص أعماه و يحور الوبال و إثم تلك المعصية عليه و هذا من مكر الله تعالى بإبليس فإنه لو علم أن الله يسعد العبد بتلك اللمة من الشيطان سعادة خاصة ما ألقى إليه شيئًا من ذلك و هذا المكر الإلهي الذي مكر به في حق إبليس ما رأيت أحدا نبه عليه و لو لا علمي بإبليس و معرفتي بجهله و حرصه على التحريض على المخالفة ما نبهت على هذا لعلمي بأنه

لولا هذا المانع لاجتنب لمة المخالفة فهذا هو الذي حملني على ذكرها لأن الشيطان لا يقف عندها لحجابه بحرصه على شقاوة العبد و جهله بأن الله يتوب على هذا العبد الخاص فإن كل ممكور به إنما يمكر الله به من حيث لا يشعر و قد يشعر بذلك المكر غير الممكور به

(باب الاغتسال من المني الخارج على غير وجه اللذة)

اختلف فيه فمن قائل بوجوبه و من قائل لا يجب عليه غسل و به أقول (وصل حكم الباطن فيه) اعتبار الجنابة الغربة و الغربة لا تكون إلا بمفارقة الوطن و موطن الإنسان عبوديته فإذا فارق موطنه و دخل في حدود الربوبية فاتصف بوصف من أوصاف السيادة على أبناء موطنه و أمثاله و لم يجد لذة لذلك فما وفى صفة السيادة حقها فإن الكامل لذة كماله لا تقارنها لذة أصلا و الابتهاج الكمالي لا يشبهه ابتهاج فلما لم يوف الصفة حقها تعين عليه الاغتسال و هو الاعتراف بما قصر به في حق تلك الصفة الإلهية فمن هنا أوجب الغسل من أوجبه على من خرج منه المني في اليقظة من غير التذاذ و من رأى أن صفة الكمال التي تنبغي للواجب الوجود بنفسه إذا اتصف بها العبد في غربته لم يكن لها حكم فيه لأنه ليس بمحل لها لم يوجب عليه غسلا

(باب الاغتسال من الماء يجده النائم إذا هو استيقظ و لا يذكر احتلاما)

في مثل هذا بقي حكم قوله صلى الله عليه و سلم إنما الماء من الماء فهو مخصص ما هو منسوخ كما يراه بعضهم (وصل اعتباره في الباطن) العارف يجد قبضا أو بسطا في حال من الأحوال لا يعرف سببه و هو أمر خطر عند أهل الطريق فيعلم أن ذلك لغفلة منه عن مراقبة قلبه في وارداته و قلة نفوذ بصيرته في مناسبة حاله مع الأمر الذي أورثه تلك الصفة فيتعين عليه التسليم لموارد القضاء حتى يرى ما ينتج له ذلك في المستقبل فإذا عرفه وجب عليه الاغتسال بالحضور التام مع الحق في علم المناسبات حتى لا يجهل ما يرد عليه من الحق من واردات التقديس و ما الاسم الذي جاءه بذلك و ما الاسم الذي جيء به من عنده و ما الاسم الإلهي الذي هو في الحال حاكم عليه و هو الذي استدعى ذلك الوارد فهذه ثلاثة الاسم المستدعي و الاسم المستدعى منه و الاسم الوارد به فإن الحق من حيث ذاته لا سبيل لمناسبة تربطنا به أو تربطه بنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فبأسمائه نتعلق و بها نتخلق و بها نتحقق و الله الموفق

(باب الاغتسال من التقاء الختانين من غير إنزال)

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا التقى الختان الختان فقد وجب الغسل و اختلف العلماء في هذه المسألة فمن قائل بأنه يجب الغسل من التقاء الختانين و من قائل بأنه لا يجب الغسل من التقاء الختانين و به أقول (وصل) الاعتبار في ذلك إذا جاوز العبد حده و دخل في حدود الربوبية و أدخل ربه في الحد معه بما وصفه به مما هو من صفات الممكنات فقد وجب عليه الطهر من ذلك فإن تنزيه العبد أن لا يخرج عن إمكانه و لا يدخل الواجب لنفسه في إمكانه فلا يقول يجوز أن يفعل الله كذا أو يجوز أن لا يفعله فإن ذلك يطلب المرجح و الحق له الوجوب على الإطلاق و الذي ينبغي أن يقال يجوز أن توجد الحركة من المتحرك و يجوز أن لا توجد فيفتقر إلى المرجح فإذا كان العالم بالله تعالى بهذه

المثابة وجب عليه الاغتسال و هو الطهر من هذا العلم بالعلم الذي لا يدخله تحت الجواز و سترد هذه المسألة إن شاء الله

(باب الاغتسال من الجنابة على وجه اللذة)

قد قررنا إن الجنابة هي الغربة و هي هنا غربة العبد عن موطنه الذي يستحقه و ليس إلا العبودية أو تغريب صفة ربانية عن موطنها فيتصف بها أو يصف بها ممكنا من الممكنات فيجب الطهر في هذه المسألة بلا خلاف و اعلم أن هذا الغسل الواحد المذكور في هذا الباب يتفرع منه مائة و خمسون حالا يجب الاغتسال على العبد في قلبه من كل حال منها و نحن نذكر لك أعيانها كلها إن شاء الله تعالى في عشرة فصول كل فصل منها يتضمن خمسة عشر حالا لتعرف كيف تلقاها إذا وردت على قلب العبد لأنه لا بد من ورودها على كل قلب من العوام و الخصوص و الله المؤيد و الملهم لا قوة إلا به فمن ذلك

(الفصل الأول) الجبروت و الألوهية و العزة و المهيمنية و الايمان و القيام و الشوق و الولاء و الظلمة و السحر و عموم الرحمة و خصوصها و السلامة و الطهارة و الملك

(الفصل الثاني) الكبرياء و الستر و الصورة و الخلق و البراءة و الإخلاص و الإقرار و البر و النصيحة و الحب و القهر و الهبة و الرزق و الفتوح و العلم

(الفصل الثالث) البسط و القبض و الإعزاز و رفع الدرج و خفض الميزان و الشرك و الإنصاف و الطاعة و الرضي و القناعة و الإذلال و الأصوات و الرؤية و القضاء و العدالة

(الفصل الرابع) اللطف و الاختبار و رفع الستور و العظمة و الحلم و الشكر و الاعتلاء و المحافظة و التقدير و الزيادة و الحدود و الهوى و المنازعة و الولاية و التمليك

(الفصل الخامس) الرحم و إدخال السرور و القطيعة و الخداع و الاستدراج و الحسبان و الجلالة و الكرم و المراقبة و الإجابة و الاتساع و الحكمة و الوداد و البعث و الشرف

(الفصل السادس) الشهادة و الحق المحلوف به و الوكالة و القوة و الصلابة في كل شيء و النصرة و الثناء و الإحصاء و الابتداء و الإعادة و الصدقة و القول و العفو و الأمر و النهي

(الفصل السابع) الأخلاق و المال و الجاه و الزيادة و الايمان و الحياة و الموت و الأحياء و القيومية و الوجدان و الاستشراف و الوحدة و الصمداني و القدرة و الاقتدار

(الفصل الثامن) التقديم و التأخير و الدار الأولى و الآخرة و الاختفاء و إشالة الحجب و الإحسان و الرجوع و الانتقام و الصفح و الحجر و النكاح و الرياء و الاختلاق و البهت

(الفصل التاسع) الرأفة و ملك الملك و الكرامات و الآجال و التعالي و المغالطة و الجمع و الاستغناء و التعدي و الكفاية و السخاء و الكذب و التكذيب و السياسة و النواميس

(الفصل العاشر) المنع و الهداية و الانتفاع و الضرر و النور و الابتداع و البقاء و التوارث و الرشد و الإيناس و الأذى و الامتنان و الحماسة و المقاومة و الجاسوس اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن جميع ما ذكرنا في هذه الفصول و ما تتضمنه كل حالة منها مما لم نذكره مخافة التطويل يجب على الإنسان طهارة باطنه و قلبه منه في مذهب أهل الله و خاصته من أهل الكشف بلا خلاف بين أهل الأذواق في ذلك و لكن يحتاج المتطهر من أكثرها إلى علم عزيز في كيفية الطهارة مما ذكرنا و قد يكون بعضها طهور البعض ثم نرجع إلى مقصودنا من إيراد الأحكام المشروعة في هذه الطهارة التي هي الاغتسال بالماء و اعتباراتها و أحكامها في الباطن فأقول قد ذكرنا في الوضوء على من تجب طهارته و متى يكون وجوبها فلا نحتاج إلى ذكر ما يشترك فيه الطهارتان

(باب التدلك باليد في الغسل في جميع البدن)

اختلف الناس من علماء الشريعة في التدلك باليد في جميع الجسد فمن قائل إن ذلك شرط في كمال الطهارة و من قائل ليس بشرط و أما مذهبنا فإيصال الماء إلى الجسد حتى يعمه بأي شيء كان يمكن إيصاله (وصل) حكم ذلك في الباطن الاستقصاء في طهارة الباطن لما فيها من الخفاء الذي تضمره النفوس من حب المحمدة عند الناس بما يظهر عنها من الخير فبأي وجه أمكن إزالة هذه الصفة و كل مانع يمنع من عموم طهارة الباطن فلم تحصل الطهارة

(باب النية في الغسل)

اختلف العلماء في شرط النية في الغسل فمن العلماء من اشترطها و به أقول و منهم من لم يشترطها (وصل اعتبارها في الباطن) لا بد من شرطها في طهارة الباطن فإنها روح العمل و حياته و النية من عمل الباطن فلا بد منها و قد تقدم الكلام عليها في أول الباب ظاهرا و باطنا

(باب المضمضة و الاستنشاق في الغسل)

اختلف العلماء علماء الشريعة في المضمضة و الاستنشاق في الغسل فمن قائل بوجوبها و من قائل بعدم وجوبها و الذي نذهب إليه في ذلك أن الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمها من حيث إنه متوضئ في اغتساله لا من حيث إنه مغتسل فإنه ما ورد أن النبي صلى الله عليه و سلم ما تمضمض و لا استنشق في غسله إلا في الوضوء فيه و ما رأيت أحدا نبه على مثل هذا في اختلافهم في ذلك فالحكم فيها عندي راجع إلى حكم الوضوء و الوضوء عندنا لا بد منه في الاغتسال من الجنابة و عندنا في هذه المسألة نظر في حالتين الحالة الواحدة فيمن جامع و لم ينزل فعليه وضوءان في اغتساله فإن جامع و أنزل فعليه وضوء واحد إلا أن مذهبنا أن التقاء الختانين دون إنزال لا يوجب الغسل و يوجب الوضوء و به قال أبو سعيد الخدري و غيره من الصحابة و الأعمش و قد تقدم الكلام في شرط الترتيب و الفور في الوضوء و اعتباره

(باب في ناقض هذه الطهارة التي هي الغسل)

فناقضها الجنابة و الحيض و الاستحاضة و التقاء الختانين فالحيض بلا خلاف و كذلك إنزال الماء على وجه اللذة في اليقظة بلا خلاف و ما عدا هذين بخلاف فإن بعض الناس من المتقدمين لا يرى على المرأة غسلا إذا وجدت الماء من الاحتلام مع وجود اللذة

(باب في إيجاب الطهر من الوطء)

فمن قائل بوجوبه أنزل أو لم ينزل إذا التقى الختانان و من قائل بوجوبه مع إنزال الماء و به أقول و بإنزال الماء من غير وطء و به قال جماعة من أهل الظاهر إنه يجب الطهر من الإنزال فقط (وصل في اعتباره في الباطن) الوطء توجه المؤثر على المؤثر فيه بضرب من الوهب فلا يخلو المؤثر فيه أن يكون حاضرا عارفا بخصوص ذلك المؤثر من الأسماء الإلهية فلا يجب عليه الطهر أو لا يكون فيجب عليه الطهر و قد يعطي ذلك المؤثر نومة القلب ثم لا يخلو هذا الاسم الإلهي أن يؤثر علم كون من الأكوان أو علما يتعلق بالله و على الحالتين فإن رأى نفسه موطئا و لم يأخذ بالله كالصدقة تقع بيد الرحمن و إن أخذها السائل و الله المعطي فيكون سبحانه المعطي و الآخذ فلا طهارة عليه في الباطن فإن بالحق تكون طهارة الأشياء فإن غاب عن هذا الشهود و رأى نفسه أنه هو الآخذ ما أنزله الله على قلبه من العلوم وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه و كذلك إذا وطئ غيره بمسألة يعلمه إياها بالحال أو بالقول فإن كان عن حضور فلا طهارة عليه فإنه ما زال على طهارته و إن رأى نفسه في تعليمه غيره بالحال أو بالقول وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه لا بد من ذلك فإن رجال الله في هذه الطريق بالله يتحركون و به يسكنون عن مشاهدة وكشف و عامتهم عن حضور اعتقاد و إيمان بما ورد بأن الأمر بيده و أن نواصي عباده و كل دابة بيده

(باب في الصفة المعتبرة في كون خروج المني موجبا للاغتسال)

اختلفت العلماء في الصفة المعتبرة في كون خروج المني موجبا للاغتسال فمن قائل باعتبار اللذة و من قائل بنفس الخروج سواء كان عن لذة أو بغير لذة (وصل) الاعتبار في هذا الباب اللذة من الملتذ بها إما أن تكون نفسية أو إلهية فإن كانت نفسية طبيعية فقد وجب الغسل و إن كانت غير نفسية فلا يخلو ذلك العلم الذي هو بمنزلة الجنابة إما أن يتعلق بالله أو يتعلق بكون من الأكوان فإن تعلق بالله و لذته غير نفسية فلا طهر عليه و إن تعلق بالأكوان فعليه الطهر سواء التذ أو لم يلتذ و معنى قولنا اللذة الإلهية أعني لذة الكمال لا لذة الوارد و لذة الكمال في العبد أن يكون عبدا محضا لا يتصف بالغربة عن موطنه في باطنه و لو خلع عليه الحق من صفات السيادة ما شاء من حضرته لا يخرجه ذلك عن موطنه و إذا كان كذلك فما هو ذو جنابة إذ لا غربة عنده فإنه ما برح في موطنه و هو غاية الكمال و الطهارة معرفة للنقص

(باب في دخول الجنب المسجد)

فمن قائل بالمنع بإطلاق و من قائل بالمنع إلا لعابر فيه غير مقيم و من قائل بإباحة ذلك للجميع و به أقول (وصل) الاعتبار في ذلك العارف من كونه عارفا لا يبرح عند الله دائما في الحديث جعلت لي الأرض كلها مسجدا و لا ينفك الجنب أن يكون في الأرض و إذا كان في الأرض فهو في

المسجد العام المشروع الذي لا يتقيد بشروط المساجد المعلومة بالعرف ثم إن العارف بل العالم كله علوه و سفله لا تصح في حاله الإقامة له فهو عابر أبدا مع الأنفاس فالعلماء بالله يشاهدون هذا العبور و غير العلماء بالله يتخيلون أنهم مقيمون و الوجود على خلاف ذلك فإن الإله الموجد في كل نفس موجد يفعل فلا يعطل نفسا واحدا تتصف منه بالإقامة كما قال كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و قال تعالى سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و قال بيده الميزان يخفض و يرفع و من قال بالمنع من ذلك غلب عليه رؤية نفسه إنه ليس بمحل طاهر حيث لم يتخلق بالأسماء الإلهية و لو تخلق بها و لم يفن عن تخلقه عنده فما تخلق بها و عندنا إن المتخلق بالأسماء مهما فني عن تخلقه بها فليس بمتخلق فإن المعنى بكونه متخلقا بها أي تقوم به كما يقوم الخلوق بالمتخلق به و قد يخلقه غيره فيكون عند ذلك مخلقا بالأخلاق الإلهية و ذلك أن العبد مأمور و الحق لا يأمر نفسه فالتخلق امتثال أمر الله بقوة الله و عونه فمن الأدب أن يرى المتخلق كونه متخلقا مكلفا و إن كان الحق سمعه و بصره أ ليس الحق قد أثبت عين عبده بالضمير في سمعه و بصره فأين يذهب هذا العبد و العين موجودة و غايته إن يكون صورة في هيولى الوجود المطلق مقيدة و ليس له بعد هذا مرتبة إلا العدم و العدم لا يقبل الصورة فافهم انتهى الجزء الثالث و الثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب مس الجنب المصحف)

اختلف علماء الشريعة في مس الجنب المصحف فذهب قوم إلى إجازة مس الجنب المصحف و منع قوم من ذلك (وصل في اعتبار ذلك) العالم كله كلمات الله في الوجود قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و قال تعالى ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ و قال تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ و الكلم جمع كلمة و يقول تعالى للشيء إذا أراده كُنْ فيكسو ذلك الشيء التكوين فَيَكُونُ فالوجود فيه رق منشور و العالم فيه كتاب مسطور بل هو مرقوم لأن له وجهين وجه يطلب العلو و الأسماء الإلهية و وجه يطلب السفل و هو الطبيعة فلهذا رجحنا اسم المرقوم على المسطور فكل وجه من المرقوم مسطور و في ذلك أقول

إن الكيان عجيب في تقلبه	فيه لناظره نقش و تحبير
انظر إليه ترى ما فيه من بدع	إذ كل وجه من المرقوم مسطور
أن الوجود لسر حار ناظره	الكون مرتقم و الرق منشور

فالأمر كما قلنا رق منشور و الأعيان فيه كتاب مسطور فهو كلمات الله التي لا تنفد فبيته معمور و سقفه مرفوع و حرمه ممنوع و أمره مسموع فأين يذهب هذا العبد و هو من جملة حروف هذا المصحف أَ غَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ هل تدعون الشريك لعينه لا و الله إلا لكونه في اعتقادكم إلها فالله دعوتم لا تلك الصورة و لهذا أجيب دعاؤكم و الصورة لا تضر و لا تنفع انظر في قوله قُلْ سَمُّوهُمْ فإن سموهم بهم فهم عينهم فلا يقولون في معبودهم حجر و لا شجر و لا كوكب ينحته بيده ثم يعبده فما عبد جوهره و الصورة

من عمله و إن سموهم بالإله عرفت أن الإله عبدوا هذا تحقيق الأمر في نفسه و قد أشارت الآية الواردة في القرآن إلى ما ذهبنا إليه بقوله تعالى وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فهو عندنا بمعنى حكم و عند من لا علم له من علماء الرسوم بالحقائق بمعنى أمر و بين المعنيين في التحقيق بون بعيد و في قول محمد صلى الله عليه و سلم معلما لنا أعبد الله كأنك تراه و في حديث جبريل معه صلى الله عليه و سلم حين سأله عن الإحسان بحضور جماعة من الصحابة ما هو فقال صلى الله عليه و سلم أن تعبد الله كأنك تراه فجاء بكأن و قد علمت إن الخيال خزانة المحسوسات و أن الحق ليس بمحسوس لنا و ما نعقل منه إلا وجوده فجاء بكان لندخله تحت قوة البصر فنلحقه بالوهم بالمحسوسات فقربنا من هؤلاء الذين عبدوه فيما نحتوه فتدبر ما أشرنا إليه فإن الأمر لا يكون إلا كما قرره الشارع فقرر في موضع ما أنكره في موضع آخر فالعالم منا أن يقرر ما قرره الحق في الموضع الذي قرره الحق و لينكر ما أنكره الحق في الموضع الذي أنكره الحق فما ثم إلا الايمان الصرف فلا تأخذ من سلطان عقلك إلا القبول فانظر ما أشرف حرف التمثيل الذي هو كان

فإنه خبر عنها مع الخبر		كان سلطاننا فانظر له خبرا
إن كنت تعلم أن العلم في النظر		كان حرف له في الكون سلطنة
و لا يقاومه خلق من البشر		هو الإمام الذي فيه نصرفه

و لا شك أن أهل الله جعلوا القلب كالمصحف الذي يحوي على كلام الله كما إن القلب قد وسع الحق جل جلاله حين ضاق عنه السماء و الأرض فكما أمرنا بتنزيه القلب عن إن يكون فيه دنس من دخول الأغيار فيه و رأينا أن المصحف قد حوى على كلام الله و هو صفته و الصفة لا تفارق الموصوف فمن نزه الصفة نزه الموصوف و من راعى الدليل على أمر ما فقد راعى المدلول الذي هو ذلك الأمر فعلى كلا المذهبين ينبغي أن ينزه المصحف أن يمسه جنب و قد نهينا أن نسافر بالقرآن إلى أرض العدو فسمي المصحف قرآنا لظهوره فيه و ما نهى حملة القرآن عن السفر إلى أرض العدو و إن كان القرآن في أجوافهم محفوظا مثل ما هو في المصحف و ذلك لبطونه فيهم ألا ترى النبي صلى الله عليه و سلم كان لا يحجزه شيء عن قراءة القرآن ليس الجنابة لظهور القرآن عند القراءة بالحروف التي ينطق بها التي أخبرنا الحق أنها كلامه تعالى فقال لنبيه صلى الله عليه و سلم فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ فتلاه عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا ينبغي للجنب و هو الغريب عما يستحقه الحق فإن البعد بالحقائق و الحدود ما يكون فيه قرب أبدا و بعد المسافة قد يقرب صاحبها من صاحبها الذي يريد قربه فكما لا يكون الرب عبدا كذلك لا يكون العبد ربا لأنه لنفسه هو عبد كما إن الرب لذاته هو رب فلا يتصف العبد بشيء من صفات الحق بالمعنى الذي اتصف بها الحق و لا الحق يتصف بما هو حقيقة للعبد فالجنب لا يمس المصحف أبدا بهذا الاعتبار و لا ينبغي أن يقرأه في هذه الحال و ينبغي للعبد أن لا تظهر عليه إلا العبادة المحضة فإنه جنب كله فلا يمس المصحف فإن تخلق فحينئذ تكون يد الحق تمس المصحف فإنه قال عن نفسه في العبد إذا أحبه أنه يده التي يبطش بها فانظر في هذا القرب المفرط و هذا الاتحاد أين هو من بعد الحقائق و الله ما عرف الله إلا الله

فلا تتعب نفسك يا صاحب النظر و در مع الحق كيفما دار و خذ منه ما يعرفك به من نفسه و لا تقس فتفتلس لا بل تبتئس و تعلم أن يد الحق طاهرة على أصلها مقدسة كطهارة الماء المستعمل في العبادة فتنبه لما عرفتك به في هذا الفصل

(باب قراءة القرآن للجنب)

اختلف علماء الشريعة في ذلك فمن الناس من منع قراءة القرآن للجنب بحد و بغير حد و من الناس من أجاز ذلك و أما الوارث عندي فلا يقرأ القرآن جنبا اقتداء بمن ورثه لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ و لم يكن يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة و لكن الغالب عندي من قرينة الحال أنه كره أن يذكر الله تاليا إلا على طهارة كاملة فإنه تيمم لرد السلام و قال إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر أو قال على طهارة و من الناس من أجاز للجنب قراءة القرآن بحد و بغير حد و به أقول بغير حد أيضا و لكن أكرهه اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم (وصل الاعتبار في ذلك) المقتدى بأفعال رسول الله صلى الله عليه و سلم يمنع من قراءة القرآن في الجنابة بغير حد و قد أعلمناك أن الجنابة هي الغربة و الغربة نزوح الشخص عن موطنه الذي ربي فيه و ولد فيه فمن اغترب عن موطنه حرم عليه الاتصاف بالأسماء الإلهية في حال غربته قال تعالى ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ كما كان عند نفسه في زعمه فإنه تغرب عن موطنه فهو صاحب دعوى و الذي أقول في هذه المسألة لأهل التحقيق أن القرآن ما سمي قرآنا إلا لحقيقة الجمعية التي فيه فإنه يجمع ما أخبر الحق به عن نفسه و ما أخبر به عن مخلوقاته و عباده مما حكاه عنهم فلا يخلو هذا الجنب في تلاوته إذا أراد أن يتلو إما أن ينظر و يحضر في أن الحق يترجم لنا بكلامه ما قال عباده أو ينظر فيه من حيث المترجم عنه فإن نظر من حيث المترجم عنه فيتلو و بالأول فلا يتلو حتى يتطهر في باطنه و صورة طهارة باطنه أن يكون الحق لسانه الذي يتكلم به كما كان الحق يده في مس المصحف فيكون الحق إذ ذاك هو يتلو كلامه لا العبد الجنب ثم إنه للعارف فيما يتلوه الحق عليه من صفات ذاته مما لا يخبر به عن أحد من خلقه و من كونه كلم عبده بهذا القرآن فليس المقصود من ذلك التعريف إلا قبوله و قبوله لا يكون إلا بالقلب فإذا قبله الايمان لم يمتنع من التلفظ به فإن القرآن في حقنا نزل و لهذا هو محدث الإتيان و النزول قديم من كونه صفة المتكلم به و هو الله و إنما قول من قال عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إنه لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة فما هو قول رسول الله صلى الله عليه و سلم و إنما هو قول الراوي و ما هو معه في كل أحيانه فالحاصل منه أن يقول ما سمعته يقرأ القرآن في حال جنابته أي ما جهر به و لا يلزم قارئ القرآن الجهر به إلا فيما شرع الجهر به كتلقين المتعلم و كصلاة الجهر و النهي ما صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك و ما ورد و الخير لا يمنع منه

(باب الحكم في الدماء)

اعلم أن الدماء ثلاثة دم حيض و دم استحاضة و دم نفاس و هذه كلها مخصوصة بالمرأة لا حكم للرجل فيها فليكن الاعتبار في ذلك للنفس فإن الغالب عليها التأنيث فإن الله قال فيها النفس اللوامة و المطمئنة فأنثها و لا حظ للقلب في هذه الدماء و لا للروح فنقول إن أهل الطريق من

المتقدمين و جماعة من غيرهم ممن اشترك مع أهل الله في الرياضات و المجاهدات من العقلاء قد أجمعوا على أن الكذب حيض النفوس فليكن الصدق على هذا طهارة النفس من هذا الحيض فدم الحيض ما خرج على وجه الصحة و دم الاستحاضة ما خرج على وجه المرض فإنه خرج لعلة و لهذا حكم فاعتبار ه أن حيض النفس و هو الكذب و هو كما قلنا دم يخرج على وجه الصحة فهو الكذب على الله الذي يقول الله تعالى فيه وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ و قول رسول الله صلى الله عليه و سلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فقوله متعمدا هو خروجه على وجه الصحة و أما صاحب الشبهة فلا فهذا يكذب و يعرف أنه يكذب و صاحب الشبهة يقول إنه صادق عند نفسه و هو كاذب في نفس الأمر و أما اعتبار دم الاستحاضة و هو الكذب لعلة فلا يمنع من الصلاة و لا من الوطء و هذا يدلك على أنه ليس بأذى فإن الحيض هو أذى فيتأذى الرجل بالنكاح في دم الحيض و لا يتأذى به في دم الاستحاضة و إن كان عن مرض فإن هذا الكذب و إن كان يدل على الباطل و هو العدم فإن له رتبة في الوجود و هو التلفظ به و كان المراد به دفع مضرة عما ينبغي دفعها بذلك الكذب أو استجلاب منفعة مشروعة مما ينبغي أن يظهر مثل هذا فيها و بسببها فيكون قربة إلى الله حتى لو صدق في هذا الموطن كان بعدا عن الله ألا ترى المستحاضة لا تمتنع من الصلاة مع سيلان دمها و أما دم النفاس فهو عين دم الحيض فإذا زاد على قدر زمان الحيض أو خرج عن تلك الصفة التي لدم الحيض خرج عن حكم الحيض و العناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس فإن الله ما أمسكه في الرحم ثم أرسله إلا ليزلق به سبيل خروج الولد رفقا بأمه فيسهل على المرأة به خروج الولد و خروج الولد هو النشء الطاهر الخارج على فطرة الله و الإقرار بربوبيته التي كانت له في قبض الذر فكان الدم النفاس بهذا القصد خصوص وصف كالمعين لبقاء ذكر الله بإبقاء الذاكر من جهة وصف خاص و لدم النفاس زمان و مدة في الشرع كما لدم الحيض و دم الاستحاضة ما له مدة يوقف عندها

(باب في أكثر أيام الحيض و أقلها و أقل أيام الطهر)

اختلف العلماء في هذا فمن قائل أكثر أيام الحيض خمسة عشر يوما و من قائل أكثرها عشرة أيام و من قائل أكثر أيام الحيض سبعة عشر يوما و أما أقل أيام الحيض فمن قائل لا حد له في الأيام و به أقول فإن أقل الحيض عندنا دفعة و من قائل أقله يوم و ليلة و من قائل أقله ثلاثة أيام و أما أقل أيام الطهر فمن قائل عشرة أيام و من قائل ثمانية أيام و من قائل خمسة عشر و من قائل سبعة عشر و من قائل ساعة و به أقول و لا حد لأكثره

(وصل اعتبار هذا الباب)

زمان كذب النفس النية فيمتد بامتداد ما نوته حتى يطهر بالتوبة من ذلك فلا حد لأكثره و لا لأقله و كذلك زمان الطهر لا حد له جملة واحدة فإنه لا حد للصدق غير أنه تحكم عليه المواطن الشرعية بالحمد و الذم و أصله الحمد كما أن الكذب تحكم عليه المواطن بالحمد و الذم و أصله الذم فالواجب عليه أن يصدق دائما إلا أن يحكم الحال و الواجب عليه ترك الكذب دائما إلا أن يحكم عليه حال ما و هو الكذب للعلة فأشبه دم الاستحاضة

(باب في دم النفاس في أقله و أكثره)

اختلف العلماء في هذه المسألة فمن قائل لا حد لأقله و به أقول و من قائل حده خمسة و عشرون يوما و من قائل حده أحد عشر يوما و من قائل عشرون يوما و أما أكثر زمانه فمن قائل ستون يوما و من قائل سبعة عشر يوما و من قائل أربعون يوما و من قائل للذكر ثلاثون يوما و للأنثى أربعون يوما و الأولى أن يرجع في ذلك إلى أحوال النساء فإنه ما ثبتت فيه سنة يرجع إليها

(وصل اعتبار ه في الباطن)

لا حد للنية من الزمان كما قلنا في اعتبار دم الحيض فإن دم الحيض هو عين دم النفاس و قد اعتبرناه فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال للحائض أ نفست بهذا اللفظ

(باب في الدم تراه الحامل)

اختلف فيه هل هو دم حيض أو هو دم استحاضة و حكم كل قائل فيه بحكم ما ذهب إليه

(وصل اعتبار حكمه في الباطن)

الحامل صفة النفس إذا امتلأت بالأمر الذي تجده فتبديه على غير وجهه و هو الكذب و قد يكون ذلك عن عادة اعتادها كما قال بعضهم

لا يكذب المرء إلا من مهانته　　　أو عادة السوء أو من قلة الأدب

أما قوله من مهانته فإن الملوك لا تكذب و قوله من قلة الأدب لما جاء في الخبر أن الشخص إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلا من نتن ما جاء به فالكاذب فيما لا يجوز له الكذب فيه أساء الأدب مع الملك فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم و الإنسان يتأذى بالنتن كذلك الملك لقرب الشبه بين نشء الملك و نشء روح الإنسان

(باب في الصفرة و الكدرة هل هي حيض أم ليست بحيض)

اختلف العلماء في الصفرة و الكدرة هل هي حيض أم لا فمن قائل إنها حيض في أيام الحيض و من قائل لا تكون حيضا إلا بأثر الدم و من قائل ليست حيضا و به أقول

(وصل اعتبار ه في الباطن)

الكذب بشبهة ليس صاحبه ممن تعمد الكذب و الأولى تركه إذا عرف أن ذلك شبهة فإنها ما سميت شبهة إلا لكونها تشبه الحق من وجه و تشبه الباطل من وجه فالأولى ترك مثل هذا إلا أن يقترن معها دفع مضرة أو حصول منفعة دينية أو دنياوية بخلاف الكذب المحض الذي هو لعينه و هذا لا يقع فيه عاقل أصلا و أما الكذب الذي هو بمنزلة دم الاستحاضة فيعتبر فيه صلاح الدين لصلاح الدنيا

(باب فيما يمنع دم الحيض في زمانه)

اعلم أن الحيض في زمانه يمنع من الصلاة و الصيام و الوطء و الطواف

(وصل اعتبار ذلك في الباطن)

الكذب في المناجاة و هو أن تكون في الصلاة بظاهرك و تكون مع غير الله في باطنك من محرم و غيره اعتبار ه في الصوم فالصوم هو الإمساك و أنت ما مسكت نفسك عن الكذب كالحائض لا تمسك عن الأكل و الشرب و هو الكذب الواجب إتيانه شرعا و هو محمود و اعتبار ه في الطواف بالبيت و هو المشبه بأفضل الأشكال و هو الدور فهو كذب إلى غير نهاية فهو الإصرار على الكذب و اعتبار ه في الجماع أما الجماع فقصد المؤمن به كون الولد و المقدمات إذا كانت كاذبة خرجت النتيجة عن أصل فاسد و قد تصدق النتيجة و قد تكون مثل مقدماتها فالأذى يعود على فاعل الجماع يقول في زمان الكذب لا تحضر الله تعالى بخاطرك فإنه سوء أدب مع الله و قلة حياء منه و جراءة عليه و كيف ينبغي للعبد أن يجرأ على سيده و لا يستحيي منه مع علمه و تحققه أنه يراه قال تعالى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَرَى

(باب في مباشرة الحائض)

اختلف العلماء في صورة مباشرة الحائض فقال قوم يستباح من الحائض ما فوق الإزار و قال قوم لا يجتنب من الحائض إلا موضع الدم خاصة و به أقول

(وصل اعتبار ه في الباطن)

قلنا إن الحيض كذب النفوس قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم أ يزني المؤمن قال نعم قيل أ يشرب المؤمن قال نعم قيل أ يسرق المؤمن قال نعم قيل له أ يكذب المؤمن قال لا فإذا رأت نفسك نفسا أخرى تفعل ما لا ينبغي فأكد أن تجتنب من أفعالها الكذب على الله و على رسوله و الراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه و من عود نفسه الكذب على الناس يستدرجه الطبع حتى يكذب على الله فإن الطبع يسرقه يقول تعالى وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ فتوعد عباده أشد الوعيد إذا هم افتروا على الله الكذب و هذا الحكم سار في كل من كذب على الله و قد ورد فيمن يكذب في حلمه أنه يكلف أن يعقد بين شعيرتين من نار لمناسبة ما جاء به من تأليف ما لا يصح ائتلافه فلم يأتلف في نفس الأمر و كذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبدا و هذا تكليف ما لا يطاق فما عذبه الله يوم القيامة إلا بفعله لا بغير ذلك

(باب وطء الحائض قبل الاغتسال و بعد الطهر المحقق)

قال تعالى وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ بسكون الطاء و ضم الهاء مخففا و قرئ بفتح الطاء و الهاء مشددا فمن قائل بجوازه على قراءة من خفف و من قائل بعدم جوازه على قراءة من شدد و هو محتمل و بالأول أقول و من قائل إن ذلك جائز إذا طهرت لأكثر أمد الحيض في مذهبه و من قائل إن ذلك جائز إذا غسلت فرجها بالماء و به أقول أيضا

(وصل) اعتبا ره في الباطن ما يلقيه المعلم من العلم في نفس المتعلم إذا كان حديث عهد بصفة الدعوى الكاذبة لرعونة نفسه فله أن يلقي إليه من العلم المتعلق بالتكوين ما يؤديه إلى استعمال غسل واحد فرد بنيتين فيكون له الأجر مرتين و إن لم يتب من تلك الدعوى إلا أنه غير قائل بها في الحال فهو طاهر المحل بالغفلة في ذلك الوقت فإن خطر له خاطر الرجوع عن تلك الدعوى فهو بمنزلة المرأة تغسل فرجها بعد رؤية الطهر و إن لم تغتسل فإن تاب من الدعوى بالعمل بذلك الخاطر كان كالاغتسال للمرأة بعد الطهر

(باب من أتى امرأته و هي حائض هل يكفر)

فمن قائل لا كفارة عليه و به أقول و من قائل عليه الكفارة (وصل) اعتبا ره في الباطن العالم يعطي الحكمة غير أهلها فلا شك أنه قد ظلمها فمن رأى أن لهذا الفعل كفارة فكفارته أن ينظر من فيه أهلية لعلم من العلوم النافعة عند الله الدينية و هو متعطش لذلك فيبادر من نفسه إلى تعليمه و تبريد غلة عطشه فيضع في محلها و عند أهلها فيكون ذلك كفارة لما فرط في الأول و من لم ير لذلك كفارة قال يتوب و يستغفر الله و ليس عليه طلب تعليم غيره على جهة الكفارة

(باب حكم طهارة المستحاضة)

اختلف علماء الشريعة في طهر المستحاضة ما حكمها فمن قائل ليس عليها سوى طهر واحد إذا عرفت أن حيضتها انقضت و لا شيء عليها لا وضوء و لا غسل و حكمها حكم غير المستحاضة و به أقول و قسم آخر ممن يقول إنه ما عليها سوى طهر واحد إن عليها الوضوء لكل صلاة و هو أحوط و من قائل إنها تغتسل لكل صلاة و من قائل إنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد

(وصل اعتبار الباطن في ذلك)

في مذهبنا أنه ليس على المستحاضة من كونها مستحاضة طهر كذلك النفس إذا كذبت لمصلحة مشروعة أوجب الشرع عليها فيها الكذب أو أباحه لا بل يكون عاصيا إن صدق في تلك الحالة فلا توبة عليها من تلك الكذبة فكما أن دم الاستحاضة ليس عين دم الحيض و إن اشتركا في الدمية و المحل كذلك الكذب المشروع إباحته الحلال ليس عين الكذب المحرم وقوعه منه و إن اشتركا في كونه كذبا و هو الأخبار بما ليس الأمر عليه في نفسه فمن رأى التوبة من كون إطلاق اسم الكذب عليه بالحقيقة و إن كان مباحا أو واجبا كحبيب العجمي في حديثه مع الحسن البصري لما طلبه الحجاج للقتل و الحكاية مشهورة قال بالتوبة منه كما قال بغسل المستحاضة للاشتراك في اسم الحيض فإن الاستحاضة استفعال من الحيض

(باب في وطء المستحاضة)

اختلف علماء الشريعة فيه على ثلاثة أقوال قول بجوازه و به أقول و قول بعدم جوازه و قول بعدم جوازه إلا أن يطول ذلك بها

(وصل) اعتباره في الباطن لا يمتنع تعليم من تعلم منه أنه لا يكذب إلا لسبب مشروع و علة مشروعة فإن ذلك لا يقدح في عدالته بل هو نص في

عدالته و قد وقع مثل هذا من الأكابر الكمل من الرجال

(أبواب التيمم)

التيمم القصد إلى الأرض الطيبة كان ذلك الأرض ما كان مما يسمى أرضا ترابا كان أو رملا أو حجرا أو زرنيخا فإن فارق الأرض شيء من هذا كله و أمثاله لم يجز التيمم بما فارق الأرض من ذلك إلا التراب خاصة لورود النص فيه و في الأرض سواء فارق الأرض أو لم يفارق (وصل) اعتباره في الباطن القصد إلى الأرض من كونها ذلولا و هو القصد إلى العبودية مطلقا لأن العبودية هي الذلة و العبادة منها فطهارة العبد إنما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه من الذلة و الافتقار و الوقوف عند مراسم سيده و حدوده و امتثال أوامره فإن فارق النظر من كونه أرضا فلا يتيمم إلا بالتراب من ذلك لأنه من تراب خلق من نحن أبناؤه و بما بقي فيه من الفقر و الفاقة من قول العرب تربت يد الرجل إذا افتقر ثم أن التراب أسفل العناصر فوقوف العبد مع حقيقته من حيث نشأته طهوره من كل حدث يخرجه من هذا المقام و هذا لا يكون إلا بعدم وجدان الماء و الماء العلم فإن بالعلم حياة القلوب كما بالماء حياة الأرض فكأنه حالة المقلد في العلم بالله و المقلد عندنا في العلم بالله هو الذي قلد عقله في نظره في معرفته بالله من حيث الفكر فكما أنه إذا وجد المتيمم الماء أو قدر على استعماله بطل التيمم كذلك إذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الإلهي بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسألة و لا سيما إذا لم يوافقه في دليله كان الرجوع بدليل العقل إلى الشرع فهو ذو شرع و عقل معا في هذه المسألة فاعلم ذلك

(باب كون التيمم بدلا من الوضوء باتفاق و من الكبرى بخلاف)

اتفق العلماء بالشريعة أن التيمم بدل من الطهارة الصغرى و اختلفوا في الكبرى و نحن لا نقول فيها إنها بدل من شيء و إنما نقول إنها طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع فإنه ما ورد شرع من النبي صلى الله عليه و سلم و لا من الكتاب العزيز أن التيمم بدل فلا فرق بين التيمم و بين كل طهارة مشروعة و إنما قلنا مشروعة لأنها ليست بطهارة لغوية و سيأتي التفصيل في فصول هذا الباب إن شاء الله تعالى فمن قائل إن هذه الطهارة أعني طهارة التراب بدل من الكبرى و من قائل إنها لا تكون بدلا من الكبرى و إنما نسب لفظة الصغرى و الكبرى للطهارة لعموم الطهارة في الاغتسال لجميع البدن و خصوصها ببعض الأعضاء في الوضوء فالحدث الأصغر هو الموجب للوضوء و الحدث الأكبر هو كل حدث يوجب الاغتسال (وصل) اعتباره في الباطن أن كل حدث يقدح في الايمان يجب منه الاغتسال بالماء الذي هو تجديد الايمان بالعلم إن كان من أهل النظر في الأدلة العقلية فيؤمن عن دليل عقلي فهو كواجد الماء القادر على استعماله و إن لم يكن من أهل النظر في الأدلة و كان مقلد ألزمته الطهارة بالإيمان من ذلك الحدث الذي أزال عنه الايمان بالسيف أو حسن لظن فهو المتيمم بالتراب عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعمال الماء و هذا على مذهب من يرى أن التيمم بدل أيضا من الطهارة الكبرى فيرى التيمم للجنب و أما على مذهب من يرى أن الجنب لا يتيمم كابن مسعود و غيره هو الذي لا يرى التقليد في الايمان بل لا بد من معرفة الله و ما يجب له و يجوز و يستحيل بالدليل النظري و

قال به جماعة من المتكلمين و أما كونه أعني التيمم بدلا من الطهارة الصغرى فهو أن يقدح له حدث في مسألة معينة لا في الايمان لعدم النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع في ذلك فكما جاز له التيمم في هذه الطهارة الصغرى على البدل جاز له القياس في الحكم في تلك المسألة لعلة جامعة بين هذه المسألة التي لا حكم فيها منطوقا به و بين مسألة أخرى منطوق الحكم فيها من كتاب أو سنة أو إجماع و مذهبنا في قولنا إن التيمم ليس بدلا بل هو طهارة مشروعة مخصوصة معينة لحال مخصوص شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة و هو الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم فما هي بدل و إنما هو عن استخراج الحكم في تلك المسألة من نص ورد في الكتاب أو في السنة يدخل الحكم في هذه المسألة في مجمل ذلك الكلام و هو الفقه في الدين قال تعالى لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ و لا يحتاج إلى قياس في ذلك مثال ذلك رجل ضرب أباه بعضا أو بما كان فقال أهل القياس لا نص عندنا في هذه المسألة و لكن لما قال تعالى فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا قلنا فإذا ورد النهي عن التأفيف و هو قليل فالضرب بالعصا أشد فكان تنبيها من الشارع بالأدنى على الأعلى فلا بد من القياس عليه فإن التأفيف و الضرب بالعصا يجمعهما الأذى فقسنا الضرب بالعصا المسكوت عنه على التأفيف المنطوق به و قلنا نحن ليس لنا التحكم على الشارع في شيء مما يجوز أن يكلف به و لا التحكم و لا سيما في مثل هذا لو لم يرد في نطق الشرع غير هذا لم يلزمنا هذا القياس و لا قلنا به و لا ألحقناه بالتأفيف و إنما حكمنا بما ورد و هو قوله تعالى وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً فأجمل الخطاب فاستخرجنا من هذا المجمل الحكم في كل ما ليس بإحسان و الضرب بالعصا ما هو من الإحسان المأمور به من الشرع في معاملتنا لآبائنا فما حكمنا إلا بالنص و ما احتجنا إلى قياس فإن الدين قد كمل و لا تجوز الزيادة فيه كما لم يجز النقص منه فمن ضرب أباه بالعصا فما أحسن إليه و من لم يحسن لأبيه فقد عصى ما أمره الله به أن يعامل به أبويه و من رد كلام أبويه و فعل ما لا يرضي أبويه مما هو مباح له تركه فقد عقهما و قد ثبت أن عقوق الوالدين من الكبائر فلهذا قلنا إن الطهارة بالتراب و هو التيمم ليس بدلا بل هي مشروعة كما شرع الماء و لها وصف خاص في العمل فإنه بين أنا لا نعمل به إلا في الوجوه و لا يدي و الوضوء و الغسل ليسا كذلك و ينبغي للبدل أن يحل محل المبدل منه و هذا ما حل محل المبدل منه في الفعل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(باب فيمن تجوز له هذه الطهارة)

اتفق علماء الشريعة على أن التيمم يجوز للمريض و المسافر إذا عدما الماء و عندنا أو عدم استعمال الماء مع وجوده لمرض قام به يخاف أن يزيد به المرض أو يموت لورود النص في ذلك (وصل اعتباره في الباطن) المسافر صاحب النظر في الدليل فإنه مسافر بفكره في منازل مقدماته و طريق ترتيبها حتى ينتج له الحكم في المسألة المطلوبة و المريض هو الذي لا تعطي فطرته لنظر في الأدلة لما يعلم من سوء فطرته و قصوره عن بلوغ المقصود من النظر بل الواجب أن يزجر عن النظر و يؤمر بالإيمان تقليدا و قد قلنا فيما قبل إن المقلد في الايمان كالمتيمم بالتراب لأن التراب لا يكون في الطهارة أعني النظافة مثل الماء و لكن نسميه طهورا شرعا أعني التراب خاصة بخلاف الماء فإني أسميه طهورا شرعا و عقلا فصاحب النظر و إن آمن أو لا تقليدا فإنه يريد البحث عن الأدلة و النظر فيما آمن به لا على الشك ليحصل له العلم بالدليل الذي نظر فيه

فيخرج من التقليد إلى العلم أو يعمل على ما قلد فيه فينتج له ذلك العمل بالله فيفرق به بين الحق و الباطل عن بصيرة صحيحة لا تقليد فيها و هو علم الكشف قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و هو عين ما قلناه و قال وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ و قال الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ و قال آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً و قد ورد أن العلماء ورثة الأنبياء فسماهم علماء و أن الأنبياء ما ورثوا دينارا و لا درهما و إنما ورثوا العلم و الأخذ للعلم بالمجاهدة و الأعمال أيضا سفر فكما سافر العقل بنظره الفكري في العالم سافر العامل بعمله و اجتمعا في النتيجة و زاد صاحب العمل أنه على بصيرة فيما علم لا يدخله شبهة و صاحب النظر ما يخلو عن شبهة تدخل عليه في دليله فصاحب العمل أولى باسم العالم من صاحب النظر و سيأتي الكلام فيما يجوز من السفر و فيما لا يجوز في صلاة المسافر من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

(باب في المريض يجد الماء و يخاف من استعماله)

اختلف العلماء بالشريعة في المريض يجد الماء و يخاف من استعماله فمن قائل بجواز التيمم له و به أقول و لا إعادة عليه و من قائل لا يتيمم مع وجود الماء سواء في ذلك المريض و الخائف و من قائل في حقهما يتيمم ويعيد الصلاة إذا وجد الماء و من قائل يتيمم و إن وجد الماء قبل خروج الوقت توضأ و أعاد و إن وجده بعد خروج الوقت لا إعادة عليه (وصل اعتبار ذلك في الباطن) المريض هو الذي لا تعطي فطرته النظر و أنه مرض مزمن مع وجود الأدلة إلا أنه يخاف عليه من الهلاك و الخروج عن الدين إن نظر فيها لقصوره و قد رأينا جماعة منهم خرجوا عن الدين بالنظر لما كانت فطرتهم معلولة و هم يزعمون أنهم في ذلك على علم صحيح فهم كما قال الله وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً فيأخذ مثل هذا إن أراد النجاة العقائد تقليدا كما أخذ الأحكام و ليقلد أهل الحديث دون غيرهم و هذا تقليد الحديث النبوي في الله على علم الله فيه من غير تأويل فيه بتنزيه معين و لا تشبيه و على هذا أكثر العامة و هم لا يشعرون فهذا هو المريض الذي يجد الماء و يخاف من استعماله في الاعتبار

(باب الحاضر يعدم الماء ما حكمه)

فمن قائل بجواز التيمم له و به أقول و من قائل لا يجوز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء (وصل اعتبار ذلك في الباطن) الحاضر هو المقيم على عقده الذي ربط عليه من آبائه و مربيه ثم عقل و رجع إلى نفسه و استقل هل يبقى على عقده ذلك أو ينظر في الدليل حتى يعرف الحق فمن قائل يكفيه ما رباه عليه أبواه أو مربيه و يشتغل بالعمل فإن النظر قد يخرجه إلى الحيرة فلا يؤمن عليه فهو الذي قال بالتيمم عند عدم الماء و قد قدمنا أن الماء هو العلم للاشتراك في الحياة به فإن هذا الحاضر الدليل معدوم عنده على الحقيقة فإنه لا يرى مناسبة بين الله و بين خلقه فلا يكون الخلق دليلا سادا على معرفة ذات الحق فبقاؤه عنده على تقليده أولى و من قال لا يجوز له التيمم و إن عدم الماء يقول لا يقلد و إن لم ينظر في الدليل فإن الايمان إذا خالط بشاشة القلوب لزمته و استحال رجوعها عنه و لا يدري كيف حصل و لا كيف هو فهو علم ضروري عنده

فقد خرج عن حكم ما يعطيه التقليد مع كونه ليس بناظر و لا صاحب دليل و على هذا أكثر الناس في عقائدهم فعدم الماء في حق هذا الحاضر هو عدم الأمان على نفسه أن يوقعه النظر في شبهة تخرجه عن الايمان

(باب في الذي يجد الماء و يمنعه من الخروج إليه خوف عدو)

اختلف العلماء فيمن هذه حالته فمن قائل يجوز له التيمم و به أقول و من قائل لا يتيمم (وصل اعتبار ه في الباطن) الخوف من البحث عن الدليل لينظر فيه ليؤديه إلى العلم بالمدلول جهل بعين الدليل أنه دليل فلا بد من أحد الأمرين إما أن يقلد أحدا في أن هذا دليل على أمر ما يعينه له أو يفتقر إلى نظر و فكر فيما ينبغي أن يتخذه دليلا على معرفة الله فإن كان الأول فليبق على تقليده في معرفة الله و هو الذي يقال له تيمم و من قال لا يجوز له التيمم قال إن هذا الخوف لا يلزمه أن لا ينظر فلينظر لا و لا بد

(باب الخائف من البرد في استعمال الماء)

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل بجواز التيمم إذا غلب على ظنه أنه يمرض إن استعمل الماء و من قائل لا يجوز له التيمم و بالأول أقول (وصل اعتبار ذلك في الباطن) الصوفي ابن وقته فإن كان وقته الصحة فهو غير مريض أو غير شديد المرض فلا يتيمم فإن الوهم لا ينبغي أن يقضي على العلم و الخوف هنا قد يكون وهما فلا يبقى مع تقليده و لينظر في الأدلة و لا بد و من قال لا يجوز له التيمم و إن كان وقته الخوف فليس بصحيح فإن الخوف علة و مرض فليبق على تقليده و لا بد

(باب النية في طهارة التيمم)

اختلف العلماء في النية في طهارة التيمم فمن قائل إنها تحتاج إلى نية و من قائل لا تحتاج إلى نية و بالأول أقول فإن الله قال لنا وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و التيمم عبادة و الإخلاص عين النية (وصل اعتبار ذلك في الباطن) إذا كان العقد عن علم ضروري أو عن حسن ظن بعالم أو بوالد فلا يحتاج إلى نية فإن شرط النية أن توجد منه عند الشروع في الفعل مقارنة للشروع و من كانت عقيدته بهذه المثابة فما هو صاحب فعل حتى يفتقر إلى نية فإن إرادة الحق تعالى الذي هو الخالق لذلك الفعل كافية في الباب فإنه لا يوجد شيئا إلا عن تعلق إرادة منه سبحانه لإيجاده و لا يكونه إلا بها قال تعالى إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ و هذا فعل يوجده في العبد فلا بد من حكم ما ذكر فيه فكان مذهب زفر في هذه المسألة أوجه في باطن الأمر من مذهب الجماعة إلا أن يكون كافر أسلم فهذا يفتقر إلى نية لأنه ما استصحبه شيء من القربة إلى الله بهذا الشرع الخاص المسمى إسلاما و لا كان عنده قبل إسلامه بل كان يرى أن ذلك كفر و الدخول فيه يبعد عن الله

(باب من لم يجد الماء هل يشترط فيه الطلب أم لا يشترط)

اختلف العلماء فيمن هذه صفته فمن قائل يشترط الطلب و لا بد و من قائل لا يشترط الطلب و به أقول (وصل اعتبار ذلك في الباطن) لا يلزم المقلد البحث عن دليل من قلد في الفروع و لا في الأصل و إنما الذي يتعين على المقلد إذا لم يعلم السؤال عن الحكم في الواقعة لمن يعلم أنه يعلم

من أهل الذكر فيفتيه قال تعالى فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ و من رأى أنه يشترط طلب الماء فهو الذي يطلب من المسئول دليله على ما أفتاه به في مسألته هل هو من الكتاب أو السنة أو يطلب منه أن يقول له هذا حكم الله أو حكم رسوله أخذ به و إن قال له هذا رأيي كما يقول أصحاب الرأي في كتبهم فإنه يحرم عليه اتباعه فيه فإن الله ما تعبده إلا بما شرع له في كتاب أو سنة و ما تعبد الله أحدا برأي أحد

(باب اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة)

اختلف أهل العلم رضي الله عنهم في اشتراط دخول الوقت في هذه الطهارة فمن قائل به و به أقول و من قائل بعدم هذا الشرط فيها (وصل اعتبار في الباطن) الوقت هو عندنا إذا تعين تعلق خطاب الشرع بالمكلف فيما كلفه به ظاهرا و باطنا فهو في الباطن تجل إلهي يرد على القلب فجأة يسمى الهجوم في الطريق

(باب في حد الأيدي التي ذكر الله عز و جل في هذه الطهارة)

فإن الله يقول فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ فاختلف أهل العلم رضوان الله عليهم في حد الأيدي في هذه الطهارة فمن قائل حدها مثل حدها في الوضوء و من قائل هو مسح الكف فقط و من قائل إن الاستحباب إلى المرفقين و الفرض الكفان و من قائل إن الفرض إلى المناكب و الذي أقول به إن أقل ما يسمى يدا في لغة العرب يجب فما زاد على أقل مسمى اليد إلى غايته فذلك له و هو مستحب عندي (وصل اعتبار الباطن في ذلك) لما كان التراب و الأرض أصل نشأة الإنسان و هو تحقيق عبوديته و ذلته ثم عرض له عارض الدعوى بكون الرسول قال فيه صلى الله عليه و سلم إنه مخلوق على الصورة و ذلك عندنا لاستعداده الذي خلقه الله عليه من قبوله للتخلق بالأسماء الإلهية على ما تعطيه حقيقته فإن في مفهوم الصورة و الضمير خلافا فما هو نص في الباب فاعتز لهذه النسبة و علا و تكبر فأمر بطهارة نفسه من هذا التكبر بالأرض و بالتراب و هو حقيقة عبوديته فتطهر بنظره في أصل خلقه مم خلق كما قال تعالى فيمن هذه صفته في معرض الدواء لهذا الخاطر الذي أورثه التكبر فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ و هم البنون خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ و هو الماء المهين فإنه من جملة ما ادعاه الاقتدار و العطاء و هو مجبول على العجز و البخل و هذه الصفات من صفات الأيدي فقيل له عند هذه الدعوى و رؤية نفسه في الاقتدار الظاهر منه و الجود و الكرم و العطاء طهر نفسك من هذه الصفات بنظرك ما جبلت عليه من الضعف و البخل يقول تعالى وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ و قال وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً و إذا نظر في هذا الأصل زكت نفسه و تطهر من الدعوى

(باب في عدد الضربات على الصعيد للمتيمم)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في عدد الضربات على الصعيد للمتيمم فمن قائل واحدة و من قائل اثنتين و الذين قالوا اثنتين منهم من قال ضربة للوجه و ضربة لليدين و منهم من قال ضربتان لليدين و ضربتان للوجه و مذهبنا من ضرب واحدة أجزأت عنه و من ضرب اثنتين لا جناح عليه و حديث الضربة الواحدة أثبت فهو أحب إلي (وصل اعتبار الباطن في ذلك) التوجه إلى ما تكون به هذه الطهارة فمن غلب

التوحيد في الأفعال قال بالضربة الواحدة و من غلب حكمة السبب الذي وضعه الله و نسب سبحانه الفعل إليه مع تعريته عنه مثل قوله وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ فأثبت و نفى قال بالضربتين و من رأى ذلك في كل فعل قال بالضربتين لكل عضو و الله أعلم

(باب في إيصال التراب إلى أعضاء المتيمم)

اختلف العلماء رضي الله عنهم في ذلك فمن قائل بوجوبه و من قائل بأنه لا يجب و إنما يجب إيصال اليد إلى عضو المتيمم بعد ضربة الأرض بيده أو التراب و الظاهر الإيصال لقوله منه (وصل اعتبار ذلك في الباطن) إذا قلنا بتطهير النفس بالذلة التي هي أصلها من العزة التي ادعتها حين اكتسبتها لم يجب الإيصال فإن الذلة لو نقلناها إلى محل العزة لامتنع حصول الذلة في ذلك المحل لأن الذي في المحل أقوى في الدفع من الذي جاء يذهبه و لو شاركه في المحل لاجتمع الضدان و لم يكن أحدهما أولى بالإزالة من الآخر و إنما الصحيح في ذلك أن النفس مصروفة الوجه إلى حضرة العز فاكتست من نور العزة ما أداها إلى ما ادعته فقيل لها اصرف وجهك إلى ذلتك و ضعفك الذي خلقت منه فإن بقيت عليك أنوار هذه العزة فأنت أنت فقام عندها إنه ربما يبقى عليها ذلك فلما صرفت وجهها إلى ذلتها و ضعفها زالت عنها أنوار العزة بالذات فافتقرت إلى بارئها و ذلت تحت سلطانه فلهذا قال من قال إنه لا يجب إيصال التراب إلى عضو التيمم و من قال إن كلمة من هنا للتبعيض و أنه لا بد من إيصال التراب إلى العضو قال إن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بد لها ممن تقوم به و ليس إلا حقيقة الإنسان فلا بد أن تكون صفته الذلة و حينئذ تصح طهارته و هو قول من يقول بوجوب إيصال التراب إلى عضو التيمم

(باب فيما يصنع به هذه الطهارة)

اختلف العلماء فيما عدا التراب فمن قائل لا يجوز التيمم إلا بالتراب الخالص و من قائل يجوز بكل ما صعد على وجه الأرض من رمل و حصى و تراب و من قائل بمثل هذا و زاد و ما تولد من الأرض من نورة و زرنيخ و جص و طين و رخام و من قائل باشتراط كون التراب على وجه الأرض و من قائل بغبار الثوب و اللبن و أما مذهبنا فإنه يجوز التيمم بكل ما يكون في الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض فإذا فارق الأرض لم يجز من ذلك إلا لتراب خاصة (وصل اعتبار ذلك في الباطن) قد تقدم أنه قد زال عنه بالانتقال اسم الأرض و سمي زرنيخا أو حجرا أو رملا أو ترابا و لما ورد النص باسم التراب في التيمم فوجدنا هذا الاسم يستصحبه مع الأرض و مع مفارقة الأرض و لم نجد غيره كذلك أوجبنا التيمم بالتراب سواء فارق الأرض أو لم يفارق و الأحكام الشرعية تابعة للأسماء و الأحوال و ينتقل الحكم بانتقال الاسم أو الحال

(باب في ناقض هذه الطهارة)

اتفق العلماء رضي الله عنهم أنه ينقضها كل ما ينقض الوضوء و الطهر و اختلفوا في أمرين الأمر الواحد إذا أراد المتيمم صلاة مفروضة بالتيمم الذي صلى به غيرها فمن قائل إن إرادة لصلاة الثانية تنقضها و من قائل لا تنقضها و به أقول و الأولى عندي إن يتيمم و لا بد لأن مذهبنا أن

التيمم ليس بدلا من الوضوء و إنما هو طهارة أخرى عينها الشارع بشرط خاص لا على وجه البدل و قد قلنا إن الحكم يتبع الحال و ينتقل الحكم بانتقال الأحوال و الأسماء (وصل) اعتبار ذلك في الباطن كما لا يتكرر التجلي كذلك لا تتكرر هذه الطهارة بل لكل تجل طهارة فلكل صلاة تيمم و من نظر إلى التجلي نفسه من حيث ما هو تجل لا من حيث ما هو تجل في كذا قال يصلي بالتيمم الواحد ما شاء كالمتوضئ لا فرق و هو قولنا

حتى بدت للعين سبحة وجهه   و إلى هلم فلم تكن إلا هي

(باب في وجود الماء لمن حاله التيمم)

فمن قائل إن وجود الماء ينقضها و من قائل إن الناقض لها هو الحدث (وصل) اعتبار ذلك في الباطن قلنا المقلد يقوم له دليل في مسألة خاصة من الإلهيات يناقض ما أعطاه تقليده للشرع فلا يخرجه ذلك الدليل عن تقليده و إنما يخرجه عن تقليده دليل العقل الذي ثبت به الشرع عنده لا هذا الدليل الخاص فإذا ظهر له نفس الحدث فيما كان يعتقده في تقليده في تلك المسألة يعلم لذلك إن الشارع لم يكن مقصوده هذا الظاهر في هذه المسألة و قد نبهه على ذلك وجود هذا الدليل الطارئ الذي هو بمنزلة وجود الماء فهكذا هي المسألة إذا حققتها

(باب في أن جميع ما يفعل بالوضوء يستباح بهذه الطهارة)

اختلف العلماء رضي الله عنهم هل يستباح بها أكثر من صلاة واحدة فقط فمن قائل يستباح و هو مذهبنا و الأولى عندنا له لا يستباح و من قائل لا يستباح على خلاف يتفرع في ذلك (وصل) اعتبار ذلك في الباطن قد تقدم في تكرار التجلي و قد انتهى الكلام في أمهات مسائل التيمم على الإيجاز و الاختصار و ما ذهبت العلماء في ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(انتهى النصف الأول من الجزء الأول من الفتوحات المكية و يليه النصف الثاني أوله أبواب الطهارة من النجس)